

رسائل

الإمام محمد بن عبد الوهاب

الشخصية

دراسة دعوية

عبد المحسن بن عثمان بن باز

كلية الدعوة والإعلام
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

الجزء الأول

دار أسبيلنا

للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

هذا الكتاب

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها الباحث إلى قسم الدعوة والاحتساب في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد نوقشت بتاريخ ٢٧/١١/١٤١٨هـ حيث تكونت لجنة المناقشة من:

د. أحمد بن سيف الدين تركستاني، الأستاذ المشارك بقسم الإعلام مشرفاً

د. حمد بن ناصر العمار عميد الكلية والأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب عضواً

د. إبراهيم بن صالح الحميدان، رئيس قسم الدعوة والأستاذ المساعد بقسم الدعوة والاحتساب عضواً

وقد نال الباحث بفضل الله وتوفيقه درجة الماجستير بتقدير ممتاز مع التوصية بطباعة الرسالة وتداولها بين الجامعات.

مُقَدِّمَةٌ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله^(١)، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.. أما بعد..

فإن الله تعالى قد تكفل بحفظ هذا الدين؛ وذلك بحفظ كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

ومن رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن جعل لها في كل عصر من العصور طائفة من المؤمنين يدافعون عن الدين ويظهرون شرائعه، ويذودون عن حياضه، قال ﷺ: (لا يزال من أممي أمة قائمة بأمر الله، ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)^(٢).

(١) هذا المقطع جزء من الخطبة المسماة (خطبة الحاجة) كما سماها العلماء، وأثبت الشيخ محمد ناصر الدين الألباني صحة بعض طرقها التي استقصاها في رسالة بعنوان (خطبة الحاجة) انظر: محمد ناصر الدين الألباني، خطبة الحاجة [بيروت- المكتب الإسلامي- ط الرابعة- ١٤٠٠] (ص ١٣-١٤).

(٢) أخرجه البخاري، الإمام البخاري، صحيح البخاري، [دمشق- دار ابن كثير- ط الخامسة ١٤١٤هـ] كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ...﴾ (سورة النحل: ٤٠) [ك ١٠٠- ب ٢٩- ح ٧٠٢٢] [٧/١٤٠٦] (٢٧١٤).

ومن تمام منته سبحانه وتعالى وكرمه؛ أنه كلما انطمس العلم واستشرى الجهل وتعطلت معظم أصول الدين ودعائمه في كل قرن من القرون؛ بعث الله لهذه الأمة على رأس هذا القرن من يجدد لها دينها ويعيد إليه ما اندرس من معالنه.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)^(١).

ومن هؤلاء المجددين لدين رب العالمين؛ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - مجدد القرن الثاني عشر الهجري؛ حيث شهد له الجَمِّ الغفير من أكابر أهل العلم والدين بأنه من جملة المجددين لما جاء به رسول رب العالمين، وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم أن (أكابر أهل عصر

(١) أخرجه أبو داود، الإمام أبو داود، سنن أبي داود، [حمص - دار الحديث - ط الأولى ١٣٩٣هـ] كتاب: الملاحم - باب: ما يذكر في قرن المائة، [ك ٣١ - ب ١ - ح ٤٢٩١] (٤/٤٨٠)، وصححه الحاكم في مستدركه، الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، [بيروت - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١١هـ] برقم (٨٥٩٢) (٤/٥٦٧)، كما صححه السخاوي، وقال: سنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات، السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، [بيروت - دار الكتاب العربي - ط الثانية ١٤١٤هـ] (ص ١٤٩)، ووثق رجاله العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الألباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، [بيروت - دار الكتب العلمية - ط الثالثة ١٤٠٨هـ] (١/٢٤٣)، وقال الألباني - من المعاصرين -: السند صحيح رجاله ثقات رجال مسلم، الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، [الرياض، مكتبة المعارف - ط جديدة ١٤١٥هـ] (ح/٥٩٩) (٢/١٤٨).

الشيخ شهدوا له بالعلم وأنه من جملة المحددين لما جاء به رسول رب العالمين وكذلك أهل مصر والشام والعراق والحرمين والهند وغيرهم^(١) فرحمه الله رحمة واسعة وأجزل له الأجر والثوبة. ومن عدّه من المحددين أيضا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز^(٢)، وكذلك الشيخ محمد رشيد رضا^(٣) وعبد المتعال الصعيدي في كتابه المحددون في الإسلام^(٤).

وقد قام هذا الإمام -رحمه الله- بجهد مبارك في الدعوة إلى الله تعالى وتنقية عقائد المسلمين مما علق بها من أدران الشرك والبدع، وتحرير عقولهم من مظاهر التعصب المقيت والعودة بهم إلى نصوص الكتاب والسنة؛ لينهلوا من معينها الصافي على ضوء ما فهمه السلف الصالح من مدلولات هذه النصوص.

وقد كان من حكمة هذا الإمام -بعد توفيق الله تعالى له- أن استخدم في دعوته معظم الوسائل الدعوية المتاحة في عصره؛ كالخطب والمواعظ، والدروس، وتأليف الكتب وبتّ المعلمين ونشرهم بين البلدان؛ ليربوا الناس

(١) جمع : الشيخ عبد الرحمن بن قاسم الدرر السنية، [ط الخامسة ١٤١٣ هـ]، [٩/١٢].

(٢) انظر مقدمة الطبعة الثانية لكتاب الشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، [مكة المكرمة- مطبعة الحكومة- ١٣٩٥ هـ] (ص ٣).

(٣) انظر : الشيخ محمد رشيد رضا، تاريخ الشيخ محمد عبده [ط ١٣٥٠ هـ] (١/ج).

(٤) انظر : عبد المتعال الصعيدي، المحددون في الإسلام، [مكتبة الآداب- ط ١٣٧٠ هـ]

على دين الله ويفقهوهم بشرعه القويم.

وكان من أبرز الوسائل الدعوية التي استخدمها الإمام -رحمه الله- في دعوته؛ وسيلة المراسلة؛ تلك الوسيلة المباركة التي استعملها النبي ﷺ وكان لها أثر عظيم في نشر دعوته ﷺ، كما استعملها خلفاؤه من بعده، ومن جاء بعدهم من سلفنا الصالح رحمهم الله جميعاً، وأفادوا منها أيما أفادة، فكان لها أعظم الأثر في مجالات عديدة.

وإن من توفيق الله تعالى ورحمته؛ أن يسرّ لكتاب التاريخ من معاصري الإمام محمد -رحمه الله- ومن جاء بعدهم؛ تدوين آثار هذا الإمام وحفظ تراثه العلمي، ومن ضمن هذا التراث؛ رسائله الشخصية التي كان يرسلها -رحمه الله- إلى أشخاص بأعيانهم، أو إلى بلدان معيّنة، أو إلى فئات مخصوصة ومحددة من شرائح المجتمع.

وإن المتأمل لتلك الرسائل الشخصية التي كتبها الإمام -رحمه الله- ليدرك أنها تميّزت عن باقي آثاره العلمية بعدة مميزات؛ فلئن كانت تشترك مع باقي آثاره في بيان ما اتصف به -رحمه الله- من العلم العميق والفهم الدقيق لمسائل الدين، وما فتح الله على الإمام من أبواب التأمل في نصوص الكتاب والسنة، فإن الرسائل الشخصية للإمام قد تميّزت إضافة إلى ذلك بالكشف عن الجانب الآخر من شخصية هذا الإمام؛ فلم يكن الإمام مجرد عالم محقق؛ بل كان -رحمه الله- داعيةً حكيماً، يدرك طبائع النفوس، ويتقن فن التعامل معها ويستخدم لكل حال ما يناسبها من الأساليب الدعوية

المؤثرة.

كما أن الرسائل قد كشفت عن العديد من العوائق التي تعرّض لها الإمام في دعوته، وكيف تمكن من تجاوزها، وتضمنت الرسائل أيضاً منهجه -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب، وموقفه من خصوم الدعوة وأهل البدع ... إلى غير ذلك من المعالم المهمة في دعوة الإمام، تلك المعالم التي يحتاجها الدعاة اليوم ليفيدوا من هذه الدعوة المباركة الناجحة، فيبدأوا دعوتهم من حيث انتهت لا من حيث بدأت.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة العلمية لإلقاء الضوء على شيء من الفوائد والقواعد والدروس المستفادة من هذه الرسائل.

١- تعريف بمفردات الموضوع:

(أ) الرسائل:

(١) المعنى اللغوي:

(الراء والسين واللام) أصل مطّرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد^(١)، والإرسال في اللغة: التوجيه والاسم منها الرّسالة والرّسالة (بالفتح والكسر)^(٢)، والرسالة: كتاب يشتمل على قليل من المسائل تكون في

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، [بيروت - دار الجيل ط الأولى ١٤١١هـ] [٣٩٢/٢].

(٢) ابن منظور الأفرقيسي، لسان العرب، [بيروت- دار الفكر- ط الأولى - ١٤١٠هـ] [٢٨٣/١١].

موضوع واحد^(١)، وهي الصحيفة التي يكتب فيها الكلام المرسل، وجمعها رسائل ورسالات^(٢)، وقد وجدت عدة ألفاظ ومصطلحات مترادف مصطلح الرسالة؛ كالكتاب، والصحيفة، والألوكة^(٣).

والرسالة في المفهوم الإعلامي: (هي الركن الرابع من أركان العملية الإعلامية وهذه الأركان هي:

١- المرسل [ويسمى القائم بالاتصال].

٢- المستقبل [ويسمى المتلقي].

٣- الأداة [وتسمى الوسيلة].

٤- المضمون [ويسمى (الرسالة) والموضوع]^(٤).

المفهوم الدعوي (لرسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب الشخصية) في هذا البحث:

بما أن الدعوة الإسلامية تقوم على (أربعة أركان هي: الداعي، والمدعو، والرسالة أو [المضمون]، والوسيلة)^(٥)، فإنه يمكن أن نعرّف رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب الشخصية بأنها:

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، [تركية- دار الدعوة- ١٤٠٦هـ] (١/٣٤٤).

(٢) المنجد الأبيدي، [بيروت دار المشرق- ط الرابعة ١٩٨٦م] (ص ٤٨٢).

(٣) سيأتي مزيد من البسط والتفصيل حول تعريف الرسالة واشتقاقها اللغوي ومرادفاتها وتطور مدلولها الاصطلاحي وذلك في المبحث الثاني من الفصل التمهيدي.

(٤) انظر د. عمارة نجيب الإعلام في ضوء الإسلام، [الرياض- مكتبة المعارف- ط الأولى ١٤٠٠هـ] (ص ١١٠).

(٥) علي بن صالح المرشد، مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، [دمنهور- مكتبة لينة- ط

الأولى ١٤٠٩هـ] (ص ٢٨).

تلك الخطابات والكتابات [الوسيلة] التي أرسلها الإمام محمد بن عبد الوهاب [الداعي] -رحمه الله- إلى شخص معين^(١)، أو فئة معينة من الناس^(٢). [المدعو] متضمنة جملة من التعاليم والمبادئ ذات الأغراض الدّعوية في العقائد والعبادات والمعاملات [المضمون].

ويخرج من هذا التعريف بقية كتابات الإمام -رحمه الله- العامّة التي كتبها أو وجهها إلى عامّة المسلمين لا إلى شخص معيّن ولا إلى فئة معينة محصورة من الناس، ومنها كتبه -رحمه الله- ككتاب التوحيد، وكذلك رسائله العلميّة مثل رسالة كشف الشبهات والأصول الثلاثة وغيرها^(٣).

- والمقصود بالدراسة الدّعوية لرسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب:

أنها تلك الدرّاسة التي تتناول (رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-) من الجانب الدّعوي الذي يركّز الباحث من خلاله على دراسة

(١) مثل رسالته إلى السويدي (عالم من العراق) وإلى فاضل آل مزيد (حاكم ورئيس بادية الشام) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ [الرياض- مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- ١٣٩٨] (الشخصية) (٣٦/٥ - ٣٢).

(٢) سواءً كانت هذه الفئة أهل بلد معيّن، مثل رسالته إلى أهل القصيم وإلى أهل الرياض ومنقوحة وإلى أهل شقراء وإلى أهل سدير، وأمثالها كثير، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٨/٥ - ١٨٦ - ٢٩٢ - ٢٩٦) أو كانت الفئة أهل صفة مخصوصة كالمعلمين، والعلماء، والعامّة، انظر: رسالته للمعلمين ورسالة تلقين التوحيد للعامّة: جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [ط الخامسة ١٤١٣هـ] [١٧٠/١ - ١٥١] ورسالته إلى علماء الإسلام، مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٧٦/٥).

(٣) انظر الفرق بين الرسائل الشخصية والرسائل العلميّة في ملحق الرسائل في نهاية هذا البحث.

تلك الرسائل من حيث كونها وسيلة دعوية ناجحة، فيعتني باستخراج مضامينها، والأساليب الدعوية المستخدمة فيها، وآثارها على المدعويين، ويقوم بدراستها من زاوية دعوية تميزها عن الدراسة الفقهية والتاريخية و....

٢- أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- أهمية الموضوع :

تبرز أهمية هذا الموضوع من عدة جوانب منها :

١- حاجة الدعاة الماسة إلى رؤية تجارب دعوية ناجحة لدعاة معاصرين عاشوا في ظروف مشابهة لظروفنا، وتعرضوا لعوائق مشابهة لتلك التي نتعرض لها، ومع ذلك نجحوا بفضل الله تعالى ثم بفضل أساليب ووسائل استخدموها في دعواتهم كان لها أعظم الأثر - بعد توفيق الله - في نجاح دعواتهم وقبولها لدى الناس .. فهل من الحكمة أن تموت هذه التجارب وتذهب بذهاب أصحابها. ويبدأ من يأتي بعدهم من بداية الطريق؟ أم أن الحكمة تكمن في الإفادة من تجاربهم والبدء من حيث انتهوا؟.

٢- إن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - تعدّ من الدعوات الجديرة بالدراسة حيث كانت أنموذجاً حياً لدعوة كتبت لها النجاح والظهور، حتى أصبحنا اليوم - بفضل الله تعالى - في هذه البلاد وبلاد أخرى عديدة - نتفياً ظلها الوارفة وننعم بثمراتها الياصرة، فجزى الله من قام بالدعوة ومن ناصره عنا أفضل الجزاء، ورحمهم رحمة واسعة وأسكنهم فسيح جناته.

٣- عدم تمكن كثير من الدعوات الإصلاحية من تحقيق ما تصبو إليه، وذلك لأسباب عديدة منها - كما قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -: (قلة علوم بعض الدعاة التي يستطيع بها أن يوجه الناس بالأساليب المناسبة والعبارات اللائقة والحكمة والموعظة الحسنة) أهـ^(١).

بمعنى أن عدم إتقان بعض هؤلاء الدعاة لما أتقنه الإمام محمد بن عبد الوهاب من الأساليب المناسبة والعبارات اللائقة، تلك التي ظهرت جلية واضحة في رسائله الشخصية كان من أهم أسباب عدم بلوغهم لما كانوا يأملونه في دعواتهم الإصلاحية من النجاح والتمكين والظهور.

٤- رغم أن دعوة الإمام - رحمه الله - قد حظيت بدراسات كثيرة، وبحوث متنوعة من مختلف جوانبها؛ إلا أن هناك جوانب لم تأخذ حقها من الدراسة والتحليل، ومن أهم هذه الجوانب: الجانب الدعوي في حياة الإمام وما يتعلق به من أساليب دعوته، ووسائلها، ونحو ذلك.

٥- غفلة كثير من الدعاة اليوم عن استخدام وسيلة المراسلة في الدعوة إلى الله؛ تلك الوسيلة التي استفاد منها الأنبياء عليهم السلام والصالحون - رحمهم الله - واستفاد منها الإمام محمد بن عبد الوهاب من جوانب متعددة، ونتج عنها آثار عظيمة.

وقد استغل أعداء الإسلام هذه الوسيلة في عصرنا الحاضر استغلالاً كبيراً،

(١) سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته،

[الرياض - إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد] (ص ٢٥).

وتوصلوا عن طريقها إلى كثير من أهدافهم المشبوهة، ومن هنا كان من المتعين أن يهتم أهل الإسلام بهذه الوسيلة العظيمة، ويعدوا الدراسات والبحوث التي تعينهم على حسن الاستفادة منها.

- أسباب اختيار الموضوع:

أ- أسباب تتعلق بشخصية الإمام - رحمه الله -:

١- لعل من أهم الأسباب التي تدعو الباحث إلى التركيز على شخصية الإمام محمد ابن عبد الوهاب - رحمه الله - ودراسة رسائله هو كون هذا الإمام من العلماء المحددين بشهادة كثير من العلماء^(١) مما يجعلنا ندرك أبعاد شخصيته، ويجعلنا نظمئن إلى أنّ النتائج والدروس والفوائد الدّعوية التي سيستخرجها الباحث من رسائل هذا الإمام بالذات ستحظى - بإذن الله - بالاهتمام من قبل شريحة كبيرة جداً من أبناء الأمة الإسلامية الحريصين على اتباع السنة والالتزام بمنهج السلف الصالح ونبتدع البدع والخرافات، خاصة وأنّ الباحث - بعون الله وتوفيقه - سيقوم قدر الإمكان بالتأصيل الشرعي للأساليب التي استخدمها الإمام في رسائله، وسيذكر أدلتها من الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح.

(١) سبقت الإشارة إلى أنّ أهل العلم والدين (وأكابر أهل عصر الشيخ شهدوا له بالعلم وأنه من حملة المحددين لما جاء به رسول رب العالمين وكذلك أهل مصر والشام والعراق والحرمين والهند وغيرهم) ذكر ذلك الشيخ عبدالرحمن بن قاسم في الدرر السنينة، [مرجع سابق] (٩/١٢) ومن عدّه من المحددين أيضاً سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز. (انظر مقدمة الطبعة الثانية لكتاب الشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي، محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] وكذلك الشيخ محمد رشيد رضا تاريخ الشيخ محمد عبده [مرجع سابق] (١/ص ح) في التصدير) وعبد المتعال الصعيدي في كتابه المحددون في الإسلام [مرجع سابق] ص ٤٣٧.

٢- اختار الباحث رسائل هذا الإمام نظراً لما تميّز به -رحمه الله- من الالتزام بمبدأ التمسك بنصوص الكتاب والسنة في كل دقيقة وجليلة ... ذلك المبدأ الذي كان له -بعد توفيق الله- أعظم الأثر في نجاح دعوته، هذا بالإضافة إلى ما وهبه الله من دقة الفهم واتساع العلم، كل ذلك يجعل الداعية يطمئن إلى أن ما يأخذ به الإمام من الوسائل والأساليب في دعوته إلى الله إنما هي أساليب ووسائل شرعية استقاها الإمام -حسب مبدئه^(١)- من الكتاب

(١) فهو يقول عن منهجه في دعوته: (وما جئنا بشيء يخالف النقل ولا ينكره العقل) جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] [٦٤/١] ويقول أيضاً في رسالته إلى الشيخ عبد الله الصنعاني: (والمقصود بيان ما نحن عليه من الدين وأنه عبادة الله وحده لا شريك له فيها يخلع جميع الشرك، ومتابعة الرسول فيها يخلع جميع البدع) ويقول أيضاً: (وأما متابعة الرسول فواجب على أمته متابعتها في الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ آل عمران، آية رقم (٣١)، الدرر السنية، (١٣٥/١). وقد عقد الشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي في كتابه عن الإمام مبحثاً تحت عنوان (ثناء العلماء على الشيخ من المسلمين والعربيين الكافرين) وبين أن من أعظم ما أثنوا به عليه شدة تمسكه بنصوص الكتاب والسنة في كافة أموره، ومن عباراتهم في ذلك؛ قصيدة الشيخ /محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني -مؤلف سبل السلام- التي مطلعها:

سلامي على نجد ومن حلّ في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
ثم قال:

وليس له ذنب سوى أنه أتى بتحكييم قول الله في الحل والعقد
ويتبع أقوال النبي محمد وهل غيره بالله في الشرع من يهدي

ومنها أيضاً ماجاء في قصيدة الشيخ العلامة/ محمد بن علي الشوكاني -مؤلف نيل الأوطار- التي رثا بها الإمام محمد بن عبد الوهاب، ومطلعها:

مصاب دهي قلبي فأذكي غلاثلي وأصمى بسهم الإفتجاج مقاتلي

ومما قال: دعا لكتاب الله والسنة التي: أتانا بها طه النبي خير قائل
أنظر: أحمد بن حجر آل أبو طامي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه [مرجع سابق] (ص ٨٠).

والسنة.

٣- كما اختار الباحث رسائل هذا الإمام لأن شخصيته تعدّ -إلى حدٍ كبير- إحدى الشخصيات المثالية للداعية الناجح، حيث كان -رحمه الله- مدعماً بالعلم الشرعي (الذي هو مادة الدعوة وزاد الداعية) بالإضافة إلى معرفة الواقع الذي يعيشه -لكثرة أسفاره ومخاطبته للمدعويين- كما أنه كان قادراً -بفضل الله- على معرفة نفسيّات المجتمع المحيط به، والأسلوب المناسب للدعوة كل شريحة من شرائحه.

وقد ظهر الإمام أيضاً بشخصية الإداري الناجح؛ فلم يكن يعلّق المدعويين بشخصه بل كان يعيّن مساعدين له من طلابه، ومَن اهتموا على يديه، وينشرهم سفراء له في أنحاء البلاد.

٤- اختار الباحث دراسة رسائل هذا الإمام لكونه أحد النماذج الواضحة للدّاعية الذي تمكّن من تطبيق إنكار المنكر بدرجاته الثلاث: القلب، واللسان، واليد، حتى وصل إلى أعلى مراتب الإنكار وهي مرتبة الجهاد في سبيل الله.

ب- أسباب تتعلق بطبيعة دعوة الإمام -رحمه الله-:

١- ما تميّزت به دعوته من الشمول والإحاطة. بمعظم أبواب الدعوة إلى الله من جهاد وتعليم وتربية وإدارة وسياسة وتأليف وخطابة وغيرها

٢- كما أنّ من أبرز ما يميّز منهج الإمام في دعوته ويزيد من حرص الباحث على البحث في رسائله ودعوته؛ ما عرف به الإمام وكان سبباً في

عداوة كثير من أقرانه^(١) له من دعوته إلى إعمال الفكر وفتح باب الاجتهاد ونبذ التقليد المطلق (الأعمى)^(٢) حيث كان -رحمه الله- يدعو إلى الإقبال على القرآن والسنة وطلب الهدى منهما، وعدم الإعراض عنهما بحجة أنه لا يفهمهما إلا المجتهد المطلق الموصوف -عند البعض- بأوصاف لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- ولا يخفى أن الدعوة والدعاة اليوم أحوج ما يكونون إلى مثل هذا المنهج الذي يفتح لهم آفاقاً واسعة في أساليب الدعوة ووسائلها، مراعين في ذلك ما يتفق مع نصوص الكتاب والسنة دون الحاجة إلى الجمود والتقيّد باجتهادات بشرية قد تخطئ وتصيب، وقد كان بعضها سبباً في شلّ تفكير المسلمين وتشويه تعاليم دينهم.

٣- اختار الباحث هذا الموضوع لكون دعوة الإمام -رحمه الله- قد نشأت في فترة وظروف مشابهة لتلك الظروف التي تمر بها اليوم مناطق كثيرة في أنحاء العالم الإسلامي من حيث الانحراف العقدي والسلوكي، والتدهور السياسي والاقتصادي والاجتماعي.. وقد تعرض الإمام في دعوته لعلاج كثير من هذه الانحرافات.. الأمر الذي سيساعد الدعاة على البدء من حيث انتهى الإمام والإفادة من تجاربه.

٤- تميزت دعوة الإمام -رحمه الله- بالافتداء بدعوة المصطفى ﷺ بالبدء

(١) اتهموه بأنه مبطل لكتب المذاهب، وأنه يدّعي الاجتهاد وغيرها من التهم الباطلة : انظر

مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٠/٥ - ١٤٤ - ٦٤).

(٢) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٩٤/٢).

بالأولويات حيث بدأ الإمام -رحمه الله- كما بدأ النبي ﷺ - بإصلاح العقيدة في نفوس الناس وتجريدها لله وحده، ثم انطلق بعدها لإصلاح بقية ما فسد من أحوالهم.

٥- واختار الباحث أن تكون دراسته حول هذه الدعوة لتميّزها بأحد أهم أسباب نجاح الدّعوات؛ وهو اتحاد السلطة الدينية والسياسية، فقد كانت أتمودجا للدعوة التي اتحدت فيها هاتان السلطتان، واتّضحت فيها كثير من المسائل الشرعيّة التي يحتاج الدعاة إلى فقهها عند اتحاد هاتين السلطتين.

ج- أسباب تتعلق بطبيعة الرسائل الشخصية للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب:

١- إن من أهم أسباب نجاح دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب استخدامه -رحمه الله- لوسائل دعوية ناجحة ساعدت على نشر دعوته والتمكين لها، وكان من أهم هذه الوسائل؛ وسيلة المراسلة التي وظّفها -رحمه الله- في عدة جوانب ، واستفاد منها في عدّة مجالات.

وقد اختار الباحث هذا الموضوع ليفيد من هذه الوسيلة المهمة، ويتعرّف على كيفية استغلالها، والجوانب التي يمكن تناولها بهذه الوسيلة.

٢- إدراك الباحث لتلك الثروة العلمية الكبيرة والفوائد الدعوية العظيمة التي تضمنتها رسائل الإمام الشخصية، ورغبته في إخراجها للدعاة، وتمكينهم من الاستفادة منها.

٣- إنّ من أهم الأسباب التي حالت بين الدّعاة وبين الانتفاع بهذه الرسائل والإفادة منها اتسامها بالصفة الشخصية والخصوصية .. فهذه رسالة من فلان إلى فلان ، أو إلى الفئة الفلانية فقط .. مما يجعل القارئ يشعر أن الأمر لا يعنيه ولا يفيد، ولذلك اختار الباحث هذا الموضوع ليقوم -بعون الله تعالى- بإخراج هذه الرسائل من هذه الصفة الشخصية إلى الصبغة المنهجية العامة التي يمكن للجميع من خلالها أن يستفيدوا من الجانب الدعويّ في هذه الرسائل.

٤- إذا كان لأسلوب الكاتب أثر في اكتشاف حقائق شخصيته؛ فإن رسائله الشخصية أبلغ في إلقاء الضوء على تلك الحقائق من كتاباته الأخرى، ومن هنا جاء اختيار الباحث لهذا الموضوع وهو -رسائل الإمام الشخصية- من أجل إلقاء الضوء على مزيد من الحقائق حول تلك الشخصية الفذة، والاستفادة من تجاربها الناجحة.

٥- رغبة الباحث في إحياء هذه الوسيلة الدعوية المهمة التي كان لها أعظم الأثر في دعوة المصطفى ﷺ وانتشارها، وهي صالحة للدعاة في هذا الزمان، وأعني بها وسيلة الرسائل الشخصية بعد أن غفل عنها كثير من الدعاة، رغم ما تتميز به من مزايا تجعلها من أهم الوسائل.

٦- عدم وجود بحث أو رسالة علميّة -حسب علم الباحث- تناولت الرسائل الشخصية للإمام محمد بن عبد الوهاب بدراسة دعوية مستقلة.

٧- كون هذا الموضوع -وهو موضوع دعوي- يتناسب مع تخصص الباحث حيث تحرّج في قسم الدعوة والاحتساب .

٣- تحديد نطاق البحث:

بما أن البحث يتناول دراسة الرسائل الشخصية للإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-؛ فإن الشواهد على أساليب الرسائل ومضامينها ستكون مقصورة على الرسائل الشخصية، ولن يلتفت الباحث إلى الشواهد المشابهة في مؤلفات الإمام الأخرى .

وقد بدأ الباحث أولى خطواته في هذا البحث بحصر رسائل الإمام الشخصية التي ستقوم عليها هذه الدراسة، وذلك بالبحث عنها في المراجع الموثوقة، وقد انتهت الدراسة بحصيلة طيبة من الرسائل قوامها ست وستون رسالة شخصية^(١) جمعت على النحو التالي:

أ- الرسائل الشخصية الواردة في القسم الخامس من مجموع المؤلفات الشخصية، وعددها إحدى وخمسون رسالة شخصية، وقد أدخل منها في

(١) وجد الباحث أن من غير المناسب وضع جميع تلك الرسائل في ملاحق هذا البحث لأسباب منها:

أ) كبر حجمها، حيث تبلغ صفحات قسم الرسائل الشخصية الذي طبعته الجامعة (٣٢٣) صفحة، كما تبلغ صفحات الملحق الذي أضافه الباحث -والذي اشتمل على الرسائل الشخصية التي لم ترد في قسم الرسائل الشخصية الذي طبعته الجامعة- أكثر من مائة صفحة . بمعنى أن الملحق لن يقل عن أربع مائة صفحة ، ولا شك أن إضافة ملحق بهذا الحجم فيه إثقال على الرسالة.

ب- أن مصادر هذه الرسائل كلها مطبوعة ومعتنى بها ، ويسهل الحصول عليها لكل أحد فهي تباع في المكتبات التجارية وتوجد في معظم المكتبات العامة.

ولذلك اكتفى الباحث بوضع ملحق في نهاية البحث قام فيه بتعيين جميع الرسائل التي أجريت عليها الدراسة وبيان مواضعها والجهات التي وجهت إليها بشكل موجز.

الدراسة خمسون رسالةً واستبعدت الرسالة رقم (١٧) من (ص ١٠٩ - ١١٥) المسماة (رسالة إلى أهل المغرب) وهي منقولة من الدرر السننية (١/٥٦ - ٥٩) حيث ثبت أنها ليست من رسائل الإمام، وأنها كتبت عام ١٢١٨هـ أي بعد وفاة الإمام باثني عشرة سنة، ولعل كاتبها هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الذي كان مرافقاً لسعود بن عبدالعزيز حين استولى على مكة عام ١٢١٨هـ، حيث ذكر الجبرتي في أحداث هذه السنة أن (الوهابي) أرسل هذه الرسالة إلى شيخ الركب المغربي أثناء فترة الحج^(١).

ب- رسائل شخصية أخرى جمعها الباحث من مصادرها الأصلية، ولم ترد ضمن القسم الخامس من مجموع المؤلفات وعددها ست عشرة رسالة. وسيأتي - إن شاء الله - في الملحق في نهاية هذا البحث تعيين جميع الرسائل التي أجريت عليها الدراسة وبيان مواضعها والجهات التي وجهت إليها، إضافة إلى توثيق تلك الرسائل والتأكد من صحّة نسبتها للإمام - رحمه الله - وإمكانية تصنيفها ضمن الرسائل الشخصية للإمام وفقاً لمفهوم الرسالة الشخصية الذي سبق تحديده في التعريف الإجرائي للرسائل الشخصية^(٢).

٤ - المنهج المتبع في البحث:

ي قد راعيت - بتوفيق الله تعالى - في هذا البحث عدة أمور، منها:

(١) انظر: عبدالرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، [الرياض - دار

الفارس للطباعة والنشر - ب ت] (٢/٥٨٨).

(٢) انظر ما سبق ذكره في هذه المقدمة تحت عنوان (تعريف بمفردات الموضوع).

١- عزوت الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى سورها، حيث ذكرت اسم السورة ورقم الآية في الهامش.

٢- قمت بتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية بذكر المؤلف، واسم المرجع، وأذكر معلومات النشر في أول ورود المرجع، ثم أبين موضع الحديث بذكر اسم الكتاب، واسم الباب، ورقمها ورقم الحديث، ثم أذكر رقم الجزء والصفحة، كما حرصت على بيان الحكم على الحديث -إن كان في غير الصحيحين- من خلال ما ذكره العلماء المتخصصون من السابقين أو المعاصرين.

٣- حرصت على جمع المعلومات لهذا البحث من المصادر الأصلية الموثوقة، وبعض المخطوطات، مع الاستفادة من المراجع الحديثة في بعض جوانب البحث، كما أنني حرصت على أن أرجع إلى أكثر من مصدر في المسألة الواحدة في معظم جوانب البحث لتوثيق المعلومة وإثرائها، وقد اعتمدت -في تسمية الكتب والألقاب العلمية لمصنفيها- على ما كتب في غلاف الطبعة التي رجعت إليها، دون أن ألتفت إلى التسميات الأخرى للكتاب إن وجدت.

٤- قمت بوضع الهوامش في الرسالة حسب قواعد البحث العلمي، والتزمت عند النقل من أي مرجع أو الاستفادة منه بالإشارة إلى اسم المؤلف ثم اسم الكتاب، ثم معلومات النشر، وهي بلد النشر، ثم الناشر، ثم رقم الطبعة وتاريخها -إذا توفرت هذه المعلومات في المرجع- وذلك في أول ورودها في الرسالة، ثم في فهرس المصادر والمراجع في آخر الرسالة، وأختم

بتعيين رقم الجزء والصفحة. وإذا نقلت المعلومة بالمعنى بدأت التوثيق بعبارة (انظر).

٥- جعلت المرجع في رسائل الإمام الشخصية ما طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ضمن مجموع مؤلفات الشيخ وهو الجزء الخامس (الرسائل الشخصية) لما بذل في هذه الطبعة من العناية والمطابقة بعدة نسخ، أما بقية رسائل الإمام الشخصية التي لم ترد ضمن هذا الجزء فإنني أرجع فيها إلى المراجع القديمة الموثوقة التي سبقت الإشارة إليها آنفاً عند تحديد نطاق الدراسة.

٦- ترجمت لمعظم الأعلام الواردة أسماؤهم في متن الرسالة ممن لهم علاقة قوية بموضوع البحث؛ كالأعلام الواردة أسماؤهم فيما نقلته من رسائل الإمام الشخصية، ولم أترجم للمشهورين كالأنبياء -عليهم السلام-، والخلفاء الأربعة -رضي الله عنهم أجمعين- لمزيد فضلهم وعلو مكانتهم التي تغني عن التعريف بهم. وأما من لم أعتز على ترجمته ممن وردت أسماؤهم في رسائل الشيخ -بعد اجتهادي في البحث والتقصي- فأقول: لم أجده.

٧- حرصت على شرح المفردات الغريبة، وتشكيل بعض العبارات الموهمة الواردة في البحث.

٨- أحياناً أكرر الشاهد في أكثر من موضع لاشتماله على أكثر من وجه للاستشهاد.

٩- حرصت على إيراد عبارات الإمام بنصّها رغبةً في التوثيق، وإن كان

في بعضها ميل إلى الأسلوب العامي أحياناً لما اعتاده الإمام من مراعاة طبيعة المخاطبين.

- ١٠- قمت بوضع فهرس علمية عامة للرسالة تعين القارئ على الرجوع إلى ما يريد منها بيسر وسهولة، وهي تشمل:
- أ- فهرس الآيات القرآنية مرتباً حسب سور القرآن .
- ب- فهرس أطراف الأحاديث النبوية مرتباً حسب الحروف الهجائية .
- ج- فهرس الأعلام المترجم لهم مرتباً حسب الحروف الهجائية.
- د- فهرس المصادر والمراجع مرتباً حسب الحروف الهجائية.
- هـ- فهرس الموضوعات.

وقد بذلت قصارى جهدي في جميع مراحل البحث طمعاً في أن ينفع الله به كاتبه وقارئه ، فإن وُفِّقت وأدركت الصواب فمن الله عز وجل، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان، أعاذني الله وإخواني المسلمين من شرهما.

٥- تقسيم الدراسة:

مقدمة البحث : وتتضمن العناصر التالية :

- ١- تعريف بمفردات الموضوع.
- ٢- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- ٣- تحديد نطاق الدراسة.
- ٤- المنهج المتبع في الدراسة.
- ٥- تقسيم الدراسة.

٦- الصعوبات التي واجهت الباحث.

٧- الشكر والتقدير.

الفصل التمهيدي

المبحث الأول: البيئة الفكرية والاجتماعية التي كتبت فيها هذه

الرسائل (وترجمة الإمام رحمه الله)

المطلب الأول: الحياة في نجد زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

المطلب الثاني: ترجمة موجزة للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

المبحث الثاني: (الرسائل) وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى،

واستخدام الإمام (رحمه الله) لها

المطلب الأول: الوسائل التي استخدمها الإمام في الدعوة إلى الله ومنها

وسيلة المراسلة

المطلب الثاني: وسيلة (المراسلة) مشروعيتها وخصائصها ومجالاتها

الفصل الأول

مضمون رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)

المبحث الأول: بيان العقيدة الصحيحة

المطلب الأول: منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في تلقي العقيدة.

المطلب الثاني: تقريره أركان الإيمان بالله تعالى.

المطلب الثالث: بيانه لنواقض الإسلام.

المطلب الرابع: موقف الإمام من المبتدعة ورؤوسهم.

المبحث الثاني: الدعوة والاحتساب

المطلب الأول: بيانه فضل الدعوة والاحتساب وحثه على القيام بهذا الواجب

المطلب الثاني: إنكاره على من فرط في الدعوة والاحتساب وترهيبه من ترك ذلك الواجب

المطلب الثالث: قيامه بواجب الدعوة والاحتساب بنفسه

المطلب الرابع: بيانه الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية والمحتسب

المطلب الخامس: معوقات في طريق الدعوة والاحتساب

المبحث الثالث: تفنيد الشبه وردّ ما ألصق بالإمام من التهم

المطلب الأول: التهم التي ألصقت بالإمام وردّه عليها.

المطلب الثاني: الشبه التي أثرت على دعوة الإمام رحمه الله.

المبحث الرابع: مسائل متنوعة في الفقه وأصوله وعلوم الحديث وقضايا الدعوة

المطلب الأول: مسائل في الاجتهاد والتقليد:

المطلب الثاني: مسائل في الفقه والأحكام:

المطلب الثالث: مسائل تتعلق بالسنة وعلومها:

الفصل الثاني

أساليب رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)

المبحث الأول : الأساليب المستخدمة في رسائل الإمام رحمه الله

المطلب الأول: القدوة

المطلب الثاني: الموعظة الحسنة

المطلب الثالث: الجدال بالتي هي أحسن

المطلب الرابع: أسلوب غرس الثقة بالداعي في نفوس المدعوين

المطلب الخامس: أسلوب البلاغة في التعبير (الوضوح - القوة - الجمال):

المبحث الثاني: تنوع الأساليب في رسائل الإمام (باعتبار المدعو)

المطلب الأول: مراعاة مكانة المدعو

المطلب الثاني: مراعاة حاجات المدعو الفطرية واستثمارها

المطلب الثالث: مراعاة حاجات المدعو الروحية

الفصل الثالث

آثار رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وكيفية الاستفادة

منها في العصر الحاضر .

المبحث الأول : آثار رسائل الإمام - رحمه الله - .

المطلب الأول: عوامل تأثير رسائل الإمام رحمه الله .

المطلب الثاني: معوقات تأثير رسائل الإمام رحمه الله .

المطلب الثالث: بعض آثار رسائل الإمام رحمه الله .

المبحث الثاني: كيفية الاستفادة من رسائل الإمام - رحمه الله - في

العصر الحاضر .

المطلب الأول: كيفية الاستفادة من سيرة كاتب الرسائل - رحمه الله -
ووسائله الدعوية في العصر الحاضر .

المطلب الثاني: كيفية الاستفادة من مضامين رسائل الإمام في العصر
الحاضر.

المطلب الثالث: كيفية الاستفادة من أساليب رسائل الإمام في العصر
الحاضر .

المطلب الرابع: كيفية الاستفادة من آثار رسائل الإمام في العصر الحاضر.
خاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العلمية: وتشمل فهرس الآيات، وفهرس الأحاديث، وفهرس
الأعلام، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

٦- الصعوبات التي واجهت الباحث:

واجه الباحث بعض الصعوبات في هذا البحث، وقد يسّر الله له تجاوزها،
ولكن بعد أن استنفدت منه الكثير من الوقت والجهد، وعزاء الباحث أن هذا
الوقت والجهد قد بذل في أمور نافعة - إن شاء الله -، ونسأل الله تعالى أن
يصلح النية والعمل.

ومن هذه الصعوبات:

١- كان التصور المبدئي للدراسة - كما هو واضح من المخطط المعتمد -
أن يقوم الباحث مباشرة بدراسة الرسائل الشخصية للإمام دراسة دعوية،
وهذه الرسائل كان من المعروف أنها مجموعة وموثقة في القسم الخامس من
مجموع مؤلفات الإمام، إلا أن الباحث - بعد استشارة المشرف - وجد أنه

بحاجة إلى إعادة جمع الرسائل من مصادرها الأصلية، والتحقق من نسبتها للإمام وفقاً للتعريف الإجرائي للرسائل الشخصية الذي تم اعتماده في هذه الدراسة.

والحق أن جمع وتحقيق رسائل الإمام الشخصية يحتاج إلى دراسة مستقلة، ولكن الباحث وجد نفسه مضطراً للقيام بهذه المهمة لضرورة توافر مثل هذه الدراسة قبل البدء في البحث.

٢- اقتضت طبيعة البحث أن يقوم الباحث بتحليل مضامين جميع الرسائل التي جرت عليها الدراسة وهي ست وستون رسالة استغرقت ما يربو على أربعمئة وأربعين صفحة تقريباً، وقد صمّمت استمارة خاصة لهذا الغرض تحت إشراف فضيلة المشرف، ولا يخفى ما يحتاجه الباحث من الوقت والجهد عند تحليله لمضامين هذه المادة الكبيرة.

٣- قد يشتكي كثير من الباحثين من قلة المراجع في مسألة ما، لكن الباحث في سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب يشتكي من كثرة المراجع وحاجته إلى الإمام بها وقراءتها جميعاً للخروج بالرأي الأصوب، خاصة مع كثرة الاختلاف في الآراء بين المؤلفين والكتاب في بعض جوانب سيرة الإمام.

٤- رغم كثرة الكتابات حول سيرة الإمام ودعوته إلا أنه مازال هناك العديد من الجوانب الغامضة والشخصيات المجهولة التي وردت في رسائل الإمام -رحمه الله- فهو أحياناً يشير إلى أحداث معينة وينفعل معها، وعند البحث عن تفاصيل هذه الأحداث في الكتب التي أرّخت لتلك الفترة لا نجد لها أثراً أو ذكراً.

وكذلك فإن كثيراً من الشخصيات التي راسلها الإمام وتحدّث عنها في

رسائله تبقى شخصيات مجهولة لم يعثر الباحث على ترجمة لها ، فيما أطلع عليه من الكتب المطبوعة والمخطوطة التي ترجمت لأعلام تلك الفترة ، ربما لأن أولئك الأشخاص لم يكونوا (أعلاماً) بل كانوا أفراداً عاديين ولم يشتهروا بعلم أو إمارة أو نحو ذلك.

ولاشك أن العثور على تراجم هؤلاء الأشخاص سيعين على فهم أعمق لرسائل الإمام الشخصية .

٧- الشكر والتقدير

وفي الختام: فإني أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره وأثني عليه بما هو أهله، ولا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، فله الحمد والشكر على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة التي لا تعدّ ولا تحصى، والتي منها أن هداني للإسلام ويسّر لي سبيل التزود من العلم ثم أعانني على إتمام هذا البحث؛ حيث سهّل لي صعبه، ودلّ أمامي عقباته، وهياً لي من عباده الصالحين والعلماء الناصحين من أخذ بيدي وأخلص في توجيهي وإرشادي.

واقْتداءً بقول الرسول ﷺ: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)^(١)، فإن أولى الناس بشكري هما والداي اللذان رباني وشجعاني على طلب العلم، ويسّر لي سبل مواصلة التحصيل، فجزاهما الله عني خير الجزاء، وأسأله

(١) أخرجه الترمذي ، الإمام الترمذي ، الجامع الصحيح وهو: سنن الترمذي، [بيروت- دار إحياء التراث العربي- ١٤١٥هـ] كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك [٢٥٥- ب ٣٦- ح ١٩٥٩] [٣٣٩/٤] قال أبو عيسى الترمذي: (وهو حديث حسن صحيح).

سبحانه أن يعينني على طاعتها وبرهما، وأن يمتعني بطول بقائهما في الدنيا على طاعته، ثم يجمعني بهما ويأخواني المسلمين في الآخرة في مستقر رحمته، في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وبعد ذلك أرى لزاماً عليّ أن أتقدم بوافر شكري وعظيم امتناني لشيخني وأستاذي المشرف على هذه الرسالة الدكتور: أحمد بن سيف الدين تركستاني، الذي رعى هذا البحث منذ كان بذرة حتى استوى على سوقه، والذي لم ييخل عليّ قط بتوجيهاته السديدة، وآرائه القيّمة، بل كان يرعى البحث رعاية أبوية كريمة، وفتح له قلبه، وأولاه الكثير من وقته الثمين، وكان لي بعد الله نعم العون طيلة إعداد هذا البحث، فأسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء وأوفره.

كما أن من واجبي أن أعترف بالفضل لذوي الفضل؛ فأتقدم هنا بموفور الشكر وجزيل الثناء إلى حصن العلم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على ما أولته وتوليه لطلبة العلم ورواده من رعاية واهتمام.

ولكلية الدعوة والإعلام ممثلة في عميدها ووكيلها وأعضاء مجلس القسم ومجلس الكلية وكافة الأساتذة الفضلاء على جهودهم الطيبة. فلقد كنت أجد دوماً منهم الدعم المستمر والتشجيع المتواصل.

كما لا يفوتني أن أقدم شكري وتقديري للشيخين الفاضلين والأستاذين الكريمين:

فضيلة الشيخ الدكتور: حمد بن ناصر العمار، عميد كلية الدعوة والإعلام والأستاذ المشارك بقسم الدعوة، وفضيلة الشيخ الدكتور: إبراهيم بن صالح

الحميدان، رئيس قسم الدعوة والأستاذ المساعد بالقسم اللذين تفضلاً بقبول مناقشة الرسالة، والتضحية بجزء من وقتها الثمين في سبيل إفادتي، وتقديم النصح لي، رغم كثرة مشاغلها.

وأعمم الشكر المقرون بالدعاء إلى كل من أعانني على إتمام هذا البحث أو أفادني بمعلومة أو توجيه أو إرشاد من الأساتذة الفضلاء، أو الزملاء الكرام، وأسأل الله أن يجزل لهم جميعاً الأجر والثوبة وأن يوفقنا وإياهم جميعاً لما يحب ويرضى.

وختاماً: فإن هذا البحث كغيره من أعمال البشر التي لا تخلو من الزلل والقصور، فالكمال لله وحده دون سواه، وأسأل المولى جل وعلا أن يكون بحثاً جيداً نافعا في بابه، وأن أكون قد وفقت فيه للحق والصواب، وأن يكون مؤدياً لغرضه، فإن كان لي ما أردت فهو مقصودي وأحمد الله سبحانه وتعالى عليه فهو وحده ولي التوفيق، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان ومنزهان عنه وعن كل عيب ونقص، وحسبي أن أدت ما بوسعي، وأستغفر الله وأتوب إليه من كل خطأ وزلل، وأسأله سبحانه وتعالى أن يعاملنا بعفوه، وأن يجعل أعمالنا كلها صالحة ولوجهه خالصة، ولا يجعل لأحدٍ فيها شيئاً إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد المحسن بن عثمان الباز

ص.ب ٤٨٤٧

الرياض ١١٤١٢

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة والإعلام

الفصل التمهيدي

المبحث الأول

البيئة الفكرية والاجتماعية التي كتبت فيها هذه الرسائل

(وترجمة الإمام رحمه الله)

المطلب الأول: الحياة في نجد زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

المطلب الثاني: ترجمة موجزة للإمام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

المبحث الثاني

(الرسائل) وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى

واستخدام الإمام محمد بن عبد الوهاب لها

المطلب الأول: الوسائل التي استخدمها الإمام في الدعوة

إلى الله ومنها وسيلة المراسلة

المطلب الثاني: (المراسلة) مشروعيتها وخصائصها ومجالاتها

(١) سندها الشرعي

(٢) خصائصها ومميزاتها

(٣) مجالاتها في الماضي والحاضر

المبحث الأول

البيئة الفكرية والاجتماعية التي كتبت فيها هذه الرسائل

(وترجمة الإمام رحمه الله)

المطلب الأول : الحياة في نجد زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب

(رحمه الله)

أولاً: نجد وعلى ماذا تطلق في تلك الفترة

ثانياً: الحالة الاجتماعية في نجد في زمن الإمام رحمه الله

ثالثاً: الحالة الاقتصادية في نجد في زمن الإمام رحمه الله

رابعاً: الحالة السياسية (لمحة موجزة عن الحالة السياسية في نجد

والإمامة منذ فجر الإسلام حتى القرن الثالث عشر الهجري)

خامساً: الحالة الدينية في نجد في تلك الفترة

المطلب الأول

الحياة في نجد زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

لعل من المناسب - قبل الحديث عن ترجمة الإمام - رحمه الله - وعن رسائله - أن يتم عرض نبذة موجزة عن البيئة الفكرية والاجتماعية التي كتبت فيها هذه الرسائل ، وأن يُلقى الضوء - في البداية - على تلك البقعة التي عاش فيها الإمام - رحمه الله - وكانت محضن دعوته، والميدان الرئيس لأغلب مراسلاته، ألا وهي منطقة نجد والعارض.

أولاً: نجد، وعلى ماذا تطلق في تلك الفترة

نجد: من حيث التعريف اللغوي معناها: الأرض المرتفعة ، فهي صلاب الأرض وما غلظ منها، وأشرف وارتفع واستوى^(١). وتعددت الأقوال عند العرب في حدود (نجد اليمامة)، ويذكر ياقوت الحموي: (أن نجداً كلها من عمل اليمامة)^(٢)، وحدودها التقريبية هي: جبال شمر (شمالاً) والحجاز (غرباً) والربع الخالي (جنوباً) والدهناء والأحساء (شرقاً)^(٣). وتحسن الإشارة هنا إلى أن هناك عدة بقع يطلق عليها اسم (نجد)؛ فنجد أهل مكة: هي نجد اليمامة

(١) ابن منظور الأفرريقي ، لسان العرب [بيروت - دار صادر - ط الأولى ١٤١٠هـ]: باب الدال، فصل النون (٤١٣/٣).

(٢) ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان [بيروت - دار صادر - ١٣٧٦هـ] (٣٠٤/٥).

(٣) حسين خليف الشيخ خزعل، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب [طبعة خيرية بدون معلومات نشر] (ص ١٣).

ومحمود شاكر ، شبه جزيرة العرب (نجد) ، [بيروت - المكتب الإسلامي - ١٣٩٦هـ]

(ص ١١).

آنفة الذكر، ونَجِدُ أهل المدينة : هي بادية العراق، والأخيرة هي التي رَجَّح كثير من أهل العلم^(١) أنها المقصودة في حديث: (اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا) ... قالوا: وفي نجدنا، قال: (هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان)^(٢).

وعلى أية حال فإن نجداً المقصودة في هذا البحث هي نجد اليمامة بمحدودها المشار إليها، وهي التي فيها ولد الإمام، وفيها نشأ وترعرع، وفيها بدأ دعوته ودون رسائله .

ولعل من المناسب - بعد أن اتضح المقصود بنجد- أن يشار إلى المقصود بموضعين آخرين يكثر ذكرهما في آثار الإمام وما كُتب عنه، هما: العارض، واليمامة .

فالعارض : من حيث أصل التسمية (اسم للجبل المعترض)^(٣)، ولعارض اليمامة مفهوم قديم ومفهوم حديث .. فأما قديماً، فكان هذا الاسم يطلق

(١) منهم ابن حجر والخطابي ، انظر: أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري [القاهرة - دار الريان للتراث - ط الثانية ١٤٠٩هـ] (٥١/١٣) . وقد أيد هذا القول أيضاً جمعٌ من أئمة الدعوة ومؤيديها، منهم: الشيخ حمد بن معمر، والشيخ عبدالرحمن ابن حسن آل الشيخ، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، وكذلك السهسواني والألوسي وابن سحمان، وحمود التويجري، والألباني، انظر: د. عبدالعزيز عبداللطيف، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عرض ونقض، [الرياض - دار الوطن - ط الأولى - ١٤١٢هـ] (ص ١٨٤ - ١٩٢) .

(٢) أخرجه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري بعناية د. مصطفى البغا [دمشق - اليمامة للطباعة والنشر - ط الخامسة ١٤١٤هـ] كتاب الاستسقاء ، باب : ما قيل في الزلازل والآيات (ك ٢١٦ ب ٢٦ ح ٩٩٠) (٣٥١/١) .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان [مرجع سابق] (٧٤/٤) .

على جبل اليمامة (طويق) بطوله، الذي يمتدّ من شمال نجد إلى جنوبها، مسافةً تزيد على الألف كيلومتر^(١). أما ما اصطلح عليه أخيراً، بل وحتى قبل قرنين من الزمان، فهو ما بينه الشيخ عبد الله بن خميس في معجم اليمامة، حيث ذكر أن العارض - بالمفهوم الحالي - أصبح يطلق على جزء من (جبل اليمامة) وهو ما بين منطقة (الشعيب) في حرملاء^(٢) إلى منطقة (الخرج) أي الرياض وملحقاتها^(٣)، ولذا فإن المتأمل في رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) التي وجهها إلى علماء الأقاليم الأخرى والمنتسبين إليها يجد أن المفهوم السائد في زمن الإمام عن حدود منطقة العارض هو هذا المفهوم الأخير؛ أعني ما بين منطقة الشعيب (شمالاً) إلى الخرج (جنوباً) فقط، وليس الجبل بطوله الذي يبلغ - كما يقول أبو زياد الكلابي^(٤) - مسيرة شهر كامل^(٥)، أي ما تزيد مسافته على ألف كيلومتر كما سبق ذكره.

(١) انظر: عبد الله بن محمد بن خميس، الدرعية العاصمة الأولى، [الرياض - مطابع الفرزدق التجارية - ط الثانية، ١٤١٤هـ] (ص ٢٢).

(٢) المرجع السابق (٥٦/٢).

(٣) عبد الله بن محمد بن خميس، معجم اليمامة [الرياض - مطابع الفرزدق - ط الأولى ١٣٩٨] (١/٣٣) (١٢٩/٢).

(٤) هو أبو زيد يزيد بن عبد الله الكلابي، عالم بالأدب، له كتاب (النوادر) و(الفروق) (ت: نحو ٢٠٠هـ). انظر: خير الدين الزركلي الأعلام [بيروت - دار العلم للملايين - ط السابعة ١٩٨٦م] (١٨٤/٨).

(٥) عبد الله بن محمد بن خميس، معجم اليمامة [مرجع سابق] (١٢٩/٢).

علاقة إقليم العارض بنجد:

يتضح مما ذكر أن إقليم العارض - بمفهومه اليوم - جزءٌ من إقليم نجد، فما هو إلا جبل معترض فيه ، ولكنه يعطف - في بعض المواضع - على إقليم نجد، لا لأنه قسيم له، بل يكون ذلك - على ما يبدو - من باب عطف الخاص على العام. ومن شواهد ذلك قول الإمام في إحدى رسائله: (... وشاهد هذا أن عبداً لله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه ..)^(١)، أي: في علماء نجد عامّة ، وعلماء العارض على وجه الخصوص.

اليمامة وعلاقتها بنجد:

وأما اليمامة: فهي قلب جزيرة العرب^(٢)، وعلى ذلك فإن (نجداً) جزءٌ من اليمامة^(٣)، وكذلك (العارض) المسمى (جبل طويق) هو أيضاً - من باب أولى - جزء من اليمامة، وهو (عمودها الفقري، وهيكلها الرئيسي)^(٤). فأقليم اليمامة إذاً يشمل اليوم نجداً وعارضها الذي يدخل فيه - كما ذكر - (الخرج) و(الشعيب) و (المحمل) و(ضرما)، ويدخل فيه إقليم سددير، الذي

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (١٨٧/٥) .

(٢) عبد الله البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع [بيروت - عالم الكتب - ط الثالثة ١٤٠٣ هـ] [١٣/١] .

(٣) عبد الله بن محمد بن خميس ، معجم اليمامة (١٠/١) . ويذكر ياقوت الحموي : (أن نجداً كلها من

عمل اليمامة) انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان [مرجع سابق] (٣٠٤/٥) .

(٤) المرجع السابق (١٧/١) .

يشمل (الغايط) و(الزلفي) وما حولها، وكذلك إقليم الوشم وما يلحق به، وإقليم الفرع: (الحوطة، والحريق)، وإقليم الأفلاج، وإقليم وادي الدواسر^(١)، وإن كانت اليمامة في صدر الإسلام تشمل -من الناحية الإدارية- ما هو أوسع من ذلك، كما ذكر الأصفهاني في كتابه (بلاد العرب)^(٢).

ثانياً: الحالة الاجتماعية في نجد زمن الإمام رحمه الله:

كان المجتمع النجدي ينقسم إلى قسمين: بادية، وحاضرة. وكانت الغالبية العظمى من سكان نجد في تلك الفترة تنتمي إلى قبائل عربية معروفة النسب، وبعضها من أصول عربية، لكن هذه الأصول ضاعت لأسباب مختلفة، وقليل منها ترجع إلى أصول غير عربية أتت إلى المنطقة بطرق متنوعة؛ منها: الرق، أو اللجوء بسبب ظروف قاهرة، أو الحج. وعلى ذلك فإن النظرة الاجتماعية لدى النجديين كانت قبلية، وكان ثبوت الانتماء العربي الأصيل هو الذي يحدد مكانة الفرد أو الأسرة في المجتمع، وتوضح هذه النظرة بجلاء في قضية الزواج^(٣).

وقد بقيت نجد محافظة على خصوصياتها من حيث التمسك بالعادات

(١) حمد الجاسر، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ [الرياض - دار اليمامة - ١٣٨٦ هـ] ص (١٠).

وعبد الله بن محمد بن خميس، الدرعية العاصمة الأولى، [مرجع سابق] (ص ٢٢).

(٢) يذكر الأصفهاني أن عمل اليمامة - إدارياً - يشمل البحرين والعراق وأطراف اليمن وأطراف الحجاز.

انظر: الحسن بن عبد الله الأصفهاني، بلاد العرب بتحقيق: حمد الجاسر، و د. صالح العلي [الرياض -

دار اليمامة - ب ت] (ص ٣٢٥).

(٣) د. عبد الله الصالح العثيمين. الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره [الرياض - دار العلوم - ط

الثانية ١٩٩٢ م] (ص ١٢، ١١).

والتقاليد الخاصة بها، دون أن تتأثر بالاختلاط بالعناصر الأخرى؛ نظراً لكونها (بعيدة عن مواطن الامتزاج السكاني، المتمثلة عادة في المناطق الساحلية والأماكن المقدسة) (١).

وقد كان اختلاف طرق الزعامة، وكذلك اختلاف طبيعة الثروة لدى كل من الحضري والبدو (٢)، من العوامل التي نتج عنها الاختلاف بين علاقة الحضري بأمره، والبدوي برئيسه، وبالتالي نتج عن ذلك نوع من الاختلاف في النواحي الاجتماعية بينهما.

- ففي الحضري: كانت القوة والاعتقال - في الغالب - هي الطريق للوصول إلى الزعامة. وكان كثير من الأمراء يلجؤون إلى الظلم والجور (٣)، واتخاذ إجراءات اقتصادية جائرة لتغطية نفقات الضيافة والدفاع. ومع ذلك، فقد كان الحضري - في الغالب - يصبر على بعض الجور؛ نظراً لأن ثروته عادة غير قابلة للنقل؛ كالمسكن والمتجر والمزرعة؛ ولأن محاولته للهرب أو الرحيل قد تفقده الكثير من ممتلكاته (٤). وكانت أهم مقومات الحياة الاقتصادية للحضر هي الزراعة والتجارة (٥).

- أما البادية: فكان الرئيس ينال الزعامة بحسب مؤهلاته القيادية، وكان

(١) د. عبد الله الصالح العثيمين. تاريخ المملكة العربية السعودية [ط ١، ١٤٠٤هـ] (ص ٣٧).

(٢) د. عبد الله الصالح العثيمين. بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية [الرياض - مكتبة التوبة - ط الثانية ١٤١١هـ] (ص ١٥).

(٣) عثمان بن بشر. عنوان المجد في تاريخ نجد [الرياض - مكتبة الرياض الحديثة - ب ت (١/٢٠)].

(٤) انظر: د. عبد الله الصالح العثيمين. بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية (ص ١٦).

(٥) انظر: د. عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، [مرجع سابق] (ص ٤٠).

يحرص على تحسين العلاقة بأتباعه؛ نظراً لأن ثروة البدوي كانت قابلة للنقل؛ بل إن حياته كلها كانت حياة تنقل وترحال؛ فما يكاد يحس بنوع من الجور حتى يسارع إلى الرحيل دون أن تتعرض ثروته لضرر كبير، وكان من السهل أن يجد ترحيباً لدى أي قبيلة أخرى^(١). ولهذا كان البدوي فخوراً بنفسه وبصحرائه، التي يرى فيها أنسب مكان للمحافظة على تقاليد، وكان ينظر إلى الحضري نظرة احتقار؛ لأنه يرى أن عوامل التحدي تتضاءل بالاستقرار^(٢) ويرى أن الحضري أقل منه منزلة، وأنه يصير على الضيم، ويرضى بالهوان، ولا يتمتع بصفات البطولة، وكان رد الفعل الحضري لهذه النظرة متفاوتاً؛ فبعض الحضري كان يحاول أن يؤكد أن صفات البطولة موجودة لدى الحضري تماماً، كما هي موجودة عند البدوي على حد سواء^(٣)، بل إن البعض من الحضري رأى أن البدوي يجب أن يعامل بقسوة حتى يسير سيرة حسنة^(٤).

- وكانت المرأة النجدية - سواء في الحاضرة أو البادية - تقف مع الرجل للتغلب على ظروف الحياة، فكانت نساء الحاضرة يقمن بأعباء المنزل والأطفال، ويساعدن في أعمال الزراعة وبعضهن يجمعن العشب والخطب

(١) د. عبد الله الصالح العنمين . بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية ، [مرجع سابق] (ص ١٦) .

(٢) فهد المبارك . من شيم العرب [بيروت - المكتبة الأهلية - ١٣٨٥ هـ] (٩٩/٣) .

(٣) المرجع سابق (٩٩/٣) .

(٤) خالد الفرج ، ديوان النبط [دمشق - مطبعة الزقي - ١٣٧١ هـ] (٤٣/١) .

ويعنه، وكانت نساء البادية يقمن بحاجات بيوتهن، ويساعدن في الرعي والإنتاج المختلف^(١)، ورغم أن بعض المصادر تشير إلى بروز بعض النساء النجديات في المجالات الاجتماعية العامة^(٢)، بل حتى في مجالات الحرب وقتال الأعداء^(٣). إلا أن مسؤولية المرأة الرئيسة في هذه المنطقة بقيت - في الغالب - داخل المنزل؛ تُعد الطعام، وتنظف البيت، وترعى الأولاد.

وتميزت المرأة في هذه المنطقة بالتستر والحياء؛ فكانت (تلبس الثوب الذي يلفها من رأسها إلى رجليها، تجرّ منه خلفها قدر ذراع، مبالغةً في التستر، إضافةً إلى الخمار الذي يغطي الرأس والوجه، وتلبس البدوية (البرقع) الذي يظهر عينيها، ويغطي سائر وجهها ورأسها فحسب)^(٤)، كما تميّزت المرأة أيضاً في ذلك العصر بالحرص على طاعة الزوج وتقديم قوله على كل قول^(٥).

ثالثاً: الحالة الاقتصادية في نجد زمن الإمام رحمه الله:

يقول الاقتصاديون: إنّ المال جبان، لا ينمو في جو غير آمن، وتبعاً لذلك، فقد كانت الحالة الاقتصادية مضطربة في نجد في تلك الفترة، كما هو متوقع؛

(١) انظر: د. عبد الله الصالح العثيمين. تاريخ المملكة العربية السعودية، [مرجع سابق] (ص ٤٣).

(٢) انظر على سبيل المثال ما ذكره المؤرخون عن (موضي بنت بن وهطان: زوجة الأمير محمد بن سعود). انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد [مرجع سابق] (١١/١).

(٣) انظر على سبيل المثال ما ذكره المؤرخون عن ترجمة (غالية البقمية) ودورها في هزيمة جيش طوسون في تربة سنة (١٢٢٩هـ). ومن ذكرها: خير الدين الزركلي. الأعلام، [مرجع سابق] (١١٥/٥).

(٤) د. عبد الله الحامد، الشعر في الجزيرة العربية، [الرياض - دار الكتاب السعودي - ط الثالثة - ١٤١٤هـ] (ص ٤١).

(٥) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

وذلك نتيجة لكثرة الاضطرابات الداخلية، وعدم الاستقرار السياسي والأمني^(١)، إضافةً إلى كون المواد الطبيعية شحيحة، وغير متوفرة بكثرة^(٢). وقد كانت العوامل الاقتصادية تؤثر تأثيراً واضحاً وجلياً في بقية جوانب الحياة، وتتأثر بها أيضاً، فقد كانت النظرة الاقتصادية تؤثر منذ البداية في اختيار التجديدين للأماكن التي يستقرون فيها، (فقد جاء استقرار التجديدين حول الأمكنة التي تتوافر فيها مصادر المياه اللازمة لقيام الزراعة، مثل جوانب الأودية المشهورة، والواحات المختلفة؛ وقد يكون اختيار موضع الاستقرار ناتجاً عن وقوعه على طريق تجاري، لكن صلاحيته للزراعة تفوق كل اعتبار)^(٣)، ولم يكن تأثير العوامل الاقتصادية قاصراً على الحضر فحسب بل كان القحط وتردي الظروف الاقتصادية يرغم البدو أحياناً على الالتجاء إلى البلدان إبقاءً لحياتهم^(٤)، كما كانت هذه العوامل من أهم أسباب حدوث القلاقل والغارات بين القبائل، والاستيلاء على القوافل التجارية^(٥).

(١) انظر د. محمد بن سعد الشويرع. نجد قبل ٢٥٠ سنة، [الرياض - مكتبة النخيل - ١٤١٢هـ] (ص ٩٨).

(٢) كثيراً ما كان تأخر المطر، وعدم نزوله يسبب كوارث اقتصادية ويؤدي أحياناً إلى هجرات وحروب، انظر: ما ذكره محمد بن عمر الفاخري في حوادث سنة ١١٣٦هـ، الأخبار النجدية، تحقيق: عبد الله الشبل [الرياض - من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ب ت] (ص ٩٨)، وابن بشر، عنوان المجد (٢/ ٢٠٩).

(٣) د. عبد الله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، [مرجع سابق] (٤٠/١).

(٤) كثيراً ما يعبر الفاخري وابن بشر عن التجاء البدو إلى البلدان في مثل تلك الظروف (بالمثل) كقول الفاخري (وعمّ القحط، وهتل أكثر البدو في البلدان) محمد الفاخري - الأخبار النجدية [مرجع سابق] ص ٩٨، وانظر ابن بشر، عنوان المجد (٢/ ٢٠٩).

(٥) كان الاعتراض على القوافل التجارية من أبرز الأحداث التي يرصدها المؤرخون، ويتناقلها الناس. انظر: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البسام، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، مخطوطة توجد مصورتها في المكتبة المركزية بجامعة الإمام - قسم المخطوطات - برقم (٢٠٨) [ورقة (١٢) ١٤٤، ١٥٠، ١٦٠، ١٧٠].

كانت الحياة الاقتصادية للسكان المستقرين في نجد تعتمد على الزراعة بصفة رئيسة ، وعلى التجارة بصفة ثانوية (١).

أما الزراعة: فإن المصادر التاريخية التي تحدثت عن نجد تعطي بعض الملامح عن مظاهر الزراعة والعوامل المؤثرة فيها (٢)، وتشير إلى ضعف إمكانات سكان نجد في القدرة الزراعية، وأنهم يقيمون من الزراعة ما يتلاءم مع قدراتهم، وما تسمح به الموارد المائية (٣).

وقد تركزت الزراعة في هذه المنطقة في الغالب على شيئين مهمين؛ هما: غرس النخيل (٤)، وزراعة القمح (٥).

وكانت للزراعة مشكلاتها الخاصة؛ منها ما يعود إلى مناخ المنطقة والعوامل الطبيعية فيها، كجفاف الآبار أحياناً، أو تعرض المزروعات للبرد

(١) د. عبد الله العثيمين - بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة ، [مرجع سابق] (ص ١٤).

(٢) من تلك المصادر: عبد الله البسام مخطوطة - تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق [مرجع سابق] - في حوادث ٨٧٨ ، ٨٨٣ ، ٨٨٥ ، ٨٩٢ ، ٨٩٤ ، ٨٩٩ ، إلخ ، وكذلك سوابق ابن بشر في كتابه عنوان المجد في تاريخ نجد ، [مرجع سابق] انظر مثلاً حوادث سنة ١٠١٥ هـ - ١٠٤٠ هـ ، ١٠٧٩ هـ .

(٣) انظر د. محمد بن سعد الشويعر - نجد قبل ٢٥٠ سنة، [مرجع سابق] (ص ٩٨) .

(٤) اهتم السكان بالنخيل وكانو يستخدمون كل جزء منها في غرض من أغراض حياتهم اليومية ولذلك اهتموا بها، وتغنوا بمدحها (انظر ما قاله حميدان الشويعر في النخلة: عبد الله الحاتم، خيار ما يلتقط من الشعر النبط [الكويت - ذات السلاسل - ط الثالثة ١٩٨١ م] (١ / ١٤٠) .

(٥) المصدر السابق ، وانظر ابن بشر - عنوان المجد (٣٣٩/٢)، وعبد الله بن بسام مخطوطة تحفة المشتاق [مرجع سابق] حوادث سنة ٧٠٧ - ٨٣٠ .

والرياح الشديدة وهجمات الجراد والطيور^(١)، ومنها ما يعود إلى أعمال الخصوم، كتخريب المحصولات، وقطع أشجار النخيل، أو نهب ثمارها^(٢).
وبالجملة، فقد اقترنت الزراعة عند المؤرخين بعمارة المدن، واستقرار الناس، والتجمعات السكانية منذ قديم الزمان^(٣)، ولعل ذلك يفسر لنا سبب وجود التجمعات السكانية في نجد، وخاصة منطقة القصيم وبلاد اليمامة^(٤)، حيث كانت أحصب البلاد وأكثرها مياهاً وزروعاً ونخيلاً^(٥)، حتى اشتهرت بوفرة إنتاجها وجودته؛ حيث وصفها ابن الفقيه بقوله: (وأما حنطتهم، فتسمى بيضاء اليمامة، وهي عذي لا سقي^(٦))، يُحمل منه إلى الخلفاء. وأما، ثمره فلو لم يعرف من فضله إلا أن التمر يُنادى عليه بين المسجدين .. يمامي اليمامة .. يمامي اليمامة^(٧).

- (١) يقول عثمان بن بشر: (وفي هذه السنة وقع في بلدان نجد طيور تشبه العصفير البرية، وهي جنسان كالقنابر، والعصفير، حصدت الزروع)، انظر: عثمان بن بشر، عنوان النجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] حوادث سنة ١٠٨٧هـ (٧٥/١) وكذلك سنة ١٢٤٢هـ (٢٨/٢).
- (٢) انظر على سبيل المثال: المصدر السابق حوادث سنة ١١٨٤هـ (٥٨/١).
- (٣) د. محمد بن سعد الشويعر: نجد قبل ٢٥٠ سنة [مرجع سابق] (ص ١٠٠).
- (٤) أبو بكر أحمد بن محمد الحمداني المعروف بابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، [لیدن - مطبعة بريل - ١٣٠٢هـ] ص ٢٩، وحمد الجاسر، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، [مرجع سابق] ص (١٩-٢٠).
- (٥) انظر ما ذكره حمد الجاسر ينقل عن أبي حنيفة: أحمد بن داود الدينوري في كتابه الأخبار الطوال: حمد الجاسر، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، [مرجع سابق]، (ص ١٩).
- (٦) العذّي: بالكسر ويفتح: هو الزرع لا يسقيه إلا المطر، الفيروز آبادي، القاموس المحيط [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط الثانية ١٤٠٧هـ] مادة (ع ذي) (ص ١٦٨٩).
- (٧) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان [مرجع سابق] (ص ٢٩).

ويقول ابن حوقل: (وأما اليمامة فوادٍ، والمدينة به تسمى الخضرمة ^(١)، وهي أكثر نخيلاً وتمرّاً من المدينة ومن سائر الحجاز ^(٢)).

ومما يدل أيضاً على أهمية الإنتاج الزراعي لمنطقة اليمامة: اعتماد بعض سكان الجهات البعيدة عنها على حنطتها، مثل قريش في مكة، الذين أرسلوا إلى النبي ﷺ يطلبون منه فك الحصار الاقتصادي الذي فرضه عليهم ثمامة بن أثال ﷺ حين أسلم، وقطع عنهم حنطة اليمامة ^(٣)، وقد ذكر ابن الأثير أن معاوية بن أبي سفيان ﷺ أرسل أربعة آلاف من الرقيق وأسرههم في الخضارم ^(٤)، من إقليم اليمامة بنجد لاستصلاحها واستثمارها ^(٥)، مما يدل على خصوبة هذه الأرض وصلاحياتها للزراعة منذ القدم.

- وأما التجارة: فإن من الملاحظ وجود ثلاثة أنماط من التجارة حينذاك: محلية، وإقليمية، وخارجية ^(٦).

(١) الخِضْرَمَة: كانت من أشهر قرى اليمامة وهي الآن روضة تقع شمال (منفوحة) في مفيض وادي (البيطحاء) في مدينة الرياض. انظر: حمد الجاسر، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، [مرجع سابق]، (ص ١٩).

(٢) محمد بن علي بن حوقل، صورة الأرض [بيروت - دار مكتبة الحياة - ١٣٩٩ هـ]، (ص ٣٨).

(٣) عبد الملك بن هشام، سيرة النبي ﷺ [الرياض - توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء - ب ت] [٣١٧/٤].

(٤) الخضارم: وادٍ بأرض اليمامة، وأصل الخضرم هو الرجل الكثير العطية، ياقوت الحموي، معجم البلدان [مرجع سابق]، (٤٣٠/٢).

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ [بيروت - دار إحياء التراث العربي - ط الأولى ١٤١٢ هـ] - (٣٠٤/٣).

(٦) د. عبد الله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية (٤٠/١).

فالمحلية: هي التي تجلت في التعامل التجاري الذي كان سائداً بين سكان الحضر في كل بلدة على انفراد، وقد تمثلت - في الغالب - في المنتجات الزراعية والمصنوعات المحلية.

وأما التجارة الإقليمية: فهي التي كانت قائمة بين البلدان النجدية، أو بين حاضرة نجد وباديتها، وتمثلت في الفائض من الإنتاج الزراعي، أو الثروة الحيوانية أو المصنوعات البسيطة.

وأما التجارة الخارجية: فهي التي كانت قائمة بين سكان نجد حاضرة وبادية وبين سكان الأقطار الأخرى خارج نجد، فكما أن نجداً - على سبيل المثال - كانت غنية بالثروة الحيوانية، حتى كانت تسمى (أم البيل)^(١)، لوفرة الإبل فيها، فإنها كانت في الوقت ذاته تفتقد الكثير من المنتجات الضرورية، فكانت تضطر إلى بيع الفائض من ثروتها الحيوانية للحصول على ما تحتاجه من الأسلحة والملابس وبعض الأطعمة^(٢)، وكذلك بعض الأواني والأدوات.

وكانت الوسيلة الوحيدة للاستيراد هي القوافل الجماعية التي كانت كثيراً ما تتعرض لمخاطر البادية وقطاع الطريق بالتعدي نهباً ومقاتلة؛ ولذا يعتمد

(١) بوركهارت، ملاحظات على البدو والوهابين، [لندن، ١٨٣١م] (٦٩/١). نقلاً عن د. عبد الله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره [مرجع سابق] (ص ١٣)، وقد ترجم العثيمين جزءاً من هذا الكتاب تحت عنوان: الرحالة بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين [الطبعة الثانية ١٤١٢هـ]. ولم يرد هذا النص ضمنها.

(٢) انظر د. عبد الله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره (ص ١٣)، وكذلك تاريخ المملكة العربية السعودية، للمؤلف نفسه (٤١/١).

أصحابها إلى دفع ضريبة باسم (أخاوة) -وهي الأتاوة- لشيخ القبائل، للحماية أثناء المرور بأراضي هذه القبيلة، وتنتهي المسؤولية إذا دخلت القافلة حدود القبيلة الأخرى، مما يستوجب وضع عدة (أخاوة) لأكثر من قبيلة، حتى تبلغ القافلة مقصدها^(١).

وعلى الرغم من ذلك، فكثيراً ما كانت تلك القوافل تتعرض للسلب والنهب؛ حتى أصبح الاعتراض على القوافل من أبرز الأحداث التي كثيراً ما يرصدها المؤرخون^(٢)، ويتناقلها الناس في مجتمعاتهم^(٣).

وبالجملة، فقد استفادت بلاد نجد من موقعها الجغرافي على الطرق التجارية، مما ساعد في تنشيط الحركة الاقتصادية، فقد كانت تقع على الطريق الذي يربط اليمن بالعراق^(٤)، كما أنها تقع على الطرق التي تربط البصرة والبحرين في الشرق؛ بالحجاز في الغرب^(٥)، وكانت الخضارم بأرض اليمامة تقع على هذا الطريق، وكانت محطة تجارية لتلك القوافل^(٦)، ويبدو

(١) د. محمد الشوير، نجد قبل ٢٥٠ سنة [مرجع سابق]، (ص ١٠٤).

(٢) انظر: عبدا لله البسام، مخطوطة تحفة المشتاق [مرجع سابق] ورقة (١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧) وعثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد [مرجع سابق] [٢/٣٣٧، ٣٣٩]، ومحمد الفاخري: الأخيار النجدية [مرجع سابق] (ص ١٠٠).

(٣) د. محمد الشوير، نجد قبل ٢٥٠ سنة [مرجع سابق] (ص ١٠٧).

(٤) عبدا لله بن أحمد بن خرداذبة، المسالك والممالك، [بغداد - مكتبة المثنى - ١٣٩٠هـ] (ص ١٥١).
(٥) الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب بتحقيق: عبدا لله بن بليهد [القاهرة - مطبعة السعادة - ١٣٧٣هـ] (ص ٢٨١).

(٦) ابن خرداذبة، المسالك والممالك [مرجع سابق]، (ص ١٤٧، ١٥٣).

أن الخضارم كانت هي نقطة التقاء (طريق اليمن إلى العراق) مع (طريق البحرين إلى الحجاز)^(١).

ومع ذلك ورغم وجود بعض المقومات التي يمكن أن تساعد على قيام حركة اقتصادية نشطة؛ إلا أن حياة القلق والخوف، وعدم استتباب الأمن، والاضطراب الداخلي .. وغيرها من العوامل قد تركت أثرها البالغ على الحركة الاقتصادية^(٢)، وأصابتها هي الأخرى بالاضطراب والضعف.

رابعاً: الحالة السياسية (لمحة موجزة عن الحالة السياسية في نجد واليمامة منذ فجر الإسلام حتى القرن الثالث عشر الهجري):

عند طلوع شمس الإسلام، كانت زعامة اليمامة وما حولها في يد هوزة ابن علي السحيمي الحنفي، وثمامة بن أثال الحنفي، وحين بعث رسول الله ﷺ مبعوثيه إلى الملوك يدعونهم إلى الإسلام؛ بعث سليط بن عمرو - أحد بني عامر بن لؤي^(٣) إلى ثمامة وهوزة، وكانا من أشد الملوك معارضة للإسلام، وتوفي هوزة على الكفر أما ثمامة ﷺ فقد أسلم وحسن إسلامه .

وفي عام الوفود، جاء وفد بني حنيفة وأسلموا، وأصبحوا قوة للإسلام بالرجال والمال، غير أن مسيلمة الحنفي ارتد وادّعى النبوة، فأرسل له أبو بكر

(١) المرجع السابق، الصفحة ذاتها .

(٢) د. محمد الشويرع، نجد قبل ٢٥٠ سنة [مرجع سابق] (ص ٩٢، ٩٨).

(٣) عبد الملك بن هشام . سيرة النبي ﷺ [مرجع سابق] (٤ / ٢٧٩) .

ﷺ جيشاً بقيادة خالد بن الوليد فآخذه فقتله (١)، ثم بسطت الخلافة يدها الرحيمة على قلب الجزيرة العربية، واعتنت بنشر الإسلام فيها، وتعليم الناس مبادئ دينهم، واستمرت العناية في عهد الخلفاء الراشدين، والخلافة الأموية، وصدر الخلافة العباسية.

ولكن الملاحظ أن العناية بهذه البقعة بدأت تتضاءل؛ نظراً لفقرها وجديها، وحين ضعفت الخلافة العباسية فقدت سيطرتها كاملة على الجزيرة العربية (٢) وبعض الأقاليم، وقامت الثورات الانفصالية؛ منها: ثورة إسماعيل بن يوسف في الحجاز (٢٥١هـ)، الذي توفي وتولى بعده أخوه محمد بن يوسف الملقب بـ (الأخضر) الذي توجه إلى اليمامة وملكها، وإليه ينسب (الأخضرين) الذين ملكوا حتى قضى عليهم القرامطة (٣١٧هـ).

ولم تقم بعد ذلك إمارة موحدة في قلب جزيرة العرب، بل أصبحت خاضعة للدويلات التي حكمت البحرين أو لإمارات صغيرة (٣)، وبعد مقتل مقرن بن زامل الجبيري (٤) على يد البرتغاليين عام (٩٢٨هـ)، استقل كل أمير بما تحت يده (٥).

(١) انظر: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. البداية والنهاية [بيروت - دار الكتب العلمية - ب ت] (١٤٤١، ٣٧/٣) (٤٧، ٤٥/٥) (٢٧٢، ٢٤٠/٦) (٤١/٩).

(٢) د. أحمد شلي، موسوعة التاريخ الإسلامي [القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ط الخامسة - ١٩٩٢م] (٣٣/٧).

(٣) انظر: حسين خزعل. حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. [مرجع سابق] (ص ٣٧).

(٤) مقرن الجبيري: آخر حكام الجبريين الذين حكموا البحرين بعد القرامطة والعيونيين. المرجع السابق (ص ٣٨).

(٥) المرجع السابق (ص ٣٧).

ومع حلول القرن الثاني عشر الهجري، أصبحت نجد مقسّمة إلى إمارات عديدة مستقلة، كل إمارة لها أمير، يحكمها حكماً مطلقاً، لا يتناول عليه فيه أحد. فكانت الإمارة في العينة لآل معمر، وفي الدرعية لآل سعود، وفي الرياض لآل دواس، وفي حائل لآل علي، وفي القصيم لآل حجيلان، وفي شمال نجد لآل شبيب.

وكثيراً ما تشتعل الحروب والفتن بين حكام وشيوخ هذه الإمارات لسبب أو لغير سبب^(١)، حتى أصبح المسلمون في الديار النجدية متعادين متفرقين، ليس فيهم ملك ولا إمام، ولا يسودهم شرع ولا نظام، يقتل بعضهم بعضاً، ويأكل قويهم ضعيفهم ولا يتناهون عن منكر فعلوه^(٢)، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تطور إلى صراع داخل القرية الواحدة، بل وداخل أفراد الأسرة الواحدة^(٣).

أما الدولة العثمانية، فرغم أن مناطق نفوذها قد أحاطت بنجداً من أغلب جهاتها، إلا أن بلاد نجد لم تشهد خلال تلك الفترة ولاة عثمانيين ولا حامية تركية^(٤)، بمعنى أن نجداً لم تشهد نفوذاً عثمانياً مباشراً في تلك الفترة، وما

(١) عبد الله بن سعد الرويشد . الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ [القاهرة - القاهرة الحديثة للطباعة - ط الثانية ١٤٠٤هـ] (٢٥/١).

(٢) محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري الأحسائي . تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، بإشراف الشيخ : حمد الجاسر ، [الرياض - مطابع الرياض - ط الأولى ١٣٧٩هـ] (١٢٤/١).

(٣) د . عبد الله بن يوسف الشبل . محاضرات في تاريخ الدولة السعودية [مرجع سابق] (ص ٢٥) .

(٤) انظر : د . عبد الله العثيمين ، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية ، [مرجع سابق] (ص ١٣) .

ورد من أن بعض أئمة المساجد النجديين كانوا حينذاك يجدون السلطان العثماني، أو يدعون له في الخطبة ربما كان سببه ما يكنه السنة عامة من مشاعر طيبة تجاه ذلك السلطان، أو ربما كان ذلك ناتجاً عن استعمال أولئك الأئمة لكتب احتوت على خطب من هم أغزر منهم علماً في المناطق الخاضعة خضوعاً مباشراً للعثمانيين^(١)، ولعل ذلك يفسر استمرار هذه الظاهرة عند بعض الأئمة حتى بعد سقوط الدولة العثمانية.

ولعل من أسباب عدم خضوع نجد للنفوذ العثماني: عدم ترك اهتمام الدولة العثمانية على (هذه البقعة)؛ حيث لم تكن منطقة (نجد) تمثل للدولة العثمانية أية أهمية اقتصادية أو سياسية أو دينية، ولذلك لوحظ أن الدولة العثمانية ركزت اهتمامها - في تلك الفترة - على الحجاز حيث الأماكن المقدسة، وعلى السواحل الشرقية والغربية، خاصة بعد تعرضها لحمات البرتغاليين.

وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت هناك محاولات لبسط النفوذ على هذه المنطقة، منها محاولات أشرف الحجاز وبني خالد حكام الأحساء، إلا أن جميع تلك المحاولات لم تتمكن من بسط النفوذ، أو السيطرة على العلاقات بين القبائل والبلدان المختلفة داخل بلاد نجد^(٢)، وإن كان بعضها قد نجح

(١) انظر: د. عبد الله بن صالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية [مرجع سابق]، (١/ ٣٨ - ٣٩).

(٢) انظر: د. عبد الله الصالح العثيمين. بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية [مرجع سابق] (ص ١٣). وانظر: مقالاً للدكتور محمد محمود السروجي بعنوان (موقف مصر إزاء بعض مشكلات شبه الجزيرة العربية) (المجلة التاريخية المصرية سنة ١٩٥٨م (ص ٧-٧٢)).

نسبياً في السيطرة على بعض المناطق، فقد كان بنو خالد مسيطرين على شمالي نجد (جبل شمر)، والذي يظهر أيضاً أن إمارة العيينة كانت تعترف بسُلطان بني خالد (١).

وبشكل عام، فإنه يمكن أن يقال: إن نجداً لم تبرح محتفظة باستقلالها وحريتها (٢) إبان فترة ظهور دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، وما ظهر عند بعض أمرائها من ولاء لبعض السلطات خارج نجد، لم يكن ولاءً قهرياً، وإنما كان - على ما يبدو - مقابل ما تدفعه تلك السلطات من معونات دورية لذلك الأمير.

خامساً: الحالة الدينية في نجد في تلك الفترة.

كانت قرى نجد وبلدانها - كما يحدثنا المؤرخون كابن غنام (٣)،

(١) انظر: د. د. عبد الله الصالح العثيمين . بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية [مرجع سابق] (ص ١٣) .

(٢) لوثرروب ستودارد . حاضِر العالم الإسلامي، نقله إلى العربية : عجاج نويهض [بيروت - دار الفكر - ١٣٩٤هـ] (٢/ ٩٧) .

(٣) الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام المالكي الأحسائي، عالم وأديب من علماء الأحساء، اجتذبه إلى الدرعية ما طرأ عليها بعد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ازدهار، فرحل إليها وكان من البارزين في فهم الدعوة، وفي الدعوة إليها وتدوينها وأبرز كتبه، كتاب: روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، وفيه تفصيل واف عن تعاليم الشيخ ودعوته وجهاده وقد توفي (رحمه الله) سنة (١٢٢٥هـ). انظر: محمد بن عمر الفاخري، الأخبار النجدية [مرجع سابق] (ص ١٤٠) وعبد العزيز الخويطر، عثمان بن بشر منهجه ومصادره [الرياض - الطبعة الثانية - ١٣٩٥هـ] (ص ٧) .

وابن بشر^(١)، والألوسي^(٢)، وكما يظهر من كتابات الإمام -رحمه الله- مرتعاً للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين الصحيحة، فلم تكن هذه البقعة أحسن حالاً من بقية بلدان العالم الإسلامي، التي وقع كثير من أهلها في ألوان من الشرك، الذي أصبح أغلظ من شرك الأولين، حيث كان مشركو الجاهلية الأولى يشركون في الرخاء، ولكنهم كانوا يخلصون الدعاء لله في الشدة؛ أما مشركو هذا الزمان، فإنهم يشركون في الرخاء والشدة على حدٍ سواء.

وقد بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- هذه الحقيقة في كتاباته، فقال -رحمه الله- في رسالة القواعد الأربع^(٣): (القاعدة الرابعة : أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة،

(١) هو الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر، من قبيلة بني زيد من شقراء، مؤرخ نجد وآل سعود، ولد عام (١٢١٠هـ) أي قبل وفاة ابن غنام بخمسة عشر عاماً تقريباً، له عدة مؤلفات، من أشهرها كتابه عنوان المجد، في تاريخ نجد دون فيها حوادث الفترة ما بين (١١٥٨هـ) إلى (١٢٦٧هـ). وتوفي سنة (١٢٩٠هـ) في بلدة (جلاجل) عن نحو ثمانين سنة. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام [مرجع سابق] (٢٠٩/٤). عبد العزيز الخويطر، عثمان بن بشر منهجه ومصادره، [مرجع سابق] (ص ٨).

(٢) هو محمود بن عبد الله بن محمود الألوسي الحسيني، مؤرخ عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح، ولد في رصافة بغداد عام (١٢٧٣هـ)، وطلب العلم على أبيه وعمه، وتصدى لأهل البدع برسائل فعادوه، له (٥٢) مؤلفاً منها: تاريخ نجد، وبلوغ الأرب في أحوال العرب. توفي سنة (١٣٤٢هـ). انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام [مرجع سابق] (١٧٢/٧).

(٣) رسالة القواعد الأربع : تصنف ضمن رسائل الإمام (العلمية)، وقد طبعت عدة طبعات، منها : طبعة ضمن مجموع مؤلفات الشيخ -قسم العقيدة- الجزء الأول.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٥] (١).

ولم يكن هذا البلاء مقصوداً على حاضرة نجد وقراها فحسب، بل شمل أيضاً معظم مناطق البادية التي بلغ بها الجهل والتفريط في الواجبات الدينية مبلغه، وقد كانت البادية آنذاك تشكل القسم الأكبر من سكان هذه المنطقة (٢)، ورغم أن موقف الإمام - رحمه الله - في مبدأ أمره من أهل البادية كان التوقف في أمرهم - كما قال ابن غنام عن الإمام: إنه لم يبادر إلى تكفير أولئك العربان، بل توقف تورعاً عن الإقدام في ذلك الميدان (٣) إلا أن هذا التوقف لم يدم؛ حين تحقق الإمام من كفرهم وعنادهم، رغم معرفتهم للحق.. كما هو واضح من رسالته - رحمه الله - إلى أحمد بن إبراهيم (٤).

حيث يقول: (وأعظم من ذلك وأطم، أنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله، وتبرأوا من الدين كله، واستهزأوا بالحضر الذين يصدّقون

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (قسم العقيدة ٢٠٢/١).

(٢) د. عبد الله الصالح العثيمين، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية (ص ١٣).

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام [الرياض - المكتبة الأهلية - الطبعة الأولى - ١٣٦٨ هـ] (٣٣/١).

(٤) أحمد بن إبراهيم: هو مطوع مرات في زمن الإمام، وهو من راسلهم الإمام، وجرى بينه وبينه حوار وجدل في مسألة التكفير وغيرها من المسائل، ويبدو أنه كان يميل إلى موافقة خصوم الدعوة، أمثال المويس وابن إسماعيل وابن ربيعة، حيث عاتبه الإمام على ذلك، كما يظهر أنه كان مجرد (مطوع)، أي طالب علم، وليس عالماً مشهوراً، ولعل ذلك يسوغ عدم عثور الباحث على ترجمة له. انظر رسالة الإمام للمتزوج له: مجموع مؤلفات الشيخ، (الرسائل الشخصية ٢٠٤/٥).

بالبعث، وفضلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزأوا بها، مع إقرارهم بأن محمداً رسول الله، وأن كتاب الله عند الحضرة، لكن كذبوا وكفروا واستهزأوا عناداً، ومع هذا تنكرون علينا كفرهم^(١).

ويقول أيضاً في رسالته إلى محمد بن عبيد^(٢): (من المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادي أو أكثرهم، وأنهم يقولون: إن كتاب الله عند الحضرة، وأنهم عافوه^(٣))، ومتبعون ما أحدث آباؤهم مما يسمونه (الحق)، ويفضلونه على شريعة الله، فإن كان للوضوء ثمانية نواقض؛ ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض)^(٤).

ويرى ابن بشر أن أهل البادية كان لهم أثر أيضاً في بث الشرك بين الحضرة، حيث علل فشو الشرك، والاعتقاد بالأشجار والأحجار ونحوه بقوله: (والسبب الذي أحدث ذلك في نجد -والله أعلم- أن الأعراب إذا نزلوا إلى البلد وقت الثمار، صار معهم رجال ونساء يتطيبون ويداؤون، فإذا كان في أحد من أهل البلد مرض؛ أتى أهله إلى متطبة ذلك القطين من

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٠٩/٥).

(٢) محمد بن عبيد: من مطاوعة ثرمداء في زمن الإمام، ويذكر الفاخري أنه قتل سنة (١١٧٩ هـ) في وقعة الصحن، وهو موضع قرب ثرمداء. ولم أعثر على ترجمة مفصلة له، انظر: الفاخري، الأخبار النجدية [مرجع سابق] (ص ١١٤)، وانظر رسالة الإمام للمتترجم له مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٤/٥).

(٣) عافوه: من عاف الطعام أو الشراب؛ إذا كرهه فلم يشربه. (الفيروز آبادي، القاموس المحيط [مرجع سابق] مادة (عف) (ص ١٠٨٤)).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٥/٥).

البادية، فيسألونهم عن دواء علته، فيقولون لهم : اذبحوا له في الموضع الفلاني كذا كذا؛ إما خروفاً أسود، وإما تيساً أصمغ.. ثم يقولون لهم: لا تسموا الله على ذبحه.. وأعطوا المريض منه كذا وكذا، واتركوا كذا، فرمما يشفى مريضهم، فتنة لهم واستدراجاً، وربما يوافق وقت الشفاء، حتى كثر ذلك في الناس، فوقعوا في عظام الأمور^(١).

ولم تكن بقية المناطق المجاورة - مثل أرض الحجاز وغيرها - أحسن حالاً من نجد وباديتها؛ حيث يقول الإمام -رحمه الله تعالى- في رسالته إلى سليمان بن سحيم^(٢): (ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز، الذي ينكر البعث منهم أكثر ممن يقرّ به، وأن الذي يعرف الدين أقل ممن لا يعرفه، والذي يضيع الصلوات أكثر من الذي يحافظ عليها والذي يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها)^(٣).

وقد كانت أبرز المخالفات العقدية المنتشرة في ذلك الوقت:

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد [مرجع سابق] (٦/١) .

(٢) هو : سليمان بن محمد بن سحيم (١١٣٠ - ١١٨١هـ) أشد خصوم الدعوة ومناوئها، ولد في الجمعة ، وقرأ على علماء نجد، ومنهم والده، ثم استوطن الرياض، وصار مفتي أهل البلاد وإمامهم وخطيبهم ، وحين كتب له الإمام رسالة لطيفة ليوافقه في الدعوة، أظهر العداة وكتب الرسائل يؤلب الخصوم على الإمام. ويرجح ابن بسام أن سليمان انزوى في الزبير بعيداً عن سلطان الدعوة، وهناك كانت وفاته. انظر : الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون [مكة المكرمة - مكتبة النهضة الحديثة- ط الأولى ١٣٩٨هـ] (٣٢٢/١)، وانظر ما كتبه الدكتور عبد الله العثيمين عن مواقف ابن سحيم من الدعوة ، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية [الرياض - مكتبة التوبة- ط الثانية ١٤١١هـ] (ص ٩١ - ١١٣).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٣٥/٥) .

١- الاعتقاد في القبور :

وقد انتشر هذا البلاء في تلك البقاع؛ حتى أصبح البلد الذي يسلم منه يعد شاذاً ومتميزاً، وهذا واضح من خلال حديث الإمام محمد -رحمه الله- عن أهل القصيم، الذين كانوا يشعرون بهذا التميز، حيث يقول: (وأهل القصيم غارهم أن ما عندهم قبب ولا سادات، ولكن أخصبهم أن الحب والبغض والموالة والمعادة لا يصير للرجل دين إلا بها)^(١)، وهذا يوحى بأن كثيراً من البلدان -باستثناء القصيم- قد انتشر وتفشى فيها هذا البلاء؛ حيث كان الناس -في ذلك الوقت- يأتون إلى بعض القبور والأضرحة، فيفزعون إليها لجلب نفع أو دفع ضرر، ويهتفون بالدعاء لها من دون الله تعالى، ويصرفون لها كثيراً من ألوان العبادة التي لا ينبغي أن تصرف لغير الله سبحانه وتعالى، ومن هذه القبور: قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة، وقبر يزعمون أنه لضرار بن الأزور في شعيب غبيرا، وقبور يزعمون أنها للصحابة في قريوة في الدرعية^(٢)، وغلب على كثير من الناس في ذلك الزمان الخوف من هذه القبور وتعظيمها أكثر من خوفهم من الله تعالى، وتعظيمهم له.

٢- الاعتقاد في الأولياء والغلو فيهم:

كان هذا الانحراف العقدي من أهم المسائل التي احتد فيها النزاع بين الإمام -رحمه الله- وبين خصومه، ويتضح ذلك من خلال رسائل الإمام التي تعرضت لهذه المسألة من عدة جوانب، فكثيراً ما تحدث الإمام -رحمه الله-

(١) من رسالة وجهها الشيخ إلى عبد الله بن علي ومحمد بن حمزة، مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٣٢٢/٥). وهذه الرسالة ليست في الدرر، ولا في روضة الأفهام؛ وإنما وجدت ضمن مجموعة خطية في مكتبة الشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد.

(٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٧/١).

عن بعض الأسماء التي كان بعض النجديين يعتقدون في أصحابها اعتقادات باطلة؛ أمثال: شمسان وإدريس وتاج^(١) وغيرهم، وأحياناً يسميهم الإمام: أولاد شمسان، وأولاد إدريس، أو يقول: محمد بن شمسان^(٢)، وكان يسميهم الطواغيت والكفرة، حيث يقول -رحمه الله- على سبيل المثال- في جوابه لأحد المسائل: (وأعظم من ذلك وأطم، أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة، مثل شمسان وإدريس ويوسف وأمثالهم)^(٣)، والذي يبدو أن يوسف هذا لم تكن شهرته في نجد؛ بل كان من (الأولياء) المشهورين في الكويت، حيث يقول الإمام في موضع آخر حين كان يبين (من يجب عداؤهم) فذكر منهم: من (من مدح من عبد يوسف والأشعري وأبا علي والخضر)^(٤)، من أهل الكويت^(٥)، ومن الأسماء التي اشتهرت في ذلك الوقت أيضاً: طالب

(١) لم أعثر على ترجمة هؤلاء الأشخاص، وإنما غلبت شهرتهم في ذلك الوقت عند الجهال من عامة الناس، فتاج -علي سبيل المثال- كان أهل الدرعية يزعمون أنه ولي، ويغلبون فيه، حتى سلخوا فيه سبيل الطواغيت، وصرفوا إليه النذور والدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضر، يزعمون أن له كرامات وخوارق، يزعمون أنه أعمى، ويأتي من بلدة الخرج من غير قائد يقوده.. حيث كان يأتي من الخرج إلى الدرعية لتحصيل ماله من النذور والخراج. انظر: المصدر السابق (٨/١).

(٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٧/١)

(٣) المرجع السابق، (١٧٨/١).

(٤) يوسف والأشعري وأبو علي والخضر: ممن اشتهر تعظيمهم والعلو فيهم عند عامة الناس، ولم يعثر الباحث على ترجمتهم، وربما كان الأخير هو الخضر عليه السلام الذي رجع جمهور العلماء أنه نبي، وساق الإمام ابن كثير عدة أدلة على نبوته، وذهب فريق من العلماء إلى أنه ولي وليس نبياً، وبه قال بعض المتصوفة ليستشهدوا بذلك على زعمهم الباطل بأن الولي أفضل من النبي، انظر أدلة الفريقين ومناقشتها: الإمام ابن كثير، البداية والنهاية [مرجع سابق] (٣٠٣/١ - ٣١٤) ود. صلاح عبد الفتاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن [دمشق - دار القلم - ط الأولى ١٤٠٩هـ] (١٧٨/٢ - ١٨٠).

(٥) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٠/١).

الحمضي^(١).

كما بين الإمام - رحمه الله - أن بعض المتصوفة وغيرهم غلوا في أشخاص آخرين، فساد عند بعضهم (الاعتقاد في الزاهد، والمطوية، والاعتماد عليهم)^(٢)، (وعبادة العيدروس^(٣) وأبي حديدة^(٤)، وأمثالهما)^(٥)، واعتقاد صلاح (السائح الأعرج)^(٦).

وتوضح رسائل الإمام أن مما كان يفعله أولئك الأولياء المزعمون أنهم كانوا (يأكلون أموال الناس بالباطل، ويأمرون الناس أن يندروا لهم ..)^(٧)، ونحو ذلك من المخالفات.

٣- الاعتقاد في الأشجار:

من بين تلك الأشجار التي وقع فيها الغلو: (الفحّال)، وهو ذكر النخل،

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٤٠/٥) ولم يعثر الباحث على ترجمة طالب الحمضي هذا.

(٢) انظر: المرجع السابق (٢٤١/٥). ولم يجد الباحث ترجمة للزاهد والمطوية.

(٣) العيدروس: أبو بكر بن عبد الله الشاذلي العيدروس، من آل باعلوي، يزعمون أنه مبتكر القهوة المتخذة من البن المجلوب من اليمن، كان زاهداً، ولد في تريم (بمضرموت) (٨٥١هـ)، وأقام بعدن ٢٥ سنة بعد سباحة طويلة وتوفي بها، له كتاب في التصوف على طريقة الشاذلية سماه (الجزء اللطيف في علم التحكيم الشريف) و (ثلاثة أوراد) ولجمال الدين بحرّق الحضرمي كتاب فيه سماه ((مواهب القدس في مناقب العيدروس)) انظر: الزركلي، الأعلام، [مرجع سابق] (٦٦/٢).

(٤) لم يعثر الباحث على ترجمته.

(٥) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢١٧/٥)، وانظر: المرجع نفسه (ص ١٧٢، ٢٢٣).

(٦) لم يجد الباحث ترجمة له.

(٧) مجموع مؤلفات الشيخ، (٢١٦/١).

وكان في بليدة الفدا، وكانت تأتيه النساء إذا تأخرت إحداهن عن الزواج، فتضمه، وتقول: (يا فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحول). وكذا شجرة (الطرفية) كانوا يتبركون بها، وكانت المرأة إذا ولدت ذكراً علقت خرقاً على الشجرة، معتقدة أن ذلك يضمن سلامة الولد من الموت والآفات (١).

٤- الاعتقاد في الأحجار:

يذكر المؤرخون من ذلك غاراً كبيراً كان في أسفل الدرعية (يزعمون أن الله خلقه في الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير، أراد بعض الفسقة أن يظلمها، فصاحت ودعت الله، فانفلق لها الغار؛ فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز، ويهدون) (٢).

- منكرات أخرى:

لم يتوقف الفساد والانحراف في ذلك الوقت على جانب العقيدة فحسب، بل تعداه إلى سائر الجوانب؛ يقول أحمد عبد الغفور عطار واصفاً تلك البيئة: (وفسدت الحياة العقلية والدينية والاجتماعية، فإذا كان الدين لديهم خرافات ووثنيات، فالموبقات والظلم والنهب والسلب والقتل كانت شريعة متبعة) (٣). ولكن.. هل هذه الصورة المظلمة لأهل هذه البلاد في تلك الفترة تعني أن الناس قد ابتعدوا عن دين الله بالكلية، وانطمست عندهم كل معالم

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٧/١).

(٢) المصدر السابق (٨،٧/١).

(٣) أحمد عبد الغفور عطار، محمد بن عبد الوهاب [بيروت - مكتبة العرفان - ط الثالثة ١٣٩٢هـ]

الدين...؟؟.

لقد ذكرت بعض المصادر المؤيدة لدعوة الإمام أن أهل نجد كانوا يأتون كل باب من أبواب الشرك^(١)، كما تذكر مصادر أخرى أن الشرك قد فشا في المنطقة بنوعيه الأصغر والأكبر^(٢)، وكثيراً ما وصفت هذه المصادر تلك الفترة بالجاهلية^(٣)، ووصفت الناس بأنهم (قد خلعوا ربقة التوحيد)^(٤).

ولا شك أن هذا الوصف كان موجوداً بالفعل في تلك البلاد، إلا أن المتأمل لرسائل الإمام -رحمه الله- بل ولتلك المصادر نفسها^(٥)، يدرك أن هذا الوصف لم يكن منطبقاً على جميع الفئات، وأن فيه شيئاً من التعميم؛ حتى إن أحد الباحثين المعاصرين، وهو الدكتور عبد الله الصالح العثيمين، يرى أن ذلك الانحراف كان واقعاً فقط (بالنسبة لطائفة معينة من جهلة النجديين، من المرجح أنها كانت قليلة العدد)^(٦).

ولا شك أن ما ذكره العثيمين من أن ذلك الانحراف كان واقعاً فقط بالنسبة لطائفة معينة من جهلة النجديين هو المرجح؛ ولكن الذي يبدو أن

(١) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٧/١).

(٢) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٦/١).

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار [مرجع سابق] (٣/٢).

(٤) سليمان بن سحمان، الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق [الرياض - ط الثانية - ١٣٧٦هـ -

(ص ٧٠).

(٥) يُبرز ابن بشر نجداً في بعض مواضع كتابه على أنها موطن للعلم والعلماء، الذين تحلى بعضهم بالعلم والورع، وجرت بينهم المناظرات العلمية ذات المستوى الرفيع، وكان لهم دور في التأليف ونشر العلم.

انظر على سبيل المثال: عنوان المجد [مرجع سابق] (٢٢/١، ٤٧).

(٦) د. عبد الله الصالح العثيمين. الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره [مرجع سابق] (ص ٢١).

تلك الطائفة لم تكن قليلة العدد كما ذكر العثيمين، بل هي كما يظهر من خلال رسائل الإمام والمصادر الموثوقة (كثيرة العدد)؛ خاصة إذا علمنا أن هذا الانحراف كان منتشراً في بلاد الحضر، وشائعاً بين عامة البدو على وجه الخصوص، بسبب غلبة الجهل؛ حتى وصفهم الإمام محمد - رحمه الله - بأنهم كانوا جاهلين جهلاً تاماً بالإسلام، وكانوا لا يمارسون أركانه من صلاة وصوم وزكاة، بل إن فريقاً من هؤلاء لا يؤمنون بالبعث^(١)، ومن المعلوم في ذلك الوقت أن البدو وحياة البداوة كانت هي الصفة الغالبة بين الناس؛ حيث كانت البادية أكثر عدداً من الحاضرة^(٢)، ولم يحرص البدو على التحضر إلا في مرحلة متأخرة بعد قيام حكومات قوية، استطاعت أن تحمي قوافل الحج من هجماتهم، وتوفر لهم مصادر الرزق الكريم.

فكثرة البدو، مع ما غلب عليهم من الجهل بأمر الدين، يرجح القول: بأن الطائفة التي وقعت في الانحراف العقدي كانت كثيرة العدد في ذلك الوقت، وأن القلة فقط هم الذين سلموا من تلك الانحرافات، فكان منهم العلماء^(٣)، وطلبة العلم والقضاة، الذين زاد عددهم في القرن الثاني عشر -

(١) حسين بن غنام، روضة الأفكار (١/١٠٨، ١٤٤).

(٢) د. عبد الله الصالح العثيمين. بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية [مرجع سابق] (ص ١٣).

(٣) وصل عدد علماء هذه المنطقة وحدها في القرن الثاني عشر (٥٧) عالماً. انظر د. محمد بن سعد الشويعر نجد قبل ٢٥٠ سنة [مرجع سابق] (ص ٣٨).

في تلك المنطقة - على ثلاثة وخمسين قاضياً^(١)، وكانوا منتشرين في أغلب المناطق عند الحضرة^(٢)، بخلاف البدو الذين كانوا يتحاضرون في مشاكلهم إلى الأعراف والتقاليد، التي يسمونها (الحق)^(٣).

ولعل الخلاف في مسألة مدى انتشار الانحراف في ذلك الوقت: وهل هو الغالب - كما يذكر ابن بشر وابن غنم وغيرهما - أم أنه محصور في طائفة قليلة العدد - كما يرجح د. العثيمين - لعل الخلاف في هذه المسألة منشؤه عدم تحديد مفهوم الانحراف المقصود.

- فإن كان الانحراف المقصود: هو الجهل بحقيقة التوحيد، ووجوب صرف جميع أنواع العبادة لله تعالى دون غيره، وعدم المحافظة على الصلوات وبقية شرائع الإسلام كما يجب؛ فإن هذا هو الغالب، وهو المنتشر في الحضرة والبدو - في ذلك الوقت - كما هو ظاهر من رسائل الإمام - رحمه الله - وأغلب المصادر المعتمدة؛ حيث قال الإمام في إحدى رسائله: (... ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذي ينكر البعث منهم أكثر ممن يقرّ به، وأن الذي يعرف الدين أقلّ ممن لا يعرفه، والذي يضيّع الصلوات أكثر من الذي يحافظ

(١) انظر: دراسة وافية عن القضاة والعلماء والكتب والمكتبات والأوقاف العلمية في تلك الفترة. المرجع السابق (ص ٣٠ - ٥٥).

(٢) عبد العزيز الخويطر، تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور [الرياض - مطابع مؤسسة الجزيرة - ١٣٩٠هـ] (ص ١٩). وانظر: ابن غنم، روضة الأفكار، [مرجع سابق] (١/١٣، ٣٣).

(٣) ابن غنم، روضة الأفكار، [مرجع سابق] (١/١٠٨).

عليها، والذي يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها^(١). ومعلوم أن البادية الذين غلب عليهم هذا الانحراف هم الأكثر، حيث يقول الإمام: (... وإن كان عنزة وآل ظفير وأشباههم من البوادي هم السواد الأعظم)^(٢).

- وإن كان الانحراف المقصود: هو ترك الجميع لشعائر الدين الظاهرة بالكلية، كالأذان والصلاة والصيام والزكاة والحج ونحوه، وعودتهم إلى الجاهلية، وانطماس معالم الملة؛ فإن هذا على ما يبدو حكم يفتقر إلى الدقة، وفيه نوع من المبالغة، حيث إن الجميع بالجملة ينتمون إلى الإسلام، ويفخرون به، وينافحون عنه، ولا يعرفون ديناً غيره، ورغم أنهم كانوا يجهلون الكثير عنه، إلا أنهم بالمقابل كانوا يحرصون على بعض المظاهر التي تؤكد انتماءهم لهذا الدين، وإن كان بعضها في الواقع سنناً أو مستحبات، أو ربما بدع لا أساس لها من الدين. وكان القاضي والشيخ هو المرجع في بلدان الحضر لحل المشاكل والنزاعات، وله احترامه وتوقيره في نفوس الجميع، بل ما زال هناك وميض من مظاهر العلم والتعليم؛ بدليل أن ابن بشر نفسه وغيره من المؤرخين أشاروا إلى وجود علماء نجديين كانوا يتصفون بصفات جليلة، ولهم طلاب منتشرون في البلدان، والدارس لما كتبه أولئك العلماء - مثل المنقور وغيره - يرى وضوح تلك الصفات فيهم، والمتأمل لسوابق ابن بشر، وما ورد من شعر تلك الفترة؛ كشعر جبر بن سيار، وحميدان الشويعر

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٣٥/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٣٦/٥).

والرميزان وابن غشام^(١)، يدرك مدى تمسك كثير من الناس - في تلك الفترة - بأحكام الإسلام الظاهرة، وتنفيذ واجباته، بل وبعض سننه، ولو على سبيل العادة.

وإن المتأمل لرسالة الإمام السابقة يجد أنها توحى بوجود طائفة ما زالت محافظة على شعائر الدين، حيث ذكر الإمام أن (أكثر) الناس كانوا واقعين في ذلك الانحراف؛ مما يدل على أن هناك طائفة - وإن كانت هي (الأقل) - ما زالت محافظة على شرائع الدين الظاهرة وتمسكة بها.

(١) انظر: د. عبد الله الصالح العثيمين. (بحث) ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١)

المطلب الثاني

ترجمة موجزة للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

أولاً : نسبه ونشأته:

يرجع نسب الإمام - رحمه الله - إلى قبيلة (تميم) الشهيرة^(١)، التي ورد فيها ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم، سمعته يقول: (هم أشد أمتي على الدجال)، قال: وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذه صدقات قومنا)، وكانت سبية منهم عند عائشة، فقال: (أعتقها، فإنها من ولد إسماعيل)^(٢).

اسمه:

أما اسمه : فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بأحمد

(١) انظر : عبد الله البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون [مرجع سابق] (١/٢٥٠، ٢٦)، وكذلك عبد الرحمن بن حمد المغربي الطائي ، الكتاب المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب ، [مصر، مطبعة المدني، ١٣٨٢هـ] (ص ١٦٦، ١٦٤).

(٢) البخاري ، صحيح البخاري، [مرجع سابق] ، كتاب : العتق ، باب : من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع، (ك ٥٤ب ١٣، ح ٢٤٠٥) (٢/٨٩٨). ومسلم : صحيح مسلم [كتاب فضائل الصحابة]، (باب: من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم) (ك ٤٤ب ٤٧، ح ٢٥٢٥) (٤/١٥٥٤).

ابن بريد (بن محمد^(١)، بن بريد^(٢)، بن مشرف^(٣)، بن عمر^(٤))، بن معضاد
ابن ريس^(٥)، بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى

(١) أضاف بعض المؤرخين الجلد السابع (محمد)، وأسقط الجلد الثامن (بريد)، ليكون مشرف هو الجلد الثامن بدلاً من التاسع، انظر: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، مشاهير علماء نجد وغيرهم، [دار اليمامة، ط ١، ١٣٩٢هـ] (ص ١٦)، وكتابه، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، علماء الدعوة، [مصر، مطبعة المدني، ١٣٨٦هـ] ص ٦، وكذلك عبداً لله بن عبدالرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون [مرجع سابق] (٢٥/١).

(٢) ما بين القوسين أسقطه بعض المؤرخين من نسب الإمام ليكون (مشرف) هو الجلد السابع بدلاً من التاسع للشيخ، انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، (٨٩/١) وعبدالرحمن المغيري، الكتاب المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب [مرجع سابق] ص (١٦٣)

(٣) هذا هو الثابت في نسب الشيخ؛ أن يكون (مشرف) هو الجلد التاسع للشيخ وذلك كما في سرد المؤرخ الأقدم والأتم ضبطاً الشيخ حسين بن غنام، روضة الأفكار، (٢٥/١)، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، الرسائل والمسائل، (٣٧٩/٣)، والمؤرخ إبراهيم بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، [الرياض، دار اليمامة، ط ١، ١٣٨٦هـ] ص ١٢٥، وإبراهيم بن ضويان، رفع النقاب عن تراجم الأصحاب، مخطوط، لوحة ٧٤، عن مجلة الدارة، [عدد ٢، رجب ١٣٩٨هـ] ص ٩٧، وجمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنوية، [مرجع سابق] (٣/١٢)، والشيخ حمد الجاسر، جبهة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، [الرياض، دار اليمامة، ط ١، ١٤٠١هـ]، (١/٤٦٩) فأصحاب هذا القول هم الأكثر عدداً والأتم ضبطاً والأقدم تاريخاً.

(٤) ذكر بعضهم أن والد مشرف (عمرو) بدلاً من (عمر)، وإلى ذلك ذهب عبدالرحمن المغيري في: الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب [مرجع سابق] ص ١٦٣، وكذلك تركي آل ماضي في: تاريخ آل ماضي [الأزهر - مطبعة الشيكشي - طبعة سنة ١٣٧٦هـ] ص ١٠، ولكن الصواب أنه (عمر). وعلى ذلك اتفق كل من ابن بشر وإبراهيم بن عيسى وعبدالرحمن بن قاسم وحمد الجاسر وعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ وعبداً لله بن عبدالرحمن البسام، انظر الحاشية السابقة.

(٥) ذكر إبراهيم بن ضويان في: رفع النقاب عن تراجم الأصحاب مخطوط لوحة (٧٤)، [عن مجلة الدارة ع ٢ رجب ١٣٩٨هـ ص ٩٧]، وكذلك صاحب كتاب: محمد بن علي بن غريب، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب [الرياض - دار طيبة - ط الأولى ١٤٠٤هـ] ص ٢٥ (وهذا الكتاب مؤلفه: محمد بن علي بن غريب، ت ١٢٠٩هـ ونسب خطأ لتلميذه سليمان بن عبداً لله بن الشيخ - انظر تحقيق نسبة هذا الكتاب مؤلفه في (رسالة) الدكتوراه المقدمة من الشيخ صالح العبودي بعنوان: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، [المدنية المنورة - ط الجامعة الإسلامية] ص ٥١٦) ذكر هذان المؤلفان أن والد معضاد (إدريس) بدلاً من (ريس) والراجح أنه (ريس) لأن القتالين بذلك أضيظ وأكثر.

ابن مسعود بن عقبة^(١)، بن سنيح بن نهشل بن شداد بن زهير ابن شهاب ابن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد ابن مناة بن تميم بن مرّ^(٢)، بن أذ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان^(٣).

ويتضح من سرد نسب الإمام المتقدم أنه يلتقي مع نسب الرسول ﷺ في (إلياس بن مضر)^(٤)، أما والدة الإمام، فهي ابنة محمد بن عزاز المشرفي الوهبي التميمي، فهي من عشيرته الأذنين^(٥).

(١) نسب الإمام من (ريس) إلى (عقبة) تكلم عنه إبراهيم بن عيسى في كتابه: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد (ص ٢٢٣)، حيث روي عن الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع قوله: وهذا النسب من ريس إلى عقبة، منقول من خط محمد بن أحمد بن محمد بن منيف بن بسام ابن منيف القاضي، ومن خط علماء الوهبة المعروفين المعترين مثل الشيخ أحمد بن محمد بن بسام، والشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصير، والشيخ سليمان بن علي (جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ... وغيرهم.

(٢) نسب الشيخ من (عقبة) إلى (مرّ) منقول عن ابن الكلبي وياقوت الحموي، قال ابن الكلبي: وكان عقبة شريفاً - أي في قومه - انظر: المصدر السابق (ص ٢١٢)، وعبدالرحمن المغيرة: الكتاب المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب [مرجع سابق] ص ١٦٤، وتركبي آل ماضي في: تاريخ آل ماضي [مرجع سابق] (ص ١٢٥).

(٣) نسب الشيخ إلى عدنان ذكره إبراهيم بن عيسى في: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد (ص ٢١٢)، وكذلك الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبد الله آل الشيخ ذكره في حاشيته على: عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر [ط وزارة المعارف] (١/١١٣)، وذكر أنه ثابت من وثائق علماء الوهبة وثبوتهم، وذكره الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف أيضاً في كتابه: علماء الدعوة [مصر، مطبعة المدني، ١٣٨٦هـ] ص ٦.

(٤) البخاري، صحيح البخاري [مرجع سابق] (كتاب: فضائل الصحابة، باب: مبعث النبي ﷺ) (ك ٦٦ ب ٥٧) (٣/١٣٩٨).

(٥) عبد الله البسام: علماء نجد خلال ستة قرون، [٢٦/١] ولم يذكر الاسم الأول لهذه المرأة، واكتفى بذكر اسم والدها، وما ذكره البسام عن والدها - كما يقول حمد الجاسر - هو حصيدة ما في المؤلفات التي وصلت إلينا عن هذه المرأة، انظر: ما كتبه حمد الجاسر عن المرأة في حياة الشيخ محمد، ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب [الرياض - مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية] (١/١٦٩).

- مولده وبيئته العلمية:

ولد الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في بلدة العيينة سنة ١١١٥هـ^(١)، فتفتحت عيناه في بيت عماده العلم والإيمان والقضاء والزعامة الدينية؛ فوالده كان قاضي العيينة وعالمها الديني^(٢)، وجدته سليمان بن علي من أبرز علماء نجد وقضاتها وأوسعهم علماً وأنبههم ذكراً، وهو مرجع أهل نجد في زمنه في الفتاوى^(٣)، وعمه إبراهيم بن سليمان كان مجتهداً فقيهاً، وله عدة مصنفات، وكان يسافر إلى ما حولهم من البلاد لحاجتهم إليه في الإفتاء، أما إقامته، فكان أكثرها عند أخيه عبدالوهاب -والد الإمام-^(٤)، وكذلك عمه الآخر أحمد بن سليمان كان من أهل العلم، وابن عمه عبدالرحمن بن إبراهيم كان عالماً مطلعاً، والأخ الأكبر للإمام، وهو سليمان بن عبدالوهاب، كان من طلاب العلم البارزين المحدثين في طلبه، وكذلك خال الإمام، وهو الشيخ: سيف بن محمد بن عزاز، كان فقيهاً محبباً للعلم وأهله، وله أجوبة

(١) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام [مرجع سابق] (٢٥/١)، ومحمد الفاخري، الأخبار النجدية، [مرجع سابق] (ص ٩١)، وعثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٦/١)، وانظر: (ردّ الدكتور عبد الله العثيمين على من أخطأ من المؤلفين في مكان مولد الشيخ وزمانه، د. عبد الله العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق] ص ٢٧.

(٢) انظر: عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، [مرجع سابق] (٢٦/١).

(٣) انظر: عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، [مرجع سابق] (٢٦/١). والشيخ: عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبد الله آل الشيخ، علماء الدعوة، [مرجع سابق] ص ٧ وعبد الله العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق] (ص ٢٦).

(٤) جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (٢١٥/٩).

وفتاوى^(١).

وهكذا ولد الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - من أسرة علمية بادية
الثراء؛ حيث إن كثيراً من أفراد تلك الأسرة تولوا مناصب قضائية، فنشأ في
جو أسري مشجع على طلب العلم والتزود من المعرفة، فكان وضع الأسرة
الاقتصادي يسمح له بالتفرغ للدراسة، وأبوه الفقيه القاضي كان يحثه على
طلب العلم، ويرشده إلى طريق المعرفة، وبما أن أباه كان قاضي البلدة، فإن
منزله كان في الغالب ملتقى طلاب العلم، سواء كانوا من أهل البلدة، أم من
أولئك الذين يفتدون إليها من أماكن أخرى، ولعل من البدهي أن يستفيد
الإمام محمد من تلك المناقشات العلمية التي تطرح في هذه اللقاءات، وأن
يكون على علمٍ بأحكام بعض القضايا التي كان أبوه ينظر فيها بصفته قاضي
البلدة^(٢).

ولا شك أن هذه البيئة العلمية المحيطة بالإمام كان لها أعظم الأثر على
نشأته العلمية، إضافةً إلى ما أنعم الله به عليه من استعداد فطري، وملكات
متميزة من الذكاء والفهم وقوة الحافظة.

- نشأته العلمية:

ظهر أثر البيئة العلمية المحيطة بالإمام على نشأته؛ فنشأ منذ طفولته محباً
للعلم، معتزلاً في - غالب وقته - عن لعب الصبيان وهو الجهال، ولم يكن في
حاجة إلى أن يترك داره ليذهب إلى (الكتّاب) كما يفعل بقية الصبيان؛ بل

(١) عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، [مرجع سابق] (١/٢٦/١١٠/٣٠٩/٣٢٩).

(٢) انظر: د. عبد الله العثيمين: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره [مرجع سابق] (ص ٢٩).

كانت داره هي المدرسة الأولى في ظل رعاية أبي فياض في العلم ، فحفظ القرآن واستظهره على يد أبيه العلامة ولما يبلغ العاشرة من عمره^(١)، وكان -رحمه الله- حادّ الفهم وقادّ الذهن، ذكياً، سريع الحفظ، فصيح اللفظ، فاشتغل بطلب العلم على أبيه، وجدّ في الطلب؛ حتى كان والده يتعجب من فهمه وإدراكه قبل بلوغه، ويقول: لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام^(٢)،... أو قريباً من هذا الكلام، وقد كتب والده إلى بعض إخوانه رسالة نوّه فيها بشأن ابنه محمد، وأثنى فيها عليه وعلى حفظه وفهمه وإتقانه، وذكر فيها أن ابنه بلغ الاحتلام قبل أن يكمل اثنتي عشرة سنة من عمره، وأنه رآه حينئذٍ أهلاً للصلاة بالجماعة، لمعرفته بالأحكام، فقدّمه أبوه ليؤم الناس، وزوجه وهو ابن اثنتي عشرة سنة^(٣) -بعيد بلوغه- ثم أذن له بالحج، فحج، وقصد مدينة رسول الله ﷺ، وأقام فيها مدة من الزمن، ثم رجع.

وكان رحمه الله -على حداثة سنه- شديد الحرص على تعلم علوم الشريعة، فقرأ على والده -قاضي العيينة- في الفقه على مذهب الإمام أحمد، وكان إلى جانب ذلك كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام^(٤)، فعني -رحمه الله- عناية خاصة بكتب شيخ الإسلام ابن

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار، [مرجع سابق] (٢٥/١).

(٢) ذكر ذلك الشيخ سليمان بن عبد الوهاب (أخو الشيخ محمد) عن والدهما، انظر: حسين بن غنام،

روضة الأفكار، [مرجع سابق] (٢٥/١).

(٣) يذكر الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ أن الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- تزوج

بعد قدومه من الحج، علماء الدعوة، [مرجع سابق] (ص ٧).

(٤) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار [مرجع سابق] (٢٦/١).

تيمية وتلميذه ابن القيم، وكان لكتب هذين الإمامين أكبر الأثر في تكوين شخصيته العلمية المتميزة، والأخذ بيده إلى مصادر العلم الصحيحة، فتكوّن لديه الاتجاه السليم منذ صغره، وتركزت في قلبه العقيدة الصحيحة، وتخرج على كتب هذين الإمامين المحققين^(١)، وقد ساعده ذكاؤه ونجاته وقوة ذاكرته - بعد توفيق الله - على اختصار مراحل الدراسة، فتزود خلال بضعة سنوات من علوم الشريعة والعربية ما كان يتزوده غيره في ضعف زمنه^(٢).

(١) الشيخ : صالح بن فوزان الفوزان، من مشاهير المجددين في الإسلام [الرياض - الرئاسة العامة للإفتاء -

١٤٠٨ هـ] (ص ٥٧) .

(٢) أحمد عبدالغفور عطار، محمد بن عبد الوهاب [بيروت - مكتبة العرفان - الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ] (ص

ثانياً : رحلاته العلمية :

لما استوعب الإمام ما درسه في بلدته (العيننة) من علوم الفقه والعربية والحديث والتفسير - تطلع إلى الزيادة، وعزم على الرحلة في طلب العلم إلى علماء البلاد المجاورة، للاستفادة من علومهم .

فبدأ رحلاته العلمية بالسفر إلى الحجاز^(١)، وكان قد تشرف قبلها بحج بيت الله الحرام^(٢)، فحج مرة ثانية^(٣)، ثم حضر مجالس العلماء، وانقطع لطلب العلم، وتلمذ على يد الكثير من العلماء.

- شيوخه في مكة المكرمة :

أخذ عن بعض علماء الحرم الشريف^(٤)، فأخذ عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري^(٥)، حيث ذكر الكتاني في فهرس الفهارس عند حصره لأسانيد

(١) اختلفت المصادر في ذكر رحلات الشيخ العلمية، إلا ان المصادر القريبة والمعاصرة للشيخ أشارت إلى أن الشيخ بدأ رحلاته العلمية بالحجاز حيث أدى فريضة الحج ثم أقام بالمدينة المنورة. انظر : حسين بن غنام ، روضة الأفكار [مرجع سابق] (٢٦/١)، وانظر : عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٧/١)

(٢) انظر : حسين بن غنام ، روضة الأفكار [مرجع سابق] (٢٦/١)، وجمع : عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، [الرياض - دار العاصمة - ١٤٠٩هـ] (٣٨/٣)

(٣) المرجع السابق، وانظر: عبد الله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] ص ٣٣، ومسعود الندوي، محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه، [الرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤٠٤هـ] (ص ٣٨).

(٤) سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته [الرياض - الرئاسة العامة للإفتاء ١٤٠٣هـ] (ص ١٥) .

(٥) الشيخ : عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسى، البصري أصلاً المكي مولداً ومدفنأ، الشافعي، (١٠٤٩ - ١١٣٤هـ) مسند الحجاز ، عمدة المحققين، الإمام المحدث الحافظ، صحح الكتب الستة وجمع المسند، واتفقوا على أنه حافظ البلاد الحجازية، وله عدة مؤلفات منها (الإمداد بمعرفة علو الإسناد) ، انظر : خير الدين الزركلي، الأعلام [مرجع سابق] (٨٨/٤)

(محمد عابد السندي) ما نصه: أن محمد عابد [روى كتاب (القرى لقاصد أم القرى) عن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدي عن أبيه إمام الطائفة الوهابية النجديّة عن البصري^(١)]، ويعني الكتاني بهذا (البصري) الذي أخذ عنه الإمام محمد بن عبد الوهاب أنه هو الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي آنف الذكر.

- شيوخه في المدينة المنورة :

ثم إن الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) ذهب بعد ذلك للمدينة المنورة واستقر فيها، حيث كانت - في ذلك الوقت - ملتقى العلماء وطلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية^(٢)، وأسعده أن يكون بها عالم الجمعية الكبير الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف^(٣)، فما كاد يصل إلى المدينة حتى أسرع إلى زيارته ولازمه ملازمة طويلة وأخذ عنه كثيراً من العلم، وقد أحبه

(١) انظر : خير الدين الزركلي، الأعلام [مرجع سابق] [٤/٨٨] .

(٢) انظر : د. عبد الله العثيمين - الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره [مرجع سابق] (ص ٣٣) .

(٣) هو الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف بن عبد الله الشمري نسبة إلى قبيلة شمر المعروفة، انتقل والده إبراهيم بن سيف من الجمعية إلى المدينة المنورة فنشأ الابن عبد الله في المدينة المنورة، ودرس على علمائها، وسافر إلى دمشق وقرأ على علمائها، ثم جلس للتعليم في المدينة المنورة، وأخذ عنه خلق كثير، من أحلهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وكان له من الذرية إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن سيف، مؤلف كتاب (العذب الفاضل في علم الفرائض)، الذي برع في علم الفرائض، حتى سميت هذه الأسرة بعده بلقب [بيت الفرائض]، نسبة لإبراهيم. وكان عند الشيخ عبد الله مكتبة حافلة نفيسة، وقد توفي رحمه الله في المدينة المنورة سنة ١١٤٠هـ. انظر : عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون [مرجع سابق] [٢/٥٠٥]، وكذلك حاشية الشيخ عبدالرحمن بن آل الشيخ على كتاب: عنوان المجد في تاريخ نجد، للشيخ عثمان بن بشر [الرياض - وزارة المعارف ١٣٩٤هـ] [١/٢٠].

الشيخ ابن سيف وكان به حفياءً، وحرص على تثقيفه وتعليمه، وكان من أكبر عوامل توثيق الروابط بينهما وتمكين الحجة، توافق أفكاره ومبادئه مع تلميذه في عقيدة التوحيد، والتألم مما كان عليه أهل نجد وغيرهم من عقائد باطلة وأعمال زائفة^(١).

كما كان الشيخ ابن سيف عالماً بالفقه الحنبلي والحديث الشريف، وقد أجاز تلميذه الإمام محمد بن عبد الوهاب في كل ما حواه ثبت الشيخ عبد الباقي^(٢)، أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلماً وتعليماً^(٣)، وكان من المعجبين بشيخ الإسلام ابن تيمية الحريصين على مؤلفاته. ولا شك أنه شجّع تلميذه على قراءة كتابات ذلك العالم الجليل.

وكان الشيخ ابن سيف على صلة عظيمة وقوية بعلامة المدينة الأكبر ومحدثها الأشهر وفتيها الفذ الشيخ محمد حياة السندي^(٤)، فعرفه بتلميذه

(١) أحمد بن حجر آل أبوظامي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب [مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٣٩٥هـ] (ص ١٦).

(٢) بجوي ثبت الشيخ عبد الباقي العديد من كتب السنة بسنده إلى مؤلفي هذه الكتب ومنها صحيح البخاري بسنده إلى مؤلفه، وكذلك صحيح مسلم، وشروح الصحيحين، وسنن الترمذي، والنسائي، وأبي داود، وابن ماجه، ومؤلفات الدارمي، ومسنن الشافعي، وموطأ مالك، ومسنن أحمد وغيرها، فأجازها فيها جميعاً، انظر: المرجع سابق (ص ١٦).

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار، [مرجع سابق] (٢٦/١) وكذلك: محمد الغريب، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق [مرجع سابق] ص ١٧.

(٤) الشيخ محمد حياة بن إبراهيم السندي المدني (ت ١١٦٣هـ): العلامة المحدث حامل لواء السنة بمدينة رسول الله ﷺ، مولده في السند وإقامته ووفاته بالمدينة المنورة، ولد في السند في بعض قرأها ورغب في تحصيل العلم وهو بها ثم انتقل إلى تستر قاعدة بلاد السند وقرأ على علمائها ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين واستقر في المدينة المنورة، وكان ورعاً متجرداً متعزلاً عن الخلق إلا في وقت قراءة الدروس، كانت له اليد الطولى في معرفة الحديث وأهله فكان من كبار المحدثين، وقد اشتهر عنه -رحمه الله- إنكاره للبدع والشركيات ودعوته إلى الاجتهاد في ميدان الشريعة ومعارضته للتعصب، ألف العديد من التصانيف النافعة منها [شرح الترغيب والترهيب للمنذري] و [مقدمة في العقائد]. أما حاشية السندي على البخاري فليست له، بل لشيخه (محمد بن عبد الهادي السندي). وقد توفي محمد حياة رحمه الله في المدينة المنورة،

النجيب وما هو عليه من عقيدة صافية وبما تجيش به نفسه من مقت للعقائد الباطلة التي وجد عليها أهل نجد وغيرهم، وأنه إنما خرج من نجد للرحلة في طلب العلم من أجل التزود للقيام بالدعوة والجهاد في سبيل الله. فأحبه الشيخ محمد السندي، وأصبح الإمام محمد بن عبد الوهاب من تلامذته الخواص، ومكث عنده زماناً^(١)، وكان له أكبر الأثر في توجيه الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى إدراك أهمية إخلاص توحيد عبادة الله، والتخلص من رق التقليد الأعمى، والاشتغال بالكتاب والسنة، حيث إن الشيخ السندي - رحمه الله - كان مشهوراً بمنهاجه السلفي، وكذلك دعوته إلى الاجتهاد في ميدان الشريعة، ومعارضته للتعصب للمذاهب الفقهية المؤدي إلى ترك بعض الأحاديث الصحيحة المحكمة وردها بما عليه المذهب، فكان يقول: [....التزام مذاهب مخصوصة؛ لا يرى ولا يجوز كل مناهج الانتقال من مذهب إلى مذهب؛ جهل وبدع وتعسف، وقد رأيناهم يتركون الأحاديث الصحاح غير المنسوخة ويتعلقون بمذاهبهم من غير سند..... إنا لله وإنا إليه راجعون] أ.هـ^(٢).

وكان الشيخ السندي أيضاً من أشد المنكرين للبدع في الدين وللأعمال

انظر: محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، [بيروت، دار ابن حزم، ١٤٠٨هـ] (٣٤/٤)، وخير الدين الزركلي، الأعلام، [مرجع سابق]، (١١١/٦).

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٧/١)، ومسعود الندي، محمد ابن عبد الوهاب، [مرجع سابق] ص ٣٩.

(٢) الشيخ: صالح بن محمد العمري الفلاني، يقاظ أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار، [باكستان، دار نشر الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ] (ص ٧٠).

الشركية؛ ذكر ابن بشر أن الإمام محمد بن عبد الوهاب وقف يوماً عند أناس يدعون ويستغيثون عند حجرة النبي ﷺ ورأى الشيخ السندي مقبلاً، فاستقبله وبادره قائلاً: ما تقول في هؤلاء؟ فأجابه الشيخ السندي: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُبْرِّمًا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٩]^(١).

وكان الشيخ السندي حجة في الحديث وعلومه، وكان أستاذاً لعدد من الطلاب الذين أصبح كثير منهم دعاة إصلاح أو شخصيات علمية مشهورة في مناطق إسلامية مختلفة^(٢)، فتأثر به الإمام محمد بن عبد الوهاب تأثراً كبيراً وعميقاً واستفاد منه فوائد لا تكاد تحصى ولا تعد.

وبالجملة فإن الإمام محمد رحمه الله قد استفاد من رحلته الى الحجاز فائدة عظيمة، حيث توفر له عدة عوامل منها المناخ التعليمي، ومنها وقت الرحلة، حيث أن الرحلة جاءت في مرحلة هامة من مراحل تكوينه الفكري، ومنها تتلمذه على علماء اجلاء، وعلى رأسهم الشيخ محمد حياة السندي، الذي كان له أعظم الأثر في توجه الإمام وتفكيره، ومنها انكبابه على قراءة كتب ابن تيمية، ولعله استفاد في ذلك من مكتبة الشيخ عبد الله بن سيف العامرة، إضافة إلى دراسته لكثير من كتب العلم، بل وإجازته فيها، فقد مرّ معنا أن الشيخ عبد الله بن سيف قد أجاز الإمام محمد بن عبد الوهاب بكل ما في ثبوت الشيخ عبد الباقي أبي المواهب الحنبلي شيخ مشايخ وقته قراءة وعلماً وتعليماً، وهذا الثبوت يشمل: [صحيح البخاري بسنده إلى مؤلفه، وصحيح مسلم بسنده إلى مؤلفه وشروح كل منهما، وسنن الترمذي بسنده، وسنن أبي

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٧/١).

(٢) د. عبد الله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق] (ص ٣٤).

داوود بسنده، وسنن ابن ماجه بسنده، وسنن النسائي الكبرى بسنده، وسنن الدارمي ومؤلفاته بالسند، وسلسلة العربية بسندها عن أبي الأسود عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وكتب النووي كلها، وألفية العراقي، والترغيب والترهيب، والخلاصة لابن مالك، وسيرة ابن هشام وسائر كتبه، ومؤلفات ابن حجر العسقلاني، وكتب القاضي عياض، وكتب القراءات، وكتاب الغنية لعبد القادر الجيلاني، وكتاب القاموس بالسند إلى مؤلفه، ومسند الإمام الشافعي، وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد، ومسند أبي داود، ومعاجم الطبراني، وكتب السيوطي، وفقه الحنابلة وسلسلتها وأصولهم^(١)، وقد أخذ الإمام محمد بن عبد الوهاب ما حواه هذا الثبت أيضاً عن كل من الشيخ: علي أفندي الداغستاني، والشيخ عبداللطيف العفالقني الأحسائي، وقد أجازته كل من الشيخين^(٢) أيضاً بمثل ما أجازته الشيخ عبد الله بن سيف، كل ذلك إضافة إلى مطالعته الخاصة في كتب أخرى خارج الدروس العلمية، وقد كان مجرد قراءته لمثل هذه الأمهات كافياً لأن يحصل على قدر لا يستهان به من العلم الشرعي، فكيف إذا درسها دراسة علمية فاحصة وأخذها عن كبار علماء عصره ولا شك أن إجازة هؤلاء العلماء له في أن يتصدى لتعليم هذه العلوم يدل على إتقانه لهذه العلوم وتميزه بين أقرانه.

- رجوعه إلى العينة :

حين اقتنع الإمام محمد بكفاية المدة التي قضها متعلماً في المدينة، عاد إلى

(١) محمد الغريب، التوضيح عن توحيد الخلاق، [مرجع سابق] (ص ١٧)، وأحمد بن حجر آل

أبوظامي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] (ص ١٦).

(٢) محمد الغريب، التوضيح عن توحيد الخلاق، [مرجع سابق] (ص ١٦، ١٧).

العيينة^(١)، وقد تبلورت عنده فكرة المناداة بالإصلاح، خاصة بعد تتلمذه على الشيخ محمد حياة السندي المحارب للبدع والتعصب للمذاهب، وكذلك ما أصبح يدور في ذهنه من مقارنة بين ما كان يقرأه ويأخذه عن مشايخه وبين ما يراه من مخالقات يقع فيها كثير من الناس، وبعد عودة الإمام محمد إلى العيينة واصل قراءة الكتب العلمية، وخاصة مؤلفات ابن تيمية، ورغم تمكنه العلمي الذي أصبح يؤهله لأن يقول رأيه بشجاعة في كثير مما كان شائعاً في المنطقة آنذاك من أمور لا تتفق مع الدين الإسلامي الصحيح... إلا أن إنكاره لمثل هذه المخالقات كان محدوداً في تأثيره على الآخرين، ولعل ذلك راجع لأسباب، منها قلة مكوته في العيينة هذه المرة حيث يذكر الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ أنه لم يبق هذه المرة إلا سنة واحدة^(٢)، وقد يكون من الأسباب أيضاً أن الإمام رأى أنه ما زال غير مؤهل تأهيلاً كاملاً لإقامة دعوة ناجحة، ولذلك نراه لم يلبث أن حزم أمتعه مرة أخرى استعداداً للرحيل إلى الشام؛ حيث كانت توجد في دمشق آنذاك مدرسة حنبلية نشطة^(٣)، وكانت هذه البلدة يوماً من الأيام المركز الرئيس لنشاط شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي طالما أعجب الإمام محمد بمؤلفاته وكتاباته.

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٧/١).

(٢) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، علماء الدعوة، [مرجع سابق] (ص ٧).

(٣) د. عبدالله العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق]

- شيوخه في البصرة:

غادر الإمام محمد بن عبد الوهاب نجداً قاصداً الشام^(١) عن طريق البصرة، ولعل السبب في ذلك عدم وجود قوافل في ذلك الوقت تتجه إلى دمشق مباشرة، وحين وصل البصرة أقام بها والتقى بعلمائها وأخذ عنهم وتلمذ على عالم البصرة الكبير الشيخ محمد الجموعي^(٢)، وأخذ عنه بعض العلوم^(٣)، وقد ذكر ابن غنام أن الإمام أطل الإقامة في البصرة وكان أكثر لبثه لأخذ العلم فيها، وأنه سمع الحديث والفقهاء أيضاً من جماعة بالبصرة كثير وقرأ بها النحو وأتقنه وكتب الكثير من اللغة والحديث في إقامته تلك^(٤)، وجالس علماء البصرة وتميز بالأخذ عن لا يتهم بالكذب والزور منهم، وفي البصرة صنّف الإمام محمد - رحمه الله - كتابه الشهير (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد)^(٥)، ومن الطبيعي أن يستفيد الإمام من تصنيفه لهذا الكتاب ومن كتب السنة الموثقة في مدارس البصرة آنذاك^(٦).

- (١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٧/١).
- (٢) لم أعتز على ترجمة هذا الشيخ سوى ما ذكره ابن بشر من أن اسمه محمد الجموعي، وهو عالم جليل من أهل المجموعة - قرية من قرى البصرة - ، قال ابن بشر: وأخبرني عثمان بن منصور الناصري قال: أخبرني رجل في مجموعة البصرة بأن أولاد ذلك العالم الذي قرأ عليه الشيخ محمد هم أحسن أهل بلدهم بالصلاح ومعرفة التوحيد ، انظر : عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٨/١).
- (٣) انظر : المرجع السابق (٨/١).
- (٤) حسين بن غنام ، روضة الأفكار [مرجع سابق] (٢٧/١-٢٨).
- (٥) ذكر ذلك الشيخ : عبدالرحمن بن حسن (حفيد الشيخ) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم، الدور السنوية، [مرجع سابق] (٢١٥/٩) ، بينما يرى حسين بن غنام أن الشيخ ألفه في حريملاء بعد رجوعه من رحلاته العلمية، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٣٠/١).
- (٦) انظر : [المرجع السابق]

ثم إن الإمام محمداً رحمه الله كان ينكر أشياء من الشركيات والبدع، وأعلن بالإنكار واستحسن شيخه قوله وقبله منه، وانتفع به، وأيده، فاستمر الإمام يدعو إلى توحيد الله بالعبادة وينكر على من يدعو غير الله تعالى، ويبين أن دعاء الأولياء ليس من محبتهم المشروعة، وإنما محبتهم هي اتباع هديهم، وحصل بمجلسه أن رجلاً يذكر مشروعية دعاء الصالحين والأولياء، فأغلظ عليه الإمام وزجره، فتغير وجه ذلك الرجل، واستغرب وقال: (إن كان ما يقوله هذا الإنسان حقاً فالناس ليسوا على شيء من زمان)^(١)، ونقل ابن غنم قول الإمام: (وكان ناس من مشركي البصرة يأتون إليّ بشبهات يلقونها عليّ، فأقول وهم قعود لدي: لا تصلح العبادة كلها إلا لله، فبهت كل منهم فلا يتكلم)^(٢).

وقد حرص الإمام على القيام بواجب النصيح والوعظ والإرشاد والإنكار بلطف، إلا أن ذلك لم يفد، فحقد أنصار البدع وعلماء السوء عليه وعلى شيخه وقابلوا نصحه بالإعراض وسعوا فيه عند ملأ البصرة وأعيانها فأخرجوه منها وقت الهجرة في يوم صائف شديد الحر، فخرج - رحمه الله - ماشياً على قدميه حتى أدركه العطش، وأشرف على الهلاك وهو في الطريق بين البصرة والزبير، فأدركه رجل يقال له أبو حميدان من بلدة الزبير، ورأى على الإمام هيبة ووقاراً فسقاه وحمله على حماره حتى أوصله الزبير، فمكث فيها الإمام أياماً وكان يريد السفر إلى الشام، فقصرت به النفقة فقصد نجداً، ومرّ في طريقه إليها ببلدة الأحساء^(٣)، وتذكر بعض المصادر أن الإمام قبل

(١) حسين بن غنم، روضة الأفكار [مرجع سابق] (٢٧/١-٢٨).

(٢) انظر: حسين بن غنم، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق].

(٣) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد [مرجع سابق] (٨/١)، وعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، علماء الدعوة، [مرجع سابق] ص ٨.

ذلك قدم الموصل وقرأ على الشيخ ملا حمد الجميلي وأخذ عنه الكثير^(١). وبصفة عامة، فإن الفترة التي قضاها الإمام محمد بن عبد الوهاب في البصرة كانت مفيدة جداً، فبالإضافة إلى تعمقه في هذه الفترة في علوم الحديث والفقه، فقد أتقن النحو وقواعد اللغة العربية، كما تمكن من الاطلاع على أحوال المبتدعة والرافضة وأشباههم من قرب، وعرف شبهاتهم وأباطيلهم، وأنسب الطرق لدعوتهم وإقناعهم ومحاجتهم، وتمرس في طرق الرد عليهم وإبطال شبهاتهم.

ولم يكن الإمام في البصرة مجرد طالب علم، بل كان داعية يستمع إليه الآخرون^(٢)، فكان ينكر ما يرى أنه مخالف للحق^(٣)، ويرقب أثر دعوته عليهم فينتقي أفضل الأساليب وأنجحها، فاستفاد كثيراً من هذه التجربة، وأصبحت زاداً يعينه - بعد توفيق الله - على الشروع في دعوته الإصلاحية المباركة.

- شيوخه في الإحساء:

يذكر ابن بشر أن أهل البصرة تعرضوا للإمام بالأذى نتيجة ما كان

(١) انظر: بحثاً قدمه اللواء الركن محمود شيت خطاب لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود بعنوان: (الإمام محمد بن عبد الوهاب في مدينة الموصل) يحقق فيه ما ذكره المؤرخ ياسين بن خير الله العمري الموصل في كتابه الذي يعتبر - على حد تعبير اللواء - كتاباً مجهولاً من قبل كثير من الباحثين وعنوانه (غرائب الأثر) من أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قرأ على الشيخ ملا حمد الجميلي: انظر: بحث أسبوع الشيخ [مرجع سابق] (٧٣/١).

(٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار [مرجع سابق] (٢٧/١).

(٣) ولذلك تذكر بعض المصادر أن الإمام إنما رحل للبصرة من أجل الدعوة والبحث عن يعينه على القيام بها. انظر: جمع عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم، مجموعة الرسائل والمسائل المتجدية (٣٤٠/) من رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

يظهره من إنكار الشراكيات والبدع، مما اضطره إلى الخروج منها إلى الزبير، وحالت حادثة ضياع نفقته دون تمكنه من الوصول إلى الشام، فقصده الأحساء^(١)، فلما وصل إليه وجد فيه فحول العلماء حيث كانت تلك البلدة في ذلك الوقت مركزاً علمياً يفد إليه الطلاب من نجد وغيرها، وكان علماءها ينتمون إلى مذاهب فقهية مختلفة^(٢)، فنزل الإمام محمد علي الشيخ العالم عبداً لله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي القاضي^(٣)، وطلب منه أن يحضر الأول من فتح الباري على البخاري وبين له ما غلط فيه الحافظ في مسألة الإيمان، وبين أن الأشاعرة خالفوا ما صدّر به البخاري كتابه من الأحاديث والآثار، وبحث معهم في مسائل وناظر، وهذا مشهور

(١) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد [مرجع سابق] (٨/١)، وحسين بن غنام، روضة الافكار [مرجع سابق] (١/٢٦-٥٠)، وجمع: عبدالرحمن بن قاسم الدرر السنية، [مرجع سابق] (٢١٦/٩).

(٢) يتضح ذلك عند الاطلاع على ما ذكره عثمان بن سند في مخطوطة سبائك المسجد [مرجع سابق] عن تراجم بعض هؤلاء العلماء، فبينما كان محمد بن عبداللطيف شافعيّاً (ق ٤٤)؛ كان محمد بن عفالق حنبليّاً (ق ٩٤) وكان بن غنام مالكيّاً كما يذكر الفاخري، انظر: محمد بن عمر الفاخري، الأخبار النجدية [مرجع سابق] (ص ١٤٠) وعبد العزيز الخويطر، عثمان بن بشر منهجه ومصادره [مرجع سابق] (ص ٧). وانظر: د. عبداً لله العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق] (ص ٣٩).

(٣) كذا ذكره عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد [مرجع سابق] (٨/١) وكذلك الشيخ عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون (٣٠/١)، ولم أعثر على ترجمته بهذا الاسم، وقد ترجم عثمان بن سند في مخطوطة سبائك المسجد [مرجع سابق]. لأسماء ربما تكون مقاربة لهذا الاسم، منها: عبد الله بن عبد اللطيف (ق ٩٤)، ومحمد بن عبد اللطيف الأحسائي الشافعي (ق ٤٤).

يعرفه أهل الأحساء وغيرهم من أهل نجد^(١)، وذلك قبل أن يعلن الإمام محمد إنكار الشرك في نجد وقبل أن تبرز معارضة أهل الأحساء للشيخ، ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف المذكور، الذي جرت بينه وبين الإمام مكاتبات فيما بعد حول عقيدة السلف الصالح، لاشك أن الصواب فيها كان مع الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله^(٢).

ومن لقيهم الإمام في الأحساء أيضاً: الشيخ محمد بن عفالق^(٣)، والشيخ عبد الله بن فيروز أبو محمد الكفيف^(٤)، وقد سرّ الإمام، محمد بمقابلة هذا العالم وأثنى عليه بمعرفته بعقيدة الإمام أحمد ووجد عنده من كتب شيخ

(١) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد [مرجع سابق] (٨/١).

(٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار [مرجع سابق] (٥٠/١ - ٦٠).

(٣) محمد بن عبد الرحمن بن عفالق، ولد سنة ١١٠٠هـ، ورحل للمدينة، وأخذ عن علمائها ومنهم عبد الله بن سيف، وتوفي بالأحساء سنة ١١٦٣هـ وهو من عادي دعوة الإمام محمد ابن عبد الوهاب، وكتب له رسالة يتعنّت فيها بأسئلة عن سورة العاديات ماذا فيها من الحجاز والاستعارة والكناية وغيرها من التعنّات التي ليست مما يدخل في تحقيق ما يجب لله تعالى على عباده من توحيده بالعبادة وإخلاصها له، هذا المقام الذي لم يصل له ابن عفالق وأشياعه، انظر: عثمان بن سند، مخطوطة سبائك المسجد [مرجع سابق] (ق ٩٤)، وكذلك: عبد الله البسام في كتابه: علماء نجد خلال سنة قرون، [مرجع سابق] (٨١٨/٣).

(٤) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن فيروز أبو محمد الكفيف، التميمي نسباً، النجدي أصلاً، ولد سنة ١١٠٥هـ. كان سلفي العقيدة، ومن مشائخه: الشيخ فوزان بن نصر الله، وخاله الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف، فالشيخ عبد الله له صلة قرابة بالشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث إن الشيخ عبد الله ابن عمّة للشيخ محمد، وقد برع في الفقه وأصوله وأصول الدين، وتوفي في الأحساء سنة ١١٧٥هـ، انظر: عبد الله البسام: علماء نجد خلال سنة قرون [مرجع سابق] (٦٢٧/٢).

الإسلام ابن تيمية وابن القيم ما سرّ به^(١)، فمكث في الأحساء مدةً، ثم عاد إلى نجد منهيّاً بذلك رحلاته العلمية^(٢).

ثالثاً: عودة الإمام من رحلاته العلمية إلى حريملاء:

عاد الإمام - بعد أن أنهى رحلاته العلميّة - إلى حريملاء... حيث كان والده قد انتقل إليها من العيينة، بسبب أن أمير العيينة الجديد محمد بن حمد بن معمر، الملقب خرفاش^(٣)، كان قد تولى بعد جده، ووقع بينه وبين

(١) انظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية [مرجع سابق]، (٢١٦/٩).

(٢) أما ما ذكرته بعض المصادر من أن الشيخ سافر أيضاً إلى الشام كما ذكره خير الدين الزركلي في الأعلام، وإلى فارس وإيران وقم وأصفهان، كما يذكره بعض المستشرقين ونحوهم في مؤلفاتهم المعروفة بكثرة الأخطاء وبجانب الحقيقة، كمرجليوت في دائرة المعارف الإسلامية وبرائجس وهيوجز وزويمر وبالغريف، وكتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب) ومن تأثر به فهو أمر غير مقبول والذي يطمئن إليه الباحث من مقارنة المصادر التي تحدثت عن هذا الأمر هو أن رحلات الشيخ لم تتجاوز الحجاز والعراق والأحساء - كما يظهر من المصادر المقربة للشيخ وكتابات المؤيدين له وذلك لسببين رئيسيين؛ أحدهما: أنهم أدرى بتفاصيل حياته من غيرهم - كما قال الشيخ حمد الجاسر (مجلة العرب، ١٣٩٠هـ - ١٠/٩٤٤) - والثاني: أنهم حرصوا كل الحرص على تدوين جميع فضائله، ومن المعروف أن السفر في طلب العلم فضيلة ولو كان الشيخ محمد قد سافر إلى بلدان غير ما ذكر لما توانوا في تدوين ذلك وتفصيله، ومن الملاحظ أن كثيراً ممن أوردوا تلك الروايات الباطلة عن رحلات الشيخ إنما اعتمدوا على كتاب (لمع الشهاب) كلياً أو جزئياً وهو كتاب مليء بالأخطاء، وكما قال الشيخ حمد الجاسر: فإن هذا الكتاب لا يصلح للتعويل عليه، انظر: د. عبد الله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق] (ص ٤٣)، ومقال الشيخ حمد الجاسر: مجلة العرب، ربيع الثاني، ١٣٩٠هـ (٩٤٣/١٠)، وكذلك الأستاذ مسعود الندوي، محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتزى عليه، [مرجع سابق] هامش (ص ٣٤).

(٣) وهو حفيد عبد الله بن معمر، الذي مات في الوباء المشهور الذي وقع في العيينة وأفناها، وعلى إثر ذلك تولى خرفاش العيينة، انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٨/١).

القاضي عبد الوهاب منازعة فعزله عن القضاء فانتقل عبد الوهاب إلى حرملاء، وتولى قضاءها، وأقام بها، فأقام الإمام محمد بعد عودته من رحلته العلمية في حرملاء مع أبيه^(١).

ورغم أن الإمام محمد حين رجع إلى أبيه بعد رحلته العلمية كان في مستوى علمي لا يقل عن مستوى أبيه، إن لم يزد عليه ... إلا أنه استمر - بعد عودته - يدرس على والده^(٢)، وهذا من باب أدبه وتواضعه مع والده وشيخه الأول.

وتؤكد المصادر أن الإمام محمد في هذه المرحلة بدأ يدعو - بثقة العالم المتحمل للأمانة - إلى ما يعتقد ويدين الله به، فبدأ يدعو إلى التوحيد، وينكر ما يفعله الجهال من البدع والشرك في الأقوال والأفعال، وكثر منه الإنكار لذلك ولجميع المحظورات، حتى وقع بينه وبين أبيه كلام^(٣)، وكذلك بينه وبين الناس في البلد فأصبح منهم المعارضون بشدة، ومنهم المؤيدون الذين كانوا - رغم قتلهم - مصممين على المضي معه مهما كانت النتائج^(٤). ولعل محل الخلاف بينه وبين أبيه كان حول أسلوب الدعوة لا جوهرها؛ ولذلك

(١) من المرجح أن يكون وصول الشيخ إلى حرملاء كان بين سنتي ١١٤٤ و١١٤٩ هـ ، انظر الجمع بين الروايات الواردة في ذلك في كتاب الدكتور :عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ، [مرجع سابق] (ص ٤٤).

(٢) عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٨/١).

(٣) المرجع سابق.

(٤) المرجع السابق ، [مرجع سابق] (٢٩/١).

فإن الإمام تريث قليلاً، فلم يعلن بالدعوة والإنكار، ولكنه استمر في دعوته إلى التوحيد، وبيان بطلان دعوة غير الله، وكانت دعوة غير الله من أشجار وغيран وقبور وجنّ ونحو ذلك منتشرة كثيراً في نجد وفي البلدان الإسلامية عموماً في ذلك الزمان، كما سبق بيانه في مبحث: [البيئة الفكرية والاجتماعية التي كتبت فيها الرسائل] المتقدم. وقد ركز الإمام أيضاً في هذه الفترة على تدريس بعض العلوم الشرعية كالفقه والتفسير والحديث.

واستمر الإمام على ذلك إلى أن توفي والده عام ١١٥٣هـ^(١)، فأعلن الدعوة إلى تصحيح العقائد الفاسدة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فكان لدعوته صدى كبيراً؛ خاصة وأنه أصبح أكبر شخصية علمية في البلدة - بعد وفاة والده - فالتفت إليه الأنظار، حتى انتشرت سمعته في المناطق الأخرى، وبدأ بعض الأفراد من بلدان العارض المختلفة يفتدون إليه في حرملاء^(٢)، ويستمعون ما يقول ويدعو إليه، حتى إن دعوته لقيت قبولاً لدى بعض أمراء البلدان الأخرى، ومن هؤلاء عثمان بن معمر أمير بلدة العيينة^(٣).

رابعاً: انتقاله إلى العيينة:

انتقل الإمام - رحمه الله - من حرملاء إلى العيينة بعد أن هدى الله أميرها عثمان بن معمر، حيث كان هذا الأمير مؤهلاً لحماية الدعوة ونصرتها بعد

(١) المرجع السابق.

(٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٩/١).

(٣) المرجع السابق (٣٠/١).

أن هداه الله تعالى لقبول هذا الدين^(١).

وقد قام هذا الأمير بما أمّله الإمام منه ، فأيد الإمام وساعده، فقويت دعوته، وازداد أتباعه، وأصبح قادراً على تطبيق بعض ما يدعو إليه، فأزال كثيراً من مظاهر الشرك، وقطع الأشجار التي كانت تعظم، وهدم القبة المبنية على قبر زيد بن الخطاب، وأقام حدّ الرجم على امرأة محصنة زنت بعد أن توافرت الشروط الشرعية لإقامة هذا الحد^(٢)، فاشتهر أمره لذلك حتى بلغ أمره أمير الأحساء سليمان بن محمد بن غرير الحميدي الخالدي، حاكم بني خالد والأحساء والقطيف وقطر كلها^(٣)، الذي أرسل إلى عثمان كتاباً هدّده فيه بقطع خراجه ما لم يقتل الإمام محمد بن عبد الوهاب أو يبعثه إليه.

ورغم تثبيت الإمام محمد لعثمان بن معمر، ووعظه له، إلا أن أمر صاحب الأحساء تعاضم في صدر ابن معمر، فتخلى عن الإمام وترك نصرته^(٤)، الأمر

(١) المرجع السابق (٣٠/١) . ويفسر ابن بشر سبب انتقال الإمام من حريملاء، بأنها لم تعد صالحة لتكون منطلقاً لدعوته، حيث أن رؤساء أهل حريملاء كانوا قبيلتين أصلهما قبيلة واحدة، وأن عبید إحدى هاتين القبيلتين هموا أن يفتكوا بالشيخ بالليل سرّاً لأنه أراد أن يمنعهم عن الفساد، عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد ، [مرجع سابق] (٩/١).

(٢) المرجع السابق (١٠،٩/١).

(٣) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تعليق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز [الرياض - المطابع الأهلية للأوفست - ب ت] (ص ٣١) .

(٤) حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام ، [مرجع سابق] (٣/٢) ، و عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، [مرجع سابق] . ومؤلف مجهول ، كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بتحقيق د. عبد الله العثيمين، مطبوعات دار الملك عبد العزيز [الرياض - مطابع دار الهلال - ١٤٠٣هـ] (ص ٥٦) .

الذي اضطر الإمام إلى مغادرة العينه^(١)، متجهاً إلى الدرعية.

خامساً : انتقاله إلى الدرعية وتحالفه مع الإمام محمد بن سعود:

بعد أن باتت العيينة غير قادرة على حماية الدعوة؛ اختار الإمام أن يتجه إلى الدرعية، وكان اختياره موفقاً، إذ لم تكن الدرعية خاضعة لأي سيطرة خارجية^(٢)، كما أن أميرها كان -إضافةً إلى قوته- يتمتع بسمعة طيبة، وأهم من ذلك كله أن دعوة الإمام كانت قد لقيت قبولاً كبيراً بين شخصيات مهمة في الدرعية، مثل آل سويلم، بل إنها كانت معتنقة من قبل أفراد من الأسرة السعودية نفسها، مثل الأمير مشاري، والأمير ثنيان، وهما أخوا الأمير محمد بن سعود، وكذلك الأمير عبد العزيز، وهو ابن محمد بن سعود.

ودخل الإمام الدرعية، وحلّ في دار محمد بن سويلم العريضي، وعلم به الأمير محمد بن سعود فسار إليه في تلك الدار، ورحّب به، ووعدّه بالنصر والحماية، وأبرم معه ذلك الاتفاق المبارك (اتفاق الدرعية ١١٥٧هـ)، وقال

(١) ذكر ابن بشر في مسودة كتابه أن ابن معمر أرسل مع الإمام رجالاً لحراسته وأمرهم بقتله ، ولكنه حذف هذه الرواية بعد تبييض الكتاب، نتيجة تبينه عدم صحتها، انظر د. عبد الله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب [مرجع سابق] (ص ٦٠). ومما يرجح عدم صحة هذه الرواية أيضاً : عدم ذكر ابن غنام لها، وكذلك ما يفهم من سياق هذه الحادثة حين ذكرها صاحب كتاب (كيف كان ظهور شيخ الإسلام ..) حيث بين أن الإمام خرج مكروماً ومعه أربعون رجلاً من أتباعه ، وأربع ركائب من أتباع ابن معمر ... ، انظر: مؤلف مجهول، كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب [مرجع سابق] (ص ٥٧)، كما أن كثيراً من المعاصرين أكدوا عدم صحة هذه الرواية، وساقوا الأدلة على ذلك، منهم العلامة حمد الجاسر، و د. منير العجلاني ، انظر : د . منير العجلاني تاريخ البلاد العربية السعودية [الرياض - دار الشبل - ط الثانية ١٤١٣هـ] (١/٤٥٤) .

(٢) د. عبد الله الشبل ، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية [مرجع سابق] (ص ٣٦) .

له: (أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة، فقال له الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين، وهذه كلمة لا إله إلا الله، من تمسك بها وعمل بها ونصرها، ملك البلاد والعباد..^(١))، ثم أخذ الإمام يشرح للأمير مبادئ دعوته، وتعهدا على نشر تلك المبادئ المباركة.

وأصبح هذا الاتفاق - بحق - نقطة تحول هامة في تاريخ الدعوة وفي حياة نجد الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، بل وفي تاريخنا الإسلامي المعاصر أجمع.

وفي الدرعية وجد الإمام كامل الحماية والنصرة، فلبث سنتين يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، ويكتب الرسائل إلى أهل البلدان المجاورة ورؤسائهم وعلمائهم، فمنهم من قبل الدعوة واتبع الحق، ومنهم من أبى وعارض.

ولم يستمر الحال على ذلك طويلاً، فقد قام أولئك المعارضون بالتحريض على الإمام ودعوته، وأعلنوا تكفير الإمام وأتباعه، وأباحوا دماءهم، وأصبحت حياة الإمام وأتباعه في خطر، فأمر الإمام بعد ذلك بالجهاد^(٢)؛ دفاعاً عن النفس، وحمايةً للدعوة، وكسراً لشوكة من يحول دون وصولها للناس.

وبذلك دخلت الدعوة في مرحلتها الحاسمة التي هيأتها لحمل الناس على

(١) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١٢/١).

(٢) كان ذلك بعد اتفاق الدرعية بستين، أي سنة ١١٥٩ هـ. انظر: حسين بن غنام، روضة

الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٨/٢). و: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد،

[مرجع سابق] (١٤/١).

الحق، ونشر العقيدة الصحيحة في شتى البقاع المجاورة، فأظهر الله عقيدة السلف الصالح، ونصر الله أهلها، وانطلقت الدعوة باللسان والسنان حتى فتح الله لها البلاد وقلوب العباد.

سادساً: تلاميذ الإمام:

تتلمذ على الإمام عدد كبير من الطلاب، الذين تولوا فيما بعد مناصب القضاء والتعليم. قال ابن بشر: (وأخذ عن الشيخ من القضاة - ممن لا يحضرنى الآن عدّه - عدد كثير، وأخذ عنه ممن لم يل القضاء من الرؤساء والأعيان ومن دونهم الجم الغفير)^(١).

ولعل من المتعذر أن يتم استقصاء كل من أخذ عن الإمام، أو استفاد منه أي فائدة، إذ سيطول بذلك المقام، وسيكون على رأس القائمة الإمام محمد ابن سعود، وابنه عبد العزيز، وحفيده سعود بن عبدالعزيز، فلقد استفاد هؤلاء من علم الإمام، وكان لهم فضل - بعد الله - في إحياء ما بينه الإمام من السنة، وإقامة ما أوضحه لهم من معالم الدين.

ولكن يُقتصر هنا على ذكر بعض تلاميذ الإمام، الذين جلسوا بين يديه، وواظبوا على دروسه، وأخذوا عنه، حتى تخرجوا على يديه، واستكملوا العلم النافع الذي كان يدرسه لتلاميذه عادةً، ومن أشهرهم: أبناءه الأربعة، وهم:

١- الشيخ حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي أخذ عن أبيه، واستكمل فنون العلم، وفاق بالمعرفة أقرانه وتوفي سنة ١٢٢٤هـ^(٢).

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١/٩٥).

(٢) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١/٩٢).

٢- والشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد أخذ عن أبيه، فكان آيةً في العلم ومعرفته ومعرفة فنونه^(١)، ولد في الدرعية سنة ١١٦٥ هـ وتوفي بمصر سنة ١٢٤٢ هـ^(٢).

٣- ابنه الأكبر الشيخ علي حيث كان عالماً جليلاً ورعاً ديناً فقيهاً يضرب به المثل في بلد الدرعية، يقول عبدالرحمن بن عبداللطيف: الغالب علي الظن أن الشيخ علي توفي سنة ١٢٤٥ هـ بمصر^(٣).

٤- الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو الابن الرابع للإمام، ويذكر الشيخ عبدالرحمن بن قاسم أنه توفي في مصر، كما يذكر أنه لم يقف على سنة وفاته بالتحديد، إلا أنه كان يقول: إنه كان موجوداً في مصر عام ١٢٥١ هـ^(٤).

ومن تلاميذ الإمام المشهورين أيضاً: الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن إبراهيم الحصين الناصري التميمي، والشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، والشيخ سعيد الحجي^(٥)، والشيخ محمد بن سويلم^(٦)، والشيخ عبدالرحمن بن خميس^(٧)، والشيخ عبد الرحمن بن نامي^(٨)، ومحمد بن سلطان

(١) المرجع السابق، (٩٣/١).

(٢) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (٤٥/١٢).

(٣) المرجع السابق (٤٧/١٢).

(٤) المرجع السابق (٤٦/١٢).

(٥) انظر عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٢٣٤/١ - ٩٦).

(٦) المرجع السابق، (٩٤/١).

(٧) المرجع السابق (٩٤/١).

(٨) انظر: المرجع السابق، الموضوع نفسه، وكذلك عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون [مرجع سابق] (٤٣٢/٢).

العوسجي^(١)، وعبد الرحمن بن عبد المحسن أبا حسين^(٢)، وحسن بن عبد الله ابن عيدان^(٣)، وعبد العزيز بن محمد بن سويلم العريني^(٤)، وحمد بن راشد^(٥)، ومن طلاب الإمام أيضاً: حفيده عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ^(٦).

والمقام لا يتسع لذكر أشهر طلاب الإمام، فضلاً عن حصرهم، وغالب من ذكروا قد تولوا القضاء وتصدوا للفتيا. أما طلاب الإمام الذين لم يتولوا القضاء، فيذكر الشيخ إبراهيم بن ضويان في مخطوطته (رفع النقاب عن تراجم الأصحاب) أنهم (يبلغون مائتين، وأخذ عنهم أضعاف أضعافهم)^(٧).

(١) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٩٦/١)، وعبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون [مرجع سابق] (٨٠٩/٣).

(٢) انظر عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٩٤/١)، وعبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون [مرجع سابق] (٣٩٨/٢).

(٣) انظر عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٩٤/١)، وعبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون [مرجع سابق] (٢١٤/١).

(٤) انظر عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٩٤/١)، وعبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون [مرجع سابق] (٤٦٣/٢).

(٥) انظر عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٩٤/١)، وعبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون [مرجع سابق] (٢٢٣/١).

(٦) انظر عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٩٤،٩٣/١).

(٧) إبراهيم بن ضويان، مخطوطة: رفع النقاب عن تراجم الأصحاب، [تصوير: مجلة الدارة،

سابعاً: مؤلفات الإمام:

حرص الإمام - رحمه الله - أشد الحرص على الدعوة العمليّة؛ فركز اهتمامه على التربية والتدريس والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أخذ ذلك جلّ وقته وغالب اهتمامه، ومع ذلك، فقد ترك - رحمه الله - ثروة علميّة كبيرة من المؤلفات النافعة المفيدة في موضوعات مختلفة، مثل: التوحيد والتفسير والحديث والفقه والسيرة النبوية .. إلا أن أبرز الموضوعات التي كتب فيها هي تلك التي تدور حول العقيدة وعلم التوحيد، حيث كان هذا الموضوع هو جوهر دعوته، التي ركّزت على أصول الدين، وبيان الانحرافات الواقعة في تلك الأصول.

وقد كان أسلوب الإمام في مؤلفاته سهلاً واضحاً، بعيداً عن التكلف أو استعمال المحسنات البديعية^(١)، والكلمات الشاذة والصعبة.

أما من حيث اللغة، فكانت مؤلفاته متفقة مع قواعد إعراب اللغة العربية، إلا في حالات نادرة، لأغراض معينة مثل بعض مراسلاته الموجهة للعوام^(٢). وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم^(٣)، بعض مؤلفات الإمام^(٤)، ومنها:

(١) هذا في الغالب، باستثناء الخطب التي كانت تظهر عليها بعض تلك المحسنات أحياناً، أما بقية كتاباته، فكانت بعيدة عن التكلف والصنعة.

(٢) سيأتي الحديث - إن شاء الله - عن أساليب الرسائل واللغة المستخدمة فيها في الفصل الثاني من هذا البحث.

(٣) المرجع السابق، (١٢/١٨).

(٤) سيأتي ذكر مؤلفات الإمام بالتفصيل في المبحث الثاني من هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

- ١- كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد .
 - ٢- كتاب كشف الشبهات.
 - ٣- كتاب أصول الإيمان.
 - ٤- كتاب فضائل الإسلام.
 - ٥- كتاب فضائل القرآن.
 - ٦- كتاب السيرة المختصرة.
 - ٧- كتاب السيرة المطولة.
 - ٨- كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه.
 - ٩- كتاب مختصر الإنصاف والشرح الكبير.
 - ١٠- كتاب مختصر الصواعق.
 - ١١- كتاب مختصر فتح الباري.
 - ١٢- كتاب مختصر الهدى.
 - ١٣- كتاب مختصر العقل والنقل.
 - ١٤- كتاب مختصر المنهاج.
 - ١٥- كتاب مختصر الإيمان.
 - ١٦- كتاب آداب المشي إلى الصلاة .
- وله رسائل علمية مختصرة ، وأجوبة ومسائل مستنبطة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، قامت مشكورةً (أمانة مؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله) بالناية بها وجمعها وطباعتها ضمن مجموعة مؤلفاته رحمه الله التي جُمعت في أحد عشر جزءاً.

ثامناً: وفاته (رحمه الله):

كانت وفاة الإمام - رحمه الله - في سنة ١٢٠٦ هـ؛ حيث يقول ابن غنام: (كان ابتداء المرض به في شوال، ثم كانت وفاته في يوم الاثنين من آخر الشهر)^(١)، وقد توفي رحمه الله عن عمر يناهز الثنتين والتسعين سنة؛ ولم يخلف رحمه الله ديناراً ولا درهماً، ولم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم^(٢). وقد رثاه الشعراء، وأثنى عليه العلماء، قال ابن قاسم عن يوم جنازته: (وكان يوماً مشهوداً وتراحم الناس على سريره، وصلوا عليه في بلدة الدرعية، وخرج الناس مع جنازته، الكبير والصغير)^(٣)، فرحمه الله رحمةً واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

ومن الملاحظ أن الباحث قد اختصر في بعض المواضع من [ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله] في حين فصل في المواضع الأخرى التي تخدم موضوع هذا البحث مثل: طلب الإمام للعلم، ورحلاته العلمية، وشيوخه، إذ أن إدراك هذه الجوانب بالذات في حياة الإمام يبين مدى أهمية الرسائل الشخصية التي كتبها صاحب هذه الترجمة، وأصالتها، والمكانة العلمية لكاتبها، وبالتالي مدى أهمية الدروس والفوائد التي تستفاد من دراسة هذه الرسائل، وأن الوسائل والأساليب التي استخدمها الإمام في هذه الرسائل إنما هي نابعة من اجتهاد عالمٍ فذٍ له إلمام واسع بنصوص الكتاب والسنة وإدراك عميق لقواعد الدين وفقه الدعوة إلى الله.

(١) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٥٤/٢).

(٢) المرجع السابق، (١٥٥/٢).

(٣) جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنوية، [مرجع سابق] (٢٠/١٢).

المبحث الثاني

(الرسائل) وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى واستخدام

الإمام (رحمه الله) لها

إن المتأمل للنصوص الشرعية يجد أن الله سبحانه وتعالى قد ربط بحكمته بين الأسباب والمسببات، وأمر بالأخذ بالوسائل المؤدية إلى الغايات، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة: ٣٥).

ولا شك أن لكل غاية مشروعة وسائل مشروعة موصلة إليها، وإن الدعوة إلى الله التي هي من أعظم الغايات لها وسائل مشروعة، سلكها الأنبياء، وسار عليها الدعوة، وأفادوا منها عبر الأجيال.

وقد استخدم الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - عدة وسائل دعوية، كان لها أعظم الأثر في نشر دعوته ونجاحها، وكانت وسيلة المراسلة من أبرز تلك الوسائل.

ولعل من المناسب أن يتم تناول هذا المبحث من خلال مطلبين:

المطلب الأول: الوسائل التي استخدمها الإمام في الدعوة إلى الله ومنها وسيلة المراسلة

المطلب الثاني: (المراسلة) مشروعيتها وخصائصها ومجالاتها.

المطلب الأول

الوسائل التي استخدمها الإمام في الدعوة إلى الله ومنها:

وسيلة المراسلة

ربما يحسن - قبل الحديث عن الوسائل التي استخدمها الإمام في تبليغ دعوته - أن تكون هناك وقفة يسيرة مع المقصود بوسائل الدعوة مع الإشارة إلى أنواعها وأحكامها، وعليه فسيتم تناول هذا المطلب على النحو التالي:

المسألة الأولى: مفهوم (الوسائل) وأنواعها وضوابطها الشرعية.

المسألة الثانية: الوسائل التي استخدمها الإمام في دعوته.

المسألة الأولى: مفهوم (الوسائل) وأنواعها وضوابطها الشرعية:

أولاً: مفهوم الوسائل:

الوسائل في اللغة: هي ما يُتَوَصَّلُ وَيُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ ، تقول: وسَل فلانٌ إلى الله بالعمل [يَسِلُّ] وسلاً: رغب وتقرَّب، ومفردُها وسيلة وهي الوُصْلَةُ والقربى وما يتقرب به إلى الغير^(١) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، أي: القربة إليه بطاعته^(٢). يقول ابن كثير: الوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود^(٣)، وقريب من هذا المعنى يقول الفخر الرازي: الوسيلة هي التوصل إلى تحصيل المقصود^(٤) وفي المفردات: الوسيلة: هي التوصل إلى الشيء برغبة^(٥) وجمعها الوُسُل والوسائل^(٦).

(١) انظر: ابن منظور الأفرقي ، لسان العرب ، [مرجع سابق] مادة (وسَل) (١١/٧٢٤) . وكذلك إبراهيم مصطفى ، وآخرين ، المعجم الوسيط ، [اسطنبول ، دار الدعوة، ١٤٠٦هـ] مادة وسَل (٢/١٠٣٢) ، والجوهري ، الصحاح ، [بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٣٣٩هـ] (٥/١٨٤١) ، والمصباح المنير ، [بيروت - مكتبة لبنان - ١٩٨٧م] مادة وسَلت (٢/٦٦٠) ، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، [بيروت - المكتبة العلمية - ب ت] (٥/١٨٥) .

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية ، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، [بيروت، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٢هـ] ص ٤٩

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، [بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ - ١٤٠٦هـ] (٢/٨٤)

(٤) الإمام الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، [بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ب ت] (٦/٢٢٠) .

(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، [بيروت، دار المعرفة ، ب ت] (ص ٥٢٣) .

(٦) الجوهري، الصحاح، [مرجع سابق] مادة وسَل (٥/١٨٤١) .

فالوسيلة في اللغة إذا هي ما يتوصل به إلى الشيء.

أما في الاصطلاح: فقد عرفها كثير من العلماء بعدة تعريفات، منها:
 - ما ذكره الدكتور: محمد أبو الفتح البيانوني من أن الوسيلة: (هي ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية)^(١).
 وما ذكره د. عبدالكريم زيدان من أنها: (كل ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله تعالى على نحو نافع مثمر)^(٢).
 - وعرفها د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي بقوله: إن الوسيلة في الدعوة أو الاتصال الدعوي هي: (القناة الموصلة للغاية، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس)^(٣).

وعلى ذلك يتضح لنا أن وسائل الدعوة تطلق على: الأدوات المادية أو المعنوية التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ الدعوة للمدعو.
 ثانياً: أنواع الوسائل:

رغم كثرة الآراء وتباينها حول أنواع وسائل الدعوة وأقسامها^(٤) إلا أنه من الممكن التقريب بين وجهات النظر في هذه المسألة عن طريق النظر إلى

(١) د. محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، [بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ-ص٤٨]

(٢) د. عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، [مصر، دار الوفاء، ط٦، ١٤١٣هـ-ص٤٤٧]

(٣) د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام [الرياض - دار عالم الكتب - ط الأولى ١٤١٥هـ-ص٢٩].

(٤) انظر مزيداً من التفصيل في أقسام وسائل الدعوة عند: عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، ص(٤٧٠)، وتوفيق الواعي، الدعوة إلى الله، [الكويت، مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠٦هـ-ص(٢٤١)]، و د. علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله، [مصر - دار الوفاء - ط الثالثة ١٤١٢هـ-ص(٢٣٤)].

اعتبار كل تقسيم وتحديد موجه، ومن هذا المنطلق يمكن تقسيمها بعدة اعتبارات، منها:

أ- بالنظر إلى نوع الجهد الذي يقوم به الداعي:

- ١- وسيلة التبليغ بالقول: كالخطبة والمحاضرة، والدرس والفتيا، والنصيحة الفردية، والرسالة والكتاب، والاحتساب باللسان.
- ٢- وسيلة التبليغ بالعمل: كالجهاد، وتغيير المنكرات باليد، وتوزيع الكتب الدعوية، والهدية، وتأليف القلوب بالمال، وبناء المراكز الإسلامية والمساجد، ونحو ذلك.

ب- بالنظر إلى طبيعة اللقاء مع المدعو:

- ١- وسائل مباشرة : وهي قسمان:
 - أ- وسائل مباشرة (بالقول): كالخطبة والمحاضرة والدرس والاحتساب باللسان ..
 - ب- وسائل مباشرة (بالعمل): كالجهاد، وتغيير المنكرات باليد، وتوزيع الكتب ..
- ٢- وسائل غير مباشرة : وهي أيضاً قسمان:
 - أ- وسائل غير مباشرة (بالقول): كالرسالة والكتاب وأشرطة التسجيل والإذاعة والتلفاز، والحاسوب ...
 - ب- وسائل غير مباشرة (بالعمل): كالتخطيط، وأخذ الحيطة لحماية الدعوة، والاستعانة - بعد الله - بأهل الخبرة والمكانة.

ج - ومن حيث الأدوات والقنوات التي يستخدمها الداعي:

- ١- وسائل سمعية: كالإذاعة والأجهزة الصوتية والهاتف.
 - ٢- وسائل مقروءة: كالصحف والمجلات والكتب والنشرات والرسائل.
 - ٣- وسائل بصرية: كالتلفاز والفيديو.
 - ٤- وسائل شخصية أو فطرية: مثل المقابلة الفردية.
- وعلى أية حال، فإن هذه التقسيمات أو تلك إنما هي تقسيمات اجتهادية، والأمر فيها -على ما يبدو- واسع، ولكل باحث أن يختار منها، أو من غيرها، ما يتناسب مع طبيعة بحثه، ومع ما توافر لديه من مادة علمية، شريطة أن يكون لتقسيمه وجه معقول.
- وستكون العمدة في هذا البحث على التقسيم الأول؛ لكون البحث يتعلق بشخصية محددة، ويكشف عن أوجه النشاط الدعوي الذي قامت به هذه الشخصية، ولأن هذا التقسيم يتناسب مع طبيعة المادة العلمية التي جمعت في هذا الجانب.

ثالثاً: الضوابط الشرعية لوسائل الدعوة:

إن من أبرز المسائل التي يكثر تناولها بين الدعاة: مسألة حكم التجديد في وسائل الدعوة، وهل وسائل الدعوة توقيفية أم اجتهادية؟ وما هي الضوابط التي تضبط هذه الوسائل؟

إن وسائل الدعوة هي أدواتها - كما تقدم - والأدوات قابلة للتبديل والتغيير بتغير الزمان والمكان، كآلات الحرب والزراعة والكتابة والنقل

- وغيرها. وبناءً على ما قرره العلماء^(١)، فإن وسائل الدعوة ليست توقيفية، بل هي اجتهادية متجددة ولكنها مضبوطة بضوابط شرعية منها:
- ١- أن كل وسيلة نصّ الشرع على مشروعيتها، فهي وسيلة مشروعة.
 - ٢- أن كل وسيلة نصّ الشرع على منعها، فهي ممنوعة.
 - ٣- أن كل وسيلة سكت الشرع عنها، فهي مباحة، بناءً على أن الأصل في الأشياء الإباحة، ما لم يتبين أن استخدامها يؤدي إلى مفسدة أكبر.
 - ٤- ينبغي خروج الوسيلة عن كونها شعاراً للكافر.
 - ٥- قد يُترخّص في استعمال بعض الوسائل الممنوعة في بعض الأحوال؛ وذلك تغليياً لجانب درء المفسد على تحقيق المصالح؛ أو تقديم أخف المفسدتين.. كما جرى في الترخيص بالكذب في عدة مواطن؛ كقوله ﷺ: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً)^(٢)، وزاد

(١) أفتى سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - في أكثر من مناسبة بأن وسائل الدعوة اجتهادية وليست توقيفية، وبين رحمه الله أن (الدعوة - من حيث العلم - توقيفية، أما وسائل إيصالها فهي اجتهادية). ذكر سماحته هذه الفتوى في أحد دروسه التي يعقدها في منزله بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع، وهي مسجلة في شريط صوتي بتاريخ ١١/٥/١٤١٨ هـ، كما أفتى الشيخ محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله - بذلك أيضاً، وسيأتي نص الفتوى. انظر: محمد بن عبدالعزيز المسند، فتاوى إسلامية، [الرياض، دار الوطن، ط ١، ١٤١٥ هـ] [٤/٢٩٥]. وانظر التحقيق في هذه المسألة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، [مرجع سابق] ص ٢٨٥ - ٣٠٠.

(٢) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] [كتاب: الصلح، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس] [ك ٥٧ - ب ٢ - ح ٢٥٤٦] [٢/٩٥٨].

مسلم في رواية: (ولم أسمع به يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: تعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها)^(١).

وهذا الضابط يختلف عن المبدأ القائل (الغاية تبرر الوسيلة) من عدة وجوه؛ منها:

أ- إن المحرم والمبيح في الإسلام هو الشارع نفسه توسعةً على عباده، أما التسوية عند غير المسلمين فمتروك لاجتهاداتهم وأهوائهم.

ب- إن الغاية التي أبيحت من أجلها بعض الوسائل الممنوعة هي غاية محمودة دائماً في نظر الشارع، وليست مجرد مصلحة شخصية يراها المرء محموداً، وربما كانت مذمومة عند الآخرين.

ج- إن الترخيص في الإسلام مقيد بحال الضرورة الملجئة، أو الحاجة الملحة كما أن الضرورات تقدر بقدرها، وليس الأمر مطلقاً كما هو عند غير المسلمين^(٢).

وبالجملة؛ فإن وسائل الدعوة - بعد مراعاة ما ذكر من الضوابط - تبقى (من موارد الاجتهاد ومسائل السياسة الشرعية، التي تدور في فلك الموازنة

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم، [بيروت - دار ابن حزم - ط الأولى ١٤١٦هـ] كتاب: (البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكذب وبيان المباح منه) [ك ٤٥ - ب ٢٧ - ح ٢٦٠٥] (١٥٩٦/٤).

(٢) انظر مزيداً من التفصيل حول ضوابط مشروعية وسائل الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، [مرجع سابق] ص ٢٨٥-٣٠٠.

بين المصالح والمفاسد ، ولا وجه فيها لتبديع المخالف أو القدح في دينه وعدالته، ويجب أن ينطلق العمل الإسلامي فيها بما يقرره أهل الشورى من أهل العلم وأهل الخبرة، وأن يُدرك أن تفاوت الاجتهادات فيها إنما هو من قبيل التفاوت في تقدير المصالح والمفاسد، وهو جهد بشري لا عصمة فيه لأحد ولا قداسة فيه لاجتهاد دون اجتهاد، ولا ثبات على اجتهاد فيه إلى الأبد، بل هو مما تتغير فيه الفتوى بتغير الزمان والمكان والأحوال^(١).

وقد سئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين - حفظه الله - عن وسائل الدعوة حيث يقول السائل: هل تعتبر وسائل الدعوة إلى الله عز وجل وسائل توقيفية، بمعنى أنه لا يجوز الاستفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة كوسائل الإعلام وغيرها بل يُكتفى بالوسائل التي استخدمت في عهد الرسول ﷺ؟

فأجاب فضيلته قائلاً: (يجب أن نعرف قاعدة، وهي أن الوسائل بحسب المقاصد كما هو مقرر عند أهل العلم؛ أن الوسيلة لها أحكام المقصد ما لم تكن هذه الوسيلة محرمة، فإن كانت محرمة فلا خير فيها، وأما إذا كانت مباحة وكانت توصل إلى ثمرة مقصودة شرعاً فإنه لا بأس بها)^(٢).

وقال فضيلته في جواب آخر لسؤال مشابه: (والنبي ﷺ كذلك يقول أبلغ

(١) د . صلاح الصاوي ، الثواب والتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر [القاهرة - دار الإعلام الدولي - ط. الأولى ١٤١٤هـ] - (ص ٣٢٤) .

(٢) محمد بن عبدالعزيز المسند ، فتاوى إسلامية ، [الرياض ، دار الوطن ، ط١ ، ١٤١٥هـ]

الأقوال موعظةً، فقد كان يعظ أصحابه أحياناً موعظةً يصفونها بأنها وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون.. فإذا تمكن الإنسان من أن تكون عظته بهذه الوسيلة، فلا شك أن هذه خير وسيلة، أي بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.. وإذا رأى أن يضيف إلى ذلك أحياناً وسائل مما أباحه الله، فلا بأس بهذا، ولكن بشرط أن لا تشتمل هذه الوسائل على شيء محرم كالكذب، أو تمثيل دور الكافر مثلاً في تمثيلات، أو تمثيل الصحابة رضوان الله عليهم أو الأئمة.. أئمة المسلمين من بعد الصحابة، أو ما أشبه ذلك، مما يُخشى من أن يزدري أحدٌ من الناس هؤلاء الأئمة الفضلاء... والمهم أنه إذا أخذ بشيء من هذه الوسائل أحياناً من أجل التأليف، ولم يشتمل هذا على شيء محرم، فلا أرى به بأساً^(١).

- أحكام وسائل الدعوة :

وإذا قرّر أن وسائل الدعوة اجتهادية، فإنه يمكن أن يقال : إن أحكام وسائل الدعوة تندرج تحت أقسام الحكم التكليفي الخمسة^(٢)،.. فمنها الواجب والمستحب والمباح والمكروه والمحرم^(٣):

(١) المرجع السابق ، (٤/٢٩٢) .

(٢) يفهم ذلك من خلال فتاوى العلماء حول بعض الوسائل ، وما كتبه بعض أهل العلم - متفرقاً - عن أحكام بعض وسائل الدعوة ، حيث بينوا أن منها الواجب ، ومنها المحرم ، ومنها... الخ. انظر: محمد بن عبدالعزيز المسند ، فتاوى إسلامية ، [مرجع سابق] (٤/٢٩٥) و د . محمد أبو الفتح البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة ، [مرجع سابق] (ص ٢٨٦ - ٣٠) .

(٣) انظر : عبد القادر بن أحمد الدومي الدمشقي ، نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر وجنة المناظر ، [بيروت - دار الحديث - ط الأولى ١٤١٢ هـ] (١/٧٧) .

- فالوسائل الواجبة: هي ما توعد الشارع بالعقاب على تركها؛ مثل وسيلة الجهاد في سبيل الله إذا توفرت أسباب وجوبه، حيث نصّ الفقهاء على تعيين وجوبه (في ثلاثة مواضع:

أحدها: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان، حرم على من حضر الانصراف، وتعين عليه المقام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقوله: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ. وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].
الثاني: إذا نزل الكفار ببلد، تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

الثالث: إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ ائْتِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]، الآية، وقال النبي ﷺ: (إذا استنفرتم فانفروا) (١) (٢).

- والوسائل المستحبة: هي التي ندب إليها الشرع، ولم يذم تاركها، ففاعلها مثاب، وتاركها غير معاقب (٣)، مثل: ابتداء السلام على المدعو

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] [كتاب الجهاد والسير - باب: وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية] (ك ٦٠ - ب ٢٧ - ح ٢٦٧٠) (٣/١٠٤٠).

(٢) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، المغني [الرياض - مكتبة الرياض الحديثة - ب ت] (٣٤٦/٨ - ٣٤٧).

(٣) موفق الدين ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجنة المناظر، [مرجع سابق] ص ٢٣.

لتأليف قلبه، فإن ذلك من أنجح وسائل الدعوة، حيث إن السلام - كما قال الإمام النووي - (هو مفتاح استجلاب المودة)^(١)، وهو أمر مستحب لا واجب، قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّمُ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]: (.. والسلام خلاف الردّ، لأن الابتداء به تطوّع، ورده فريضة)^(٢).

- والوسائل المباحة: هي التي أذن الله في فعلها وتركها دون أن يقتزن ذلك بدم فاعلها أو تاركها ولا مدحه^(٣)، ويدخل فيها بطبيعة الحال (أي وسيلة دعوية لم ينصّ الشارع على مشروعيتها، ولم يأت بالنهي عنها، وإنما سكت عنها، فتدخل في دائرة الإباحة، بناءً على أن الأصل في الأشياء الإباحة، فيسع الداعية استخدامها في دعوته.

ذلك لأن النصوص الشرعية محدودة مهما كثرت، والوسائل متجددة متطورة مع تعاقب الأزمان، فلا يمكن أن تستوعب النصوص الحديث عنها، كما هو الشأن في وسيلة مكبر الصوت، والمذياع وغيره من المخترعات الحديثة.. فالأصل في هذا النوع من الوسائل: الإباحة، ما لم يعرض له عارض يخرج عن ذلك الأصل^(٤)، كأن تقتزن به نية صالحة تدخله في باب المستحب أو الواجب، أو تقتزن به نية سيئة تدخله في باب المكروه أو المحرم.

(١) الإمام النووي، شرح صحيح مسلم [بيروت - دار القلم - ط الأولى - ب ت] [٣٩٥/١].

(٢) الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن [بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤١٣ هـ] [١٩٢/٥].

(٣) موفق الدين ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجنة المناظر، [مرجع سابق]، ص ٢٤.

(٤) د. محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، [مرجع سابق] ص (٣٠١).

- الوسائل المكروهة: هي التي نهى الشارع عنها تنزيهاً، ولا يتعلق بفعلها عقاب^(١).

ومن أمثلة ذلك: الإطالة في الخطب والمواعظ بما يفضي إلى إدخال الملل والسآمة على المدعوين لغير حاجة معتبرة شرعاً، وقد قال ﷺ: (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحراً)^(٢). ولا يقال هنا إن الأمر يقتضي الوجوب، ويقتضي تحريم إطالة الخطبة والموعظة بإطلاق؛ لوجود قرينة صارفة، حيث ثبت عنه ﷺ أنه يطيل الخطبة أحياناً للحاجة، فقد روى الإمام مسلم عن أبي زيد ﷺ، قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبر بما كان وما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا)^(٣). وعليه، فيجوز إطالة الخطبة والموعظة لحاجة معتبرة شرعاً، ويكره ذلك لغير حاجة، وربما يجرم إذا كان يترتب عليه منكر أعظم.

(١) موفق الدين ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجنة المناظر، [مرجع سابق]، ص ٢٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عمار بن ياسر، انظر: مسلم، صحيح مسلم، [كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة] (ك ٧ ب ١٣ ح ٨٦٩) (٤٩٧/٢).

(٣) الإمام مسلم، صحيح مسلم [مرجع سابق]، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، [ك ٥٢ - ب ٦ - ح ٢٨٩٢] (١٧٥٧/٤).

- والوسائل المحرمة: ضد الواجبة^(١)، وهي التي يعاقب فاعلها ويذم شرعاً؛ مثل الكذب المحرم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥].

وكذلك مداهنة المدعو في نهيهِ عن الشرك، مراعاةً لرغبته، قال تعالى: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ * وَذُؤَا لُؤُتْ دِهْنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٨، ٩]، فإن الله سبحانه وتعالى حذّر نبيه ﷺ في هذه الآية (ونهاه سبحانه عن ممايلة المشركين)^(٢)، إذ أنه لا مراعاة ولا مداهنة في الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، ولا يجوز بحال أن يستخدم الداعية هذه الوسيلة المحرمة^(٣).

وبالجملة، فإنه لا شك في ضرورة أن يتفقه الداعية في دين الله، وأن يعرف الأحكام الشرعية للوسائل التي يستخدمها، حتى لا يقع في وسائل ممنوعة نهى عنها الشرع تحريماً أو كراهةً، فإن الدعوة بلا علم كثيرة الآفات، محققة البركة.

(١) موفق الدين ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجنة المناظر، [مرجع سابق]، ص ٢٦.

(٢) الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن [مرجع سابق] (١٥٠/١٨)، ومحمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير [لبنان - دار الفكر - ١٤٠٣هـ]، (٢٦٨/٥).

(٣) انظر: كلاماً نفيساً في هذه المسألة: د. فضل إلهي، من صفات الداعية: اللين والرفق [باكستان - إدارة ترجمان الإسلام - ط الثانية ١٤١٢هـ] (ص ٨ - ١٠).

المسألة الثانية: الوسائل التي استخدمها الإمام في دعوته:

أما عن الوسائل التي استخدمها الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في دعوته، فهي كثيرة، ويمكن تقسيمها إلى نوعين كما يلي:

(١) وسائل تبليغ الدعوة (بالقول).

(٢) وسائل تبليغ الدعوة (بالعمل).

أولاً: وسائل تبليغ الدعوة (بالقول):

وهي إما أن تكون وسائل مباشرة، أو وسائل غير مباشرة، وعليه فيمكن تناولها على النحو التالي:

أ- الوسائل (المباشرة) لتبليغ الدعوة (بالقول):

وفي هذا القسم يصل المحتوى من الداعي إلى المدعو بالمشافهة واللقاءات المباشرة، ويجمعهما نفس الزمان والمكان، ولهذا النوع من الوسائل غالباً أهميته الخاصة، وتأثيره العميق على المدعو، وحمله على التسليم والإذعان، ومن أبرز أنواع المشافهة:

١- الخطابة :

أدرك الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- أهمية هذه الوسيلة وشدة تأثيرها على المدعويين، فحرص رحمه الله على استغلالها، فكان يلقي الخطب التوجيهية والوعظية في المناسبات المختلفة، وكان يدعو الناس إلى الاجتماع أحياناً لإلقاء خطبة حول الموضوعات ذات الأهمية الخاصة^(١)، حيث يذكر

(١) انظر : مسعود الندوي ، محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه ، [مرجع سابق]

ابن بشر وابن غنم في حوادث سنة ١١٩٠هـ عن سليمان بن عبد الوهاب أخى الإمام الذي كان من المعادين له ولدعوته - أنه رجع إلى أخيه بالدرعية تائباً فأحسن إليه الإمام وأكرم وفادته^(١)، وفي تلك السنة جمع الإمام المسلمين من الأطراف والنواحي، وألقى عليهم خطبة شرح فيها دعوته بصورة واضحة صريحة^(٢).

وكان رحمه الله - بالإضافة إلى ذلك - يتولى إلقاء خطب الجمعة والعيدين، وقد تميزت خطب الجمعة التي كان يلقيها الإمام - رحمه الله - بعدة مزايا تظهر بوضوح لمن تأمل تلك الخطب^(٣)، ومن هذه المزايا:

الإيجاز: فكانت خطبه - رحمه الله - قصيرة موجزة بليغة لا يتجاوز إلقاءها بضع دقائق، فقد طبع منها ٣٨ خطبة، لم تستغرق كلها أكثر من ٦٤ صفحة فقط، أي أن كل خطبة لا تتجاوز صفحتين من المقاس المتوسط، ولا شك أن ذلك يدل على قصرها ووجازتها، خاصة إذا ما قورنت بخطب أغلب الخطباء اليوم، ولا ريب أن هذه الميزة في خطبه تدل على فقهه رحمه الله وشدة متابعته للسنة، فقد قال ﷺ: (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته

(١) انظر: حسين بن غنم، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٩٥/٢) وعثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٦٥/١).

(٢) انظر: مسعود الندوي، محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتى عليه، [مرجع سابق] (ص ٥٠).

(٣) هذه الخطب طبعت ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - حيث قامت جامعة الإمام مشكورة بطباعتها وإخراجها، وتوجد في ملحق المصنفات (المجلد الحادي عشر) تحت عنوان (الخطب المنبرية للشيخ محمد بن عبد الوهاب) وقد جاء في هذا المصنف (٣٨) خطبة منها خطبتنا عيد والباقي خطب جمعة وتقع في ٦٤ صفحة.

مِئْتَةٌ^(١)، من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحراً^(٢).

كما تميزت خطبه - رحمه الله - بالتزامه فيها بالبداة (بالحمد لله)، تأسياً واقتداءً بالنبي ﷺ، فعن جابر رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يخطب الناس، يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وخير الحديث كتاب الله ...)^(٣).

وتميزت خطبه أيضاً بكثرة استشهاده بالنصوص الشريفة، مما أكسب تلك الخطب بهاءً ووقاراً وقوةً في التأثير، كما أنه كان يختم كل خطبة بآيات من كتاب الله تناسب موضوع الخطبة.

أما موضوعات الخطب، فكانت وعظية، تربط القلوب بالخالق سبحانه وتعالى، وتربي المدعوين على مراقبة الله سبحانه ومحبته وخشيته، كما كان يركز على القضايا العقدية، حتى إنه خصص إحدى الخطب لشرح معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وكان يستغل الخطب أحياناً للتعليم بأسلوب سهل ميسر، وقد كان رحمه الله كثيراً ما يزين خطبه بشيء من السجع غير المتكلف ليضيف إلى جودة المعنى جمال المبني وحسن الصياغة، خاصة وأن

(١) مئنة: أي علامة على فقهه، ومئنة أن يكون كذا أي خليق وجدير أن يقال فيه أنه كذا، والمعنى أنه خليق أن يوصف بالفقه، انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، [مرجع سابق] مادة (أئن) (ص ١٥١٩).

(٢) سبق نخرجه (ص ١١١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، مسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق] [كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة] (ك ٧٣ ب ١٣ ح ٨٦٧) (٤٩٦/٢).

عامّة الناس - في ذلك الوقت - قد اعتادوا على هذا الأسلوب وألفوه في الخطب.

٢- الدروس :

حرص الإمام على هذه الوسيلة منذ وقت مبكر، وكان لها أثر بالغ، ونتائج طيبة على الدعوة بشكل عام.. ولم يكن الإمام - رحمه الله - يكتفي بمجرد تفهيم الناس محتوى الدرس ومفهومه فقط، بل كان يهدف من وراء إقامة الدروس إلى أهداف أخرى ذات أهمية بالغة، منها توثيق الصلة بالمدعوين وإتاحة الفرصة لهم للسؤال والاستفسار عما يجول في أذهانهم وتربية طائفة منهم للقيام بالدور نفسه وتحمل أعباء الدعوة ونشرها، والتضحية من أجلها، بالإضافة إلى تقرير المفاهيم الصحيحة عن الإسلام، والقضاء على المفاهيم الخاطئة، وغرس القيم الفاضلة، وتعويد المدعوين على أدب الحوار، واستطلاع آرائهم - من قرب - في كثير من القضايا والمسائل.

وقد ذكر ابن غنام أن الإمام بمجرد أن رجع من رحلاته العلمية، وخط رحاله في حرملاء، شرع في إلقاء الدروس العلمية الجادة في الحديث والفقه والتفسير، إضافة إلى العقيدة، حتى ذاع صيته، وتقاطر الناس إليه من كل جانب، وانحاز لدعوته جمع غفير من الناس يحضرون دروسه ويقتدون بأقواله وأفعاله^(١)، حتى إنه رحمه الله أصبح بعد وفاة والده أكبر شخصية علمية في البلدة^(٢)، وأصبحت دروسه أو حلقاته العلمية هي أبرز الدروس في تلك البلدة وأكثرها حضوراً.

(١) انظر : حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٩١/٣٠) .

(٢) د. عبدالله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق] (ص٤٦) .

واستمر - رحمه الله - في العناية بهذه الوسيلة في جميع مراحل دعوته، حتى قدم إلى الدرعية، فوفد إليه الطلاب من كل جانب، وتركوا بلادهم لطلب العلم ونصرة الإمام^(١)، وكانوا في حاجة شديدة، فكان الإمام - رحمه الله - يتحمل الدين الكثير في ذمته لمؤنتهم وما يحتاجون إليه^(٢)، وكان بعضهم يحترفون حرفة بالليل، ويتفرغون للدروس في النهار، وأصبحت دروس الإمام وحلقاته العلمية هي أبرز مظاهر الحياة العلمية في الدرعية، وأضحت تلك الدروس هي أهم أسباب وفود كثير من الناس إلى الدرعية. وازدادت عناية الإمام بحلقات الوعظ والدروس، وأصبح يعلم القادمين إليه علم الكتاب والسنة من الصباح إلى المساء، وكان يجعل جلّ اهتمامه وتركيزه على دعوة التوحيد، وإخلاص العبادة لله، وترسيخها في قرارة النفوس^(٣).

وقد آتت تلك الدروس ثمارها، فنقل إلينا ابن غنام عدة أسماء من أولئك الذين تتلمذوا على هذه الحلقات، وأصبحت لهم آثار واضحة في مسار الدعوة، فمنهم: أحمد بن سويلم، وعيسى بن قاسم، اللذان توليا بدورهما إقامة دروس علمية في مناطق متفرقة بتكليف من الإمام، كما برز من الوجهاء والأعيان إخوة محمد بن سعود الثلاثة: مشاري، وثنيان، وفرحان،

(١) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١٣/١).

(٢) المرجع السابق (١٥/١).

(٣) مسعود الندوي، محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتى عليه، [مرجع سابق]

وكذلك محمد الحزيمي، وعبد الله بن دغيشر، وسليمان الوشيقري، ومحمد بن حسين^(١).

وقد نتج عن وسيلة (الدروس العلمية) أن تخرج جيل من العلماء والدعاة الذين وجههم الإمام ليقوموا بالدور نفسه، فكان أن ظهرت نتيجة لذلك وسيلة دعوية أخرى، أولها الإمام أهمية خاصة، وهي وسيلة:

٣- إرسال المعلمين والدعاة :

وقد ازدادت الحاجة إلى هذه الوسيلة خاصة بعد انتشار الدعوة، وذيوع صيتها، وتضاعف عدد أنصارها من البلدان المتباعدة، وكذلك أهل البادية الذين (دخلوا في دين الله، وقبلوا الحق، ونشر الإمام فيهم الدعوة، وأرسل إليهم المرشدين والدعاة في الصحراء والبادية، كما أرسل المعلمين والمرشدين والقضاة إلى المدن والقرى، حتى عمّ هذا الخير العظيم والهدى المستبين نجداً كلها، وانتشر فيها الحق)^(٢).

ففي سنة ١١٦٧ هـ أرسل الإمام - رحمه الله - أحد العلماء - وهو: الشيخ عيسى بن قاسم - إلى الرياض ليقوم بتعليم الناس أحكام الدين، فاجتهد هذا العالم في تعليم العلم ونشر التوحيد، وانتفع به من أهل الرياض خلق كثير؛ حتى إنهم - لشدة محبتهم لهذا الدين وشدة تمسكهم به - هاجروا معه من الرياض لما نبذ دهام بن دواس العهد، ونقض الميثاق^(٣)، وتركوا أموالهم وأملاكهم، وضحوا بذلك كله في سبيل هذا الدين.

(١) المرجع السابق، (ص ٤٤).

(٢) سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز، الإمام محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] (ص ٣٠).

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] [١٩/٢].

وكذلك كان أحد تلاميذ الإمام، وهو: الشيخ موسى بن سليم، يمارس الدعوة ويقوم بنشر التوحيد في منفوحة والدرعية وغيرها من البلدان، بواسطة قراءة رسائل الإمام على المدعويين^(١).

كما أن الإمام أرسل وفداً من طلابه، ومعهم عبدالرحمن الشنيفي، ليقوموا بدعوة سليمان بن سحيم ومذاكرته وتوضيح التوحيد له ولأتباعه^(٢).

وفي سنة ١١٩٠هـ وفد أهل اليمامة وأميرهم حسن البجادي، وبايعوا الإمام محمداً والأمير عبدالعزيز على دين الله ورسوله، فأرسلوا معهم معلماً يعلمهم التوحيد، هو الشيخ حمد العريني^(٣).

وفي سنة ١١٨٥هـ أرسل الإمام محمد والأمير عبدالعزيز إلى والي مكة (الشريف أحمد بن سعيد) هدايا وكان قد كتبهم وراسلهم، وطلب منهم أن يرسلوا فقيهاً عالماً من جماعتهم يبين لهم حقيقة ما يدعون إليه من الدين، وينظر علماء مكة، فأرسلوا إليه الشيخ عبدالعزيز بن حصين، ومعه رسالة منهما، وناقش علماء مكة في عدة مسائل؛ مثل مسألة التكفير، وهدم البناء على القبور، ودعاء الأموات، وأظهر أدلته، وعاد مكرماً^(٤).

(١) من رسالة أرسلها الشيخ لسليمان بن سحيم، مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٢٨/٥).

(٢) المرجع السابق (٢٢٩/٥).

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٩٦/٢).

(٤) المرجع السابق (٨١/٢).

وكان حسن بن عيدان من أتباع الإمام الذين تولوا الدفاع عن دعوته في الوشم، وكان محمد بن صالح يجادل سليمان بن سحيم في مجلس زعماء من بلدة الرياض^(١).

وفي سنة ١١٧٠هـ وفد أهل ثادق، وبايعوا على دين الله ورسوله، وطلبوا معلماً يقرر لهم التوحيد وأصول الإسلام، فأرسل الإمام معهم تلميذه حمد بن سويلم، وهو من أهل الدرعية^(٢).

ومن الوسائل المباشرة التي استخدمها الإمام، والتي تندرج تحت وسيلة التبليغ بالقول وما يحصل بالمشافهة واللقاءات المباشرة مع المدعو:

٤- الحوار والمناظرة :

لعل من أبرز الصعوبات التي واجهت الإمام في دعوته ؛ أن كثيراً من المبادئ الإسلامية التي دعا إليها الإمام - رحمه الله - كانت قد اندرست، وغفل عنها الناس، حتى إنها أصبحت خافية على كثير من طلبة العلم، ومن ينتسبون إلى العلم والعلماء، وأصبحت محل نقاش وجدل.

وحين أدرك الإمام - رحمه الله - هذه الحقيقة؛ لم يتردد في استغلال الوسيلة الدعوية المناسبة لمثل هذه الفئة؛ وهي وسيلة الحوار والمناظرة.

ولا شك أن هذه الوسيلة من وسائل الدعوة التي أمر الله بها وحث على استخدامها، فقال: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وأثنى الله على قوة حجة

(١) المرجع السابق (٨١/٢).

(٢) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٣٥/١).

إبراهيم عليه السلام في جداله مع المدعويين فقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وحكى سبحانه ما كان يتميز به نوح عليه السلام من طول النفس في الحجة والجدل حتى ضاق به سفهاء قومه، فقالوا: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْذَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

وقد برع الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في هذه الوسيلة، حتى حير خصومه، وألجم مناوئيه، فقد رزقه الله قوة الحجة وحدة الذكاء، إلى جانب ما من الله به عليه من سلامة المعتقد واستقامة المنهج، فلا يكاد يجادل أحداً حتى يفحمه^(١).

وكان - رحمه الله - يجادل كل إنسان وينظر بمذهبه.. إن كان شافعيًا، فبكلام الشافعية، وإن كان مالكيًا فبكلام المالكية، أو حنبليًا أو حنفيًا، وكذلك^(٢). وقد بدا هذا الأسلوب واضحاً في مناظرة الإمام لأهل الأحساء، حيث تميزت هذه المنطقة بالذات في تلك الفترة بالتعدد المذهبي^(٣)، فلبث - رحمه الله - عدة سنوات وهو يناظر ويحاور أهل الأحساء وغيرهم، كلاً بحسب مذهبه^(٤).

(١) انظر على سبيل المثال: هزيمة المويس وانقطاع حجته، واعترافه بذلك أمام الملأ، مجموع

مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٧٣).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٤٤/٥)، (٣٨/٥)، (١٥٧/٥).

(٣) د. عبد الله العنمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق] (ص ٣٩).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (١٤٤/٥).

وقد صرّح -رحمه الله- بأنه كان يستخدم وسيلة المناظرة، ويسدي استعداداً لاستخدامها في أي لحظة^(١)، بل ويحيل أحياناً إلى بعض المناظرات التي أجراها السلف^(٢).

وكان في مناقشاته وجداله مع الخصوم يستخدم عدة طرق، فهو تارة يبين ما وقع فيه الخصم من تناقضات في أقواله^(٣)، وأحياناً يواجه الخصم بما وقع به من أخطاء عملية^(٤)، ويستدل في بعض المواضع على الخصم باستخدام حججه ذاتها^(٥)، وكان رحمه الله يركز على الموضوع أو المسألة التي دار حولها الجدل ولا يجيد عنها، ويعرض بخصومه الذين يجيدون^(٦)، ويتهربون عن المواجهة، وإذا تعدد الخصوم، كان أحياناً يضرب أقوال بعضهم ببعض^(٧)، وكان رحمه الله يلتزم في مناظراته وجداله للخصوم بنصوص الكتاب والسنة^(٨)، وكان -رحمه الله- من أبعد الناس عن التعصب لشخص أو عالم

(١) انظر المرجع السابق، (٢٥٨/٥)، حيث يقول -رحمه الله- عن وجوب ترك التقليد من غير حجة ورد المسائل لله ورسوله: (وأنا على الأول أدعو إليه وأناظر عليه، فإن كان عندكم حق رجعنا إليه وقبلناه).

(٢) حيث يقول في رسالة أرسلها إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف: (وإن أردت النظر في أعلام الموقعين، فعليك بمناظرة في أثناءه عقدها بين مقلد وصاحب حجة) المرجع السابق، (٢٥٨/٥).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٨٨/٥)، (١٣٤/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق، (٢٢٧/٥).

(٥) انظر: المرجع السابق، (٢٢٩/٥).

(٦) انظر: المرجع السابق، (٢٤١/٥).

(٧) انظر: المرجع السابق، (٢٦٤/٥).

(٨) انظر: المرجع السابق، (٢٦٣/٥).

أو لوجهة نظر سابقة، بل كان رحمه الله في طلب الحق كناشد الضالة، فهو يقول عن نفسه (ولست - والله الحمد- أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل: ابن القيم، والذهبي، وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ).^(١)

ولقوته العلمية كان يستدل في كثير من المسائل بأقوال المذاهب الأربعة^(٢)، ولم يكن رحمه الله يهدر حقوق خصومه، بل يعترف بما عندهم من الإيجابيات^(٣)، ويثني على ما عندهم من الجوانب الحسنة، ويبيدي استعداداه لقبول ما عندهم من الحق^(٤)، ولم يكن يجادل في الفروع أو يقبل النقاش في المسائل الجزئية، حتى يضمن الاتفاق على الأصول والقواعد الهامة.

ولم يكن الإمام داعياً إلى استخدام هذه الوسيلة على وجه الإطلاق دون ضوابط، فقد كان يحذر - رحمه الله - من استخدام هذه الوسيلة - أعني وسيلة المناظرة والجدل - فيما يغضب المولى سبحانه وتعالى، ويحذر من المجادلة عن الكفار، أو الدفاع عنهم^(٥).

وكان - رحمه الله - يتحدى خصومه أن يناظروه أو يجادلوه لقوة حجته^(٦)، وثقته بالله سبحانه، ثم بما وهبه الله من العلم، وحادّة الذكاء،

(١) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/٢٥٢).

(٢) انظر : المرجع السابق، (١٧٧/٥) .

(٣) انظر : المرجع السابق، (٢٦٤/٥) .

(٤) انظر : المرجع السابق، (٢٧٦/٥) .

(٥) انظر : المرجع السابق، (١٨٨/٥) .

(٦) انظر : المرجع السابق، (٢٦٥/٥ - ٢٦٦ - ٢٧٧) .

وسلامة المنهج، وكان يعلل تلك القوة في الحجة والبيان، ويذكر أن سببها هو معونة الله للعبد بسبب توحيده له سبحانه والإخلاص له، حيث يقول رحمه الله: (والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: ١٧٣]، فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان)^(١). أ.هـ.

وكانت النتيجة لتلك المناظرات بيان الحق وإلجام الخصوم^(٢) وتقريرهم بأخطائهم^(٣)، ورجوع بعضهم عن ما كان عليه من الباطل^(٤).

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (باللسان):

وغالباً ما يكون ذلك بالقول والمشافهة المباشرة مع المدعو، ولا شك أن هذه الوسيلة - كما يقول الإمام الغزالي رحمه الله: (هي القطب الأعظم في الدين، وهي المهم الذي ابتعث الله به النبيين أجمعين، ولو طوي بسنائه، وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، واستشرى الفساد)^(٥).

وقد حرص الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - على استخدام هذه الوسيلة أشدّ الحرص، وأولاها جلّ عنايته واهتمامه منذ وقت مبكر، وضير

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (١٥٦/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٧٣/٥، ٢٤١).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢٢٩/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢٧٢/٥).

(٥) الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، [بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١،

على ما أصابه من البلاء بسبب إقامته لهذه الشعيرة وحمله للوائها، وقد سلك الإمام عدة مراتب لتغيير ما كان يرى من المنكرات (باللسان)، وهي:

– المرتبة الأولى: التعريف :

حيث كان الإمام يعرف مرتكب المنكر – إما بالتعريض، أو بالأسلوب المباشر – بأن هذا لا ينبغي، أو حرام أو شرك، أو نحوه، دون مواجهة بالنهي أو التوبيخ، وكثيراً ما كان رحمه الله يستخدم هذه المرتبة مع مرتكب المنكر الجاهل بالحكم الشرعي، ومن ذلك ما ذكره الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ عن جده الإمام محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – حيث يقول: (وكان شيخنا في ابتداء دعوته إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب قال: الله خير من زيد، ثميناً لهم على نفي الشرك بدين الكلام، نظراً إلى المصلحة وعدم النفرة)^(١)، وقد تحدّث الإمام – رحمه الله – عن الطريقة التي كان يستخدمها مع مشركي البصرة الغارقين في الجهل والبدع - في ذلك الحين - حيث يقول: (كان ناس من مشركي البصرة، يأتون إليّ بشبهات يلقونها عليّ، فأقول وهم قعودٌ لديّ: لا تصلح العبادة كلها إلا لله، فييهت كل منهم)^(٢). وهذا أيضاً من الإنكار بالتعريف بدون نهى أو توبيخ مباشر، وكانت هذه المرتبة هي الأنسب في ذلك الوقت مع هذا الصنف من الناس، الذين يحتاجون إلى نوع من التدرج واللين، لشدة بعدهم عما كان الإمام يدعو إليه، ومع ذلك لم ينج

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، مجموعة التوحيد [الرياض -

طبعة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - ب ت] (ص ٣٣٩).

(٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٨/١).

الإمام منهم، حيث أصبح أصحاب الشأن في المدينة يسعون في إيذائه، وينظرون إليه على أنه مشير للفتن، وكانت النتيجة أن اضطر إلى مغادرة البلاد^(١).

- المرتبة الثانية : النهي بالوعظ والنصح والتخويف من الله تعالى:

كان الإمام -رحمه الله- يستخدم هذه المرتبة في الغالب مع مرتكب المنكر، العارف بحكمه، فهو تارة يذكر المدعو بالجنة والنار، كقوله لعبدالله ابن عيسى: (فتضرع إلى الله بقلب حاضر، خصوصاً في الأسحار، أن يهديك للحق، ويريك الباطل باطلاً، وفرّ بدينك، فإن الجنة والنار قدامك^(٢))، والله المستعان^(٣))، وكتخويفه أحمد بن عبدالكريم من الخلود في النار إذا تابع المشركين، وعاونهم، من أجل أن ينمي ماله، وينفق بضاعته، ويربح فيها، وكأنه لا يعلم أن الرازق هو الله، فيقول له الإمام واعظاً ومرهباً: (وأشير عليك أنك تكثر من التضرع والدعاء إلى من الهداية بيده ، فإن الخطر عظيم، فإن الخلود في النار جزاء الردة الصريحة ما يسوى بضیعة^(٤))، تريح تومانا^(٥))، أو نصف تومان^(٦).

(١) المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٢) أي: أمامك.

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٣٠٥/٥).

(٤) تصغير بضاعة، وهي: ما أعد من المال للبيع والتجارة .

(٥) اسمٌ لنقد كان يتعامل به في ذلك العهد ، انظر : عثمان بن بشر عنوان المجد [مرجع سابق]

(المقدمة/ ج) .

(٦) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٢٤/٥).

وأحياناً يسلك الإمام طريقة تذكير المدعو وتحذيره من غضب الله تعالى،
فها هو يخاطب (أحمد بن إبراهيم) بطريقة الاستفهام الإنكاري، متعجباً من
معرفة بعض الناس للحق، وتركهم له، واتباعهم للباطل وأهله، خوفاً على
حظوظ الدنيا الفانية، وتغليلاً لخشية الناس على خشية الله تعالى، فيقول
الإمام مستفهماً ومتعجباً: (كيف يكون قدر الدين عندكم؟ كيف قدر رضا
الله والجنة؟ كيف قدر النار وغضب الله؟)^(١).

وربما ختم كلامه أحياناً بالتحذير من عذاب الآخرة، فيقول: (والنصيحة
لمن خاف عذاب الآخرة، وأما القلب الخالي من ذلك، فلا، والسلام)^(٢).
وفي بعض الأحيان نجده يذكر المدعو بفتنة القبر وعذاب البرزخ، وهول
المطلع، ورهبة الوقوف بين يدي جبار السموات والأرض، فيقول محذراً من
سبيل الغافلين، الذين يعرض أحدهم عن تعلم دين الله، وعما خلق له..
فيقول الإمام عن ذلك الرجل: (فما ظنك به إذا وضع في قبره، وأتاه الملكان،
وسألاه عما عاش عليه من الدين، ماذا يجيب؟ (هاه هاه لا أدري، سمعت
الناس يقولون شيئاً فقلته)^(٣)، وما ظنك إذا وقف بين يدي الله سبحانه،
وسأله: ماذا كنتم تعبدون، وبماذا أجبتم المرسلين، بماذا يجيب؟)^(٤).

(١) المرجع السابق (٢٠٧/٥).

(٢) المرجع السابق (١٩٧/٥).

(٣) هذه العبارة مقطوع من الحديث الذي رواه البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وانظر:
الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، بإشراف سميير المجدوب [بيروت، المكتب الإسلامي، ط ١،
١٤١٣هـ]، حديث رقم (١٨٤٩١) (٣٨٩/٤).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (١٧١/٥).

- المرتبة الثالثة : الغلظة بالقول:

وكان الإمام يلجأ إلى هذه المرتبة بعد أن يدرك أن أسلوب اللين لم يجد مع المدعو، فيغلظ الإمام له القول، ويشدد عليه ويزجره، مع مراعاة قواعد الشرع في ذلك ، وقد صرح الإمام في عدة مواضع بأنه لا يلجأ إلى الشدة إلا بعد أن لا تجدي الملاطفة.

فهو يقول لعبد الله بن سحيم^(١)، مبرراً غلظته في الكلام على خصم الدعوة المويس: (وأنت لا تلمني على هذا الكلام، تراني^(٢) استدعيته أولاً بالملاطفة، وصبرت منه على أشياء عظيمة، والآن أشرفت^(٣) منه على أمور ما ظننتها...)^(٤).

ولا شك أن هذه المرتبة - وهي مرتبة الغلظة بالقول - لها سندها الشرعي، وقد استخدمها الأنبياء عليهم السلام عندما دعت إليها الحاجة، فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يقول لقومه لما رأى ما هم عليه من الكبر والعناد ﴿أَفْ لَكُمْ وَلَكَمَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

ومع ذلك، فقد كان استخدام الإمام لمرتبة (الغلظة بالقول) قليلاً، فلم يكن يلجأ إليها إلا في مناسبات قليلة؛ إما مع خصم نشط الحركة، يُخشى

(١) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن محمد بن سحيم ، ولد في الجمعة ، وقرأ على علماء سدير ، وصار قاضياً على بلدان سدير ، وقد كتب له الإمام رسالتين مجيئاً فيهما على شبهات المويس وسليمان بن سحيم ، انظر : عبد الله البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون [مرجع سابق] (٥١٢/٢) .

(٢) يعني : فإنني استدعيته.

(٣) يعني : اطلعت.

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (١٤١/٥) .

على الدعوة من شره، أو عدو يبدو الأمل في إقناعه ضعيفاً جداً، فنرى الإمام مثلاً يبدأ رسالته إلى خصمه اللدود سليمان بن سحيم بالعبارة التالية: (الذي يعلم به سليمان بن سحيم أنك زعجت^(١) قرطاسة فيها عجائب، فإن كان هذا فهمك، فهو من أفسد الأفهام)^(٢). ويخاطبه فيها بقوله: (صار لكم عند جماعة في معكال، قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء)^(٣)، وقوله: (أنت رجل جاهل، مشرك مبغض لدين الله)^(٤)، ويتهمك بخصم الدعوة عبداً لله المويس فيصوره بصورة من يقول مرثياً ومتشعباً بما لم يُعط: (اعرفوني اعرفوني، تراي جاي من الشام)^(٥)، وأحياناً لا يذكره باسمه، بل يرمز إليه (بصاحب الشام) أو (شاميكم)^(٦).

– المرتبة الرابعة : التهديد والتخويف^(٧):

وهذه المرتبة هي آخر المحاولات المبذولة لنهي صاحب المنكر (باللسان)، ويعقبها بعد ذلك إيقاع الفعل^(٨)، وهذه المرتبة سندها الشرعي، فقد روى

(١) يعني : أرسلت ، فصيحة ، من (زعجه) أي : ألقه ، وطرده وقلعه من مكانه ، انظر :

الفيروز آبادي ، القاموس المحيط [مرجع سابق] مادة (زعج) (ص ٢٤٥) .

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٢٦/٥) .

(٣) المرجع السابق .

(٤) حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/١٠٠) .

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٥/٢٣٤) .

(٦) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/١٠٤) .

(٧) انظر مزيداً من التفصيل عن هذه المراتب والسند الشرعي لها، د. عبدالعزيز المسعود ، الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، [القاهرة، دار الكلمة الطيبة،

ط ١٣٤١هـ - (ص ٥١٩-٥٢٦) .

(٨) إيقاع الفعل والتغيير باليد سيأتي بحثه في الوسائل (العملية) لتبليغ الدعوة إن شاء الله تعالى.

الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ فقد ناساً في بعض الصلوات، فقال: (لقد هممت أن أمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها، فأمر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الخطب بيوتهم، ولو علم أحدهم أنه يجد عظماً سميناً لشهدها، يعني صلاة العشاء)^(١).

ولا شك أن في هذه العبارة من التهديد المباشر والتخويف للمدعو ما هو ظاهر للعيان، ولا يخفى أثر ذلك وثمرته، حيث أن بعض النفوس قد تضعف، وتسيطر عليها وساوس الشيطان، ولا يفيد معها إلا هذا الأسلوب من الإنكار.

وقد كان الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - يلجأ أحياناً إلى هذا الأسلوب، لشدة ما يلاقي من العناد والإصرار من قبل كثير من المدعوين، فنرى الإمام يخاطب خصم الدعوة سليمان بن سحيم، الذي لم ينفع معه اللين ولا الوعظ، ولا حتى الغلظة بالقول، فنراه يهدده هو وأباه - إذا لم يتوبا إلى الله ويكفّا عن محاربة دينه - بأن يفسي الناس بعدم الصلاة خلفهما، وعدم قبول شهادتهما، ووجوب عداوتهما^(٢)، بل إنه أحياناً إذا ضاق ذرعاً بخصومه المعاندين دعاهم إلى المباهلة^(٣)، تهديداً وتخويفاً، لردعهم عن

(١) مسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق] (كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها) [ك ٥، ب ٤٢، ح ٦٥١] (١/٣٧٧).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٥/٢٢٦).

(٣) المباهلة: هي التضرع والاجتهاد والمبالغة في الدعاء على الكاذب ولعنه، والبُهلة بالضم والفتح: الترك، ونبتهل أي نلن الكاذب منا، مثل ما فعل النبي ﷺ مع وفد نصارى نجران؛ حين أدرك أنهم عرفوا أنه رسول الله حقاً، ولكن لم يؤمنوا به جحوداً واستكباراً، فدعاهم =

الاستجابة لأهواء النفس، ونزغات الشيطان، فهو يقول: (وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع: إما إلى كتاب الله، وإما إلى سنة رسول الله ﷺ، وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عاند، دعوته إلى المباهلة كما دعا إليها ابن عباس في بعض مسائل الفرائض ..)^(١).

٦- الفتيا :

وهي أيضاً تدخل ضمن وسائل تبليغ الدعوة (بالقول)، ولها أعظم الأثر على المدعويين، متى تأهل لها الداعي، وأصبح جديراً أن يستخدمها بما حازه من علم وفقه في دين الله تعالى، فكم من فتوى صدرت من عالم ورع تقي كان لها أعظم الأثر في هداية أقوام وتوبة آخرين.

وقد بذل الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- جهوداً مضيئة في التزود من العلم، والرحلة في طلبه، ودرس على أبرز علماء عصره، وأغزرهم علماء، ثم أكب على قراءة الأمهات من كتب السلف وعلماء هذه الأمة وجهاً بذتها، حتى أصبح خليقاً أن يتصدى للفتيا، ويجلس لإرشاد الناس، ويتصدر للإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم.

= للمباهلة فنكلوا وخافوا ورضوا بالجزية، انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، [بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ] (١/٥٥٠) والإمام البغوي، معالم التنزيل، [الرياض، دار طيبة، ط٢، ١٤١٤هـ] وتفسير أبي السعود، [بيروت، دار إحياء التراث العربي، د، ت] (٤٦/٢).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٢٦/٥).

ونظراً لسمو مكانة الإمام بين العلماء في زمنه وشهرته وذيوع صيته، فقد كان لفتاواه صدًى كبيراً بين الناس منذ بداية دعوته، ويدل على ذلك أن بعض فتاواه كانت تُحدثُ جدلاً وتساؤلاتٍ بين العلماء، وطلبة العلم خارج البلد التي كان فيها الإمام، مثل ما حدث لإحدى فتاوى الإمام عندما كان في العيينة، فقد أفتى بكفر بعض الطواغيت، الذين زينوا للناس أن يصرفوا لأشخاصهم بعض أنواع العبادة التي لا تنبغي إلا لله، فأثار ذلك جدلاً عند بعض العلماء خارج العيينة، حتى إن الإمام أرسل رسالة إلى مطاوعة الدرعية يوضح لهم ما أشكل عليهم حول هذه الفتوى، ويبين أدلتها الشرعية^(١)، وكانت هذه الفتاوى وأشباهها - بعد توفيق الله - سبباً في هداية كثير من الناس، وإيقاظهم من غفلتهم.

ولم يكن الإمام في فتاواه متعصباً لرأيه، أو متنقصاً لآراء غيره من العلماء، بل كان متواضعاً، حريصاً على معرفة الحق أياً كان مصدره، فهو يقول عن نفسه في فتاواه: (فإني لا أدعي العصمة)^(٢)، ويقول مخاطباً بعض العلماء وطلبة العلم، طالباً منهم عدم التردد في تصويبه إذا وقع في الخطأ: (فإذا أفتيت أو عملت بشيء وعلمتم أنني مخطئ، وجب عليكم تبيين الحق لأخيك المسلم)^(٣).

إلا أنه كان يوصي أهل العلم في زمنه بأن لا يتسرعوا في الإنكار على من أفتى بفتوى، حتى يتحققوا من خطئه في فتواه، ومخالفتها للنصوص الشرعية،

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٤٠/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٤١/٥).

(٣) المرجع السابق، (٢٤٠/٥).

كما أنه كان يؤكد على قضية لها أهميتها، وهي عدم إنكار جميع محاسن العالم لأجل مسألة أو مائة أو مائتين أخطأ فيها هذا العالم، بل الواجب إرشاده للصواب، والإبقاء على مودته وعلو منزلته^(١).

ولم يكن الإمام-رحمه الله- يتبرم من كثرة أسئلة الناس أو يستثقلها، بل كان يقابل تلك الأسئلة بصدر رحب، حتى إنه كان هو الذي يحض المستفتين على طرح أسئلتهم، والاستفسار عما يشكل عليهم، فهو يقول لعبد الله بن عيسى^(٢) (وودّي ما يجي جماميل^(٣)) إلا ومعهم من عندكم سؤالات عن هذا وأمثاله، فكيف أزعل منه).

٧- اللقاءات الخاصة والتواصل :

وهي من صور الدعوة الفردية، ووسائل تبليغ الدعوة (بالقول) التي كان الإمام يحرص عليها، ويتحیی الفرص لاستغلالها والاستفادة منها، فلم يكن

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) في مجموع المؤلفات -قسم الرسائل الشخصية- (عبد الله بن عبد)، وهو تصحيف، والصواب (عبد الله بن عيسى)، وتجدد الإشارة هنا إلى أن هذه الرسالة في مجموع المؤلفات بها سقط وتصحيفات أخرى كثيرة، حيث نقلت عن مصورة مخطوطة غير دقيقة للشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ موجودة في المكتبة السعودية بالرياض برقم (٥٩٢-٨٦)، في حين أن الرسالة نفسها موجودة في الدرر أكثر وضوحاً، ولعل المحققين لم يطلعوا عليها هناك، ولم يرد في المصادر التي اطلعت عليها شخص اسمه (عبد الله بن عبد)، انظر الرسالة التي بها بعض التصحيفات، مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٥/٣١٨). انظر الرسالة نفسها، أكثر وضوحاً وصحةً، جمع عبدالرحمن بن قاسم الدرر السننية، [مرجع سابق] (٧/٢٨).

(٣) جمع جمال : وهم أصحاب الجمال الذين كانوا يحملون الناس في الأسفار، وكانوا أيضاً يقومون بإيصال الرسائل ونحوها.

الإمام منظوياً على نفسه، مترفعاً عن مخالطة المدعويين ومجالستهم، بل كثيراً ما كان - رحمه الله - يزور المدعويين ويعرض عليهم دعوته، فما إن رحل الإمام عن حريملاء قاصداً العيننة، حتى نزل على عثمان بن معمر - أمير العيننة - وزاره في بيته، وعرض عليه دعوته، وقرر له التوحيد، وعرض عليه نصرته، وقال: (إني أرجو إن قمت بنصر لا إله إلا الله، أن يظهر الله تعالى، وتملك نجداً وأعرابها)^(١)، ولما خاف ابن معمر من رسالة قائد الأحساء وتهديداته، أرسل للإمام، فزاره الإمام والتقى به، ووعظه وذكره بالله^(٢).

وكان الإمام يدرك أثر زيارته للمدعو، وما تحدثه تلك الزيارة من استمالة للمدعو، وإزالة لما في نفسه من الريبة أو الغل والحسد، فنراه يحرص عليها مهما كانت شاقّة عليه، لكبر سنّه، أو علو منزلته، وصعوبة تنقله، وكثرة أعماله، وانشغاله بالأمر العلمية والعملية والإدارية، فنراه في رسالته إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب، يدعو عبد الوهاب لزيارته ثم يقول: (وإن كان كبير عليه الأمر)^(٣)، فيوصي لي وأعني له^(٤)، فإن الأمر الذي يزيل زعلكم، ويؤلف الكلمة، ويهديكم الله بسببه، نحرص عليه، ولو هو أشق من هذا)^(٥).

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٩/١).

(٢) انظر: المرجع السابق، (١٠/١).

(٣) يعني: ثقل على الابن عبد الوهاب أن يبادر هو بزيارة الإمام.

(٤) أعني له: أي أقوم أنا بزيارته، وأتحمل عناء السفر لألتقي به.

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٣١٥/٥).

ولم يكن الإمام -رحمه الله- يكتفي بزيارته للمدعويين .. بل كان يستزيرهم أيضاً، ويدعوهم لزيارته، ويلحّ عليهم في ذلك؛ فهو يقول لعبدالله ابن سحيم: (وإن أكابر أهل العلم يتعلمون هذا ويغلطون فيه؛ فضلاً عنا وعن أمثالنا، فلعله إن أشكل عليك تواجهي^(١))، ويلحّ عليه في رسالةٍ أخرى، فيقول: (وإن طمعت بالزيارة والمذاكرة من الرأس، لعلك أيضاً تحقق علم العقائد، وتميز بين حقه من باطله، وتعرف أيضاً علوم الإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت فتزاي أشير وألزّم)^(٢).

وفي آخر جوابه على رسالة محمد بن عباد -مطوع ثرمداء- يقول ملحاً في طلب الزيارة: (ولكن أشير عليك بعزيمة أنك تواصلنا وتذاكر معك)^(٣). ولعل من أسباب عدم اكتفاء الإمام -رحمه الله- بالمراسلة، وحرصه الشديد على اللقاء المباشر مع المدعو، إدراكه لقصور وسيلة المراسلة (مقارنة باللقاء المباشر) وأنها قد تسبب أحياناً شيئاً من سوء الفهم دون أن يشعر به المرسل في وقته فيعالجه، بخلاف اللقاء المباشر، الذي يرصد فيه الداعي أثر كلامه على المدعو، ويعالج انفعالاته في حينها، ويصرّح الإمام -رحمه الله- في إحدى رسائله بأسباب حرصه على اللقاء المباشر وعدم اكتفائه بالمراسلة، فنراه في رسالته التي أرسلها إلى عبدالله بن عيسى وابنه عبدالوهاب يعتذر عن الإطالة في الرسالة، خوفاً مما قد تحدثه من سوء الفهم، ويؤكد على ضرورة

(١) المرجع السابق، (٦٦/٥).

(٢) المرجع السابق (١٤٠/٥).

(٣) المرجع السابق (٢١/٥).

الزيارة واللقاء المباشر، حيث يقول: (وأخاف أن يطول الكلام، فيجري فيه شيء يزعلكم، وأنا في بعض الحدة، فأنا أشير عليكم وألزم أن عبد الوهاب يزورنا، سواء كان يومين وإلا ثلاثة، وإن كان أكثر، يصير قطعاً لهذه الفتنة، ويخاطبني وأخاطبه من الرأس)^(١).

وبالجملة، فقد كانت تلك الوسائل السبع هي نماذج من الوسائل القولية التي استخدمها الإمام -رحمه الله- في تبليغ دعوته، وكانت تحصل بالمشافهة واللقاءات المباشرة مع المدعو.

ب) الوسائل (غير المباشرة) لتبليغ الدعوة (بالقول):

وفي هذا النوع من الوسائل يصل المحتوى من الداعي إلى المدعو، بالرغم من غياب أحدهما عن الآخر، وبالرغم من عدم وجودهما في نفس الزمان والمكان، ويتم ذلك باستخدام واسطة بين الداعي والمدعو. ولعل (الكتابة) بأنواعها ... كالرسالة، والكتاب، واللوحات الحائطية، والصحف، والمجلات ونحوها؛ من أشهر الوسائل والطرق المستخدمة في هذا النوع^(٢). وقد استخدم الإمام -رحمه الله- نوعين من هذه الوسائل، هما:

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٣١٥/٥). ومعنى (من الرأس) يعني مواجهة باللقاء المباشر.

(٢) يدخل -نظرياً- ضمن هذا النوع من الوسائل: الوسائل السمعية والمرئية الحديثة؛ كالإذاعة والتلفاز وأجهزة التسجيل الصوتية والمرئية، وكذلك أجهزة الاتصال الحديثة؛ كالناسوخ (الفاكس)، والتلغراف، والحاسوب (عبر الشبكات المحلية والعالمية) ... إلى غير ذلك من الأجهزة والآلات الحديثة؛ إلا أن هذه الوسائل لم تكن قد وجدت في زمن الإمام، ولم يستخدمها فلا مكان لها هنا.

١- الرسالة^(١):

أدرك الإمام -رحمه الله- أهمية هذه الوسيلة وشدة تأثيرها على المدعويين، فأولاهها عناية خاصة، فكان -رحمه الله- يبعث الرسائل إلى العلماء (كعلماء الحرم، والسويدي^(٢))، عالم العراق، وبعض علماء اليمن؛ كعبدالله الصنعاني، وعبدالله بن عبداللطيف أحد علماء الأحساء، وعبدالله بن عيسى، وهو عالم من علماء الدرعية^(٣)، وكان يبعث الرسائل لطلاب العلم والمطاوعة^(٤)، (مثل مطاوعة الدرعية، ومطوع ثرمداء، ومطوع الجمعية،

(١) قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -مشكورة- بطباعة رسائل الشيخ، حيث أفردت لها الجزء الخامس من مجموع مؤلفات الشيخ، واحتوى هذا الجزء على إحدى وخمسين رسالة، تقع في ٣٢٨ صفحة من الحجم المتوسط. كما عثر الباحث على رسائل شخصية أخرى للإمام، وأوردتها بعض المصادر الأخرى فقام الباحث بجمعها والتحقق من نسبتها للإمام، ومن ثم أدخل ما صحت نسبتها للإمام من تلك الرسائل ضمن مادة هذه الدراسة، انظر: مقدمة هذا البحث تحت عنوان (تحديد نطاق البحث).

(٢) هو أبو الخير عبدالرحمن بن عبدالله بن الحسين السويدي العباسي البغدادي (١١٣٤ - ١٢٠٠هـ) عالم ومؤرخ، ولد ونشأ وتوفي في بغداد، وله عدة مؤلفات منها: حديقة الزوراء، وحاشية على شرح الحضرمية في الفقه الشافعي، وشرح الشيبانية في العقائد. انظر: الزركلي، الأعلام، [مرجع سابق] (٣/٣١٤).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٥/٤٠، ٣٦، ٢٨٨، ٢٥٠، ٣١٤).

(٤) المطوع: قال جامع الرسائل والمسائل النجدية: هو الذي يعلم العامة ويفقههم، وهو دون العالم. انظر: جمع عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، [مرجع سابق] (٤/٣٥). والمطوع: تطلق في دارجتنا على من التزم بطاعة الله، أو تولى منصباً دينياً: كالإمامة، والأذان، والاحتساب، والقضاء ونحوه. ولها أصل في اللغة، قال أهل اللغة: المَطْوَعُ: هو الطائع، وهو الذي يفعل الشيء تبرعاً من نفسه، كالذي يتطوع للجهاد ونحوه. انظر: ابن منظور، لسان العرب [مرجع سابق] مادة: طوع (٨/٢٤٠)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط [مرجع سابق] مادة: طوع (ص ٩٦٢).

ومطوع ثادق، ومطوع الرغبة، ومطوع مرات^(١).

وكان الإمام - رحمه الله - يعتني أيضاً بمراسلة الأمراء والوجهاء^(٢)، فقد بعث رسائل إلى (فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام، ووالي مكة الشريف أحمد بن سعيد، والشريف غالب، وابن صباح أمير الكويت)^(٣).

ولم تكن جميع رسائل الإمام موجهة إلى أشخاص بأعيانهم، حيث نلاحظ أن بعض رسائل الإمام كانت عبارة عن رسائل مفتوحة وجهها الإمام إلى فئة أو مجموعة كبيرة من الناس، وكان الإمام يصدرها أحياناً بعبارة (إلى من يصل إليه من الإخوان^(٤))، أو إلى من يصل إليه من علماء الإسلام^(٥)، أو إلى من يقف عليه^(٦) ونحو ذلك. وإن كان في حقيقة الأمر يخص بها في الغالب

-
- (١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٤٠/٥، ١٦٨، ١٣٠، ١٦٦، ٣٠٠، ٢٠٤).
- (٢) سيأتي مزيد بسط لأساليب الإمام في رسائله لكل فئة من المدعوين (من علماء وأمرء، وعمامة، ...) وذلك في الفصل الثاني من هذا البحث إن شاء الله.
- (٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٣٢/٥، ٣١٢، ٥٢). ويذكر الدكتور عبد الله بن عثيمين أن الاسم الأول لأمر الكويت هو (عبد الله بن صباح) انظر: د. عبد الله العثيمين، العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت، [الرياض - شركة العبيكان للطباعة والنشر - ط الثالثة ١٤١٢هـ] ص ٨٤. وتوجد ترجمه لعبد الله بن صباح هذا في مخطوطة تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق [مخطوطة توجد مصورتها في المكتبة المركزية بجامعة الإمام - قسم المخطوطات - برقم (٢٠٨)] [ق ١٨]. والجدير بالذكر أن الرسالة وردت في مجموع المؤلفات بتصحيف (ابن صباح) إلى (ابن صباح) بالياء.
- (٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٢٨/٥، ٢٧٠).
- (٥) المرجع السابق (١٧٦/٥).
- (٦) المرجع السابق (٨٨/٥).

فئة معينة من الناس، أو جهة من الجهات، ولكنه ربما يتجنب التصريح باسم المرسل إليهم، لغرض دعوى أو علة معينة، وهذه الرسائل - بهذا التوجيه - لا تخرج عن مسمى (الرسائل الشخصية)^(١).

وهناك رسائل أرسلها الإمام إلى أقطار وبلدان معينة، مثل رسالة الإمام إلى أهل الرياض، وإلى أهل الدرعية، ومطawعة سدير، والوشم، وأهل شقراء، وأهل العيينة، وأهل مكة، وأهل القصيم...^(٢).

أما عن موجب رسائل الإمام، فقد كانت رسائله في الغالب تعرض لموضوع دعوته ومضمونها^(٣)، والجواب عن اعتراضات الخصوم وشبهاتهم، وقد تكون جواباً عن أسئلة، أو رداً على رسالة بُعثت إليه.

(١) فرساته (إلى من يصل إليه من الإخوان) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٧٠/٥)، ذكّر الإمام فيها أولئك المدعوين بأحداث خاصة ربما لا يعرفها غيرهم، ورسائله (إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (١٩٦/٥) صرّح نقلتها أنها إنما أرسلت إلى (بعض البلدان) انظر: جمع عبدالرحمن ابن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (٦٠/١)، ورسالة الإمام (إلى الإخوان) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٢٤٤/٥) : وردت في روضة الأفكار بالتصريح باسم المرسل إليهما، وهما: (عيسى بن قاسم، وأحمد بن سويلم) وأما قصد الإمام: (الأخوان) بالثنائية. انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٢/١). ورسائله (إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين) صرّح في أثنائها أنه إنما خصّ بالرسالة (محمد بن عبيد، وعبد القادر العديلي وابنه، وعبد الله بن سحيم، وعبد الله بن عضيّب، وحميدان بن تركي، وعلي بن زامل، ومحمد أبا الخيل، وصالح بن عبد الله). انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/١٢٤).

(٢) المرجع السابق (٥/ الصفحات على التوالي ١٨٦، ٢٤٠، ٢٩٢، ٤٠، ٨).

(٣) خصّصَ الفصل الأول من هذا البحث لدراسة مضامين رسائل الإمام رحمه الله.

وبالنسبة لتاريخ كتابة هذه الرسائل ، يشير ابن غنام^(١) ، وابن بشر إلى أن الإمام -رحمه الله- (راسل أهل البلدان ورؤساءهم وقضاتهم ومدعي العلم منهم)^(٢) ، بعد قدومه من الدرعية ومبايعته لابن سعود، أي إن الرسائل كتبت بعد بيعة الدرعية عام ١١٥٧هـ^(٣) ، ولعل مرادهما أن (أغلب رسائله) كانت كذلك، وليس كلها ، لأن هناك إشارات تفيد بأن الإمام -رحمه الله- كان يستخدم هذه الوسيلة (وسيلة الرسائل) منذ وقت مبكر، ومن ذلك رسائل أرسلها عندما كان في العيينة، كرسالته لأهل الرياض ومنفوحة^(٤) ، ورسالته

(١) انظر : حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام ، [مرجع سابق] (٤/٢) .

(٢) عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، [مرجع سابق] (١٤/١) .

(٣) انظر : المرجع السابق، الموضع نفسه، و : حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام ، [مرجع سابق] (٤/٢) .

(٤) هذه الرسالة كتبها الإمام قبل عام ١١٥٧هـ؛ لأن أحمد القباني ردّ عليها في هذه السنة بكتابه الثاني في الردّ على الإمام، وهو (كشف الحجاب في وجه ضلالة ابن عبد الوهاب) [مخطوط، الخزانة التيمورية- عقائد- رقم ١٨٦]، وقد كتب هذا الكتاب استجابة لطلب سليمان بن سحيم (مطوّع أهل الرياض)، الذي تلقف رسالة الإمام آفة الذكر ، وكتب على إثرها رسالة - كما يذكر ابن غنام - إلى أهل الأحساء والبصرة -ومن ضمنهم القباني البصري- وضمّن رسالته بعض الشبه والمفتريات حول دعوة الإمام ، كما ضمنها مقاطع محرّفة من رسالة الإمام آفة الذكر، وطالب العلماء بالرد على الإمام .. انظر رسالة ابن سحيم: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١١٢/١)، وقارن برسالة الإمام: مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (١٨٦/٥) . وكتاب القباني هذا يختلف عن كتابه الأول (فصل الخطاب في ردّ ضلالات ابن عبد الوهاب) [مخطوط - المتحف العراقي- رقم ٩٣٨٤] الذي ألفه الإمام سنة ١١٥٥هـ رداً على رسالة الإمام التي أرسلها لأهل البصرة (كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله وبيان التوحيد) لأن الكتاب الثاني - كما قال القباني -: هو اختصار للكتاب السابق وزيادة عليه. انظر : د. عبد العزيز العبد اللطيف، دعاوى المناوئين [مرجع سابق] (ص ٤٤)، ود . عبدالله العنيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب [مرجع سابق] (ص ٩١، ١٦١) . و انظر: عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين [بغداد - شركة التجارة والطباعة المحدودة- ط الأولى ١٣٧٣هـ] (٣٣٦/٦) .

لمطاوعة الدرعية^(١)، ورسالته إلى السويدي فيها ألفاظ تدل على تقدمها وأنها كتبت قبل قدومه الدرعية^(٢)، ورسالة الإمام التي أرسلها إلى عبدا لله بن محمد بن عبداللطيف الأحسائي فيها عبارات تدل على تقدمها أيضاً^(٣).

- عناية الإمام بهذه الوسيلة وحرصه على مضاعفة تأثيرها:

كان الإمام -رحمه الله- يدرك أهمية هذه الوسيلة وقوة تأثيرها في نفوس المدعويين، فكان يوليها أهمية كبيرة، وكثيراً ما كان يستخدم بعض الطرق التي تزيد من تأثير هذه الوسيلة وتعمق أثرها، فمن ذلك؛ أن الإمام كان أحياناً يستغل مكانة بعض الشخصيات الهامة والمعروفة في بعض المناطق، ويستثمر هذه السمعة الحسنة.

أ- فنراه أحياناً إذا أرسل رسالة إلى أهل منطقة ما، فإنه يثني على بعض الشخصيات الهامة في بلدهم أو البلدان المجاورة لهم، ففي رسالته لأهل الرياض ومنفوحة، حرص على استمالتهم بالثناء على شخصية موثوقة ومعروفة لديهم، وهو الشيخ عبدا لله بن عيسى قاضي الدرعية، حيث يقول: (وشاهد

(١) المرجع السابق (٢٤٠/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٣٦/٥) / (٥).

(٣) المرجع السابق (٢٥٠/٥). وانظر ما ذكره عبدا لله العثيمين حول تقدم هذه الرسالة، بحوث

أسبوع الشيخ، (١٠٥/١).

هذا أن عبداً لله بن عيسى^(١)، ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه^(٢).

ب- ومن الطرق التي كان الإمام يستخدمها أيضاً، ليزيد من تأثير رسائله، أنه كان يطلب من الشخصيات الهامة والمعروفة في منطقة ما أن يقوموا بالتقريض أو التعليق على رسائله ليكون ذلك أدعى لقبول الرسالة عند أهل تلك المنطقة أو البلدة، ومن ذلك أن الإمام -رحمه الله- أرسل رسالة إلى أهل الرياض ومنفوحة وهو إذ ذاك مقيم في العيينة، وكتب إلى عبداً لله ابن عيسى قاضي الدرعية يسجّل تحتها بما رآه من الكلام، ليكون ذلك سبباً لقبولها^(٣).

وكذلك خصم الدعوة سليمان بن سحيم -قبل أن تتبين عداوته الصريحة لهذا الدين- كان قد كتب تعليقاً على إحدى رسائل الإمام، يؤيد فيه ما ذكره الإمام حول تكفير الطواغيت، حيث قال ابن سحيم معلقاً: (ما ينكر هذا إلا أعمى القلب) وبعد ذلك تولى موسى بن سليم حمل الرسالة وتعليق ابن سحيم عليها، وقام بقراءتها على البلدان ومنفوحة والدرعية^(٤)، فكان لها أعظم الأثر.

(١) عبداً لله بن عيسى: مطوع الدرعية في زمن الإمام، وقد عانى الإمام -رحمه الله- منه ومن ابنه عبد الوهاب معاناةً شديدة، وأصابه منهما همٌّ وغمٌّ كما هو مذكور في بعض رسائله، ولم أعثر على ترجمة له، انظر ما ذكره عنه الإمام في رسائله: مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٥/٢٨٠، ٣١٤، ٣١٥).

(٢) المرجع السابق (٥/١٨٦).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) (٥/١٨٦).

(٤) المرجع السابق، (٥/٢٢٨).

ويصرّح الإمام باستخدامه لهذه الطريقة، حيث يقول في رسالته إلى عبد الله ابن عيسى: (وأنا كاتب لكم تسجلون عليه وتكونون معي أنصاراً لدين الله)^(١).

ج- وربما ضاعف الإمام من مساحة تأثير رسائله عن طريق الأمر بنسخها عدة نسخ، وتوزيعها على البلدان، حيث يقول في إحدى رسائله. (وهذا الكتاب كل أهل بلد ينسخون منه نسخة ويجعلونها عندهم ثم يرسلونه لحرمة والمجمعة، ثم للغايط والزلفي)^(٢).

وسياتي - إن شاء الله - مزيد بسط وتفصيل عن هذه الوسيلة، والأساليب التي استخدمها الإمام - رحمه الله - في هذه الوسيلة، وإنما المقصود في هذا المبحث الإشارة إلى أن الإمام - رحمه الله - قد استخدم هذه الوسيلة، واعتنى بها ضمن الوسائل الدعوية التي استخدمها في تبليغ دعوته.

٢- الكتب والمؤلفات^(٣):

أولى الإمام - رحمه الله - هذه الوسيلة عناية خاصة، وأعطاهها جزءاً طيباً من وقته الثمين، إدراكاً منه لأهمية هذه الوسيلة، حيث أن الكتاب يعدّ من

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٤/٥) .

(٢) المرجع السابق ، (٢٩٧/٥) .

(٣) إن معرفة كتب الإمام ومؤلفاته لها أهمية بالغة عند دراسة (رسائله الشخصية) ؛ حيث أن هذه الكتب والمؤلفات تدلّ على ما تمتع به الإمام من سعة العلم، وطول الباع في علوم الشريعة، مما يعطي الرسائل الشخصية للإمام مكانتها اللائقة بها، فهي صادرة من عالم جهبذ وداعية مجاهد. كما أنها تفصيل لما أجمل في الرسائل، بل إن بعض كتب الإمام التي اعتنى بها اليوم، وطبعت مستقلة أو ضمن رسائل الإمام العلميّة ، كانت في الأصل رسائل شخصيّة أرسلها الإمام إلى أشخاص أو فئات معيّنة، وسياتي - إن شاء الله - ذكر الأمثلة على ذلك. ومن هذا المنطلق ربما يكون من المناسب التعرض لذكر هذه الكتب هنا بشيء من التفصيل والبسط.

أهم وسائل الدعوة إلى الله، كما أنه نوع من أنواع الجهاد بالكلمة واللسان، وللكتاب أثره البارز في إقناع المدعوين ودعوتهم وتوجيههم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن كثيراً من القضايا والمضامين التي دعا إليها الإمام.. كانت من الاتساع أو العمق، إلى درجة أن كثيراً من الوسائل المعتادة لم تكن كافية للإحاطة بها وإعطائها حقها، فقد كانت بعض الموضوعات والمسائل أوسع من أن يوجزها الإمام في رسالة أو خطبة أو موعظة ونحوها... ولذلك يلاحظ أن الإمام قد عمِد في بعض أحواله إلى استخدام وسيلة الكتاب.

ولا شك أن الكتاب يتيح للإمام أن يبلغ دعوته بأسلوبٍ رصين وطرحٍ علمي هادئ يهيئ للكاتب قدرةً أكبر على الإقناع والتحليل والمناقشة والسير والتقسيم.. دون أن يكدر صفو كتابه أي منغصات من مقاطعة أو اعتراض، يشوش أفكار الداعي أو يحيل دعوته إلى ردود أفعال قد لا تخدم هدفه الرئيس، كما أن الكتاب يعطي فرصة أكبر لنشر الدعوة على نطاق أوسع زماناً ومكاناً، حيث أنه يبقى بعد وفاة كاتبه.. ينطق بأفكاره، ويعمق مبادئه، وينشر دعوته، كما أنه يجتاز المسافات، ويتخطى الحدود، ولا يكاد يحول دون انتشاره شيء.

وقد اعتنى الإمام بوسيلة (الكتاب) منذ وقت مبكر حتى إن الشيخ عبدالرحمن بن حسن (حفيد الإمام) يذكر أنه بدأ في تصنيف كتابه الشهير

(كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) عندما كان في البصرة^(١) أثناء رحلاته العلمية، ومن غير المستبعد أن يكون الإمام قد استفاد في تصنيفه لهذا الكتاب من كتب السنة الموثوقة في مدارس البصرة آنذاك.

وكذلك كتابه (كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله وبيان التوحيد)^(٢)، كتبه الإمام - رحمه الله - سنة ١١٥٥ هـ، أي قبل بيعة الدرعية،

(١) ذكر ذلك الشيخ عبدالرحمن بن حسن في إحدى رسائله، انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنوية، [مرجع سابق] (٢١٥/٩)، بينما يرى حسين بن غنام أن الشيخ آلفه في حرملاء بعد رجوعه من رحلاته العلمية، ولعله بدأه في البصرة وأنهاه في حرملاء، انظر: روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٣٠/١) وانظر: الحديث عن هذا الكتاب في ترجمة الإمام في الفصل التمهيدي من هذا البحث تحت عنوان (شيوخه في البصرة) (ص ٤٠).

(٢) هذا الكتيب الذي اعتنى به اليوم، وطُبع ضمن مؤلفات الإمام ورسائله العلمية، هو في الأصل رسالة شخصية أرسلها الإمام - رحمه الله - إلى أهل البصرة سنة ١١٥٥ هـ. حيث قرّر لهم فيها حقيقة التوحيد ومعناه وكونه لا ينجي من النار سواه، وأشار إلى ما يحدث عندهم من صرف أنواع العبادة للقبور، والأولياء، مثل شخص عندهم يدعى (السّمّان) وآخر يدعى (عبد القادر - ربما يكون الجيلاني لأنه توفي ببغداد سنة ٥٦١ هـ) وبين لهم أنه لا يكفي مجرد عدم التعرض لها ولأصحابها، بل لا بد من معاداتهم، وبغضهم إذا أصرّوا على باطلهم. انظر هذه الرسالة: جمع: عبد السلام بن برجس آل عبدالكريم، مجموع الرسائل والمسائل النجدية، [مرجع سابق] (٢٣، ١٥/٤) انظر: عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين [بغداد - شركة التجارة والطباعة المحدودة - ط الأولى ١٣٧٣ هـ] (٣٣٦/٦)، ود. عبد العزيز عبداللطيف، دعاوى المناوئين [مرجع سابق] (ص ٤٤) .. وانظر ترجمة عبد القادر الجيلاني: الزركلي الأعلام، [مرجع سابق] (٤٧/٤). وعليه فإن هذا الرسالة يمكن أن تصنف ضمن الرسائل الشخصية - بالنظر إلى أصل التصنيف وموجب الكتابة -، ويمكن أن تصنف ضمن الكتيبات أو الرسائل العلمية - بالنظر إلى مادتها وتصنيف العلماء لها اليوم - ولا مشاحة في الاصطلاح، فهي رسالة شخصية ورسالة علمية.

وكان سبباً في قيام القباني^(١)، بالردّ عليه بكتابه الأول (فصل الخطاب في ردّ ضلالات ابن عبد الوهاب)^(٢).

وكذلك كتابه (تفسير سورة الفاتحة)، الذي كتبه حين كان في العيينة، بناءً على طلب من ابن أمير الدرعية آنذاك، عبدالعزيز بن محمد بن سعود^(٣). ورغم أن الإمام استخدم وسيلة (الكتاب) في مجالات متعددة، فكتب في عدة موضوعات إسلامية، مثل التوحيد، والتفسير، والحديث، والفقه والسيرة النبوية، إلا أن الموضوع الأول - وهو موضوع التوحيد ومسائل العقيدة - احتل المكانة البارزة في إنتاجه، ولم يكن ذلك غريباً، حيث إن جوهر دعوته يتمثل في تنقية العقيدة التي انحرف عنها كثير من الناس.

(١) اسمه - كما يظهر من كتابه - أحمد بن علي البصري، الشهير بالقباني، ولم يعثر الباحث على ترجمة له، ومخطوطة كتابه (فصل الخطاب في ردّ ضلالات ابن عبد الوهاب) محفوظة في [المتحف العراقي - رقم ٩٣٨٤]، وتوجد منه صورة خطية في [مكتبة جامعة الإمام - قسم المخطوطات]، ويظهر - من خلال رسائل الإمام - أن هذا الكتاب كان له رواج وتأثير سلبي على دعوة الإمام، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/ ٢٠٠، ٢٠٦).

(٢) وانظر: عبدالله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق] (ص ٩١)، ود. عبدالعزيز عبداللطيف، دعاوى المناوئين، [مرجع سابق] (ص ٤٤).

(٣) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠٢٢/١). وتفسير سورة الفاتحة؛ هو في الأصل رسالة شخصية أرسلها الإمام إلى عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ولكن العلماء اعتنوا بهذه الرسالة، وحققها أحد المعاصرين - وهو د. فهد الرومي - وطبعها مستقلة، وقدم لها مقدمة تزيل عنها الصفة الشخصية، وأصبحت تصنف ضمن (كتب الإمام)، أو (رسائله العلمية)، ولا إشكال في ذلك، فهي كتاب بوضعها الحالي، وهي رسالة شخصية من حيث الأصل. ويمكن أن تصنف ضمن المجموعتين.

وتختلف كتابات الإمام من حيث الحجم، فمنها الكتيبات أو الرسائل القصيرة الموجزة، التي لا تتجاوز بضع وريقات، ومنها الطويل المفصل، مثل كتابه (مختصر الإنصاف والشرح الكبير)^(١)، الذي يعد أطول كتاب ألفه الإمام محمد على الإطلاق، وهو كتاب فقهي على مذهب الإمام أحمد، ولا شك أن إسهاب الإمام في هذا الكتاب واهتمامه به يدل أولاً: على عنايته بالفقه، وأنه أولاه ما يستحقه من اهتمام، ويدل ثانياً: على انتماء الإمام - في الفروع - لمذهب الإمام أحمد، وفي هذا ردُّ على خصوم الدعوة الذين رموا الإمام بأنه خارج عن المذاهب الأربعة^(٢)، وأنه جاء بمذهب خامس ودين جديد.

أما من حيث الأسلوب: فيمكن أن يقال بصفة عامة: إن أسلوب الإمام - رحمه الله - في كتبه ومؤلفاته أسلوب سهل بسيط، بعيد عن التكلف والمحسنات البديعية، أو الكلمات الشاذة، أو الصعبة، وجُمِل أسلوبه - باستثناء الخطب - غير مسجوعة، وهي في غالبها قصيرة، كما أنها متفقة مع قواعد اللغة العربية، إلا في حالات نادرة لأغراض معينة^(٣).

(١) طبع هذا الكتاب ضمن مجموع مؤلفات الشيخ، القسم الثاني (الفقه) المجلد الأول، حيث يقع في (٧٨٣) صفحة.

(٢) ممن رماه بذلك: سليمان بن سحيم، انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١١٤/١).

(٣) مثل كتابته لكتيب: (تلقيين أصول العقيدة للعامية) حيث احتوى على عبارات عامية، وبعضها غير متفق مع قواعد اللغة، لأن الشيخ (رحمه الله) كتبه للعامية، الذين لا يجيدون فهم اللغة الفصحى، وهذا الكتيب هو في الأصل رسالة أرسلها الإمام إلى فئة معينة من الناس، وهم العوام، أصحاب الثقافة المتدنية. انظر: الدرر السننية، [مرجع سابق] (٨٩/١).

وقد استخدم الإمام -رحمه الله- في مؤلفاته أساليب متنوعة، تختلف باختلاف الموضوع الذي كتبت فيه، والغرض الذي كتبت من أجله، والقارئ الذي وجهت إليه، فأسلوبها يتفاوت أحياناً، حتى لو كانت في موضوع واحد، مثل العقيدة؛ فبينما يستعمل الإمام الأسلوب العرضي البحث في (كتاب التوحيد) نراه يستعمل الأسلوب الجدلي في كتاب (كشف الشبهات) الذي أكثر الإمام فيه من استعمال الأدوات الشرطية، وكلاهما في العقيدة، وقل مثل ذلك في بقية الموضوعات، كالسيرة والفقهاء والرقائق وغيرها.

وإن أعظم ما يميز أسلوب الإمام -رحمه الله- في مؤلفاته: اعتماده على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، فلا يكاد يذكر مسألة إلا ويورد دليلها من الكتاب والسنة، وكان -رحمه الله- يأخذ بما قرره علماء المسلمين التقاة في مسائل الاجتهاد مما لا نص فيه من كتاب أو سنة أو إجماع، وعندما يختلفون -حسب مفاهيمهم من النصوص- فإنه يأخذ بما ترجح عنده^(١)، وسيأتي -إن شاء الله- مزيد تفصيل عن أسلوب الإمام عند الحديث عن أسلوب رسائل الإمام -رحمه الله- في الفصل الثاني من هذا البحث^(٢).

(١) انظر مزيداً من التفصيل في أسلوب الإمام، (بحث) الشيخ مناع القطان بعنوان: اعتماد دعوة الشيخ على الكتاب والسنة، (بحث) الشيخ صالح الأطرم بعنوان: اعتماد فقه دعوة الشيخ على الكتاب والسنة، ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] (٢٢٢/١، ٢٧٠)، وعبد الله العثيمين، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] (٨٢ - ١١٠).

(٢) انظر: (ص ٣٨٠) من هذا البحث.

وإن الناظر في مؤلفات الإمام يرى أنها على قسمين :
منها: ما ألفه الإمام ابتداءً.

ومنها: استنباطات أو مختصرات، اختصرها الإمام من أصولها المطولة،
لتيسير الانتفاع بها^(١)، وفيما يلي بيان ذلك:
أولاً : ما ألفه الإمام ابتداءً :

١- كتاب التوحيد الذي هو حق الله تعالى على العبيد^(٢):

وهو من أقدم مؤلفات الإمام ، حيث يذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن أن الإمام ألفه في البصرة^(٣)، ويمكن اعتبار هذا الكتاب المحور الأساس الذي دارت حوله كتابات الإمام محمد وأتباعه في هذا الموضوع، فقد وضع الإمام فيه مفهومه للتوحيد والشرك وما يتعلق بهما، مركزاً على أبرز القضايا التي كان يجهلها أكثر أهل عصره، فيقع فئامٌ منهم في مخالفات لا تتفق مع العقيدة

(١) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ ، القسم الثاني (الفقه) المجلد الأول ص ٤.

(٢) طُبِعَ هذا الكتاب عدة طبعات مستقلاً وضمن مجموعات ، منها طبعه ضمن مجموعة التوحيد [مرجع سابق] ص ١٥٦ - ص ٢٣٢ .

(٣) انظر : عبدالرحمن بن قاسم ، الدرر السنية ، [مرجع سابق] [٢١٥/٩]. ويرى حسين بن غنام أن الشيخ ألفه في حرملاء ، ولعله بدأه في البصرة وأنهاه في حرملاء ، ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب كتاب (التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق) حيث ذكر (أن كتاب التوحيد هذا قد حررّ وأقرّ عند شيوخ الساميين ، كالشيخ علي أفندي الداغستاني ، وابن عمه الشيخ عبدالكريم .. والشيخ محمد السفاريني، نزيل نابلس، أرسلت إليه نسخة منه وغيرهم من شيوخ الشيخ، ومن غير شيوخه)، وذلك أثناء رحلاته العلمية، انظر: سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب التوضيح عن توحيد الخلاق، [الرياض - دار طيبة - ط الأولى ١٤٠٤ هـ] ص ٢٩، وحسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٣٠/١).

الصحيحة، وقد لقي هذا الكتاب - منذ ظهوره - رواجاً كبيراً، وانتشرت نسخ منه بسرعة في المناطق المختلفة، واشتد إعجاب العلماء وطلبة العلم بهذا الكتاب، حيث يقول عنه عثمان بن بشر: (ما وضع المصنفون في فنه أحسن منه، فإنه أحسن وأجاد، وبلغ الغاية والمراد)^(١)، ولعل هذا الإعجاب كان من أسباب كثرة الشروح والتعليقات عليه^(٢).

وأسلوب الإمام في هذا الكتاب عرضي بحت، وقد قسمه إلى أبواب، يحمل كل باب منها عنواناً مستقلاً، والصفة الغالبة فيه أن يورد تحت كل عنوان آية أو عدة آيات، متبوعة بحديث أو بضعة أحاديث، وأحياناً يورد آثاراً من أقوال الصحابة والتابعين والسلف الصالح فيما يتعلق بالباب ومفهوم النصوص الواردة فيه.

والإمام يختصر اختصاراً شديداً، وكثيراً ما يقتصر على ذكر الشاهد فقط من الآية أو الحديث، وأما المسائل التي وضعها الإمام في نهاية كل باب، فقد كتبت باختصار شديد، وكأن الإمام أراد أن تكون تلك المسائل عبارة عن رؤوس أقلام لما هو عازم على شرحه وتوضيحه للطلاب أثناء القاء الدروس عليهم^(٣).

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٩٢/١).

(٢) من أشهر هذه الشروح: تيسير العزيز الحميد، لحفيد الشيخ سليمان بن عبد الله، وقررة عيون الموحدين، وفتح الحميد، لحفيده الآخر عبدالرحمن بن حسن، وإبطال التنديد، لحمد بن عتيق، والقول السديد لعبدالرحمن بن سعدي.

(٣) انظر: عبد الله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] (ص ٨٢-٨٥)، ود. صالح العبود، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] ص ١١٩.

٢- كتاب كشف الشبهات^(١):

وهذا الكتاب عبارة عن رسالة عامة، صنفها الإمام -رحمه الله- جواباً على كثير من الشبه التي بثها أعداء الدعوة بين عامة الناس، فصدوهم بها عن الإسلام بألستهم، وفي مصنفاتهم المنشورة^(٢)، حيث بدأ الإمام بقوله: (اعلم -رحمك الله- أن التوحيد هو أفراد الله بالعبادة)^(٣)، ثم استطرده في بيان أهمية توحيد الألوهية، وبيّن أن اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وحثّ القارئ على أن يتعلم من دينه ما يمكنه من الرد على خصومه، وبعدها بدأ بسرد الشبه التي يثيرها الخصوم، متبعاً لكل شبهة بجوابها والرد عليها بردٌ مختصر، ثم ردٌ مفصّل، مستدلاً على ذلك بنصوص الكتاب والسنة، وختم الكتاب بالتأكيد على أن (التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً)^(٤).
 وأسلوب الإمام في هذا الكتاب أسلوب جدلي^(٥)، وجمله طويلة نوعاً ما، يُكثر فيها من استعمال الأدوات الشرطية، وهذا الأسلوب يناسب موضوع الكتاب، وهو مجادلة الخصوم والرد عليهم.

(١) طبع عدة طبعات مستقلاً وضمن مجموعات، منها طبعه ضمن مجموعة التوحيد [مرجع

سابق] ص ٧٠ - ص ٨٩

(٢) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٦١/١) وعبدالله العثيمين،

الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] ص ٨٦.

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٦١/١).

(٤) المرجع السابق (٧٢/١).

(٥) انظر: عبدالله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] ص ٨٦.

٣- كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد^(١):

ويذكر حسين بن غنام أن الإمام -رحمه الله- أَلَفَ هذا الكتاب سنة ١١٦٧هـ رداً على ما أثاره أخوه سليمان بن عبد الوهاب من آراء مناقضة لآرائه حول العقيدة^(٢)، في كتابه الذي سماه (فصل الخطاب في الرد على محمد ابن عبد الوهاب)^(٣)، والذي ركّز فيه على قضية تكفير المعين، أو إخراج المسلم من الإسلام، وحاول أن يظهر أن هناك فرقاً بين رأي الإمام ابن تيمية، ورأي الإمام محمد في هذه المسألة، وأن الإمام محمد قد خالف رأي ابن تيمية، وجاء بشيء جديد.

وقد بدأ الإمام محمد -رحمه الله- كتابه هذا بحديث عمرو السلمي الذي جاء فيه أن الرسول ﷺ أرسل بكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء، كما جاء فيه النهي عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها، وذكر الإمام تعليق ابن تيمية على هذا الحديث، مشيراً إلى ما ذكره ابن تيمية في كتبه المتعددة من تكفير المعين إذا أتى ما يوجب إخراجهم عن الإسلام، ثم بين أنه إنما يأخذ ما يعتقد من نصوص الكتاب والسنة، وأنه لو غلط ابن تيمية أو من هو أجل منه في هذه المسألة لما جاز اتباعه... لكنه عاد، فأكد أن ابن تيمية وجمهور العلماء كلهم يرون هذا الرأي ولم يخالفوا فيه، ثم يورد

(١) طبع عدة طبعات، منها طبعة ضمن مجموع مؤلفات الشيخ [مرجع سابق]، قسم العقيدة

ص ٢٧٩ - ص ٣٢٩ .

(٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢/٢٠).

(٣) هذا الكتاب طبع فيما بعد تحت عنوان: الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية.

بعض أقوال أهل العلم في هذه المسألة ، وبين أهمية اتباع الحق، ووجوب معاداة أعداء الله ، ويحتم بعقد مقارنة بين فتوى ابن تيمية في تكفير من استحل أكل الحشيشة، وبين ما أفتى به الإمام من تكفير أولئك الذين يقعون في أوسع أبواب الشرك التي لا تساوي الحشيشة جزءاً من ألف جزء منه^(١).

وأسلوب الإمام في هذا الكتاب مشابه لأسلوبه في كتابه كشف الشبهات، فهو جدلي، لأنه ألف لمجادلة المعارضين والرد عليهم، إلا أنه لم يكثر فيه من استعمال الأدوات الشرطية.

٤ - كتاب الأصول الثلاثة وأدلتها^(٢):

وهو كتيب صغير الحجم، عظيم الفائدة، يعدُّ من أقصر مؤلفات الإمام، وأبسطها لغة وأسلوباً، ولشدة عناية الإمام بمادة هذا الكتاب، نراه يكرر مضمونه بعدة صور؛ تارة بمزيد من التفصيل في بعض النقاط^(٣)، وتارة يبسط لغته، فيكتب مضمونه بأسلوب فيه شيء من العمومية^(٤)، تيسيراً لمن قد يصعب

(١) انظر: عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] ص ٨٧.

(٢) طبع مستقلاً وضمن مجموعات ، منها طبعة ضمن مجموع مؤلفات الشيخ [مرجع سابق]، قسم العقيدة ص ١٨٣ - ص ١٩٦ .

(٣) مثل كتابه [ثلاث مسائل يجب تعلمها على كل مسلم ومسلمة]، فما هو إلا تفصيل للمقدمة الثانية من مقدمات الأصول الثلاثة وأدلتها، وكذلك كتاب [معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه]، وهو تفصيل لآخر نقطة من النقاط التي تكلم فيها الشيخ في الأصول الثلاثة.

(٤) مثل كتاب [تلقين أصول العقيدة للعمامة] في الأصل يدخل ضمن الرسائل الشخصية التي أرسلها الإمام إلى فئة العوام.

عليه فهم الأسلوب العربي الفصيح، وتارة يضيف إليه إضافات طفيفة من سيرة النبي ﷺ^(١).

والإمام في هذا الكتاب لا يبدأ مباشرة بالحديث عن الأصول الثلاثة، وإنما يبدأ بثلاث مقدمات قصيرة جداً، الأولى: عن أهمية تعلم العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه. والثانية: عن حكمة الخلق. وأن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد، حتى الأنبياء والملائكة وأن طاعة الله ورسوله تقتضي معاداة أعدائه مهما كانت قرابتهم النسبية. والثالثة: في بيان معنى الحنيفية.

ثم أتبع ذلك ببيان الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمها، وهي على حدّ تعبيره: (معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمد ﷺ)، واستدلّ بعد ذلك على كل أصل بما يشهد له من نصوص القرآن الكريم.

وقد حرص الإمام أن يحفظ كل مسلم هذا الكتاب عن ظهر قلب، ولذلك جاء أسلوبه سهلاً ميسراً على هيئة سؤال وجواب، وقد قام أتباع الإمام بالفعل بتدريس هذا الكتاب للعامة، حتى إن أئمة المساجد كانوا يطلبون من المصلين - كل يوم بعد صلاة الفجر^(٢) - أن يقرأوا هذا الكتاب عن ظهر قلب.

(١) مثل كتاب [الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها]، فهو شبيه بهذا الكتاب إلا أنه

من غير مقدمات، وقد ختمه المؤلف بالكلام عن سيرة النبي ﷺ.

(٢) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجلد [مرجع سابق] [٩٠/١].

٥- كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله^(١):

يبدو أن هذه الرسالة من أقدم ما كتبه الإمام حول العقيدة^(٢)، حيث بدأها الإمام بالتأكيد على مكانة التوحيد، وأنه السبب في إرسال الرسل، وساق إجماع أهل العلم على أن معنى (إله) أي المعبود، ثم يذكر بعض الأمثلة لأنواع العبادة، ويتعرض الإمام لبعض التفاصيل حول الشرك، ووجوب معاداة المشركين، ويختم رسالته بالتحذير من الوقوع في الشرك دون علم لخفائه أحياناً.

٦- كلمات في معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله^(٣):

يعالج الإمام في هذه الرسالة سوء الفهم الذي يقع فيه بعض الجهال عند المرور بأحاديث فضل الشهادتين، مثل قوله ﷺ لما سُئِلَ عن شفاعته من أحق بها يوم القيامة، قال: (من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)^(٤)، حيث يبين أنه لا بد مع ذلك القول من العمل بمقتضى الشهادة، ويسوق الأدلة على ذلك، ثم يتحدث عن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام والأدلة عليها، ويحذر من الغلو في شخص النبي ﷺ ويذكر بموقفه ﷺ من المشركين.

(١) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (٩٤/١).

(٢) انظر: عبداً لله العنيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، [مرجع سابق] ص ٩١، وما سبق

ذكره قريباً حول هذه الرسالة في أول فقرة وسيلة (الكتب والمؤلفات) ص .

(٣) جمع: عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، [مرجع

سابق] (٢٤/٤ - ٣٢)

(٤) البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب العلم، باب عظة الإمام النساء، رقم

الحديث (٩٩).

٧- أربع قواعد للدين^(١):

يتحدث الإمام - رحمه الله - في بداية هذه الرسالة عن الحنيفية السمحة، وهي ملة إبراهيم عليه السلام، ثم يحذّر من اختلاط الشرك بأنواع العبادة، مؤكداً على أهمية العلم، ثم يذكر أربع قواعد في ذلك، هي:

الأولى: أن الذين قاتلهم الرسول ﷺ كانوا يقرّون بتوحيد الربوبية لكنه لم يدخلهم في الإسلام.

الثانية: أنهم يقولون: إن دعوتهم لأربابهم كانت من أجل التقرب إلى الله .

الثالثة: أن الرسول ﷺ لم يفرق بين المشركين في المعاملة، بل عاملهم معاملة واحدة، مع اختلاف عبادتهم.

الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، فهم اليوم يشركون في الرخاء والشدة معاً.

٨- أربع قواعد ذكرها الله في محكم كتابه^(٢):

ومضمون هذا الكتاب شبيه بالذي قبله، حيث يذكر في البداية أن هذه القواعد بها يعرف الرجل شهادة أن لا إله إلا الله، ويميز بها بين المسلمين والمشركين، ثم يسوقها، وهي:

الأولى: أن الكفار في زمن الرسول ﷺ يقرون بالربوبية.

الثانية: أن الكفار إنما غلّوا في الملائكة والأنبياء والأولياء، لأجل قربهم من الله.

(١) جمع: عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، [مرجع

سابق] [١١٥ - ١١٨]

(٢) جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [١٤/٢ - ١٦].

الثالثة: أن الكفار إنما دعوا الصالحين ليقربوهم إلى الله، ويشفَعوا لهم عنده، وإلا فهم يعلمون أنه لا ينفع ولا يضر إلا الله.

الرابعة: أن المشركين في زمن الرسول ﷺ يشركون في الرخاء، ويوحدون في الضراء.

٩- المسائل الخمس الواجب معرفتها^(١):

يبدأ الإمام في هذا الكتاب مباشرة بسرد خمس مسائل يجب تعلمها وهي:

- ١- أن أهم ما جاءت به الرسل هو التحذير من الشرك.
- ٢- أن التحذير من الشرك يعني وجوب عبادة الله.
- ٣- أن ذلك يقتضي كره المرء للمشركين، وحبّه للموحدين.
- ٤- أن الله حذّر نبيه من الشرك، فيجب على المسلم أن يعرف ذلك، فيحذر من الشرك.
- ٥- أن من أنكر شيئاً من القرآن، فهو كافر.
- ١٠- تفسير كلمة التوحيد^(٢):

يبحث الإمام في هذه الرسالة تفسير كلمة التوحيد، ويوضح أنها الفارقة بين الكفر والإيمان، وأنه لا يمكن النطق بها مع الجهل بمعناها، وأنها نفي وإثبات، وتحدث عن الألوهية، وأن العمدة على معناها وإن اختلفت مسمياتها، كمسمى الولي والسيد، وأكد ذلك بأمرين هما:

(١) جمع: عبدالسلام آل عبدالكريم، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، [مرجع سابق]، (١٤ - ٩/٤).

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، مجموعة التوحيد، [مرجع سابق] (١٠٨ - ١٦٢) وعنوانها في بعض الطبعات (هدية طيبة).

الأول: أن الكفار الذين قاتلهم الرسول ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية.

الثاني: أن الذي أحل دماءهم وأموالهم أنهم لم يشهدوا بتوحيد الألوهية، وهو أنه لا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده ولا يستغاث بغيره، ثم يؤكد أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من السابقين، لأنهم اليوم يشركون في الرخاء والشدة معاً.

١١ - ستة أصول عظيمة^(١):

وهي رسالة قصيرة، ذكر فيها الإمام ست نقاط، يقول الإمام: إن الله بينها في كتابه بياناً يفهمه العامة، لكنها مع ذلك خفيت على بعض العلماء، وهذه النقاط هي:

- ١- أن أكثر القرآن جاء بياناً لوجوب إخلاص العبادة لله، والحذر من الشرك، وأصبح من يدعو إلى ذلك يتهم بانتقاص الصالحين.
- ٢- أن الله أمر بالاجتماع في الدين، ونهى عن التفرق، فأصبح من يقول: إن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم.
- ٣- أن من تمام الاجتماع طاعة ولي الأمر، فأصبح هذا الأمر مجهولاً عند بعض العلماء.
- ٤- بيان حقيقة العلم والعلماء وحقيقة من تشبه بهم، فأصبح العلم هو البدع.

(١) المرجع السابق، (٣٨ - ١٤٠).

٥- بيان أولياء الله الذين نالوا الولاية بشدة متابعتهم لما جاءت به الرسل، والتفريق بينهم وبين المتشبهين بهم من أعدائه، فأصبح هناك من يدعي أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسل .

٦- أن القرآن والسنة حفظهما الله ويسرهما، وجعلهما الطريق إلى الحق، فأصبح هناك من يقول: إنه لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق.

١٢- ستة مواضع منقولة من السيرة النبوية^(١):

وهي رسالة كتبها الإمام، حتى يميز القارئ لها بين دين الرسول ﷺ ودين المشركين ، لأن كثيراً ممن يدعون الإسلام لا يفهمون هذه النقاط حق الفهم، وهي:

١- أن أوائل الآيات التي نزلت في القرآن كانت ضد المشركين، مما يدل على أهمية هذه القضية أكثر من غيرها.

٢- لم يحارب المشركون رسول الله ﷺ إلا بعد أن صرح بسب دينهم، فلا يتم إسلام المرء إلا بإعلان عداوة المشركين.

٣- أن الشيطان أضاف عبارة في مدح آلهة المشركين على تلاوة الرسول ﷺ للقرآن بحضورهم فظنوا أنه يمكن التفاهم معه لكن الرسول ﷺ أنكر قول تلك العبارة، وهاجم تلك الآلهة، فلا مهادنة مع أعداء التوحيد.

٤- أن الله لام نبيه على سؤاله العفو لأبي طالب، برغم إقراره بصحة الإسلام، ودفاعه عن النبي ﷺ؛ لأنه لم يرفض دين المشركين.

(١) مجموعة التوحيد [مرجع سابق] (١٠٣-١١٠).

- ٥- أن الله انتقد من لم يهاجر من مكة، مع قدرته على الهجرة - بسبب حبه لقربائه أو ماله أو بلده- ولذا فالإيمان يجب أن يتبع بالعمل.
- ٦- قصة حروب الردة توضح تفريق الصحابة بين المحاربين، ولذا فإن حجة من قال: باب من نطق بالشهادة لا يعد كافراً حجة غير صحيحة (١)

١٣- كتاب مسائل الجاهلية^(٢):

ذكر الإمام، في هذا الكتاب جملة من المسائل التي كانت موجودة عند أهل الجاهلية المشركين، وهي ١٢٩ مسألة جاء الإسلام بالتحذير منها، ومن الملاحظ أن كثيراً من تلك المسائل كانت موجودة أيضاً في عصره وبين مناوئيه، مثل الغلو في الصالحين وعبادتهم، والاعتزاز بالكثرة عند الحكم على صحة الأمور وفسادها، ونحو ذلك.

وأما بالنسبة لجهود الإمام في التأليف في علوم الحديث فمن كتبه :

١٤- فضل الإسلام^(٣):

وهو مجموعة من الأحاديث عن وجوب اعتناق الإسلام، وفضل هذا الدين، ووجوب اتباع سنة المصطفى ﷺ والحذر من البدع ونحو ذلك، وقد بوبها الإمام ورتبها، إلا أن الإمام لا يفسر الأحاديث، ولا يذكر استنتاجاته الخاصة منها.

(١) انظر: عبد الله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] (ص ٩٥).

(٢) مجموعة التوحيد، [مرجع سابق] (٩٤ - ١٠٣).

(٣) السيد رشيد رضا، مجموعة الحديث النجدية [المدينة المنورة - المكتبة السلفية - ب ت].

١٥- أصول الإيمان^(١):

هذا الكتاب وضعه محمد رشيد رضا ضمن مجموعة الحديث، لأن مادته كلها أحاديث^(٢) نبوية بوبها الإمام ورتبها، ولم يفسر الأحاديث، أو يذكر استنباطاته منها، بل سردها سرداً، وتعرض في الأبواب الأولى لأسماء الله وصفاته، ثم القدر، ثم الملائكة والقرآن، وتعرض لأهمية طلب العلم، مع التزام السنة، وأنها من حقوق النبي ﷺ.

١٦- كتاب الكبائر^(٣):

وهو مجموعة من الأحاديث أوردها المؤلف، مبيناً فيها كبائر القلب: مثل الكبر والرياء، ومودة أعداء الله، وكبائر اللسان؛ كالكذب والبذاءة والتملق والتشديق والجدل بغير علم، وذكر كبائر أخرى تتعلق بالواجب للأمرء من الطاعة في غير معصية الله، وغير ذلك، وكذلك الواجب عليهم لرعيتهن من عدم غشها، أو ظلمها، أو الاحتجاب عنها.

١٧- كتاب فضائل القرآن^(٤):

وهو كتاب صاغه الإمام على أسلوبه في كتاب فضائل الإسلام، حيث عقد أبواباً تناول فيها فضائل تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه، ووجوب تعلمه وتفهمه واستماعه، وتعرض لما جاء من الوعيد لمن فجر بالقرآن ورأى به، أو

(١) المرجع السابق (٢١٠ - ٢٤٠).

(٢) أورد الإمام بعض الآيات القرآنية في مقدمة بعض الأبواب، إلا أن ذلك جاء في أبواب قليلة جداً.

(٣) مجموعة الحديث النجدية، [مرجع سابق] (٢٥٨ - ٣١٠).

(٤) جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السننية، [مرجع سابق] (٣/١٠ - ١١).

تأكل به أو جفا عنه، ثم حذر في نهاية الكتاب من الجدال والاختلاف في القرآن الكريم، وختمه بباب ما جاء في التغيي بالقرآن.

١٨- أحاديث في الفتن والحوادث^(١):

بدأ الإمام هذا الكتاب بحديث أبي هريرة الذي جاء فيه أن النبي ﷺ قال عن فتن آخر الزمان: (يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل)^(٢)، ثم ذكر فيه مجموعة من الأحاديث عن فتن وحوادث آخر الزمان (بدون تبويب)، وختم الكتاب بحديث جابر بن عبد الله ﷺ: (لا تزال طائفة من أممي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة ..)^(٣).

١٩- حكم الغيبة والنميمة^(٤):

تناول المؤلف في هذا الكتاب بعض الأحكام المتعلقة بالأخلاق الاجتماعية، مثل الغيبة والشتم والتجسس والكذب، ويبين فيه متى يجوز

(١) هذا الكتاب لا يزال مخطوطاً وتوجد نسخة منه ضمن مجموعة من الرسائل في المكتبة السعودية بالرياض، ورقمها (٨٦/٥٢٥)، وهو مكون من ٤١ صفحة بخط (أحمد بن حسين) الذي ذكر أنه نقله من خط المؤلف نفسه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، صحيح مسلم [مرجع سابق] (كتاب: الإيمان، باب: الحث على المبادرة على الأعمال [ك ١ ب ٥١ ح ١١٨] [١/١٠٢]).

(٣) مسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق] كتاب الإيمان باب ٧١، حديث رقم ١٥٦، [ك ١، باب ٧١، ح ١٥٦].

(٤) هذا الكتاب لم يطبع حتى الآن، وتوجد منه نسخة خطية في مكتبة لايدن بهولندا تحت رقم ٢٤٩٧، انظر: د. عبدالله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق

الكذب، كما تناول المؤلف فيه بعض ما يتعلق ببر الوالدين والرأفة بهما.

٢٠- حكم كتم الغيظ والحلم^(١):

لم يتحدث المؤلف في هذا الكتاب مباشرة عن كتم الغيظ والحلم، كما يظهر من عنوان الكتاب، بل تناول بعض أحوال الدار الآخرة وما سيحدث فيه من الحساب، ثم مصير الناس يومئذ إلى جنة أو نار، بحسب ما قدموا من أعمال.

٢١- مجموع الحديث على أبواب الفقه^(٢):

وهو كتاب كبير الحجم، بلغت أحاديثه المرفوعة والموقوفة حوالي ستمائة وأربعة آلاف حديث، هذا عدا الآثار الأخرى من أقوال التابعين وفتاوى الأئمة المجتهدين، وقد رتب المؤلف على ترتيب أبواب الفقه، وقد اعتمد المؤلف على الكتب الستة إضافة إلى مسند أحمد وموطأ مالك، وغيرها من كتب السنة، ورغم أن المؤلف قد سبق في التصنيف في أحاديث الأحكام، إلا أن كتابه قد تميز بأنه أخذ عن سبقه، وزاد عليه كثيراً من الآثار الموقوفة على الصحابة، وبعض فتاوى التابعين والأئمة، ونقل الإجماع في كثير من المسائل، كما اعتنى أيضاً بنقل التصحيح والتحسين والتضعيف في كثير من الأحاديث، وذكر ما قيل في بعض الرواة المختلف فيهم.

(١) هذا الكتاب غير مطبوع أيضاً إلى الآن، ويوجد مع الكتاب السابق ضمن مجموعة في مكتبة لايدن بهولندا تحت الرقم ٢٤٩٧. وانظر المرجع السابق، (ص ١٠٥).

(٢) طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ، في أربعة أجزاء في قسم الحديث، بتحقيق وتعليق: خليل إبراهيم خاطر ومحمد الطحان.

وأما الفقه، فقد كان للإمام جهود عظيمة فيه، ولئن كان أكثر الناس يعرفون عن الإمام عنايته الشديدة بتصحيح العقيدة وتنقيتها من شوائب الشرك، فإن المتأمل لآثار الإمام الفقهية يدرك أن الإمام -رحمه الله- كان -إلى جانب ذلك- فقيهاً مجتهداً، بل إن الإمام حمل على عاتقه مسؤولية تصحيح المسار الفقهي التشريعي بين المسلمين، بعد أن غلبت عليه حمى التعصب المذهبي، الذي جنح ببعض أهله أحياناً إلى ردّ النصوص أو تأويلها بما لا يسوغ، موافقةً للمذهب. فجاءت مؤلفات الإمام وآثاره الفقهية مرتكزة على ثلاثة مبادئ.

أولها: اتباعه لمذهب الإمام أحمد، وعدم تنكره لمكانة أئمة المذاهب الذين سبقوه بالعلم والفتيا والاجتهاد.

وثانيها: أخذه باجتهادات الفقهاء المتقدمين والمتأخرين، ما لم تخرج عن آفاق الكتاب والسنة.

وثالثها: الرجوع -عند الاختلاف- إلى الكتاب والسنة وتحكيم الدليل وإن خالف المذهب^(١).

ولئن كان الإمام -في بداية دعوته- ركّز اهتمامه على أصول الدين تعليماً وتأليفاً ودعوةً وجهاداً، فإنه بعد فترة من الزمن رأى أنه من المناسب أن يكتب فيما يسمى بالفروع، وسائل الفقه والعبادات والمعاملات. ومن أبرز مؤلفات الإمام الفقهية ما يلي:

(١) انظر: بحثاً قدمه الدكتور: عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، بعنوان: خصائص التفكير الفقهي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] (١/٣٩٩).

٢٢ - كتاب آداب المشي إلى الصلاة^(١):

اشتمل هذا الكتاب على المبادئ التي ذُكرت والتي ارتكز عليها منهج الإمام في الفروع، وقد جاء هذا الكتاب خلواً من مقدمة التأليف التي يمكن من خلالها أن يتبين هدف المؤلف ومنهجه، إلا أن ابن بشر أشار إلى أن هذا الكتاب أُلّفه الإمام رداً على الخصوم الذين رموه بنبذ المذاهب الفقهية، وادّعاء الاجتهاد^(٢)، فجاء هذا الكتاب جواباً عملياً دامغاً على تلك الفرية، حيث التزم بعرض الأحكام على المذهب الحنبلي^(٣)، إلا أنه - إضافةً إلى ذلك - ضمّنه أدلة الأحكام التي استنبطت منها تلك المسائل تمثيلاً مع منهجه في متابعة الدليل.

وبخلاف ما يظهر من عنوان الكتاب، يُلاحظ أن الإمام لم يقتصر على آداب المشي إلى الصلاة، بل تحدث عن جميع أنواع الصلاة، كما تناول الزكاة والصدقة والصيام أيضاً، وقد جعل كتابه مختصراً ميسراً، فلم يذكر فيه آراء فقهاء الحنابلة المتعددة، كما لم يشر إلى آراء فقهاء المذاهب الأخرى.

(١) مطبوع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ، القسم الثاني، الفقه (٣ - ٣٨).

(٢) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٩٢/١).

(٣) سار الإمام في تبويه للكتاب على طريقة البهوتي في كتابه (كشاف القناع في متن الإقناع) وهذا الكتاب يعد أحد الكتب المعتمدة للمذهب الحنبلي، انظر: بحوث أسبوع الشيخ، (٤١٠/١).

٢٣- إبطال وقف الجَنَفِ والإِثْمِ^(١):

وسبب كتابة الإمام لهذا المؤلف: أن الإمام رأى ما كان شائعاً في نجد من أنواع الوقف، فأنكر نوعاً من هذه الأوقاف، وهو ما أسماه الإمام بوقف (الجنف والإثم)، وهو أن يتحايل بعض الناس في تقسيم الإرث فيريد أن يقسمه على هواه ويفر من قسمة الله، مثل أن يريد أن لا يورث امرأته من هذا النخل مثلاً، أو يريد أن يزيد الذكور ويحرم الإناث، فيفتي له بعض المفتين أن هذه البدعة صدقةٌ وبرٌّ وتقربٌ إلى الله، فيوقف المال ويشترط فيه شروطاً تتضمن ما أملاه عليه هواه، وكان هذا النوع من الوقف مألوفاً في نجد فلما أنكره الإمام استغربوا لذلك، ورماه بعض الخصوم بالأكاذيب، لينفروا الناس منه، حيث ادعى سليمان بن سحيم أن الإمام لا يجيز الوقف^(٢) إطلاقاً، ويقطع بفساده، فألف الإمام هذه الرسالة المختصرة، ويين فيها أن الوقف المحرم إنما هو وقف الجنف والإثم، وذكر صورته والأدلة على تحريمه وبطلانه.

(١) أورد حسين بن غنام هذا المؤلف في كتابه، انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٢٤/١ - ١٢٩). ويمكن أن يصنّف هذا المؤلف ضمن الرسائل الشخصية أيضاً، حيث توحى بعض العبارات الواردة فيه بأن الإمام قد وجهه إلى جهة معينة، كقوله (... فإذا كان عندكم بين المسألتين فرق فينبوه ..) [مرجع سابق] (١٢٧/١). وقد طبع هذا المؤلف ضمن الرسائل الشخصية الذي يمثل الجزء الخامس من مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/ ٧٨ - ٨٥)

(٢) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام [مرجع سابق] (١٢٣/١).

٢٤- أحكام الصلاة^(١):

وهي رسالة قصيرة جداً، كتبها الإمام على شكل نقاط مختصرة، ولعلها كتبت لعامة الناس بغرض تعليمهم أهم ما يلزمهم معرفته من أحكام الصلاة، وربما استفاد منها طلبة العلم في دروسهم، فهي نقاط للتذكير أثناء الشرح والتوضيح، ورغم اختصارها، فقد اشتملت على شروط الصلاة وأركانها ومبطلاتها وواجباتها وكذلك فروض الوضوء وشروطه ونواقضه.

وأما عن جهود الإمام في علم التفسير فمن مؤلفاته:

٢٥- تفسير آيات من القرآن الكريم^(٢):

وقد سلك الإمام -رحمه الله- في تفسيره منهجاً متميزاً، حيث كان يكتفي بالإشارة إلى الآيات التي يفسرها، ولا يذكر نصوصها كاملة -حرصاً منه على الاختصار- ثم يذكر معاني بعض الكلمات، ويعلق على الآيات أحياناً، ثم يذكر المسائل التي تستنبط من تلك الآيات العظيمة بإيجاز شديد، وكأنه وضعها على شكل رؤوس أقلام لما سيشرح للطلاب أثناء الدروس العلمية.

وإن المتأمل في تلك المسائل التي استنبطها الإمام من الآيات الكريمة ليدرك ما وهب الله الإمام من قوة الفهم لكتاب الله تعالى، وسلامة التفكير، والالتزام بقواعد الاستنباط، والإلمام بقواعد الشريعة، حيث يستخرج الإمام

(١) طبعت عدة طبعات منها طبعة ضمن مجموعة التوحيد، [مرجع سابق] (ص ٣١-

٣٢).

(٢) طبعت ضمن مجموع مؤلفات الشيخ، (القسم الرابع، التفسير) (ص ٤٠- ٤٣٦).

من الآية الواحدة العديد من المسائل والشواهد والأدلة في الموضوعات المختلفة^(١).

ثانياً: مختصرات الإمام التي اختصرها من أصولها المطولة:

يذكر علماء مناهج البحث أن من أهداف التأليف اختصار المطول وتهذيبه^(٢).

وقد عُني الإمام محمد -رحمه الله- بهذا الجانب، فقام باختصار بعض الكتب الهامة التي أعرض عنها بعض طلبة العلم في عصره، لطولها وكثرة الاستطرادات فيها، وعدم توفرها، فاختصرها -رحمه الله- تقريباً لثمراتها، وتيسيراً للوصول إليها.

فمن مختصرات الإمام التي اختصرها من أصولها المطولة :

٢٦- مختصر الإنصاف والشرح الكبير^(٣):

وهذا الكتاب يعد أكبر مؤلفات الإمام الفقهية ، فقد عمد الإمام -رحمه الله- إلى كتابين من أشهر الكتب المصنفة في الفقه الحنبلي وأوسعها، فاختصرهما من أصولهما المطولة، لتيسير الانتفاع بهما. وهذان الكتابان هما: (الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف) لعلاء الدين علي بن سليمان

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ ، (القسم الرابع ، التفسير) (ص ٤٠- ٤٣٦).

(٢) انظر على سبيل المثال : د . محمد عجاج الخطيب ، نحات في المكتبة والبحث والمصادر ، [بيروت ، مؤسسة الرسالة - ط الثامنة - ١٤٠٣ هـ] ص ٩٩ .

(٣) طبع هذا الكتاب ضمن مجموع مؤلفات الشيخ، القسم الثاني (الفقه) المجلد الأول، ص ١-

المرداوي الحنبلي (٨١٧ - ٨٨٥ هـ). والثاني: (الشرح الكبير) لشمس الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن أبي عمر بن قدامة المقدسي (٥٩٧ - ٦٨٢ هـ) وكلا الكتابين شرح لكتاب من أمهات كتب الفقه الحنبلي، وهو كتاب (المقنع) لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠ هـ).

ومن الملاحظ أن اعتماد الإمام على الشرح الكبير أكثر من اعتماده على الإنصاف، حتى إن الإمام لم ينقل من الإنصاف شيئاً في أربعة وعشرين باباً فقهياً^(١).

ولعل القصد في عبارة الإمام التي يذكرها في نهاية بعض الأبواب، وهي قوله: (ومن هنا إلى آخر الباب من الإنصاف) لعل قصده ليس أنه اختصار بالمعنى الدقيق، بل مجرد الإشارة إلى مصدر المسائل المدونة تحتها لا غير، وإلا فما جاء نقله من الإنصاف هو بالأصالة بجميع لاختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض الموضوعات الفقهية، وهي تشير إلى الجانب الاجتهادي في شخصية الإمام العلمية ... الأمر الذي أثار حفيظة بعض الخصوم، فرموه بنبذ المذاهب وادعاء الاجتهاد، فردّ عليهم الإمام بتأليف كتاب آداب المشي إلى الصلاة^(٢)، الذي التزم فيه بمذهب الإمام أحمد.

ومما يلفت انتباه الباحث في (مختصر الإنصاف والشرح الكبير) حجمه الكبير، وكثرة مسائله وتفرعها -مقارنة ببقية مؤلفات الإمام- وهذا يشير إلى

(١) انظر: بحوث أسبوع الشيخ، (١/٤٠٩).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ، القسم الثاني (الفقه) (١/٧٨٣) وعبد الله العثيمين،

الشيخ محمد بن عبدالوهاب، [مرجع سابق] ص ١٠٧، وبحوث أسبوع الشيخ، (١/٤٠٦).

قضيتين مهمتين، أولاهما: أن الإمام أعطى الفقه ما يستحقه من العناية، والثانية: هي انتماء الإمام للمذهب الحنبلي، وعدم تنكره لأقوال أئمة المذاهب كما رماه الخصوم.

ومن المختصرات التي كتبها الإمام أيضاً:

٢٧- مبحث الاجتهاد والخلاف^(١):

وهذا الكتيب يبين فيه الإمام الموقف الذي ينبغي أن يتخذه المسلم عند حدوث الخلاف في بعض المسائل بين أهل العلم، أو بين الصحابة وتابعيهم، وقد تناول الموضوع من جانبين، الجانب الأول: ذكر فيه الأدلة الدالة على وجوب اتباع الصحابة. والجانب الثاني: الجواب على شبه النفاة وقد بين ذلك كله من ستة وأربعين وجهاً.

والكتاب في الأصل عبارة عن اختصار لما جاء حول هذا الموضوع من كتاب الإمام ابن القيم - رحمه الله - (أعلام الموقعين)، وهذا واضح من عبارة الإمام في أول الرسالة، حيث قال: (قال ابن القيم في أعلام الموقعين: إذا قال الصحابي قولاً، فإما أن يخالفه صحابي آخر...)^(٢)، وقد أنكر بعض الباحثين نسبة هذا الكتاب إلى الإمام، وذكر (أن البحث أظهر أنه جزء من كتاب الإمام ابن القيم: أعلام الموقعين)^(٣).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ ، القسم الثاني (الفقه) المجلد الثاني ، ص ١٥ - ٥٤ .

(٢) انظر : ابن قيم الجوزية ، أعلام الموقعين عن رب العلمين ، بتحقيق عبد الرحمن الوكيل [بيروت - دار إحياء التراث العربي - ط الأولى ١٤١٢هـ] [٤/١٥٣] .

(٣) د. عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، [مرجع سابق] ص ١١٠ .

لكن الواقع أن المتأمل في الرسالة يرى للإمام أثره الواضح في اختصار ما ذكره ابن القيم، ومعلوم أن اختصار المطول غرض من أغراض التأليف، فلا وجه للاعتراض على نسبة هذا الكتاب للإمام وعده من آثاره.
ومن جهود الإمام في التاريخ والسيرة :

٢٨- مختصر سيرة الرسول ﷺ^(١):

وقد اختصره الإمام -رحمه الله- من كتاب السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام، إلا أنه ضمّنه بعض الاستنباطات المفيدة، وأضاف إليه مقدمة نافعة بيّن فيها واقع أهل الجاهلية اعتقاداً وسلوكاً، كما أورد بعض النصوص والأدلة في بعض المواضع، ولم يقف عند وفاة الرسول ﷺ، بل تابع ما حدث بعد ذلك للدولة الإسلامية، وتعرض لحوادث الردة وما بعدها حتى قيام الدولة العباسية، وابتداء تأليف كتب الحديث والمغازي.

وأسلوب الإمام في كتابه هذا قصصي سهل، وقد بدأ كتابه بالتبويب على أساس الموضوعات، ثم غير طريقة التبويب ابتداءً من وفاة الصديق ﷺ، فجعله على أساس ذكر حوادث كل سنة على حدة.

وهذا الكتاب على وجازته، إلا أنه يعد من أنفع ما ألف في باب، حيث أن الإمام يحرص على استنباط العبر والأحكام من بعض الأحداث.

٢٩- مختصر زاد المعاد^(٢):

حيث اختصر الإمام فيه كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله- والذي استوعب مؤلفه فيه ما ورد عن رسول

(١) مجموع مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ (ص ٣٣٠ - ١).

(٢) المرجع السابق، القسم الرابع، التفسير ومختصر الزاد، (٣٩٥ - ٧٤٦) (٣٥١ صفحة).

الله ﷺ من هديه وسنته في كل سلوكه وتصرفاته، من مولده حتى وفاته، حيث تيسر لمؤلفه ما لم يتيسر لغيره ممن ألفوا في هذا الباب، إلا أنه أسهب وأطال في بعض المواضع، بذكر الخلاف، واستيفاء الأدلة، مما قد يثقل على المتعجل، فقام الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- باختصار هذا الكتاب وتقريبه، فاقتطف منه الزبدة والخلاصة، حتى أخرجها في مجلد لطيف سهل المنال، حيث بدأه بمقدمة يبين فيها اصطفاء الله تعالى واختياره لنبيه محمد ﷺ وتفضيله على سائر البشر، وبناءً على ذلك، يبين الإمام (اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به؛ لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا على يديه، ولا إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهته)^(١)، حتى عقد فصولاً في هديه ﷺ في تطهره وصلواته وعباداته وغزواته وأسفاره وآدابه، وجميع شأنه، وختم الكتاب بفصل في بعض أحكامه ﷺ في النكاح وتوابعه (مختصراً).

كتب منسوبة إلى الإمام:

١- كتاب أحكام تمني الموت^(٢):

هذا الكتاب نسب إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وطبعته الجامعة خطأً ضمن مجموع مؤلفات الإمام، ولعل السبب الذي أوقع في هذا الخطأ عدة أمور:

(١) مجموع مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ومختصر الزاد ص ٤٠٨.

(٢) طبعت الجامعة هذا الكتاب خطأً ضمن مجموع مؤلفات الشيخ، القسم الثاني (الفقه) المجلد

أولها: الحرص التام على استيفاء مؤلفات الإمام.

الثاني: ما كتب على ظهر مصورة مخطوطة هذا الكتاب أنه (بخط محمد ابن عبد الوهاب)، فأوهم ذلك أن المراد بهذا الاسم هو الإمام محمد بن عبد الوهاب.

ولكن المتأمل لمحتوى هذا الكتاب وما جاء فيه، يدرك أنه ليس من كتابات الإمام، بل إنه يعارض ما قرره الإمام في بقية مؤلفاته الأخرى ورسائله وأجوبته، وقد استغل هذا الخطأ غير المقصود بعض أهل الأهواء والمقاصد السيئة، فاستلوا هذا الكتاب من مطبوعات الجامعة دون استئذانها، مخالفين بذلك أنظمة الطباعة، وطبعوها وقاموا بتوزيعها بقصد التشويش، ولعلمهم اختصوا هذا الكتاب المشبوه، واهتموا بنشره؛ لأنه يوافق أهواءهم، وتركوا كتب الإمام الصحيحة والثابتة؛ لأن مضامينها لا تتناسب مع أهوائهم السيئة.

وقد كلفت الجامعة فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء، وعضو هيئة كبار العلماء في المملكة، بدراسة موضوع نسبة هذا الكتاب إلى الإمام، فتقصى فضيلته الموضوع، وكتب دراسة قيّمة، أثبت فيها عدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام، وذلك من ثمانية وجوه، منها: أن المخطوطة التي اعتمد عليها في التصحيح تبين أن هذا الكتاب بخط محمد بن عبد الوهاب، ولم تذكر من مؤلف هذا الكتاب، إضافة إلى وجود علماء في بلاد نجد يحملون اسم محمد بن عبد الوهاب غير الإمام، مثل: محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله (ت

١١٢٧هـ^(١)، ومحمد بن عبد الوهاب بن فيروز (ت ١١٣٥هـ)^(٢)، ومحمد بن عبد الوهاب بن مشرف (ت ١١٢٦هـ)^(٣). وكذلك فإن مضامين الكتاب والأحاديث الواردة فيه توافق ما في كتاب السيوطي (شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور)، مما يدل على أن غالبه مُستل من هذا الكتاب، والمعروف عن الإمام من خلال رسائله وفتاواه أنه يعتبر الكلام في الروح، وتلقين الميت بعد الدفن، والقراءة على القبور، من البدع المحرمة^(٤). كما أن الكتاب يحتوي على كثير من الأحاديث غير الثابتة، مع أن المعروف عن الإمام شدة تحذيره من مثل هذه الأحاديث، إضافة إلى ما هو واضح في فن تأليف الكتاب من الخلل والقصور والركاكة، وعدم مطابقة محتواه لموضوعه، وهذا ما لم يعهد في مؤلفات الإمام الذي ميّزه الله بميزة حسن التأليف والتبويب، كما هو واضح في أكثر مؤلفاته، أضف إلى ذلك مخالفة الكتاب لمنهج الإمام في التربية والتعليم، حيث إن الإمام يرى الاهتمام بالعقيدة وتصحيحها وينهى عن قراءة ما يشغلهم عن ذلك، مثل كتب ابن الجوزي (المنعش، والمرعش، والتبصرة)، فكيف يؤلف كتاباً شبيهاً بتلك الكتب.

وقد طبعت دراسة الشيخ صالح الفوزان حول هذا الكتاب في رسالة صغيرة بعنوان (إبطال نسبة كتاب أحكام تمني الموت إلى الشيخ محمد بن

(١) الفاخري، الأخبار النجدية، [مرجع سابق] (ص ٩٦).

(٢) عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، [مرجع سابق] (٣/٨٩٤).

(٣) المرجع السابق، (٣/٨٩٦).

(٤) انظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السننية، [مرجع سابق] (٣/٢٤٩ - ٢٧٩).

عبدالوهاب)، وضمنها الشيخ ملحقاً أرفق فيه صورة من اعتذار القائمين على نشر الكتاب عما وقع من الخطأ في نسبه إلى الإمام، وصورة لقائمة مؤلفات الإمام التي ذكرها المؤرخون، توضح أنه لم يذكر أحد من المتقدمين أو المتأخرين هذا الكتاب ضمن مؤلفات الإمام.

وقد قامت الجامعة -مشكورة- بطباعة ردّ الشيخ الفوزان بتاريخ ١٤١٠هـ، فجزى الله القائمين عليها كل خير.

٢- نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين :

هذا الكتاب جاء ضمن مجموعة الحديث النجدية، مما جعل بعض الباحثين ينسبه إلى الإمام، ويعدونه من مؤلفاته^(١)، ولم يورده ابن غنام ولا ابن بشر ضمن مؤلفات الإمام، بل ولا الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في الدرر السنية، وربما كان ذلك من أسباب عدم طباعة الجامعة لهذا الكتاب ضمن مجموع مؤلفات الإمام، وقد حقق الشيخ إسماعيل الأنصاري-رحمه الله- نسبة هذا الكتاب، فذكر أنه نص كتاب الأدب من مشكاة المصابيح للخطيب العمري التريزي، وأيد تحقيقه هذا سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز، حيث قال سماحته في جوابه للشيخ إسماعيل: (نعيد إليكم تحقيقكم الجيد عن كتاب (نصيحة المسلمين)، ونفيدكم أنه قد اتضح لنا من هذا التحقيق المرفق أن

(١) طبع الكتاب منسوباً للشيخ ضمن مجموعة الحديث النجدية، الطبعة السلفية، (ص ٣١٢ - ٣٩٠)، وطبعة النار (ص ٣١١-٤٤٤)، وطبعة قطر (ص ٣١١-٤٤٤)، وذكره الدكتور أحمد الضبيب في السجل البليوجرافي لمؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب [مرجع سابق] (ص ١٨٩)، وأورده د. عبدالله العثيمين ضمن مؤلفات الشيخ، اعتماداً على مجموعة الحديث النجدية، انظر د. عبدالله العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، [مرجع سابق] (ص ١٠٣).

كتاب النصيحة في مجموعة الحديث النجدية ليس من مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بل هو قطعة من المشكاة كما ذكرتم، وضعها بعض تلاميذه أو بعض طلاب العلم عن حسن قصد ضمن المجموعة، (يعني كتاب مجموعة الحديث النجدية) لقصد الفائدة^(١).

ومن المعروف عن الإمام أنه كان ينسخ بيده بعض الكتب أو الفصول التي يحتاجها كمراجع، فعمل بعض طلبة الإمام أو أحفاده وجدوا الكتاب بخطه، فنسبوه له، وظنوه من مؤلفاته.

هذه هي الكتب التي ألفها الإمام - رحمه الله - أو نسبت إليه خطأ، وقد أوردتها لبيان استخدام الإمام لو سيلة التبليغ بالقول التي منها ما حصل (مباشرة بالمشافهة)، ومنها ما حصل بطريقة (غير مباشرة) كالرسائل والكتب، ولم يكتف الإمام باستخدام وسائل التبليغ بالقول فقط، بل استخدم وسائل أخرى من وسائل الدعوة هي:

ثانياً: وسائل تبليغ الدعوة (بالعمل):

وقد بدا هذا الجانب واضحاً في سيرته - رحمه الله - وذلك من خلال قيام الإمام بنفسه بإزالة المنكرات وتطبيق الحدود، وتجهيز الجيوش والغزوات.

أ- الاحتساب العملي وتغيير المنكرات:

ذكر ابن بشر أن الإمام بعد أن انتقل إلى العيينة، وأيده أميرها - عثمان بن معمر - شرع - رحمه الله - في إزالة المنكرات، فكان في العيينة أشجاراً تعظم

(١) انظر: د. صالح العبودي، (بحث) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي [مرجع سابق] (ص ١٤٥).

ويعلق عليها، فبعث إليها من يقطعها بأجرة من مال، فُقطعت، وفي البلد شجرة -هي أعظمهن- اسمها شجرة الذيب خرج إليها الإمام بنفسه سرّاً وقطعها، وكذلك قبة قبر زيد بن الخطاب التي كانوا يعظمونها ويرتكبون عندها ألوان الشرك والمخالفات العقديّة، سار إليها الإمام بصحبة الأمير عثمان بن معمر وستمائة رجل، ولما همّ أهل الجيلة أن يمنعوهم، تأهب عثمان للحرب، فكفوا عنهم، وخلوا بينهم وبينها، فهدمها الإمام بيده حتى ساواها^(١).

ب- إقامة الحدود:

كان الإمام يمارس الدعوة العملية بإقامة الحدود والتعزيرات، ومن ذلك: أن امرأة أتت إلى الإمام واعترفت عنده بالزنا والإحصان، وتكرر منها الإقرار أربع مرات في أيام متواليات، فسأل عن عقلها، فإذا هي صحيحة العقل، وقال: لعلك مغصوبة، فأقرت واعترفت بما يوجب الرجم فأمر الإمام عند ذلك أن تُشدّ عليها ثيابها، وتُرجم بالحجارة على الوجه المشروع، فُرجمت، ثم أمر أن يغسلوها وأن تكفن، ويُصلى عليها^(٢).

ج- الجهاد في سبيل الله:

كان الإمام -رحمه الله- هو الذي يُجهّز الجيوش ويبعث السرايا^(٣)، وكان له -رحمه الله- دورٌ بارز في تثبيت جنوده، ومن ذلك أنه لما وقعت

(١) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٩/١) وحسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٣٠/١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١٠/١).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٥/١).

الهزيمة باتباع الإمام في الحائر سنة ١١٧٨ هـ^(١)، وقتل منهم في تلك الهزيمة خمسمائة رجل، وأسر الكثير، يقول ابن بشر: ذكر لي أن عبدالعزيز - رحمه الله - لما دخل على الشيخ عند مجيئه من هذه الواقعة، لم يبادرهم الشيخ إلا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. إِنْ يَمْسِكُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤١].

وفي سنة ١١٦٧ هـ حين رأى الإمام تظاهر بعض أهل البلاد بالضلال، جمع في هذه السنة أهل الإسلام من بلادهم ووعظهم، وبين لهم سنة الله تعالى، وبشرهم بالنصر إن استقاموا على الدين، وأمرهم بالتوبة وصدق النية، فتصدقوا بصدقات كثيرة، وسألوا الله النصر^(٢).

كما كان - رحمه الله - يتابع سرايا الجهاد، ويتقصى أخبارها، ويبادر إلى تشجيعها ومناصحتها، وتذكيرها بالله وقت النصر والغلبة، حيث قال - رحمه الله - للأمير عبدالعزيز بعد فتحه للرياض سنة ١١٨٧ هـ: (أحب لك ما أحب لنفسي، وقد أراك الله في عدوك ما لم تكن تؤمل، فالذي أراه لك أن تكثر من قول الحسن، كان إذا ابتدأ حديثه يقول: اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وفرجت عنا، لك الحمد بالإسلام والقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، كبت عدونا، وبسطت رزقنا، وأظهرت أمننا.... إلخ)^(٣).

(١) انظر: المرجع السابق، (٤٨/١)

(٢) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٠٢/١).

(٣) المرجع السابق (١٣٦/١).

د- دعوته العملية بمشاركته في إدارة أمور الدولة وتنظيمها:

كان الإمام -رحمه الله- يُعيّن الأمراء أحياناً، وربما ذهب بنفسه لحلّ بعض المشاكل في المناطق المجاورة^(١)، وأحياناً يأمر بمجيء بعض الوفود إلى العاصمة لتدارس بعض الأمور^(٢)، إضافة إلى أنه كان يتولى قسمة المال الذي يجيء إلى بيت المال، ويقوم بتوزيعه^(٣)، إضافة إلى دوره في اختيار القضاة وتعيينهم، وإرسال الدعاة ومتابعتهم^(٤)، رغم انشغاله إلى جانب ذلك كله بالتربية والتعليم، والدعوة، وإلقاء الدروس العلمية.

هـ- اتخاذ الأسباب المباحة لتهيئة المجال المناسب لتبليغ الدعوة :

يمكن تصنيف هذا العنصر ضمن الوسائل العملية للدعوة، لما تتطلبه الأسباب اللازمة له من عمل وحركة دائبة، وإجراء لبعض الزيارات والمقابلات والتنقلات، ونحو ذلك^(٥).

ومن الوسائل التي حرص الإمام على استعمالها، من باب اتخاذ الأسباب التي تهيئ المجال المناسب لتبليغ الدعوة وزيادة تأثيرها:

(١) انظر : المرجع السابق (١٤/٢ - ٥٠ - ٥٧) وانظر : عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١/٣٩، ٥٢) .

(٢) انظر : حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام ، [مرجع سابق] (١٩/٢ ، ١٣٧) .

(٣) المرجع السابق (٢/١٥٥) .

(٤) المرجع السابق (٢/٨٠ ، ١٤٤) .

(٥) ولا مشاحة في الاصطلاح، فلو صنفها البعض تصنيفاً آخر لكان الأمر واسعاً، ويكفي الاتفاق على أنها من الطرق التي استخدمها الإمام -رحمه الله- ولها شواهد في سيرته ودعوته.

١- الحذر المقرون بالتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب :

أدرك الإمام -رحمه الله- أن من تمام التوكل على الله والاعتماد عليه أن يحرص الإنسان على اتخاذ الأسباب التي جعلها الله -وفق سننه الكونية- وسائل معينة على حصول النتائج المرجوة، بخلاف بعض الفرق الضالة، التي فهم أصحابها أن التوكل هو ترك اتخاذ الأسباب المباحة، فمنهم من لبس عليهم الشيطان، فأوهمهم أن التوكل يكون بدخول الفلاة بغير زاد^(١)، والسياسة لا إلى مكان معروف، ولا طلب علم، والتعرض للسباع بدون سلاح، وعدم الهرب منها، بل وترك الكسب، وترك التداوي ونحو ذلك، وهم في ذلك عجائب ذكرها ابن الجوزي -رحمه الله- في كتابه القيم تليس إبليس^(٢)، وذكر الردود عليها في مواضعها، ويين أن هذه المسالك مخالفة للسنّة، وأنها ليست من البر في شيء، وذكر الشواهد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ التي تبين أن الواجب الأخذ بالأسباب، وأخذ الحيلة والحذر، مع تمام التوكل على الله، فموسى عليه السلام هرب من الحية^(٣)، ومحمد ﷺ كان يلبس الدرع والمغفر ويظاهر بين درعين في غزواته^(٤)، وكان

(١) انظر: أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تليس إبليس، [بيروت، دار الكتب العلمية، ط الثانية، ١٣٦٨هـ] [ص ٢٩٩].

(٢) أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تليس إبليس [مرجع سابق] [ص ٢٨٧ - ٣١٦].

(٣) قال تعالى في سورة القصص آية (٣١) ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا نُهْزًا كَآثِمًا جَانًّا وَلَىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.

(٤) انظر: البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب: الجهاد، باب: ما قيل في درع

النبي ﷺ والقميص في الحرب [ك ٦٠ ب ٨٨ ح ٢٧٥٨] [٢/٣٠٦٧].

إذا أراد غزوة ورى غيرها^(١)، وشارك بنفسه ﷺ في حفر الخندق يوم الأحزاب^(٢)، والشواهد والنصوص على أخذه ﷺ بالأسباب، وأمره بالأخذ بها أكثر من أن تُحصَر.

وإن المتأمل لسيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ليدرك أنه جمع بين اتخاذ الأسباب، وشدة الحيطَة والحذر، وبين شدة التوكل على الله والاعتصام به، وعدم التعلق بغيره سبحانه وتعالى.

وقد حدّد الإمام - رحمه الله - منذ البداية هدفه وغايته، وهي إصلاح الأوضاع المنحرفة، والعودة بالناس إلى العقيدة الصحيحة؛ فاتخذ الأسباب اللازمة لذلك، بدءاً بطلب العلم الشرعي، ولم يقف - رحمه الله - بوضوح وشدة في وجوه أصحاب المنكرات إلا بعد توفر عنصر القوة اللازمة لحماية دعوته؛ حيث سعى إلى كسب تأييد ابن معمر له في العينة، ونجح في ذلك، وكان قبل الحصول على هذا التأييد يكتفي بالوعظ والتذكير، والتلميح أحياناً دون التصريح، كأن يرفع صوته عند قبة زيد بن الخطاب بعبارة: الله خير من زيد.... الله خير من زيد ..^(٣)، دون أن يواجه بذلك أحداً بعينه.

وما خروج الإمام من حرملاء - بعد أن أدرك أنها لم تعد مناخاً مناسباً للدعوة - إلا نوع من اتخاذ الأسباب المعينة على استمرار الدعوة وعدم

(١) المرجع السابق، كتاب الجهاد، باب من أراد غزوة فورى غيرها، [ك٦٠ ب١٠٢ ح ٢٧٨٧] [٣/١٠٧٨].

(٢) المرجع السابق، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق [ك٦٧ ب٢٧ ح ٣٨٧٢] [٤/١٥٠٤].

(٣) ذكر ذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، انظر: مجموعة التوحيد [مرجع سابق] (ص ٣٣٩).

توقفها، بل وحتى في العينة لم يكن الإمام يحرص على مواجهة الناس بتغيير المنكرات، إذا خشي أن يكون هناك خطر على الدعوة، فعندما أراد قطع شجرة الذيب (خرج إليها بنفسه سراً يريد قطعها)^(١) إذ لا داعي للمواجهة العنيفة مع بعض السفهاء الذين قد تؤدي المواجهة معهم إلى ما لا تحمد عقباه، فالقصد هو إزالة المنكر، وقد تم ذلك، والحمد لله.

أما قبة زيد بن الخطاب في الجبيلة، فلم يكتف الإمام بأخذ إذن عثمان بن معمر بهدمها، بل أصرّ على أن يصحبه الأمير عثمان بنفسه لهدمها، وقال: (أخاف من أهل الجبيلة أن يوقعوا بنا، ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي)^(٢)، وعندما طلب منه ابن معمر مغادرة العينة خوفاً من التهديدات التي وصلته من زعيم بني خالد في الأحساء، ولم يُفد معه تثبيت الإمام له.. اختار الإمام أن تكون وجهته إلى الدرعية، حيث أن الإمام كان قد بذل جهوداً مسبقة لكسب الأنصار هناك، وكانت دعوته قد لقيت قبولاً كبيراً بين الشخصيات المهمة في هذه البلدة، مثل آل سويلم، بل وبعض أفراد الأسرة السعودية، مثل أخوي الأمير وهما ثنيان ومشاري وابنه عبدالعزيز^(٣)، إضافة إلى ما يعرفه الإمام من عداوة حكام الدرعية لزعماء بني خالد، وكونه -رحمه الله- يشترك مع أمراء الدرعية في خصم واحد^(٤)، مما يزيد من فرص الالتقاء بين الإمام وحكام الدرعية.

(١) انظر : عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] [٩/١].

(٢) انظر : المرجع السابق، الموضع نفسه .

(٣) انظر : حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] [٣١/١ - ٢٢٢].

(٤) انظر : د. عبدالله النعيمي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] [٥٩ - ٦٠].

أما عن حرص الإمام على اتخاذ الأسباب، وعنايته بأخذ الحيطة والحذر في غزواته وسراياه، فيعجز عنها الحصر، أضف إلى ذلك حذره من اتباع الهوى والوقوع في المعاصي، ومن فتنه المال والأهل والولد، حيث أن هذه الجوانب - وإن غفل عنها الكثير من الدعاة اليوم- من أخطر المعوقات التي تعرقل مسيرة العمل الدعوي. فكان الإمام رحمه الله قدوة في الزهد والعبادة، والتورع عن فضول المباحات؛ فضلاً عن المحرمات، وقد قضى مدة من حياته متنقلاً بين البلدان يجوب الفيافي والقفار، ويضحّي بالقرب من الأهل والأولاد، ويتعرض للمصائب والأخطار، في سبيل طلب العلم، والاستعداد للقيام بأمانة حمل هذه الدعوة.

وهكذا ينبغي للدعاة أن لا يختلط لديهم مفهوم (التوكل على الله) ومفهوم (وجوب الأخذ بالأسباب واتخاذ الحيطة والحذر)؛ فإن تغليب جانب التوكل مع ترك الأسباب مخالف لسنة المصطفى ﷺ، وقد يوقع الدعوة والدعاة فيما لا تحمد عقباه.

كما أن تغليب جانب اتخاذ الأسباب وأخذ الحيطة والحذر مع ضعف التوكل، قد يقدرح في الإيمان، وينافي كمال التوحيد الواجب، بل إن انتفائه يؤدي إلى انتفاء الإيمان^(١)، فقد علّق الله الإيمان عليه فقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، أي لا تتوكلوا إلا على الله وحده^(٢).

(١) انظر: ما ذكره صاحب فتح المجيد في شرحه لباب: قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، [بيروت، دار القلم، ط الأولى، ٤٠٥هـ] [ص ٣٦٦].

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن حسن، فتح المجيد، [مرجع سابق] [٣٦٧].

٢- الاستعانة - بعد الله تعالى - بأهل الخبرة والكفاءة والمكانة، إما لحماية الداعية، أو تمكينه وإعانتته على تبليغ دعوته، أو تزويده بالخبرات التي قد يجهلها:

وهذه الوسيلة استخدمها المصطفى ﷺ قبل ذلك، فقد استأجر هو وأبو بكر ﷺ دليلاً ماهراً، عارفاً بمسالك طرق الصحراء، ليقودهما إلى المدينة، وهو عبد الله بن أرقط^(١) الديلي، وكان مشركاً، واستكتماه الخبير^(٢)، ودخل ﷺ مكة بعد عودته من الطائف في جوار المطعم بن عدي وكان مشركاً^(٣)، وكان ﷺ يعرض نفسه على القبائل ويطلب من ذوي الشأن أن يحموه دون أن يكرههم على دعوته ويقول: (هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي)^(٤)، وقد استشار الرسول ﷺ أصحابه يوم الخندق، فقال سلمان الفارسي للرسول ﷺ: (إنا كنا بفارس إذا حوضرنا

(١) ذكر الدكتور مهدي رزق الله في كتابه (السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية) أن هذا هو اسم الدليل (أرقط) بالدال، وهو كذا في المخطوطة من سيرة هشام بالأسكوريال (ق ٤٦/ب) وكذا في المطبوع من تاريخ الطبري (٣/٣٧٨)، فلعله تصحّف في المطبوع إلى (أريقط)، والمشهور عند أهل السير (أريقط).

(٢) انظر: د. مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، [الرياض، طبعة مركز الملك فيصل للبحوث، ط الأولى، ١٤١٢هـ] (ص ٢٦٧).

(٣) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، [بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢٦، ١٤١٢هـ] (٣/٣٣) وعبد الملك بن هشام، سيرة النبي ﷺ، [مرجع سابق] (٢/٢٨) وابن كثير، البداية والنهاية، [مرجع سابق] (٣/١٣٧).

(٤) رواه أحمد في مسنده من حديث جابر، انظر: الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، [مرجع سابق] رقم الحديث (١٥١٧٣) (٣/٣٩٠).

خندقنا علينا)، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة^(١)، ولم يتجاهل خبرة أصحابه، وما كان عندهم من تجارب وثقافات يمكن استثمارها لخدمة هذا الدين.

وقد عُني الإمام محمد بن عبدالوهاب بهذا الجانب منذ بداية دعوته: فما إن انتقل إلى العيينة، حتى التقى بأمرها عثمان بن معمر، وحرص على أن يستثمر مكانته وسلطته في سبيل خدمة هذا الدين، ونشر الدعوة إلى الله، (فعرض عليه ما قام به، ودعاه إليه، وقرّر له التوحيد وحاوله على نصرته، وقال: إني أرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله، أن يظهرك الله تعالى، وتملك نجداً وأعرابها)^(٢)، فساعده أمير العيينة على ذلك، فاستعان الإمام به - بعد الله - في إزالة المنكرات، ومحو مظاهر الشرك وإقامة الحدود، وبذلك حمى نفسه وحمى الدعوة من كثير من المعوقات، التي قد تبرز في طريقه لو أراد القيام بذلك بعيداً عن قوة السلطان وهيئته.

وتبدو عناية الإمام بهذا الجانب أيضاً واضحة بعد انتقاله للدرعية حيث حرص على لقاء الأمير محمد بن سعود، وعرض عليه أن ينصر الدعوة، وبشره بالعز والتمكين إذا فعل ذلك، ثم سارع إلى عقد مبايعة ومعاهدة تضمّن استمرار نصرته للدعوة وعدم تنكره لها^(٣)، فكانت هذه المعاهدة - بعد

(١) ذكرها ابن حجر، في فتح الباري، [القاهرة، دار الريان، ط ٢، ١٤٠٩هـ] (٤٥٣/٧)

ونسبها إلى أصحاب المغازي، ومنهم أبو معشر .

(٢) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٩/١) .

(٣) المرجع السابق (١٢/١) .

توفيق الله - من أعظم الأسباب التي أدت إلى نجاح الدعوة وانتشارها وحماتها.

٣- الحرص على التخطيط وتوزيع المسؤوليات:

ينبغي أن لا يغفل الداعية عن أهمية الحرص على استغلال الطاقات المتاحة، وعدم إهدار الجهود وذلك بالعناية بالتنظيم والتخطيط وتوزيع المسؤوليات، فقليل منظم ودائم، خير من كثير عشوائي ومنقطع.

وقد كان هذا الجانب واضحاً في سيرة المصطفى ﷺ قبل ذلك، فقد كان ﷺ يرصد مهارات أصحابه، فيوزع عليهم المسؤوليات، ويستثمر طاقاتهم وجهودهم حسب ما يتقنون، فكان ﷺ يُعيّن منهم القضاة والفقهاء والمفتين والمقرئين للقرآن، ويعيّن منهم الوزراء والأمراء والعمال والخلفاء على المدينة إذا سافر، ويعيّن الكتاب والخطباء والشعراء والحداة والحُرّاس والسيّافين، وجعل من الصحابة من يلي نفقاته ﷺ وخاتمه وسواكه، ومن كان يقود به الأسفار، وينقل كتبه ورسائله^(١)، وغير ذلك من المسؤوليات.

كما أنه ﷺ كان حريصاً على تنظيم وقته، ويشير إلى ذلك الحديث الصحيح (إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً،

(١) عقد الإمام محمد الصالحى (ت ٩٤٢) أبواباً لهذه المسؤوليات، وذكر الشواهد عليها من

كتب السنة الموثوقة، مع بيان مواضعها، انظر مزيداً من التفصيل: الإمام محمد الصالحى،

سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، [بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ]

فأعط كل ذي حق حقه^(١).

وقد أدرك الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - هذا الجانب في سيرة المصطفى ﷺ، فلم يفرط في استخدام هذه الوسيلة، فحرص - رحمه الله - على تنظيم الوقت، وتوزيع المسؤوليات، واستغلال الطاقات المتاحة. ومن ذلك أن الإمام استثمر نباهة بعض طلابه، فوزع عليهم المسؤوليات، ووجههم للقيام بواجب الدعوة، وأرسلهم إلى المناطق المحيطة، فأرسل عيسى ابن قاسم إلى الرياض ليقوم بتعليم الناس وذلك سنة ١١٦٧هـ^(٢)، وكلّف موسى بن سليم بالدعوة في منفوحة والدرعية وغيرها من البلدان^(٣)، وأرسل وفداً من طلابه، ومعهم عبدالرحمن الشنيفي ليقوموا بدعوة سليمان بن سحيم ومذاكرته، وتوضيح التوحيد له ولأتباعه^(٤)، وكان - رحمه الله - يعين الأمراء

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، صحيح البخاري [مرجع سابق] كتاب: الصوم ، باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع (ك٣٦ ب٥٠ ح١٨٦٧) (١٨٦٧/٢) (٦٩٤/٢) . وذكر الترمذي في الشمائل أنه ﷺ (كان إذا أوى إلى منزله، جزءاً دخوله ثلاثة أجزاء، جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزءاً بينه وبين الناس وكان من سيرته في جزء الأمة إثارة أهل الفضل بإذنه). وهذا جزء من حديث الحسن بن علي عن خاله هند بن أبي وائلة رضي الله عنهما في وصف النبي ﷺ، والحديث رواه الطبراني والبيهقي وأبو الشيخ، وفيه راويان مجهولان ، انظر : شرح واختصار وتحقيق شمائل الترمذي ، سميح عباس ، أوصاف النبي ﷺ ، [بيروت ، دار الجليل ، ط الأولى ، ١٤٠٩هـ] (ص٢٦٩) .

(٢) انظر : حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام ، [مرجع سابق] (١٩/٢) .

(٣) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ ، (الشخصية / ٢٢٨) .

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية / ٢٢٩) .

أحياناً^(١)، ويعقد الاجتماعات، ويدعو الوفود من المناطق المجاورة ليلتقي بهم عند حدوث بعض الأزمات^(٢).

وكان - رحمه الله - ينظّم وقته، فقد جعل دروساً ثابتة في أوقات معلومة لتعليم التوحيد والتفسير والفقه وغيرها^(٣)، وأمر أهل النواحي أن يسألوا الناس كل يوم بعد صلاة الفجر وبين العشاءين عن معرفة الأصول الثلاثة وأحكام الصلاة^(٤). أما الليل، فكان يقضيه في الصلاة والعبادة والتهجد^(٥)، وأحياناً يقتطع منه جزءاً للتأليف وكتابة الرسائل^(٦).

وبالجملة، فإن أي عمل مهما كان صغيراً ومتواضعاً، يصعب أن يُكتب له النجاح، ما لم يكن منظماً مدروساً، (وإن كثيراً من الطاقات اليوم تهدر وتضيع بسبب غياب التنظيم، بينما تفعل قلة منظمة فعل الأعاجيب)^(٧)، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُورٌ﴾ [الصف: ٤].

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] [١٤/٢، ٥٠، ٥٧] وانظر:

عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] [١/٣٩، ٥٢].

(٢) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] [١٩/٢، ١٣٧].

(٣) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] [١/٨٩].

(٤) المرجع السابق (١/٨٩، ٩٠).

(٥) عبداللطيف آل الشيخ، علماء الدعوة، [مرجع سابق] [ص ٩].

(٦) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/١٣٥).

(٧) محمد عبدالله الخطيب، الدعاة والتخطيط، [بيروت، دار المنار، ط الأولى، ١٤١٠هـ]

فينبغي للدعاة أن يحرصوا على التخطيط والتنظيم، وحسن استثمار الطاقات والإمكانات المتاحة، وأن يحذروا من الفوضوية، وما تسببه من إهدار للطاقات، وتضييع للجهود، وإذا كنا نؤمن بضرورة التخطيط والتنظيم، من أجل بناء بيت أو فتح دكان، فكيف نُغفل هذه القضية ونحن بصدد القيام بمشروع ضخم كبير، وهو خدمة هذا الدين والدعوة إليه. وانظر إلى ذي القرنين كيف أنه بدقة تنظيمه وتخطيطه، وحسن استغلاله للطاقات، حول أمة كانت لا تفقه قولاً، إلى أمة عاملة منتجة، تبني سداً هو آية من آيات الله في القوة والإتقان^(١).

(١) انظر: محمد الخطيب، الدعاة والتخطيط، [مرجع سابق] (ص ٢٥).

المطلب الثاني

وسيلة (المراسلة) مشروعيتها وخصائصها ومجالاتها

ويحسن التمهيد لهذا المطلب بتعريف الرسالة، وذكر بعض مرادفاتها، ثم التعرّيج بعد ذلك على ذكر سندها الشرعي، وخصائصها ومميزاتها، ومجالاتها في الماضي والحاضر، وسيكون ذلك من خلال المسائل التالية:

- المسألة الأولى: تعريف الرسالة واشتقاقها اللغوي.

- المسألة الثانية: السند الشرعي للرسالة.

- المسألة الثالثة: خصائص الرسالة والمميزات التي ينبغي توافرها فيها.

- المسألة الرابعة: مجالات الرسالة في الماضي والحاضر.

المسألة الأولى: تعريف الرسالة واشتقاقها اللغوي:

يرجع أصل اشتقاق لفظ الرسالة إلى المادة اللغوية (ر س ل)، التي لها معانٍ كثيرة أفاضت المعاجم العربية بتفصيلها وعرضها، وذكر الشواهد عليها. وإن المتأمل لتلك المعاني، يجد أن هذه المادة مدلولين أحدهما حسّي، والآخر مدلول معنوي تطوّر عن ذلك المدلول الحسّي، فمن مدلولاتها الحسيّة: أن (الرّسْل) القطيع من كل شيء، والجمع أرْسال^(١)، قال الجوهري: (الرّسْل): القطيع من الإبل والغنم^(٢)، وذكر صاحب اللسان أن الرّسْل:

(١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، [مرجع سابق] [مادة رسل] (ص ١٣٠٠).

(٢) الجوهري، الصحاح، [مرجع سابق] [مادة رسل] (ص ٢١٣).

الإبل؛ قطع بعد قطع، ويقال: أرسلوا إبلهم إلى الماء أرسلالاً، أي: قطعاً^(١)، أو قطعاناً متتالية.

ثم تطور هذا المدلول اللغوي من الاستعمال الحسي إلى الاستعمال المعنوي، ومن ذلك ما ذكره ابن منظور من أن الإرسال يعني التوجيه، والاسم منها الرسالة والرسالة (بالفتح والكسر)^(٢)، وأضاف الفيروز آبادي مدلولات معنوية أخرى لهذا المدلول المعنوي، كالتسليط، والإطلاق والإهمال^(٣).

ثم كثر استعمال هذا المصطلح، وتعددت مرادفاته اللفظية، ومن ذلك ما ذكره ابن الأنباري من أن الرسول والرسيل والرسالة سواء، ومن ذلك قول كثير:

لقد كذب الواشون ما بُحْتُ عندهم . . . بلبلى ولا أرسلتهم برسيل
وروي أيضاً برسول (أي ولا أرسلتهم برسالة)^(٤).

– المدلول الاصطلاحي وتطوره:

لقد تطور هذا المصطلح وتغير مدلوله الاصطلاحي، ويمكن أن يقال: إنه مرّ بمرحلتين:

(١) ابن منظور الأفرقي، لسان العرب، [مرجع سابق] مادة رسل (٢٨٣/١١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، [مرجع سابق] مادة (رسل) (ص ١٣٠٠).

(٤) انظر: أبو عمر القرطبي، بهجة المجالس، [بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٢هـ]

(٢٧٧/١).

المرحلة الأولى: العصر الجاهلي وصدر الإسلام، حتى أواخر عهد الخلفاء

الراشدين.

كان لمصطلح (الرسالة) في تلك الفترة مدلول خاص، حيث يراد به: ما يؤديه الرسول إلى المرسل إليه عن طريق رواية الخبر وإبلاغه شفهيًا، بدليل كثرة اقتران هذا المصطلح بلفظ (أبلغ)، أو ما يشتق منها، وهذا اللفظ في الغالب يدل على النقل الشفهي^(١).

ومن شواهد ذلك في العصر الجاهلي ما ذكره زهير في معلقته حيث قال:

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالةً . . . وذبيان هل أقسمتموا كل مُقسمٍ^(٢)

ومن شواهد في صدر الإسلام: رسالة كعب إلى أخيه بُجير بعد أن أبلغه بإسلامه، فغضب كعب وأرسل إليه:

ألا بلغا عني بُجيراً رسالةً . . . فويحك فيما قلتَ ويحك هل لك^(٣)

وقد ورد هذا المصطلح بهذا المدلول في القرآن الكريم في مواضع عديدة^(٤)، تارة بالجمع، وتارة بالإفراد، واقتزن غالباً بما يدل على النقل

(١) انظر: غاتم حواد رضا، الرسائل الفنية في العصر الإسلامي، [بغداد، جامعة بغداد، ١٩٧٥م] ص ١٣.

(٢) أحمد بن الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، [بيروت، دار الكتب العلمية، ب. ت.] ص ٨٣.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، [مرجع سابق] (٤/٣٦٧).

(٤) انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، [مصر، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ] ص ٣١٩.

الشفهي، ومنه قوله تعالى حكاية عن حال نبيه صالح عليه السلام ﴿قَوَّلَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].
 وقوله جلَّت قدرته في خطابه للنبي محمد ﷺ: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله -بصيغة الجمع- ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وكان هذا المدلول واضحاً في كتب التاريخ والأدب التي تحدّثت عن تلك الفترة من الزمن، حيث يدل السياق فيها غالباً على أن (الرسالة) كانت تؤدى عن طريق الرسول، الذي يبلغها للمرسل إليه بصورة شفوية، ومن شواهد ذلك أن عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما فتح الإسكندرية، وأراد أن يشر عمر رضي الله عنه بالفتح، بعث (معاوية بن خديج) بشيراً إلى عمر، ولم يكتب معه كتاباً (... فقال له معاوية: ألا تكتب معي كتاباً؟ فقال له عمرو: وما تصنع بالكتاب؟ ألسنت رجلاً عربياً تبليغ الرسالة؟ وما رأيت وما حضرت....)^(١)، فقد استقر عند عمرو رضي الله عنه أن تبليغ الرسالة يكون بالمشافهة، كما هو الغالب في استخدام هذا المصطلح، أما النص المدوّن، فكانوا يطلقون عليه اسم الكتاب؛ ومن ذلك رسائل النبي ﷺ إلى ملوك الكفار، حيث كانت تسمى كتاباً، وفي حديث أبي سفيان رضي الله عنه في قصة كتاب النبي ﷺ إلى هرقل؛ قال

(١) جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، [دمشق، دار إحياء

الكتب العربية، ط ١، ١٣٨٧هـ] [١/١٢١].

أبوسفيان: (فبيننا أنا بالشام، إذ جيء بكتاب من رسول الله ﷺ إلى هرقل^(١)) يعني برسالة مدوّنة، وقد بوّب الإمام مسلم في صحيحه باباً باسم (باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل)^(٢) يعني رسائله ﷺ المدوّنة المكتوبة.

المرحلة الثانية: وقد بدأت ملاحظتها منذ أواخر عهد الخلفاء الراشدين. في هذه المرحلة بدأ مصطلح (الرسالة) يستخدم للدلالة على النصّ المدوّن أيضاً، إضافة إلى التبليغ الشفهي الذي يعثه المرسل إلى المرسل إليه، وأصبح يوازي مصطلح (الكتاب).

ومن شواهد ذلك رسالة علي ﷺ الجوابية إلى معاوية ﷺ التي قال فيها: (أما بعد : فقد أتني منك موعظةٌ موصلةٌ ورسالةٌ مُحجّرةٌ ...)^(٣). حيث نرى هنا أن علياً ﷺ قد أطلق لفظ (رسالة) على ما كتبه إليه معاوية ﷺ.

بعض مرادفات مصطلح (الرسالة):

وجدت عدة ألفاظ ومصطلحات مترادف لمصطلح (الرسالة)؛ مثل: (الألوكة) و(الكتاب) و(الصحيفة) و(الدبلوماسية).

(١) أخرجه مسلم ، الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، [مرجع سابق] كتاب : الجهاد والسير ، باب : كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوهم إلى الإسلام [ك٣٢ - ب٢٦ - ح ١٧٧٣] (١١١٧/٣).

(٢) المرجع السابق ، [ك٣٢ - ب٢٧] (١١١٩/٣) .

(٣) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، [سوريا - دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي - ط الأولى ١٣٧٨هـ] [٤٣/١٤] .

فالألوكة: استخدمت لتدل على نقل الخبر، وإبلاغه إلى المرسل إليه بصورة شفوية، وكان استخدامها شائعاً على وجه الخصوص في العصر الجاهلي.

والألوكة: من ألك الفرس اللجام: أي علكه^(١)، قال ابن منظور: سميت ألوكة؛ لأنه يؤلك في الفم، مشتق من قول العرب: الفرس يألك اللجام.. (أي: يعضغ)^(٢)، ثم تطور مدلول هذا المصطلح ليدل على ما يبلغه الرسول بالمشافهة إلى المرسل إليه؛ لأنه يؤلك في الفم، واستألك مألكته؛ أي: حمل رسالته، قال لبيد:

وغلامٌ أرسَلتُهُ أمُّهُ .: بألوكٍ فَبَدَّلْنَا ما سَأَل^(٣)

أي: أرسَلته برسالة.

والكتاب:

استخدم ليدل على النص المدوّن المجموع بعضه إلى بعض، ولعل هذا المدلول مشتق من الأصل اللغوي، كتبت الخيل أي تجمّعت، ومنه قيل: كتبتُ الكتاب؛ لأنه يجمع حرفاً إلى حرف^(٤).

وقد ورد لفظ (الكتاب) في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، دلّ في أغلبها على الكتاب المقدس، وهو كلام الله المجموع بعضه إلى بعض، وأشير به إلى

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، [مرجع سابق] [مادة ألك].

(٢) ابن منظور، لسان العرب، [مرجع سابق] [مادة ألك]، (٣٩٢/١٠).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق [مادة كتب] [٧٠١/١].

التوراة والإنجيل والقرآن ، قال تعالى مشيراً إلى التوراة: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣] ، وقال سبحانه مشيراً إلى الإنجيل: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠] ، وقال جلّت قدرته مشيراً إلى القرآن: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] .

كما أشير بهذا المصطلح إلى معانٍ أخرى في القرآن الكريم منها: النص المدوّن المكتوب ، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَلْمِزُ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] ، قال ابن كثير: (أي قد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً ، لا تقرأ كتاباً ولا تحسن الكتابة)^(١) .

وبالجمله ، فإن مصطلح الكتاب أطلق على النص المدوّن المكتوب ، ثم تطور ليصبح مرادفاً لمصطلح الرسالة ، فأطلق على كل ما يعثه المرسل إلى المرسل إليه ، سواءً كان مدوّنًا أو شفهيًا .

الصحيفة:

شاع استخدام هذا المصطلح خاصة في العصر الجاهلي ، وكان له مدلول مرادف لمدلول الكتاب ، حيث ذكر الجوهري^(٢) ، وصاحب اللسان^(٣) أن الصحيفة هي الكتاب ، والجمع صحف وصحائف .. والشواهد تدل دلالة واضحة على أن الصحيفة تدل على النص المدوّن المكتوب ، الذي يُحمَل إلى

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، [مرجع سابق] [٣/٦٦٤] .

(٢) انظر : الجوهري ، الصحاح ، [مرجع سابق] [مادة صحف] .

(٣) انظر : ابن منظور ، لسان العرب [مرجع سابق] [مادة صحف (٩/١٨٦)] .

المرسل إليه، ويتضح ذلك جلياً في قصة (صحيفة المتلمس)، التي أصبحت من قبيل الأمثال^(١).

وفي العصر الإسلامي أصبح هذا المصطلح، يدل أيضاً على مدلول آخر أكثر خصوصية، حيث أطلق على الكتب المقدسة التي أنزلت على الأنبياء عليهم السلام، حيث وردت لفظة صحف في القرآن الكريم ثماني مرات^(٢)، وكلها بصيغة الجمع، وأريد بها غالباً الكتب المنزلة على الأنبياء، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ [النجم: ٣٦]، وقال جلّت قدرته: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢].

الدبلوماسية:

استعمل هذا المصطلح - منذ القِدَم عند غير العرب - ليدل على عدة معان، من أهمها: (المراسلات الدبلوماسية)^(٣) المكتوبة المدونة، وهي: المراسلات المرتبطة بالعلاقات بين الدول والقضايا المتعلقة بها^(٤).

(١) وقصة (صحيفة المتلمس) - كما يذكرها صاحب اللسان - هي أن المتلمس : وهو شاعر معروف اسمه عبد المسيح بن جرير ، قديم هو وطرفة الشاعر على الملك عمرو بن هند ، فنقم الملك عليهما أمراً ، فكتب لهما كتابين إلى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما ، وقال : إني قد كتبت لكما بجائزة ، فاجتازا بالحيرة ، فأعطى المتلمس صحيفته صبيّاً فقراها ، فإذا فيها يأمر عامله بقتله ، فألقاها في الماء ومضى إلى الشام ، وقال لطرفة : افعل مثلي ، فإن صحيفتك مثل صحيفتي ، فأبى عليه ، ومضى إلى عامله ، فقتله ، فضربَ بهما المثل ، انظر المرجع السابق (١٨٧/٩).

(٢) انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، [مرجع سابق] ص ٤٠٣.

(٣) د. عدنان بكري، العلاقات الدبلوماسية والقنصلية ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ [ص ٣٩.

(٤) المرجع السابق .

أما لفظة الدبلوماسية من حيث الاشتقاق اللغوي ، فالدبلوماسية : كلمة يونانية الأصل، مشتقة، من (diploma)، وتعني (الوثيقة) التي هي إحدى مشتقات الفعل (diplon)، ومعناه: يطوي أو يطبق، حيث استعملها الرومان للإشارة إلى الوثيقة التي تطوى (طَّيَّنَ)، وتصدر عن رئيس الدولة، وتمنح امتيازاً لحاملها^(١)، مثل الرسائل التي يرسلها الرئيس إلى الدول الأخرى، ويعطى حاملها حصانة وأماناً حتى تنتهي مهمته في توصيل الرسالة والعودة إلى مأمنه، ولم تستخدم هذه اللفظة في اللغة العربية إلا في وقت متأخر ... بل إنها لم تُعرف بمفهومها الحالي إلا بعد مؤتمر فينّا لعام ١٨١٥م^(٢)، هذا من حيث اللفظ).

أما من حيث (المعنى والتطبيق العملي)، فالدبلوماسية كانت موجودة منذ القِدَم، حيث استخدمت لتحقيق المصالح، أو التهديد أو هدفاً لتحقيق النصر^(٣)، حتى جاء عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين والعصر الأموي، فكانت تستخدم لأغراض؛ منها: (الدعوة إلى الله تعالى، وعقد المعاهدات، وإعلان الحرب). وفي العصر العباسي اتخذت الدبلوماسية كوسيلة لتسهيل

(١) انظر : د. عدنان البكري ، العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، [مرجع سابق] ص ٣٨، وكذلك انظر: د. علي صادق أبو هيف ، القانون الدبلوماسي، [مصر ، منشأة المعارف بالإسكندرية، ب . ت] (ص ١٦) .

(٢) انظر : د. عدنان البكري، العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، [مرجع سابق] (ص ٣٨) .

(٣) د. فاضل زكي ، الدبلوماسية في النظرية والتطبيق ، [بغداد ، جامعة بغداد ، ط ٤،

التبادل الودي بين الأمم وتوثيق الصلات التجارية والثقافية، وتبادل الأسرى، وفض النزاعات، إضافةً إلى ما تقدم من الأغراض في صدر الإسلام^(١). ولا شك أن الإسلام أعطى أهمية كبرى للدبلوماسية، والتمثيل السياسي، وتأمين السفراء؛ لأن من ثمار ذلك تمكين المسلمين من نشر تعاليم الإسلام ومبادئه على الشعوب، وقد كان النبي ﷺ يستقبل رسل الأعداء ويؤمنهم^(٢)، مما يدل على مشروعية ذلك^(٣).

وبعد مؤتمر فينّا لعام ١٨١٥م اتسع مفهوم الدبلوماسية، لتشمل جميع الوسائل والأساليب المستخدمة في توجيه العلاقات الدولية، سواءً عن طريق الرسائل والخطابات الرسمية، أو عن طريق المفاوضات والعهود والبعثات الرسمية، وإرسال السفراء، ونحو ذلك^(٤).

(١) د. وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي - دراسة مقارنة -، [دمشق، دار الفكر، ط ٣، ١٤٠٣هـ] (ص ٣٣٠).

(٢) من أمثلة ذلك: ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه فقال: جاء ابن النواحة وابن أثال رسولا مسيلمة إلى النبي ﷺ فقال لهما: (أتشهدان أنني رسول الله؟) قالا: نشهد أن مسيلمة رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: (أمنت بالله ورسوله، لو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما) قال عبد الله: فمضت السنة أن الرسل لا تقتل، رواه أحمد، مسند الإمام أحمد [مرجع سابق] رقم الحديث (٣٧٦٠) (١/٤٩٥).

(٣) انظر: ما كتبه الباحث: علي محمد مقبول في بحثه (آثار الحرب على التمثيل الخارجي والمعاهدات في الفقه الإسلامي والقانون الدولي، [بحث تكميلي مقدم للمعهد العالي للقضاء لنيل درجة الماجستير، عام ١٤١٢هـ] (ص ١٠٢).

(٤) انظر: المرجع السابق (ص ٩٣).

المسألة الثانية: السند الشرعي للرسالة:

سبقت الإشارة في مقدمة هذا البحث إلى أن من أهم أسباب اختيار موضوع (الرسائل الشخصية للإمام محمد بن عبد الوهاب)؛ ضرورة لفت انتباه الدعاة اليوم، وحثهم على إحياء هذه الوسيلة الدعوية الهامة التي كان لها أعظم الأثر في نجاح دعوة المصطفى ﷺ وانتشارها، وهي وسيلة المراسلة التي غفل عنها كثير من الدعاة اليوم، رغم مشروعيتها، ومزاياها العديدة، وكثرة مجالاتها وتنوعها.

وإن المتأمل لنصوص الكتاب والسنة، ليجد العديد من الشواهد الدالة على مشروعية هذه الوسيلة، واستخدام الدعاة لها في كل زمان ومكان، ومن تلك الشواهد:

١- استخدام نبي الله سليمان ﷺ وسيلة المراسلة :

حكى القرآن الكريم قصة نبي الله سليمان ﷺ عندما جاءه الهدهد بخبر ملكة سبأ وقومها الذين كانوا يسجدون للشمس من دون الله، فما كان من نبي الله سليمان ﷺ إلا أن يادر بالقيام بواجب الدعوة، مستخدماً أحد وسائلها الناجحة؛ ألا وهي وسيلة المراسلة.. قال تعالى على لسان نبي الله سليمان ﷺ مخاطباً الهدهد: ﴿اذْهَبْ بِكِابِي هَذَا فَالِقِهِ إِيَّهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٢٨-١٣].

وقد آتت هذه الوسيلة ثمارها، وكانت - بعد توفيق الله - سبباً في هداية ملكة سبأ، وإسلامها مع سليمان عليه السلام لله رب العالمين.

وإن المتأمل لهذه الآية، يجد أنها لم تقتصر فقط على بيان مشروعية استخدام وسيلة الرسالة لتبليغ الدعوة؛ بل تجاوزت ذلك إلى الإشارة إلى بعض ما يستحب للداعي أن يلتزم به في رسائله الدعوية، مثل: البداءة بالبسملة، وتقديم اسم كاتب الرسالة، والبيان، والوضوح^(١).

وفيها الإشارة إلى استحباب كون الكتاب محتوماً محفوظاً لا يفتحه إلا صاحبه الذي أرسل إليه، فقد ذكر أهل العلم أن معنى قول ملكة سبأ في هذه الآية **﴿إِنِّي أَنبِي إِلَيَّ كِتَابٌ﴾** يعني: أنه كان محتوماً^(٢).

وقد عدَّ الإمام القرطبي من أحكام هذه الآية كونها (دليلاً على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة، ودعائهم إلى الإسلام، وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر وإلى كل جبار) أ. هـ^(٣).

(١) انظر: عبدالرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، [الرياض، طبع ١٤١٠هـ] [٥٧٦/٥]. وسيد قطب، في ظلال القرآن، [بيروت، دار الشروق، ط ١٣، ١٤٠٧هـ] [٢٦٣٩/٥]، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، [بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ] [٢٠٠/٥].

(٢) انظر: أبو جعفر الطبري، تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن، [بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ] [٥١٣/٩].

(٣) الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، [بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ]

واستنبط الشيخ أبو بكر الجزائري عدة فوائد من هذه الآية، منها:
 (مشروعية كتابة بسم الله الرحمن الرحيم على الرسائل والكتب الهامة، ذات
 البال، لدلالاتها على توحيد الله تعالى، وأنه رحمن رحيم، وأن الكاتب إنما
 يكتب بإذن الله تعالى له بذلك)^(١).

٢- استخدام النبي ﷺ وسيلة المراسلة :

أما الشواهد على مشروعية هذه الوسيلة في سيرة المصطفى ﷺ فكثيرة
 جداً، حيث استخدم رسول الله ﷺ وسيلة الرسائل والكتب على نطاق
 واسع، ولأغراض متعددة:

فمنها ما كتبه ﷺ بغرض الدعوة إلى الإسلام، وشاهد ذلك ما رواه
 أنس رضي الله عنه من (أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي،
 وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى)^(٢)، كما كتب النبي ﷺ للغرض نفسه
 إلى المقوقس -ملك مصر- والمنذر بن ساوي صاحب البحرين، ومليكي
 عمان، وصاحب اليمامة (هوزة بن علي)، والحارث ابن أبي شمر الغساني^(٣)،
 حاكم بصرى^(٤)، فمنهم من قبل رسالته وآمن به كالنجاشي، ومنهم من

(١) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، [الرياض - دار راسم - ط الأولى ١٤٠٧هـ -
 (٣/٣٥٢).

(٢) مسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق] كتاب: الجهاد والسير، باب: كتب النبي ﷺ إلى
 ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل، (ك ٣٢، ب ٢٧، ح ١٧٧٤) (٣/١١١٩).

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، [مرجع سابق] (٣/٦٨٨، ٦٩٧).

(٤) أحمد محمد العقيلي، الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي ﷺ. إلى الملوك والقادة،

[الرياض، خزام، ط ١، ١٤١٤هـ - ص ١٣٠.

احترم الكتاب ولم يؤمن كهرقل، ومنهم من مزق كتابه ككسرى، فدعا النبي ﷺ عليه فمزق الله ملكه^(١).

كما استخدم الرسول ﷺ الكتب والرسائل لأغراض أخرى، مثل: التشريع: وبيان بعض الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات؛ ومن ذلك رسالته ﷺ إلى عمرو بن حزم حين استعمله على نجران بعد أن أسلم بنو الحارث بن كعب، وأول الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الله ورسوله، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، عهداً من رسول الله لعمرو ابن حزم..)^(٢). وجاء في هذا الكتاب أحكام تتعلق بالطهارة والصلاة والحج والزكاة وأنصبتها، وختمها بأحكام أهل الذمة، ومقدار الجزية، وعلى من تجب، وكلها مسائل تتعلق بالأحكام الشرعية من العبادات والمعاملات. واستخدم النبي ﷺ وسيلة الكتب والرسائل أيضاً لأغراض أخرى، كالمعاهدات والصلح والمنح والأعطيات، وتوزيع الغنائم، ولتوجيه عمّاله في النواحي الإدارية والتنظيمية وغير ذلك من الأغراض^(٣).

(١) ابن القيم، زاد المعاد، [مرجع سابق] (٣/٦٨٨، ٦٨٩).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، [مرجع سابق] (٥/٦٩). والحديث رواه النسائي بألفاظ متعددة، سنن النسائي، [بيروت، دار المعرفة، ط ٢، ١٤١٢هـ] كتاب: القسامة، ح (٤٨٧٠ - ٤٨٧١ - ٤٨٧٢) (٧/٤٣٠) وانظر: د. محمد حميد الله، مجموعة الوثائق

السياسية، [بيروت، دار النفائس، ط ٤، ١٤٠٣هـ] الوثيقة رقم (١٠٥) ص ٢٠٧.

(٣) انظر: د. جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، [مصر - دار الفكر العربي - ط

٣- استخدام الخلفاء الراشدين ومن بعدهم وسيلة المراسلة:

وقد سار الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم، وكذلك الولاة من بعدهم^(١) على هذا النهج المبارك، فاستخدموا وسيلة المراسلة، واعتنوا بها عنايةً شديدة، خاصةً بعد اتساع الدولة الإسلامية وترامي أطرافها، وتزايد الأقاليم الخاضعة لها، مما أحوج الخلفاء والولاة بعد ذلك إلى إنشاء الدواوين^(٢) وإحداث ديوان خاص للمكاتبات والرسائل^(٣)، يمكنهم من إحكام السيطرة

(١) انظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، [مرجع سابق] الصفحات من ٣٣٨ إلى ٥٧٨، حيث حقق فيها الكاتب عدداً من رسائل الخلفاء الراشدين، وبعض قادتهم وأمرائهم من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً.

(٢) كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أول من اتخذ الديوان، وكان كاتبه زياد بن أبي سفيان حيث كان يكتب له أسماء الجند وأعطياتهم والخراج وغيره، ثم سار على نهجه الخلفاء والولاة من بعده، انظر: جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، [مصر - مطبعة السعادة - ط ١ - ١٣٧١هـ] ص ١٣٧، والحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، [مرجع سابق] [٣٧/٤].

(٣) رغم أن عمر رضي الله عنه أول من أنشأ الدواوين لضبط أمور الدولة، إلا أن كثيراً من الباحثين يرى أن أول من وضع ديواناً خاصاً بالرسائل هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ)، الذي عين كاتباً خاصاً لهذا الديوان هو سليمان بن سعد، وإن كان الخلفاء قبله قد كلفوا من يكتب لهم، فأبو بكر رضي الله عنه: يكتب له عثمان وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، وعمر رضي الله عنه: يكتب له زيد بن ثابت وعبد الله بن أرقم وغيرهم رضي الله عنهم، وعثمان رضي الله عنه: يكتب له مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان وعبد الله بن أرقم، وعلي رضي الله عنه كان يكتب له سعد بن عمران الهمداني وعبد الله بن جعفر وغيرهم. إذاً فوسيلة المراسلة كانت موجودة قبل عبد الملك، إلا أنه وضع ديواناً مستقلاً للرسائل، اعنتى بتنظيمه، وسلسل الأعمال فيه، وضبطه ووضع فيه موظفين عارفين، وعلى رأسهم مستشاره الخاص سليمان بن سعد، وكان يحرص أن تأتي الرسائل من الأقطار بصورة منتظمة، انظر: د. محمد فتوح أحمد، النشر الكتابي في العصر الأموي، [مصر - مكتبة الشباب - ١٩٨٤م] ص ٢٧-٢٩، ود. يوسف العث، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها، [سوريا - دار الفكر - ط ٢ - ١٤٠٦هـ] ص ٢٣٠.

على ممالكهم المتزامية الأطراف، ومعرفة أحوالها، وتسيير دفة الحكم فيها، والقيام بواجب الدعوة إلى الله، وتبليغ الدعوة ونشرها، وقد أكد أهل العلم على أهمية هذا الديوان، ووجوب أن يحرص الإمام المسلم على إقامته والعناية به، وأن ينصب فيه من اتصفوا بالأمانة والفصاحة وحسن الخط، وسلامة اللغة^(١).

ولا شك أن ورود المراسلة والمكاتبة في القرآن الكريم واستخدام النبي ﷺ لها وإطباق الخلفاء والأئمة بعد ذلك على العناية بها واستخدامها في الدعوة إلى الله تعالى .. لاشك أن ذلك دليل على مشروعيتها ونجاحها وشدة تأثيرها.

المسألة الثالثة: خصائص الرسالة والمميزات التي ينبغي توافرها فيها.

إن وسيلة المراسلة تختص -من بين وسائل الدعوة- بعدة خصائص، كما أن هناك عدّة مميزات ينبغي توافرها في هذه الوسيلة، لكي تحقق أهدافها على الوجه المطلوب.

وليكن الحديث أولاً عن خصائص الرسالة:

(١) انظر: ابن خلدون، المقدمة، [بيروت- دار القلم- ط ١- ١٩٧٨م] ص ٢٤٦، وابن المعالي الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، [مصر- دار الدعوة- ب ت] ص ١٧٩، والماوردي، الأحكام السلطانية، [بيروت- دار الكتاب العربي- ط ١- ١٤١٠هـ] ص ٣٥٦، وعمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، [بيروت- دار العلم للملايين- ط ٢- ١٣٨٨هـ] ص (٣٧٤/١).

أ- خصائص الرسالة:

من الطبيعي أن تحظى الرسالة (قديمًا) بحظ وافر من الاهتمام، خاصة مع عدم توفر وسائل الاتصال - في ذلك الوقت - وصعوبة التنقل.

ولكن العجيب والملفت للانتباه أن هذه الوسيلة ما زالت تحتفظ بأهميتها ومكانتها السامية، رغم أننا نعيش اليوم في هذا العصر الحديث، الذي تطورت فيه وسائل الاتصال بشكل مذهل، حتى أصبح العالم بأجمعه كما لو كان قرية صغيرة، لا يكاد يغيب عن فرد من أفرادها أي حدث يحدث فيها، ومع ذلك ما زالت الرسالة - بمفهومها العام - هي الوسيلة الرسمية المعتمدة للاتصال بين الدول، ودخل كل دولة بين دوائرها الحكومية، وبين الدوائر الحكومية والمؤسسات الخاصة والأفراد، وبين كل مؤسسة وموظفيها، وما زالت هذه الوسيلة هي وسيلة الاتصال (المحبية) لدى كثير من الناس في مراسلاتهم الشخصية، مما أُلجأ كثيراً من الدول والحكومات إلى إنشاء وزارة مختصة، تجعل من أهم مسؤولياتها أن تتولى العناية بالرسائل البريدية، وتضع الميزانيات الضخمة لمعالجتها وتنظيمها، وتأمين وصولها إلى من أرسلت إليهم. وما كان لوسيلة المراسلة، أن تحتل تلك المكانة المرموقة في القديم والحديث إلا لانفرادها بعدة خصائص هامة. فما هي تلك الخصائص؟

إن المتأمل لطبيعة هذه الوسيلة، واستخدامات الأولين والمعاصرين لها؛ ربما يدرك أن من خصائص هذه الوسيلة ما يلي:

١- أن الرسالة لا يطرأ عليها عند نقلها ما يتعرض له (النقل الشفهي) للرسائل من إمكانية التحريف والتغيير، الذي يحدث، إما بسبب النسيان،

أو بسبب تأثر الوسيط البشري بخلفياته ومعتقداته الخاصة عند نقله للرسالة.

٢- الرسالة تُتيح لكتابتها فرصة التفكير والإعداد الجيد، وربما الرجوع إلى ما قد يحتاجه من المصادر عند إعدادها، مما يمكنه من صياغتها بدقة وإحكام.

٣- الرسالة تُتيح للمتلقي فرصة إعادة قراءتها أكثر من مرة، وتأمل محتوياتها بهدوء وذلك أدعى لتحقيق أهداف الرسالة، وشدة تأثيرها، وفهم المتلقي لها كما يجب .

٤- تعد الرسالة (وثيقة) ودليل إثبات سلباً أو إيجاباً بالنسبة لكتابتها، فهي حجة ومستند شرعي وقانوني.

٥- الرسالة وسيلة اقتصادية، تمكن المرسل من إيصال كافة المعلومات بأقل قدر ممكن من التكلفة في المال والزمن والجهد.

٦- تعد الرسالة وسيلة إعلامية ناجحة، حيث يمكن توجيهها لجمهور كبير من الناس^(١)، أو عدة جماهير، وبالتالي توجيههم أو دفعهم إلى اتخاذ موقف معين، أو حمل فكرة معينة.

٧- الرسالة أيضاً وسيلة إعلانية جيدة ولذلك يستخدمها التجار على نطاق واسع لكونها وسيلة اقتصادية ومضمونة من حيث إيصالها إلى المستهلك

(١) سبقت الإشارة -عند الحديث عن استخدام الإمام لوسيلة الرسالة- إلى أن من الطرق التي كان الإمام -رحمه الله- يضاعف بها من تأثير رسائله في دعوته أنه كان يكلف من يقوم بقراءة الرسالة على الناس في مساجدهم، لتصل رسائل الإمام إلى أكبر عدد ممكن من المدعوين بيسر وسهولة، وبأقل جهد ممكن.

باسمه، كما أنها تحمل طابع (الخصوصية) التي تشجع على التفاعل معها بنسبة أكبر.

٨- الرسالة أقدر على مخاطبة المستقبل، وضمان تلقيه لمضمونها، بعيداً عن المؤثرات الخارجية التي قد تطرأ عليه، وتمنعه من قبول مضمون الرسالة، بخلاف المحادثة الشفهية التي قد تجعل المستقبل -رغم موافقته للمتحدث- يأنف من قبول الحق، احتقاراً لقائله، أو خجلاً من الآخرين الذين سمعوا المحادثة، وأصبحوا يرصدون ردة الفعل، ولغير ذلك من الأسباب. فالرسائل إذاً يمكن أن تكون مواعظ سرية، لا يطلع عليها -بعد الله- إلا اثنين، هما الكاتب والقارئ، ولا شك أن المسلم يستر وينصح، وأن المنافق يهتك ويفضح.

٩- الرسالة في الغالب -بعض النظر عن مضمونها- تساعد على توطيد العلاقة مع المرسل إليه؛ لأنها تحمل الطابع الشخصي، وتمتاز بالخصوصية المحببة إلى نفوس الكثيرين.

١٠- يمكن للرسالة -في الغالب- أن تتخطى الحدود المكانية والزمانية، وتصل إلى المرسل إليه أينما كان، كما تتخطى حدود الزمان، فيمكن للمرسل إرسالها حتى بعد موته، وما (الوصية) التي شرعها الإسلام إلا (رسالة) من الميت لورثته.

١١- الرسالة قد لا تفرض على المرسل ضرورة التعرف المسبق على المرسل إليه، وتكوين علاقة مسبقة معه ... بل يمكن أن تتم المراسلة وتبادل المنفعة بين طرفين لمدة طويلة، دون أن يلتقيا، ودون أن تكون بينهما أية صلة أو علاقة مسبقة.

١٢- الرسالة (أقدر على توصيل المعلومات والأفكار المعقدة والكثيرة التفاصيل)^(١).

١٣- الرسالة تعد أفضل طريقة تسمح للمستقبل باختيار الوقت والمكان المناسبين لاستقبال الرسالة.

١٤- الرسالة تعد وسيلة رسمية للتبليغ، وهي مُلزِمة، وينبى عليها تحمل المسؤوليات المتعلقة بمحتواها.

.... إلى غير ذلك من الخصائص الهامة التي تميزت بها هذه الوسيلة.

ب- المميزات التي ينبغي توافرها في الرسالة:

لعل من المناسب -قبل الحديث عن المميزات التي ينبغي توافرها في الرسالة- أن يتم التعرض أولاً بإيجاز لأهم المميزات الشكلية والأسلوبية التي تميزت بها الرسائل في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي وما بعده، ثم يُخلص من ذلك إلى ذكر أهم المميزات الشكلية والأسلوبية التي يحسن توافرها في الرسالة اليوم.

أولاً: مميزات الرسالة في صدر الإسلام:

أ) المميزات الشكلية:

١- سهولة الألفاظ ووضوحها حيناً^(٢)، وغرابتها وفخامتها

(١) انظر: محمد إبراهيم السيد، وسائل الاتصال الوثائقي المكتوب وضوابطها، [القاهرة - دار

الثقافة - ١٩٨٨ م] (ص ٢١).

(٢) مثل أغلب رسائل النبي ﷺ إلى الملوك، وكذلك الرسائل في عهد الخلفاء الراشدين.

حيناً آخر^(١).

٢- الإيجاز^(٢) حيناً، والإسهاب^(٣) حيناً وفق ما تقتضيه الحال.

٣- تنوع مطالع الرسائل وخواتمها^(٤) أيضاً، حيث كانت تختتم تارة بالدعاء، وتارة بالتعريض بالمرسل، وتارة بآية كريمة، أو أبيات من الشعر.

٤- جمال الأسلوب، ووجود المحسنات البديعية^(٥)، وكان ذلك فطرياً غير متكلف في صدر الإسلام، ثم ظهر فيه التكلف والصنعة بعد ذلك.

(١) مثل بعض رسائل النبي ﷺ التي بعثها إلى رؤساء القبائل، ومنها قوله ﷺ في رسالته إلى مخلاف خارف: [هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف... على أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة... وعليهم الصالح والقارح] انظر: غانم جواد رضا، الرسائل الفنية، [مرجع سابق] (ص ١٤٥).

(٢) كما جرت عليه الرسائل النبوية، وأكثر رسائل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

(٣) مثل الرسالة الطويلة التي كتبها عثمان رضي الله عنه للمسلمين حين حوَّصر في داره، حيث اشتملت على مقدمة طويلة، ومعالجة للخلافات التي بينه وبين منائيه، وذكر الأدلة المقنعة، والحجج التي تدحض تلك المزاعم المفتراة... انظر: غانم جواد رضا، الرسائل الفنية، [مرجع سابق] (ص ١٤٩).

(٤) وهذا واضح في رسائل النبي ﷺ، فتارة يبدأ بالبسملة، وتارة بعبارة (باسمك اللهم)، وأحياناً يستهلها ﷺ بقوله: (سَلِّمْ أَنْتَ، أو سَلِّمْ أَنْتُمْ)، كما في رسالته إلى الحارث ومسروح ونعيم ابن كلال من حمير، وسار الحال على ذلك في عصر الراشدين من حيث التنوع في الفواتح والخواتم، ثم ازدادت العناية بالتنوع مع أواخر عصر الراشدين.. انظر: المرجع السابق (ص ١٤٩).

(٥) وظهر ذلك في بعض رسائل النبي ﷺ مثل رسالته (لبنى نهد) وفيها يقول ﷺ: [... لا يُمنع سرحكم، ولا يعضد طلحكم، ولا يُمنع دركم، ما لم تضمروا الأماق وتأكلوا الرباق..] والرباق: حبل تشد به الناقة لكي لا ترضع، انظر المرجع السابق (ص ١٥٤).

٥- تضمين الأمثال والشعر في الرسائل^(١).

٦- الاقتباس من القرآن الكريم، وكان ذلك إما بإدراج آيات قرآنية مناسبة للسياق^(٢). أو باستخدام صيغ وتعابير قرآنية وأساليب تعبيرية مستوفاة من القرآن الكريم: كالتكرار^(٣)، والقسم^(٤)، ونحوه.

(١) وكثر ذلك واتضح بجلاء في أواخر عهد الخلفاء الراشدين وما بعده ، ومن ذلك ما جاء في رسالة عثمان رضي الله عنه لعلي رضي الله عنه حيث قال: [أما بعد ، فقد بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطيبين، وارتفع أمر الناس في شأني فوق قدره ...] انظر: المرجع السابق (ص ١٦٤).

(٢) وقد كان هذا ظاهراً في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم خاصة الموجهة إلى أهل الكتاب فرمما أدرج فيها بعض الآيات، مثل كتابه صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر: [...] ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة، وإنكم تجدون ذلك في كتابكم، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا...﴾ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [...] وأحياناً كان صلى الله عليه وسلم يختم رسائله بنصوص من القرآن الكريم، كما في رسائله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر والمقوقس ، وسار على ذلك من جاء بعده صلى الله عليه وسلم ، انظر : المرجع السابق (ص ١٧٤).

(٣) مثل تكرار عبارة (وأمرك ومن معك) في رسالة عمر رضي الله عنه إلى القائد سعد رضي الله عنه، حيث يقول: (أما بعد، فإني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال... وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتزاساً من المعاصي منكم من عدوكم) انظر: غانم جواد رضا، الرسائل الفنية، [مرجع سابق] (ص ١٨٠).

(٤) ومثال ذلك ما ورد في رسالة أبي بكر رضي الله عنه لأبي عبيدة رضي الله عنه: [...] ولعمر الله، لقد أصبحت الأرض ضيقة عليه وعليهم برحبها. مكانكم فيها ، وأيم الله، ما أنا بأيس أن تزيلوه من مكانه الذي هو به [...] انظر المرجع السابق (ص ١٨١)

٧- بدء الرسالة - غالباً - بعبارة (سلام) منكراً، وختمها بـ (السلام) معرفة، والإفراد في (عليك) بدلاً من (عليكم) إذا كانت الرسالة موجهة إلى مفرد، والجمع في (عليكم) إذا كانت موجهة إلى جماعة^(١).

(ب) المميزات من حيث المضمون والأسلوب:

تميزت أكثر الرسائل في (صدر الإسلام) من حيث المضمون والأسلوب بعدة مميزات، منها:

١- البراعة والدقة في عرض الفكرة وتنظيمها وتأكيدها^(٢).

(١) وهذا واضح في معظم رسائله ﷺ ورسائل صحابته - رضي الله عنهم - بل ورسائل معاصريه الذين أجابوا على رسائله ﷺ، ومن شواهد ذلك؛ رسالته ﷺ إلى المنذر بن ساوي (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي؛ سلام الله عليك؛ فإني أحمد إليك الله... والسلام ورحمة الله) انظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، [مرجع سابق] (ص ١٤٨). وانظر نماذج أخرى في المرجع نفسه، الصفحات (١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٩، ١١٥، ١١٦، ١٣٣، ١٣٦،...). وقد لفت بعض أهل العلم الانتباه إلى أن كلمة (سلام) وردت في سورة مريم منكراً في آية رقم (١٥) ثم وردت معرفة في آية رقم (٣٣) وأشار أحدهم إلى أن ذلك ربما يستأنس به في البدء في الرسائل بتكبير (السلام)، ثم ختم الرسائل (بالسلام) معرفة، [ذكر ذلك معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ في محاضرة له بعنوان: مع وصايا أبي الدرداء، ألقاها في مدينة الرياض بتاريخ ٢٠/١/١٤١٨هـ].

(٢) وهذا واضح في رسائل النبي ﷺ ورسائل من بعده من الخلفاء رضي الله عنهم أجمعين، وانظر على سبيل المثال إلى البلاغة والبراعة في عرض الفكرة ثم الترغيب فيها ثم التهيب من تركها، وختمها بنص معجز من كلام الله تعالى، حيث كتب المصطفى ﷺ إلى هرقل عظيم الروم [بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبداً لله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين، وَإِنَّا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْنَا إِلَيَّ كَلِمَةً سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْنَا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ] انظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، [مرجع سابق] وثيقة رقم (٢٦) (ص ١٠٩).

٢- صدق الإحساس وحرارة العاطفة^(١).

٣- الافتنان في التصوير والتأنق في الخيال^(٢).

أما في (العصر الأموي) وما بعده: فقد ازدادت أهمية الرسائل، وتوسعت استخداماتها وأغراضها، فظهرت الرسائل الديوانية السياسية، والرسائل الديوانية الحربية، والرسائل الدينية الوعظية^(٣)، والرسائل الإخوانية (الشخصية) وغيرها من الأنواع والأغراض.

وبالجملة، فإن أساليب الرسائل في ذلك العصر بدأت بمرحلة البساطة والسهولة ثم تطورت إلى مرحلة التأنق والتجويد، وانتهت بمرحلة التطور والنضج الفني، وظهرت ملامح هذه المرحلة الأخيرة منذ عهد الخليفة هشام ابن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)، حيث أصبح الترسل صناعة فنية، وأصبح

(١) وقد برز هذا الجانب وبدا أكثر وضوحاً في أواخر العهد الراشدي، وخصوصاً عندما بدأت الخلافات تظهر، ودار الرحى بين المسلمين أنفسهم، ومن ذلك ما كتبه مروان بن الحكم إلى معاوية رضي الله عنهما حيث يقول: [..فإني كتبت إليك هذا الكتاب بعد قتل عثمان أمير المؤمنين عليه السلام، وأني قتلة قتل؟ نحر كما ينحر البعير... انظر: غانم جواد رضا، الرسائل الفنية، [مرجع سابق] (ص ١٨٧).

(٢) وقد أضفى القرآن الكريم ببلاغته وإعجازه ظلالاً من الروعة والجمال على أساليب العرب وصورهم وأخيلتهم، بل قد ظهر ذلك جلياً في كثير من رسائل النبي ﷺ، فانظر إلى الاستعارة في قوله لهوذة بن علي، [..واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ماتحت يديك] وكذلك الكناية في قوله لابن أبي الجندب [..فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحلّ بساحتكما... انظر: المرجع السابق (ص ١٩١)].

(٣) تربع على عرش هذا النوع من الترسل كبار الزهاد في ذلك العصر، مثل: طاوس بن كيسان، والحسن البصري وعمر بن عبدالعزيز؛ حيث تميزت رسائلهم بكثرة الاقتباس من القرآن والسنة، ووفرة الاعتماد على صيغ الرغيب والتزهيب، والتذكير بالجنة والنار، مع نفس ديني يغمر الرسالة غمراً... انظر: د. محمد فتوح أحمد، النشر الكتابي في العصر الأموي، [مرجع سابق] (ص ١٩٠).

ديوان الرسائل شبيهاً بمدرسة كبيرة للكتاب، ثم جاء عبد الحميد الكاتب، الذي قعد لهذا الفن ووضع ما يعد بحق خلاصة ما بلغه أدب الرسائل في ذلك العصر^(١).

ورغم أن لكل غرض وكل نوع من أنواع الرسائل مميزات خاصة، إلا أنه يمكن القول إجمالاً: إن الرسائل في ذلك العصر قد تميزت بنفس المميزات السابق ذكرها، وظهر فيها إضافة لذلك:

- ١- شيوع استعمال السجع.
- ٢- أتساح الرسائل بغريب اللفظ.
- ٣- الإيقاع والتنغيم الصوتي.
- ٤- الجنوح إلى الإطناب.
- ٥- استعمال التحميدات، والثناء على الله في تضاعيف الرسالة.
- ٦- تسلسل الأفكار والدقة في تنظيمها.
- ٧- تدفق العاطفة وصدق الإحساس.
- ٨- الافتنان في التصوير^(٢)، والبراعة في الوصف^(٣).

ثانياً : المميزات التي ينبغي توافرها في الرسالة (في هذا العصر):

إن المتتبع لطبائع النفس البشرية والعوامل المؤثرة فيها، يجد أن الناس، وإن

(١) انظر : غانم جواد رضا ، الرسائل الفنية، [مرجع سابق] (ص١٩٧ ، ص١١٢).

(٢) ساعد على ذلك أيضاً ظهور أثر ثقافة العجم وآدابهم، التي جلبوها من لغاتهم، كالفارسية

ونحوها، انظر : غانم جواد رضا، الرسائل الفنية، [مرجع سابق] (ص١٩٧- ص١١٢).

(٣) انظر المرجع السابق (ص٣٠٦ - ص٣٣٠) .

كانت فطرهم ثابتة^(١)، إجمالاً إلا أن أذواقهم وأمزجتهم تتطور وتتبدل مع الزمن.. حتى إن بعض النواحي التي كانت إيجابية ومؤثرة في رسائل الأمس؛ أصبحت سلبية ومحوجة في رسائل اليوم باستثناء بعض النواحي التي مازالت مستقرة وثابتة، وكذلك بعض الضوابط العامة.

ورغم أن الرسائل الشخصية (بخلاف الرسائل التجارية أو الحكومية وأشباهها) قد لا تخضع لضوابط ثابتة، بل تميل غالباً إلى التلقائية، وعدم التصنع^(٢)؛ إلا أنه من الممكن الإشارة إلى بعض المميزات العامة التي أفاض في ذكرها بعض الكتاب^(٣)، وجعلوها من المميزات التي ينبغي توافرها في رسائل

(١) وهي ما طبعهم الله عليه (من قبول الحق وتمكنهم من إدراكه)، وما فطرهم عليه سبحانه من معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره)، قال تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ سورة الروم، الآية (٣٠)، وانظر: الإمام ابن كثير، تفسير القرآن العظيم [بيروت - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤٠٦هـ] [٦٨٨/٣]، وأبا السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم [بيروت - دار إحياء التراث العربي - ب ت ٤/٦٠].

(٢) انظر: أحمد محمود أبو الرب، المراسلات التجارية والحكومية، [الأردن - حوارة للمجتمع/ إربد - ط ٢-١٩٨٢م] ص ١٢٦.

(٣) انظر: المرجع السابق الصفحات من ص ٨ - ص ٩٩، وكذلك: محمد حجازي، وعبد الوهاب عبدالفتاح، وسائط الاتصال الرسمي في السعودية، [الرياض - معهد الإدارة - ط ١ - ١٤٠٧هـ] ص ٢٢ - ٩٢، وكذلك: أحمد عبدالستار، وأحمد شهاب، ويوسف سليمان، المراسلات الحكومية في المملكة العربية السعودية، [الرياض - معهد الإدارة - ط ١٤٠٥هـ] ص ٣٣ - ٩٠، فتحى جبر، تطبيقات عملية في المراسلات، [الرياض - معهد الإدارة - ط ١ - ١٤٠٣هـ] ص ١٤ - ٣١، وانظر: غانم جواد رضا، الرسائل الفنية، [مرجع سابق] ص ١٤٣ - ٣٣٠، وأيضاً: سيد حسب الله، المراسلات، [الرياض - معهد الإدارة - ط ١ - ١٣٨٧هـ] ص ٦ ص ٢٧.

-ملحوظة: تجدر الإشارة هنا إلى أن مادة هذه الفقرة إجمالاً مأخوذة من المراجع آفة الذكر ضمن الصفحات المبينة أعلاه، إلا أنها وردت في أغلب المواضع بأسلوب ثري مفرق بين عدة مراجع، فاضطر الباحث إلى جمع المادة بتمامها، ثم تصنيفها، وإعادة صياغتها بأسلوبه، مرقمة مقسمة، ليسهل تناولها، ولذلك فمن المتعذر العزو والإحالة والتهميش لكل نقطة على حدة؛ لأن كل نقطة في الغالب قد أخذت من عدة مراجع، وصيغت بأسلوب الباحث، فيكتفى للفقرة بتمامها بالإحالة السابقة.

اليوم^(١)، وهذه المميزات قد لا تكون بالضرورة مناسبة لجميع أنواع الرسائل على اختلاف مضامينها وأهدافها؛ بل يمكن اعتبارها مميزات عامة، يمكن أن يستفاد منها في أغلب الرسائل؛ حيث إن منها ما يتعلق بموضوع الرسالة، ومنها ما يتعلق بشكل الرسالة، ومنها ما يتعلق بكاتب الرسالة.

ومن تلك المميزات التي يحسن العناية بها وينبغي توافرها في رسائل اليوم:

أ- المزايا الموضوعية:

١- العناية بالجمل الافتتاحية وبالجملة الختامية للرسالة: فالافتتاحية توضح موضوع الرسالة، وتساعد على سرعة فهمها، والجملة الختامية: تدفع القارئ إلى اتخاذ موقف أو نحوه، وهي أكثر ما يستقر في الذهن.

٢- الإيجاز غير المخلل، واحترام وقت القارئ، على أن لا يؤدي هذا الإيجاز إلى الغموض، الذي يزعم القارئ على تكرار قراءة الرسالة، وإهدار مزيد من الوقت، والمقياس في الإيجاز ليس قصر الرسالة، فقد تكون عدة صفحات، ومع ذلك تعد موجزة، وإنما المقياس في ذلك أمران، هما:

أ- أن لا تشرح في الرسالة أكثر مما يحتاج الموضوع.

ب- أن لا تستعمل عدداً كبيراً من الكلمات، مع إمكانية استخدام عدد أقل^(٢).

(١) قد يلاحظ القارئ أن كثيراً من المميزات التي سيرد ذكرها إنما تخص -بالأصالة- المراسلات الإدارية والتجارية ونحو ذلك، ولكن ذلك لا يمنع أن يستفيد الدعاة - في مراسلاتهم الدعوية - مما يناسبهم من تلك المميزات، فالحكمة ضالة المؤمن، أتى وجدها، فهو أحقّ بها.

(٢) انظر: د. سيد حسب الله، محاضرات في المراسلات، [الرياض - معهد الإدارة - ١٤٠٢هـ].

٣- الدقة والعناية في انتقاء الألفاظ: وذلك بالبعد عن الكلمات ذات المدلول العام، والكلمات المطّاطة أو غير المحددة، كذلك البعد عن الألفاظ المبالغ فيها والتي قد تسبب فقدان الثقة في كلام المرسل، وشعور القارئ بالتكلف وعدم العفوية في الرسالة، وكذلك ينبغي البعد عن الكلمات العامية، التي قد تفقد الرسالة عنصر الجدّية والاحترام، إلا إذا تأكد المرسل أن المصلحة في استخدام بعض الألفاظ المألوفة عند المستقبل أو المصطلحات المعهودة عنده فلا بأس من استخدامها، ولو كانت غير فصيحة، لما فيها من تأليف القلب والعفوية والتبسط.

كما ينبغي أيضاً البعد عن استعمال المصطلحات الفنية، التي لا يفهمها عامة الناس واستبدالها باللغة الدارجة، إلا إذا كانت الرسالة موجهة إلى أهل التخصص؛ فلا بأس في استعمالها لها من وقع، ولأنها تدفع إلى احترام المستقبل للمرسل، وشعوره بتمكنه وأهليته^(١).

٤- مناسبة الأسلوب لمستوى الفهم والثقافة لدى المرسل إليه، فكلما ازداد المرسل معرفة وخبرة بطبيعة المرسل إليه وثقافته وذوقه، صار أقدر على صياغة الرسالة بأسلوب أكثر إقناعاً وتأثيراً.

٥- وضوح المعنى، ويكون ذلك عن طريق:

أ- حسن اختيار الألفاظ، كما ذُكر في النقطة الثالثة .

(١) ظهر استخدام هذا الأسلوب وأثره البالغ في ردود ابن تيمية- رحمه الله تعالى- على المناطقة والفلاسفة وأهل الكلام، انظر على سبيل المثال: كتابه- رحمه الله- (درء تعارض العقل والنقل) وغيرها من كتاباته رحمه الله.

ب- جودة الربط بين مكونات الرسالة على مستوى الكلمة، وعلى مستوى الفقرة وعلى مستوى الرسالة بكاملها، وذلك بترايب الكلمات في الجملة: كأن يحرص على عدم إطالة الفصل بين المتلازمات، كالفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، والصفة والموصوف، والاسم والضمير العائد إليه ... ونحو ذلك، وكذلك يحرص على ترايب الجمل وال فقرات أيضاً.

ومن وسائل ربط الجمل والأفكار:

- ألفاظ الارتباط: مثل (ولذا، وعلى العكس، وعلى سبيل المثال..)

- الجمل الانتقالية: وتأتي في نهاية الفقرة، لتربطها بموضوع الرسالة، وبالفقرة التي تليها.

- الفقرات الانتقالية: إذ حين تطول الرسالة، قد تحتاج إلى فقرة كاملة تربط أجزاء الرسالة بالموضوع الرئيسي .

ج- ترتيب الجملة في الفقرة، ويكون بعدة طرق:

- ترتيب منطقي: يبدأ فيه بعرض البيانات والحقائق، وينتهي باستخلاص النتيجة.

-ترتيب نفسي: وهو على العكس حيث يعرض النتيجة، ثم يذكر الحقائق المؤيدة لها، وهذا الأسلوب أشد جاذبية ، كما أنه يساعد على سرعة معرفة مضمون الرسالة.

- الترتيب الزمني: ويتم فيه عرض الأحداث حسب تاريخ حدوثها دون استخلاص النتائج غالباً .

- الجمع بين المنطقي والنفسي: حيث يعرض النتيجة بإيجاز، ثم الحقائق المؤيدة لها، ثم ذكر خلاصة لها.

د- تأكيد الأفكار الهامة وإبرازها، ومن وسائل ذلك:

- وضعها في مكان مناسب وبارز، مثل وضعها في بداية الفقرة أو نهايتها، ووضع النتائج والملخص في نهاية الرسالة... ونحو ذلك.

- إضافة مرادفات لألفاظ هذه الفكرة، مما يزيد من تأثيرها، ويضعف مساحتها في الذاكرة.

- إضافة مقارنة لهذه الفكرة مع أفكار أخرى، كأن يقال: إن هذه الفكرة تشبه كذا، أو إنها تختلف عن فكرة كذا.

- استخدام وسائل فنية، لتأكيد الأفكار الهامة وإبرازها، مثل: كتابتها بحروف متميزة من حيث الحجم، أو اللون، أو وضع خط تحتها، أو ترك مسافات خالية قبلها وبعدها.

... ونحو ذلك .

٦- (اللطف والكياسة) والمجاملة: حيث إن لها أثراً كبيراً في تكوين علاقات ودية مع الآخرين ، ومن قواعد المجاملة في المراسلات:

أ- اللطف عند إرسال الرسائل التي تحمل أخباراً سارة أو غير سارة، ففي الأخبار السارة مثلاً يفضل البدء بالتهنئة قبل ذكر التفاصيل الأخرى، ويختتم الرسالة بذكر فوائد الخبر، ومردوده على المرسل إليه.

أما في الأخبار السيئة مثل رفض طلب أو نحوه، فالأولى عدم إبراز الخبر، بل ذكره في وسط الرسالة بين طياتها، على أن يأتي عرضاً، ولا يظهر أنه

هو الباعث على الرسالة، وعلى سبيل المثال: عند رفض طلب ما، يبدأ الكاتب بعرض فكرة (يتفق معه المستقبل فيها)، ثم يسوق أسباب الرفض لإقناعه بصواب القرار الذي اتخذه، ثم يذكر الخبر السيئ (بأقل عدد ممكن من الكلمات)، ويختم الرسالة بعبارات الود والمجاملة والرغبة في بقاء الصلات الطيبة والتعاون.

ب- احترام المرسل إليه، وإشعاره بذلك؛ مثل الإكثار من عبارات (أنت، أنتم..) ونحوها، والتقليل قدر الإمكان من عبارات (أنا، ونحن، ونون العظمة: فعلنا و..) وأشباهاها؛ لكي لا يشعر المرسل إليه أن الكاتب مهتم بنفسه أكثر من اهتمامه بالمستقبل.

كما ينبغي مراعاة مخاطبة المستقبل باسمه؛ لما في ذلك من إضفاء روح الألفة والمودة.

ج- مخاطبة المرسل إليه بمكانته العلمية، أو الوظيفية، أو بما تحت يده من الولاية، وعدم إغفال ذلك، بل إشعاره باحترامه، ومعرفة قدره ومكانته... على أن لا يظهر في ذلك نوع من التصنع أو المبالغة، التي تظهر الكاتب بمظهر المخادع أو المنافق.

د- اللطف عند توجيه اللوم للمرسل إليه: فعندما يضطر المرسل إلى توجيه اللوم والنقد للمرسل إليه، يجب عليه أن يحافظ على اللطف والكياسة وذلك بتجنب النقد الجرح أو اللوم القاسي، ويفضّل أن ينبّه على الخطأ بصيغة (المبني للمجهول).

هـ- استعمال العبارات الإيجابية والبعد عن العبارات السلبية: وذلك بمحاولة تجنب الكلمات التي تفيد النفي؛ مثل (لا، لم، لن، يستحيل، يؤخر، يرفض..). واستبدالها قدر الإمكان بعبارات إيجابية مثل (يسرنا، نشكر، نحرص، اسمحوا..).

ومثال ذلك: لا تكتب في رسالتك (لا يمكن إرسال الكتب التي طلبتها مني قبل ١٥/١٠ القادم)، واستبدالها بقولك: (سوف يسعدني أن أرسل لك الكتب التي طلبتها، وسيكون ذلك بمشيئة الله بعد ١٥/١٠ القادم) .. وكلا العبارتين تؤديان المعنى نفسه، مع الاختلاف الكبير في الأثر الذي تتركه كل منهما.

و- الحرص على توجيه الرسالة إلى الشخص الذي تعنيه مباشرة، فعند إنكار منكر ما في إدارة معينة -على سبيل المثال- ينبغي مراعاة توجيه الرسالة إلى صاحب الشأن بعينه، لا إلى من فوقه، فذلك أدعى لتقبله وعدم الإساءة إليه.

ز- المشاركة الوجدانية للمرسل إليه؛ وإشعاره بالتألم لما يؤلمه، والفرح بما يسره ويسعده.

ح- ولاشك أن من اللطف والكياسة سرعة الإجابة على الرسائل الواردة وعدم إهمالها، أو تأخير الإجابة عليها، فالتأخير يدل على عدم الاهتمام بالرسالة وصاحبها.

٧- مراعاة الاتجاهات والدوافع: قد يكون المرسل إليه متأثراً ببعض الأفكار والاتجاهات المعينة، وذلك بسبب ظروف البيئة الاجتماعية أو التعليمية أو

الفكرية التي يعيشها، فينبغي أن لا يغيب عن البال أنه حين يقرأ الرسالة، سيناقشها (ذهنياً) على ضوء ما يحمله من أفكار واتجاهات، ولذلك فإن مما يساعد على صياغة الرسالة بأسلوب ناجح ومقنع، معرفة طبيعة اتجاهات المرسل إليه ودوافعه.

٨- صحة الحقائق: إذ يجب على كاتب الرسالة أن يحرص على التأكد من صحة جميع ما يذكره في رسالته، ولا يغفل عن التثبت من كل فكرة قبل كتابتها؛ فإن رسالة واحدة يثبت فيها وجود معلومة كاذبة، قد تكون كافية لنزع الثقة من جميع الرسائل التي يكتبها المرسل، وقديماً قال الشاعر:

إذا عُرف الإنسان بالكذب لم يزل .: لدى الناس كذاباً وإن كان صادقاً^(١)

٩- الإقناع: وهو من أهم المميزات التي ينبغي الحرص على توافرها في الرسالة، ومن قواعد الإقناع:

أ- الحياد وعدم التحيز: ويكون مثلاً بذكر الحسنات والسيئات، وعدم الاقتصار فقط على الاعتراف بما يؤيد أفكاره، دون الإشارة إلى ما يعارضها.

ب- اقتناع الكاتب نفسه بما يقول، وإيمانه العميق بما يكتب، فإن ذلك سيمنحه الحماس والصدق اللازمين لإقناع الآخرين.

(١) أورد هذا البيت الأستاذ: أحمد أبو الرب، المراسلات التجارية والحكومية [مرجع سابق]

(ص ٧٣)، ولم أعر على هذا البيت ولا قائله في كتب الأدب التي اطلعت عليها.

ج- الالتزام بالموضوعية وعدم تحميل الأحداث والبيانات ما لا تحمل ، وليّ أعناق الأدلة والاستدلال بما لا يظهر أنه دليل .. بل يجب ترك الحقائق تتحدث عن نفسها.

د- الاستشهاد بأقوال المتخصصين وأهل الحيادة.

هـ- عدم الجزم بفكرة ما إلا بعد إيراد الحجج والبراهين القوية والكافية لإثباتها، وإذا لم تتوفر تلك البراهين، فالأولى عرض الفكرة بدون حماس، على أنها وجهة نظر.

و- ومن قواعد الإقناع أيضاً: سلامة اللغة وقوة الأسلوب، فإن ضعف اللغة وركاكة الأسلوب تنزع الثقة من المرسل إليه، وتوحي له بعدم أهلية المرسل وعدم الثقة فيما يقول.

١٠- ويضاف إلى ما ذكر (من المزايا التي يحسن توافرها في الرسالة) بعض ما سبق ذكره من مزايا الرسالة في صدر الإسلام والعصر الأموي، وما بعده؛ كتنبوع مطالع الرسالة وخواتمها، وتضمين الأمثال والشعر، إضافة إلى الاقتباس، والاستشهاد بالنصوص الشرعية، والعناية بجمال الأسلوب، ووجود المحسنات البديعية غير المتكلفة، بحيث لا تؤثر على وضوح المعنى وسهولته، وكذلك تدفق العاطفة وصدق الإحساس.

ب) المزايا الشكلية التي ينبغي توافرها في الرسالة:

ينبغي أن لا يستهان في هذا العصر بالنواحي الشكلية للرسالة؛ لأنها هي التي تعطي (أول انطباع يحمله القارئ عن الرسالة)، وهذا الانطباع قد يؤثر في الحكم على محتويات الرسالة ، ويعطي شعوراً معيناً تجاه المرسل؛ من حيث

أهليته ودقته وعنايته، واهتمامه بالرسالة، وبالشخص الذي أرسلت إليه هذه الرسالة، أو الجهة التي وجهت إليها.

ومن تلك المزايا :

- ١- نوع الورق: فلا يستخدم ورقاً رديئاً، سريع التلف، أو غير مخصص لكتابة الرسائل أصلاً، بل يعتني باختيار الورق المناسب.
- ٢- لون الورق: بحيث يكون مناسباً ومريحاً للعين، ويمكن استغلال لون الورق لأغراض أخرى؛ مثل أن يتميز المرسل باستخدام لون معين ومناسب؛ كالأزرق الفاتح، بحيث يعرف المستقبل مصدر الرسالة بمجرد رؤية لونها.

- ٣- حجم الورق: فلا يكون الحجم كبيراً بشكل ملحوظ، ولا صغيراً يرغم الكاتب على الإيجاز المخلّ، وفي المراسلات الإدارية والحكومية يحدد حجم الورق المستخدم بناء على الجهة المرسل إليها، فالحجم A ٤ مثلاً يستعمل لمخاطبة الأجهزة الحكومية المستقلة فيما بينها، وفي مخاطبتها للجهات الخاصة، والحجم A ٥ للتخاطب داخل الجهاز الحكومي الواحد، والحجم A ٦ يستخدم للإحالات والشروح^(١).

(١) ورد هذا التحديد ضمن المواصفات القياسية السعودية رقم ٢٧١ في ١٥/٣/١٤٠٢هـ - واعتمد هذا التحديد بقرار مجلس الوزراء رقم ١٢٦ وتاريخ ٨/٦/١٤٠٦هـ، فيما يتعلق بالمواصفة على تحديد مقاسات الورق في المكاتب والمراسلات الحكومية، انظر: محمد حجازي، وعبد الوهاب عبدالفتاح، وسائط الاتصال الرسمي في السعودية، [مرجع سابق]

٤- المسافات: ونعني به التناسق في المسافات بين كل كلمة وأخرى، وبين كل سطر وآخر، وكذلك بين كل فقرة وأخرى، حيث تكون المسافة بين الفقرات -عادةً- ضعف المسافة بين الأسطر.

٥- الهوامش: وهي الفراغ المحيط بالرسالة، وله أهمية، لأنه يعطي الرسالة شكلاً جذاباً، ويحفظ الكتابة من التلف، لأن أطراف الورق -لو كتب فيها- تصبح الكتابة التي فيها عرضة للتلف أكثر من بقية الأجزاء، كما أن ترك الهامش دون كتابة يسهل حفظ الرسالة في ملفات -إذا رغب المستقبل في حفظها- ويسهل الاطلاع عليها وهي في الملف دون إخراجها.

٦- استخدام علامات الترقيم: وهي النقطة والفاصلة وعلامات الاستفهام والتعجب والتنصيص ونحوها، ولها أهمية كبيرة، حيث إنها تسهل فهم مضمون الرسالة، وتزيد من تأثيرها، وإن إهمالها أو استخدامها استخداماً خاطئاً قد يؤدي إلى تغيير المعنى أو تحريفه.

ج) المزايا التي ينبغي توافرها في كاتب الرسالة :

بعض النظر عن طبيعة كاتب الرسالة، وطبيعة أهدافه، والغاية التي يسطر رسائله من أجلها؛ فإن هناك قدرًا مشتركاً من المزايا التي يحسن أن يتميز بها كاتب الرسالة منها :

١- المهارة في استخدام اللغة : وذلك بتجنب الأخطاء الإملائية والنحوية، والحرص على معرفة علامات الترقيم، وكيفية استخدامها.

٢- معرفة كاتب الرسالة لموضوعها وهدفها قبل البدء في الكتابة، وذلك:

- أ- بتحديد الغرض من الرسالة وهدفها .
- ب- الحصول على المعلومات والحقائق المتعلقة بالموضوع قبل الشروع في الكتابة فيه .
- ج- مراعاة اهتمامات القارئ عند تحرير الرسالة .
- ٣- الخبرة العمليّة في كتابة الرسائل، ويكون ذلك عن طريق:
- أ- السرعة في تحديد موضوع الرسالة، والغاية منها .
- ب- أن يكون أسلوب الكتابة طبيعياً، بعيداً عن التكلف والتصنع .
- ج- اللغة السليمة الخالية من الأخطاء .
- د- مراعاة مصلحة القارئ بعدم الإطالة أو الإيجاز المخل المؤدي للغموض .
- هـ- من الممكن أيضاً استخدام (النماذج الجاهزة)، وهي رسائل كاملة مكتوبة ومعدة سلفاً، وغالباً ما تستخدم في حالات معينة تتكرر باستمرار، مثل (إخطار المرسل أن رسالته قد وصلت، وأن الإجابة على ما طلبه قيد البحث الآن)، أو كما هو الحال في الرسائل المعدّة لمخاطبة المدنيين، ونحو ذلك .
- ويمكن للدعاية استخدام (النماذج الجاهزة) لعدة أغراض، مثل توجيهها لمن يتخلف عن الصلاة، أو يرتكب بعض المنكرات الأخرى، أو غير ذلك من الأغراض، بحيث يضع عدة نماذج جاهزة ومعدة لذلك .
- ولطريقة (النماذج) إيجابيات ولها أيضاً بعض السلبات .
- فمن إيجابياتها:
- توفير الوقت والجهد والتكلفة .

- الدقة والإتقان في صياغتها، لأنها تكون معدة سلفاً في متسع من الوقت والاستعداد الذهني، وربما من قبل بعض المختصين.

ومن سلبياتها:

افتقارها أحياناً إلى عنصر الخصوصية والمعالجة الشخصية، حيث يشعر المستقبل أنها لم تُعدّ له وحده، ولم تُصنَّ ليخاطب بها هو بمفرده (بما يتناسب مع طبيعته وشعوره) مما يقلل من أهميتها وأثرها... إلا أنه يمكن معالجة مثل هذه السلبية بكتابة الاسم، وتعبئة الفراغات الموجودة في النموذج بنفس خط ولون قلم كاتب النموذج، أو بنفس الآلة الكاتبة أو الحاسوب، ويكون ملء الفراغ بدقة وعناية، تجعل المستقبل يشعر من مظهرها أنها إنما كتبت له وحده وصيغت لمخاطبته بشخصه.

٤- ومن المزايا التي يحسن توافرها في كاتب الرسالة (وخاصة في الرسائل الدعوية والتوجيهية) أن يكون كاتب الرسالة عالماً بما يقول، وأن يكون محل ثقة عند المرسل إليه، فيكون من المعروفين بالنصح وإخلاص المودة، فكم حصل بسبب مثل هذه الرسائل من الخير العظيم، فتاب العاصي، وتنبه الغافل، وثمر المقتصّر، خاصة إذا أخلص المرسل نيته لله تعالى، فإن الله يبارك في عمله، ويحقق له ما أراد بإذنه سبحانه.

المسألة الرابعة: مجالات (الرسالة) في الماضي والحاضر :

إن نشأة وسيلة المراسلة وغيرها من وسائل الاتصال كانت مرهونةً بالحاجة التي دعت إليها، والمجال الذي أريد لها أن تسدّه .

وقد استخدمت وسيلة المراسلة في مجالات عديدة في القديم والحديث،

وكانت مجالاتها تضيق ثم تتسع تبعاً لمستوى الحضارة والمدنية التي تصل إليها المجتمعات، وعليه فقد كانت هناك علاقة وثيقة بين التقدم الحضاري والمدني - في أي عصر من العصور - وبين تعدد مجالات المراسلة، والتوسع في استخدامها عند أهل ذلك العصر.

أ- مجالات الرسالة في الماضي :

لم تكن مجالات المراسلة في الماضي موحدة وثابتة في جميع المناطق، بل كانت تختلف - في الزمن الواحد - من بلاد إلى أخرى ومن قوم إلى آخرين..
ففي العصور القديمة قبل الميلاد:

استخدمها الفراعنة والهنود واليونان والرومان لعدة أغراض وفي عدة مجالات^(١)، منها:

- ١- عقد المعاهدات مع الدول المجاورة أو إعلان الحرب معها^(٢).
- ٢- رسائل تهدف إلى فداء الأسرى وحل المشاكل الناجمة عن الحروب^(٣).
- ٣- تحقيق المصالح وتوجيه العلاقات بين الدول^(٤).
- ٤- كما استخدمت لتوجيه أصحاب الولايات داخل الدولة الواحدة.

٥- واستخدمت الرسائل أيضاً - عند اليونان - لإعطاء امتيازات معينة

(١) انظر : د. وهبة الزحيلي ، آثار الحرب في الفقه الإسلامي ، [مرجع سابق] ص ٣٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، الموضوع نفسه .

(٣) المرجع السابق ، الموضوع نفسه .

(٤) د. فاضل زكي ، الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق ، [مرجع سابق] ص ٢٢ .

لحاملها^(١)، كما استخدمها الرومان كتوصية رسمية تعطى للأشخاص الذين يقدمون إلى البلاد الرومانية من خارج البلاد، فكانوا يحملونها معهم؛ ليسمح لهم بالمرور من ناحية؛ وليكونوا محل رعاية خاصة من ناحية أخرى^(٢).

أما العرب في العصر الجاهلي:

فمن الملاحظ أن استخدامهم للرسائل كان محدوداً، نظراً لتفشي الأمية وعدم معرفة أكثرهم للكتابة... ولذلك نرى المراسلة (المكتوبة) لم تستخدم إلا عند الضرورة في غالب الأحيان.

ومن مجالات المراسلة في العصر الجاهلي^(٣):

أ - رسائل نثرية إخبارية: استخدمها العرب ليحملوا فيها أخبارهم المختلفة، لا سيما الأمور الجليلة، وليشرحوا فيها حوائجهم وبعض أمور حياتهم، ومثال ذلك: (رسالة حنظلة بن أبي سفيان إلى أبيه - وكان قد خرج مع العباس بن عبدالمطلب في تجارة إلى اليمن - فكتب إليه يخبره [أن محمداً ﷺ] قام بالأبطح غدوةً، فقال: أنا رسول الله أدعوكم إلى الله...)^(٤).

(١) المرجع السابق ، الموضع نفسه.

(٢) د. علي صادق أبو هيف ، القانون الدبلوماسي ، [مرجع سابق] ص ١٧.

(٣) غانم جواد رضا ، الرسائل الفنية ، [مرجع سابق] ص ٤٣ .

(٤) المرجع السابق .

وكذلك رسالة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى أهل مكة^(١)، يخبرهم فيها بغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وعزمه على ذلك، وقد بعث تلك الرسالة مع سارة، وهي مولاة لبني عبدالمطلب، فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك، فأنفذ إليها علياً والزبير رضي الله عنهما، فأخرجتا تلك الرسالة من قرن رأسها^(٢).

ب- رسائل موضوعها طلب المساعدة والنجدة: وكان هذا المجال من مستلزمات ذلك العصر القائم على العصبية القبلية، وتقديم يد العون للمستغيث، ولعل من أشهر تلك المراسلات ما كتبه قصي بن كلاب - في مكة- إلى أخيه من أمه رزاح- في الشام- يدعو فيه لنصرته، بعد أن اصطدم مع خزاعة وبني بكر، ونزعهم السيادة على مكة^(٣).

ج- رسائل لتوجيه العمال وأصحاب الولايات داخل الدولة أو (الوحدة القبلية) الواحدة، ومثال ذلك: رسالة عمرو بن هند إلى عامله على البحرين في شأن طرفة بن العبد وخاله المتلمس^(٤).

(١) هذه الرسالة استخدمت في أحد المجالات التي استخدمت فيها الرسائل في العصر الجاهلي، ويمكن الاستشهاد بها لقرب العهد، ولكونها أوثق من غيرها سنداً.

(٢) انظر: البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] (كتاب الجهاد- باب: الجاسوس) [ك-٦٠-ب-١٣٩-ح-٢٨٤٥/٣] (١٠٩٥/٣). وانظر القصة بتمامها: الإمام ابن كثير، البداية والنهاية، [مرجع سابق] [٢٨٤/٤].

(٣) غانم جواد رضا، الرسائل الفنية، [مرجع سابق] ص ٤٥.

(٤) انظر قصة هذه الرسالة في هامش ص ١٩٧ من هذا البحث، وانظر: ابن منظور، لسان العرب، [مرجع سابق] مادة صحف، (١٨٦/٩).

د- رسائل للتزكية أو التعريف: مثل رسالة أم سلمة رضي الله عنها إلى أهلها في مكة، التي بعثتها مع أهل المدينة حين كذبوها في قولها: إنها ابنة أمية بن المغيرة، وبعد أن أوصلوا رسالتها إلى أهلها، صدّقها أهل المدينة في دعواها^(١).

هـ- كتب العهود والمواثيق: عاشت البلاد العربية في الجاهلية حالة من الفوضى واختلال الأمن، وكان لا بد من تخفيف حدة تلك الفوضى الأمنية، وحماية القوافل التجارية بكتابة صحف أو رسائل هي عبارة عن أحلاف أو معاهدات تمكن القافلة التي تحملها من الدخول في المناطق الخاضعة تحت سيطرة القبائل الأخرى، بل وممارسة التجارة فيها.

وقد كان من أهم أسباب القوة الاقتصادية التي تحققت لقريش حرصهم على عقد تلك المعاهدات مع القبائل العربية، بل ومع الدول المجاورة، وقد برز في ذلك أبناء عبد مناف، فعقد هاشم عقداً مع الإمبراطورية الرومانية وأمير غسان، يمكن قوافله من الدخول في الشام وممارسة التجارة، وعقد عبد شمس معاهدة تجارية مع النجاشي، وعقد نوفل والمطلب معاهدة تجارية مع فارس ومع الحميريين في اليمن^(٢)، إلى جانب العديد من العهود والمواثيق مع القبائل داخل الجزيرة العربية.

(١) غانم جواد رضا، الرسائل الفنية، [مرجع سابق] ص ٤٤ .

(٢) انظر: د. نواف بن صالح الخليلي، رحلة الشتاء والصيف قريش ومنهجها التجاري والاقتصادي، [الرياض- توزيع وزارة الإعلام - ط ١ - ١٤١٤هـ] ص ١٥٩.

وفي صدر الإسلام:

قامت دولة عظيمة يقودها المعصوم ﷺ بسياسته الحكيمة، المستضيئة بنور الوحي، فكانت تلك الدولة تمثل نقلة حضارية هائلة على جميع المحاور، ومن بينها جانب الإدارة والتنظيم والدعوة والجهاد، وكانت وسيلة المراسلات والكتب من أبرز الملامح التي ظهرت في هذا الكيان الشرعي الجديد، حيث استخدمت المراسلات لعدة أغراض^(١)، منها:

- ١- الدعوة إلى الله تعالى .
- ٢- رسائل التشريع وبيان الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات.
- ٣- رسائل المعاهدات والصلح وضبط العلاقات مع الدول والكيانات الأخرى.
- ٤- رسائل المنح والأعطيات وتوزيع الغنائم.
- ٥- رسائل لتوجيه العمال في النواحي الإدارية والتنظيمية.

ثم توسع الخلفاء الراشدون ومن بعدهم في استخدام الرسائل، حتى أحدث ديوان خاص للمكاتبات والرسائل، يمكّن الخلفاء من إحكام السيطرة على ممالكهم المترامية الأطراف، ومعرفة أحوالها، وتسيير دفة الحكم فيها، والقيام بواجب الدعوة إلى الله وتبليغ الدعوة ونشرها^(٢). ومن الأغراض التي استحدثت واستخدمت في عصر الخلفاء الراشدين :

(١) سبق الحديث عن هذه الأغراض وذكر الشواهد على كل غرض وذلك في مبحث (مشروعية

الرسائل) انظر ص ٢٠٢-٢٠٣ من هذا البحث .

(٢) انظر هامش (ص ٢٠٤-٢٠٥) من هذا البحث .

٦- الرسائل الحربية:

حيث استخدمت الرسائل فيها حلقة للوصل بين الخليفة وقادة الجيوش، وأحياناً لربط أمراء الإخبار بعضهم ببعض في ساحات المعارك، وأحياناً لنصح العدو وتحذيره، ومن ذلك ما كتبه الصديق رضي الله عنه في حروب الردة حين عقد الألوية وجهاز البعوث، حيث كتب لكل أمير كتاباً، وكتب إلى جميع المرتدين نسخة واحدة يأمرهم بمراجعة الإسلام ويحذرهم، وسيّر الكتب إليهم مع رسله ^(١).

ويدخل ضمن الرسائل الحربية: (رسائل الاستنفار - رسائل تولية القيادة وأمراء الأجناد وعزلهم - رسائل الوصايا والتوجيه في الأمور العسكرية - رسائل الاستنجاد وطلب الإمدادات العسكرية) ^(٢).

٧- الرسائل السياسية:

وهي الرسائل التي تتضمن مناقشة سياسة الخليفة الداخلية والخارجية، وسياسة الولاية والعمال، وقد بدأت تتضح ملامح هذا اللون من الرسائل في أواخر العصر الراشدي، ومن ذلك ما ذكره البلاذري تعقيباً على شيوع هذه الرسائل السياسية؛ حيث قال: (ولما كانت سنة أربع وثلاثين، كتب بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بعض، يتشاكون سيرة عثمان رضي الله عنهم

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، [مرجع سابق] (٦/٣٢٠)، وابن الأثير، الكامل في

التاريخ، [مصر - إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٤٩هـ] (٢/٢٣٤).

(٢) انظر الشواهد على كل غرض من هذه الأغراض: غام جواد رضا، الرسائل الفنية، [مرجع

وتغييره وتبديله ..^(١).

وتتضمن الرسائل السياسية: (ما يكون بين الخليفة وعماله، وما يكون بين العمال أنفسهم، وما يكون بين الرعية والخليفة في هذا الشأن).

٨- رسائل وصف الأمصار وغيرها :

بدأت تتضح ملامح هذا الغرض في العصر الراشدي، نتيجةً للفتوحات الإسلامية الواسعة، واستيطان المسلمين في تلك الأمصار النائية، حيث اقتضت شؤون الإدارة والحكم أن يتم تكليف العمال والولاة في تلك الأوصاف بإعداد التقارير وتهيئة السجلات الجغرافية لوصف هذه الأمصار الجديدة وبيان خططها وأحوالها ليتمكن الخليفة بعد ذلك من تنظيم شؤونها^(٢).

ولعل من رسائل الوصف المشهورة ما كتبه عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى الخليفة عمر رضي الله عنه يصف له البحر وراكبه، وكان الخليفة قد كتب إليه أن يصفه له فكتب إليه: (... إني رأيت خلقاً كبيراً، يركبه خلق صغير، إن ركذ خرق القلوب، وإن تحرك أزاع العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، وهم فيه كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا برك ...) ^(٣).

(١) انظر: أحمد بن تركي البلاذري، أنساب الأشراف، [مصر- دار المعارف- ١٩٥٩م] (٦٠/٥).

(٢) انظر: غانم جواد رضا، الرسائل الفنية، [مرجع سابق] ص ١١٨ - ١٢٢.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، [مصر- مطبعة دار السعادة- ط ١- ١٣٦٧هـ] (٨١/٢).

٩- الرسائل الإدارية :

وهي الرسائل المتعلقة بأسس الإدارة، ونظم القضاء، وشؤون السياسة الداخلية للدولة، وقد دعت الضرورة إلى نشوء هذا الغرض في العصر الراشدي، نتيجة اتساع رقعة الدولة الإسلامية والحاجة إلى الحزم والدقة في إدارة تلك الأمصار، والإشراف على ضبط شؤونها المالية والتنظيمية، ومتابعة سياسة العمال، ومن ذلك ما كان يكتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عامله على مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه، يرشده إلى كيفية إدارة شؤون البلاد ومعاملة الرعية، حيث كتب إليه في إحدى رسائله قائلاً: (كن لرعيك كما تحب أن يكون لك أميرك)^(١).

وفي الإدارة المالية كتب علي رضي الله عنه إلى أمراء الخراج يقول: [... ولا تعذبوا خلق الله ولا تكلفوهم فوق طاقتهم، وأنصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجهم فإنكم خزان الرعية... ولا تأخذوا واحداً بأحد إلا كفيلاً عمن كفل عنه، وأجبروا أنفسكم على ما فيه الاغتباط، وإياكم وتأخير العمل ورفع الخبر...]^(٢).

وفي مجال القضاء كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عندما ولّاه قضاء الكوفة: [... أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، ... آس

(١) انظر: ابن عبد ربه الأنلسي، العقد الفريد، [لبنان - دار الكتاب العربي - ط ١ - ١٤١١هـ]

(١٩٦/٤).

(٢) أبو الفضل المنقري، وقعة صفيين، [مصر - مطبعة المدني - ط ٢ - ١٣٨٢هـ] ص ١٠٨.

في الناس بين وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يبأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر... [١].

١٠ - الرسائل الإخوانية (٢):

وقد شاعت هذه الرسائل في العصر الراشدي، حيث كان الناس يتبادلونها لأغراض شخصية مختلفة، كالتوجيه والنصح والتعازي والتهنئة والاستغاثة، والاعتذار، والطلب، والشكر، والعتاب، والشكوى (٣)، وغيرها من الأغراض ذات الطابع الشخصي.

ومن ذلك ما كتبه عمر لابنه عبد الله في غيبة غابها حيث قال: (.. أما بعد، فإن من اتقى الله وقاه، ومن اتكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده... (٤).

وكتب علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: (... أما بعد، يا بني .. كتبت إليك كتابي هذا يا بني (٥)، مستظهِراً به إن أنا بقيت لك أو فويت، فإني موصيك

(١) ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، [بيروت - دار إحياء التراث العربي - ب ت] [٩١/١]

(٢) وتسمى أيضاً الرسائل الأهلية، (وهي مادارت بين الأقارب والأصحاب وأسفرت عن سرائر الفؤاد بعيداً عن التكلف والصنعة)، انظر: أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، [بيروت - مؤسسة المعارف - ب ت] [٤٥/١]. وهي التي يمكن أن تنطبق الآن على مسمى الرسائل الشخصية.

(٣) انظر: المرجع السابق (١/٤٥ - ١٦٠)

(٤) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، [مرجع سابق] [٣/١٥٠].

(٥) وردت العبارة هكذا؛ بتكرار كلمة (يا بني).

بتقوى الله وعماراة قلبك بذكره ..) (١)، وهذا الغرض وإن كان قد شاع استعماله في عهد الراشدين، إلا أنه كان موجوداً قبل ذلك، حيث نقل لنا التاريخ رسالة إخوانية بعثها النبي ﷺ إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه يعزیه في ابن له مات، جاء فيها (.. فعظم الله لك الأجر، وأهملك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر..) (٢).

١١- الرسائل التاريخية:

وهو غرض جديد من أغراض الرسائل، لم ينشأ إلا في العصر الأموي، حيث وظفت فيه الرسالة لتدوين الحقائق التاريخية، وكان الدافع من وراء ذلك حرص الخلفاء والأمراء على التماس العبرة في أخبار الماضين، ومن ذلك ما كان يكتبه عروة بن الزبير -رحمه الله- (ت ٩٤هـ) حين يطلب منه عبد الملك بن مروان أن يوافيه بتفصيل بعض الوقائع والأحداث، فكان عروة يقوم بتسجيل هذه الوقائع والأحداث في رسائل يبعث بها تبعاً إلى الخليفة في دمشق، وقد أورد ابن إسحاق والواقدي والطبري كثيراً من تلك الرسائل، خاصة ما يتعلق منها بسيرة النبي ﷺ (٣).

(١) انظر: المرجع السابق (٣/١٥١).

(٢) انظر: تحقيق نسبة هذه الرسالة إلى النبي ﷺ : د. جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، [مرجع سابق] ص ١٠٤، حيث رجح صحة نسبتها إليه ﷺ، وذكر بعض الأدلة على ذلك.

(٣) انظر: د. محمد فتوح أحمد، النثر الكتابي في العصر الأموي، [مرجع سابق]

١٢- رسائل الفتيا:

وهي الرسائل التي تتطرق إلى بيان الحكم الشرعي لبعض الأحوال والوقائع، التي ربما لم يرد فيها نص صريح من الكتاب والسنة، فكان المستفتي يرسل بالمسألة إلى أهل العلم والفتيا فيأتيه الجواب عبر رسالة مكتوبة. ومن ذلك ما كتبه عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- لواليه بالكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في شأن من يسلمون من نصارى الحيرة ويهودها ومجوسها، وهل تؤخذ منهم الجزية، كحالهم فيما سبق إسلامهم، أو تسقط عنهم وتؤخذ منهم الصدقات، كما تؤخذ من أي مسلم؟ فكان فيما كتب عمر بن عبدالعزيز جواباً على ذلك: [.. وإن الله جل ثناؤه بعث محمداً ﷺ داعياً إلى الإسلام، ولم يبعثه جايياً، فمن أسلم من أهل تلك الملل، فعليه في ماله الصدقة، ولا جزية عليه ..] (١).

١٣- الرسائل العلمية:

وهي مراسلات كتبت في مطالب علمية، وإنما سميت رسائل من جهة أن أصحابها كانوا يرسلونها إلى من اقترحها عليهم (٢)، ولم يظهر هذا الغرض من أغراض الرسائل بوضوح إلا في وقت متأخر، ومن نماذجه الناضجة -وإن كانت متأخرة جداً- رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) التي كان يرسلها جواباً لمن سأله من أهل الأمصار، كرسالة العقيدة الواسطية، التي كتبها الإمام جواباً على رسالة أحد قضاة واسط حين

(١) انظر: د. محمد فتوح أحمد، النشر الكتابي في العصر الأموي، [مرجع سابق] ص ٥٥ -

٥٦، وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، [مرجع سابق] (١٩٧/٩).

(٢) انظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، [مرجع سابق] (٢٢٢/١).

أرسل يطلب من الإمام - رحمه الله - أن يكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته^(١)، ومثلها رسالته الحموية، والتدمرية، والمدنية، وغيرها من رسائله^(٢) رحمه الله.

ولقد استُخدمتْ بعض الفرق والمذاهب وسيلة الرسائل، لتكون طريقة للتأصيل العلمي لأفكارهم ومعتقداتهم؛ مثلما نجده في (رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا)^(٣)، وهي اثنتان وخمسون رسالة علمية فلسفية كتبتها عصابة من (الإخوان) الذين أنشأوا حركتهم في البصرة في عهد الخليفة المأمون، وتعمدوا إخفاء أسمائهم عن عامة الناس، خوفاً على حياتهم المهددة بالخطر من قِبَل أصحاب السلطة، حيث تضمنت رسائلهم العديد من الفلسفات المنحرفة، والأفكار الضالّة^(٤)، التي وضعت البذور لنشأة الفلسفة الإسماعيلية^(٥)، بما تحمل من انحرافات وضلالات.

(١) جمع: عبدالرحمن بن قاسم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، [الرياض - عالم الكتب - ١٤١٢هـ] [١٢٩/٣].

(٢) المرجع السابق، (المقدمة - صفحة [م]).

(٣) انظر: د. مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية (إخوان الصفا وخلان الوفا)، [بيروت - مكتبة الهلال ١٩٧٩] ص ٥ - ٣٧.

(٤) انظر الرد على كثير من هذه الأفكار في ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (الرد على المنطقيين) وفي المجلد الثاني من مجموع الفتاوى.

(٥) الإسماعيلية: فرقة باطنية انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحققتها هدم عقائد الإسلام، ومن أفكارهم أنهم يعتقدون بضرورة وجود إمام معصوم من نسل محمد بن إسماعيل، ولهذا الإمام صفات ترفعه إلى ما يشبه الألوهية، ويخصونه بعلم الباطن، ويدفعون له الخمس، ويؤمنون بالتقية وتناسخ الأرواح، وينكرون صفات الله عز وجل، ويدعون أنه لم يخلق العالم خلقاً مباشراً، بل بواسطة العقل الكلي، وهو (الحجاب) الذي حلّ في أئمتهم المستورين، وأما في السلوكيات، فيقول الإمام الغزالي: (المنقول عنهم الإباحة المطلقة، ورفع الحجاب، واستباحة المحظورات، واستحلالها، وإنكار الشرائع) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، [إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - ط ١ - ١٤٠٩هـ] ص ٤٩ - ٥٠.

ومن نماذج رسائلهم ما كتبوه في الرسالة الجامعة: (اعلم أيها الأخ - أيديك الله وإيانا بروح منه - أن الباري عز اسمه لما خلق هذا العالم على هذه الهيئة الشريفة....)^(١).

ب- مجالات الرسالة في العصر الحاضر :

لعل من أبرز معطيات هذا العصر الحديث؛ تلك الثورة التقنية الهائلة والتقدم الحضاري المذهل في كافة المجالات، وعلى رأسها مجالات الاتصال وتقنية نقل المعلومات، التي تطورت بشكل سريع ومذهل، وأصبحت ذات تأثير بالغ على توجهات الأمم والشعوب، مما حدى ببعض الكتاب أن يسمي هذا العصر (بعصر الإنسان الاتصالي) بكل ما تحمله اللفظة من دلالات^(٢).

وقد كان من المتوقع - في ظل هذا التطور الهائل لوسائل الاتصال - أن يتراجع دور وسيلة المراسلة في هذا العصر الحديث، لوجود بدائل أكثر منها سرعة، وأوسع إمكانات؛ إلا أن من العجيب والملفت للانتباه أن تحفظ المراسلة بمكانتها السامية، بل وتنال المزيد من الاهتمام، وتسخر إمكانات التقنية الحديثة لترسيخ مكانتها؛ وتيسير تداولها ووصولها إلى المستقبل بكل دقة

(١) انظر : د. مصطفى غالب ، في سبيل موسوعة فلسفية (إخوان الصفا وخلان الوفا)، [مرجع سابق] ص ٣٧ .

(٢) انظر : د. عبدالله الطويرقي ، علم الاتصال المعاصر، [الرياض - مطابع الفرزدق التجارية - ط ٢ - ١٤١٣هـ] ص ٩ ، وكذلك : ترجمة د. عمر الخطيب لكتاب: الاتصال الجماهيري، [بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ط ١ - ١٩٨٧م] ص ٢٦ .

وأمان، وبأكبر سرعة ممكنة^(١).

ومع التقدم الحضاري الكبير في جميع المجالات الإدارية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ... ظهرت أغراض جديدة للمراسلة الحديثة، تلبيةً للاحتياجات المستجدة والمتزايدة يوماً بعد يوم.

فبالإضافة إلى الأغراض القديمة للمراسلة التي ذكرت آنفاً، والتي ما زال أكثرها مستخدماً إلى اليوم؛ يلاحظ أن هناك أغراضاً جديدة للمراسلة تميّز بها هذا العصر عن العصر السابق.

وقد جاءت هذه الأغراض موزعة على ثلاثة مجالات رئيسية، هي: المجال الحكومي، والمجال التجاري، ومجال المراسلات الشخصية^(٢)، التي كانت تسمى الأهلية أو الإخوانية.

أولاً: أغراض المراسلات الحكومية (في العصر الحاضر):

إن الخصائص الهامة التي ميزت وسيلة المراسلة عن غيرها من وسائل الاتصال^(٣)، جعلت هذه الوسيلة تزداد أهمية في العصر الحديث، وخاصة في

(١) تقوم أكثر الدول بإنشاء دوائر حكومية مستقلة، مهمتها الأساسية العناية بشؤون البريد ونقل الرسائل، وتمت صياغة اتفاقيات دولية، هدفها وضع الأنظمة العامة لخدمة البريد وحمايته، واستخدمت وسائل ميكانيكية متطورة تساعد على السرعة والدقة في الخدمة البريدية، مثل نظام الفرز الآلي المستخدم في المملكة العربية السعودية، وهو نظام يعتمد على ماكينات أتماتيكية تستطيع الواحدة منها فرز ٣٠٠٠٠ رسالة في الساعة الواحدة، انظر: كتيب دليل الرمز البريدي الصادر عن وزارة البرق والبريد والهاتف بالمملكة العربية السعودية، ص ٣.

(٢) سوف يتبين أن بعض أغراض الرسائل الحكومية والتجارية تدخل ضمن أغراض الرسائل الشخصية، وسيأتي بيان ذلك عند الحديث عن: أغراض المراسلات الشخصية (في العصر الحاضر).

(٣) انظر خصائص وسيلة المراسلة ص ٢٠٦ وما بعدها من هذا البحث.

المجال الحكومي، الذي تتطلب عملية الاتصال فيه أن تكون على جانب كبير من الدقة والأمانة، دون أن تتعرض لحذف أو تغيير من قبل الوسيط الناقل للرسالة.

وقد احتفظت المراسلة بمكانتها السامية في المجال الحكومي، فما زالت هي الوسيلة الرسمية للاتصال بين الدول، وداخل كل دولة بين دوائرها الحكومية، وبين كل دائرة حكومية ومن له علاقة بها من موظفين أو مؤسسات أو أفراد.

- ومن أغراض المراسلات الحكومية^(١) اليوم:

- ١- الرسائل الدبلوماسية: وتعلق بتوجيه العلاقات الدولية بين الدول^(٢).
- ٢- رسائل البلاغات: وتعلق بالتوجيهات التي تصدر عن رئاسة مجلس الوزراء حول موضوع عام يتعلق بوزارات وإدارات الدولة^(٣).
- ٣- رسائل التعاميم: وهي توجيهات خاصة تقوم بإصدارها إدارة معينة إلى دوائرها ومؤسساتها، بقصد توحيد الإجراءات اللازمة في موضوع معين،

(١) قد يكون هناك تشابه أو ربما تداخل بين بعض الأغراض التي سيرد ذكرها، بسبب وجود بعض الاختلافات بين أنظمة الدول، بل وبين أنظمة الإدارات المختلفة داخل الدولة الواحدة، والمقصود هنا هو التعريف الموجز بهذه الأغراض على اختلاف مسمياتها، كما وردت في كتب الإدارة دون الخوض في شرحها، أو تقييمها، أو عقد المقارنات بينها.

(٢) انظر: علي محمد مقبول، (بحث) آثار الحرب على التمثيل الخارجي، [مرجع سابق] ص ١٠٢.

(٣) لرسائل البلاغات الحكومية صفات وشروط شكلية وموضوعية، لا يتسع المقام لذكرها، انظر

مزيداً من التفاصيل: أحمد أبو الرب، المراسلات التجارية والحكومية، [مرجع سابق] ص

أو اتباع طريقة معينة من أجل تنظيم سير العمل في الإدارة بشكل سليم^(١).

٤- رسائل المذكرات والمطالعات:

والمذكرة هي عبارة عن طرح فكرة مستحدثة، أو موضوع جديد، أو اقتراح مقيد يدرج على بساط البحث للدراسة. وأما المطالعة: فتم بناءً على تكليف من الرئيس الإداري لأحد الموظفين (وأحياناً بدون تكليف)، والهدف من المطالعة هو إجراء دراسة لموضوع معين ووضع الاقتراحات اللازمة بشأنه، والكفيلة بتنفيذه، استناداً إلى الحجج والبراهين والأنظمة المعتمدة^(٢).

٥- رسائل التقارير: وهي شبيهة - من حيث المضمون - برسائل المذكرات والمطالعات، حيث يتم فيها تكليف موظف مختص لدراسة قضية معينة، وتقديم اقتراحات حول الموضوع؛ إلا أنها لا تنحصر فقط في المواضيع الإدارية البحتة فحسب، بل تتعداها إلى مواضيع أخرى، وتشمل رسائل التقارير عدّة أغراض؛ إذ يدخل فيها: التقارير الإدارية والمالية والفنية والتفتيشية (تقارير الرقابة)، إضافة إلى التقارير الأخرى (كالتقارير السياسية والصحفية والتجارية ..) التي تتعلق بالعمل الإداري الحكومي^(٣).

(١) لإصدار التعاميم الحكومية ينبغي التقيد بعدة إجراءات نظامية ومحددة، انظر: المرجع السابق ص ٢٥٢ - ٢٥٣

(٢) ولهذا النوع من الرسائل أسسه الخاصة به، انظر: المرجع السابق.

(٣) يتم إعداد رسائل التقارير باتباع عدة خطوات وفق مخطط محدد، انظر: أحمد أبو الرب،

المراسلات التجارية والحكومية، [مرجع سابق] ص ٢٥٦ - ٢٥٧

٦- رسائل المقررات الإدارية : وهي المتضمنة لمقررات يصدرها صاحب السلطة الإدارية، لتوجيه الدائرة العامة، وذلك بغرض إحداث أثر حقوقي. والأثر الحقوقي إما أن يكون وضع قواعد جديدة بنظام جديد وهو ما يعرف بالقرار التنظيمي، وإما أن يكون متعلقاً بشخص معين، كتعيين موظف أو ترفيعه .. وهو ما يعرف بالقرار العادي، ويدخل في المقررات الإدارية كل من (القرارات الإدارية^(١))، والأوامر الإدارية (التعليمات)^(٢)^(٣).

٧- رسائل المراسيم (الأنظمة): وهي الصكوك الصادرة عن الديوان الملكي (في الأنظمة الملكية) أو عن رئيس الجمهورية (في الأنظمة الجمهورية)، وذلك وفقاً لأحكام القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية. والمراسيم والأنظمة نوعان: فهي إما أن تكون أنظمة عادية تتعلق بأفراد؛ مثل تعيين كبار موظفي الدولة أو إنهاء خدمتهم، وإما أنظمة تنظيمية: تصدر

(١) القرارات الإدارية : هي قرارات تصدرها السلطة العامة من أجل خدمة الصالح العام ، وهي إما قرارات إدارية عادية وتكون عادة خاصة بشخص معين، كتعيين موظف أو ترفيعه أو نقله وإما أن تكون قرارات إدارية تنظيمية، تتعلق بوضع قواعد جديدة في الأنظمة المطبقة بإدارات الدولة ، انظر : المرجع السابق ص ٢٦٢ .

(٢) الأوامر الإدارية : هي أوامر تنفيذية يصدرها الرؤساء الإداريون في الوزارات إلى الإدارات الأخرى في الدولة، بقصد تطبيقها تبعاً لمقتضيات خاصة بصالح العمل ، انظر المرجع السابق ص ٢٦٠ .

(٣) تحدث علماء الإدارة عن كيفية تنظيم وإصدار هذه المقررات الإدارية وأنواعها، وكيفية صياغتها ، انظر المرجع السابق ص ٢٥٨ - ٢٦٨ .

بموجبها أحكاماً عامة تلتزم إدارات الدولة ومؤسساتها بتنفيذها^(١).

٨- رسائل تنظيم مشاريع القوانين : وهي رسائل تتضمن إعداد مشاريع قوانين (مقترحة)، تتولى إعدادها السلطة التنفيذية، ثم ترفعها إلى السلطة التشريعية بقصد الحصول على الموافقة وإقرار هذه المشاريع^(٢).

ثانياً: أغراض المراسلات التجارية (في العصر الحاضر) :

في الماضي، لم تكن الحاجة ماسة إلى المراسلات التجارية - باستثناء رسائل تأمين القوافل بين مناطق القبائل المختلفة - حيث كانت المعاملات التجارية ضيقة النطاق، وكان العملاء قلة، بحيث يمكن الاكتفاء معهم بالاتصال الشخصي، لقربهم وقتهم.

واليوم اتسعت حركة التبادل التجاري على الصعيدين المحلي والعالمي وتنوعت، وازدادت تعقيداً وتشعباً، مما جعل وسيلة (المراسلات التجارية) أمراً حتمياً لا غنى عنه؛ وقد أكب أرباب المال وأساطين التجارة على هذه الوسيلة؛ حيث وجدوا فيها بغيتهم، إذ من فوائدها أنها: (توفر الوقت والجهد، وتقلل التكاليف وتزيد الأرباح، وتسهل عملية التبادل التجاري،

(١) تنظيم المرسوم - من حيث الشكل - له طريقة موحدة وفقاً للأنظمة الصادرة عن رئاسة مجلس الوزراء ويتم إعداد مشروع إصدار المرسوم من خلال عدة إجراءات تنظيمية . انظر : المرجع السابق ص ٢٦٩ - ٢٧٥ .

(٢) وتنقسم القوانين إلى قسمين : فهي إما قوانين ثابتة وهي التشريعات التي تصدرها السلطة العليا (الملك أو رئيس الجمهورية) بناءً على أحكام الدستور ، وإما قوانين مؤقتة : وهي القوانين التي تصدرها السلطة العليا وفقاً لأحكام الدستور ، وتسمى أحياناً مراسيم تشريعية ، انظر المرجع السابق ص ٢٧٦ .

وتحقق علاقات طيبة مع العملاء والتجار الآخرين، وهي وسيلة إعلانية جيدة وغير مكلفة، كما أنها وثيقة رسمية، لها أثرها ووزنها في حل المنازعات أمام القضاء...^(١).

ومن الأغراض الحديثة للمراسلات التجارية^(٢) ما يلي:

- ١- الرسائل الدوّارة^(٣): وهي نشرات تجارية تصدرها المؤسسات التجارية في ظروف معينة، بقصد اطلاع الجمهور على أمر معين، أو بقصد الدعاية والإعلان، ومن أغراضها اطلاع المرسل إليه بـ (تأسيس محل تجاري أو صناعي جديد، أو إطلاعه على أسماء المؤسسين والمفوضين بالتوقيع، أو إخباره بانضمام شريك جديد، أو انسحاب أحد الشركاء، أو إقالة مدير وتعيين غيره، أو حل الشركة وتصفيتها، أو وصول بضائع جديدة...).
- ٢- رسائل الاستفسار: والغرض منها أن يستفسر التاجر عن أشخاص أو محلات تجارية أو صناعية (من حيث مدى الثقة في التعامل معها، أو نحو

(١) انظر: أحمد أبو الرب، المراسلات التجارية والحكومية، [مرجع سابق] ص ٣.

(٢) أفاض المتخصصون في علم إدارة الأعمال التجارية في ذكر ضوابط كل غرض من أغراض المراسلات التجارية، وذكروا أمثلة ونماذج تفصيلية لكل غرض، وليس هذا مقام بسطها والتفصيل فيها، وللإستزادة، انظر: أحمد أبو الرب، المراسلات التجارية والحكومية، [مرجع سابق] (ص ١٣٢) وما بعدها، وعبد الحميد بن عامر ونصاف عبد الخالق، المراسلات العربية في دوائر الأعمال، [الكويت- دار الكتب- ب ت] (ص ٣٥) وما بعدها.

(٣) أحمد أبو الرب، المراسلات التجارية والحكومية، [مرجع سابق] ص ١٣٢.

ذلك)، ويكون موجهاً عادةً إلى مؤسسات ذات صبغة عامة، كالغرف التجارية والصناعية، أو البنوك، أو تجار لديهم معلومات عن موضوع الاستفسار، وقد يكون غرض الرسالة هو الاستفسار عن مصادر البضاعة وعناوين المصدّرين، فيوجهه إلى الغرف التجارية والصناعية أو الملحق التجاري في سفارةٍ ما، أو إلى تاجر لديه إلمام، وقد يكون الاستفسار عن نوع بضاعة معينة وثمنها، بغرض شرائها فيوجه لمصدر البضاعة نفسه.

٣- رسائل الرد على استفسار: والغرض منها الإجابة على رسائل الاستفسار الواردة، مع الحرص على توطيد الصلة مع الجهة المرسله، سواءً كان الرد إيجابياً أو سلبياً أو محايداً، وينبغي الحرص على الدقة في صياغة الرسالة، لأنها ستكون مُلزِمةً لكتابها (١).

٤- رسائل العرض: وهي نوع من الدعاية القوية، يقوم فيها أصحاب المصانع والموردون بإرسال رسائل للمشتريين والمستهلكين، عارضين عليهم بضائعهم بصورة جذابة، وتتميز رسالة العرض بخصوصيتها، وقوة وقعها في نفس المرسل إليه مما يزيد من تفاعله ورغبته في الشراء (٢).

٥- رسائل طلب البضاعة: وهي غالباً ما تكون رداً على رسالة العرض، فبعد أن يقرر المشتري شراء بضاعة معينة، فإنه يكتب رسالة طلب، يطلب

(١) انظر مزيداً من التفاصيل عن رسائل الاستفسار والرد على الاستفسار : عبد الحميد بسام وناصر عبد الخالق ، المراسلات العربية في دوائر الأعمال، [مرجع سابق] ص ٣٥، وأحمد أبو الرب، المراسلات التجارية والحكومية، [مرجع سابق] ص ١٣٧.

(٢) انظر : المرجعين السابقين ، عبد الحميد بسام ، ص ٣٥ ، وأحمد أبو الرب ، ص ١٥٠.

فيها نوع البضاعة التي يريد وكميتها، مشيراً إلى تاريخ رسالة العرض التي وصلت، والتي عليها بنى قرار الشراء^(١).

٦- رسائل تنفيذ الطلب: وهي أن يقوم البائع بإرسال رسالة إلى المشتري (مع البضاعة) يثبت فيها شحن البضاعة، ويرفق بها الفواتير الخاصة بها، مبيناً الأسعار والكميات التي تم شحنها وشروط الدفع، وتكاليف نقل البضاعة (حسب الاتفاق)، وغالباً ما يقوم سائق السيارة بتوصيل الرسالة للمشتري مع البضاعة^(٢).

٧- رسائل الشكوى والتذمّر: وتستخدم في حالات، أهمها: (الشكوى من زيادة الأسعار، أو وجود نقص أو تلف في البضاعة، أو عدم مطابقة البضاعة للشروط المتفق عليها، أو عدم وصول البضاعة في الوقت المتفق عليه)، وينبغي مراعاة اللباقة في صياغتها، وعدم اللجوء إلى القوة، إلا في حالة التأكد من عدم التجاوب وعدم الرغبة في إزالة موجب الشكوى^(٣).

٨- رسائل تسديد الحساب: ويضطر إليها التاجر في الحالات التي لا يقوم فيها المشتري بتسديد دينه في الوقت المحدد، فيكتب التاجر هذه الرسائل

(١) يجب أن تتوفر في رسالة الطلب عدة عناصر، وينبغي العناية بصياغتها فهي تعد وثيقة تؤكد قبول المشتري لشراء البضاعة، انظر: أحمد أبو الرب، المراسلات التجارية والحكومية، [مرجع سابق] ص ١٥٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٥٣.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ١٥٥.

لتذكير المشتري وتبنيه^(١).

٩- البطاقة: وهي رسائل قصيرة غير مغلقة، لا يلحق المؤسسة ضرر من اطلاع الناس عليها حيث تكتب عادة على بطاقة (١٥,٥-٩,٥سم)، وتستعمل لعدة أغراض، وبالذات تلك التي يكون لدى العميل جانب من المعرفة بها، مثل (تذكير العميل بتاريخ استحقاق دين معين أو تذكيره بأن مندوب الشركة سيمر عليه في وقت معين لعرض عينات بضائع أو نحوه، أو لاستعجال إرسال بضاعة سبق أن طلبت... كما تستخدم البطاقة للتهنئة بالأعياد أو الدعوة لمناسبات اجتماعية)^(٢).

١٠- رسائل الاستخدام: وهي رسائل تكتب بغرض الحصول على وظيفة شاغرة لدى مؤسسة ما. ولأسلوب صياغة هذه الرسائل أهمية كبرى في نجاحها ولها عدة عناصر ينبغي أن تشتمل عليها^(٣).

١١- رسائل الاستيراد والتصدير: وهي التي يتم بموجبها إبرام عقود تجارية

(١) ولها عدة أنواع تبدأ بـ (الرسائل العادية)، التي تحتوي على كثير من المجاملة، ثم (الرسالة المشددة) التي تحتوي على قليل من المجاملة وكثير من الصراحة، وتستعمل عند ظهور عدم الاستجابة للرسالة الأولى، ثم (رسالة الإنذار)، ويشير فيها إلى أنه سيتخذ الإجراءات القانونية إذا لم يتم السداد خلال مدة معينة، انظر: أحمد أبو الرب، المراسلات التجارية والحكومية، [مرجع سابق] ص ١٥٧.

(٢) ذكر أحمد أبو الرب عدة فوائد ومزايا للبطاقة، ويبين أن لها تنسيق معين، انظر: المرجع السابق (ص ١٦١).

(٣) انظر: أحمد أبو الرب، المراسلات التجارية والحكومية، [مرجع سابق] (ص ١٦٦).

بغرض استيراد بضائع من خارج البلاد، أو تصديرها إلى خارج البلاد^(١).

١٢- رسائل التسعير: وفيها يطلب المشتري من البائع تعيين أسعار بعض البضائع المعروضة لديه، بقصد شرائها.

١٣- رسائل الاستعجال: وفيها يطلب المشتري من البائع سرعة تسليم البضاعة، وبالإمكان استخدامها لأغراض التعجيل بسداد الديون^(٢).

١٤- رسائل التعديل والإلغاء: وتستخدم في حالة الرغبة في تعديل صفقة ما، أو إلغائها، مع أهمية كتابتها في وقت مبكر يمكن للبائع فيه أن يجري التعديل أو الإلغاء، كما ينبغي أن تحتوي الرسالة على مسوغات قوية^(٣).

١٥- رسائل التجارة الخارجية: وهي الرسائل المتعلقة بالنشاط التجاري الذي تقوم به المؤسسة أو التاجر خارج البلاد، ويدخل فيها (رسائل الوكالة والتأشيرة والنقل...)^(٤).

(١) تتبع عملية الاستيراد والتصدير عدة مراحل، وتحتاج إلى كتابة عدة أشكال من الرسائل الخاصة بهذا الغرض، انظر: المرجع السابق، (ص ١٦٩-١٨٩).

(٢) يختلف أسلوب هذه الرسائل باختلاف تطور الموقف، ويمكن ترقيمها (استعجال رقم ١)- استعجال رقم (٢).... انظر: أحمد البشبيشي، المراسلات والمخادثة والسياحة والفنادق، [مصر- دار المعرفة الجامعية- ب ت] (ص ٩).

(٣) المرجع السابق (ص ٨).

(٤) انظر: عبد الحميد بسام وناصر عبد الخالق، المراسلات العربية في دوائر الأعمال، [مرجع سابق] (ص ٣٥).

وغير ذلك من الأغراض المتعددة التي تستخدم فيها المراسلات في عالم التجارة والمال والأعمال، وما زالت أغراض المراسلات التجارية تنفرع وتتطور وتتعدد بتطور النشاط التجاري وتوسعه في كل يوم، بل وفي كل لحظة في عالمنا المتزامي الأطراف.

ثالثاً: أغراض المراسلات الشخصية (في العصر الحاضر):

سبق الحديث عن المراسلات الشخصية التي كانت تسمى الرسائل الأهلية أو الإخوانية، وكلها مسميات متقاربة لمعنى واحد، وقد تبين أن من أغراض تلك المراسلات: (التوجيه، والنصح، والتعزية، والتهنئة، والاستغاثة، والاعتذار، والطلب، والشكر، والعتاب، والشكوى.....)، وغيرها من الأغراض ذات الطابع الشخصي الخاص^(١).

والحق أن هذه الأغراض ما زالت هي الأغراض الرئيسة التي تستخدم لأجلها المراسلات الشخصية، إلا أن هناك أغراضاً قديمة للمراسلة ظهرت في هذا العصر الحديث، بصورة فيها نوع من التجديد، ومن تلك الأغراض:

(١) إن أفراد (الرسائل الشخصية) في مجال خاص بها لا يعني استقلالها التام بالأغراض التي ذكرت لها؛ بل إن هناك تداخلاً بين أغراض كل نوع من أنواع الرسائل (الحكومية، والتجارية، والشخصية)، وعلى سبيل المثال: نجد أن بعض أغراض (الرسائل الشخصية) يمكن أن تستخدم في مجال المراسلات الحكومية والتجارية؛ لأننا نجد أن من أغراض المراسلات التجارية والحكومية ما يتضمن معنى النصح والتوجيه، أو التهنئة أو الدعوة أو الاحتساب..... أو نحو ذلك من الأغراض، ومثل هذه الأغراض التي دخلت في المراسلات الحكومية والتجارية؛ هي بالأصالة من أغراض الرسائل الشخصية.

أ- رسائل الاستفتاء والأسئلة الاجتماعية والتربوية:

هي رسائل يقوم بإرسالها شخص أو أشخاص إلى العلماء والمفتين والدعاة، بغرض معرفة الحكم الشرعي أو التوجيه التربوي أو الاجتماعي في مسألة ما، وقد كان هذا الغرض موجوداً في السابق، ولكن ظهر فيه نوع من التجديد في هذا العصر، فقد ساهمت النهضة الحديثة في تنوع قنوات استقبال هذه الرسائل، والقالب الذي يتم من خلاله الرد عليها.

فعلى سبيل المثال؛ نجد في هذه البلاد^(١) -حرسها الله- أن هناك عدة قنوات يمكن توجيه رسائل الاستفتاء إليها، والحصول منها على الفتوى الشرعية، أو التوجيهات الدعوية والتربوية، ومن هذه الجهات:

- اللجنة الدائمة للإفتاء التابعة للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء:

يتم في هذه اللجنة استقبال رسائل الاستفتاء الخاصة بالأفراد أو الهيئات، ويتم كتابة الفتوى وإرسالها إلى الشخص نفسه أو الجهة المرسلة على هيئة رسالة جوابية خاصة.... إلا أنها في الغالب تنشر أيضاً في أعداد مجلة البحوث الإسلامية^(٢)، التي تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية

(١) سوف يُقتصر هنا على ذكر بعض الأنشطة الدعوية التي تعتمد على المراسلة (داخل بلاد الحرمين فقط)، حيث توجد أنشطة مشابهة في البلاد الأخرى، نسأل الله أن ينفع بها، وليس هذا مجال حصرها أو تعدادها.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية: مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، - الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء - وهي تصدر كل أربعة أشهر مؤقتاً.

والإفتاء^(١).

إذاعة القرآن الكريم :

يمكن أيضاً إرسال الفتوى من خلال الإذاعة، حيث يوجد حالياً عدة برامج تستقبل رسائل الاستفتاء، ويقوم أهل العلم -عبر الإذاعة- بالاستماع إلى الاستفتاء والرد عليه مباشرة، ومن تلك البرامج برنامج نور على الدرب^(٢) وبرنامج سؤال على الهاتف^(٣).

التلفزيون السعودي:

ويمكن أيضاً إرسال الفتاوى والأسئلة الاجتماعية من خلال التلفاز، حيث يقوم العلماء والدعاة بالإجابة على رسائل السائلين، والرد على استفساراتهم عبر عدة برامج منها: برنامج منكم وإليكم^(٤)، وبرنامج

(١) انظر : د. صالح بن غانم السدلان، الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية [الرياض - دار بلنسية- ط الأولى ١٤١٧ هـ] (ص ٢٠٤) .

(٢) برنامج يومي، يجيب فيه أصحاب الفضيلة العلماء على رسائل المستمعين، المتضمنة لأسئلتهم الدينية والاجتماعية ، البرنامج من تقديم عبد الله فرح الغامدي وعبدالكريم صالح المقرن ، المرجع: هيكل البرامج الإذاعية في إذاعة القرآن الكريم ١٤١٦ هـ .

(٣) برنامج يتم فيه استعراض رسائل المستمعين، المتضمنة لأسئلتهم الدينية والاجتماعية ، بحيث يجيب فيه أصحاب الفضيلة العلماء على تلك الأسئلة بأصواتهم عبر الهاتف، انظر: المرجع السابق.

(٤) برنامج تلفزيوني، يجيب فيه الشيخ عبدالعزيز المسند على الأسئلة الاجتماعية والأسرية التي يرسلها المشاهدون عبر رسائلهم للبرنامج ، ويث لمدة ٢٥ دقيقة أسبوعياً ، المرجع : هيكل البرامج التلفزيونية ، دورة حريف عام ١٤١٦ هـ التلفزيونية .

(الإفتاء)^(١)، وبرنامج قضايا وردود^(٢)، وبرنامج على الهاتف^(٣)، وكذلك في القناة التلفازية الثانية (الأجنبية) يتم الإجابة باللغة الإنجليزية على رسائل المشاهدين الناطقين بغير اللغة العربية عبر برنامج (قضايا وردود and issues answers)^(٤).

ب- الرسائل الدعوية الخاصة:

استخدمت المراسلات الشخصية في هذا الزمان أيضاً لأغراض الدعوة إلى الأديان المختلفة. فقد نشط أعداء الإسلام من أصحاب المعتقدات الفاسدة في استغلال هذه الوسيلة، حيث أخذوا يرسلون الرسائل لأبناء المسلمين بغرض التنصير، أو اعتناق المذاهب الباطلة والمنحرفة، أو تشكيك المسلمين، في عقائدهم، وقد استغل الأعداء وسيلة المراسلة على نطاق واسع، وبتقنيات

(١) برنامج (الإفتاء) وهو برنامج تلفزيوني يجيب فيه الشيخ صالح بن محمد اللحيدان على استفتاءات المشاهدين التي يرسلونها للبرنامج، ويث لمدة ٢٠ دقيقة أسبوعياً، المرجع السابق.

(٢) برنامج (قضايا وردود) وهو برنامج يجيب فيه د. عبدالله عبدالعزيز المصلح على رسائل المشاهدين وأسئلتهم واستفساراتهم الاجتماعية والأسرية والتربوية، ويث لمدة ٢٥ دقيقة أسبوعياً، المرجع السابق.

(٣) برنامج (على الهاتف) يعده ويقدمه عبدالكريم صالح المقرن، حيث يستعرض فيه رسائل المشاهدين المتضمنة لأسئلتهم الدينية والاجتماعية، ويقوم بالإجابة عليها أصحاب الفضيلة أعضاء هيئة كبار العلماء بأصواتهم عبر الهاتف، ومدة البث خمس دقائق يومياً. المرجع السابق.

(٤) برنامج أسبوعي يعده ويقدمه الداعية د. أحمد بن سيف الدين، حيث يتولى الإجابة على رسائل المشاهدين الناطقين باللغة الإنجليزية وأسئلتهم الدينية والاجتماعية بأسلوب دعوي متزن، ويث لمدة ٣٠ دقيقة. المرجع السابق.

متطورة، حيث رصدوا الميزانيات الضخمة، وكلفوا الأعداد الكبيرة من الموظفين ودعاة الباطل، ليقوموا بإرسال الرسائل لأبناء المسلمين، وينشطوا في دعوتهم إلى معتقداتهم الباطلة من خلال تلك الرسائل.

- فعلى سبيل المثال - : نجد أن المنصرين استخدموا هذه الوسيلة على نطاق واسع، وأخذوا يرسلون الرسائل التنصيرية لأبناء الإسلام، ويرفقون بها كتيبات ومطويات تنصيرية، مثل كتيب بعنوان [لا...دين المسيح لم ينسخ]^(١)، بل أبدعوا في استخدام وسيلة المراسلة لأغراض أخرى، فقد كشف المؤتمر التنصيري الذي عقد في مدينة جلين آيري بولاية كولورادوا الأمريكية سنة ١٩٧٨م^(٢) عن كثير من الطرق الجديدة التي حققوها من خلال وسيلة المراسلة، ومن ذلك: الحلقات الدراسية بالمراسلة، ويتم من خلالها إرسال دروس مكثفة لأبناء المسلمين، هدفها تشكيكهم في دينهم، ودعوتهم للديانة المسيحية^(٣).

(١) انظر : أحمد فون دنفر ، التبشير المسيحي في منطقة الخليج ، [ضمن سلسلة دراسات إسلامية تاريخية- بدون ذكر اسم البلد ودار النشر- ب ت] [ص ٣١].

(٢) نشرت ترجمة كاملة لأبحاث هذا المؤتمر تحت عنوان: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، [الولايات المتحدة- دار marc للنشر- ١٩٧٨ م].

(٣) يتم توجيه هذه الرسائل أيضاً لبنات المسلمين، حيث يطرح فيها مواضيع تناسبهن، مثل (حقوق المرأة في الكتاب المقدس، كيف تجددين حلولاً لمشاكل أسرتهن). وقد بدأ العمل بهذه الوسيلة، وهي الحلقات الدراسية بالمراسلة منذ عام ١٩٦٣م، انظر: خطة لغزو العالم الإسلامي، [مرجع سابق] ص ٦٤٤.

ومن استخداماتهم للمراسلة أيضاً: عقد دورات تعليمية بالمراسلة، تسمى (دورات المراسلة الإنجليزية)، مثل دورة (رب واحد وطريق واحد)، ودورة (الرب الذي يتحدث للإنسان)، ودورة (شعب الرب) وهناك مدارس متخصصة لا شأن لها إلا عقد هذه الدورات بوسيلة المراسلة مثل (المدرسة الباكستانية لدورات الإنجيل عن طريق المراسلة)^(١).

بل إن هناك مدارس أخرى تقوم بالتدريس النظامي المستمر بطريقة الفصول الدراسية المعتادة في المدارس النظامية، وليست مجرد دورات منقطعة. ومن تلك المدارس المستمرة (مدرسة التدريس بالمراسلة في تركيا)، والتي كانت تعمل منذ منتصف الستينات، وكان لها أثر بالغ في تنصير أعداد كبيرة من المسلمين^(٢).

وأحياناً نجد أن المنصرين وأعداء الإسلام يستخدمون وسيلة المراسلة (بدعوى التعارف واكتساب الثقافات)، وذلك للإيقاع بالشباب المسلم المحب لهوية المراسلة^(٣).

وقد نشرت جريدة المسلمون في أحد أعدادها^(٤)، تحقيقاً صحفياً موسعاً عن استغلال المنصرين وأعداء الإسلام وسيلة المراسلة لتحقيق أهدافهم، حيث

(١) انظر المرجع السابق (ص ٥٢٥).

(٢) انظر المرجع السابق (ص ٤٢١).

(٣) هوية المراسلة إحدى الأغراض الحديثة لوسيلة المراسلة ويقصد بها المراسلة بقصد التعارف وتبادل الثقافات، لكنها قد تستغل لأغراض أخرى.

(٤) جريدة المسلمون - جريدة دولية أسبوعية - العدد (٥٣٢) ١٤ / ذي القعدة / ١٤١٥ هـ

ذكرت أن من وسائلهم أن تقوم فتيات منصرات بمراسلة شباب الإسلام، واستمالتهم بدعوى الصداقة، ثم يتدرجن معهم في المراسلة، حتى يعرضن عليهم الانتقال للديانة النصرانية، ويرسلن لهم كتباً فيها دعوة صريحة إلى التنصير، كما أشارت الصحيفة إلى أن من طرقهم أن تقوم منظمات تنصيرية بتقديم خدمات مادية أو معنوية للطلاب وللشباب المسلم، عن طريق المراسلة وذلك لأغراض مشبوهة، ومن طرقهم الخبيثة أيضاً إقامة نواد خاصة للمراسلة مثل (نادي هواة المراسلة)^(١)، حيث تقوم تلك النوادي بعرض صور وعناوين شبان وفتيان للمراسلة بدعوى التعارف والثقافة، لكنها تبطن أهدافاً مشبوهة وأغراضاً شريرة، من أخطرها إتلاف عقائد الشباب وأخلاقهم، وقد نشرت الصحيفة صوراً من إعلانات تلك النوادي وشعاراتها وأغلفة لأشرطة فيديو تنصيرية أرسلت بالبريد إلى إحدى بلدان العالم الإسلامي.

- وأما دعاة الإسلام: فقد بدأ بعضهم يدرك - والله الحمد - أهمية هذه الوسيلة، وشدة تأثيرها ومزاياها العديدة، فبدأوا يقبلون عليها، ويحاولون استغلالها، وهناك جهود في هذا المجال، بعضها فردية وبعضها مؤسسية، ولكنها ما زالت محدودة، ومن الجهات^(٢) التي نشطت في هذا المجال (في المملكة العربية السعودية - على سبيل المثال).

(١) نشرت الصحيفة صورةً لشعار هذا النادي، وفيه دعوة للحصول على ما يسمى (كراسة المراسلة) مقابل إرسال العنوان والصورة وخمسة دولارات. حيث تحوي الكراسة مئات من العناوين البريدية مع صور أصحابها.

(٢) جمع الباحث هذه المعلومات من خلال زيارات ميدانية لتلك الجهات، ولقاءات مباشرة مع المسئولين فيها، هذا في الفترة من ٨/٢٠ - ٩/٨/١٤١٦ هـ.

- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: حيث تقوم الوزارة باستقبال الرسائل المتضمنة لطلب بعض الكتب والمصاحف، وتقوم مشكورة بإرسالها إلى طالبيها إلى عناوينهم.

- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء: حيث تقوم باستقبال رسائل الاستفتاء، وترسل الرد عليها، كما تستقبل رسائل طلب الكتب، وتقوم بإرسالها إلى المستفيد على عنوانه.

- مراكز الدعوة والإرشاد التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وكذلك المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات التابعة لقسم الدعوة بالداخل بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف: حيث إن هذه الجهات جهوداً طيبة وملحوظة في استقبال رسائل المدعوين، وإرسال ما يناسبهم من المطويات والكتب الدعوية^(١).

- الندوة العالمية للشباب الإسلامي^(٢): حيث تبادر مشكورة بإرسال الرسائل الدعوية، وتستقبل رسائل المدعوين وطلباتهم، وترسل لهم بعض الكتيبات والمطويات الدعوية في العقيدة والأحكام والآداب الإسلامية، باللغتين العربية والإنجليزية.

(١) انظر تفصيل هذه الجهود، وإحصائية بما أرسله بعض هذه المكاتب والمراكز من الكتب الدعوية والعلمية ونحوها من جهود الدعوة بالمراسلة: د. صالح بن غانم السدلان، الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية [مرجع سابق] (ص ٣٩٥ - ٤٧٣).

(٢) المرجع: تقرير لجنة المراسلة المنبثقة من لجنة الدعوة الإسلامية بالندوة العالمية للشباب الإسلامي.

ويبلغ معدل الرسائل الدعوية الصادرة من الندوة حوالي ألف رسالة شهرياً.
- مؤسسة الحرمين الخيرية^(١):

تقوم هذه المؤسسة مشكورة بعمل نموذجي في هذا المجال، حيث أنشأت ما يسمى: (رسالة الخير)، وهو اسم لرسالة بريدية شخصية ترسل إلى المدعوين في أنحاء العالم، حيث تؤخذ العناوين من مجلات التعارف وهواة المراسلة، ويتم إرسال أربع نماذج تباعاً لكل مدعو، يرفق بكل نموذج مجموعة من الكتيبات والمطويات، أغلبها في العقيدة والأحكام من مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه وأئمة الدعوة، وعلماء هذه البلاد المباركة، ويبلغ معدل إرسالها الشهري أربعة آلاف رسالة، وهو معدل في تزايد مستمر.

وترسل هذه الرسالة باللغة العربية، وكذلك ترسل باللغات الأجنبية، بغرض دعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

ولعل مما يحمد للمؤسسة، ويدل في الوقت ذاته على بركة علم الإمام محمد ابن عبد الوهاب -رحمه الله- أن المؤسسة ركزت على نشر كتب الإمام وإرسالها إلى جميع أنحاء العالم، بلغات مختلفة، مثل كتاب التوحيد والأصول الثلاثة وكشف الشبهات^(٢).

(١) المرجع: (تقرير عن عمل لجنة نشر الكتاب الإسلامي في مؤسسة الحرمين الخيرية) من إعداد وطباعة وتوزيع مؤسسة الحرمين الخيرية. وانظر بقية أنشطة هذه المؤسسة: د. صالح بن غانم السدلان، الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية [مرجع سابق] (ص ٣٩٥-٤٥٩).

(٢) انظر: عبد الملك القاسم، دليل المراسلة الإسلامي [الرياض - دار القاسم للنشر - ط

كما تقوم المؤسسة أيضاً بإرسال طرود تحتوي على أمهات الكتب، حيث يتم إرسالها إلى أماكن التجمعات الإسلامية والمراكز العلمية، ومكاتب الجامعات في أنحاء العالم، وقد كان لهذه الجهود أثر طيب.

وإن المتأمل لبعض الرسائل الجوابية الواردة للمؤسسة^(١)، ليدرك مدى التأثير العميق الذي تركه هذه الرسائل في نفوس المدعوين^(٢)، ويدرك في الوقت ذاته عظم المسؤولية الملقاة على كاهل كل مسلم تجاه إخوانه المسلمين، وتجاه الدعوة الإسلامية، وضرورة الحرص على إيصال الدعوة إلى تلك القلوب المتعطشة إلى نور الإسلام والعقيدة الصافية من الشوائب.

- مدرسة الإمام محمد بن عبد الوهاب الخيرية لتحفيظ القرآن - قسم المراسلة -^(٣).

تبنّت هذه المدرسة مشروع (الدعوة إلى الله بالمراسلة)، وهو عمل شبيه بعمل مؤسسة الحرمين، ويتم فيه إرسال خمسة نماذج متتابعة إلى كل مدعو، ويرفق بكل نموذج مجموعة من الكتيبات والمطويات، إضافة إلى إرسال بعض

(١) انظر نماذج من تلك الرسائل : المرجع السابق (ص ٦٤-١٠٠).

(٢) لوحظ على المدعوين بهذه الوسيلة سرعة الاستجابة ، والتأثر العميق ، وطلب المزيد من الرسائل والكتب النافعة، مع الاستعداد لدفع التكاليف مهما كانت . انظر : المرجع السابق (ص ٦٩).

(٣) تقرير (مشروع الدعوة إلى الله بالمراسلة) إعداد وطباعة مدرسة الإمام محمد بن عبد الوهاب الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، تحت إشراف الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، ترخيص (٢٣٠).

الطرود لبعض الجهات، وهي محتوية على كتب ومطويات باللغتين العربية والإنجليزية، ويبلغ معدل الإرسال من ٢٠-٤٠ رسالة يومياً.

- جهود فردية:

سبق تلك الجهود المؤسسية وتبعها أيضاً جهوداً فردية في الدعوة إلى الله بالمراسلة، فقد شعر بعض الدعاة بأهمية هذه الوسيلة، فنشطوا فيها، وهدى الله على أيديهم أعداداً كبيرة من المدعوين.

حتى إن إحدى الداعيات في هذه البلاد تقوم بمراسلة النساء، وقد بلغ المعدل الأسبوعي لما ترسله حوالي ٤٠ رسالة أسبوعياً.

نسأل الله أن يبارك في هذه الجهود، وأن يجزل الأجر والثوبة لكل من ساهم فيها، ولعلَّ الله أن يرى بها الذمَّة، ويخفف من التبعة الملقاة على عاتق كل مسلم.

ج- الرسائل الدعوية والتربوية المفتوحة:

وهي رسائل ليست في الحقيقة موجهة إلى شخص بعينه، بل إلى فئة معينة، وإن كانت تصاغ بأسلوب شخصي، ليكون ذلك أوقع في النفس.

وقد نشط الدعاة إلى الله في هذا الزمان في استخدام هذا النوع من الرسائل، فمنها ما خرج على هيئة نماذج مطبوعة لرسائل شخصية موجهة إلى فئات معينة من الناس، يقوم المرسل فقط بكتابة الاسم على النموذج، ثم إرساله، ومن ذلك -على سبيل المثال (سلسلة رسائل الإصلاح) التي تصدرها

دار ابن القيم^(١)، وقد صدر منها: نماذج ترسلها جماعة المسجد إلى من فرط في صلاة الجماعة، ونماذج لمن فرط في صلاة الفجر.. ونماذج لأغراض أخرى.

- ومن الرسائل الدعوية التربوية المفتوحة ما خرج على هيئة مطويات أو كتيبات كتبت على صورة رسالة شخصية خاصة تبدو كما لو كانت مكتوبة لشخص واحد بعينه، ومن الأمثلة على ذلك: (رسالة إلى جار المسجد - محمد المسند، ورسالة إلى الطيب - لعبد الوهاب الطبري، ورسالة إلى التجار والموظفين - لسعيد مسفر، ورسالة إلى سجين - لإبراهيم المحمود، ورسالة إلى المتعاملين بالربا - لعلي الدهامي، ورسالة إلى الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر - لعبد الله الجار الله، ورسالة إلى هاو - لصالح الونيان، ورسالة إلى الطلبة والطالبات - لأحمد السيد، ورسائل إلى شبل الإسلام - لصالح العصيمي، وكتيب: عشر رسائل لإصلاح المجتمع - لصالح أبو عرّاد الشهري - ضمنها الكاتب رسالة للمغتتاب والنمام والمتسول والمدخن والمسبل والمتكبر والمنافق والكاذب والمذنب.

وقد كتبت جميع تلك الرسائل بأسلوب الرسالة الشخصية، حيث تبدأ في الغالب بعبارة (أخي ... أو: إلى أخي أو أخي ...) وتخطب المدعو بأسلوب

(١) دار ابن القيم للنشر والتوزيع في الدمام بالملكة العربية السعودية، تباع هذه السلسلة في المكتبات على هيئة كراس مجوي عدد من النماذج الجاهزة لرسائل شخصية موجهة إلى أصناف معينة من المدعويين الواقعيين في بعض المخالفات، حيث يكتب المرسل بكتابة اسم المدعو على النموذج وإرساله للمدعو مباشرة.

المخاطب، وفي ذلك دلالة على إدراك الدعاة لأهمية هذا الأسلوب الشخصي وقوة تأثيره على المدعو.

ولا شك أن هناك مجالات أخرى عديدة للرسائل، ولكن المقصود هنا هو الإشارة إلى بعض الصور الحديثة لاستخداماتها، وهذا لا يعني إغفال ما سبق ذكره من الأغراض التي استخدمت لها هذه الوسيلة في الماضي، فمعظمها ما زال مستخدماً اليوم، فلا داعي لتكرارها، ولعل الأنسب الاقتصار على ما ذكر، تجنباً للإطالة.

الفصل الأول

مضمون رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)

المبحث الأول : بيان العقيدة الصحيحة

المبحث الثاني : الدعوة والاحتساب

المبحث الثالث : تفنيذ الشبه وردّ ما ألصق بالإمام من التهم

المبحث الرابع : مسائل متنوعة في الفقه وأصوله وعلوم

الحديث

الفصل الأول

مضمون رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)

إنّ المتأمل لرسائل الإمام (رحمه الله)، يتبيّن له من خلال دراستها وتحليل مضامينها أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين مضامين تلك الرسائل من جهة، وحصيلة الإمام العلمية المتنوعة من جهة أخرى، إضافة إلى طبيعة البيئة الفكرية المحيطة بالإمام، والمعارك العنيفة التي تعرض لها وخاضها ضد الخصوم والمناوئين، ولذلك فليس من المستغرب أن نجد أن رسائل الإمام قد تضمنت العديد من المسائل المتنوعة من علوم الشريعة والفنون المتعلقة بها، حيث تضمنت بيان العقيدة الصحيحة، من حيث منهج التلقي، وتقرير أركان الإيمان، وبيان نواقض الإسلام، والموقف من المبتدعة ورؤوسهم، كما تضمنت بعض المسائل المتعلقة بواجب الدعوة والاحتساب من حيث أهمية هذا الواجب، وفضله، وقيام الإمام بنفسه بهذا الواجب، إضافةً إلى الصفات التي ينبغي توافرها في الداعية والمحتسب، مع ذكر بعض المعوقات التي يمكن أن تعرض للداعية والمحتسب .

كما أشارت الرسائل إلى كثيرٍ من التهم التي وجهت للإمام ورده عليها، وكذلك تفنيده للشبه التي أثّرت على الدعوة.

ولم تخلُ الرسائل أيضاً من مسائل في الفقه وأصوله، وفي علم الحديث والمصطلح، وغير ذلك من المسائل النافعة.

وسيتّم تناول هذا الفصل بعون الله تعالى من خلال أربعة مباحث:

المبحث الأول

بيان العقيدة الصحيحة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في تلقي العقيدة

المطلب الثاني: تقريره أركان الإيمان بالله تعالى

(١) تقريره الإيمان بالله تعالى

(٢) تقريره بقية أركان الإيمان

المطلب الثالث: بيانه لنواقض الإسلام

المطلب الرابع: موقفه من المبتدعة ورؤوسهم

المطلب الأول

منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في تلقي العقيدة

وردت في رسائل الإمام -رحمه الله- كثير من العبارات التي توضح منهجه في تقرير العقيدة؛ ومن خلال تتبع معالم منهج الإمام في تقرير العقيدة يتضح أن منهجه في حقيقة الأمر هو منهج أهل السنة والجماعة في تقرير العقيدة^(١)، ويمكن توضيح ذلك المنهج من خلال النقاط التالية:

١- اقتصاره في مصدر التلقي على الوحي: كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ^(٢):

وذلك ليقينه -رحمه الله- بكمال هذا الدين، وأن رضا الله تعالى لا يتحقق إلا باتباع وحيه، وتقديمه على العقل عند توهم التعارض^(٣). وهذا المنهج واضح المعالم في رسائل الإمام؛ فلا يكاد -رحمه الله- يورد مسألة، أو يُدلي بحجة، أو يرد على شبهة إلا ويورد الدليل عليها من نصوص

(١) انظر: عبدالرحمن بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، [الرياض - مكتبة الرشد - ط ٢ - ١٤١٦هـ] (٥١/١ - ٧٨).

(٢) وذلك يتضمن فهم السلف الصالح لهذه النصوص، وإجماعهم وقياسهم المبني عليها كما سيأتي، انظر: عثمان علي حسن، قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد، [الرياض - دار الوطن - ط ١ - ١٤١٣هـ] (ص ١٤٣).

(٣) وهذا لا يعني أن الإمام -رحمه الله- كان يلغي العقل تماماً، ويتنكر له، بل كان يعطيه منزلته اللائقة به دون إفراط أو تفريط، فلا يُعمل العقل فيما لا مجال فيه من الغيبات ونحوها، ولذلك نراه مثلاً يُعمل العقل ويستأنس بأقيسته المعتبرة حين يجادل المتكلمين، فيقول: (والمراد أن مذهبهم، مع كونه فاسداً في نفسه مخالفاً للعقول، وهو أيضاً مخالف لدين الإسلام) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٦٤/٥).

الكتاب والسنة، مجافياً بذلك طريقة أهل البدع والمتكلمين، من الاعتماد على المقدمات والنتائج العقلية، التي لا تكاد تسلم من الأهواء والنقص البشري، خاصة فيما لا مجال للعقل فيه من أمور الغيبات ونحوها، بل إن الإمام لا يأخذ باجتهادات الفقهاء إذا عارضت نصوص الكتاب والسنة، ويجذر من أن ذلك ربما يؤول إلى الشرك، يقول - رحمه الله - في رسالته لأحد القضاة^(١):
 (ولا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتباعهم، وإنما الشأن إذا اختلفوا: هل يجب عليّ أن أقبل الحق ممن جاء به، وأرد المسألة إلى الله والرسول، مقتدياً بأهل العلم؟ أو أتحل بعضهم من غير حجة وأزعم أن الصواب في قوله، فأنتم على هذا الثاني، وهو الذي ذمّه الله، وسماه شركاً وهو اتخاذ العلماء أرباباً، وأنا على الأول أدعو إليه وأناظر عليه)^(٢).

ويؤكد الإمام على ضرورة الحذر من تقديم كتب المتأخرين على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فيورد في ذلك جواب الإمام أحمد^(٣) - رحمه الله - حين ذكر له بعض أصحابه أن هذه الكتب فيها فائدة لمن لا يعرف الكتاب والسنة، فقال الإمام أحمد - رحمه الله -: (إن عرفت الحديث، لم تحتج

(١) هو القاضي عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف .

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٥٨/٥).

(٣) الإمام أحمد هو: أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني، أبو عبد الله (١٦٤ - ٢٤١هـ) الإمام الشهير صاحب المسند، ولد ببغداد. وبها توفي، وقد نصر الله به الدين في فتنة القول بخلق القرآن، وروى عنه الإمام البخاري ومسلم وأبو داود وآخرون، انظر: الذهي، سير أعلام النبلاء، [مرجع سابق] (١٧٧/١١).

إليها، وإن لم تعرفه لم يحل لك النظر فيها، وقال: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان^(١)، والله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. قال: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك).

ثم بين الإمام محمد - رحمه الله - بعد ذلك أن سفيان الثوري - رحمه الله - كان - كما هو معلوم - ممن يُجلُّهم الإمام أحمد، ويعترف برسوخ أقدامهم في العلم، بل إنه كان يسميه أمير المؤمنين^(٢)، ومع ذلك لم يُبِح تقديم كتبه والنظر فيها وترك النصوص. ويؤكد الإمام - رحمه الله - إيمانه بكمال هذا الدين وأن الوحي كافٍ شافٍ، مشتمل على كل ما يحتاجه العباد في عباداتهم ومعاملاتهم؛ فيسوق آياتاً من نونية ابن القيم رحمه الله، قال في آخرها:

فالوحي كافٍ للذي يُعنى به . . . شافٍ لداء جهالة الإنسان^(٣)

وصدق ابن القيم رحمه الله تعالى، فالوحي (المتضمن للكتاب والسنة) قد جاء بالبيان الشافي القاطع للعذر، الموضح لجميع أصول الدين وأدلتها ومسائله.

(١) سفيان هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، (٩٧ - ١٦١هـ) أحد الأئمة الأعلام، قال شعبة وغير واحد: سفيان أمير المؤمنين في الحديث، وقال شعبة أيضاً: أن سفيان ساد الناس بالعلم والورع، توفي بالبصرة - رحمه الله - انظر: المرجع السابق، (١٢٩/٧).

(٢) يعني في الحديث .

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٦٧/٥).

٢- عدم خوضه في علم الكلام والفلسفة واقتصاره في بيان وفهم العقيدة على ما في الكتاب والسنة من العلم النافع الذي يثمر العمل:

من خلال رسائل الإمام -رحمه الله- تتضح نظرته إلى علم الكلام والفلسفة والمنطق ، فهو يرى أنها علوم لا تفيد -إن أفادت- إلا أموراً كلية، لا حقيقة لها ولا ثمرة ، ويرى أن هذه العلوم- كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لا يحتاج إليها الذكي، ولا يتنفع بها البليد، بل إن الإمام محمداً -رحمه الله- ساق بعض عبارات السلف التي ذموا فيها علم الكلام وأهله، ورموهم بالابتداع، ومن ذلك سياقه في الرسائل لكلام الإمام أحمد في ردّه على من قال: إنه- يعني الله سبحانه وتعالى- ليس بجوهر ولا عَرَض، حيث قال رحمه الله: (فهذه الألفاظ لا يطلق إثباتها ولا نفيها، كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة، ونحو ذلك من الألفاظ، ولهذا لما سُئِلَ ابن سريج عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين، قال: وأما توحيد أهل الباطل، فهو الخوض في الجواهر والأعراض، وإنما بُعث النبي ﷺ بإنكار ذلك ، وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في غير هذا الموضع)^(١).

ويحذّر الإمام محمد-رحمه الله- في الرسالة نفسها من طريقة أهل الكلام، وأنها تقود إلى الابتداع ؛ فيبين طريقة السلف في باب الأسماء والصفات، وأنهم (لا يتكلمون فيها إلا بما تكلم به الله ورسوله، فما أثبتته الله لنفسه، أو

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) ، (١٣١/٥ - ١٣٢) .

أثبتته رسوله أثبتوه، مثل: الفوقية والاستواء والكلام والمحيء وغير ذلك، وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله نفوه، مثل: المثل والند والسَّمِيّ، وغير ذلك لا يثبتونه ولا ينفونه، فمن نفاه... فهو عند أحمد والسلف مبتدع، ومن أثبتته - مثل هشام بن الحكم^(١) - وغيره، فهو عندهم مبتدع، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع، اقتداءً بالنبي ﷺ وأصحابه^(٢).

بل إن الإمام - رحمه الله - في موضع آخر يورد حكم السلف في علم الكلام، ويؤكد (نقلهم الإجماع: أن علم الكلام بدعة وضلالة، حتى قال أبو عمر بن عبد البر: أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات، لا يعدّون عند الجميع من طبقات العلماء)^(٣).

ويلخص الإمام حديثه عن مذهب المتكلمين، فيقول: (والمراد أن مذهبهم، مع كونه فاسداً في نفسه، مخالفاً للعقول، وهو أيضاً مخالف لدين الإسلام والكتاب والرسول ﷺ وللسلف كلهم، ويذكرون في كتبهم أنهم مخالفون للسلف، ثم مع هذا راحت بدعتهم على العالم والجاهل، حتى طبقت مشارق الأرض ومغاربها)^(٤). ولهذا نجد أن الإمام محمداً في رسائله ومؤلفاته يقتصر

(١) هشام بن الحكم البغدادي (الرافضي) مولى بني شيبان، وهو من متكلمي الشيعة الإمامية الرافضة، وكان شيخ الإمامية في وقته، كان أولاً من أصحاب الجهم بن صفوان، وهو من المشبهة، الذين يرون أن معبودهم له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية، توفي مستتراً بعد نكبة اليرامكة التي حدثت سنة (١٨٧هـ)، ويقال: عاش إلى خلافة المأمون، انظر: ابن النديم، الفهرست [بيروت - دار المعرفة - ط الأولى - ١٤١٥هـ] ص ٢١٧ - ٢١٨، والشهرستاني، الملل والنحل، [مرجع سابق] (٩٣/١) وانظر: الزركلي، الأعلام، [مرجع سابق] (٨٥/٨) وانظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٣١/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، (١٣١/٥).

(٣) المرجع السابق، (٢٦٣/٥).

(٤) انظر: [المرجع السابق] (٢٦٤/٥).

في بيان العقيدة، وفهم مسائلها على نصوص الكتاب والسنة، وفهم السلف، ويُعرض عن الخوض في علم الكلام والفلسفة، ويَطرح مناهجهم الفاسدة في تقرير العقيدة.

٣- تقريره لحجية السنة الصحيحة في العقيدة:

ومن ذلك خبر الآحاد^(١)، لأن الأخذ بها من مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله، ولأن الرسول ﷺ أعرف العباد بما يصلح لهم، وقد بلغ جميع ما

(١) خبر الآحاد: لغة: جمع أحد، بمعنى الواحد، وخبر الواحد هو ما يرويه شخص واحد، واصطلاحاً: هو ما لم يجمع شروط المتواتر، وخبر الآحاد- كما يذكر الجويني صاحب الورقات:- (هو الذي يوجب العمل ولا يوجب العلم): أي يجب العمل بما تضمنه خبر الآحاد، بتصديقه إن كان خيراً، وتطبيقه إن كان طلباً، بشرط صحته عن رسول الله ﷺ لا فرق في ذلك بين الأحكام والعقائد على القول الصحيح، لعموم الأدلة في وجوب العمل بخبر الواحد، ومن ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (بينما الناس بقاء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت، فقال: إن النبي ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة). أخرجه البخاري [كتاب القبلة - باب ما جاء في القبلة - ح ٣٩٥] (١/١٥٧). وأحاديث الآحاد إذا لم تكن ضعيفة الإسناد تفيد الظن كما قال الجمهور، وهو رجحان صحة نسبتها إلى من نقلت عنه، لأن أعدل رواة الآحاد يجوز في حقه الغلط والسهو، فلا يقطع بصحة روايته، وربما تفيد أحاديث الآحاد العلم؛ إذا احتفت بها القرائن، وشهدت بها الأصول، خلافاً للمتكلمين ومن نحا نحوهم فإنهم يرفضون الاحتجاج بأحاديث الآحاد الصحيحة في باب العقائد. انظر: الشيخ عبد الله بن صالح الفوزان، شرح الورقات في أصول الفقه [الرياض - دار المسلم - ط الثانية ١٤١٤هـ] (ص ١٤٩-١٥١) ود. محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث (الرياض - مكتبة المعارف - ط الثامنة ١٤٠٧هـ) ص ٢٢، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، مصطلح الحديث (الرياض - مكتبة المعارف - ط ١٤٠٤هـ) ص ١٢، وانظر النصوص الدالة على الاحتجاج بخبر الآحاد والرد على شبه المخالفين عند: د. عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله (الكويت - مكتبة الفلاح - ط الخامسة ١٩٨٤م) ص ٤٧-٥٦.

أنزل إليه من ربه آتمّ بلاغ وأبينه، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ويؤكد الإمام محمد - رحمه الله - هذه الحقيقة، فيذكر في إحدى رسائله حقوق المصطفى ﷺ ووجوب تصديقه في كل ما أخبر، ما دام قد وصلنا بسند متصل صحيح، سواء كان خبراً آحاداً أو خبراً متواتراً؛ لأن رده تكذيباً للنبي ﷺ وطعن في صحابته رضوان الله عليهم، يقول الإمام - رحمه الله - عن نبينا محمد ﷺ: (وهو نبي لا يُعبد، ورسول لا يكذب، بل يطاع ويُتبع، صلوات الله وسلامه عليه)^(١)، ويتضح تعظيم الإمام للسنة، واحتجاجه بها، والتسليم لما جاء فيها من النصوص الصحيحة من خلال كثرة حديثه - رحمه الله - عن وجوب اتباع النبي ﷺ والاستجابة لما جاء به، والتحاكم إلى سنته، مع التحذير الشديد من التهاون في ذلك وأنه سبيل اتباع الطواغيت، ويسوق الإمام في ذلك ما ذكره ابن القيم في أعلام الموقعين^(٢)، عند قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]، حيث قال:

(١) انظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع السابق] [الرياض - طه - ١٤١٣هـ] [١٥٠/١ - ١٥١].

(٢) يجوز تسمية [إعلام] و[أعلام] بالكسر والفتح وإن كان الكسر هو الأكثر المستفيض - كما يذكر الشيخ بكر أبو زيد - ... ويجوز نطقه بالفتح؛ لأنه تضمن قواعد وأحكاماً يهتدى بها فهي كأعلام.. أما تعليل فتح الهمزة بكونه مشتملاً على جملة من أسماء القضاة والمفتين فيرى الشيخ بكر أبو زيد أنه غير وجيه، وكذا تسمية الكشميري لهذا الكتاب باسم [أعلام الموقعين] لا مستند له. لكن ورد عن ابن القيم رحمه الله أنه سمى كتابه هذا [معالم الموقعين] ومن غير المنتع أن يسمى المؤلف كتابه باسمين وله نظائر، انظر التحقيق في هذه المسألة: بكر بن عبد الله أبو زيد، ابن قيم الجوزية: حياته آثاره موارده، [الرياض - دار العاصمة - ط الأولى ١٤١٢هـ] [ص ٢١٧].

(فقسم الأمر إلى أمرين، لا ثالث لهما: إما الاستحابة للرسول ﷺ وإما اتباع الهوى .. ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ فقد حكّم الطاغوت، وتحاكم إليه^(١)).

ثم بيّن الإمام محمد أن ابن القيم - رحمه الله - يعني هنا الآيات في سورة النساء، وهي قوله تعالى: ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ...﴾ [النساء: ٦٠].

كما إن الإمام محمداً - رحمه الله - كان يحرص في كثير من رسائله على تربية المدعويين على تعظيم السنة، واتباع النبي ﷺ ويدعو الله تعالى أن يثبتته على ذلك، فتحده - على سبيل المثال - يختم إحدى رسائله بقوله: (جعلنا الله وإياكم من أتباع الرسول، وحشرنا تحت لوائه ...) ^(٢).

٤ - احتجابه في مسائل العقيدة بأقوال الصحابة وإجماع السلف وتفاسيرهم للنصوص:

فالصحابية هم الذين عاشوا مع النبي ﷺ وهم بعد رسول الله ﷺ أعلم الناس بالتنزيل وأسباب نزوله، وأعلم الناس بالحديث ومناسبته، وهم العدول بتعديل الله لهم، وقد اكتمل فيهم الفهم، وسلامة اللغة، ومعرفة أصول الدين، ومقاصد الشريعة.

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٣٠٤/٥) وانظر: ابن القيم، أعلام الموقعين، (بيروت - دار التراث العربي - ب ت) [٤٩/١].

(٢) من رسالة الشيخ إلى أحد أتباعه، ويدعى نعيمش، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٣٠٩/٥).

ومن هذا المنطلق ، قرّر الإمام -رحمه الله- وجوب الأخذ بأقوال السلف الصالح رحمهم الله في فهم النصوص، ووجوب الأخذ بإجماعهم، وعدم مخالفتهم في المسألة المجمع عليها. ففي وجوب الأخذ بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم وتفاسيرهم يسوق الإمام أبياتاً للحافظ الذهبي، فيقول: (ومما ينسب للذهبي رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله .: قال الصحابة ليس خلف فيه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة .: بين الرسول وبين رأي فقيه^(١).

وفي الرسالة نفسها يذكر الإمام -رحمه الله- أهمية الأخذ بكلام علماء السلف، ويحضّر المرسل إليه على الرجوع إلى أقوالهم ويبين أنهم المرجع في فهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ فيقول مخاطباً عبد الله بن محمد بن عبداللطيف^(٢): (... فاضرع إلى الله، واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق، وتجرد إلى الله ناظراً أو مناظراً، واطلب كلام أهل العلم في زمانه -يعني ابن القيم -رحمه الله- مثل الحافظ الذهبي وابن كثير وابن رجب وغيرهم ... فإن لم تتبع هؤلاء، فانظر كلام الأئمة قبلهم، كالحافظ البيهقي في كتاب (المدخل) والحافظ ابن عبد البر والخطابي وأمثالهم ومن قبلهم، كالشافعي وابن جرير وابن قتيبة وأبي عبيد، فهؤلاء إليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله...^(٣)).

(١) انظر :مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٩/٥) .

(٢) سبق الحديث عنه في ص (٤٥) من هذا البحث .

(٣) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٨/٥ - ٢٥٩) .

ويقرر الإمام - رحمه الله - أيضاً وجوب الأخذ بإجماع السلف الصالح، فيقول: (ولا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب أتباعهم)^(١).
ويبين أن من خالف إجماعهم، فقد استحق اللوم، وتوجه عليه القول، ويبدأ بتطبيق هذا الحكم على نفسه، فيقول مخاطباً بعض الخصوم: (فإن سمعتم أني أفتيت بشيء خرجت فيه من إجماع أهل العلم، توجه عليّ القول)^(٢)، يعني أصبحت عندها مستحقاً للوم والعتاب.

٥ - التسليم للنصوص بدون مقررات سابقة تحاكم إليها النصوص أو تستلهم معاني هذه النصوص وفقاً لها:

كما فعل المعتزلة وغيرهم، الذين وضعوا أصولاً عقلية، ثم حاكموا نصوص الكتاب والسنة إلى هذه المقررات والأصول العقلية؛ فما وافق أصولهم أخذوا به، وما خالفها أولّوه أو أنكروا الاحتجاج به.

ولذلك نرى الإمام - رحمه الله - ينعي على المتكلمين انتهاجهم لهذا المسلك، ويبيّن مدى انحرافه حين يورد محاكاة الفلاسفة للمتكلمين، وكيف أنهم ألزموهم الحجة وخصموهم عندما ردوا عليهم بنفس حجّتهم، يقول الإمام في سياق حديثه عن المتكلمين: (وهم وأتباعهم مقرّون أنهم مخالفون للسلف، حتى إن أئمة المتكلمين لما ردّوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الأمر والنهي، مثل قولهم: المراد بالصيام: كتمان أسرارنا، والمراد بالحج زيارة مشايخنا، والمراد بجبريل العقل

(١) انظر: المرجع السابق، (٢٥٨/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٢٦٥/٥).

الفعال، ... وغير ذلك من إفكهم؛ ردّوا^(١) عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام، فقال لهم الفلاسفة: أنتم جحدتم علوّ الله على خلقه واستواءه على عرشه، مع أنه مذكور في الكتب على السنة الرسل، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم، وغيرهم من أهل الملل، فكيف يكون تأويلنا تحريفاً وتأويلكم صحيحاً؟ فلم يقدر أحدٌ من المتكلمين أن يجيب على هذا الإيراد...^(٢).

٦- أخذه بجميع النصوص في كل مسألة:

بخلاف أهل الأهواء، الذين يأخذون بجزء من النصوص حسب ما يوافق مذهبهم، ويطعنون في بقية النصوص الأخرى التي تستدل بها الطوائف الأخرى. ولا شك أن الوسطية التي اتّصف بها أهل السنة، والتي أخذها الإمام عنهم تقتضي الأخذ بجميع النصوص، وهذا المسلك ثمرته الفوز بالحق الذي مع كل من الطائفتين المنحرفتين، والسلامة من الباطل الذي معهما.

ويشير الإمام -رحمه الله- إلى بعض ثمرات هذا المنهج؛ ومنها الوسطية التي ارتضاها الله لعباده بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] حيث يقول الإمام -رحمه الله-: (والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية، وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وهم

(١) يعني: أن المتكلمين ردوا على الفلاسفة.

(٢) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٣٨٥هـ] (٤٠/١) وانظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٦٤/٥).

وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج^(١) ومنهج الوسطية والأخذ بجميع النصوص نراه واضحاً في كثير من ردود الإمام - رحمه الله - ومسائله ، وليس هذا قاصراً على المسائل العقدية، بل حتى في مسائل الفقه والفتيا، ومن ذلك ردّه - رحمه الله - على من أباح الوقف الجائر الذي سماه الإمام وقف الجنف والإثم^(٢)، حيث أورد الإمام أدلتهم التي انتقوها للاستدلال بها على جواز هذا الوقف، ويّين أنهم لم يأخذوا - في حكمهم هذا - بمجموع النصوص، بل أخذوا بعضها وبنوا عليه الحكم، وأعرضوا عن النصوص الأخرى؛ ثم جمع الإمام بين النصوص، فقرر أنّ هذا الوقف من التحايل على شرع الله و حدوده الواضحة في مسائل الإرث وغيرها، ويّين أن مجموع النصوص تدل على تحريم هذا الوقف الجائر^(٣).

٧- التزامه العدل والإنصاف، وعدم تعميم الأحكام حتى مع الأعداء والخصوم مع الاعتراف بما عندهم من الحق:

وذلك بخلاف أهل الأهواء، الذين يرمون خصومهم بما ليس فيهم من الباطل، ويردون ما عندهم من الحق، ويحملونه على أسوأ المحامل. ونرى ملامح العدل والإنصاف واضحة جلية في عدة مواضع من رسائل الإمام - رحمه الله - ومن ذلك ما ورد في إحدى رسائله من حرصه

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٨/٥).

(٢) سيأتي مزيد تفصيل لهذه المسائل في المطلب الرابع من هذا البحث.

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٧٨/٥ - ٨٥).

على عدم التعميم في الحكم على أهل الشام بأنهم يعبدون القبور ويعظمونها، وذلك في سياق رده على عبد الله المويّس^(١)، الذي زار الشام، ثم عاد متأثراً بما رأى، مما دعاه إلى عدم الإنكار على عباد القبور، أو تكفيرهم، ما داموا يتلفظون بالشهادة؛ فردّ عليه الإمام بأن مسيلمة الكذاب وغلاة الرافضة الذين حرقهم علي^(عليه السلام)؛ كلهم يتلفظون بالشهادة، ومع ذلك كفرهم الصحابة، وقتلواهم، وحكموا بردتهم، ثم علل الإمام جنوح المويّس إلى هذا التصور بقوله: (لكن هو - يعني المويّس - أت من الشام، وهم يعبدون ابن عربي، جاعلين على قبره صنماً يعبدونه). ثم قال بعد ذلك مباشرة: (ولست أعني أهل الشام كلهم، حاشا وكلا، بل لا تزال طائفة على الحق، وإن قلت واغتربت)^(٢).

والإمام - رحمه الله - لا تحمله معاداته لأهل الكلام ومنهجهم الباطل على إنكار ما تميز به كثير منهم من الذكاء والفطنة، بل يعترف لهم بهذه الخصلة،

(١) عبد الله بن عيسى المويّس^(١) ((المويّس)) (تصغير موسى) ولد في حرمة وتلقى العلم في بلاد نجد، ثم رحل منها إلى الشام ورجع إلى بلاده وتولى القضاء فيها، وهو من أشد خصوم الشيخ، المتعصبين ضد دعوته، وقد ردّ عليه الشيخ في عدة مواضع من رسائله، وحذر من مسلكه، وتوفي سنة ١١٧٥هـ. انظر: محمد بن حميد، السحب الوابلة على ضرائح الخنابلة، [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط الأولى - ١٤١٦هـ] (٢/٦٣٩)، ومحمد بن عمر الفاخري، الأخبار النجدية، [من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية] دراسة وتحقيق د. عبد الله يوسف الشبل، (ص ١١٢).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣٧/٥).

فيقول: (وأهل الكلام وأتباعهم من أحذق الناس وأفطنهم حتى إن لهم من الذكاء والحفظ والفهم ما يحير اللبيب)^(١). وليست هذه العبارة أو تلك مجرداً حادثه عين. سلك فيها الإمام مسلك العدل؛ بل هو منهج مطرد التزم الإمام به، بل وأشهد الله وملائكته على التزامه به، وعدم تخليه عنه، وعدم رد الحق ممن جاء به أيّاً كان؛ حيث يقول في إحدى رسائله: وأشهد الله وملائكته أنه إن أتاني منه - يعني من عبد الله بن عيسى -^(٢). أو ممن دونه في هذا الأمر كلمة من الحق، لأقبلها على الرأس والعين، وأترك قول كل إمام اقتديت به حاشا رسول الله ﷺ، فإنه لا يفارق الحق)^(٣).

٨ - عدم تعصبه لشخص إلا للرسول ﷺ فكلّ يؤخذ من قوله ويترك إلا الهادي البشير عليه الصلاة والسلام :

وذلك ليقينه بأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى؛ وهذا بخلاف أهل الأهواء، الذين يتعصبون لطائفتهم، أو لرجل من رجالهم، ويجعلون أقوالهم كالتصوص التي لا تقبل الرد ولا التأويل.

ومسلك التحرر من التعصب لآراء الرجال ومذاهبهم الفقهية من المعالم

(١) انظر: المرجع السابق (١٦٤/٥).

(٢) عبد الله بن عيسى: مطوع الدرعية، وقد عانى الإمام - رحمه الله - منه ومن ابنه عبد الوهاب معاناة شديدة، وأصابه منهما همٌّ وغمٌّ كما هو مذكور في بعض رسائله، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٨٠/٥، ٣١٤، ٣١٥).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٢/٥)، وانظر المعنى نفسه في المرجع نفسه (٢٥٢/٥).

الواضحة في منهج الإمام - رحمه الله - ومن المسائل التي يدركها يسر كل من يتتبع تراث الإمام الفكري بشكل عام، ورسائله بشكل خاص.

فالإمام - رحمه الله - يصدع بهذا المنهج بكل صراحة ووضوح، فيقول في رسالته إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف^(١)،: (ولست - والله الحمد - أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أورد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق، لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق)^(٢).

ولا يكتفي الإمام - رحمه الله - بذلك، بل يحذر أشد التحذير من مسلك التعصب لآراء الأشخاص واجتهادات العلماء وتقديمها على النصوص؛ حيث يؤكد أن ذلك من اتخاذهم أرباباً من دون الله، ويورد في ذلك قول الله تعالى عن مثل هؤلاء: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، ثم يسوق تفسير النبي ﷺ لهذه الآية حين سأله عدي بن حاتم رضي الله عنه فقال: إنا لسنا نعبدهم، فقال ﷺ: (أليس يجرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما

(١) الأحسائي القاضي، سبق الحديث عنه (ص ٨٥) من هذا البحث.

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٥٢/٥) وانظر المرجع نفسه (٢٧٦/٥).

حرم الله فتحلونهم؟ قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم^(١).

وينعى الإمام - رحمه الله - على أولئك الذين تعصبوا لأقوال علمائهم، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، فيؤكد أنهم داخلون في عموم هذه الآية، ويستدل على ذلك بما قاله أبو العالية^(٢) - رحمه الله - حين سئل عن قوله تعالى في هذه الآية: ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وكيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل؟ فقال: (كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه، فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء؛ فما أمرونا به اتتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم، فاستنصحو الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم)^(٣)، واستحقوا أن يوصفوا بأنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وهكذا كل من سلك مسلكهم، وتعصب لأقوال الرجال، ونبذ النصوص وراء ظهره، فقد اتخذ هؤلاء الرجال أرباباً من دون الله.

(١) حديث حسن أخرجه الترمذي، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، [بيروت - دار إحياء التراث العربي - ط ١٤١٥هـ] كتاب تفسير القرآن الكريم، باب سورة التوبة، [ك ٤٤، ب ٩، ح ٣١٠٤] (٢٧٨/٥)، وانظر بقية طرق الحديث ورواياته لصالح العصيمي، الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد، [الرياض - دار ابن خزيمة - ط الأولى - ١٤١٣هـ] (ص ١٣٠). وقد حسنه شيخ الإسلام في كتاب الإيمان، مجموع الفتاوى، [مرجع سابق] (٦٧/٧).

(٢) أبو العالية الرياحي، رفيع بن مهران البصري، من كبار التابعين، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، روى عن جمع من الصحابة، وكان إماماً حافظاً مقرئاً مفسراً، توفي رحمه الله في شوال سنة (٩٠هـ)، انظر: الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط ٨ - ١٤١٢هـ] (٤/٢٠٧-٢١٣).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٠٥/٥)، جمع: عبدالرحمن بن قاسم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، [مرجع سابق] (٦٧/٧).

المطلب الثاني

تقريره أركان الإيمان بالله تعالى

لعل من أبرز المضامين التي اشتملت عليها رسائل الإمام محمد -رحمه الله- الشخصية ما كان يحرص عليه -رحمه الله- أشد الحرص من تقرير أركان الإيمان بالله تعالى، ويمكن تناول هذا المطلب من خلال المسألتين الآتيتين:

المسألة الأولى: تقريره الإيمان بالله تعالى.

المسألة الثانية: تقريره بقية أركان الإيمان.

المسألة الأولى: تقريره الإيمان بالله تعالى:

ويدخل ضمن ذلك ما يلي:

١- تقريره معنى الإيمان بالله تعالى إجمالاً:

تحدث الإمام -رحمه الله- في رسائله عن الإيمان وحقيقته وأركانه، فقال في تقريره لحقيقة الإيمان: (واعتقد أن الإيمان: قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهو بضع وسبعون شعبة؛ أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)^(١).

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١١/٥).

وقال الإمام في رسالته للبكيلى^(١)، مبيناً عقيدته في الإيمان وشهادة التوحيد: (و حقيقة اعتقادنا: أنها - أي الشهادة - تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح)^(٢).

كما أورد الإمام ما قاله الشيباني في منظومته مستحسناً لقوله حين قال: (وإيماننا قولٌ وفعلٌ ونيةٌ . . . ويزداد بالتقوى وينقص بالردى)^(٣). وقد ركز الإمام - رحمه الله - على ركن (الإيمان بالله تعالى)، لأنه هو الأصل الذي يستلزم بقية أركان الإيمان^(٤)، ولأنه أيضاً يستلزم أقسام التوحيد الثلاثة، فالإيمان بالله تعالى - كما بين الإمام - يستلزم الإيمان بربوبيته وبإلهيته وبأسمائه وصفاته^(٥)، وهو ما فصله الإمام في مواضع أخرى تحت مسمى توحيد العبادة وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وسيأتي بيان ذلك في المطالب الثلاثة التالية.

(١) صاحب اليمن ، لم أعرش على ترجمته ، وبكيل: قبيلة يمنية معروفة في اليمن، يرجع نسبها إلى بكيل بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان، وبكيل هذا أحد الجددين الكبيرين في قبائل همدان إلى اليوم (حاشد وبكيل)، وهو من قدماء الجاهليين في اليمن ، انظر : ابن حزم الأندلسي ، جبهة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون، [مصر - دار المعارف - ط ٣ - ١٣٩١هـ] (ص ٣٩٢، ٣٩٦) وانظر : الزركلي، الأعلام، [مرجع سابق] [٧٢/٢].

(٢) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٩٦/٥) .

(٣) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٩٧/٥) .

(٤) انظر : عمر الأشقر ، العقيدة في الله ، [الكويت - مكتبة الفلاح - ط ٥ - ١٩٨٤] (ص ٦٠) .

(٥) انظر : حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] [٨٦/٢]، انظر: جمع:

عبدالرحمن بن قاسم ، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] [١٤٧/١] ،

١٥١ ، ١٧٠) وانظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٨/٥ ، ١٢١ ، ١٨٧) .

وقد أشار الإمام -رحمه الله- في عدة مواضع من رسائله إلى بقية أركان الإيمان، فقال في رسالته التي أرسلها إلى جميع النواحي بناءً على طلب الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود: (وإذا قيل لك: ما الإيمان؟ فقل: هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره كله من الله، والدليل قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ودليل القدر قوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] (١).

ولم يكتف الإمام -رحمه الله- بذكر أركان الإيمان إجمالاً، بل تحدث بالتفصيل عن كل ركن منها على حدة؛ كما سيأتي تفصيله في المسألة الثانية.

٢- تقريره معنى توحيد العبادة (الألوهية) وأهميته ومقتضياته:

تحدث الإمام -في معرض تقريره للإيمان- عن معنى توحيد العبادة وأهميته ومقتضياته على النحو التالي:

معنى توحيد العبادة:

يقول الإمام معرفاً توحيد العبادة: (واعلم أن التوحيد: [يعني توحيد العبادة أو الألوهية]: هو إفراد الله سبحانه بالعبادة؛ وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده) (٢).

وقال -رحمه الله-: (... وإن الذي يدخل الرجل في الإسلام هو توحيد

(١) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط٥] [١٤٩/١-١٥٠].

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٥٢/٥).

الإلهية، وهو: أن لا يُعبد إلا الله، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا^(١)، ويوضح الإمام معنى توحيد العبادة في موضع آخر، فيقول: (هو أن لا يسجد إلا لله، ولا يركع إلا له، ولا يُعبد بجميع العبادات إلا الله وحده لا شريك له، وأن من فعل ذلك في نبي من الأنبياء، أو ولي من الأولياء، فقد أشرك بالله، وذلك النبي أو الرجل الصالح بريء ممن أشرك به كنبوؤ عيسى عليه السلام من النصارى، وموسى عليه السلام من اليهود، وعلي عليه السلام من الرافضة، وعبد القادر من الفقراء^(٢) ^(٣)).

ويضرب الإمام بعض الأمثلة على توحيد العبادة، فيقول بأسلوب ميسر في إحدى رسائله التي وجهها للعامة: (... وتوحيد الإلهية فعملك أيها العبد، مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والرغبة والرغبة والنذر والاستغاثة، وغير ذلك من أنواع العبادة...)^(٤).
أهمية توحيد العبادة:

أدرك الإمام -رحمه الله- أهمية توحيد العبادة، ونبه إلى ذلك في كثير من رسائله، وظهر هذا الاهتمام واضحاً من خلال كثرة تكرار حديث الإمام عن هذا القسم من أقسام التوحيد، بل يمكن أن يقال دون تحفظ: إن توحيد

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٥٠/٥) وانظر المعنى نفسه في ذات المرجع (٦٤/٥).

(٢) الفقراء: يطلق هذا الوصف على المتصوفة، انظر: جمع عبد الرحمن بن قاسم، مجموع الفتاوى [مرجع سابق] (ج ١٢، ١١).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٤٧/٥).

(٤) انظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٥٢/١).

العبادة كان المحور الأساس لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ حتى إن الإمام يقرر في إحدى رسائله التي وجهها للعامة أن توحيد العبادة هو أصل الدين وقاعدته، حيث يقول: (فإذا قيل لك: أيش دينك؟ فقل: ديني الإسلام، وأصله وقاعدته أمران؛ الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالاته فيه وتكفير من تركه والإنذار^(١) عن الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله)^(٢).

كما استدل - رحمه الله - على أهمية توحيد العبادة؛ بأنه هو المتضمن لمعنى شهادة أن لا إله إلا الله، فبعد أن ذكر جوانب من توحيد الإلهية وبيّن أن منها: (.. أن لا يُسجد إلا لله، ولا يركع إلا لله، ولا يُدعى لكشف الضر إلا هو ولا جلب الخير إلا هو، ولا ينذر إلا له، ولا يحلف إلا به ... وجميع العبادات لا تصلح إلا له وحده لا شريك له ..) قال بعد ذلك: (وهذا معنى قول لا إله إلا الله، فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه)^(٣).

وبيّن الإمام أن توحيد الربوبية مع أهميته، وأنه (هو الأصل، ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه)^(٤)، إلا أن هذا التوحيد لم يُدجّل الكفار الذين قاتلهم النبي ﷺ في دين الإسلام، ولم يعصم دماءهم ولا أموالهم، بل قال

(١) يعني أن الأمر الثاني (الإنذار ...).

(٢) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ -

(١٥٣/١).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٢٤/٥).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٢١/٥).

الإمام: (إن الذي يُدخِل الرجل في الإسلام هو توحيد الإلهية، وهو أن لا يُعبد إلا الله لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا.)^(١)، بل إن الإمام -رحمه الله- لقوة إدراكه لأهميّة توحيد العبادة، كان إذا تحدّث عن التوحيد بمفهومه العام، انصرف حديثه - في أغلب الأحيان- إلى توحيد العبادة، وعرّف التوحيد بما يُعرّف به توحيد العبادة، فهو يقول في موضع آخر: (فاعلم أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم؛ أفراد الله بالعبادة، كلها، ليس فيها حق لملك مقرب ولا لنبى مرسل، فضلاً عن غيرهم)^(٢).

ويؤكد الإمام -رحمه الله- أن مسمى التوحيد إذا أُطلق فإنما يراد به توحيد الإلهية، وأن من خالف في ذلك فقد جانب الصواب يقول الإمام: (وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر ومن أهل العبادة حتى قلبوا حقيقته، فطائفة ظنت أن التوحيد هو نفي الصفات، وطائفة ظنوا أنه الإقرار بتوحيد الربوبية، ومنهم من أطال في تقرير هذا الموضوع^(٣)، وظن أنه بذلك قرر الوحدانية، وأن الألوهية هي القدرة على الاختراع ونحو ذلك.)^(٤)، ثم بيّن الإمام -رحمه الله- أهمية التوحيد، وأنه أول ما تجب

(١) انظر: المرجع السابق (١٥٠/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٦٦/٥).

(٣) يعني: أطال في تقرير توحيد الربوبية والاستدلال له، وبه.

(٤) ذكر الإمام ذلك في إحدى رسائله وبيّن أنه من عبارات الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه

الله، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (الشخصية) (٦٧/٥).

الدعوة إليه والعناية به؛ فحين سأله أحد المدعويين^(١) عن عدة مسائل في الفقه والتوحيد وغيره؛ بدأ بالإجابة على مسألة التوحيد، وقال: (وصل كتابك تسأل عن مسائل كثيرة، وتذكر أن مرادك اتباع الحق، منها مسألة التوحيد، ولا يخفك أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: (إن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله فإن هم أجابوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات)^(٢)، إلى آخره، فإذا كان الرجل لا يدعى إلى الصلوات الخمس إلا بعد ما يعرف التوحيد وينقاد له، فكيف بمسائل جزئية تختلف فيها العلماء)^(٣).

بل إن الإمام امتنع عن الإجابة على مسائل جزئية طرحها أحد المدعويين قبل أن يتوثق الإمام من اتفاق ذلك المدعو معه على أصل الأصول، وهو وجوب الاستقامة على التوحيد علماً وعملاً، حيث يقول الإمام في نهاية الرسالة التي اكتفى فيها بالإجابة على مسألة التوحيد فقط، وترك الإجابة على بقية المسائل الجزئية في الفروع: (... فإن بان الصواب معك، وجب علينا الرجوع إليك، وإن لم تستقم على التوحيد علماً وعملاً ومجاهدةً، فليس

(١) هذا المدعو هو: عبدالرحمن بن ربيعة، مطوع ثادق، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٦٦/٥).

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب: الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، [ك: ٣٠، ب: ٦٢، ح: ١٤٢٥] [٥٤٤/٢].

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٦٦/٥).

هذا محل المراجعة في المسائل، والله أعلم^(١).

وبعد أن قرر الإمام أن توحيد الإلهية هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله^(٢)، بين - رحمه الله - أهمية هذه الشهادة العظيمة الدالة على توحيد الإلهية، وذكر أنها تجمع الدين كله، وهي التي تُخرج قائلها من النار^(٣)، بل إن شهادة التوحيد والعمل بمقتضاها هو زبدة الرسالة، وهو دين محمد ﷺ^(٤)، يقول الإمام مبيناً ذلك: (لا إله إلا الله هي العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، وهي الحنيفة ملة إبراهيم، وهي التي جعلها الله عز وجل كلمة باقية في عقبه، وهي التي خلقت لأجلها المخلوقات، وبها قامت الأرض والسموات، ولأجلها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٥) [الذاريات: ٥٦])، ثم بين الإمام أن المقصود من أهمية الشهادة هو تحقيق معناها، وما دلت عليه من توحيد الإلهية، يقول الإمام بعد أن بين أهمية الشهادة: (والمراد: معنى هذه الكلمة، وأما التلغظ باللسان، مع الجهل بمعناها فلا ينفع؛ فإن المنافقين يقولونها، وهم تحت الكفار

(١) انظر: المرجع السابق (١٦٧/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٢٤/٥).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٢٢/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (١٨٢/٥).

(٥) انظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ]

في الدرك الأسفل من النار^(١)، ووضح الإمام أن معنى الشهادة، وإن جهله بعض العوام، وبعض المتعلمين، إلا أنه في الحقيقة أمر بدهي أدركه حتى الكفار^(٢)، الذين علموا أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو توحيد الإلهية، وإفراد الله تعالى بالعبادة، والكفر بما يُعبد من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾^(٣) [ص: ٥٠]، ثم قال الإمام مستنكراً: (فلا خير في رجلٍ جهَّالٍ الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله)^(٤).

ولعل من أهم أسباب اهتمام الإمام بتوحيد الإلهية وحرصه الدائم على بيانه والتذكير به؛ ما رآه من انتشار الجهل به، وبمعنى شهادة أن لا إله إلا الله، وكثرة الوقوع فيما يناقض هذا التوحيد، حتى بين أولئك الذين ينتسبون إلى العلم ويسمونهم الناس (مطاوعة)، حيث أكد الإمام أن كثيراً منهم - في الحقيقة - لم يعرفوا بعد معنى الشهادة، وخاطبهم قائلاً: (فاعلموا أنكم لم تعرفوا دين الإسلام، ولا شهادة أن لا إله إلا الله)^(٥)، ويحتد في العبارة مخاطباً

(١) انظر: المرجع السابق (١٠٢/٢) وانظر: عبدالسلام آل عبدالكريم، الرسائل والمسائل النجدية، [مرجع سابق] (٣٥/٤).

(٢) المرجع السابق (١٥٥/٥).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٥٥/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (١٥٥/٥).

(٥) ذكر الشيخ ذلك في رسالة أرسلها (إلى من يصل إليه الكتاب من المسلمين، خصوصاً محمد بن عبيد، وعبدالقادر العدلي وابنه، وعبدالله بن سحيم، وعبدالله بن عقيب، وحميدان بن تركي، وعلي بن زامل، ومحمد أبا الخيل، وصالح بن عبدالله). انظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (١٢٦/٥).

سليمان بن سحيم وأباه، فيقول: (.. وأنت إلى الآن أنت وأبوك لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، أنا أشهد بهذا شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة أنك لا تعرفها إلى الآن ولا أبوك)^(١)، وقد استنبط الإمام هذا الحكم من خلال عدة دلائل^(٢)، منها: عدم إنكار هؤلاء المطاوعة ما يرونه من مظاهر الشرك المخالف لتوحيد الإلهية، يقول الإمام: (بل أعجب من هذا أنكم لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، ولا تنكرون هذه الأوثان التي تُعبد في الخرج وغيره، التي هي الشرك الأكبر بإجماع أهل العلم)^(٣)، وأحال الإمام أولئك المطاوعة إلى كتاب يثقون به، وهو كتاب (الإقناع)^(٤)، فقال: (فانظروا في الإقناع في باب حكم المرتد، وما ذكر فيه من الأمور الهائلة التي ذكر أن الإنسان إذا فعلها، فقد ارتد وحلّ دمه، مثل الاعتقاد في الأنبياء والصالحين، وجعلهم وسائط بينه وبين الله، ومثل الطيران في الهواء، والمشي في الماء، فإذا كان من فعل هذه الأمور منكم، مثل السائح الأعرج ونحوه،

(١) المرجع السابق (٢٢٦/٥).

(٢) ذكر الشيخ في هذه الرسالة -على سبيل المثال- ستة من الدلائل الوجيهة، انظر: المرجع السابق (٢٢٧/٥).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢٧٨/٥).

(٤) هو كتاب: الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، لأبي النجا شرف الدين موسى الحجاوي المقدسي (ت ٩٦٨هـ) وقد طبع عدة طبعات، منها طبعة دار المعرفة ببيروت، تصحيح وتعليق: عبداللطيف محمد موسى السبكي.

تعتقدون صلاحه وولايته - وقد صرَّح في الإقناع بكفره - فاعلموا أنكم لم تعرفوا معنى شهادة أن لا إله إلا الله^(١).

ويستمر الإمام في بيان جهل بعض هؤلاء (المطاوعة) بأهمية توحيد الإلهية، وضرورة تعلم معنى الشهادة، فيقول: (وكذلك أيضاً من جهالة هؤلاء وضلالتهم: إذا رأوا من يُعَلِّمُ الشيوخ وصبيانهم أو البدو شهادة أن لا إله إلا الله قالوا: قولوا لهم يتركوا الحرام. وهذا من جهلهم، فإنهم لا يعرفون إلا ظلم الأموال، وأمّا ظلم الشرك، فلا يعرفون، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [نسان: ١٣]، وأين الظلم الذي إذا تكلم الإنسان بكلمة منه، أو مدح الطواغيت، أو جادل عنهم؛ خرج من الإسلام ولو كان صائماً قائماً؛ من الظلم الذي لا يخرج من الإسلام، بل إما أن يؤدي إلى صاحبه بالقصاص، وإما أن يغفره الله، فبين الموضعين فرق عظيم)^(٢).

وحين استنكر البعض شدة اهتمام الإمام بتوحيد العبادة، وكثرة حديثه عن انتشار الشرك والجهل بين الناس مع أن أولئك الناس، الذين تحدث عنهم الإمام ينطقون بالشهادة ويتلفظون بها؛ أجاب الإمام عن هذه الشبهة قائلاً: (فإن قيل: كل الناس يقولونها، قيل:

- منهم من يقولها ويحسب معناها: لا يخلق إلا الله، ولا يرزق إلا الله

وأشبه ذلك ..

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (١٢٦/٥).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (١٩٠/٥).

- ومنهم من لا يفهم معناها ..
- ومنهم من لا يعمل بمقتضاها ..
- ومنهم من لا يعقل حقيقتها ..

وأعجب من ذلك من عرفها من وجه، وعادها وأهلها من وجه ..
وأعجب منه من أحبها وانتسب إلى أهلها، ولم يفرق بين أوليائها
وأعدائها^(١).

مقتضيات توحيد العبادة:

بين الإمام - رحمه الله - أن توحيد الإلهية يقتضي عدة أمور؛ منها: عدم
دعاء الأنبياء والأولياء وغيرهم من دون الله وأن من (دعا نبياً أو ولياً عند
قبره، فقد اتخذ إلهين اثنين، ولم يشهد أن لا إله إلا الله)^(٢).

كما أكد - رحمه الله - أن توحيد الإلهية يقتضي (... إثبات الألوهية كلها
لله وحده، ونفيها عن الأنبياء والصالحين وغيرهم، وليس معنى الألوهية أن لا
يخلق ولا يرزق ولا يدبر ولا يحيي ولا يميت إلا الله؛ فإن الكفار الذين قاتلهم
رسول الله ﷺ يُقرّون بهذا ..)^(٣)، ويقول مبيناً بعض مقتضيات الشهادة:
(فاعلم أن معنى هذه الكلمة نفي الإلهية عما سوى الله تبارك وتعالى،
وإثباتها كلها لله وحده لا شريك له، ليس فيها حق لغيره؛ لا لملك مقرب،

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٨٢/٥ - ١٨٣).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٦٦/٥).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (١٨٧/٥).

ولا لنبي مرسل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ أَيْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مریم: ٩٣-٥٩] .. واعلم أن معنى الإله هو المعبود. هذا هو تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم، فمن عبد شيئاً؛ فقد اتخذها إلهاً من دون الله ... والعبادة أنواع كثيرة .. من ذلك السجود .. ومن ذلك الذبح .. ومن أنواع العبادة الدعاء..^(١).

ويقول شارحاً ألفاظ الشهادة، ومبيناً أنها تدل على ما دلّ عليه واقتضاه توحيد الإلهية، من نفي جميع الآلهة من دون الله، وحصر جميع أنواع العبادة لله وحده: (... وهذا معنى لا إله إلا الله؛ فإن (لا) هذه: نافية للجنس، فنفي جميع الآلهة، و(إلا) حرف استثناء يفيد حصر جميع العبادة على الله عزّ وجلّ (والإله) اسم صفة لكل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق، وهو الله تعالى)^(٢).

بل إن الإمام -رحمه الله- يؤكد أن توحيد الإلهية، وشهادة أن لا إله إلا الله، يقتضي كل منهما الالتزام بجميع شرائع الله تعالى وفرائضه وواجباته، ويستدل على ذلك بأن الصحابة والسلف -رحمهم الله ورضي عنهم- كانوا يستدلون بها - (يعني الشهادة) - على مسائل الفقه، فضلاً عن مسائل

(١) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ-]

(٢/١٠٣ - ١٠٤)

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (٥/١٠٥ - ١٠٦).

الشرك^(١)، ثم يسوق قصة أبي بكر رضي الله عنه مع مانعي الزكاة من المرتدين حين استدرك عليه عمر رضي الله عنه واستنكر قتلهم، مع أنهم كانوا يقولون: لا إله إلا الله، فقال أبو بكر رضي الله عنه: (فإن الزكاة من حقها)، يعني من حق لا إله إلا الله، ومن مقتضيات توحيد الإلهية، ويعلق الإمام محمد - رحمه الله - فيقول: (.. فإذا كان منع الزكاة من منع حق لا إله إلا الله؛ فكيف بعبادة القبور والذبح للجن ودعاء الأولياء ..)^(٢).

٣- تقريره معنى توحيد الربوبية والفرق بينه وبين توحيد العبادة:

تحدث الإمام - رحمه الله - في رسائله عن توحيد الربوبية، والفرق بينه وبين توحيد العبادة، وبين ذلك بشيء من التفصيل.

- معنى توحيد الربوبية: يقول الإمام موضحاً المقصود بتوحيد الربوبية:

(التوحيد نوعان^(٣): توحيد الربوبية، وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق

(١) انظر: المرجع السابق، (١٣٨/٥).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣٨/٥ - ١٣٩).

(٣) تحدث الإمام في مواضع أخرى من رسائله عن نوع ثالث من أنواع التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات؛ إلا أن الشيخ يجعله مع توحيد الربوبية، داخلاً، معه بجامع أنهما يدخلان في توحيد (المعرفة والإثبات) - حسب تقسيم ابن القيم - رحمه الله - أما توحيد الإلهية، فسماه ابن القيم (توحيد القصد والطلب). انظر: سليمان بن عبد الله بن الشيخ، تيسير العزيز الحميد، [مرجع سابق] (ص ٣٣). وانظر الحديث عن توحيد الأسماء والصفات في رسائل الشيخ، مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٨/٥، ٦٠، ١٣٠) وانظر إيراداً لأنواع التوحيد الثلاثة مجتمعة في رسائله الشخصية، مجموع مؤلفات الشيخ، القسم الثالث (٤٢/٤).

والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم ..^(١)، ثم بيّن الإمام أن معاناة الأنبياء مع أقوامهم لم تكن بسبب تكذيب الناس بهذا القسم من أقسام التوحيد؛ بل على العكس فإن أكثر الناس مقرّون به، واستدل الإمام على ذلك بقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ نَبْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، ثم قال الإمام: (... وإن الذي يُدخل الرجل في الإسلام هو توحيد الإلهية..)^(٢).

ثم بيّن الإمام -رحمه الله- أهمية هذا القسم من أقسام التوحيد وهو توحيد الربوبية ويصرّح أنه: (هو الأصل ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه)^(٣)، إلا أن الإمام يعترف بعدم إكثاره من ذكر هذا القسم، والتركيز عليه، مقارنةً بتوحيد الإلهية، ويعلل ذلك: بأن توحيد الإلهية هو الذي وقع فيه النزاع بين الرسل وأقوامهم، أما توحيد الربوبية، فقد أقرّ الكفار به، إلا أنه لم يدخلهم في دين الإسلام، (ولم يعصم دماءهم ولا أموالهم، بل قاتلهم رسول الله ﷺ وهم يشهدون بهذا التوحيد)^(٤)، يعني توحيد الربوبية.

- الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة:

بيّن الإمام -رحمه الله- الفرق بين توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية؛ فقال بأسلوب تعليمي ميسّر: (فإذا قيل لك: أيش الفرق بين توحيد الربوبية

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٥٠/٥).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٥٠/٥) وانظر المعنى نفسه (٦٤/٥).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٢١/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (١٥١/٥).

وتوحيد الألوهية؟ فقل: توحيد الربوبية: فعل الرب؛ مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة، وإنزال المطر، وإنبات النبات، وتدبير الأمور. وتوحيد الإلهية: فعلك أيها العبد؛ مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والرغبة والرهبه والنذر والاستغاثة، وغير ذلك من أنواع العبادة..^(١)، ثم بين الإمام أن الربوبية والألوهية إذا ذكرا معاً في موضع واحد: افتزقا في المعنى وصار لكلٍ منهما معناه المستقل، أما إذا ذكر كل واحد منهما على حدة في موضع مستقل، فإن لفظ أحدهما يشمل المعنيين جميعاً.. يقول الإمام: (الربوبية والألوهية يجتمعان [يعني في اللفظ] ويفترقان [يعني في المعنى] كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣]، وكما يقال: رب العالمين وإله المرسلين، وعند الأفراد [يعني حين ينفرد كل واحدٍ منهما عن الآخر في اللفظ، ويذكر منفرداً عن الآخر] يجتمعان [يعني أن كل واحد منهما يجمع المعنيين جميعاً]؛ كما في قول القائل: مَنْ ربك؟، [أي من خالقك، ومعبودك]، مثاله: الفقير والمسكين نوعان في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، ونوع واحد في قوله [ﷺ]: (افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)^(٢) [يعني فقراءهم، ومساكينهم]^(٣).

(١) انظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السننية، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٥٢/١).

(٢) سبق نخرجه: (ص).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٧/٥).

٤- تقريره معنى توحيد الأسماء والصفات :

أشار الإمام -رحمه الله- في رسائله إلى النوع الثالث من أنواع التوحيد، وهو توحيد الأسماء والصفات؛ حيث بين أنه من الإيمان بالله تعالى، وقال موضحاً معناه وحقيقته: (ومن الإيمان بالله تعالى: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا أُلحد في أسمائه وآياته، ولا أكيف ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سَمِيَّ له ولا كفؤ له، ولا نِدًّا له، ولا يقاس بخلقه، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قِيلاً، وأحسن حديثاً^(١)).

وقد حرص الإمام -رحمه الله- في رسائله على بيان عقيدة السلف في بعض مسائل الصفات، واجتهد في التصدي للشبه التي يثيرها الخصوم في هذا الشأن، فحين كتب عبد الله المويس كتاباً أرسله لأهل الوشم، يشتمل على ما أخذ في الصفات؛ بادر الإمام محمد -رحمه الله- إلى إرسال رسالة إلى عبد الله بن سحيم مطوع الجمعة، حيث وضح له فيها ما ورد في تلك الرسالة

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٨/٥) وهو قريب جداً من المعنى واللفظ الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية، انظر: د. صالح الفوزان، شرح العقيدة الواسطية، [الرياض- طبعة رئاسة البحوث العلمية- ط الخامسة ١٤١١هـ] (ص ١٣-١٧).

من مآخذ في الصفات، ويبيّن له موقف السلف - رحمهم الله تعالى - من الألفاظ المجملة؛ كلفظ الجسم والجوهر والعرض والحيز ونحوها، وأنهم يرون فيما لم يرد عن رسول الله ﷺ إثباته ولا نفيه أن لا يثبتوه ولا ينفوه؛ فمن نفاه فهو - عند السلف - مبتدع، قد سلك مسلك الجهمية والمعتزلة، ومن أثبته فهو مبتدع قد سلك مسلك هشام بن الحكم^(١)، وأتباعه من المشبهة، والسلف بريئون من هذا وذاك^(٢).

كما أن حمد التويجري^(٣) - أحد أتباع الإمام - أرسل إلى الإمام رسالة، وأرفق بها مكتوباً وصل إليه فيه كلام عن الصفات، وسأل الإمام في رسالته هذه عن ذلك المكتوب، فبيّن له الإمام أن ما تضمنه هذا المكتوب من الكلام في الصفات مخالف لمذهب السلف الصالح^(٤).

- المسألة الثانية: تقريره بقية أركان الإيمان ومسائله:

بيّن الإمام - رحمه الله - حقيقة الإيمان بالله تعالى إجمالاً كما سبق ذكره، ثم قرر بقية أركان الإيمان، فذكرها وذكر الدليل على كل ركن منها، وقال مبيناً ذلك: (وإذا قيل لك: ما الإيمان؟ فقل: هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره كله من الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

(١) سبقت ترجمته (ص ٢٧٥).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣٠/٥ - ١٣٢).

(٣) لم يغتر الباحث على ترجمته.

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٦٠/٥).

وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القدر: ٤٩] (١).

ولم يكتف الإمام في رسائله بذكر بقية أركان الإيمان إجمالاً؛ بل تحدث بشيء من التفصيل عن كل ركن من هذه الأركان على النحو التالي:

- تقريره الإيمان بالملائكة :

تحدث الإمام- رحمه الله- عن الإيمان بالملائكة، وبين أنه يعتقد (ما اعتقدته الفرقة الناجية؛ أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته.. إلخ) (٢)، وذكر أن الإيمان بالملائكة من أصول الإيمان الستة، فقال: (.. وأصول الإيمان ستة: أن تؤمن بالله وملائكته ..) (٣).

-تقريره الإيمان بالكتب :

وقرر الإمام أيضاً في رسائله الإيمان بالكتب، فذكر أنه من أصول الإيمان الستة (٤) وبين أنه يرى ويعتقد ما قرره أهل السنة والجماعة من وجوب الإيمان بالكتب السماوية، التي أنزلها الله على رسله الكرام عليهم السلام (٥).

(١) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، الدرر السنية ، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٥٠-١٤٩/١)

(٢) انظر :مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٨/٥) .

(٣) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، الدرر السنية ، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] (١٥٣/١) .

(٤) انظر : المرجع السابق.

(٥) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٨/٥) .

- تقريره الإيمان بالرسول :

أكد الإمام - رحمه الله - وجوب الإيمان بالرسول^(١)، وحرص على تلقين (العامة) ما يجب عليهم من ذلك، فقال في رسالة أرسلها إلى هذه الفئة من المدعوين بأسلوب حوارى ميسر: (وإذا قيل لك: مَنْ أول الرسل؟ فقل: أولهم: نوح وآخرهم وأفضلهم: محمد ﷺ، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، وإذا قيل لك: هل بينهم رسل؟ فقل: نعم؛ والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وإذا قيل لك: نبينا محمد بشر؟ فقل: نعم؛ والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾ [الآية الكهف: ١١٠]، ثم بين الواجب تجاه نبينا محمد ﷺ فقال ... وهو نبي لا يُعبد، ورسول لا يكذب، بل يطاع ويتبع، صلوات الله وسلامه عليه^(٢).

ووجه الإمام كل من تصدى لتعليم الناس إلى أن يحرص على تعليمهم حق الله تعالى، ثم حقوق العباد؛ كالوالدين والأرحام وسائر المسلمين، ثم قال: (وأعظم من ذلك: حق النبي ﷺ وأفرضه شهادتك له أنه رسول الله وأنه

(١) انظر: المرجع السابق، وانظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] - [١٥٣/١].

(٢) انظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ] - [١٥٠/١ - ١٥١].

خاتم النبيين، وتعلم أنك لو ترفع واحداً من الصحابة في منزلة النبوة، صرت كافراً^(١).

وركز الإمام -رحمه الله- على بيان وجوب نصره الرسول ﷺ ونصرة دينه ؛ لأن ذلك هو الثمرة الحقيقية للإيمان به، يقول الإمام في ذلك بعد أن ساق قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١]: (.. فإذا كان سبحانه قد أخذ الميثاق على الأنبياء إن أدركوا محمداً ﷺ على الإيمان به ونصرته، فكيف بنا يا أمته ؟ فلا بد من الإيمان به، ولا بد من نصرته، لا يكفي أحدهما عن الآخر..)^(٢).

- تقريره الإيمان باليوم الآخر :

تحدث الإمام أيضاً عن الإيمان باليوم الآخر؛ فذكر أنه من أصول الإيمان الستة^(٣)، وبيّن عقيدته في ذلك، وأنه يعتقد ما اعتقده أهل السنة والجماعة من وجوب الإيمان باليوم الآخر^(٤)، وحرص الإمام على تعميق إيمان المدعوين باليوم الآخر، وتذكيرهم بما سيواجهونه بمجرد خروجهم من هذه الدنيا الفانية. يقول الإمام لأحد المدعوين مصوراً له حال من أعرض عن دين الله،

(١) انظر : المرجع السابق (١٧١/١) .

(٢) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) ، (٣١٢/٥) .

(٣) انظر : جمع : عبد الرحمن بن قاسم ، الدرر السنية ، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ]

(١٥٣/١) .

(٤) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) ، (٨/٥) .

واستتشف عن تعلمه: (.. فما ظنك به إذا وضع في قبره، وأتاه الملكان، وسألاه عما عاش عليه من الدين، بماذا يجيب؟ .. (هاه .. هاه .. لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته)^(١)، .. وما ظنك إذا وقف بين يدي الله سبحانه وسأله: ماذا كنتم تعبدون^(٢)، وبماذا أجبتم المرسلين^(٣)، بماذا يجيب...؟)^(٤)، ويبرهن الإمام على شدة غفلة الناس عما يواجههم بعد الموت، فيردّ على أحد المدعويين الذين ظنوا أن الإمام يبالي في وصف ما آلت إليه حال بعض الناس من الجهل، ويقول له: (فإن استغربت ذلك مني، فأحضر عندك جماعة، وأسألم عما يُسألون عنه في القبر، هل تراهم يعيرون عنه لفظاً وتعبيراً؟ فكيف إذا طولبوا بالعلم والعمل؟)^(٥).

ويلقن الإمام عوام المسلمين بعض ما يجب عليهم معرفته من عقيدة الإيمان باليوم الآخر؛ فيقول بأسلوب تعليمي ميسر: (فإذا قيل لك: وهل

(١) إشارة إلى حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في سؤال الملكين للميت، والحديث

أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، [سوريا - دار الحديث - ط الأولى - ١٣٩٤هـ] كتاب

السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، (ح ٤٧٥٣) (٥/١١٤).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سورة الشعراء، آية

رقم (٩٢).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ سورة القصص، آية رقم

(٦٥).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٥/١٧١).

(٥) انظر: المرجع السابق (٥/١٧٣).

الناس إذا ماتوا يبعثون؟ فقل: نعم، والدليل قوله تعالى: ﴿مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

ثم قال: والذي ينكر البعث كافر، والدليل قوله تعالى: ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٤٧] (١).

ثم يذكر الإمام - رحمه الله - ببعض ما يكون بعد الموت، فيقول: (واعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فأومن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاةً عراةً غرلاً، تدنو منهم الشمس، وتنصب الموازين، وتوزن بها أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، وتنشر الدواوين؛ فأخذ كتابه يمينه، وأخذ كتابه شماله، وأومن بحوض نبينا ﷺ ... وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم ... وأومن بشفاعة النبي ﷺ ...) (٢).

- تقريره الإيمان بالقدر خيره وشره:

ولم يغفل الإمام - رحمه الله - عن تناول الإيمان بالقدر، فذكر أنه من أركان الإيمان وأصوله الستة، وأشار إلى دليله من كتاب الله تعالى، فقال:

(١) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ]

(١/١٥٥)، وانظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (١/٣٧٣).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٩/٥).

(ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(١) [القمر: ٤٩])، كما بين أنه يعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - من وجوب الإيمان بالقدر، ونبه إلى وسطية هذه الفرقة الناجية في باب القدر، فقال: (والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية)^(٢)، وقال: (وأومن بأن الله فعّال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خُطّ له في اللوح المسطور)^(٣).

(١) انظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ].

(٢) (١٥٠/١) وانظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (٣٧٣/١).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٨/٥).

(٣) انظر: المرجع السابق (٩/٥).

المطلب الثالث

بيانه لنواقض الإسلام

ويمكن تناول هذا المطلب من خلال المسائل التالية :

المسألة الأولى: بيانه خطر نواقض الإسلام.

المسألة الثانية: بيانه ضوابط التكفير .

المسألة الثالثة: بيانه أنواع نواقض الإسلام .

المسألة الرابعة: بيانه نواقض الإسلام العشرة.

المسألة الأولى: بيانه خطر نواقض الإسلام:

تحدث الإمام في رسائله - رحمه الله - عن نواقض الإسلام، فحذّر منها أشدّ تحذير، ونوّع الأساليب في بيان خطورها ووجوب الحذر منها، وتبّه - رحمه الله - إلى أنه (لا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد، والخائف؛ إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه)^(١).

وحين أحسّ الإمام بتهاون أحد المدعوين^(٢)، في هذا الأمر، طمعاً في شيء من متاع الدنيا وعرضها الزائل، سارع - رحمه الله - بإرسال رسالة يحذره فيها من هذا الأمر، ويبيّن له خطورته، وقال في نهاية هذه الرسالة بعد أن بيّن

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١٤/٥).

(٢) هو أحمد بن عبدالكريم من أهل الأحساء ومن كان بينه وبين الشيخ مراسلات عديدة كما

يبدو من هذه الرسالة، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١٦/٥).

خطورة الشرك: (... فإن فهمت هذا، وإلا أشير عليك أنك تكثر من التضرع والدعاء إلى من الهداية بيده، فإن الخطر عظيم، فإن الخلود في النار جزاء الردة الصريحة، ما يسوى بضیعة^(١)، تريح تومانا^(٢)، أو نصف تومان...^(٣)).

كما نبّه الإمام - رحمه الله - إلى أن من دلائل خطورة نواقض الإسلام أن بعضها (قد يقع فيمن هو أعلم الناس وأصلحهم وهو لا يدري، كما قيل: الشرك [وهو أحد نواقض الإسلام] أخفى من ديب النمل)^(٤).

ومن هذا المنطلق حرص الإمام على بيان وجوب قيام كل مسلم بتعليم أهله وأولاده خطورة نواقض الإسلام، والحذر من الوقوع فيها، وبيّن - رحمه الله - أن تعليمهم ذلك أعظم من وجوب تعليمهم الوضوء والصلاة، ونبّه الإمام - رحمه الله - إلى أهمية أن يقوم الدعاة بنشر هذا المفهوم؛ فكتب إلى اثنين^(٥) من طلبة العلم من أتباعه رسالة، بيّن فيها خطورة نواقض الإسلام، وخطورة الشرك، وموالات أعداء الله، وأمرهما في نهاية هذه الرسالة أن

(١) بضیعة : تصغير بضاعة ، وهي الطائفة من المال تبعت للتجارة ، انظر : محمد بن أبي بكر

الرازي، مختار الصحاح ، [لبنان - مكتبة لبنان - ١٩٨٩ م] مادة (بضع) ص ٤٧.

(٢) تومان : اسم نقد (عملة) كان يتعامل به في ذلك العهد ، ومثله : محمدية ، أحمر ، مشخص ، جديدة .. انظر مقدمة عنوان المجد ، لابن بشر ، [مرجع سابق] (صفحة ج).

(٣) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٢٤/٥).

(٤) انظر : جمع : عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣ هـ]

. (١١٢/٢)

(٥) هما عبد الله بن علي ، ومحمد بن جمار .

يذكر للمدعويين (أنه واجب على الرجل يعلم عياله وأهل بيته ذلك^(١))،
أعظم من وجوب تعليم الوضوء والصلاة^(٢).

واستنكر - رحمه الله - تهاون بعض (المطاوعة) بأمر تعليم الناس العقيدة،
وخطورة نواقض الإسلام، وظنهم أن تعليم الناس خطورة ظلم الأموال أهم،
فقال معرضاً بهم: (... وهذا من عظيم جهلهم؛ فإنهم لا يعرفون إلا ظلم
الأموال؛ وأما ظلم الشرك فلا يعرفون، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ
عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وأين الظلم الذي إذا تكلم الإنسان بكلمة منه، أو مدح
الطواغيت، أو جادل عنهم، خرج من الإسلام - ولو كان صائماً قائماً - من
الظلم الذي لا يخرج من الإسلام؛ بل إما أن يؤدي صاحبه بالقصاص، وإما
أن يغفره الله، فبين الموضعين فرق عظيم^(٣). وأكد الإمام بالأيمن المغلظة
خطورة الجهل بنواقض الإسلام أو إنكارها، وذكر أن الخطأ في هذا الأمر
(ليس مثل الخطأ في الفروع، بل ليس الجهل بهذا - فضلاً عن إنكاره - مثل
الزنا والسرقة، بل والله ثم والله ثم والله، إن الأمر أعظم^(٤))، كما نص الإمام
رحمه الله.

(١) [يعني خطورة نواقض الإسلام، كالشرك وموالة أعداء الله..].

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٢٣/٥).

(٣) انظر: المرجع السابق (الشخصية) (١٩٠/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق، (٧٥/٥) وانظر: المرجع نفسه (٢٠٠/٥).

ثم إنه - رحمه الله - نوَّع الأساليب في التحذير من نواقض الإسلام وبيان خطرها، ومن ذلك: تحذيره من الشرك؛ حيث بين أن من دلائل خطورته ما جاء في النصوص من أنه لا يغفره الله في الآخرة^(١)، ويوجب تبرؤ النبي ﷺ من صاحبه^(٢)، ويحبط عمل صاحبه ولو كان رسولاً^(٣)، إلا أن الرسل قد عصمهم الله من الشرك.

وساق - رحمه الله - في عدة مواضع من رسائله بعض الآيات الدالة على خطورة الشرك، الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢] وقوله تعالى لنبيه ﷺ على سبيل التغليظ، وإلا فهو منزّه هو وإخوانه عن الشرك: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيُحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦]، وغير ذلك من الآيات^(٤).

كما بين - رحمه الله - أن نواقض الإسلام - ومنها الشرك - مما يوجب قتال صاحبه، وسي أولاده، وأخذ أمواله، والحكم بكفره (إذ أنه ﷺ تبرأ من اعتقد في الأنبياء والصالحين، وقتلهم [ﷺ] وسباهم وأولادهم، وأخذ أموالهم وحكم بكفرهم)^(٥)، مع أن الكفار الذين قاتلهم النبي ﷺ واستحل

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٤/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٥٣/٥).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٢٠٠/٥).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٩٥/٥).

(٥) انظر: المرجع السابق (٥٣/٥).

دماءهم يُقَرَّون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، النافع الضار، المدير لجميع الأمور^(١)، وإنما استحقوا ذلك لارتكابهم أحد نواقض الإسلام، وهو الشرك.

وأكد - رحمه الله - إجماع العلماء المعتبرين على تكفير من ارتكب نواقض الإسلام، كمن (أقرّ بدين الله ورسوله، ثم عاداه، وصدّ الناس عنه، وكذلك من عبد الأوثان بعد أن عرف أنها دين للمشركين وزينة للناس)^(٢)، ويّين الإمام أنه لم يستقل وحده بهذا الحكم، بل إن (كل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء، إلا رجلاً معانداً أو جاهلاً)^(٣)، واستشهد - رحمه الله - بقول الحجاوي (في الإقناع) في باب حكم المرتد في أوله: فمن أشرك بالله، أو جحد ربوبيته أو وحدانيته، إلى أن قال: أو استهزأ بالله أو رسله، قال الشيخ [يعني ابن تيمية]^(٤): أو كان مبغضاً لرسوله، أو لما جاء به اتفاقاً، أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم؛ كفر إجماعاً^(٥).

(١) انظر : المرجع السابق (٥/٤٤، ٤٥).

(٢) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٥٨).

(٣) انظر : المرجع السابق نفسه والصفحة ذاتها .

(٤) ذكر الحجاوي في مقدمة كتابه ما نصّه : (ومرادي بالشيخ : شيخ الإسلام ببحر العلوم أبو العباس أحمد بن تيمية)، الإقناع ، [مرجع سابق] (١/٢).

(٥) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٦٨) . وانظر : الحجاوي ، الإقناع ، [مرجع سابق] (٤/٢٩٧).

المسألة الثانية: بيانه ضوابط التكفير:

حرص الإمام - رحمه الله - كما هو واضح في رسائله - على بيان ضوابط التكفير، وأنكر على من تسرع في إطلاق حكم التكفير دون مراعاة لهذه الضوابط، ومن ذلك إنكاره على سليمان بن سحيم إطلاقه تكفير القدرية بالعموم دون تفصيل؛ حيث قال الإمام عن الأوراق التي أرسلها ابن سحيم: (ثم ذكر فيها كفر القدرية، والعلماء لا يكفرونهم، [يعني: بالعموم، بل يكفرون غلاتهم فقط]، فكفر ناساً لم يكفروا)^(١)، فالإمام إذاً يقرر وجوب تحري الضوابط الشرعية عند إطلاق حكم التكفير، ومن تلك الضوابط:

١- أن الحكم بالتكفير من الأحكام الشرعية التي مردّها إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ فلا يكفر إلا من دلّ الكتاب أو دلّت السنة على كفره^(٢).

أكد الإمام في رسائله - رحمه الله - على ضرورة التثبت والتبين قبل إطلاق مثل هذه الأحكام، وقال ما نصّه: (من أظهر الإسلام، وظننا أنه أتى بناقض؛ لا نكفره بالظن لأن التبين لا يرفع بالظن، وكذلك لا نكفر من لا نعرف منه الكفر بسبب ناقض ذكر عنه، ونحن لم نتحققه)^(٣)، ولا شك أن هذا هو منهج سلف الأمة؛ حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٨٨/٥).

(٢) انظر: الشيخ محمد بن عثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، [الرياض - مطابع السفراء - ط ٤٠٦ هـ] - (ص ٨٧).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٤/٥).

فليس لأحدٍ أن يُكفّر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجّة، وتبيّن له المحجّة، ومن ثبت إسلامه بيقين، لم يزل عنه ذلك بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجّة وإزالة الشبهة^(١). وقال أيضاً: (وهذا بخلاف ما كان يقوله بعض الناس، كأبي إسحاق الإسفرائيني^(٢)، ومن اتبعه يقولون: (لا نكفر إلا من كفرنا) فإن الكفر ليس حقاً لهم، بل هو حق الله، وليس للإنسان أن يكذب على من يكذب عليه، ولا يفعل الفاحشة بأهل من فعل الفاحشة مع أهله..)^(٣)، ويقول الإمام -رحمه الله- في رسالته إلى محمد بن عبيد: (وأما ما ذكر الأعداء أنني أكفر بالظن، فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله ﷺ)^(٤).

(١) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، [مرجع سابق] (٤٦٥/١٢).

(٢) الإسفرائيني: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق، عالم بالفقه والأصول، كان يلقب بركن الدين، نشأ في إسفرايين بين نيسابور وجرجان، (وكلاهما في شمال شرق دولة إيران حالياً) ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له فيها مدرسة عظيمة فدرس فيها، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق فاشتهر، له كتاب الجامع في أصول الدين، وكان ثقة في رواية الحديث، وله مناظرات مع المعتزلة، مات في نيسابور سنة (٤١٨هـ)، ودفن في إسفرايين، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، [مرجع سابق] (٢٨/١).

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، [الرياض - مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ط الأولى ١٤٠٦هـ] (٢٤٤/٥).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥/٥).

٢- عدم التكفير إلا بعد قيام الحجة بتوفر الشروط وانتفاء الموانع :

نص الإمام - رحمه الله - على ذلك في عدة مواضع من رسائله، منها قوله في إحدى رسائله^(١): (.. وإنما نكفر من أشرك بالله في إلهيته، بعدما نبين له الحجة على بطلان الشرك)^(٢)، وقال في موضع آخر مبيناً ضابط تكفيره لأي شخص: (.. وأيضاً نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر)^(٣).

كما نبه الإمام - رحمه الله - إلى أن السلف فرقوا بين تكفير النوع وتكفير المعين وذكر أن (السلف كفّروا النوع، أما المعين، فإن عرف الحق وخالف، كفّر بعينه، وإلا لم يكفّروا)^(٤). فهو هنا يثبت (أن المعين يكفر إذا قامت عليه الحجة)^(٥) فقط، وأما إذا لم تقم، فيكفر نوع فعله الكفري، ولا يكفر هو، ونظير ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: (إن القول قد يكون كفراً، فيطلق القول بتكفير صاحبه [يعني على سبيل الإطلاق، لا على سبيل التعيين] ويقال: من قال هذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا

(١) رسالته إلى حمد التويجري .

(٢) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٦٠/٥).

(٣) انظر : حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٧٩/١) وانظر : مجموع مؤلفات الشيخ، (٩/٤) .

(٤) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٢١/٥) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٢٢٠/٥) .

يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها^(١)، ويقصد بقيام الحجة: توفر الشروط وانتفاء الموانع^(٢).

٣- التفريق بين قيام الحجة وفهم الحجة :

حدّد الإمام -رحمه الله- المقصود بقيام الحجة، وأوضح (أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله، مثل فهم أبي بكر رضي الله عنه، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شيء يعذر به، فهو كافر؛ كما كان الكفار كلهم

(١) جمع عبدالرحمن بن قاسم ، مجموع فتاوى بن تيمية ، [مرجع سابق] (١٦٥/٣٥) .

(٢) لا بد للحكم بتكفير المسلم من شرطين :

أحدهما : أن يقوم الدليل على أن هذا الشيء مما يكفر ، ولذلك لا يكفر إلا من دلّ الكتاب والسنة على تكفيره، أو أجمع العلماء على الحكم بكفره، قال الإمام عن ضوابطه في التكفير والقتال : (ولا نقاتل إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان، وأيضاً نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر). انظر : حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٧٩/١).

الثاني : انطباق الحكم على من فعل ذلك، بحيث تتوفر فيه الشروط بكونه عالماً قاصداً .. وتتفي عنه الموانع كالجهل والإكراه ونحوه ، فإن احتل أحد هذه الشروط فلا يكفر . وقد ذكر الإمام -رحمه الله- في رسائله (أن من قال المكفر أو فعله فقد كفر إلا المكره، بالشروط المذكورة). انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١٧/٥)، واستدل، بقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ سورة النحل، الآيتان رقم (١٠٦-١٠٧) وانظر أيضاً: جمع: فهد السليمان، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، [الرياض- دار الثريا- ط الثانية-١٤١٤هـ] (١٢٥/٢-١٢٦).

تقوم عليهم الحجة بالقرآن مع قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾^(١) [الأنعام: ٢٥]، ولذلك فقد عجب الإمام من تردد بعض أتباعه في الحكم بتكفير بعض الطواغيت المعاصرين للإمام، بحجة الشك في قيام الحجة عليهم، فقال: (. كيف تشكون في هذا وقد أوضحت لكم مراراً، فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون في مسألة خفية مثل الصرف والعطف؛ فلا يكفر حتى يعرف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن، فقد بلغته الحجة^(٢) .

ثم وضع الإمام -رحمه الله- مكنن الإشكال في هذه المسألة فقال: (ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم -وإن لم يفهموها- نوع آخر^(٣) .

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٢٠/٥).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٤٤/٥).

(٣) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٢/١). ويوجد في

الدرر السننية، [مرجع سابق] (٩٠/٨) ومجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٤٤/٥)

رسالة بنفس الألفاظ، لكن دون ذكر اسم المرسل إليهما، (الشيخ عيسى بن قاسم وأحمد بن

سويلم) مع نقص صفحة ونصف من آخرها.

٤- عدم التكفير بالعموم:

لعل من أبرز الشبه التي أثارها الخصوم ضد الإمام زعمهم أنه يكفر بالعموم، وقد ردّ الإمام على هذه الشبه في أكثر من موضع من رسائله؛ منها قوله في إحدى هذه الرسائل: (..ما ذكر لكم عني أنني أكفر بالعموم فهذا من بهتان الأعداء)^(١)، وقوله في رسالته لإسماعيل الجراعي^(٢): (...وأما القول: إنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء، الذين يصدون به عن هذا الدين، ونقول: سبحانه هذا بهتان عظيم)^(٣). وسيأتي مزيد تفصيل لهذه الشبهة في المبحث الخامس من هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

٥- عدم التكفير بالمعصية:

بيّن الإمام -رحمه الله- في عدة مواضع من رسائله أن من ضوابطه في التكفير الالتزام بما دلّت عليه النصوص الشرعية، من عدم تكفير المسلم بالمعصية، خلافاً للخوارج، الذين بيّن -رحمه الله- أنهم (يكفّرون بالذنوب)^(٤)، وساق ما قاله ابن القيم -رحمه الله- في نونيته عنهم حين قال: من لي بمثل خوارج قد كفّروا . . . بالذنوب تأويلاً بلا برهان^(٥)

(١) جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٣٨٥هـ] (١٠٧/٨).

(٢) هو إسماعيل بن عبدالكريم بن محيي الدين الجراعي الدمشقي، (١١٣٤-١٢٠٢هـ). ولد في دمشق، وقرأ على علمائها، ومهر في الفقه، حتى أصبح مفتي السادة الحنابلة بدمشق، وله عدة مؤلفات؛ منها: شرح دليل الطالب، وشرح غاية المنتهى، انظر: محمد بن حميد، السحب الوابلية، [مرجع سابق] [٢٨٥/١].

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٠١/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق، (٢٠٩/٥).

(٥) انظر: المرجع السابق، (٢٠٨-٢٠٩).

وأكد - رحمه الله - حقيقة معتقده في ذلك، حين قال في رسالته التي أرسلها إلى أهل القصيم بين فيها عقيدته: (... ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرج من دائرة الإسلام)^(١)، وساق ما ذكره أهل العلم في ذلك، وأكده حيث بين (أن أهل العلم قالوا: لا يجوز تكفير المسلم بالذنب)^(٢)، ثم قال الإمام مؤكداً ذلك: (وهذا حق)^(٣).

وحين سأله أحد المدعوين^(٤) عن عدة مسائل أشكلت عليه تتعلق بهذا الموضوع، وهي: ورود بعض النصوص الشرعية التي أطلقت الكفر على بعض الذنوب^(٥) [التي دون الكفر الأكبر] أجاب الإمام - رحمه الله - قائلاً: (...الخامسة)^(٦): أن من أطلق الشارع كفره بالذنوب، فالراجح فيها قولان:

(١) انظر: المرجع السابق، (١١/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٢٣٣/٥).

(٣) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

(٤) هذه الرسالة ذكرها حسين بن غنام في روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠٤/١) إلى (٢٠٩)، وليس فيها ذكر لاسم السائل غير أن ابن غنام أورد الأسئلة التي أرسلها السائل للإمام (٢٠٣/١ - ٢٠٤)، وهي اثنا عشرة مسألة، ولم ترد هذه الرسالة في القسم الخامس من مطبوعات الجامعة، وواضح من أسلوبها أنها رسالة شخصية، فقد جاء في مطلعها: فأجاب - رحمه الله - بعد السلام: فسرتني ما ذكرت ألهمك الله التوفيق (... والسلام هنا يوحي أن الإجابات تمت بالمراسلة وأن السائل بعيد عن الشيخ، ومن عباراتها قول الشيخ: (وما أشكل عليك في هذا، فراجعي، وأذكر لك لفظهم بعينه)، فهي إذاً موجهة لشخص بعينه يعرفه الشيخ، وهو يعرف الشيخ، ويستطيع زيارته ومراجعته للاستزادة منه.

(٥) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠٤/١).

(٦) يعني: الجواب على المسألة الخامسة من جملة المسائل التي أوردتها السائل في هذه الرسالة ومجموعها اثنا عشرة مسألة.

أحدهما: ما عليه الجمهور، وأنه لا يخرج من الملة. والثاني: التوقف، كما قال الإمام أحمد: أمرؤها كما جاءت؛ يعني لا يقال: يخرج ولا ما يخرج. وما سوى هذين القولين غير صحيح^(١). فالإمام هنا رجح هذين القولين، معرضاً عن بقية الأقوال في هذه المسألة^(٢).

المسألة الثالثة: بيانه أنواع نواقض الإسلام:

تحدث الإمام في رسائله عن أنواع^(٣) نواقض الإسلام -من حيث محلها- فبيّن أن منها ما محله الاعتقاد، ومنها ما محله القول، ومنها ما محله العمل.

- (١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠٧/١).
- (٢) انظر التفصيل في هذه المسألة وبقية الأقوال: الحجاوي، الإقناع، [بيروت - دار المعرفة - ب ت] (٤/٢٩٧، ٢٩٨). والبهوتي، كشاف القناع عن مائق الإقناع، [بيروت - دار الفكر - ط ١٤٠٢هـ] (١٦٩/٦).
- (٣) بيّن العلماء رحمهم الله تعالى أن من نواقض الإسلام الكفر بالله تعالى، كما بينوا أن الكفر نوعان: كفر أكبر وكفر أصغر.
- فالأكبر: هو الكفر الاعتقادي، المنافي لقول القلب وعمله أو لأحدهما، وهو يخرج من الملة موجب للخلود في النار، وقد بيّن العلماء أنه خمسة أنواع هي: كفر تكذيب وكفر إباء واستكبار مع التصديق، وكفر شك، وكفر إعراض، وكفر نفاق.
- والأصغر: هو الكفر العملي الذي لا يناقض قول القلب ولا عمله، ولا يستلزم ذلك، فهو ينافي كمال الإيمان ولا ينافي مطلقه، وهو موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، كما في قوله ﷺ: (ائتان في أمي هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة) رواه مسلم في الإيمان، باب إطلاق الكفر على الطعن في النسب (٨٢/١) رقم (٦٧). انظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، [بيروت - دار الكتاب العربي - ط الثانية - ١٤١٤هـ] (١/٣٤٤-٣٤٨) وانظر: الشيخ حافظ الحكمي، أعلام السنة المنشورة، [الرياض - مكتبة الرشد - ط الثانية - ١٤١٤هـ] (ص ١٧٥، ١٨١) وأحمد بن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، مجموعة التوحيد، [مصر - دار اليقين - ط الأولى - ١٤١٣هـ] (ص ٧-١١).

يقول الإمام - رحمه الله - في إحدى رسائله وهو يتحدث عن الإسلام: (... وأنكم تعرفون كلام الله وكلام رسوله ﷺ وإجماع العلماء^(١))، أن له [أي للإسلام] نواقض كنواقض الوضوء الثمانية؛ منها:

- اعتقاد بالقلب: وإن لم يعمل أو يتكلم؛ يعني إذا اعتقد خلاف ما علمه الرسول ﷺ [أتمه بعدما تبين له].

- ومنها كلام باللسان: وإن لم يعمل ولم يعتقد

- ومنها عمل بالجوارح: وإن لم يعتقد ويتكلم^(٢).

المسألة الرابعة: بيانه نواقض الإسلام العشرة :

تحدّث الإمام في رسائله عن نواقض الإسلام التي عدّها العلماء من النواقض التي تخرج مرتكبها من دين الإسلام، وأوجزها الإمام في عشرة نواقض هي بإيجاز:

(١) ذكر كثير من العلماء - في أبواب حكم المرتد - صوراً عديدة لما تحصل به الردّة: منها ما يكون بالقلب، ومنها ما يكون باللسان، ومنها ما يكون بالجوارح، انظر: الإمام القاضي أبو الوليد بن أحمد القرطبي المالكي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، [مصر - مطبعة حسان - ب ت] [٥٩٣/٢]. والإمام محمد بن إدريس الشافعي، الأم، [بيروت - دار المعرفة - ط الثانية - ١٣٩٣هـ] [١٥٦/٦] وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، المهذب، [مصر - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - ط الثالثة - ١٣٩٦هـ] [٢٨٤/٢] وموفق الدين ابن قدامة المقدسي، المغني، ويليهِ الشرح الكبير لشمس الدين ابن قدامة المقدسي، [بيروت - دار الكتاب العربي - ط ١٤٠٣هـ] [٧٤/١٠].

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٤/٥).

- ١- الشرك في عبادة الله .
 - ٢- من جعل بينه وبين الله وسائط .
 - ٣- من لم يُكفِّر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحَّح مذهبهم .
 - ٤- من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه.
 - ٥- من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به .
 - ٦- من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه.
 - ٧- السحر، ومنه الصرف والعطف.
 - ٨- مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين.
 - ٩- من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباعه ﷺ، وأنه يسعه الخروج من شريعته.
 - ١٠- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به^(١).
- ثم قال الإمام: (ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكروه..)^(٢) ولم يكتف الإمام -رحمه الله- بذكر هذه النواقض

(١) نظمها الباحث لنفسه - اجتهداً- في ثلاثة أبيات (لِتُحْفَظَ) وهي قوله :

شركٌ، وسائطٌ، تركٌ تكفيرٍ لمن . . . كفروا، مساواةً بهدي المصطفى
 أو بغضٌ ذاك الهدي، أو هزءٌ به . . . سحرٌ، مظاهرَةٌ على أهل الوفا
 أو ظنُّ شخص كونه أهلاً لأن . . . يخرج عن الشرع، وإعراضٌ كفى

(٢) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١٢/٥ - ٢١٤) .

إجمالاً، بل فصلّ فيها في مواضع أخرى، وذكر بعض الأدلة والشواهد على هذه النواقض على النحو التالي :

١- الشرك في عبادة الله :

تحدث الإمام -رحمه الله- في رسائله عن الشرك، وبيّن أقسامه وأنواعه وصوره على النحو التالي:

أولاً: أقسام الشرك^(١):

تحدث الإمام عن أقسام الشرك، فذكر أنها قسمان :

١- شرك أكبر^(٢): وهو - كما ذكر أهل العلم- كل شرك أطلقه الشارع، وهو يتضمن خروج الإنسان عن دينه، مثل أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى^(٣) وذكر الإمام أن من أمثلة هذا الشرك ما يصرفه

(١) يذكر أئمة الدعوة أن الشرك ثلاثة أقسام : شرك أكبر، وشرك أصغر وشرك خفي، انظر : ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ، مجموعة التوحيد، [مرجع سابق] (ص ٩، ١٠). والذي يميل إليه ابن القيم في مدارج السالكين، وكذلك بعض العلماء المعاصرين أن الشرك قسمان: شرك أكبر وشرك أصغر، وأما الخفي، فمنه الأكبر، ومنه الأصغر، فهو داخل فيهما، انظر: ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين، [مرجع سابق] (١/٣٤٨)، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، [الرياض- طبع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء- ١٤٠٨هـ] (١/٤٣)، (٣/٤٥٢) وانظر: جمع فهد السليمان ،مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، [مرجع سابق] (٢/٢٠٢، ٢٠٣).

(٢) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٢٧٨).

(٣) انظر : جمع فهد السليمان ، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين،

[مرجع سابق] (٢/٢٠٢).

بعض الجهال للقبور والأضرحة والطواغيت من أنواع العبادة؛ كدعائها وقصدها ومحبتها؛ أو طاعة^(١) الطواغيت في معصية الله.

وَيَعَجَبُ الإمام من جهل بعض (المطاوعة) بهذا الأصل وعدم إنكارهم لما يقع في بلدانهم من الشرك، حيث يقول في إحدى رسائله مخاطباً أحدهم^(٢):
(بل أعجب من هذا أنكم لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، ولا تنكرون هذه الأوثان التي تعبد في الخرج وغيره، التي هي الشرك الأكبر بإجماع أهل العلم)^(٣).

٢- شرك أصغر^(٤): وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك، ولكنه لا يخرج من الملة، مثل الحلف بغير الله، فإن النبي ﷺ قال: (من حلف بغير الله، فقد كفر أو أشرك)^(٥)، فالحالف بغير الله الذي لا يعتقد أن لغير الله تعالى من العظمة ما يماثل عظمة الله، فهو مشرك شركاً

(١) ذكر العلماء أن الشرك الأكبر أربعة أنواع: شرك الدعوة، وشرك النية والإرادة والقصد، وشرك الحبة، وشرك الطاعة، وذكروا الأدلة على كل نوع، انظر: أحمد بن تيمية و محمد بن عبد الوهاب، مجموعة التوحيد، [مرجع سابق] (ص ٩).

(٢) هو: عبد الله بن عيسى (أحد مطاوعة الدرعية).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٧٨/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق، (٩٠/٥).

(٥) رواه الترمذي وحسنه، سنن الترمذي، [مرجع سابق] كتاب النذور والأيمان باب ٩ حديث رقم ١٥٣٩ [١١٠/٤]. ورواه الحاكم وصححه، المستدرک، [بيروت- دار الكتب العلمية- ط الأولى ١٤١١هـ] برقم (٧٨١٤) (٣٣١/٤).

أصغر^(١) :

وقد استنكر الإمام - رحمه الله - على سليمان بن سحيم زعمه أن النصوص الواردة في الشرك إنما المراد بها النهي عن الشرك الأكبر الجلي دون الأصغر، وقال مستنكراً: (... فصرّح [يعني سليمان بن سحيم] بأن مراد الله ومراد النبي ﷺ لا يدخل فيه عبادة الأوثان، وأن الشرك الأصغر لا يدخل فيه ويسمي الذين أدخلوه فيه (الجهال)^(٢)، ثم يتعجب الإمام من تناقض هذا الرجل؛ لأنه في نفس الصفحة رجع فناقض نفسه، وقرر ما قرره الإمام من دخول الشرك الأكبر والأصغر في النهي، قال الإمام: (.. ثم في آخر الصفح بعينه قال: وقد يطلق الشرك بعبارات أخر، وكل ذلك في قوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فردّ علينا في أول الصفح، وكذب على الله ورسوله في أن معنى ذلك بعض الشرك، ثم رجع يقرر ما أنكره، ويقول: إن الشرك الأكبر والأصغر داخل في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣) [يوسف: ١٠٨].

ثانياً: أنواع الشرك:

تحدث الإمام - رحمه الله - أيضاً عن أنواع الشرك فبيّن أن الشرك، منه ما يكون شركاً في الربوبية: كمن اعتقد أن أحداً غير الله بيده تدبير بعض أمور

(١) انظر: جمع فهد السليمان، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، [مرجع سابق] (٢٠٣/٢).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٩٠/٥).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٩٠/٥).

الكون أو معرفة المغيبات، أو نحو ذلك، كبعض غلاة الصوفية، الذين يعتقدون أن الكون يدبره أربعة أقطاب.

ويبين الإمام أن من الشرك ما يكون شركاً في الألوهية: وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله تعالى.

واستنكر الإمام على سليمان بن سحيم عدم دقته في معرفة هذين النوعين من الشرك، حيث ظنها أربعة أمور، فقال الإمام في معرض الرد عليه: (التاسع: أنه ذكر أن الشرك أربعة أنواع: شرك الألوهية، وشرك الربوبية، وشرك العبادة، وشرك الملك، وهذا كلام من لا يفهم ما يقول؛ فإن شرك العبادة هو شرك الألوهية، وشرك الربوبية هو شرك الملك)^(١).

ثالثاً: صور الشرك:

تحدث الإمام أيضاً عن بعض صور الشرك، وأفاض في ذلك، وذكر أن من هذه الصور^(٢) ما يلي:

١ - دعاء غير الله: ويقصد بالدعاء هنا: (هو دعاء المسألة فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فإن ذلك شرك)^(٣)، وقد بين الإمام -رحمه الله- (أن دعوة

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٩٠/٥).

(٢) ذكر بعض العلماء أن صور الشرك كثيرة ولكن مدارها على أربعة أنواع: شرك الدعوة، وشرك النية والإرادة والقصد، وشرك الطاعة، وشرك المحبة. انظر: أحمد بن تيمية و محمد ابن عبد الوهاب، مجموعة التوحيد، [مرجع سابق] (ص ٩).

(٣) الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، [الرياض - مكتبة الرياض الحديثة - ب ت] (ص ١٨٠).

الصالحين والتعلق بهم هو الشرك بالله، الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ١٧٢] ^(١)، وقرر أنه (ما يُدعى إلا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى في كتابه: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ^(٢) [الحج: ١١٨])، كما أوضح الإمام أن (كل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يدعو من دون الله، فكل هذا شرك وضلال، يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتل) ^(٣).

وقد قام الإمام بواجبه في محاربة هذا النوع من الشرك، (وقام يلزم الناس بالإخلاص، ويمنعهم من دعوة أهل القبور) ^(٤)، إلا أن الخصوم والمنتفعين شرقوا بهذه الدعوة، وقاموا (يوهمون الناس أن هذا تنقّص بالصالحين، وأن دعوتهم من إجلالهم واحترامهم) ^(٥)، وذكر الإمام أيضاً أن الخصوم (قاموا يجادلون، ويلبسون على الناس، ويقولون: كيف تكفرون المسلمين؟ كيف تسبون الأموات؟ آل فلان أهل ضيف، آل فلان أهل كذا وكذا، ومرادهم بهذا لتلا يتبين معنى لا إله إلا الله، ويتبين أن الاعتقاد في الصالحين النفع والضرر، ودعاءهم كفر ينقل عن الملة) ^(٦).

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٣/٥).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٣/٥، ٤٤).

(٣) انظر: المرجع السابق، (١٧٧/٥). وكذلك (٦٧/٥، ٢٢٩).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٣٧/٥).

(٥) انظر: المرجع السابق، الموضوع نفسه.

(٦) انظر: المرجع السابق (١٨٦/٥).

كما بيّن الإمام - رحمه الله - شناعة دعاء غير الله، وأن من دعا غير الله - سواءً أكان صالحاً أم فاسداً أم شجراً أم حجراً - فقد زعم أن له نصيباً من الألوهية، وأنه إله مع الله، وقال الإمام لأحد المدعوين مبيناً له ذلك: (. وإن دعوت مخلوقاً طيباً أو خبيثاً، أو ذبحت له، أو نذرت، فقد زعمت أنه هو الله^(١))، حتى لو كان المدعو هو الرسول ﷺ فإن ذلك لا يجوز، حيث بيّن الإمام أن العلماء كرهوا حتى تعظيم حجرة بيت النبي ﷺ الذي دفن فيه سداً للذرائع، (وأما النذر له، ودعاؤه، والخضوع له، فهو الشرك الأكبر)^(٢). هذا إذا وجّه الدعاء للقبر، أما (لمس القبر، [أي قبر]، والصلاة عنده، وقصده لأجل الدعاء [يعني دعاء الله تعالى عنده] رغم أنه محرم، لا يجوز، إلا أن الإمام قال عن ذلك: (ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر ... ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك فيشتد نكير العلماء لذلك، كما صحّ عنه ﷺ أنه قال: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)^(٣))^(٤). كما نبّه الإمام إلى أن (الذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتمائيل المصورة على صورهم، لم يكونوا

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/٢٢٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، (١/٢٠٩) وانظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (٤/٧٠).

(٣) أخرجه الشيخان، البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] [كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة] [ك ١١ - ب ٢٢ - ح ٤٢٥] (١/١٦٧). ورواه مسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب باب النهي عن بناء المساجد على القبور [ك ٥ - ب ٣ - ح ٥٣١] (١/٣١٥).

(٤) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/٢٠٩).

يعتقدون أنها تنزل المطر وتنبت النبات^(١)، ويؤمن أن الله تعالى بعث الرسل (وأُنزل الكتب تنهى أن يدعى أحد من دونه)^(٢).

٢- الاستعاذة والاستعانة والاستغاثة بغير الله:

ذكر العلماء أن :

الاستعاذة: تكون بالاتجاه إلى الله تعالى لدفع شر، واللياذ: لطلب الخير.
والاستعانة: طلب العون من الله في حال الرخاء والشدة.
والاستغاثة: طلب العون من الله، ولكنه مخصوص بحال الشدة، وتكون من المكروب^(٣).

وقد عبّر الإمام عنها أيضاً بألفاظ أخرى؛ مثل: (طلب الغوث من الصالحين، ونحوتهم وندبهم ...) وكلها ألفاظ متقاربة .
ومن ذلك أن الإمام -رحمه الله- يبين أن من الشرك أن يطلب أحد الغوث من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو يستجير به، ويؤمن أن (كل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية ... بأن يقول: يا سيدي فلان أغثنني أو أجرني، أو أنت حسبي، أو أنا في حسبك، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتِل)^(٤).

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٦٧/٥-٦٨).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، [مرجع سابق] (ص ١٧٤ - ١٨٠) .

(٤) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٧٧/٥) وانظر : المرجع السابق (٦٧/٥) ،

كما نبّه الإمام إلى أن الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب تنهى أن يدعى غير الله (لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة)^(١).

وذكر الإمام أن من مظاهر الانحراف في زمنه: أن وجد أشخاصاً يدعون الناس إلى الاستغاثة بهم، والاستعانة بهم، والاستعاذة بهم من كل مكروه، ومن أولئك الأشخاص: (أولاد شمسان، وأولاد إدريس، الذين يأمرون الناس... ينخونهم^(٢)، ويندبونهم^(٣))^(٤).

وقال الإمام مصوراً بعض مظاهر الشرك: (.. وهذا تلحقه الشدة في البر أو البحر، فيستغيث بعبد القادر، أو شمسان، أو نبي من الأنبياء، أو ولي من الأولياء أن ينجيه من هذه الشدة)^(٥)، وقال في موضع آخر: (... وأن من دعا

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٦٨/٥).

(٢) ينخونهم: يقول الفيروز آبادي: (نُخِيَ: أي قُصِدَ في الشدائد، ومُدِحَ وعُظِمَ ليكشفها، القاموس المحيط، [مرجع سابق] مادة [نخا] [ص ١٧٢٤]) وقال ابن منظور: (والنخوة: العظمة والكبر والفخر) لسان العرب، [مرجع سابق] مادة [نخا] [٣١٣/١٥]، والمقصود أن هؤلاء يأمرون الناس ليقصدوهم ويستعينوا بهم في الشدائد، ويتفاحروا بهم عند النوب.

(٣) يندبونهم: قال ابن منظور: (الندبُ: أن يندب إنساناً قوماً إلى أمر أو حرب أو معونة، أي: يدعوهم إليه، فينتدبون له، أي: يجيبون) لسان العرب، [مرجع سابق] مادة [ندب] [٧٥٤/١] وقال ابن فارس: (الندب: الخطر) معجم مقاييس اللغة، [مرجع سابق] مادة [ندب] [٤١٣/٥] والمقصود أن هؤلاء يأمرون الناس ليدعوهم عند الخطر ويستغيثوا بهم.

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥٢/٥).

(٥) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣ هـ] (١٠٤/٢).

عبد القادر، فهو كافر، وعبد القادر منه بريء، وكذلك من نخا الصالحين والأنبياء أو نذبهم .. أو قصدهم بشيء من أنواع العبادة، التي هي حق الله على العبيد [يعني فهو كافر أيضاً] ^(١) كما أوضح وجوب إخلاص العبادة لله وحده، وأن (لا يدعى لكشف الضر إلا هو، ولا جلب الخير إلا هو) ^(٢)، وإذا كان من اعتقد في عيسى ابن مريم مع أنه نبي من الأنبياء ونذبه ونخاه فقد كفر فكيف بمن يعتقدون في الشياطين كالكلب أبي حديدة .. ^(٣).

٣- السجود لغير الله والزكوع لغيره والصلاة لغيره:

بين الإمام -رحمه الله- (أن الله تبارك وتعالى أرسل محمداً ﷺ إلينا على حين فتره من الرسل، فهدى الله به إلى الدين الكامل والشرع التام، وأعظم ذلك وأكبره وزيدته هو إخلاص الدين لله بعبادته وحده لا شريك له ... فمن ذلك: أن لا يسجد إلا لله، ولا يركع إلا له ..) ^(٤)، كما بين -رحمه الله- كفر من عبد غير الله ومن غلا في الصالحين، (أو سجد لهم) ^(٥).

وحيث ظنّ بعض المدعوين أن المقصود بالمشرك هو الذي لا يعبد الله إطلاقاً؛ وضّح لهم الإمام فساد هذا الظن، وبيّن أن المشرك يعبد الله ويعبد

(١) انظر: المرجع السابق، والموضع نفسه.

(٢) انظر: جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (١٢٤/٢). والدعاء لكشف الضر يدخل في الاستغاثة.

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥٤/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق، والموضع نفسه.

(٥) انظر: المرجع السابق، (٥٢/٥).

معه غيره، وضرب مثلاً لذلك، فقال: (تعرفون المشهد، فيه قبة، والذي من الرجال صلى الظهر، قام وتقبل القبر، وولّى الكعبة قفاه، وركع لعلّي ركعتين: صلاته لله توحيد، وصلاته لعلّي شرك، أنتم فهمتم؟ قالوا: فهمنا؛ صار هذا مشرك صلى لله وصلّى لغيره)^(١).

٤- النذر لغير الله:

بيّن الإمام -رحمه الله- أساس دعوته وقال: (رأس الأمر عندنا وأساسه إخلاص الدين لله، نقول: ما يدعى إلا الله، ولا ينذر إلا الله)^(٢)، لأن النذر من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

وقد قام الإمام -رحمه الله- بواجب الاحتساب على من تحت يده وعلى أهل قريته في بداية الدعوة، فنهاهم (عن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر)^(٣).

كما بيّن -رحمه الله- أن تعظيم القبور لا يجوز، ولو كان قبر النبي ﷺ فإن (النذر له .. من الشرك الأكبر)^(٤)، وأوضح الإمام أن بعض الضالين قد

(١) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٣٨٥هـ] [٦٥/١] وجمع عبدالسلام آل عبدالكريم، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، [مرجع سابق] [٣٥/٤].

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٤/٥).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٣٦/٥).

(٤) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] [٢٠٩/١].

حرصوا على إفساد عقائد الناس، (مثل أولاد شمسان، وأولاد إدريس الذين يأمرون الناس ينذرون لهم)^(١).

ويبين - رحمه الله - كفر من غلا في الصالحين، (أو نذر لهم، أو قصدهم بشيء من أنواع العبادة التي هي حق الله على العبيد)^(٢).

كما ألمح الإمام إلى أن بعض الخصوم أرادوا أن يهونوا من أمر النذر لغير الله، وأورد إحدى الشبه التي ساقها أحد الخصوم، وقال مخاطباً له، عارضاً شبهته ليرد عليها ضمن باقي الشبه: (الأولى: النذر لغير الله، تقول: إنه حرام ليس بشرك)^(٣)، وقد ردّ الإمام على هذه الشبهة بقوله: (... فأما المسألة الأولى: فدليلك قوهم: إن النذر لغير الله حرام بالإجماع، فاستدللت بقوهم: حرام على أنه ليس بشرك، فإن كان هذا قدر عقلك فكيف تدعي المعرفة؟ يا ويلك ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، فهذا يدل على أن الشرك حرام ليس بكفر؟ يا هذا الجاهل الجهل المركب، ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [الأعراف: ٣٣]، هل يدل هذا التحريم على أنه لا يكفر صاحبه؟ يا

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥٢/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، والموضع نفسه.

(٣) انظر: المرجع السابق، (٢٣١/٥).

ويك، في أيّ كتاب وجدته إذا قيل لك: هذا حرام أنه ليس بكفر؟ فقولك: إن ظاهر كلامهم ليس بكفر كذب وافتراء على أهل العلم، بل يقال: ذكر أنه حرام، وأما كونه كفر فيحتاج إلى دليل آخر والدليل عليه: أنه صرّح في الإقناع^(١) أن النذر عبادة، ومعلوم أن لا إله إلا الله معناها: لا يُعبد إلا الله، فإذا كان النذر عبادة، وجعلتها لغيره، كيف لا يكون شركاً؟^(٢).

٥- الذبح لغير الله:

أوضح الإمام -رحمه الله- خطورة الذبح لغير الله، وأنه شرك، كما بيّن أن الذبيحة التي ذبحت لغير الله محرمة، بل إن تحريمها أوضح وأظهر من تحريم ما ذبحه النصراني للحم، وقال فيه: (باسم المسيح) ونحوه، وساق الإمام -رحمه الله- كلاماً نفيساً لشيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة، أكدّ فيه أن الشرك بالله بالذبح لغيره أشد وأعظم من الشرك به بالاستعانة باسم غيره في فواتح الأمور، وقال: (إن عبادة الله والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشرك بالنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه [يعني باسم هذا الغير] وعلى هذا؛ لو ذبح لغير الله، متقرباً، إليه وإن قال فيه: (باسم الله) كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدين، لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا الباب ما قد

(١) يعني: أبو النجا الحجاوي في كتاب الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل.

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٣٢/٥).

يفعله بعض الجاهلين بمكة وغيرها من الذبح للجن^(١)، ثم بين الإمام المانعين اللذين يجتمعان في الذبيحة، وأكد أنها (تحرم من جهتين: من جهة أنها مما أهّل به لغير الله، وتحرم أيضاً لأنها ذبيحة مرتد^(٢)).

ورغم وضوح الحكم فيمن ذبح لغير الله، وأنه شرك، إلا أن ذلك أشكل على أحد المدعويين؛ لأنه حين قرأ عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك وقوله: (وأما ما يذبحه الآدمي خوفاً من الجن فمنهي عنه)^(٣)، ظن هذا المدعو أن قول شيخ الإسلام (منهي عنه) يقتضي كونه ليس بكفر ولا شرك، فأجابه الإمام -رحمه الله- على هذه المسألة بقوله: (السادسة: قوله (الذبح للجن منهي عنه)، فاعرف قاعدة أهملها أهل زمانك، وهي: أن لفظ (التحريم) و(الكراهة) وقوله (لا ينبغي)؛ ألفاظ عامة تستعمل في المكفرات والمحرمات التي هي دون الكفر، وفي كراهة التنزيه التي هي دون الحرام، مثل استعمالها في المكفرات: قولهم (لا إله إلا الذي لا تنبغي العبادة إلا له)، وقوله ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَكُلاً﴾ [مريم: ٩٢]، ولفظ التحريم مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٢١/٥) وانظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، بتحقيق محمد حامد الفقي، [مصر - مكتبة السنة المحمدية - ط الثانية - ب ت] (ص ٢٥٩) بتصرف يسير.

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٢١/٥ - ١٢٢) وانظر: انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠٧/١).

(٣) انظر نص أسئلة هذا السائل: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠٧/١).

حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴿الأنعام: ١٥١﴾، وكلام العلماء لا ينحصر في قولهم (يحرم كذا) لِمَا صرَّحوا في مواضع أخرى أنه كفر، وقولهم (يكره) كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، إلى قوله: ﴿كُلُّ ذَلِكُمْ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨]، وأما كلام الإمام أحمد في قوله: (أكره كذا)، فهو عند أصحابه على التحريم^(٢). ثم استطرد الإمام قائلاً: (إذا فهمت هذا، فَهُم صرَّحوا أن الذبح للجن ردة تخرج، وقالوا: الذبيحة حرام ولو سمي عليها)^(٣)، كما بيّن - رحمه الله - أن الذبح لله تعالى أساس الدين، فقال: (فرأس الأمر عندنا وأساسه إخلاص الدين لله، نقول: ما يدعى إلا الله ولا يذبح القربان إلا الله)^(٤)، (من ذبح لله ألف ضحية، ثم ذبح لني أو غيره، فقد جعل إلهين اثنين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، والنسك هو الذبح)^(٥)، وكذلك فإن (من ذبح لغير الله من جني أو قبر، فكما لو سجد له، وقد لعنه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح قال: (لعن الله من ذبح لغير الله)^(٦) (٧).

(١) سورة الأنعام، الآية رقم (١٥١).

(٢) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠٧/١).

(٣) انظر: المرجع السابق، والموضع نفسه.

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٤/٥).

(٥) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٦٧/٥).

(٦) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق] كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله

تعالى ولعن فاعله] [ك٣٥ - ٨ب - ح ١٩٧٨] [١٢٤٥/٣].

(٧) انظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط الخامسة ١٤١٣هـ]

(١٠٤/٢).

٦- التوكل على غير الله:

بين الإمام -رحمه الله- في رسائله- أن التوكل عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، وأكد أن صرفها لغير الله تعالى شرك، وقال: (... كذلك التوكل من أنواع العبادة؛ إن توكلت على الله صار توحيداً، وإن توكلت على صاحب القبة صار شركاً)^(١)، ثم استدل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

ولم يكتف -رحمه الله- ببيان ذلك، بل قام منذ وقت مبكر بواجب الاحتساب على من أمكنه الاحتساب عليه في ذلك الوقت، يقول الإمام في إحدى رسائله التي بين فيها عقيدته وحقيقة دعوته: (ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يُعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل)^(٢).

٧- الخوف من غير الله:

بين الإمام -رحمه الله- أن الخوف من الله من أفضل مقامات الدين وأجلّها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

(١) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٣٨٥هـ-]

(١/٦٥). وجمع عبدالسلام آل عبدالكريم، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، [مرجع

سابق] [٣٦/٤].

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٦/٥).

وبيّن -رحمه الله- أن الخوف المقصود هنا هو خوف العبادة، الذي يسميه بعض العلماء (خوف السر)، وهو خوف مصحوب بإجلالٍ وتعظيم^(١)، وذكر الإمام أن صرف هذا الخوف لغير الله، شرك وأن الخوف من الله وحده من أساسيات إخلاص الدين لله، الذي هو رأس الأمر وأساسه، يقول الإمام: (... فرأس الأمر عندنا وأساسه إخلاص الدين لله، نقول: ما يدعى إلا الله ... ولا يخافَ خوف الله إلا من الله، فمن جعل من هذا شيئاً لغير الله فنقول: هذا الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿لَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]^(٢).

٨- تعظيم غير الله:

لم يكتف الإمام -رحمه الله- بالنهي عن أنواع معينة من الشرك، بل نهى عن تعظيم غير الله تعالى بجميع صورته، وبيّن (أن الله سبحانه بعث محمداً

(١) بخلاف خوف الأسد مثلاً، فليس فيه إجلال ولا تعظيم، وقد ذكر العلماء أن الخوف ثلاثة أقسام:

١- خوف السر: وهو أن يخاف من غير الله؛ من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره؛ كمن يخاف من ميت بالهند، فلا يجرؤ أن يحلف به كاذباً، في حين لا يتورع عن الحلف بالله كاذباً، وهذا شرك ينافي التوحيد بالكلية.

٢- أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس، كترك الجهاد والاحتساب وغيرهما، وهذا هو سبب نزول الآية ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا﴾ (آل عمران: ١٧٥) وهو محرم بل هو نوع من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد.

٣- الخوف الطبيعي: وهو الخوف من عدو أو سبع ونحوه، فهذا مباح إذا انعقدت أسبابه، أما إذا لم تعتقد، فهذا جبن، استعاذ النبي ﷺ منه، انظر: عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، [مرجع سابق] (٢٨١).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٤/٥).

لإخلاص الدين لله، لا يجعل معه أحد في العبادة والتأله، لا ملك، ولا نبي، ولا قبر، ولا حجر، ولا شجر، ولا غير ذلك، وأن من عظم الصالحين بالشرك بالله، فهو يشبه النصارى، وعيسى عليه السلام بريء منهم^(١)، كما ذكر الإمام (أن المنتسب إلى الإسلام قد يمرق من الدين، وذلك بأمر؛ منها: الغلو الذي ذمّه الله مثل الغلو في عدي بن مسافر أو غيره، بل الغلو في علي بن أبي طالب عليه السلام بل الغلو في المسيح عليه السلام ونحوه، فكل من غلا في نبي أو صحابي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، فهذا كافر يستتاب فإن تاب، وإلا قتل)^(٢)، و(إذا كان من اعتقد في عيسى ابن مريم - مع أنه نبي من الأنبياء - فقد كفر، فكيف بمن يعتقدون في الشياطين، كالكلب أبي حديدة، وعثمان الذي في الوادي، والكلاب الأخر في الخرج)^(٣). ويّسن الإمام بعض مظاهر تعظيم غير الله فذكر أن من ذلك: (تعظيم المشاهد، وبناء القباب على القبور وعبادتها واتخاذها مساجد)^(٤)، وكذلك ما ساد في زمن الإمام مثل (ما يفعل المشركون .. عند قبر الزبير عليه السلام أو عبد القادر، أو غيرهم، وكما يُفعل قبل هذا عند قبر زيد عليه السلام وغيره)^(٥).

وقد قام الإمام بواجهه في الاحتساب على مثل هذه الانحرافات، مما أدى بالخصوم إلى معادات الإمام، حتى جرت فتنة بسبب ذلك، تحدث عنها الإمام

(١) انظر: المرجع السابق، (١٨٠/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٦٧/٥).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٥٤/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق، (١٧٦/٥).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٦٦/٥).

في رسالة أرسلها (إلى من يصل إليه من علماء الإسلام)، قال فيها: (.. فإنه قد جرى عندنا فتنة عظيمة، بسبب أشياء نهيت عنها بعض العوام من العادات التي نشأوا عليها، وأخذها الصغير والكبير، مثل عبادة غير الله، وتوابع ذلك من تعظيم المشاهد) (١).

٩- عبادة الأوثان:

بين -رحمه الله- أن من الشرك عبادة الأوثان، وقد كان له موقف من عباد الأوثان في زمنه حيث عاداهم وكفرهم، وأعلن موقفه منهم، يقول الإمام في ذلك: (ولكن نكفر من أقرّ بدين الله ورسوله، ثم عاداه، وصدّ الناس عنه، وكذلك من عبد الأوثان بعدما عرف أنها دين للمشركين، وزينه للناس، فهذا الذي أكفره وكل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء، إلا رجلاً معانداً أو جاهلاً) (٢).

(٢) من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم:

بين الإمام -رحمه الله- أن من أكثر نواقض الإسلام وقوعاً، وأعظمها خطراً على المرء، أن يجعل المرء بينه وبين الرب جلّ وعلا وسائط يدعوهم لكشف الملمات وإغاثة اللهفات وتفريج الكربات وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين (٣).

(١) انظر: المرجع السابق، (١٧٦/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥٨/٥).

(٣) انظر: الشيخ سليمان بن ناصر العلوان، التبيان في شرح نواقض الإسلام، [الرياض - دار

الوطن - ط الأولى - ١٤١٣هـ] (ص ٢٨).

وقد أكد الإمام - رحمه الله - في عدة مواضع من رسائله - أن من (جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم، كفر إجماعاً)^(١)، حتى لو كان الواسطة رجلاً صالحاً، بل حتى لو كان نبياً من الأنبياء، كما وقع من بعض الضلال، الذين غلو في النبي ﷺ واتخذوه واسطة بينهم وبين الله تعالى، وقصدوه ﷺ بما لا يقصد فيه إلا الله تعالى، وقد قال الإمام في ذلك: (واعلم رحمك الله: أن أشياء من أنواع الشرك الأكبر وقع فيه بعض المصنفين على جهالة، لم يقطن له، من ذلك قوله في البردة:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به . . . سواك عند حلول الحادث العمم)^(٢)
 ويبيّن الإمام أن من خطورة هذا الناقض وقوعه من أجلّ الناس مثل: أصحاب موسى، الذين اختارهم الله، وفضلهم على العالمين حين قالوا: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فإذا خفي هذا على بني إسرائيل - مع جلالتهم وعلمهم وفضلهم - فما ظنك بغيرهم)^(٣)، ثم استطرده الإمام فقال: (... أصلح من الجميع وأعلم؛ أصحاب محمد ﷺ لما مزوا بشجرة، قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط)^(٤)،

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٥٦٨) وانظر المرجع السابق (٥/٢٣٢).

(٢) جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] [٢/١١١].

(٣) جمع عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] [٢/١١١].

(٤) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، سند الترمذي (مرجع سابق) كتاب: الفقه، باب: (ما جاء لتزكبن سنن من كان فيكم) [ن ٣١ ب ١٨ ح ٢١٨٥] [٤/٤٧٥] وصححه من المعاصرين: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (مرجع سابق) برقم (٣٦٠١) (١/٦٧٤).

فحلف رسول الله ﷺ أن هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ٤١٣٨] (١). وسبب خطورة هذا الناقض، وإمكان وقوعه - حتى من أجل الناس - هو ما قد يقذفه الشيطان على بعض قلوب العباد من الشبه، حتى يقتنع بها، ويبدأ يلبس بها على الناس (فقد يقول هذا المشرك: إن الأمر بيد الله، ولكن هذا العبد الصالح يشفع لي عند الله وتنفعي شفاعته وجاهه، ويظن أن ذلك يسلمه من الشرك) (٢)، وقد بين الإمام كيف يرد على هذا الشخص، وأوصى أتباعه بأن (يقال لهذا الجاهل: المشركون عبّاد الأصنام الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وغنم أموالهم وأبناءهم ونساءهم، كلهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار، الذي يدبر الأمر، وإنما أرادوا ما أردت من الشفاعة عند الله كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ٤١٨] (٣)، وقد بين الإمام أن من الانحرافات التي وجدت في عصره: ظهور أناس من الطواغيت - كما عبّر الإمام - يدعون الناس إلى اتخاذهم شفعاء ووسائط ويستشفعون بهم وبآبائهم وأجدادهم، ومع ذلك فقد استنكر بعض الخصوم على الإمام تكفيره هؤلاء بشبهة (أن الذي يجعل الوسائط هو الكافر، وأما المجعول فلا يكفر) (٤)، وقد ردّ الإمام على هذه الشبهة بقوله: (إن هذا كلام تلييس وجهالة. ومن

(١) جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] ط ١٤١٣هـ - [١١٢/٢].

(٢) جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] ط ١٤١٣هـ - [١٠٤/٢].

(٣) جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] ط ١٤١٣هـ - [١٠٥/٢].

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٣٢/٥).

قال إن عيسى وعزيراً وعلي ابن أبي طالب وزيد بن الخطاب وغيرهم من الصالحين يلحقهم نقص يجعل المشركين إياهم وسائط؟ حاشا وكلا ﴿ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] وإنما كَفَرْنَا هؤُلاءِ الطواغيت أهل الخرج وغيرهم بالأمور التي يفعلونها هم؛ منها: أنهم يجعلون آباءهم وأجدادهم وسائط، ومنها: أنهم يدعون الناس إلى الكفر...^(١).

كما أثار أحد الخصوم شبهة، أن اتخاذ المرء الوسائط و(دعاء الموتى والنذر لهم ليشفعوا له عند الله) كل (هذا شرك أصغر، وشبهته أنه [يعني ابن القيم في مدارج السالكين]^(٢))، ذكره في الفصل الثاني الذي ذكر أوله الأصغر^(٣)، وقد ردّ الإمام على هذه الشبهة وعلى غيرها من الشبه -على ماسياتي تفصيله في المبحث الثالث من هذا الفصل إن شاء الله- حيث قال في علاج هذه الشبهة: (... وأنت - رحمك الله - تجد الكلام من أوله إلى آخره في الفصل الأول والثاني صريحاً لا يحتمل التأويل من وجوه كثيرة، أن دعاء الموتى والنذر لهم ليشفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر... وآخر ما صرح به قوله آنفاً: وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين...)^(٤).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٣٢/٥).

(٢) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، [مرجع سابق] (٣٤٨/١ - ٣٥٤).

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٩/٢).

(٤) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٩/٢) وانظر: ابن القيم،

مدارج السالكين، [مرجع سابق] (٣٤٨/١ - ٣٥٤). وانظر مزيداً من التفصيل عن هذه

الشبهة ومن أشاعها في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٣) من لم يُكفِّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم:

بين الإمام - رحمه الله - أن الناقض الثالث من نواقض الإسلام: من لم يُكفِّر المشركين أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم^(١)، فهذا كافر بالإجماع، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وصفة الكفر بالطاغوت - كما ذكر الإمام - أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها، وتبغضها، وتكفر أهلها وتعاديهم^(٢). وقال في رسائله مبيناً حقيقة هذا الأمر: (... بل نُشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد، وتبرأ من الشرك وأهله، فهو المسلم ...) ^(٣).

وأنكر - رحمه الله - ما جاء في رسالة^(٤). أحد الخصوم من الشبه الباطلة (في تهوين أمر الشرك بل في إباحته)^(٥)، وأكد أن هذا منهج فاسد، وأن (من

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١٣/٥).

(٢) انظر: رسالة في معنى الطاغوت للإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - (وهي رسالة علمية وشخصية أيضاً) ضمن مجموعة التوحيد، [مرجع سابق] (ص ١٣).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٦٠/٥).

(٤) قام أحد أتباع الإمام وهو (حمد التويجري) بإرسال رسالة إلى الإمام أرفق بها هذه الرسالة المذكورة ليطلع عليها الإمام ويرد عليها، وقد كتب الإمام جواباً لحمد التويجري دون أن يذكر اسم كاتب الرسالة المذكورة، بل اقتصر على بيان أنها اشتملت على بعض الشبه الباطلة والانتهاكات للإمام. انظر: المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

أبين الأمور بطلانه لمن سلم من الهوى والتعصب^(١)، كما أوضح - رحمه الله - أن من (مدح دين المشركين، الذي بعث الله الأنبياء بإنكاره، ودعا الناس إليه بعد معرفته)^(٢)، فإنه كما أخبر الإمام (كافر مرتد)^(٣)، وبين الإمام أيضاً أنه لا يجوز مجرد الشك في كفر الكافرين وضلالهم، واستشهد بأن الحجاوي (قد صرح في (الإقناع) بأن من شك في كفرهم، فهو كافر)^(٤).
 قال الإمام: (فكيف بمن جادل عنهم، وادعى أنهم مسلمون؟..)^(٥)، بل لا يجوز الرضا بالكفر أو موالة الكافرين، حيث أكد (أن الرضا بالكفر كفر صرح به العلماء، وموالة الكفار كفر)^(٦).

٤) من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه:

لا شك أن الله تعالى قد امتن على هذه الأمة بأن أكمل لها الدين، وأتم عليها النعمة ببعثه نبيه محمد ﷺ؛ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقد نفى الله الإيمان عمّن أعرض عن هدي النبي ﷺ وحكمه، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) المرجع السابق، (٣٠/٥).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) المرجع السابق، (٢٣٠/٥) وانظر: الحجاوي، الإقناع، [مرجع سابق] (٢٩٨/٤).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٣٠/٥).

(٦) المرجع السابق، (٢٣٢/٥).

حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿النساء: ٦٥﴾.

ومن هذا المنطلق ذكر الإمام - رحمه الله - أن الناقض الرابع من نواقض الإسلام: (من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه)^(١)، قال الإمام: (فهو كافر)^(٢).

وساق الإمام في إحدى رسائله ما قاله ابن القيم في أعلام الموقعين^(٣). عن قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]، حيث قال: (ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ] فقد حكم الطاغوت، وتحاكم إليه، يعني الآيات في النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]، قال: والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله...^(٤).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١٣/٥).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) انظر: ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، بتحقيق عبدالرحمن الوكيل،

[بيروت - دار إحياء التراث العربي - ب ت] (٥٣/١).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٠٤/٥).

وقد بين الإمام أن من نماذج اعتقاد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، ما يفعله بعض أهل البادية من تحكيم ما يسمى (بالحق) و(العادة)، وترك هدي النبي ﷺ، يقول الإمام لمن تردّد في تكفيرهم: (..وأعظم وأطم أنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله وتبرأوا من الدين كله، واستهزأوا بالحضر الذين يصدّقون بالبعث، وفضّلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزأوا بها... ومع هذا تنكرون علينا كفرهم)^(١).

٥) من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به:

نّبّه الإمام -رحمه الله- إلى خطورة أن يبغض المرء شيئاً مما جاء به النبي ﷺ ولو كان ملتزماً به غير مفرط فيه. يقول في بيان ذلك: (من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به؛ كفر إجماعاً، والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩])^(٢).

وقد أدّى بغض هذا الدين ببعض الخصوم إلى أن عادوه، وصدوا الناس عنه، بعدما أقروا أنه الحق، وعن هؤلاء وأمثالهم قال الإمام: (... ولكن نكفر من أقرّ بدين الله ورسوله ثم عاداه وصدّ الناس عنه..^(٣)).

ومن أبرز الخصوم الذين اجتهدوا في بغض هذا الدين وصدّ الناس عنه سليمان بن سحيم؛ حتى شهد عليه بذلك كثير من المعاصرين له رجالاً

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١٣/٥).

(٢) المرجع السابق (٢٠٩/٥).

(٣) المرجع السابق، (٥٨/٥).

ونساءً، والعجيب أن هذا الرجل لا يقبل الأدلة التي يستدل بها الإمام إذا كانت من نصوص الكتاب والسنة، بحجة أنه ليس أهلاً للأخذ بهذه النصوص، بل لا يفهمها إلا العلماء الكبار^(١)، ولذلك لا يقبل إلا ما جاء في كتب المذهب الذي يتعصب له، مثل: كتاب (الإقناع)، ولذلك فقد ردّ عليه الإمام مستشهداً له بما جاء في هذا الكتاب، فقال: (الثاني: أنه [يعني الحجاوي في كتاب الإقناع] ذكر في أوله^(٢) أن المبغض لما جاء به الرسول كافر بالإجماع ولو عمل به، وأنت مقرّ أن هذا الذي أقول في التوحيد أمر الله ورسوله، والنساء والرجال يشهدون عليكم أنكم مبغضون لهذا الدين، مجتهدون في تنفير الناس عنه، والكذب والبهتان على أهله، فهذا كتابكم كفركم)^(٣).

ولما سئل الإمام عن هذا البغض وكيفيته^(٤)، وضح أن المقصود هو بغض هذا الدين، كمن (أبغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه، كما هو حال من يدعي العلم ويقرر أنه دين الله ورسوله، ويبغضونه أكثر من بغض دين اليهود والنصارى، بل يعادون من التفت إليه، ويحلون دمه وماله، ويرمونهم عند الحكام)..^(٥).

(١) سيأتي مزيد تفصيل عن هذه الشبهة في المبحث الثالث من هذا الفصل بمشيئة الله تعالى.

(٢) يعني أول باب حكم المرتد، انظر: الحجاوي، الإقناع، [مرجع سابق] (٤/٢٩٧).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٢٣٠).

(٤) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/٢٠٣).

(٥) المرجع السابق، (٢/٢٠٥).

٦) من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه:

تحدث الإمام في رسائله عن خطورة الاستهزاء بالدين، ويبيّن أنه من نواقض الإسلام، وأكد أنّ (من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لَآ تَعْتَدِرُوا قَدْرَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ...﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] ^(١).

وقد سئل الإمام مسألة في هذا الموضوع، حيث قال السائل مشيراً إلى ما كتبه الحجاوي في الإقناع: (قوله في باب حكم المرتد: أو استهزأ بالله أو كتبه أو رسله، كفر. فما وصف هذا الاستهزاء المكفر؟) ^(٢)، فأجاب - رحمه الله - عن هذه المسألة، ويبيّن أن (العلماء استدلوا عليها بقوله تعالى في حق بعض المسلمين في غزوة تبوك: ﴿وَلَكِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٢٦٥]، فذكر السلف والخلف أن معناها عامّ إلى يوم القيامة فيمن استهزأ بالله والقرآن والرسول ﷺ، ووصفة كلامهم أنهم قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب أسنناً، ولا أجبين عند اللقاء ^(٣)، يعنون بذلك رستول الله والعلماء من أصحابه، فلما نقل الكلام عوف بن مالك، أتى القائل يعتذر أنه قاله على وجه اللعب كما يفعل المسافرون، فنزل الوحي أن هذا كفر بعد

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١٣/٥).

(٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠٣/١).

(٣) انظر: الإمام الطبري، تفسير الطبري المسمى: جامع البيان في تأويل القرآن، [بيروت -

دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١٢هـ] (٤٠٩/٦).

الإيمان، ولو كان على وجه المزح^(١)، وأضاف الإمام مثلاً، فقال: (وكذلك من يدعي العلم والفقه، وإذا استدللنا عليه بآيات الله؛ أظهر الاستهزاء)^(٢).
 كما بين -رحمه الله- أن الاستهزاء المكفر قد يكون بالقول، وقد يكون أيضاً بالفعل، وقال في جوابه للسائل: (.. فالحقول الصريح في الاستهزاء بالدين: مثل ما قدمت لك، وأما الفعل، فمثل مدّ الشفة، وإخراج اللسان، أو رمز العين مما يفعله كثير من الناس عندما يؤمر بالصلاة والزكاة، فكيف بالتوحيد)^(٣).

وقد نبّه الإمام إلى الفرق بين أن لا يعرف الناطق معنى هذه الكلمة -فهذا معذور- وبين أن يعرف معناها، لكن لا يعرف أنها تكفره - فهذا غير معذور- يقول الإمام: (إذا نطق بكلمة الكفر، ولم يعلم معناها: صريح واضح أنه يكون نطق بما لا يعرف معناه، وأما كونه أنه لا يعرف أنها تكفره، فيكفي فيه قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، فهم يعتذرون للنبي ﷺ، ظانين أنها لا تكفرهم)^(٤).

٧) السحر ومنه الصرف والعطف:

بين الإمام -رحمه الله- أن الناقض السابع من نواقض الإسلام: (السحر، ومنه الصرف والعطف)^(٥)، وأكد أن (من فعله أو رضي به كفر،

(١) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/٢٠٤ - ٢٠٥).

(٢) المرجع السابق، (١/٢٠٥).

(٣) المرجع السابق، (١/٢٠٦).

(٤) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/٢٠٦).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٢١٣).

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ قِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ﴾ [البقرة: ١٠٢] (١).

وساق ما ذكره صاحب الإقناع في حكم السحر وتعريفه؛ حيث قال: (ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله، وهو: عُقْدٌ ورقى وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله، ومنه ما يقتل، ومنه ما يمرض، ومنه ما يأخذ الرجل من امرأته، فيمنعه وطأها، ومنه ما يبغض أحدهما للآخر، ويجب بين اثنين، ويكفر بتعلمه وفعله، سواءً اعتقد تحريمه أو إباحته) (٢).

ويشير الإمام - رحمه الله - إلى انتشار هذا البلاء في زمنه، وخاصة الصرف والعطف، مع غفلة الناس عنه وعدم إدراكهم لكونه كفراً مخرجاً من الملة. يقول الإمام بعد أن ساق ما ذكره صاحب الإقناع في ذلك: (... فتأمل هذا الكلام [يعني آنف الذكر] ثم تأمل ما جرى من الناس، خصوصاً الصرف والعطف، تعرف أن الكفر ليس ببعيد) (٣).

بل إن الإمام - رحمه الله - كان يتابع بنفسه بعض أولئك الذين يتسترون بثوب العلم والفتيا، ويتظاهرون بكتابة الرقى الشرعية للمرضى وغيرهم مع أنهم - في الواقع - يتعاملون بالسحر ويكتبون الطلاس، وقد تمكن الإمام من

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١٣/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٦٩/٥) وانظر: الحجاوي، الإقناع، [مرجع سابق] (٣٠٧/٤).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٦٩/٥).

أخذ واحدة من تلك الحجب أو الرقى وتعرّف على خط كاتبها^(١)، ووجد فيها طلاسّم مجهولة، لم يشك الإمام أنها من السحر، ثم واجه الإمام كاتب تلك الحجب بهذه الحقيقة، وكتب له رسالة مطولة، ذكر فيها عدداً من الانحرافات التي لاحظها عليه، ويّين أن بعض تلك الانحرافات مما ذكر صاحب الإقناع ككفر صاحبها، ومما قاله الإمام في تلك الرسالة: (الوجه الرابع: [يعني من دلائل جهله بلا إله إلا الله] أنك تكتب في حجبك طلاسّم، وقد ذكر في (الإقناع) أنها من السحر، والسحر يكفر صاحبه، فكيف تفهم التوحيد وأنت تكتب الطلاسّم؟ وإن جحدت، فهذا خط يدك موجود)^(٢).

وقال الإمام في الرسالة نفسها: (الخامس: [أي من المكفرات التي ذكرها صاحب الإقناع] أنه ذكر أن السحر يكفر بتعلمه وتعليمه، والطلاسّم من جملة السحر، فهذه ستة مواضع في (الإقناع) في باب واحد أن من فعلها فقد كفر، وهي دينك ودين أبيك، فإما أن تبرأوا من دينكم هذا، وإلا فأجيبوا عن كلام صاحب الإقناع ..)^(٣).

٨) مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين:

ذكر الإمام - رحمه الله - أن الناقض الثامن من نواقض الإسلام: (مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١])^(٤)، كما ردّ - رحمه الله - على من

(١) هو سليمان بن سحيم، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/ ٢٢٦).

(٢) المرجع السابق، (٥/ ٢٢٧).

(٣) المرجع السابق، (٥/ ٢٣٠).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/ ٢١٣).

اتهمه بأنه يُكفّر بالعموم، ووصف هذه التهمة بأنها من البهتان، وقال: (الذي نُكفّر: الذي يشهد أن التوحيد دين الله ورسوله، وأن دعوة غير الله باطلة، ثم بعد هذا يكفّر أهل التوحيد، ويسميهم الخوارج، ويتبين مع أهل القيب على أهل التوحيد)^(١).

وقال في موضع آخر: (... وإنما نكفر من أشرك بالله ... وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يُشرك بالله عندها، وقاتل من أنكرها، وسعى في إزالتها...)^(٢).

ثم ذكر الإمام بعد ذلك نماذج من صور المظاهرة للمشركين التي حصلت في زمنه، وعانى منها هو وأتباعه -رحمهم الله- حيث بين أن من ذلك: (ما فعل المويس وأمثاله مع قبة الكواز وأهلها، وما فعله هو وابن إسماعيل وابن ربيعة وعلماء نجد في مكة سنة الحبس مع أهل قبة أبي طالب، وإفنائهم بقتل من أنكر ذلك، وأن قتلهم وأخذ أموالهم قرينة إلى الله، وأن الحرم الذي يحرم اليهودي والنصراني لا يحرمهم)^(٣)، ثم يستطرد الإمام مخاطباً السائل، فيقول متسائلاً: (ثم تفكر في الأحياء الذين صالوا معهم؛ هل تابوا من فعلهم ذلك وأسلموا، وعرفوا أن عشر معشار ما فعلوا ردة عن الإسلام بإجماع المذاهب

(١) المرجع السابق، (٤٨/٥).

(٢) المرجع السابق، (٦٠/٥). وانظر: المرجع السابق، (١٥٨/٥).

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠٥/١) وانظر: مجموع

مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٠٥/٥).

كلها؟ أم هم اليوم على ما كانوا عليه بالأمس؟^(١).

٩) من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه أتباعه ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعته:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ...﴾ [الانعام: ١٥٣]، فمن رغب الخروج عن شريعة محمد ﷺ، أو ظن أن بوسعه الاستغناء عنها، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه، وقد ذكر الإمام -رحمه الله- أن الناقض التاسع من نواقض الإسلام: (من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه أتباعه ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعته، كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام، فهو كافر)^(٢).

ثم ساق الإمام ما ذكره صاحب (الإقناع) في باب حكم المرتد، حيث قال مستشهداً ببعض الأمثلة: (ومن اعتقد أن لأحدٍ طريقاً إلى الله غير متابعة محمد ﷺ، أو لا يجب عليه أتباعه، أو أن لغيره خروجاً عن أتباعه، أو قال: أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو قال: إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، كفر في هذا كله)^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومما يبين الغلط الذي وقع لهم في الاحتجاج

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٠٥/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١٤/٥).

(٣) المرجع السابق، (٦٨/٥). وانظر: الحجاوي، الإقناع، [مرجع سابق] (٢٩٨/٤ - ٢٩٩).

بقصة موسى والخضر على مخالفة الشريعة: أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولا أوجب الله على الخضر متابعته... وذلك أن دعوة موسى كانت خاصة^(١).

وقد انتشر هذا الناقض بين كثير من معاصري الإمام - رحمه الله - حتى إنه أشار إلى ذلك في إحدى رسائله؛ حيث ساق ما ذكره ابن القيم^(٢) في بيان أن طاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، ويتبعونه على غير بصيرة من الله، ثم قال الإمام: (فهذه طواغيت العالم إذا تأملت، وتأملت أحوال الناس معها؛ رأيت أكثرهم ممن أعرض عن طاعة الله ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته)^(٣).

١٠ الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به:

ذكر الإمام - رحمه الله - الناقض العاشر من نواقض الإسلام، وذكر الدليل عليه، فقال: (العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به^(٤))، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ

(١) جمع عبدالرحمن بن قاسم، مجموع الفتاوى، [مرجع سابق] (٤١٨/١١).

(٢) انظر: ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين، [مرجع سابق] (٥٣/١).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٠٤/٥).

(٤) قال ابن القيم: (... وأما كفر الإعراض، فإن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ [لا يصدق ولا يكذب، ولا يواله ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة] ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين، [مرجع سابق] (٣٤٧/١).

مُنْتَمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢] ^(١). وقد بين الإمام - رحمه الله - أنه وجد في زمنه من تلبس بهذا الناقض؛ مثل بعض أهل البوادي، الذين يزعمون أن كتاب الله إنما أنزل للحضر، وأنهم [أي أهل البوادي] عايفينه ^(٢)، وقد وصفهم الإمام بأنهم (ينكرون البعث والجنة والنار، وينكرون ميراث النساء، مع علمهم أن كتاب الله عند الحضر، وأن رسول الله ﷺ بُعِثَ بالذي أنكروا) ^(٣)، قال الإمام: (فلما أفتيت بكفرهم - مع أنهم أكثر الناس في أرضنا - استنكر العوام ذلك...) ^(٤)، وإنما حصل منهم ذلك بسبب إعراضهم عن دين الله وعن تعلمه كبيراً وعناداً.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١٤/٥).

(٢) من عاف الطعام أو الشراب: كرهه فلم يشربه، انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، [مرجع سابق] مادة (عَيْفَ) (ص ١٠٨٦).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤١/٥).

(٤) المرجع السابق، الموضوع نفسه. وانظر أيضاً: المرجع السابق (٢٣٧، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٠٩/٥).

المطلب الرابع

موقف الإمام من المبتدعة ورؤوسهم

لعل من أبرز ما تضمنته رسائل الإمام محمد - رحمه الله - الحديث عن البدع وأصحابها، والتجذير من مسالك المبتدعة ورؤوسهم. ويمكن تناول هذا المطلب على النحو التالي:

المسألة الأولى : تحذيره من البدع

١- تعريف البدعة:

البدعة في اللغة: مأخوذة من البدع، وهو إنشاء الشيء وبدؤه واختراعه على غير مثال^(١) سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، أي مخترعها على غير مثال سابق^(٢).

واصطلاحاً: (طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية)^(٣).

وقد ذكر أهل العلم أن الابتداع قسمان: ابتداع في العادات؛ كابتداع المخترعات الحديثة؛ وهذا مباح؛ لأن الأصل في العادات الإباحة، وابتداع في

(١) ابن منظور، لسان العرب، [مرجع سابق] مادة بدع (٦/٨).

(٢) انظر: الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، محاضرات في العقيدة والدعوة، [الرياض - دار العاصمة - ط الأولى ١٤١٣هـ] (١٠٧/١).

(٣) أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام بتحقيق سليم الهلالي [الخبر - دار ابن عفان - ط الأولى ١٤١٢هـ] (٥١/١).

الدين، وهذا محرم ؛ لأن الأصل فيه التوقيف^(١) لقوله ﷺ: (من أحدث في الدين، وهذا محرم ؛ لأن الأصل فيه التوقيف^(١) لقوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد^(٢)).

٢- حرص الإمام على إنكار البدع و سبب ذلك:

أنكر الإمام محمد -رحمه الله- الابتداع في الدين، وتبرأ منه، فقال: (..ونحن والله الحمد متبعين غير مبتدعين..)^(٣)، وأكد -رحمه الله- رفضه الابتداع بجميع صورته؛ لعلمه أن دين الله قائم على أساسين: أن لا يعبد إلا الله، وألا يُعبد إلا بما شرع^(٤)، يقول الإمام -رحمه الله- في بيان ذلك: (..والمقصود بيان ما نحن عليه من الدين، وأنه عبادة الله وحده لا شريك له فيها؛ بخلع جميع الشرك، ومتابعة الرسول فيها؛ بخلع جميع البدع، إلا بدعة^(٥) لها أصل في الشرع؛ كجمع المصحف في كتاب واحد، وجمع عمر ﷺ الصحابة على التراويح جماعة، وجمع ابن مسعود أصحابه على القصص كل

(١) انظر: الشاطبي، الاعتصام، [مرجع سابق] (٥١/١).

(٢) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جورٍ فالصلح مردود، [ك٥٧ - ب٥ - ح٢٥٥٠] (٩٥٩/٢).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٠/٥).

(٤) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، العبودية، بتحقيق بشير محمد عيون [الرياض - مكتبة دار الوعي الإسلامي - ب ت] (ص٢٥).

(٥) بالاعتبار اللغوي لا الشرعي.

خميس ونحو ذلك، فهذا حسن^(١)، وليس مقصود الإمام - رحمه الله - أن هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة، إنما المقصود بلفظ البدعة هنا البدعة اللغوية لا الشرعية، حيث خصصها بقوله: (.. إلا بدعة لها أصل في الشرع)، (والبدعة ما ليس له أصل في الشرع يرجع إليه، وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع؛ لأن النبي ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن)^(٢).

ولم يكنف الإمام - رحمه الله - بإنكار البدع بنفسه^(٣)، بل حرص على تعليم طلابه خطورة البدع ومسائلها، وطلب حضورهم لمدارسها وتفهمها^(٤)، كما اجتهد في حث المدعويين على محاربة البدع وتركها، وجعل ذلك داخلياً في نصرة دين الله ورسوله، فقال: (وليعلم الواقف على هذا الكلام.. وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ وترك البدع، وإن اشتهرت بين أكثر العوام، وليعلم أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم من تحقيق هذه المسائل، ونقل كلام العلماء، فرحم الله من نصر الله ورسوله ودينه، ولم تأخذه في الله لومة لائم)^(٥).

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٠٧/٥).

(٢) انظر: الشيخ صالح الفوزان، محاضرات في العقيدة والدعوة، [مرجع سابق] (١١٠/١).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٣١/٥، ١٣٢، ١٣٤).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١/٥).

(٥) انظر: المرجع السابق، (١٨٠/٥).

وجعل الإمام من أسباب اهتمامه بمحاربة البدع، ما رآه من جهل الناس بها، والتباس الأمر، حتى على (المطاوعة) الذين ينقل بعضهم كلام المبتدعة، ظاناً أنه داخل في معتقد أهل السنة^(١)، إضافة إلى ما توهمه بعض هؤلاء المطاوعة من أن البدع إنما كان انتشارها في السابق، وقد خلا منها زمن الإمام ومعاصريه^(٢)، وقد ردّ - رحمه الله - على هذه المزاعم والأوهام.

كما بين الإمام أن من أهم عوائق محاربة البدع: كثرة انتشارها بين الناس^(٣)، إضافة إلى شدة تعلقهم بها، إذ أنهم لما صعبت عليهم التكاليف الشرعية التي كلفهم الله بها (عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ..)^(٤).

٣- إنكاره تقسيم البدع إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة :

قرر الإمام - رحمه الله - في أكثر من موضع من رسائله أن كل بدعة ضلالة، ونفى أن يكون هناك بدعة حسنة، واستنكر على أحد المدعويين زعمه - أن التذكير يوم الجمعة^(٥) بدعة حسنة، فقال: (.. ومن أعجب

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٣٣/٥) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١٣٤/٥) .

(٣) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) ، (١٨٠/٥) .

(٤) من رسالة أرسلها الإمام لأهل العينة وهو ينقل هنا عن أبي الوفاء بن عقيل - رحمه الله - انظر : حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام ، [مرجع سابق] (٣١/٢) .

(٥) سيأتي تفصيل هذه البدعة وردّ الشيخ عليها في البحث الرابع من هذا الفصل ص .

العجاب أنت تقول بدعة حسنة والنبى ﷺ يقول (كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)^(١)، ولم يستثن شيئاً...^(٢)، بل أورد الإمام كثيراً من النصوص الدالة على تحريم البدع وبطلانها؛ منها قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٢٣]، ثم قال الإمام معلقاً على هذه الآية: (فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله ﷺ وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا، وترك البدع والتفرق والاختلاف...)^(٣).

وقال في موضع آخر: (.. وأما متابعة الرسول ﷺ فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس

(١) أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، [مرجع سابق] كتاب السنة، باب في لزوم السنة [ك ٣٤ - ب ٦ - ح ٤٦٠٧] [١٥/٥] وذكره الرمزي تعليقاً في كتاب العلم حديث (٢٦٧٨) باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وقال: (هذا حديث حسن صحيح). وأخرجه مسلم بلفظ: (.. وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) مسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق] كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة [ك ٧ - باب ١٣ - ح ٨٦٧] [٤٩٦/٢].

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٣٤/٥) وانظر أيضاً (٢٣٥/٥).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١١٠/٥).

منه، فهو رد^(١)، رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد)^(٢)، فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله [ﷺ]؛ فما وافق منها قبل، وما خالف منها ردّ على فاعله كائناً من كان^(٣).

٤- بيانه أن البدع باطلة ولو صحت نية صاحبها:

ويبين الإمام -رحمه الله- أن البدع منهي عنها، (ولو صحّت نية فاعلها)^(٤)، لأنها تبقى على هذه الحال بدعة داخلية في عموم النهي.

٥- إشارته إلى حرص العلماء على إنكار البدع:

يبيّن الإمام -رحمه الله- أنه لم يأت بشيء جديد حين حرص على إنكار البدع، وأكد أن العلماء اهتموا من قبل بإنكار البدع، وحرصوا على محاربتها^(٥)، حتى إن بعضهم أفردوا تصانيف، وألفوا كتباً مستقلة في بيان البدع والتحذير منها، ذكر الإمام من تلك التصانيف كتاب (الباعث على

(١) سبق تخريجه (ص ٢٧٠) من هذا البحث.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق]، كتاب: الأفضية، باب: نقض الأحكام الباطلة، وردّ محدثات الأمور، [ك ٣٠ - ب ٨ - ح ١٧١٨] [١٠٨٣/٣].

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٠٦/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (٨٤/٥).

(٥) انظر: المرجع السابق، (١٣٣/٥).

إنكار البدع والحوادث^(١)، للإمام (أبي شامة)^(٢) محدث الشام^(٣)، وكتاب (الحوادث والبدع)^(٤)، للإمام أبي بكر (الطرطوشي)^(٥)، المالكي^(٦).

٦- تذكيره بأدلة انتشار البدع في آخر الزمان:

أشار الإمام في عدة مواضع من رسائله^(٧) إلى ما دلت عليه النصوص من انتشار البدع آخر الزمان، حيث يقول الإمام في رسالته إلى عبد الله بن محمد

(١) هذا الكتاب مطبوع عدة طبعات، منها: طبعة دار الأصفهاني بمجدة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

(٢) هو: عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي أبو شامة (٥٩٩ - ٦٦٥). مؤرخ محدث، ولد في دمشق وبها نشأته ووفاته، ولي مشيخة دار الحديث، ولقب بأبي شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر، له عدة مؤلفات منها: كتاب الروضتين، والوصول في الأصول، والباعث على إنكار البدع والحوادث. انظر: الزركلي، الأعلام [مرجع سابق] (٢٩٩/٣).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٧١/٥، ١٧٨).

(٤) طبع الكتاب عدة طبعات، منها طبعة دار ابن الجوزي بالدمام، بتحقيق علي بن حسن عبد الحميد الحلبي الأثري وقد صدرت منها الطبعة الثانية عام ١٤١٧هـ.

(٥) هو الإمام محمد بن الوليد الطرطوشي (٤٥١-٥٢٠هـ)، نسبة إلى (طرطوشة) من بلاد الأندلس، شيخ المالكية وعالم الإسكندرية، له العديد من المصنفات، منها: كتاب الزهد، وبر الوالدين، والرد على اليهود، وكتاب الحوادث والبدع، انظر: الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، [مرجع سابق] (٤٩٠/١٩).

(٦) انظر: المرجع السابق، (١٧٩/٥).

(٧) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٦٦/٥، ٧٠، ١١١، ١١٢، ١٧٩، ٢٣٧، ٢٥٧،

ابن عبد اللطيف: (... وتأمل قوله في الصحيح: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) ^(١)، وقوله ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم) .. إلى آخره) ^(٢)، ويقول الإمام في موضع آخر: (وهل يتصور شيء أصرح مما صح عنه ﷺ أن أمته ستفترق على أكثر من سبعين فرقة، أخير أنهم كلهم في النار إلا واحدة) ^(٣)، ثم وصف تلك الواحدة أنها التي على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه) ^(٤).

المسألة الثانية: بيانه بعض طوائف المبتدعة وتحذيره منهم:

لم يكتف الإمام -رحمه الله- بالحديث عن البدع إجمالاً؛ بل تحدث بالتفصيل عن بعض طوائف المبتدعة ورؤوسهم، مناقشاً ومحذراً، ويمكن توضيح ذلك من خلال النقاط التالية:

- (١) أخرجه ابن ماجة من حديث أبي هريرة في كتاب الفتن، باب بدأ الإسلام غريباً (ك٣٦-ب ١٥٠-ح ٣٩٨٦) سنن ابن ماجة، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، [القاهرة، دار الحديث، ب ت] [١٣١٩/٢]. وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ أن رسول الله ﷺ قال: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء)، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً (ك١، ب ٦٥، ح ٢٣١) الإمام مسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق] كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً [ك١، ب ٦٥، ح ١٤٥] [١١٨/١].
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه، الإمام البخاري، صحيح البخاري [مرجع سابق]، كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم، [ك٣-ب ٣٤-ح ١٠٠] [٥٠/١].
- (٣) يشير الإمام هنا إلى ما أخرجه ابن ماجة من حديث أنس ﷺ، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم [ك٣٦، ب ١٧، ح ٣٩٩١]، ابن ماجة، سنن ابن ماجة، [مرجع سابق] [١٣٢١/٢] وصححه الألباني برقم ٢٠٤٢، صحيح الجامع، [مرجع سابق] [٤٠٩/١].
- (٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٩/٥).

(١) الخوارج.

(٢) الرافضة.

(٣) الفرق الكلامية (الجهمية والمعتزلة) وبعض رموزهم.

(٤) القدرية.

(٥) الصوفية وبعض رؤوسهم ومظاهر الغلو عند بعضهم:

(الغلو في مقام النبي ﷺ، الغلو في الصحابة رضي الله عنهم، الغلو في بعض الفساق وأهل الضلال، الغلو في بعض المواضع ونحوها، بعض رؤوس الصوفية الغلاة المعاصرين للإمام محمد رحمه الله).

١- الخوارج :

تحدث الإمام -رحمه الله- في عدة مواضع من رسائله عن فرقة الخوارج^(١)، وساق بعض الأحاديث الواردة في حقهم، فقال: (فانظروا

(١) الخوارج : هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد قبوله مبدأ التحكيم بينه وبين معاوية عليه السلام فخرجوا عليه بقولهم: لم حكمت الرجال لا حكم إلا لله- مع أنهم هم الذين حملوه على التحكيم أولاً- وهم عشرون فرقة أكبرها ست، ويجمعهم القول بالتبرى من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً وواجباً، انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، [مرجع سابق] (١٠٦/١)، وعبدالقاهر الاسفرائيني، الفرق بين الفرق، [بيروت - دار المعرفة- ب ت] (ص ٧٢).

قوله ﷺ في الخوارج: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم)^(١)، وقوله: (شر قتلى تحت أديم السماء)^(٢)، مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم)^(٣)، وقال مخاطباً سليمان بن سحيم: (وما تقول في الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: (لكن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)^(٤)، (أينما لقيتموهم فاقتلوهم)^(٥).

(١) أخرجه البخاري من رواية علي بن أبي طالب، البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب استنابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم [ك ٩٢ - ب ٦ - ح ٦٥٣١] (٢٥٣٨/٦).

(٢) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن، وهو من رواية أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، الترمذي، الجامع الصحيح (سنن الترمذي) [مرجع سابق] كتاب التفسير - باب سورة آل عمران - [ك ٤٤ - ب ٣ - ح ٣٠٠٧] (٢٢٦/٥) وأخرجه أحمد في مسنده، الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، [مرجع سابق] برقم (٢٢٦٤٧) (٣١٥/٥).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٤٤/٥) وانظر: المرجع السابق (٢٤٢/٥).

(٤) أخرجه البخاري من رواية أبي سعيد بن جابر، البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب الأنبياء - باب قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [ك ٦٤ - ب ٩ ح ٣١٦٦] (١٢١٩/٣).

(٥) أخرجه البخاري من رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام [ك ٦٥ - ب ٢٢ - ح ٣٤١٥] (١٣٢٢/٣).

وذكر الإمام - رحمه الله - بعض بدع الخوارج وضلالاتهم، وبين أن منها: (أن الخوارج يكفرون بالذنوب)^(١)، وساق ما قاله ابن القيم - رحمه الله - في نونيته حين قال:

من لي بمثل خوارج قد كفّروا . . . بالذنب تأويلاً بلا برهان^(٢)
 كما بين الإمام - رحمه الله - سبب ضلالهم، وذكر (إجماع الناس أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والغلو والاجتهاد، وهم يظنون أنهم يطيعون الله)^(٣).

٢- الرفضة:

تضمنت رسائل الإمام - رحمه الله - الحديث أيضاً عن فرقة الرفضة^(٤)، حيث بين الإمام - رحمه الله - خطورة هذه الفرقة، وأنهم من أول من أدخل

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٠٩/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢٠٨/٥-٢٠٩).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٤٤/٥-٢٤٥) وانظر رسالة الشيخ إلى أهل العين، حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٥/٢).

(٤) الرفضة: فرقة من الشيعة وهم الذين كانوا قد اعترفوا بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام إلا أنهم لما عرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين، رفضوه، فسموا بالرفضة، وهم خمس فرق يعيل بعضها في الأصول إلى الاعتزال.

والشيعة: هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته نصاً ووصية إما جلية وإما خفية، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت، فبظلم يكون من غيره، أو بقتية من عنده، وأول من أظهر بدعته منهم السبئية الذين قال بعضهم لعلي عليه السلام: أنت الله، فأحرق علي عليه السلام قوماً منهم، انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، [مرجع سابق] (١٤٤/١) وانظر: عبد القاهر الاسفرائيني، الفرق بين الفرق، [مرجع سابق] (ص ٢١).

الشرك في هذه الأمة، حيث يقول الإمام مبيناً عقيدته ومنهجه في رسالته إلى السويدي - وهو عالم من أهل العراق -: (.. وبيّنت لهم (يعني للمدعويين) أن أول من أدخل الشرك في هذه الأمة هم الرافضة الملعونة الذين يدعون علياً وغيره، ويطلبون منهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات)^(١).

كما قرر الإمام أن بدعة الرافضة قد تؤدي إلى المروق من الإسلام، وساق ما قاله الإمام تقي الدين ابن تيمية - رحمه الله - الذي ذكر حديث الخوارج، ثم قال: (فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه ممن قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة قد يمرق أيضاً، وذلك بأمور؛ منها: الغلو الذي ذمه الله تعالى، كالغلو في بعض المشائخ كالإمام عدي^(٢)، بل الغلو في علي بن أبي طالب، [وهو يشير هنا إلى

(١) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٦/٥) .

(٢) يعني : الشيخ عدي بن مسافر الشامي ثم الهكاري (ت ٥٥٧هـ) من شيوخ الزهاد ، ولد في بيت قار (من أعمال بعلبك - شرق دولة لبنان حالياً)، وجاور بالمدينة أربع سنوات ، وبنى زاوية في جبل الهكارية (من أعمال الموصل - شمال دولة العراق حالياً) فانقطع للعبادة وتوفي ودفن بها، قال عنه الذهبي: (الشيخ الإمام الصالح القدوة، زاهد وقته) كان صالحاً ناسكاً عابداً، إليه تنسب الطائفة العدوية، وانتشرت طريقته في أهل السواد والجبل، وغالى أتباعه العدوية في اعتقادهم فيه، واتخذوا قبره قبلة لهمن وزعموا أنه تحمّل عنهم صومهم وصلاتهم، وسيذهب بهم يوم القيامة للجنة من دون عقاب، واعتقدوا اعتقادات زائفة، قال الذهبي: (وتبعه خلق جاوز اعتقادهم فيه الحد، حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها ..) وقد سئل ابن تيمية عنه فذكر أنه (كان رجلاً صالحاً .. ومن أصحابه من غلوا فيه غلواً عظيماً يبلغ بهم غليظ الكفر). انظر : جمع عبدالرحمن بن قاسم، مجموع الفتاوى، [مرجع سابق] (١٠٣/١١) وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء [مرجع سابق] (٣٤٢/٢٠)، و: ابن خلكان، وفيات الأعيان، [مرجع سابق] (٤١٥/٣)، و الزركلي، الأعلام، [مرجع سابق] (٢٢١/٤).

الرافضة]، بل الغلو في المسيح ونحوه^(١)، كما بين الإمام أن الرافضة يدعون علي بن أبي طالب وهو بريء منهم^(٢)، وقال: (أضرم لهم علي بن أبي طالب ناراً فأحرقهم بها، وأجمعت الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس [رضي الله عنه] أنكر تحريقهم بالنار، وقال: يقتلون بالسيف)^(٣).

فلا خلاف بين الصحابة في ردتهم واستحقاقهم القتل، وإنما اختلفوا في كيفية القتل فقط، وهذا الحكم خاص بغلاتهم؛ فقد بين الإمام أن (غلاة الرافضة .. الذين يقذفون عائشة، ويكذبون القرآن، وكذلك الذين يزعمون أن جبريل غلط، وغير هؤلاء ممن أجمع أهل العلم على كفرهم)^(٤)، وساق الإمام ما ذكره الحجاوي في الإقناع من أن (من سب الصحابة، واقترب بسببه دعوى أن علياً إله أو نبي، أو أن جبريل غلط، فلا شك في كفر هذا، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره)^(٥).

ومن ضلّاهم أنهم إذا رأوا (من عرف حقوق أصحاب رسول الله ﷺ وأحبهم، ولم يقل فيهم، رموه ببغض أهل بيت رسول الله ﷺ)^(٦).

- (١) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٧٧/٥) .
- (٢) انظر : المرجع السابق ، (٥٥/٥) وانظر المرجع نفسه (٥٢/٥ ، ١٤٧) .
- (٣) انظر : المرجع السابق (٢٣٣/٥) وانظر : المرجع نفسه (١٣٦/٥ ، ١٤٨ ، ٢١٩ ، ٢٤٥) .
- (٤) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣٦/٥) .
- (٥) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) ، (٦٨/٥) وانظر : المرجع نفسه (١٤٧/٥) وانظر : الحجاوي، الإقناع، [مرجع سابق] (٢٩٩) .
- (٦) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) ، (١٧٦/٥) .

ورغم أن الإمام ينكر على الرافضة غلوهم في أهل البيت، إلا أن ذلك لم يجعله يغفل عن أهمية معرفة حقوق أهل البيت، ووجوب محبة الصالحين منهم وموالاتهم، ولذا نراه يوجه بعض أتباعه ويلفت انتباههم إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب (لأهل بيت رسول الله ﷺ) على الناس حقوقاً، فلا يجوز لمسلم أن يسقط حقهم، ويظن أنه من التوحيد، بل هو من الغلو^(١)؛ لأن الغلو هو مجاوزة الحدّ مدحاً أو ذمّاً^(٢).

٣- المتكلمون:

تحدث الإمام -رحمه الله- عن ما يسمى بعلم الكلام، ويبيّن إجماع السلف -رحمهم الله تعالى- على: (أن علم الكلام بدعة وضلالة، حتى قال أبو عمر بن عبد البر: أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات، لا يعدّون عند الجميع من طبقات العلماء)^(٣).

كما بيّن الإمام -رحمه الله- أن أهل الكلام، وإن كان منهم أهل ذكاء وفطنة وزهد وأخلاق^(٤)، إلا أنهم مقرون على أنفسهم أنهم مخالفون

(١) المرجع السابق، (٢٨٤/٥).

(٢) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر [مرجع سابق] (٣/٣٨٢)، ابن مفلح، الآداب الشرعية [مرجع سابق] (٥٢/١).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٥/٢٦٣).

(٤) انظر: المرجع السابق، (٥/٢٢٣، ٢٦٤).

للسلف^(١)، فهم يسمون (طريقة رسول الله ﷺ حشواً وتشبيهاً
وتجسيماً)^(٢)، وتوحيدهم إنما هو (بالقول، لا بالعبادة والعمل)^(٣)، وحقيقة
(التوحيد الذي يدعونهُ إنما هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات)^(٤)، وهذا
التوحيد هو الذي سماه السلف توحيد أهل الباطل، قال الإمام -رحمه الله-
في رسالته لعبد الله ابن سحيم ناقلاً عن شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية،
بعد كلام له على من قال: إن الله تعالى ليس بجوهر ولا عرض... قال رحمه
الله: (فهذه الألفاظ لا يطلق إثباتها ولا نفيها كلفظ الجوهر والجسم والتجيز
والجهة ونحو ذلك من الألفاظ، ولهذا لما سئل ابن سريج^(٥) عن التوحيد،
فذكر توحيد المسلمين قال: (وأما توحيد أهل الباطل، فهو الخوض في
الجواهر والأعراض، وإنما بُعث النبي ﷺ بإنكار ذلك)^(٦).

(١) انظر: المرجع السابق، (٢٦٣/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٢٣/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) ابن سريج: أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي القاضي. (ت ٣٠٦)، صاحب

المصنفات، وصفه الإمام الذهبي بـ (الإمام، شيخ الإسلام، فقيه العراقيين)، وكلي القضاء بشيراز،

وكان يفضل على جميع أصحاب الشافعي، له أكثر من (٤٠٠) مصنف؛ منها (الأقسام

والخصال) و(الودائع لمنصوص الشرائع). انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء [مرجع سابق]

(١٤/٢٠١)، والزركلي الأعلام [مرجع سابق] (١٨٥/١).

(٦) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٣١/٥).

وبيّن الإمام - رحمه الله - ضلال مذهبهم، ومخالفته للعقول، وذكر مثلاً لذلك ما ردّ به الفلاسفة على المتكلمين وخصّموهم به، حين أنكر المتكلمون على الفلاسفة تأويلهم آيات الأمر والنهي؛ مثل قولهم: المراد بالصيام كتمان أسرارنا، والمراد بالحج زيارة مشايخنا، والمراد بجزيل العقل الفعال، وغير ذلك من إفكهم، وأن ذلك التفسير بخلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام، فقال لهم الفلاسفة: أنتم جحدتم علو الله على خلقه واستواءه على عرشه مع أنه مذكور في الكتب على السنة الرسل، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم وغيرهم من أهل الملل، فكيف يكون تأويلنا تحريفاً وتأويلكم صحيحاً؟ فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب على هذا الإيراد^(١).

ثم قال الإمام: (والمراد أن مذهبهم - مع كونه فاسداً في نفسه مخالفاً للعقول - وهو أيضاً مخالف لدين الإسلام والكتاب والرسول وللسلف كلهم، ويذكرون في كتبهم أنهم مخالفون للسلف، ثم مع هذا راجت بدعتهم على العالم والجاهل، حتى طبقت مشارق الأرض ومغاربها)^(٢)، وهم معترفون - كما بيّن الإمام - أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي، بل من عقولهم، حتى (إنك إذا طالعت في كتاب من كتب الكلام.. تجد الكتاب من أوله إلى آخره لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله، اللهم إلا أن يذكره ليحرفه عن مواضعه)^(٣).

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٦٤/٥).

(٢) المرجع السابق، (٢٦٤/٥).

(٣) المرجع السابق، (٢٦٣/٥).

والحق أن بدعة الكلام من أخطر البدع وأشدّها ضرراً على الإسلام والمسلمين، حتى إن الإمام -رحمه الله- في رسالته التي أرسلها إلى أهل الغيبة نقل كلاماً نفيساً لأبي العباس ابن تيمية في الرد على المتكلمين، لما ذكر أحوال بعض أئمتهم، حيث قال: (وكل شرك في العالم إنما حدث برأي جنسهم، فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له، ومن لم يأمر منهم بالشرك، فلم يبه عنه، بل يُقرّ هؤلاء وهؤلاء، وإن رجّح الموحدين ترجيحاً، فقد يرجح غيره المشركين)^(١).

كما تناول الإمام -رحمه الله- بشيء من التفصيل بعض الطوائف الكلامية كالمعتزلة^(٢)، والجهمية^(٣)، ويبيّن أن السلف -رحمهم الله- عدّوهما

(١) انظر: حسين بن غنام، زوضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] [٣٠/٢].

(٢) المعتزلة: هم أصحاب واصل بن عطاء الغزال، لما اعتزل مجلس الحسن البصري، يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ويثبت المنزلة بين المنزلتين فطرده، فاعتزله وتبعه جماعة سمو بالمعتزلة. انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، صححه وعلق عليه أحمد فهمي محمد، [بيروت- دارالكتب العلمية- ط الثانية- ١٤١٣هـ] [٣٨/١].

(٣) الجهمية: هم أصحاب جهنم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمز- شرق دولة إيران حالياً- ووافق المعتزلة في نقي الصفات، وزاد عليهم أشياء منها: قوله: إن الإنسان مجبور في أفعاله بلا اختيار، وكذلك الثواب والعقاب جبر، وقوله: إن الجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما، وقد كفره أهل السنة، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرور بخراسان (شرق إيران حالياً) في آخر ملك بني أمية. انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، [مرجع سابق] [٧٣/١، ٧٤].

من فرق المبتدعة، وذكر من انحرافاتهم في العقيدة إطلاقهم الألفاظ المجملة التي لم تأت بها النصوص في باب الأسماء والصفات؛ كلفظ الجسم والجوهر والحيز. يقول الإمام: (.. فالذي يقول: ليس بجسم ولا.. ولا.. هم الجهمية والمعتزلة، والذين يثبتون ذلك هو هشام^(١) وأصحابه. والسلف بريئون من الجميع؛ من أثبت بدعوه، ومن نفى بدعوه)^(٢).

كما ذكر الإمام -رحمه الله- بعض رؤوس المتكلمين من الجهمية والمعتزلة، ويبيّن أن منهم من كفره علماء السلف، وأفتوا بردته، ووجوب قتله، مثل الجعد بن درهم^(٣)، حيث نقل الإمام -رحمه الله- (إجماع أهل العلم من التابعين وغيرهم على قتل الجعد بن درهم، قال ابن القيم -رحمه الله-:

(١) سبقت ترجمته (ص ٢٧٥).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٣٢/٥).

(٣) الجعد بن درهم، عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، فقتله خالد بن عبد الله القسري بالعراق يوم النحر، والقصة مشهورة، وكان الجعد من أهل الشام، وكان مؤدب مروان الحمار، وهو شيخ الجهم بن صفوان، الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية، وقد تلقى مذهبه الخبيث عن رجل يقال له أبان بن سمان، الذي أخذه عن طالوت ابن أخت ليبيد بن أعصم، وأخذه طالوت عن خاله ليبيد بن أعصم الذي سحر النبي ﷺ في مشط ومشاطة، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، [مرجع سابق] (٢١/١٠) وانظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، بتحقيق د. عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط الخامسة ١٤١٣هـ] (٣٩٥/٢).

فيهما مثل أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فهو عنده على مذهب هشام الرافضي^(١) ^(٢).

٤ - القدرية:

تضمنت رسائل الإمام - رحمه الله - الحديث عن فرقة القدرية^(٣)، حيث ذكر الإمام (إجماع السلف على تكفير غلاة القدرية وغيرهم، مع علمهم وشدة عبادتهم وكونهم أنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم لأجل كونهم لم يفهموا)^(٤)، وليس هذا الحكم مطرداً على جميع القدرية، بل هو خاص بغلاتهم، الذين أنكروا القدر، وزعموا أن لا قدر، وأن الأمر أنف^(٥)، أما بقية القدرية غير الغلاة، فلم يحكم أهل السنة بكفرهم، بل إن الإمام محمداً - رحمه الله - أنكر على سليمان بن

(١) سبق ترجمته ص ٢٧٥، والمعنى أن المويس يظن أن من أنكر الكلام في ما لم يرد في النصوص إثباته ولا نفيه من الصفات، فهو مشبه بجسم، مثل هشام الرافضي.

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٣٢/٥).

(٣) هم منكرو القدر، الذين يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، وأول من تكلم بهذه المقالة: سعيد بن خالد الجهني، الذي كان يجالس الحسن البصري، وعنه أخذ أهل البصرة لما رأوا عمرو بن عبيد قد انتحله، وقد قتله الحجاج بن يوسف صبراً. انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، [مرجع سابق] (٧٨/١) وشرح النووي على صحيح مسلم، [مرجع سابق] (٢٦٨/١).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٤٥/٥).

(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، [مرجع سابق] (٢٧١/١).

سحيم إطلاقه تكفير القدرية بالعموم دون تفصيل؛ فقال عن الأوراق التي أرسلها ابن سحيم: (ثم ذكر فيها كفر القدرية، والعلماء لا يكفرونهم) (يعني بالعموم، بل يكفرون غلاتهم فقط) فكفر ناساً لم يكفروا^(١).

٥- التصوف^(٢):

تحدث الإمام -رحمه الله- في رسائله عن الصوفية والتصوف، إلا أنه لم يذم هذا المسلك بإطلاق، بل خصّ بالذمّ غلاة الصوفية، لأن التصوف - كما قال ابن تيمية- (مرّ بمراحل وأطوار متعددة، والكلام بذمه مطلقاً خطأ؛ لأنه يُدخل في الذم من لا يستوجب الذم لسلامته، والكلام بمدحه مطلقاً خطأ أيضاً؛ لأنه يُدخل في المدح من لا يستوجبه، وفيه من يذم من وجه ويُمدح من وجه آخر)^(٣)، ولذلك نرى الإمام محمداً -رحمه الله- يفرق بين التصوف البدعي، وبين ما يطلق عليه تصوف، كالزهد والورع، وما جاءت

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٨٨/٥).

(٢) التصوف لفظ مبتدع يراد به: التنسك والعبادة والزهد في الدنيا وتفريغ القلب من غير الله. والصوفية: هم المنتسبون لهذا الطريق: منهم العباد الصادقون، ومنهم المنحرفون، ومنهم الملحون، وقد اختلف في أصول التسمية؛ فذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن أصل كلمة التصوف: من لبس الصوف، لاختصاص أصحابه به، وذكر أقوالاً أخرى، انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، مجموع فتاوى ابن تيمية، [مرجع سابق] (٦/١١-٧).

(٣) ابن تيمية، مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية، تقديم وتعليق: عبدالرحمن دمشقية [الرياض - دار طيبة- ط ١٤٠٨هـ] (ص ١٢) وانظر: صابر طعيمة، الصوفية معتقداً ومسلِكاً، [الرياض- شركة العبيكان للطباعة والنشر- ط الأولى- ١٤٠٥هـ] (ص ٢٠).

الشريعة بتأييده، والحضّ عليه من تنزيه الباطن، وحب الله ورسوله، وحب أولياء الله تعالى، والإيمان بكرامات الأولياء، ونحو ذلك^(١)، في حين يرفض الإمام جميع أشكال التصوف التي تُخرج الإنسان عن دائرة إخلاص العبودية لله في جميع أنواع العبادات، وتنقله إلى التردّي في متاهات الجهل والخرافات التي انتشرت في زمن الإمام -رحمه الله- وما قبله وحاربها الإمام -رحمه الله- بلسانه وسنانه^(٢)، ولذلك يُلاحظ أن الإمام -رحمه الله- لا يمدح بإطلاق، كما لا يذم بإطلاق، بل يُعنى بنقض المعتقدات الفاسدة، ويحذر من مروّجيهها، ومن ذلك ما ذكره -رحمه الله- في سياق حديثه عن بعض الصوفية من أنه كما وجد في بعض الأمم من يغلو في عيسى عليه السلام^(٣)، ومن يغلو في عزيز عليه السلام^(٤) فكذلك وجد في هذه الأمة من يغلو في الأشخاص،

(١) ساقَت الباحثة : د. آمنة محمد نصير ، في كتابها : الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة ، [بيروت- دار الشروق- ط الأولى ١٤٠٣ هـ] (ص ١٦٠) شواهد من رسائل الإمام ومؤلفاته تدل على إيمانه بالكرامات، وحب أولياء الله ، وحثه على الزهد والورع، وعدم التعلق بالدنيا، والحرص على تنزيه الباطن من رذائل المعاصي المتعلقة بالقلب والجوارح ،، كما بينت بالشواهد أن الإمام حذر من التصوف البدعي ونهى عنه.

(٢) انظر : آمنة نصير ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة، [مرجع سابق] (ص ٢٧٥).

(٣) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٣٢/٥).

(٤) انظر : المرجع السابق.

ويجاوز بهم الحد، ويعتقد فيهم المعتقدات الفاسدة، كبعض الصوفية الذين غلو في مقام النبي ﷺ، وبعض صحابته، وبعض الصالحين من أمته من العباد والزهاد ونحوهم، كما بين الإمام - رحمه الله - أن صرف شيء من أنواع العبادة للصالحين أو غيرهم شرك، والصالحون بريئون من تلك الانحرافات^(١)، بل ذكر الإمام - رحمه الله - أن من الصوفية وغيرهم من غلا في بعض الفساق وأهل الضلال والزيغ والانحراف، فعظموهم، وصرفوا لهم بعض أنواع العبادة التي لا يجوز أن تصرف لغير الله تعالى، ومنهم من غلا في شجر أو حجر أو نحوه، وفيما يلي تفصيل ما ذكره الإمام - رحمه الله - في ذلك:

- الغلو في مقام النبي ﷺ:

بين - رحمه الله - أن من الصوفية من غلا في مقام النبي ﷺ، وخلع عليه بعض الصفات التي لا تصلح إلا لله سبحانه وتعالى، ومن ذلك (قول صاحب البردة^(٢)):

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به . . . سواك عند حدوث الحادث العمم
وقوله:

(١) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥٢/٥) .

(٢) هو البوصيري : محمد بن سعيد البوصيري المصري أبو عبد الله ، (ت ٦٩٦هـ) شاعر حسن الديباجة، له ديوان شعر (مطبوع)، وأشهر شعره البردة، ومطلعها: (أمن تذكر حيران بذى سلم) وهي جيدة السبك، إلا أن فيها جملة من المزالق والضلالات والغلو في مقام النبوة، انظر: الزركلي، الأعلام، [مرجع سابق] (١٣٩/٦).

ولن يضيق رسول الله جاهدك بي . . . إذ الكريم تجلى باسم منتقم^(١)
وقد استنكر بعض الخصوم على الإمام تخطئه لما جاء في البردة، بحجة
صلاح قائلها ومحبه للنبي ﷺ؛ فأجاب الإمام بأن صلاح الشخص لا يعصمه
من الخطأ، وقد أخطأ من هم خير منه حين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط^(٢)، ثم
قال الإمام متعجباً من موقف سليمان بن سحيم: (.. يا عجباً! إذا جرى هذا
من أولئك السادة (يعني الصحابة الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط)، كيف
ينكر علينا أن رجلاً من المتأخرين غلط في قوله: يا أكرم الخلق، كيف
تعجبون من كلامي فيه، وتظنون خيراً وأعلم منهم؟)^(٣).

ثم يعتب الإمام على أحد المنتسبين للعلم^(٤) في زمنه، كيف يلبس على
الناس بمدحه لقصيدة البردة، واستحسانها وشرحها، دون بيان ما فيها من
مخالفات، مع أنه ينتسب إلى أهل العلم، ويفسر القرآن والحديث، يقول
الإمام: (.. وأعجب من ذلك ما رأيت وسمعت ممن يدعي أنه أعلم الناس،
يفسر القرآن ويشرح الحديث بمجلدات، ثم يشرح (البردة)
ويستحسنها..)^(٥).

(١) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٧/٥) .

(٢) يشير إلى حديث سبق تخرجه ص ٣٤٥ .

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٧١/٥) .

(٤) لم يذكر الشيخ اسمه .

(٥) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٢٢/٥) .

- الغلو في الصحابة :

كما بين الإمام - رحمه الله - أن من الصوفية وغيرهم من غلا في الصحابة رضوان الله عليهم ، وقصد قبورهم في قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، ومن ذلك ما اتخذ بعض الصوفية في الشام من القباب على قبر الزبير بن العوام رضي الله عنه وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، وغيرهم ؛ حيث ذكر الإمام - رحمه الله - أنه نهى هو وأتباعه عن (الأوثان المجعلة على قبر الزبير^(١) ، وطلحة^(٢) ، وغيرهما في الشام أو في غيره)^(٣) ، وبين أن (من عبد الله ليلاً ونهاراً ، ثم دعا نبياً أو ولياً عند قبره ، فقد اتخذ إلهين اثنين ، ولم يشهد أن لا إله إلا الله ، كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزبير ... وكما يفعل قبل

(١) هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، أمه صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ ، أسلم الزبير وهو ابن ثمان سنين ، وهاجر إلى أرض الحبشة مرتين ولم يتخلف عن غزاة غزاها الرسول ﷺ وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، قتل ﷺ بعد أن انصرف يوم الجمل سنة ٣٦ هـ ، وكان عمره ٦٧ عاماً . انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، [بيروت - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١٥ هـ] [٤٥٧/٢ - ٤٦١] .

(٢) هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عمرو بن كعب القرشي التيمي ، أحد العشرة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، أبلى بلاءً عظيماً يوم أحد وفي غيرها من المغازي ، وقتل يوم الجمل سنة ٣٦ هـ ، وله أربع وستون سنة ، ودفن بالبصرة . انظر : المرجع السابق ، [٤٣٠/٣ - ٤٣٢] .

(٣) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣٧/٥) .

هذا عند قبر زيد^(١)، وغيره^(٢)، ثم أكد الإمام -رحمه الله- أن أولئك الصحابة والصالحين الذين غلا الناس فيهم وقصدوا قبورهم، لا يلحقهم نقص بما أحدثه الناس فيهم من المخالفات ، ويبيّن الإمام أن هذه قضية بدئية ، حتى إنه خاطب سليمان بن سحيم وسأله بأسلوب الاستفهام الإنكاري قائلاً: (..ومن قال: إن عيسى وعزيراً وعلي بن أبي طالب وزيد بن الخطاب وغيرهم من الصالحين يلحقهم نقص يجعل المشركين إياهم وسائط؟ .. حاشا وكلا .. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]..)^(٣).

-الغلو في الصالحين:

بيّن الإمام -رحمه الله- في رسائله أيضاً أن من الصوفية وغيرهم من غلا في بعض الصالحين من الزهاد والعباد ونحوهم؛ وأصبحوا يصرفون لهم ولأمثالهم بعض أنواع العبادات كالدعاء ونحوه، قال الإمام محمد -رحمه الله- (..فصار ناس من الضالين يدعون أناساً من الصالحين في الشدة والرخاء، مثل

(١) هو زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما، يكنى أبا عبد الرحمن، كان أسنّ من أخيه عمر، وأسلم قبل عمر، وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، قتل في معركة اليمامة سنة ١٢هـ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، [مرجع سابق] (٤٩/٢ - ٥٠٠).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٦٦/٥).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٣٢/٥).

عبد القادر الجيلاني^(١)، وأحمد البدوي^(٢)، وعدي بن مسافر، وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح..^(٣)

(١) الجيلاني : عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسيني، أبو محمد محيي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي، مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد سنة (٤٧١هـ) في جيلان شمال دولة إيران حالياً، وانتقل إلى بغداد شاباً، واتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب واشتهر، وكان يأكل من عمل يده، وتصدر للتدريس والإفتاء ببغداد وتوفي بها سنة (٥٦١هـ) ومن كتبه: ألفية الطالب الحق، والفتح الرباني، انظر: الزركلي الأعلام، [مرجع سابق] (٤/٤٧).

(٢) البدوي : أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني البدوي (٥٦٩-٦٧٥هـ)، المتصوف، صاحب الشهرة في الديار المصرية، ولد بفاس، وطاف البلاد، وأقام بمكة والمدينة، ودخل مصر فعظم شأنه فيها، وانتسب إلى طريقته جمهور كبير، وتوفي ودفن بطنطا، حيث يقام له كل عام احتفال بمولده يفد إليه الناس من جميع أنحاء القطر المصري، انظر: الزركلي، الأعلام، [مرجع سابق] (١/١٧٥). انتهت الترجمة.

- تعليق لا بد منه : العجيب : أن البدوي كان مجهولاً في عصره والعصر الذي يليه، فلم يتمكن معاصروه من معرفة حقيقة دعوته، فهو تارة يظهر في صورة المجذوب صاحب الكرامات الذي رفع عنه التكليف، وتارة يختار الدعاة، ويأخذ عليهم العهد، وينشرهم في مصر والشام واليمن، حتى اكتمل عددهم أربعين، وهم الذين يسمون السطوحية (نسبة إلى السطح الذي كان يسكنه بعيداً عن الناس لتزداد هيئته)، وليس هذا التخطيط المحكم من فعل المجاذيب، كما أن ما وصل إلينا من أذكاره وأشعاره، المليئة بادعاء خصوصيات الألوهمية وعقيدة الحلول والاتحاد، توحى - كما يؤكد بعض الباحثين - بوجود علاقة بينه وبين حركة الشيعة الباطنية، الرامية إلى إعادة الحكم العبيدي إلى مصر، حتى إن الظاهر بيبرس كان يشك في نواياه، خوفاً من تجدد المؤامرات الشيعية الباطنية، فأرسل القاضي ابن دقيق العيد ليتقصى أمره، ورغم أنه قابله بالفعل - كما تذكر بعض الروايات - وقال له: (يا أحمد، هذا الحال الذي أنت فيه ما هو مشكور، فإنه مخالف للشرع الشريف، فإنك لا تصلي ولا تحضّر الجماعة، وما هذه طريقة الصالحين). إلا أن هذه الرحلة لم تفلح في إزالة الشكوك عند الظاهر بيبرس. انظر: د. عبد الله صاير، السيد البدوي، دراسة نقدية، [مصر - دار الطباعة والنشر الإسلامية - ب.ت] ص ٦ إلى ص ٥٥، والشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، قرّة عيون الموحدين بتحقيق بشير محمد عيون [دمشق - مكتبة دار البيان - ط الأول ي ١٤١١هـ] ص ١٠٦ و ١٠٧.

(٣) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٦٥) وانظر : (٥/٥٢، ١٤٧، ١٥١، ٢٣٣).

واستطرد الإمام في بيان بعض صور الانحراف والغلو التي أحدثها الناس. وساق - رحمه الله - بعض ما ذكره أهل العلم في حكمها، ومن ذلك (النذر الذي يقع من أكثر العوام، بأن يأتي إلى قبر الصلحاء قائلاً: يا سيدي، إن رُدَّ غائب أو عوفي مريض، أو قضيت حاجتي، فلك من الذهب والطعام أو الشمع كذا وكذا، (وأنه) باطل إجماعاً بوجوه؛ منها: أن النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها: أن ظن الميت يتصرف في الأمر واعتقاد هذا كفر ... وقد ابتلي الناس بذلك، ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي^(١)).

كما ساق الإمام - رحمه الله - في إحدى رسائله ما ذكره ابن تيمية في (الرسالة السنية) التي أرسلها إلى طائفة من أهل العبادة، ينتسبون إلى بعض الصالحين ويغفلون فيهم (حيث ذكر ابن تيمية في هذه الرسالة) حديث الخوارج، ثم قال: (فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ممن ينتسب إلى الإسلام من مرق منه، مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام قد يمرق من الدين، وذلك بأمر منها: الغلو الذي ذمه الله، مثل الغلو في عدي بن مسافر أو غيره، فكل من غلا في نبي أو صحابي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثنى أو أنا في حسبك ونحو هذا، كافر يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل)^(٢).

(١) انظر: المرجع السابق (١٧٧/٥-١٧٨) والإمام هنا ينقل عن أحد علماء الحنفية، وهو الشيخ

(قاسم) في شرح (درر البحار) .

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٧٧، ٦٧/٥).

- الغلو في بعض الفساق وأهل الضلالة والزيغ والانحراف:

لم يكتف بعض الصوفية وغيرهم من الجهال بالغلو في الصالحين، بل ذكر الإمام - رحمه الله - أن من الصوفية وغيرهم من غلا في بعض الفساق وأهل الضلالة والزيغ والانحراف، حيث بين الإمام أن من الصوفية (من ادعى أن ابن عربي^(١) .. إله^(٢))، مع أن العلماء ذكروا أن ابن عربي وطائفته (أكفر من فرعون، حتى قال ابن المقري الشافعي: من شك في كفر طائفة ابن عربي، فهو كافر..)^(٣).

كما بين الإمام أن من الصوفية وغيرهم (من يدعو شمساً وتاجاً وخطاباً)^(٤)، وذكر أيضاً أن العلماء قد قصّروا في ذلك الوقت، فلم ينهوا الناس (عن عبادة شمساً وأمثاله)^(٥).

(١) هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد ابن عربي، المعروف بـ (محيي الدين ابن عربي) (٥٦٠ - ٦٣٨هـ) فيلسوف من أئمة المتكلمين، ولد في الأندلس، وتوفي في دمشق، وله (شطحات) جعلت بعض العلماء يريقون دمه، منها: القول بوحدة الوجود، وله نحو أربعمئة كتاب، أشهرها: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، انظر: الزركلي، الأعلام، [مرجع سابق] (٢٨١/٦).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٦٩/٥).

(٣) انظر: المرجع السابق (٧٢/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (٨٩/٥) وانظر الحديث عن هؤلاء في الفصل التمهيدي (الحالة الدينية).

(٥) المرجع السابق (٦٣/٥).

بل إن بعضهم عابوا على الإمام نهيه الناس عن هذا الضلال، واستنكروا عليه تكفيره لشمسان وأولاده، حيث يقول الإمام في رسالته لعبد الله بن سحيم؛ التي فند فيها شبهات سليمان بن سحيم، وعدّد فيها ما أورده سليمان من المسائل التي جملتها أربع وعشرون مسألة، قال: (مسألة سادسة: وهي إفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم، وسميتهم طواغيت، وذلك أنهم يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله، عبادة أعظم من عبادة اللات والعزى بأضعاف، وليس في كلامي مجازفة، بل هو الحق، لأن عبادة اللات والعزى يعبدونها في الرخاء، ويخلصون لله في الشدة؛ وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياهم في شدائد البر والبحر)^(١).

والعجيب أن سليمان بن سحيم كان موافقاً للإمام محمد في تكفيره لشمسان وأمثاله، بل إنه قرأ رسالة الإمام التي فيها تكفير شمسان، ونسخها بيده، وكتب عليها تعليقاً يؤيد به ما جاء فيها، وقال: (ما ينكر هذا إلا أعمى القلب)^(٢)، ثم عاد يناقض نفسه، ويكذب ما جاء فيها.

وقد بين الإمام -رحمه الله- كفر كل من نصب نفسه للنذور، ودعا الناس إلى قصده بالقرايين، وصرف أنواع العبادة له، فأفتى -رحمه الله- (بكفر الطواغيت مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس والذين يعبدونهم مثل طالب الحمضي وأمثاله)^(٣).

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٧٥/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٢٢٨/٥).

(٣) المرجع السابق، (٢٤٠/٥).

كما بين الإمام - رحمه الله - أن بعض المتصوفة وغيرهم غلوا في أشخاص آخرين، فساد عند بعضهم (الاعتقاد في الزاهد، والمطيوية، والاعتماد عليهم)^(١)، (وعبادة العيدروس وأبي حديدة، وأمثالهما)^(٢)، واعتقاد صلاح (السائح الأعرج) وولايته، (وقد صرح في [الإقناع] بكفره)^(٣)، يعني ما ذكره الحجاوي - رحمه الله - في باب حكم المرتد من الأمور الموجبة للردة، والتي رأى الإمام محمد - رحمه الله - أن السائح الأعرج قد وقع فيها، كجعل الوسائط بينه وبين الله ومثل الطيران في الهواء، والمشي في الماء ونحوه^(٤).

كما ذكر الإمام - رحمه الله - في رسائله بعض الأشخاص الذين اشتهروا بالغلو في المخلوقين؛ مثل (طالب الحمضي، وأمثاله، الذين يشركون بالله في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ويزعمون أن حسيناً وإدريس ينفعون ويضرون؛ وهذه الربوبية، ويزعم أنهم ينحون ويُندبون؛ وهذا توحيد الألوهية)^(٥). وقد أفتى الإمام محمد - رحمه الله - بكفر طالب هذا في أكثر من موضع^(٦).

(١) انظر: المرجع السابق (٢٤١/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢١٧/٥) وانظر: (١٧٢/٥، ٢٢٣).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٢٦/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (الشخصية) (١٢٦/٥).

(٥) انظر: المرجع السابق، (٨٩/٥). ولم يعثر الباحث على ترجمة طالب هذا.

(٦) المرجع السابق، (٢٤٠/٥ - ٢٤٢).

كما بيّن الإمام أن ممن غلا في المخلوقين رجل يدعى عبداً لله بن عون، كان يصرف أنواعاً من العبادة لأبي حديدة^(١)، وكذلك ابن فيروز وصالح بن عبداً لله، وغيرهم ممن (عبد الوثن الذي على قبر يوسف وأمثاله)^(٢)، وقد أفتى الإمام -رحمه الله- بكفرهم، وحشد الأدلة على ذلك^(٣)، وحذّر الإمام أيضاً من بعض المتصوفة الضلال المعاصرين له، فقال: (وكذلك أيضاً من أعظم الناس ضلالاً متصوفة في معكال وغيره؛ مثل ولد موسى بن جوعان، وسلامة ابن مانع وغيرهما يتبعون مذهب ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ الناس كفراً من اليهود والنصارى)^(٤)، وبيّن الإمام أيضاً أن (عبدالكريم، وموسى بن نوح^(٥))^(٦) من المتصوفة الضلال، الذين كان سليمان ابن سحيم قد تظاهر بالتيرو منهم حين ناقشه عبد الرحمن الشنيفي ومن معه من أتباع الإمام، إلا أن سليمان عاد لمولاتهم بعد أن رحل عنه أتباع الإمام، وزعم أنهم على الحق، وأن الإمام وأتباعه على الباطل^(٧).

(١) انظر : المرجع السابق (٥/٢٢٣).

(٢) المرجع السابق ، (٥/٢١٦).

(٣) المرجع السابق الموضع نفسه.

(٤) انظر : المرجع السابق، (٥/١٨٩). ولم أعثر على ترجمة ابن مانع وابن جوعان.

(٥) لم أعثر على ترجمتهما.

(٦) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٢٢٩).

(٧) انظر : المرجع السابق (الشخصية) (٥/٢٢٩).

الغلو في بعض المواضع والأشجار والأحجار:

كما بين الإمام - رحمه الله - أن من الصوفية وغيرهم من غلا في بعض المواضع، وساق ما ذكره أحد علماء الشافعية^(١)، من (ما قد عمّ الابتلاء به [في زمن هذا العالم] من تزيين الشيطان للعامّة تخليق الحيطان والعمد، وإسراج مواضع في كل بلد؛ يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه أحداً ممن شهر بالصلاح، فيفعلون ذلك، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله، ثم يجاوزون ذلك إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي بين عيون وشجر وحائط وحجر، وفي دمشق - صانها الله - من ذلك مواضع متعددة، كعويضة الحمى، والشجرة الملعونة خارج باب النصر، سهل الله قطعها، فما أشبهها بذات أنواط)^(٢).

ثم بين الإمام أن من الصوفية وغيرهم من استمر على هذا المعتقد الفاسد، حتى في زمن الإمام - رحمه الله -، وأن منهم من لم يكتف بالغلو في الصالحين، فتجاوز ذلك بأن غلا في أهل الضلال، بل وفي الجمادات، كالشجر والحجر ونحوها، حيث يقول الإمام في إحدى رسائله لأحد المدعوين^(٣)، بعد أن تحدث عن شناعة الغلو في أحد الصالحين من شيخ أو

(١) هو أبو شامة في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٧٢/٥).

(٣) هو شخص سماه الإمام (الأخ فايز).

إمام أو نحوه: (فإذا وازنت بين هذا وبين ما يفعله أكثر الناس اليوم من دعوة الله^(١)، ودعوة أبي طالب، أو الكواز، أو أحسن الناس، أو شجرة، أو حجر، أو غير ذلك، تبين لك أن الأمر أعظم مما ذكرنا بكثير...)^(٢).

وذكر الإمام أيضاً أن منهم من وقع إلى جانب ذلك في تعاطي بعض المحرمات؛ كأكل الحشيشة، وساق الإمام ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من زعم بعضهم أن الحشيشة تحل للخاصة (الذين يزعمون أنها لقمة الذكر والفكر، وأنها تحرك العزم الساكن، وتنفع في الطريق...)^(٣).

(١) يعني أنهم يجمعون بين دعوة الله تعالى ودعوة أبي طالب، وكذلك بين دعوة الله ودعوة الكواز... الخ .

(٢) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٠٠/٥) .

(٣) انظر : حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام ، [مرجع سابق] (٤/٢) .

المبحث الثاني الدعوة والاحتساب

الدعوة: هي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة^(١)، وكفى بها شرفاً أنها وظيفة الأنبياء والرسل.

والاحتساب: هو الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله^(٢)، وهو - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - (من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها)^(٣).

وقد تحدّث الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في رسائله عن واجب^(٤) الدعوة والاحتساب، فبيّن أهمية هذا الواجب، وأنكر على من

(١) انظر: محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، [مرجع سابق] (ص ١٧).

(٢) انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، تعليق وتخريج خالد عبد اللطيف السبع العلمي [بيروت - دار الكتاب العربي - ط الأولى ١٤١٠هـ] (ص ٣٩١).

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بتحقيق د. صلاح الدين المنجد، [بيروت - دار الكتاب الجديد - ط الأولى ١٣٩٦هـ] (ص ٢٦).

(٤) لا شك أن الدعوة والاحتساب من أوجب الواجبات، وإنما اختلف العلماء في نوعية هذا الوجوب هل هو وجوب عيني أم كفايي، على تفصيل ليس هذا موضعه، انظر: محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، [مرجع سابق] المرجع السابق، ص ٣٣، ود. فضل إلهي، الحسبة تعريفها ومشروعيتها وحكمها، [باكستان - إدارة ترجمان الإسلام - ط الأولى ١٤١٠هـ] (ص ٢٩-٥٥).

فرط فيه، وذكر بعض الشواهد التي تدل على قيامه بنفسه بهذا الواجب، كما أشار -رحمه الله- إلى بعض الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها القائمون بهذا الواجب، وألح -رحمه الله- إلى بعض المعوقات التي ربما تعرض في طريق القائمين بهذه الرسالة الشريفة.

ويمكن تناول هذا المبحث من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول: بيانه فضل الدعوة والاحتساب، وحثه على القيام بهذا الواجب.

المطلب الثاني: إنكاره على من فرط في الدعوة والاحتساب، وترهيبه من ترك هذا الواجب .

المطلب الثالث: قيامه بواجب الدعوة والاحتساب بنفسه .

المطلب الرابع: الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها الداعية والمحتسب.

المطلب الخامس: معوقات في طريق الدعوة والاحتساب .

المطلب الأول

بيانه فضل الدعوة والاحتساب، وحثه على القيام بهذا الواجب

تحدث الإمام - رحمه الله - في رسائله - عن فضل الدعوة والاحتساب، ورغب في القيام بهذا الواجب، وذكر النصوص الدالة على فضله، وقال في رسالة إلى أحد المدعويين^(١): (... ويكون عندك معلوماً أن أعظم المراتب وأجلها عند الله؛ الدعوة إليه التي قال الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ الآية [نصت: ٣٢]، وفي الحديث (فوالله لأن يهدي بك رجلاً واحداً، خير لك من حُمْرِ النَّعَمِ)^(٢)^(٣).

وأكد الإمام على ضرورة نشر الدعوة بين الرجال والنساء وجميع فئات المجتمع، وخاصة مسائل الاعتقاد، وضرورة بيان خطر الشرك، وأن إنكار الإمام له (هو الحق الذي لا ريب فيه، وأن الواجب إشاعته في الناس وتعليمه النساء والرجال، فرحم الله من أدى الواجب عليه)^(٤).

(١) هذا (المرسل إليه) لم يُذكر اسمه واكتفى بذكر أنه (عالم من أهل المدينة) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (٤٤/٥).

(٢) أخرجه الشيخان، انظر: صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، [ك ٦٠ - ب ١٠١ - ح ٣٧٠١] [١٠٧٧/٣] ومسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق] كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، [ك ٤٤ - ب ٤ - ح ٢٤٠٦] [١٤٩٢/٤].

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٨/٥).

(٤) المرجع السابق، (١٢٧/٥).

كما حرص الإمام - رحمه الله - على تربية المدعوين على القيام بواجب الاحتساب والنصح، وشجعهم على ذلك، وأوضح لهم أنه سيفرح بهذا النصح، وسيعمل به إذا كان حقاً، ومن ذلك قوله لأحدهم^(١)، في نهاية رسالته إليه: (... وإن كان الصواب معهم [يعني الخصوم] أو معنا شيء من الحق وشيء من الباطل، أو معنا غلو في بعض الأمور، فالواجب منك مذاكرتنا ونصيحتنا، وتورينا عبارات أهل العلم، لعل الله أن يردنا بك إلى الحق ..)^(٢)، ويقول في موضع آخر: (... فإن كان مذكور لكم أنني قائل شيئاً، أو قائل أحد يحضرنى كلام سوء ولا ردّيت عليه، فاذكروا لي، ترى التنبيه حسن، ولا يدخل خاطري إلاّ ربما أنني أعرف أنه محبة وصفو)^(٣).

كما وجّه الإمام المدعوين وحرّضهم على القيام بواجب الاحتساب وإزالة المنكرات، كالأشجار التي يقصدها الجهال ويعظمون من شأنها، وساق الإمام في ذلك ما ذكره أحد علماء المالكية^(٤) مستحسناً لقوله، حين قال: (... فانظروا رحمكم الله، أينما وجدت سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء لمرضاهم من قبّلها، فهي ذات أنواط فاقطعوها)^(٥).

(١) هو أحمد بن يحيى، مطوع من أهل الرغبة.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٠١/٥).

(٣) المرجع السابق، (٣١٨/٥)، وانظر في المعنى نفسه: المرجع السابق، (٤٢/٥، ٢٨٩).

(٤) هو أبو بكر الطرطوشي، في كتاب الحوادث والبدع.

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٧٩/٥)، وانظر: الإمام أبو بكر الطرطوشي، كتاب

الحوادث والبدع، [مرجع سابق] (ص ٣٨) ..

المطلب الثاني

إنكاره على من فرط في الدعوة والاحتساب وترهيبه

من ترك ذلك الواجب

أنكر الإمام أشد إنكار على أولئك الذين فرطوا في واجب الدعوة والاحتساب ، وقال مخاطباً لبعضهم ممن عرفوا حرمة دعاء الصالحين ، وأنه شرك ، ولم ينكروه على أقوامهم: (... فإن كنتم تعرفون أن هذا من الشرك ، كعبادة الأصنام... فما بالكم لم تفشوه بين الناس ، وتبينوا لهم أن هذا كفر بالله ، مخرج عن الإسلام... وإن عرفتم ذلك ، فكيف يحل لكم كتمان ذلك والإعراض عنه ، وقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)^(١).

وحين أفتى الإمام في بعض المسائل بما يوافق الدليل ، ثار عليه بعض الخصوم ، بحجة أنه خالف المذهب ، وتظاهروا بأن عملهم هذا من باب إنكار المنكر ، فردّ عليهم الإمام قائلاً: (... وقد بلغني أنكم في هذا الأمر قمتم وقعدتم ، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار للمنكر ، فإليت قيامكم كان في عظام في بلدكم تضاد أصلي الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله منها ، وهو أعظمها: عبادة الأصنام عندكم من بشر وحجر...)^(٢).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٢٦/٥) .

(٢) المرجع السابق ، (٢٦٥/٥) .

ويؤيخ الإمام كلاً من سليمان بن سحيم وأباه، اللذين أقرّا أن عبادة الطواغيت - التي انتشرت عندهم - من الشرك، ومع ذلك لم ينكرا على الناس، ولم يحاولا تغيير هذا الانحراف، فيقول مؤيخاً: (... فإذا كنتم تعرفونه، كيف يحل لكم أن تتركوا الناس يكفرون ما تنصحانهم؟^(١)، ثم يرهّب الإمام كل من ترك واجب الاحتساب مع قدرته عليه، وخاصة القضاة والحكّام، ويسوق في ذلك قول أحد العلماء^(٢): (فويل للقضاة والحكّام، حيث لا يغيرون هذا [يعني انحرافات الصوفية] مع قدرتهم)^(٣).

(١) المرجع السابق، (٢٢٧/٥ - ٢٢٨).

(٢) هو الإمام البزازي في فتاويه، انظر المرجع السابق، (١٧٨/٥).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

المطلب الثالث

قيامه بواجب الدعوة والاحتساب بنفسه

تضمنت الرسائل بعض الشواهد على حرص الإمام - رحمه الله - على القيام بواجب الدعوة والاحتساب بنفسه ومن ذلك:

١- دعوته واحتسابه بالقول :

حرص الإمام على القيام بنفسه بواجب الدعوة والاحتساب (بالقول) مهما بذل في سبيل ذلك من التضحيات ، وأنكر على من طلب^(١)، منه السكوت عن المنكر، وقال: (... وإن كان مرادك أنني أسكت عمن أظهر الكفر والنفاق، وسلّ سيف البغض على دين الله وكتابه ورسوله... فهذا لا ينبغي منك، ولا يطاع أحدٌ في معصية الله)^(٢)، بل إن السمة الغالبة لمعظم رسائل الإمام أنها رسائل دعوة واحتساب، وحين خشى الإمام أن يظن أحد المدعويين أن رسالته له رسالة توييخ وعتاب، أقسم له أنه ما قصد بها إلا

(١) الخطاب موجه لعبد الله بن عيسى من رسالة أرسلها الإمام له ، وقد ذُكرت هذه الرسالة ضمن القسم الخامس من مجموع مؤلفات الشيخ الذي طبعته الجامعة ، ولكن بها تصحيحات كثيرة، وسقط من بينها تسمية المرسل إليه عبد الله بن عبيد، بدل عبد الله بن عيسى ، ولم يرد في المصادر التي اطلعت عليها شخص اسمه عبد الله بن عبيد، بل عبد الله بن عيسى ، انظر الرسالة في الدرر السننية ، جمع عبدالرحمن بن قاسم ، [مرجع سابق] (٢٨/٧)، وانظر الرسالة التي بها بعض التصحيحات ، مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٨/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٩/٥) .

النصح والقيام بواجب الدعوة والاحتساب، وقال: (ولا تظن أن كلامي هذا معاتبة وكلام عليك، فوالله الذي لا إله إلا هو إنه نصيحة..)^(١).
ومن شواهد احتسابه بالقول؛ نهيته عن دعاء الصالحين والغلو فيهم، يقول -رحمه الله- مبيّناً ما حصل منه مع بعض المدعوين: (... ومع هذا نهيناهم عن دعواهم [يعني دعاء الصالحين]، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله)^(٢).

ولم يقتصر الإمام على إنكار المنكر في حدود بلدته بل استخدم عدة وسائل ليقوم بالاحتساب والدعوة خارج حدود بلدته، وهذا واضح من قوله: (... وأن الذي نهى عنه في الحرمين والبصرة والحسا هو الشرك بالله..)^(٣).

٢- دعوته واحتسابه بالعمل :

لعل من أبرز الشواهد الواردة في رسائل الإمام، والتي تدل على قيامه -رحمه الله- بالدعوة والاحتساب العملي؛ ما أوضحه في رسالته إلى علماء مكة حين بيّن لهم أن سبب الفتنة التي أثارها الخصوم على الإمام هو قيامه بالاحتساب العملي، وهدمه القبيب والبناء الذي كان مبيّناً على قبور الصالحين، يقول الإمام في ذلك: (... جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ

(١) المرجع السابق (٢٠/٥) وانظر قيامه بالنصح أيضاً، المرجع السابق (١٩٦/٥)، (٢٢٤).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٠/٥).

(٣) المرجع السابق (٢٠٤/٥).

غير كم وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين^(١)، كما صرح الإمام في عدة مواضع بقيامه بالاحتساب العملي بأمر الناس بالمعروف وإلزام من تحت يده بالقيام به، ونهي الناس عن المنكر وتأديب من تحت يده على انتهاكه، وعلل انتقاله إلى هذه الدرجة من درجات التغيير بقوله: (وأنا صاحب منصب في قريتي مسموع الكلمة)^(٢)، ثم قال: (وأيضاً أُلزمت من تحت يدي بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الربا وشرب المسكر وأنواع من المنكرات)^(٣).

وقال في موضع آخر: (... إنا نعمل بالزين، ونغصب الذي يدنا^(٤) عليه، وننهي عن الشين، ونؤدب الناس عليه)^(٥).

(١) المرجع السابق (٤٠/٥) .

(٢) المرجع السابق (٣٦/٥) .

(٣) المرجع السابق ، الموضع نفسه وكذلك المرجع السابق (١٥٠/٥) .

(٤) كذا في الأصل ، ولعله قصد (الذي تحت يدنا) .

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٤/٥) .

المطلب الرابع

بيانه الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية والمحتسب

ذكر الإمام في رسائله بعض الصفات التي ينبغي - وربما يجب - أن يتحلى بها الداعية والمحتسب، ومن تلك الصفات:

١- الإخلاص لله تعالى:

بين الإمام - رحمه الله - أن هذه الصفة يجب أن تكون ملازمة لكل عمل، وخاصة الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي ذلك يقول الإمام: (... فإذا خاف أحد منكم من بعض إخوانه قصداً سيئاً، فلينصحه برفق، وإخلاص لدين الله، وترك الرياء، والقصد الفاسد)^(١).

٢- العمل بما يأمر به والحرص على تربية النفس وإصلاحها:

أكد الإمام - رحمه الله - على أن يكون الداعية والمحتسب قدوةً عمليةً بسلوكه وتصرفاته، ونبه إلى ضرورة الحذر من أن يخالف قولُ الداعية والمحتسب فعله لئلا يتصف بصفات من قال الله فيهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، يقول الإمام في ذلك، مبيّناً أنه لم يبتدع شيئاً من عنده، وأنه يمثل للأمر قبل أن يحدث الناس عليه: (... فما اختلفنا في شيء من شرائع الإسلام... ولا في شيء من المحرمات، الشيء الذي عندنا زين هو عند الناس زين، والذي عندهم شين هو عندنا شين، إلا

(١) كذا في الأصل . مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٨٩/٥) .

أنا نعمل بالزين ونغضب الذي يدنا عليه... إلخ^(١)، فالإمام إذاً يعمل بالواجب قبل أن يأمر الناس به، ويحتمل المحرم قبل أن ينهى الناس عنه.

٣- أن يكون عالماً بما يأمر به ويدعو إليه:

لا شك أنه لا خير في دعوة أو احتساب مبني على جهل، ومن هذا المنطلق أكد الإمام على ضرورة الحذر من التسرع في الإنكار بلا علم، ويبيّن أن من الصفات التي يحتاجها الداعية والمحتسب: (أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه)^(٢)، كما بيّن أن (أول درجات الإنكار: معرفتك أن هذا مخالف لأمر الله)^(٣).

٤- الرفق والحلم:

حرص الإمام -رحمه الله- على بيان أهمية الرفق في الدعوة إلى الله، وأنكر على من لم يتصف بهذه الصفة، وقال: (ينبغي للداعي إلى الله أن يدعو بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، وقد أمر الله رسوله موسى وهارون أن يقولوا لفرعون قولاً لئناً لعله يتذكر أو يخشى)^(٤)، وقال في موضع آخر: (فليصح به برفق وإخلاص)^(٥)، وأكد -رحمه الله- على ضرورة

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٤/٥).

(٢) المرجع السابق (الشخصية) (٢٨٤/٥).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) المرجع السابق (٢٥١/٥).

(٥) المرجع السابق (٢٨٩/٥).

الرفق^(١) عند إنكار المنكر، وعدم الغلظة التي توجب الفرقة، وربما العناد والمكابرة، وعدم الاستجابة، وبين - رحمه الله - (أن بعض أهل الدين ينكر منكراً - وهو مصيب - لكن يخطيء في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ الآية [ال عمران: ١٠٢-١٠٣]، ... وأهل العلم يقولون: الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث: أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه، ويكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه، صابراً على ما جاء من الأذى^(٢).

وحين تسرع بعض أتباع الإمام بالإنكار دون علم؛ سارع الإمام بإرسال رسالة إلى اثنين من أتباعه^(٣)، ينبههما إلى الخطأ في هذا التسرع، وقال: (فقد ذكر لي عنكم أن بعض الإخوان تكلم في عبد المحسن الشريف يقول: إن أهل الحسا يحبون على يدك، وأنتك لابس عمامة خضراء، والإنسان لا يجوز له

(١) هذا في أغلب الحالات، إلا أنه يوجد حالات معينة يعدل فيها عن اللين إلى الشدة، انظر: د. فضل إلهي، من صفات الداعية اللين والرفق، [باكستان - إدارة ترجمان الإسلام - ط الأولى ١٤١١هـ] (ص ٣٤، ٦٠).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٩٦/٥).

(٣) هما أحمد بن سويلم، وثيبان بن سعود. انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٨٤/٥).

الإنكار إلا بعد المعرفة^(١)، ثم بين الإمام أن ما أنكره مما لا يسوغ إنكاره؛ فهي مسائل خلافية، وبين أن الواجب القيام بما أوجب الله لأهل بيت رسوله ﷺ من الحقوق.

٥- التثبت والتبيين والحكم بالظاهر مع وكل السرائر إلى الله تعالى:

حرص الإمام -رحمه الله- كما يظهر من رسائله- على تربية أتباعه على التثبت والتثبت، وعدم الاستعجال عند القيام بواجب الاحتساب، مع الستر على المسلمين وعدم تتبع عوراتهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى، وطلب من بعض طلابه أن يلفتوا نظر المحتسبين إلى ضرورة مراعاة ذلك، وقال: (نبهوهم على مسألتين:

- الأولى: عدم العجلة، ولا يتكلمون إلا مع التحقق، فإن التزوير كثير.

- الثانية: أن النبي ﷺ كان يعرف منافقين بأعيانهم، ويقبل علانيتهم، ويكفل سرائرهم إلى الله، فإذا ظهر منهم وتحقق ما يوجب جهادهم جاهدهم^(٢).

وحين سمع الإمام أن أحد المدعويين^(٣) ارتكب منكراً^(٤)، لم يسارع إلى الاحتساب عليه، بل أرسل رسالة إلى ابنه^(٥)، ليتحقق من ذلك المنكر، ومما

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) المرجع السابق (٢٨٥/٥).

(٣) هو عبد الله بن عيسى.

(٤) وصلته رسالة فيها سب للإمام -رحمه الله- فأرسل بعض السفهاء ليقراها على الناس وينشرها وحسبها عن الإمام.

(٥) هو: عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى.

قال فيها: (... وأنا إلى الآن ما تحققت ذلك وهو جس فيه بالهاجوس الجيد^(١) ^(٢)).

٦- مراعاة حال المدعو ومكانته:

لا شك أن مراعاة أحوال المخاطبين منهج شرعي، جعله الله سبحانه وتعالى من سننه في عباده^(٣)، وأمر به نبيه ﷺ^(٤)، حين وجهه إلى القيام بالدعوة بعدة طرق مراعاةً لتعدد طبائع المدعوين، فقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ومن هذا المنطلق حرص الإمام -رحمه الله- على مراعاة حال المدعو عند قيامه بواجب الدعوة والاحتساب، وقد تضمنت رسائل الإمام بعض الشواهد الدالة على حرص الإمام على هذا الجانب، وتوجيهه أتباعه إلى ضرورة مراعاته، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الإمام في كيفية إنكار المنكر إذا صدر من صاحب

(١) يعني ما زلت أحسن فيه الظن، من هجس الشيء في صدره: خطر بباله، أو هو أن يحدث نفسه في صدره مثل الوسواس، انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، [مرجع سابق] مادة (هجس) (ص ٧٤٩).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٧٦/٥).

(٣) وهذا واضح من خلال إرسال الله الرسل باللسنة أقوامهم، ومعجزات تتلاءم مع أحوال أقوامهم... وغير ذلك من الدلائل، انظر: د. فضل إلهي، من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين، [باكستان - إدارة ترجمان الإسلام - ط الأولى ١٤١٧ هـ] (ص ٨).

(٤) انظر: المرجع السابق، (ص ١٣).

سلطة^(١)، أو أمير أو غيره، وبيانه أنه لا يعامل مثلما يُعامل غيره، خشية أن يترتب على إنكار المنكر منكرٌ أعظم منه. يقول الإمام في بيان ذلك: (... والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره أن يُنصح برفقٍ خفيةً ما يشترَف^(٢) أحد، فإن وافق وإلا استلحق^(٣) عليه رجلاً يقبل منه بخفية، فإن لم يفعل، فيمكن الإنكار ظاهراً، إلا إن كان على أمير، ونصحهُ ولا وافق، واستلحق عليه ولا وافق، فيرفع الأمرُ مِنَّا^(٤) خفية^(٥)).

٧- مراعاة قاعدة (درء المفسد أولى من جلب المصالح)^(٦).

وقد طبق العلماء مقتضى هذه القاعدة على الحسبة^(٧)، وأكدوا على ضرورة مراعاتها، وفي رسائل الإمام -رحمه الله- شواهد تدل على حرصه

(١) ورد عن النبي ﷺ أنه قال: (من أراد أن ينصح السلطان بأمر، فلا يُبد له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه له) رواه الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، [مرجع سابق] برقم (١٥٣١١) (٤٠٤/٣).

(٢) أي لا يطلع أحد على ذلك. ولعله من قول القائل: أشرف على الشيء: أي علاه واطلع من فوقه. انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، [مرجع سابق] مادة (شرف) (ص ١٠٦٥).
(٣) أي أرسل إليه رجلاً ليدركه وينصحه، من لحق الشيء: أدركه. المرجع السابق، مادة (لحق) (ص ١١٨٩).

(٤) أي إلى جهتنا، من أم الشيء: إذا قصدته، انظر: المرجع السابق، مادة (أمم) (ص ١٣٩١).
(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٩٧/٥).

(٦) انظر: جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، [بيروت - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤٠٣هـ] (ص ٨٧) ومحمد صدقي بن أحمد البورنو، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، [الرياض - مكتبة المعارف - ط الثانية ١٤١٠هـ] (ص ٢٠٨).

(٧) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، بتحقيق محمد زهري النجار [الرياض - المؤسسة السعيدية - ب ت] (ص ١٢٢).

على هذه المسألة، ومن ذلك توجيهه بعض أتباعه^(١) إلى أن يتفطنوا لهذا الأمر، وذلك حين أغلظ بعضهم في الإنكار، حتى أدى ذلك إلى حدوث نوع من الجفوة والفرقة بينهم وبين بعض البلدان المجاورة لهم، فقال الإمام موجهاً لهم: (... وأيضاً يذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق، لم يجز إنكاره، فالله الله في العمل بما ذكرت لكم والتفقه فيه، فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرّةً على الدين، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه وديناه)^(٢)، وحين أرسل له شخص رسالة يسأله فيها عن مسألة التذكير^(٣)، ويصف له صفة مذاكرة عبد الله بن عيسى وابنه في هذه المسألة، رفض الإمام الإجابة عن هذه المسألة، خشية أن يستغلها خصوم عبد الله بن عيسى وابنه في التشهير بهم، وقال: (ولا يخفاكم أنه وصلني أمس رسالة في صفة مذاكرتكم في التذكير، لكن ما أنا بكاتب لهم جواباً؛ لأن الأمر معروف أنه منكم، وأخاف أن أكتب لهم جواباً، فينشرونه فيزعلكم، وأشوف غايتكم قريبة وتحملون الأمر على غير محمله)^(٤).

(١) هذه الرسالة وجهها الإمام - رحمه الله - إلى إخوانه من أهل سدير بسبب ماجرى بين أهل

الحوطة من بلدان سدير، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٩٦/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٩٦/٥ - ٢٩٧).

(٣) مسألة التذكير يوم الجمعة: سيأتي إن شاء الله التعريف بهذه المسألة ومناقشتها، ووصف الإمام لها أنها بدعة، وذلك في المبحث الرابع من هذا الفصل.

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٥/٥).

المطلب الخامس

معوقات في طريق الدعوة والاحتساب

تضمنت رسائل الإمام - رحمه الله - بيان بعض المعوقات التي تعرّض لها هو وأتباعه أثناء قيامهم بواجبهم في الدعوة والاحتساب، ولعل من المناسب التعرض لهذه المعوقات من خلال المسألتين التاليتين:

المسألة الأولى: معادة الداعية المحتسب ومحاولة كف دعوته أو القضاء عليها:

لا شك أن من أبرز المعوقات التي يمكن أن يتعرض لها الداعية المحتسب معادة بعض المدعويين للداعية المحتسب، ومناهضة دعوته بعدة وسائل، ومن تلك الوسائل:

١ - التشكيك في نيته:

بين الإمام - رحمه الله - أن من وسائل تثبيط المدعو، وكفه عن دعوته: التشكيك في نيته، كاتهامه بأنه يبحث عن مطامع دنيوية، متسترًا بثوب الدعوة والاحتساب، وربما يحدث هذا المعوق حتى داخل صفوف الدعاة أنفسهم، ولا شك أن النيات مردّها إلى الله تعالى، ولا يجوز الحكم على النيات؛ وإنما يكون الحكم على الظاهر، والله يتولى السرائر، وقد نبّه الإمام إلى خطورة هذا الأمر، وأنه عظيم عند الله، وأنه ربما يدخل في (لمز المطوعين) الذي نهى الله عنه. فحين غضب الشيخ عبد الله بن سويلم على ابن عمه أحمد، الذي قام بواجبه في إنكار المنكر؛ عتب عليه الإمام أشد

العتب، وقال له: (.. لا يخفك أن بعض الأمور كما قال تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، وذلك أنني لا أعرف شيئاً يتقرب به إلى الله أفضل من لزوم طريقة رسول الله ﷺ في حال الغربة، فإن انضاف إلى ذلك الجهاد عليها للكفار والمنافقين، كان ذلك تمام الإيمان، فإذا أراد أحد من المؤمنين أن يجاهد، فأتاه بعض إخوانه، فذكر له: إن أمرك للدنيا^(١)، أخاف أن يكون هذا من جنس الذين يلمزون المطَّوعين من المؤمنين في الصدقات... فإذا خاف أحدكم من إخوانه قصداً سيئاً، فلينصحه برفق وإخلاص^(٢)..^(٣).

٢- محاولة كفه عن الكلام في مجال الدعوة والاحتساب :

بيّن الإمام في رسائله أن من معوقات الدعوة محاولة بعض المدعوين كفّ الداعية عن الدعوة والاحتساب، بحجة أن الأمور قد تغيرت، وأن الكلام ربما يسبب ضرراً، أو غير ذلك من الحجج، وقد تعرض الإمام نفسه لهذا المعوق حين تصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، وحاول البعض نصحه بالكف عن ذلك بحجج واهية، يقول الإمام: (... وأما قولكم: إن الأمور ليست على الذي أعهد، وتشيرون عليّ بترك الكلام، فلا أدري

(١) يعني أتهمه أنه لم يقصد بدعوته وجهاده وجه الله تعالى، بل أراد مقاصد دنيوية .

(٢) وهذا هو الواجب: أن يذكر أخاه بضرورة الإخلاص وتجديد النية، لا أن يتهمه بالرياء والسمعة ونحو ذلك.

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٢٨٨، ٢٨٩).

أيش مرادكم؟ ... وإن كان مرادك أنني أسكت عن أظهر الكفر والنفاق، فهذا لا ينبغي منك ولا يطاع أحدٌ في معصية الله^(١).

٣- تحريض الناس عليه وإغراؤهم بأذيته:

أشار الإمام في رسائله إلى أن الداعية ربما يتعرض إلى معوقات أشد وأخطر؛ قد تصل إلى تعريض حياته للخطر، وهذا ما حدث للإمام - رحمه الله - كما يتضح من إحدى رسائله التي ذكر فيها أن المويس حرّض القبورين أهل القبب على الإمام وأتباعه، وأقتاهم بكفر الإمام وأتباعه، وحلّ دمهم في الحل والحرم، وأخبر الإمام أن المويس كان يذهب إلى أولئك القبورين (ويقول لهم: طالع الناس [يعني الإمام وأتباعه] ينكرون قببكم وقد كفروا وحلّ دمهم ومالهم)^(٢)، وكذلك فإن الخصوم قد شكوا الإمام وأتباعه عند أهل قبة أبي طالب^(٣)، بل إن بعض الخصوم^(٤) أرسلوا رسائل يكفرون فيها الإمام وأتباعه، ويغرون الناس بقتلهم، وقد حصل الإمام على نسخة من هذه الرسائل، وأكد أنهم (صرّحوا فيها أن من أقرّ بالتوحيد كفر، وحلّ دمه وماله، وقتل في الحل والحرم)^(٥)، وقد آتت هذه الجهود الخبيثة ثمراتها المرّة،

(١) المرجع السابق ٣١٩/٥.

(٢) المرجع السابق (٢٠٥/٥).

(٣) المرجع السابق (الشخصية) (٢٠٥/٥) ..

(٤) هم علماء الحرمين، انظر: المرجع السابق، الموضوع نفسه.

(٥) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

وتمكن الخصوم بها من تحريض الناس على الإمام، وتهديد حياته ودعوته بالخطر، وقد عبّر الإمام عن ذلك بقوله: (والذي قلب الناس علينا الذي قلبهم على سيد ولد آدم ﷺ)^(١)، إلا أن الله تعالى قد حفظ الإمام بحفظه، وكفاه بممته وكرمه كيد الخصوم.

٤- تتبع زلاته أو تليفق التهم عليه ونشرها:

أشار الإمام -رحمه الله- في رسائله إلى أن من أساليب الخصوم محاولة تتبع زلات الداعية والاحتساب، وكذلك تليفق التهم عليه ونشرها؛ لتشويه سمعته، أو التلبس على العوام بأنه مخالف للعلماء، أو أنه أتى بمذهب جديد من عند نفسه.

ومن شواهد ذلك ما ذكره الإمام عن دعوته وأنه بدأ بالأمر بالمعروف كالصلاة والزكاة، والنهي عن المنكر كالربا وشرب المسكر، قال الإمام: (... فلم يمكن الرؤساء القدح في هذا وعييه؛ لكونه مستحسناً عند العوام، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما أمر به من التوحيد، وما نهيتهم عنه من الشرك، ولبّسوا على العوام أن هذا خلاف ما عليه الناس، وكبرت الفتنة جداً، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله)^(٢).

وما إن سمع الخصوم أن الإمام أفتى في إحدى المسائل بما وافق الدليل،

(١) المرجع السابق (٤٤/٥) .

(٢) المرجع السابق، (١٥٠/٥) وانظر: المرجع السابق، (٦٤/٥) .

فخالف عالماً يتعصبون له؛ حتى سارعوا إلى اغتنام هذه الفرصة، والإنكار بغلظة على الإمام، بدعوى إنكار المنكر، قال الإمام: (فإذا خالفت قول عالم لمن هو أعلم منه أو مثله إذا كان معه الدليل، ولم آت بشيء من عند نفسي تكلمتم بهذا الكلام الشديد؟ فإن سمعتم أنني أفتيت بشيء خرجت فيه من إجماع أهل العلم، توجه علي القول، وقد بلغني أنكم في هذا الأمر قمتم وقعدتم، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار منكر، فيا ليت قيامكم كان في عظامي في بلدكم تضاد أصل الإسلام ..) (١).

المسألة الثانية: ترك الدعوة والاحتساب والتعاس عنهما بحجج واهية:

إن من أبرز المعوقات التي تعيق الداعية وتعرقل مسيرته في الدعوة والاحتساب: نكوص كثير من الناس عن تأييد هذا المسلك، فضلاً عن القيام به؛ حيث يجد الداعية المحتسب نفسه غريباً منبوذاً بين أولئك القوم، لا يجد من يعينه، أو حتى يكفّ أذى الناس عنه.

وقد تعرض الإمام -رحمه الله- لهذا العائق الذي لم يظهر في عامة الناس فحسب، بل برز حتى عند خاصتهم من العلماء وطلبة العلم، الذين اعتذروا عن ترك الاحتساب بحجج واهية رغم إدراكهم ما قرره العلماء من أن الدعوة والاحتساب من أوجب الواجبات (٢).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٦٥/٥).

(٢) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، [مرجع سابق] (ص ١٣٠).

وقد أشار الإمام -رحمه الله- في رسائله إلى بعض تلك الحجج وأبطلها؛ ومنها:

١- ترك الدعوة والاحتساب بحجة كثرة المنكرات وعدم القدرة على إنكارها:

أشار الإمام إلى هذه الشبهة في إحدى رسائله في معرض استنكاره على بعض القضاة^(١) سكوتهم عما يقع في بلدانهم من عبادة الشجر والحجر، ودعاء الصالحين، والذبح لهم دون إنكار أو احتساب، وقال الإمام: (... وإن ادّعيتم أنكم لا تقدرون على ذلك، فإن لم تقدروا على الكل قدرتم على البعض)^(٢)، فليست كثرة المنكرات واستشراء الجهل مسوغاً شرعياً يبيح النكوص عن القيام بما أوجبه الله على المسلمين عامة، وعلى أهل العلم خاصة من واجب الدعوة والاحتساب.

٢- تعلق أهل العلم بأن الناس لم يسألوهم:

ذكر الإمام أيضاً في رسائله أن من شبه التي تعلق بها بعض من ينتسبون للعلم في تركهم إنكارهم المنكر، رغم إقرارهم بأنه منكر، دعوى أن الناس لم يسألوهم، ولو سألوهم، لأفتوهم وأنكروا عليهم، وفي ذلك يقول الإمام

(١) قاضي الأحساء: عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٠/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٦٥/٥ - ٢٦٦).

مخاطباً سليمان بن سحيم وأباه: (... وأنت وأبوك تقولان: نعرف هذا، لكن ما سألونا ، فإذا كنتم تعرفونه كيف يحل لكم أن تتركوا الناس يكفرون؟ ما تنصحانهم ولو لم يسألوكم؟)، فلا تبرأ ذمة أهل العلم حتى يبادروا بتبيين ما آتاهم الله من العلم، ويجذروا الناس من أسباب غضب الله تعالى ، فقد قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيْنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ فَبَدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُيْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

٣- التعلل بخشية الناس :

لا شك أن من أبرز معوقات الدعوة والاحتساب خشية الداعية والمحتسب من انتقاد الناس أو أذيتهم، ولا شك أيضاً أن كل من تصدى للدعوة والاحتساب فهو معرض لأنواع الإيذاء والابتلاء^(١)، والواجب عليه أن يتحلى بالصبر، واحتساب الأجر والثبات على ما هو عليه، وليس النكوص وترك الدعوة والاحتساب، ولهذا لما أمر لقمان ابنه بالاحتساب، أوصاه بعدها مباشرة بالصبر؛ لأن من احتسب تعرض لما يجوجه إلى الصبر: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَيَّ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

(١) انظر : د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، [الرياض

وقد تعرض الإمام في رسائله لذكر هذا المعوق، ومن الشواهد على ذلك ما جاء في رسالته - رحمه الله - إلى محمد بن عباد؛ وذلك أن أحد خصوم الإمام جاء بكتاب فيه ضلالات وشبه وكفر وردّة؛ فقرأه على جماعة محمد ابن عباد، إلا أن محمد بن عباد لم يحرك ساكناً، ولم ينكر هذا المنكر العظيم؛ رغم أنه هو مطوع البلدة وعالمها، وذلك بحجة خشية الناس، ومما قاله الإمام في ذلك: (... إن كنت تعرف أن هذا هو الكفر الصراح، والردة الواضحة، ولكن تقول: أخشى الناس، فالله أحقّ أن تخشاه)^(١).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٠/٥) .

المبحث الثالث

تفنيد الشبه وردّ ما ألصق بالإمام من التهم

لم يكتفِ المناوئون لدعوة الإمام برفض دعوته وعدم أتباعه.. بل سعوا، وبذلوا الجهود المضنية في سبيل صد الناس عن دعوة الإمام، والحيلولة بينه وبين المدعويين، وسلكوا في ذلك عدة طرق خبيثة؛ منها:

(أ) إصاق التُّهم والمفتريات بالإمام.

(ب) إثارة بعض الشبه التي تعارض دعوته رحمه الله.

ويظهر أن قضية: (تفنيد الشبه وردّ ما ألصق بالإمام من التهم) كانت تُشغل ذهن الإمام باستمرار، حيث تكرر الحديث عنها في نصف رسائله تقريباً، فقد ورد الحديث عنها في (أربع وثلاثين) رسالة من رسائل الإمام رحمه الله تعالى.

ولعل من المناسب أن يتم التعرض لهذه القضية بإيجاز من خلال المطالبين

التاليين:

المطلب الأول: التُّهم التي ألصقت بالإمام وردّه عليها.

المطلب الثاني: الشبه التي تعارض دعوة الإمام رحمه الله.

المطلب الأول

التُّهم التي ألصقت بالإمام وردّه عليها

ألصق الخصوم بالإمام كثيراً من التُّهم، وقد تولى الإمام الردّ عليها في عدة مواضع من رسائله.. فمنها ما أنكره بالكلية، وتبرأ منه، وذكر أنه من البهتان، ومنها ما أقرّه؛ لأنه الحق الذي يؤيده الدليل، وإن كان الناس قد هجروه، وصار عندهم غريباً، وقد حرص الإمام على ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على ما ذهب إليه.

ومن تلك التُّهم :

١ - التكفير :

كان من أبرز التُّهم التي وجّهت للإمام: الزعم بأنه (كان يكفّر المسلمين)؛ حيث تكرر الحديث عن هذه التهمة في ثمان رسائل من مجموع رسائل الإمام -رحمه الله- وهذه نسبة عالية إذا ما قورنت بالتُّهمة التي تليها مباشرة في كثرة التكرار، وهي تهمة سبّ الصالحين، حيث تكرر الحديث عنها أربع مرات، وقد تنوعت عبارات الخصوم الذين رموا الإمام بهذه الفرية، ومن ذلك:

- اتهمه بأنه يكفّر بالعموم:

ذكر الإمام -رحمه الله- في عدّة رسائل أنه اتهم هو وأتباعه بأنهم يكفّرون بالعموم، وحرص الإمام على بيان بطلان هذه التهمة التي تمكّن

الخصوم من نشرها حتى بلغت الآفاق، حيث أرسل الإمام للشريف^(١) في مكة رسالة يبين فيها بطلان هذه التهمة، إذ يقول: (... وأما الكذب والبهتان ، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم ..) إلى أن قال: (فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون الناس به عن دين الله)^(٢)، ويقول في رسالة أرسلها لتقرأ على عامة المسلمين: (من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين .. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد ما ذُكر لكم عني أنني أكفر بالعموم فهذا من بهتان الأعداء ...)^(٣).

وقد كانت التهمة موجهة للإمام ولأتباعه أيضاً، حيث يقول الإمام: (فإن قال قائلهم: إنهم [يعني الإمام وأتباعه] يُكفرون بالعموم، فنقول: سبحانه هذا بهتان عظيم)^(٤).

وقد ذكر الإمام أن الذين أثاروا هذه التهمة هم الأعداء وخصوم الدعوة، حيث يقول عن هذه التهمة: إنها (من بهتان الأعداء)^(٥).

(١) لعله (الشريف أحمد بن الشريف سعيد) الذي سبق أن حصل بينه وبين الإمام مراسلة سنة (١١٨٤هـ) حول هذا الموضوع وأرسل الإمام محمد والأمير عبد العزيز شيخاً يناقشهم وهو عبدالعزيز الحصين، انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] حوادث سنة (١١٨٤هـ).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ، (٩/٤) الملحق ٧ : ٢٥ .

(٣) انظر: جمع : عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (١٠٧/٨) الملحق ١٩ :

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٤٨/٥) وانظر: (٦٤/٥)، (٤٨/٥) من المرجع نفسه.

(٥) انظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (١٠٧/٨) الملحق ١٢٢ : ١٩٠ .

كما بين أن هدفهم من إثارتها هو التلبس على الناس^(١)، وصدّهم عن هذا الدين^(٢)، وعن الاستماع للإمام والاستجابة لدعوته، ومن الأشخاص الذين حرصوا على وصم الإمام وأتباعه بهذه التهمة: سليمان بن سحيم، الذي أرسل رسالة لأهل القصيم، حشد فيها كثيراً من التهم الشنيعة التي وجهها للإمام، وقد تولى الإمام الردّ على هذه التهم في رسالة أرسلها لأهل القصيم، ومما قال فيها: (... ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم، وأنه قبلها وصدّقها بعض المنتمين للعلم في جهتك، والله يعلم أن الرجل افتزى عليّ أموراً لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وإني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وإني... إلى أن قال: (وجوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم)^(٣).

– اتهامه بتكفير أشخاص معينين :

من الخصوم من كذب على الإمام، ونقل عنه أنه يُكفّر بعض الأشخاص^(٤)، كالבוصري صاحب البردة، وابن الفارض، وابن عربي، وأن

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٨٦/٥).

(٢) المرجع السابق (١٠١/٥).

(٣) المرجع السابق (١٢/٥).

(٤) لا يفهم من ذلك أن الإمام لا يرى تكفير المعين، فالإمام يعتقد ما اعتقده أهل السنة والجماعة من تكفير من كفرهم الله ورسوله، وكذلك من قامت عليه الحجة بتوفر الشروط وانتفاء الموانع، ولذلك نرى الإمام في مواضع أخرى من رسائله يكفر أشخاصاً بأعيانهم، مثل إفتائه بكفر شمسان وأولاده؛ لأنهم يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله، عبادة أعظم من عبادة اللات والعزى، حيث يعبدونهم في الرخاء والشدة، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٧٥/٥).

الإمام يُكفّر من توسّل بالصالحين، مع أن الإمام لم يتكلم بذلك، حيث قال الإمام عن سليمان بن سحيم: (والله يعلم أن الرجل افتري عليّ أموراً لم أقلها ولم يأت أكثرها عليّ بالي... ومنها أني أكفّر البوصيري، لقوله: يا أكرم الخلق... وأنّي أكفّر ابن الفارض وابن عربي^(١))، وجوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانه هذا بهتان عظيم^(٢).

ويقول الإمام في رسالة أخرى أرسلها جواباً لأحد العلماء حين سأله عن كتاب سليمان بن سحيم (مطوّع الرياض الذي أرسله للبصرة والحسا يشنّع فيه على الإمام ويرميه بالبهتان)، فيقول الإمام: (إذا تبين هذا فالمسائل التي شنّع بها؛ منها ما هو من البهتان الظاهر، وهي قوله: إنني مبطل كتب المذاهب.. وقوله: إنني أكفّر من توسّل بالصالحين.. وقوله: إنني أكفّر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق، وجوابي فيها أن أقول: سبحانه هذا بهتان عظيم^(٣))، وكذلك فقد رموا الإمام واتهموه بأنه يكفّر كل من حلف بغير

(١) الإمام هنا إنما يستنكر على سليمان بن سحيم أنه يفترى عليه ويقول على لسانه ما لم يقل، وإنكار الإمام ما نقل عنه من إفتائه بكفر ابن الفارض وابن عربي لا يقتضي بالضرورة أن الإمام يرى عدالتهما، وأنهما من أهل الإسلام، حيث أن الإمام نقل في إحدى رسائله ما ذكره أهل العلم من أن (ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ كفراً من اليهود والنصارى) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٨٩/٥) وانظر ما نقله الإمام عن الإقناع، مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٣٧/٥).

(٢) المرجع السابق، (١٢/٥).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٦٤/٥).

الله^(١) على إطلاقه دون تفصيل، واتهموه بأنه يُكفّر من لم يقاتل معه، ومن امتنع عن تكفير من كفره^(٢)، وقد وصف الإمام ذلك كله من البهتان الذي افتراه الخصوم على لسانه.

وقد ردّ الإمام على هذه الاتهامات والافتراءات في عدة مواضع، ومن ذلك ما ذكره الإمام في رسالته إلى الشريف^(٣)، التي بين فيها ضوابط التكفير، فكان مما قال:

(أركان الإسلام الخمسة أولها : الشهاداتتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقرّ بها وتركها تهاوناً، فنحن - وإن قاتلناه على فعلها - فلا نُكفّره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود، ولا نقاتل إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم وهو الشهاداتتان، وأيضاً نُكفّره بعد التعريف إذا عرف وأنكر، فنقول: أعداؤنا معنا على أنواع:

- النوع الأول: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله الذي أظهرناه للناس، وأقرّ أيضاً أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر - الذي هو دين غالب الناس - هي الشرك بالله الذي بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل أهله، ليكون الدين كله لله، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلّمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشرك، فهذا كافر، نقاتله بكفره؛ لأنه عرف دين

(١) المرجع السابق، (٦٤/٥).

(٢) المرجع السابق، (١١/٤).

(٣) سبق الحديث عنه، ص (٤٢٠).

الرسول فلم يتبعه، وعرف دين الشرك فلم يتركه، مع أنه لا يبغض دين الرسول ولا من دخل فيه، ولا يمدح الشرك ولا يزينه للناس.

- النوع الثاني: من عرف ذلك كله، ولكنه تبين في سبّ دين الرسول، مع ادّعائه أنه عامل به، وتبين في مدح من عبّد يوسف والأشقر، ومن عبّد أبا عليّ والخضر^(١) من أهل الكويت، وفضّلهم على من وحّد وترك الشرك، فهذا أعظم من الأول، وفيه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، وهو ممن قال الله فيه: ﴿وَإِنْ نَكُوثًا أَيْمَانُهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتَمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ [التوبة: ١٢].

- النوع الثالث: من عرف التوحيد وأحبّه واتّبعه، وعرف الشرك وتركه، ولكن يكره من دخل في التوحيد، ويجب من بقي على الشرك، فهذا أيضاً كافر، وهو ممن ورد فيه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

- النوع الرابع: من سلم من هذا كله، ولكن أهل بلده مصرحون بعبادة التوحيد، واتّباع أهل الشرك، وساعون في قتالهم، ويعتذر بأن تركه وطنه يشق عليه، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده، ويجاهد بماله ونفسه، فهذا أيضاً كافر... وهو ممن قال الله فيهم: ﴿سَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ

(١) في روضة الأفكار طبعة أبا بطين: والأشعري.

وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾^(١) [النساء: ٩١]، وقال في موضع آخر: (وإنما نكفّر من أشرك بالله في إلهيته بعدما نبّين له الحجة على بطلان الشرك، وكذلك نكفّر من حسّنه للناس، وأقام الشبهه الباطلة على إباحته، وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يشرك بالله عندها)^(٢).

٢ - اتهامه بأنه يوجب الهجرة إليه:

وقد ذكر الإمام أن ذلك من الكذب والبهتان^(٣)، وأرسل رحمه الله رسالة لعامة المسلمين قال فيها: (من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: ما ذكر لكم أنني أكفّر بالعموم، فهذا من بهتان الأعداء.

وكذلك قولهم: إني أقول: من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن في بلده أنه ما يكفيه حتى يجيء عندي، فهذا أيضاً من البهتان...)^(٤).

وقد ردّ الإمام على هذه الشبهة فقال: (وكذلك تمويهه^(٥) على الطغام بأن

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٧٩/١)، ومجموع مؤلفات الشيخ (٩/٤) بتصرف طفيف.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٦٠/٥).

(٣) انظر: المرجع السابق (الشخصية)، (٦٠/٥).

(٤) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (١٠٧/٨) وانظر المعنى نفسه في رسالة أخرى في مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٥٨/٥).

(٥) يشير الإمام هنا إلى أحد الخصوم، وهو رجل لم يصرّح الإمام باسمه، بل اكتفى بأن ذكر أنه ينتسب لمذهب الإمام أحمد، إلا أن عنده - كما يذكر الإمام - مخالفات في العقيدة في أبواب الصفات، وقد أرسل هذا الرجل رسالة إلى حمد التويجري تضمنت هذه المخالفات، إضافة إلى بعض الشبهات ضد الإمام محمد بن عبد الوهاب، فقام حمد التويجري بإرسال رسالة إلى الإمام محمد رحمه الله يسأله عن هذه الشبهه. انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٦٠/٥).

ابن عبد الوهاب يقول: الذي ما يدخل تحت طاعتي كافر، ونقول: سبحانه
هذا بهتان عظيم، بل نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل
بالتوحيد، وتبرأ من الشرك وأهله فهو المسلم في أي زمان، وأي مكان^(١).

٣- اتهامه بالرغبة في هدم قبة النبي ﷺ وتغيير ميزاب الكعبة:

هذه أيضاً من التهم الباطلة التي وجهها بعض الخصوم للإمام؛ لينفروا
الناس، ويصدّوهم عن الحق، حين وجدوا أن دعوة التوحيد التي نادى بها
الإمام ستفوّت عليهم ما كانوا يأكلونه من أموال الناس بالباطل، مثل أولاد
شمسان وأولاد إدريس، الذين يأمرون الناس أن يندروا لهم وينخوهم
ويندبوهم في الشدائد، وكذلك غلاة المتصوفة الذين سّمّاهم الإمام فقراء
الشیطان، الذين ينتسبون إلى الشيخ عبد القادر - رحمه الله - وهو منهم بريء
كبراءة علي بن أبي طالب ﷺ من الرافضة.

وقد ردّ الإمام هذه التهمة في ثلاث من رسائله؛ حيث قال في رسالته
لأهل القصيم: (.. والله يعلم أن الرجل [يعني سليمان بن سحيم] افتزى
عليّ أموراً لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها: أني مبطل كتب
المذاهب، وإني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها، ولو أقدر
على الكعبة، لأخذت ميزابها، وجعلت لها ميزاباً من خشب)^(٢)، ثم ردّ

(١) المرجع السابق، (٦٠/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٢/٥)، وانظر المعنى نفسه في رسالة الإمام إلى ابن
صباح، المرجع السابق (٥٢/٥)، وكذلك في رسالته إلى عبد الله بن سحيم (٦٤/٥).

الإمام على ذلك كله، فقال: (فكل هذا كذب وبهتان، افتراه عليّ الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل...) (١).

٤ - اتهامه بأنه يحرم زيارة قبر النبي ﷺ وينهى عن الصلاة عليه، وينهى عن زيارة قبر الوالدين:

ذكر الإمام أن هذه التهمة من التهم التي وجهها له سليمان بن سحيم، وبين - رحمه الله - أنها تهمة باطلة، وقال مبيناً ذلك (..ومنها [يعني من اتهامات ابن سحيم] أنني أحرم زيارة قبر النبي ﷺ، وأني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما... وجوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم) (٢).

ويقول الإمام في رسالته إلى ابن صباح (... أما بعد، فما ذكره المشركون عليّ أنني أنهى عن الصلاة على النبي ﷺ... فكل هذا كذب وبهتان، افتراه عليّ الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل...) (٣).

ويقول في رسالته إلى عبد الله بن سحيم، مشيراً إلى دعاوى سليمان بن سحيم: (وقوله: إنني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ، وقوله: إنني أنكر زيارة قبر

(١) المرجع السابق، (٥٢/٥).

(٢) المرجع السابق، (١٢/٥).

(٣) المرجع السابق، (٥٢/٥).

الوالدين وغيرهم... جوابي فيها أن أقول: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾^(١) [النور:

٤١٦].

ولا شك أن الإمام يرى ما قرره أهل السنة والجماعة، من أن زيارة القبور منها ما هو مشروع، ومنها ما هو ممنوع، فالمشروع زيارتها بقصد الاعتباط والدعاء لأهلها، سواءً كانوا من الآباء أو الأقارب أو غيرهم، وكذلك السفر بقصد الصلاة في مسجد النبي ﷺ بحيث تدخل زيارة قبر النبي ﷺ تبعاً، لا استقلالاً، فكل ذلك من الزيارة المشروعة المجمع على استحبابها والتي أقرها الإمام بشرط عدم فعل محظور عند القبر^(٢)، وأما الزيارة الممنوعة، فهي شد الرحال لها أو زيارتها بقصد تعظيمها، وتوجيه نوع من أنواع العبادات لها، كالتركب عليها أو النذر لها وخطاب أصحابها بطلب الحوائج والتبرك بها، ونحو ذلك^(٣). وهذا النوع من الزيارة أبدى له الإمام أهمية بالغة، فعقد له عدة أبواب في كتابه كتاب التوحيد؛ منها باب بعنوان [باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده]، ثم تلاه بـ [باب ما

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٦٤/٥).

(٢) انظر ما كتبه أحد أتباع، الإمام وهو الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود في شرحه لحديث (لا

تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ..) سليمان بن سحمان، الهدية السننية والتحفة الوهابية

النجديّة، [مصر - مطبعة المنار - ط ٢ - ١٣٤٤هـ] (ص ١٨).

(٣) انظر: محمد علي بن غريب (وآخرون) التوضيح عن توحيد الخلاق، [مرجع سابق]

(ص ٢١٤).

جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله] ثم أعقبه بباب ثالث [باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك]^(١).

٥ - اتهامه بأن دعوته فيها تنقيص للأنبياء، وأن الإمام يسبّ الصالحين، وينكر شفاعة النبي ﷺ :

وقد شاع ذلك^(٢) عند بعض العوام بسبب أن بعض من يدعي العلم زين لهم ذلك، وأوهمهم أن إخلاص الدين لله -الذي دعا له الإمام- فيه تنقيص للأنبياء والصالحين^(٣)، حيث يورد الإمام في إحدى رسائله التي بين فيها ما دار بينه وبين بعض مدعي العلم فيقول: (لما ذكرت لهم ما ذكره الله ورسوله وما ذكره أهل العلم من جميع الطوائف من الأمر بإخلاص الدين لله، والنهي عن مشابهة أهل الكتاب من قبلنا في اتخاذ الأجر والرهبان أرباباً من دون الله، قالوا لنا: تنقصتم الأنبياء والصالحين والأولياء، والله تعالى ناصر لدينه ولو كره المشركون، وها أنا أذكر مستندي في ذلك من كلام أهل العلم من جميع الطوائف ...)، ثم ذكر الإمام الأدلة القاطعة على ذلك من الكتاب والسنة

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (١/٦٢-٦٧).

(٢) أشار الإمام في رسائله إلى هذه التهم، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٤٠، ٤٨،

٥٢، ١٧٦، ١٨٦).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٥/١٧٦) من رسالة أرسلها الإمام إلى علماء الإسلام وردّ فيها على

هذه الشبهة.

وأقوال الأئمة الأربعة وتلامذتهم^(١)، وقد كانت هذه التهمة من الحيل التي اخترعها من أسماهم الإمام [الشياطين من مردة الإنس] ليصدوا الناس عن التوحيد وعن دين الله القويم، فهم - كما قال الإمام - : (إذا رأوا من يُعَلِّم الناس ما أمرهم به محمد ﷺ من شهادة أن لا إله إلا الله، وما نهاهم عنه، مثل الاعتقاد في المخلوقين الصالحين وغيرهم، قاموا يجادلون ويُلَبِّسُونَ على الناس، ويقولون: كيف تُكْفِّرُونَ المسلمين، كيف تسبون الأموات، آل فلان أهل ضيف، آل فلان أهل كذا وكذا...)^(٢).

وأما فرية إنكار الإمام لشفاعة النبي ﷺ فقد ردَّ عليها الإمام بقوله: (سبحانك هذا بهتان عظيم، بل نشهد أن رسول الله ﷺ الشافع المشفع، صاحب المقام المحمود، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يشفّعه فينا، وأن يحشرنا تحت لوائه، هذا اعتقادنا، وهذا الذي مشى عليه السلف الصالح من المهاجرين والأنصار... وهم أحب الناس لنبئهم، وأعظمهم في أتباعه وشرعه، فإن كانوا يأتون عند قبره يطلبونه الشفاعة، فإن اجتماعهم حجة، والقائل: إنه يطلب الشفاعة بعد موته، يورد علينا الدليل من كتاب الله، أو من سنة رسول الله، أو من إجماع الأمة، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ)^(٣).

(١) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٧٦/٥ - ١٨٠).

(٢) انظر : المرجع السابق، (١٨٦/٥).

(٣) انظر : المرجع السابق (٤٨/٥ - ٤٩).

ويقول في رسالته إلى أهل القصيم: (ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] (١).

٦ - اتهامه بأنه على غير جادة العلماء ويخالف منهجهم:

لم يكتف الخصوم بكيال التهم ضد الإمام في معتقده وأصول دعوته، بل أرادوا أن ينفروا الناس، حتى من فتاواه في الفروع والأحكام الفقهية، حيث أشاعوا بين الناس أن الإمام على غير جادة العلماء (٢)، وأنه يدّعي الاجتهاد (٣)، ويبطل كتب المذاهب الأربعة، ويحرق كتب العلم (٤)، ويخالف أقوال العلماء في كثير من المسائل، مثل قيامه برجم الزانية دون إذن الإمام (٥).

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٩/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٤٠/٥ - ٢٠٦).

(٣) انظر: المرجع السابق، (١٢/٥ - ٤٠ - ٦٤ - ٩٧ - ٢٥٨) وقد أُلّف بعض الخصوم مؤلفات حول هذا الموضوع، فمحمد بن عفالق كتب ضد الإمام محمد رسالة سماها [تهكم المقلدين. من ادّعى تجديد الدين] وداود الخالدي أُلّف رسالة جعل عنوانها [أشدّ الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد] حيث حاول كلا المؤلفين إيضاح أن الإمام لا يحق له الاجتهاد، انظر: عبد الله العنيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق] (ص ١٤٧).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٢/٥، ٣٦).

(٥) جاءت الإشارة إلى هذه التهمة في رسالة من الإمام إلى شخص مجهول أجابه الإمام فيها على ١٢ مسألة. انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠٨/١)، ومجموع مؤلفات الشيخ، (٦٧/٤).

وقد أورد الإمام - رحمه الله - هذه التهمة، وناقشها على النحو التالي:

- اتهامه بأنه على غير جادة العلماء:

وقد أشار الإمام إلى هذه التهمة في رسائله؛ حيث ذكر في رسالته لعلماء مكة أن من افتراءات الخصوم - كما قال الإمام - أنهم (أشاعوا عنا أننا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنا أشياء يستحيى العاقل من ذكرها)^(١).

كما ذكر الإمام أن القباني^(٢) صنّف مصنفًا نقل فيه الإجماع على تحسين عبادة القبور ودعاء الصالحين، وعدّ القباني - في هذا الكتاب - الإمام محمد ممن شذ عن العلماء، قال الإمام: (إنه [يعني القباني في تصنيفه] يقول: إنه لم يخالف في تصنيفه إلا ابن تيمية وابن القيم وعشرة أنا عاشرهم، فالجميع اثنا عشر، فإذا كان يوم القيامة، اعتزلوا وحدهم عن جميع الأمة..)^(٣).

وقد أجاب الإمام على مثل هذه الشبه بقوله: (وأنا أخبركم بما نحن عليه.. فنحن والله الحمد متّبعين غير مبتدعين، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل..)^(٤).

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٤٠/٥).

(٢) اسمه: أحمد بن علي البصري، اشتهر بالقباني، وهو - كما يظهر من رسائل الإمام - من خصوم الدعوة في العراق، ولم أعثر على ترجمة له ولكن له مجلد ضخيم بعنوان [فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب] يزيد على مائتي ورقة، وتوجد منه نسخة خطية في قسم المخطوطات بجامعة الإمام، وهو الذي أشار إليه الإمام هنا.

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٠٦/٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (الشخصية)، (٢٠٦/٥).

– اتهامه بأنه يدّعي الاجتهاد ولا يتبع الأئمة:

تحدث الإمام عن فرية ادّعاء الاجتهاد وعدم اتباع الأئمة، وسمّى ذلك بهتاناً، فقال: (وحتى من البهتان الذي أشاع الأعداء؛ أنني أدّعي الاجتهاد ولا أتبع الأئمة..)^(١)، (وأنّي مبطل كتب المذاهب الأربعة، وأنّي خارج عن التقليد، وجوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم..)^(٢).
كما أجاب الإمام أيضاً عن هذه الفرية في رسالته الجوابية للبيكيلي صاحب اليمن، حيث قال: (وأما ما ذكرت من حقيقة الاجتهاد، فنحن مقلدون الكتاب والسنة وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة...)^(٣).

ويوضح الإمام ضوابطه في التقليد والاجتهاد، فيقول لأحد القضاة^(٤):
(ولا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب أتباعهم، وإنما الشأن إذا اختلفوا: هل يجب عليّ أن أقبل الحق ممن جاء به، وأردّ المسألة إلى الله والرسول، مقتدياً بأهل العلم؟ أو أنتحلّ بعضهم من غير حجة، وأزعم أن

(١) المرجع السابق . الموضع نفسه .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١٢/٥) وانظر المعنى نفسه في رسالته إلى عبد الله بن سحيم ، المرجع السابق ، (٦٤/٥).

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٩٦/٥).

(٤) من رسالة أرسلها الإمام إلى القاضي عبد الله بن محمد بن عبداللطيف ، انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٥٨/٥).

الصواب في قوله؟ فأنتم على هذا الثاني، وهو الذي ذمّه الله، وسمّاه شركاً، وهو اتخاذ العلماء أرباباً...^(١)، ويوضح هذا المنهج أحد تلاميذ الإمام، وهو ابنه الشيخ عبد الله، فيقول: (لا نستحقّ مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد منا يدعيها، إلا أنا في بعض المسائل إذا صحّ لنا نص جليّ من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصّص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة، أخذنا به، وتركنا المذهب الحنبلي)^(٢).

- اتهامه بإحراق دلائل الخيرات:

كما تعرض الإمام للحديث عن تهمة إحراق كتب العلم، فقال عن سليمان بن سحيم إنه (افتري عليّ أموراً لم أقلها، ولم يأتي^(٣) أكثرها عليّ بالي.. ومنها: إنني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين، وأسميه روض الشياطين. جوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم)^(٤).

(١) ثم أحال الإمام بعد ذلك إلى المناظرة التي عقدها ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين بين مقلد وصاحب حجة، كما أحال إلى أقوال بعض أئمة السلف -رحمهم الله- في ذلك، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٥٨/٥).

(٢) انظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (١٢٦/١).

(٣) كذا وردت بإثبات الياء، وقد حرص الإمام في كثير من المواضع على التلقائية والتسهيل في لغته مراعاة لما اعتاد عليه المدعو.

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٢/٥).

وهذا لا يمنع أن ينهى الإمام عن قراءة بعض الكتب المشتملة على بعض البدع والأحاديث الضعيفة، خاصة إذا رأى أن أصحابها يعظمونها كما يُعظم القرآن، وللإمام سلف في ذلك، يقول الإمام موضحاً سبب إشاعة هذه التهمة: (وأما (دلائل الخيرات)، فله سبب، وذلك أنني أشرت على من قَبِلَ نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجلّ من كتاب الله، ويظن أن القراءة فيه أجلّ من قراءة القرآن وأما إحراقه [يعني دلائل الخيرات] ... فهذا من البهتان)^(١).

— اتهامه بمخالفة العلماء حين أمر برجم الزانية دون إذن الإمام:

بيّن الإمام -رحمه الله- أن الخصوم رموه بمخالفة العلماء، وأنه أمر برجم الزانية دون إذن الإمام -ويعنون به الإمام الأعظم- يقول الإمام: (... كما أنني لما أمرت برجم الزانية، قالوا: لا بد من إذن الإمام...) ^(٢)، وقد ردّ عليهم الإمام في الرسالة نفسها بما ذكره العلماء من أن كل من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا، لأن الناس منذ زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرف أن أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا

(١) انظر: المرجع السابق، (٣٧/٥).

(٢) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠٨/١) ومجموع

مؤلفات الشيخ، (٦٧/٤).

بالإمام الأعظم، كما بين الإمام تناقض هؤلاء المطاوعة وأئمة في المساجد والقضاة في دعواهم ضد الإمام، إذ لو صحّ كلامهم في عدم صحّة الأحكام في غياب الإمام الأعظم، لكانت ولايتهم للقضاء والإمامة كلها غير صحيحة^(١).

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠٨/١) ومجموع مؤلفات الشيخ، (٦٧/٤).

المطلب الثاني

الشبه التي أثّرت على دعوة الإمام رحمه الله

حرص الخصوم أيضاً على إثارة مجموعة من الشبه المختلفة ضد دعوة الإمام، بغرض التنفير من دعوته، والتشكيك في منهجه، وتمكنه العلمي، وقد يكون ثمة تداخل بين هذه الشبه وبين الاتهامات التي وجّهت للإمام بشخصه^(١)، إلا أن هذه الشبه موجهة ضد الدعوة عقيدة ومنهجاً وفكراً، بغض النظر عن صاحب هذه الدعوة وحامل لوائها - رحمه الله -، ومن هذه الشبه:

١ - مسألة التكفير والقتال:

أثار الخصوم عدة شبه حول هذه المسألة، فزعموا أن التكفير والقتال ليسا من دين الله ورسوله^(٢)، وأن من قال لا إله إلا الله لا يكفر^(٣) مطلقاً، وأن

(١) الفرق بين هذ المطلب والمطلب السابق (التهم التي ألصقت بالإمام ورده عليها)، أن الأول: مجرد أكاذيب وافتراءات، ووجهت إلى (شخص) الإمام، وليس لها أي أساس من الصحة؛ أما الثاني، (الشبه التي أثّرت على دعوة الإمام)، فهو عبارة عن مسائل هي في الأصل مسائل شرعية وشبه عقدية أو فقهية أو منهجية، قد تخفى على كثير من الناس، فاستغل الخصوم خفاءها وأثاروا الشبه التي تعارض ما جاء به الإمام حول تلك المسائل، ولووا أعناق النصوص ليستدلوا بها على باطلهم، ولينفروا الناس عن دعوة الإمام، بغض النظر عن شخصه (رحمه الله). فالأول إذاً: اتهامات موجهة للإمام بشخصه، وأما الثاني: فهو شبه أثارها الخصوم ضد المبادئ التي نادى بها الإمام.

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٥/٥)، (١٩٦/٥)، (٢١٠/٥)، (٢٧٢/٥)، وكذلك: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٨/١).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٤١/٥)، (٨٨/٥)، (٩٦/٥)، (١٨٢/٥)، (٢١٠/٥)، (٢١٨/٥)

آيات التكفير الواردة في القرآن إنما نزلت في الكفار^(١)، وأن الطواغيت المعاصرين للإمام لم تقم عليهم الحجة^(٢)، وبالجملة، فإن كثيراً من الخصوم يرى أنه لا يكفر إلا من أنكر الإسلام جملة وكذب بالرسول ﷺ^(٣)، أو كان في عهد النبي ﷺ معاصراً له^(٤).

وقد تعرض الإمام - في رسائله - لهذه الشبهة وناقشها على النحو التالي:

- شبهة أن التكفير والقتال ليسا من دين الله ورسوله:

يقول الإمام - رحمه الله - في إحدى رسائله: إن الخصوم (يقولون: لو يترك أهل العارض التكفير والقتال، كانوا على دين الله ورسوله)^(٥)، وزعم الخصوم أيضاً أن الإمام - رحمه الله - هو الذي جاء بالتكفير والقتال من عنده^(٦)، والعجيب أنهم يشهدون أن ما جاء به الإمام من الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك هو دين الله ورسوله إلا التكفير والقتال، ولذلك نرى الإمام يُلقن أصحابه الحجة لردّ هذه الشبهة، فيقول:

(١) انظر: المرجع السابق، (٢٤١/٥)، وكذلك: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام،

[مرجع سابق]، (١٨٨/١)، (٢٨/٢).

(٢) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق]، (١٨٢/١)، (١٨٨/١).

(٣) انظر: المرجع السابق (٣٤/٢).

(٤) المرجع السابق (٣٤/٢).

(٥) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (١٩٦/٥).

(٦) المرجع السابق (٢١٠/٥).

(والعجب ممن يخفى عليه جواب هذا إذا أقرّوا أن هذا دين الله ورسوله^(١)، كيف لا يكفر من أنكره، وقتل من أمر به وحبسهم؟ .. كيف لا يكفر من جاء إلى أهل الشرك يحثّهم على لزوم دينهم وتزيينه^(٢) لهم، ويحثهم على قتل الموحدين وأخذ ما لهم؟...^(٣)).

كما أن ردّ هذه الشبهة كانت المحور الأساس لرسالة الإمام التي وجهها لمحمد بن عبيد^(٤)، وحرص الإمام في رسالته إلى أهل العيينة^(٥) أن يسوق الأدلة من الكتاب والسنة، ثم أقوال فقهاء المذاهب الأربعة في أبواب حكم المرتد على الرأي الصحيح الذي يراه الإمام في مسألة التكفير والقتال.

– شبهة أن من قال لا إله إلا الله لا يكفر مطلقاً:

أثار الخصوم شبهة أن من قال لا إله إلا الله لا يكفر، خاصة حين أفتى الإمام –رحمه الله– بكفر البوادي، الذين ينكرون البعث والجنة والنار، وينكرون ميراث النساء، مع علمهم أن كتاب الله عند الحضر، وأن رسول الله ﷺ بعث بالذي أنكروا.

(١) انظر ما ذكره الإمام من شهادة الخصوم على رؤوس الأشهاد أن الإمام محق فيما يقول

باستثناء التكفير والقتال - في نظرهم - انظر: المرجع السابق (٢٧/٥).

(٢) كذا في الأصل ولعل (ويزيه) الأنسب للسياق .

(٣) انظر : المرجع السابق (٢٧٢/٥).

(٤) انظر : المرجع السابق (٣٠-٢٤/٥).

(٥) انظر : حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠/٢-٤٤).

قال الإمام: (فلما أفتيت بكفرهم، مع أنهم أكثر الناس في أرضنا، استنكر العوام ذلك وخاصتهم الأعداء ممن يدّعي العلم، وقالوا: من قال لا إله إلا الله لا يكفر، ولو أنكروا البعث وأنكروا الشرائع كلها ..) (١).

ومن حرص على إثارة هذه الشبهة والتلبيس على الناس بها؛ سليمان بن سحيم، مما حدى بالإمام أن يكتب رسالة لتقرأ على عامة الناس فيها تفنيده لهذه الشبهة وغيرها من الشبه، ومما جاء فيها: (أنه -يعني سليمان بن سحيم- صنف الأوراق، يسبنا ويرد علينا في تكفير كل من قال لا إله إلا الله، وهذه عمدة ما يشبهه به على الجهال وعقولها، فصار في أوراقه يقول: أما من قال: لا إله إلا الله لا يكفر، ومن أمّ القبلة لا يكفر ...) (٢)، وقد بيّن الإمام في هذه الرسالة جهل ابن سحيم وتناقضه، وردّ الإمام في رسالة أخرى (٣) على هذه الشبهة، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على بطلانها، ومن تلك الأدلة قتال الصديق رضي الله عنه لمانعي الزكاة، ومعاملة النبي صلى الله عليه وسلم من تزوج امرأة أبيه معاملة المرتد بقتله وتخمس ماله.

- شبهة أن آيات التكفير الواردة في القرآن إنما نزلت في الكفار :

كما أثار الخصوم بعض الشبه حول الأدلة القرآنية التي يستدل بها الإمام في مسألة التكفير، فزعموا أنها إنما نزلت في الكفار، وتحدثت عن قوم قد

(١) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٤١/٥).

(٢) المرجع السابق (٨٨/٥).

(٣) المرجع السابق (٢١٨/٥).

حلوا ولم يعقبوا وارثاً^(١). فتصدى الإمام هذه الشبهة، وردّ عليها في عدّة مواضع من رسائله، ووصفها بأنها (ترسٌ قد أعدّه الجهال الضلال لردّ كلام الله، إذا قال لهم أحد: قال الله كذا، قالوا: نزلت في اليهود ونزلت في النصارى، نزلت في فلان...)^(٢)، وذكر الإمام أنها شبهة باطلة من عدّة وجوه؛ منها: أن القرآن نزل بأسباب، فإن كان لا يستدلّ به إلا في تلك الأسباب، بطل استدلاله^(٣)، وهذا خروج من الدين، ثم إن ابن سحيم قد ناقض نفسه حيث قال: إنه لا يجوز لنا تفسير القرآن، فكيف يفسر هذه الآية، ويزعم أنها خاصة بابن الأشرف؟ ثم يتساءل الإمام قائلاً: (من نقلت عنه من العلماء أن الآية إذا نزلت في رجل كافر أنها لا تعمّ من عمل بها من المسلمين؟ من قال بهذا القول قبلك وعمّن نقلته؟)^(٤)، ثم يذكر الإمام - رحمه الله - أن في هذه الشبهة خروجاً عن الإجماع، فما زال العلماء من عصر الصحابة فمن بعدهم يستدلون بالآيات التي نزلت في اليهود وغيرهم على من يعمل بها^(٥)، ثم يسوق - رحمه الله - بعض الشواهد على ذلك من سير الصحابة وأقوال الفقهاء^(٦).

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٨/٢).

(٢) المرجع السابق (١٨٨/١).

(٣) ويشهد لذلك القاعدة الأصولية المشهورة وهي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٤) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٨/١).

(٥) المرجع السابق الموضوع نفسه.

(٦) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٤٢/٥).

- شبهة أن الطواغيت المعاصرين للإمام لم تقم عليهم الحجّة:

ثم إن الخصوم اعترضوا على إفتاء الإمام بتكفير بعض الطواغيت المعاصرين له؛ مثل (إدريس وآل شمسان)^(١)، وزعموا أنه لا يجب تكفيرهم؛ لأنهم- في نظرهم- لم تقم عليهم الحجّة، وادّعوا أن هؤلاء الطواغيت ما أمروا الناس بالكفر ولا رضوا به^(٢)، وعليه فالكافر هو من اتّخذ الوسائط، أما الوسائط فلا يكفرون^(٣)، وقد بيّن الإمام أن هذه مكابرة وإنكار للواقع، وذكر أن هؤلاء الطواغيت قد وقعوا في كثير من المكفّرات التي ذكر صاحب الإقناع^(٤) أن عشر معشارها يؤدي إلى الكفر واستحلال الدم، ويقول الإمام لأحد الخصوم الذين يباهون بأنهم يعرفون كتاب الإقناع ويعملون به^(٥): (إذا كان كتابكم قد صرّح تصريحاً لا مزيد عليه، ونقل الإجماع على أن من فعل عشر معشار فعل هؤلاء الطواغيت، أنه كافر، حلال الدم والمال، وقد صرّح بأنّ من شكّ في كفرهم فهو كافر، فكيف إذا مدحهم وأثنى عليهم؟ فكيف إذا ضمّ إلى ذلك مدح طريقتهم)^(٦).

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٨/١).

(٢) انظر: جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] ط١٤١٣هـ (١١٠/٢).

(٣) المرجع السابق، وانظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٣٢/٥).

(٤) يعني الشيخ: أبا النجا شرف الدين موسى الحجاوي المقدسي، (ت ٩٦٨) صاحب كتاب

الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل.

(٥) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٨/١).

(٦) المرجع السابق الموضع نفسه.

ثم ذكر الإمام أن سبب وقوع اللبس في هذه الشبهة هو عدم التفريق بين فهم الحجّة وقيام الحجّة ، أما قيام الحجّة على هؤلاء الطواغيت، فلا شك فيه؛ لأن الذي لم تقم عليه الحجّة هو حديث العهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو كانت مخالفته في مسألة خفية مثل الصرف والعطف ، قال الإمام: (فهذا لا يكفر حتى يعرف)^(١)، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإنّ حجة الله هي القرآن، فمن بلغه فقد بلغته الحجّة.

ثم يوضح الإمام، فيقول: ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجّة وبين فهم الحجّة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله، مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، ثم ذكر الإمام مزيداً من الشواهد على ذلك من السنة ومن فعل الصحابة رضوان الله عليهم^(٢).

– شبهة أنه لا يكفر إلا من أنكر الإسلام بالكلية:

اشتطّ بعض الخصوم، فزعموا أنه (لا يكفر إلا من أنكر الإسلام، وكذب بالرسول ﷺ والقرآن، وأتبع يهودية أو نصرانية أو غيرهما... وتارة يقولون: لا يكفر إلا من كان في زمن النبي ﷺ...) ^(٣)، ولكن الإمام -رحمه الله-

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/١٨٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/١٨٢).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢/٣٤).

أجمعهم بالحجة الواضحة، وردّ عليهم ردّاً مفصّلاً، يبين بطلان هذه الشبهة الواهية بالفطرة والبديهة، ثم يقواطع نصوص الكتاب والسنة، وما أثار عن النبي ﷺ وعن صحابته الكرام، منها أن النبي ﷺ بعث البراء ﷺ ومعه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقبله ويأخذ ماله، ومثل همه ﷺ بغزو بني المصطلق لما قيل: إنهم منعوا الزكاة، ومثل قتال الصديق وأصحابه لما نعي الزكاة، وسي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، وتسميتهم مرتدين^(١).

٢- مسألة معنى الشهادة:

يبدو أن هذه المسألة كانت من المحاور الرئيسة لدعوة الإمام، حيث تكرر الحديث عنها في أكثر من (٢٠) رسالة^(٢)، وخصص الإمام -رحمه الله- رسالتين كاملتين للحديث عن هذه المسألة فقط.

وقد حرص الخصوم على منع الناس من معرفة الشهادة^(٣)، وبثّ الشبه حول هذه المسألة، فزعموا أن مجرد تعلم معنى الشهادة وما يتعلق بها من

(١) انظر: المرجع السابق (٣٥/٢).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (١٢١/٥، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٨، ١٥١، ١٥٥، ١٦٢، ١٦٦، ١٧٠، ١٨٢، ١٨٦، ٢٢٦، ٢٧٦، ٢٨٠، ٣٢٢) وانظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنوية، [٥/١٣١٣هـ] (١٧٠، ١٥١/١) (١٧٠، ١٠٠/٢) والطبعة القديمة المرجع نفسه [جدة- مطابع شركة المدينة- ط١- ١٣٨٨هـ] (١٠٧/٨) وانظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠/٢).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٨٦/٥).

أمر العقيدة لا حاجة له، بل هو بدعة محدثة^(١)، وادّعوا أن الشهادة لفظة ما لها معنى، ومعناها لفظها^(٢)، وتارة تراهم يؤكدون أن الشهادة معناها لا شريك له في ملكه^(٣).

وَمَنْ اشتهر عنه بثّ مثل هذه الشبه: المويس^(٤)، الذي قال: [إن تعلم معنى لا إله إلا الله بدعة]^(٥)، وزعم أنه لا حاجة لتعلم معنى التوحيد، فهو أمر فطري، لا ينبغي تعلمه إذ يقول: [إن بنيات حرمة وعبادتهم يعرفون التوحيد، فضلاً عن رجالهم]^(٦)، ويردّ الإمام -رحمه الله- على مثل هذه الشبهة الواهية قائلاً: (إذا كان الأنبياء وسيدهم أعلم الخلق لم يعرفوا التوحيد والشهادة ومعناها إلا بالتعلم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]،

(١) انظر: المرجع السابق، (١٧٣/٥) وجمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (ط/٥١٣٠هـ) (١٠٨/٢).

(٢) أشرف على الطباعة: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، مجموعة الرسائل والمسائل التجديدية، [مرجع سابق] (٣٥/٤).

(٣) المرجع السابق.

(٤) عبدالله بن عيسى المويس (ت ١١٧٥هـ) من أبرز خصوم الإمام، وأكثرهم عناداً ومناهضة، سبقت ترجمته ص ٢٨٣ من هذا البحث.

(٥) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٧٣/٥).

(٦) يعني أن البنات الصغيرات والأطفال في بلدة (حرمة) يعرفون التوحيد فضلاً عن الرجال الكبار، فلا حاجة لتعلمه وتعليمه.

(٧) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٧٣/٥).

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦]، وأبو الحنفاء إبراهيم الخليل عليه السلام خاف على نفسه من الشرك حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وكذلك خير القرون أصحاب الرسول ﷺ، لم يعرفوا ذلك إلا بالتعلم، بل إن هناك مسائل من الشرك ما عرفوها إلا بعد سنين، فكيف يزعم هذا الجاهل أنه عرف ذلك كله بلا تعلم؟! (١).

كما أن الإمام -رحمه الله- اعترف أنه لا هو ولا مشايخه كانوا يعرفون معنى الشهادة قبل هذا الخير الذي من الله به (٢).

ويقول الإمام -رحمه الله- في مذاكرته لأهل حرمة (٣): (لا إله إلا الله قد سألنا عنها كل من جاءنا منكم من مطوع وغيره، ولا لقينا عندهم إلا أنها

(١) انظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (ط ٥/١٤١٣ هـ) (١٠٨/٢).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (١٨٧/٥) ويقصد بهذا الخير هو ما يسره الله للإمام من أمر القيام بالدعوة.

(٣) في [مجموع الرسائل والمسائل النجدية (٣٥/٤)] لأهل حرمة، وإلى ذلك أيضاً يعميل أحمد الضيب في: آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [الرياض، المطابع الأهلية، ط ١٣٩٧ هـ] هامش ص ٩٩، وفي: الدرر السنية، [مرجع سابق] (٦٥/١) لأهل حرمة، ولعله الصواب، لأن الجدل في مسألة معنى الشهادة، وتعليم التوحيد كان محتتماً بين الإمام وبين المويس مطوع حرمة الذي كان يستخف بحرص الإمام على تعليم معنى الشهادة ويزعم أن ذلك بدعة.

لفظة ما لها معنى، ومعناها لفظها، ومن قالها فهو مسلم، وقد يقولون: لها معنى لكن معناها لا شريك له في ملكه^(١)، وقد وضَّح الإمام -رحمه الله- أن الشهادة (ليست باللسان فقط، ولا بد للمسلم إذا لفظ بها أن يعرف معناها بقلبه)^(٢).

كما أكد الإمام -رحمه الله- وكرّر التأكيد في أكثر من ربع رسائله بأن (لا إله إلا الله نفي وإثبات، إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن الأنبياء والصالحين وغيرهم، وليس معنى الألوهية أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر ولا يحيي ولا يميت إلا الله، فإن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يقرّون بهذا كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنُ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]^(٣).

٣- مسألة الغلو في الصالحين وتعظيم القبور:

يتضح من خلال تتبُّع رسائل الإمام أن هذه القضية كانت من أعظم القضايا التي كرّس الإمام جهوده لتوضيحها، وكانت سبباً في تأليب الخصوم

(١) انظر: أشرف على الطباعة: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم (المشرف على طباعة)،

مجموع الرسائل والمسائل النجدية، [مرجع سابق] (٣٥/٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٨٧/٥).

عليه، وتصديهم لدعوته، وقد تكرر حديث الإمام عن هذه القضية بالذات في أكثر من إحدى وثلاثين^(١) رسالة من رسائله الشخصية التي بين أيدينا. وقد تعددت شبه الخصوم حول هذه المسألة، فتارة نراهم يزعمون أن دعاء الأنبياء والصالحين من دون الله أمر جائز، ويستدلون على ذلك بأدلة واهية^(٢)، وتارة يلبسون على الناس، ويقولون: إن سبب ضلال الكفار أنهم يعتقدون في أصنام، أما نحن، فنعتقد في رجال صالحين^(٣)، ثم إن دعاءنا للصالحين إنما هو للشفاعة^(٤)، وأحياناً يعترفون أن دعاء الصالحين وتوجيه أنواع العبادة لهم كالنذر أو غيره كلها أمور غير مستحسنة، ولكنهم يدعون

(١) انظر: المرجع السابق، (٥/٣٢، ٤٠، ٤٤، ٥٢، ٦٦، ٨٩، ١٠٠، ١٠٤، ١١١، ١٢٤، ١٤٤،

١٥١، ١٦٦، ١٧٦، ١٠٨، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١٦، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٦٦، ٢٧٠، ٣٢٢، ٣٢٧).

وكذلك حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/٢٢٢، ٢٠٤).

(٢/٢٠)، وجمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (ط٥/١٣٤هـ).

(١/١٥١، ١٧٠) (٢/١٠٠) وأشرف على الطباعة: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم،

مجموع الرسائل والمسائل النجدية، [مرجع سابق] (٤/٣٥).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٥/٢٠٦).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٥/١٤٤، ٢٦٥، ٢٧٠)، وجمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية،

[ط٥/١٣٤هـ] (٢/١٠٦)، وأشرف على الطباعة: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم،

مجموع الرسائل والمسائل النجدية، [مرجع سابق] (٤/٣٥).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٥/٢٧٠) وجمع: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر

السنية، (ط٥/١٣٤هـ) (٢/١٠٠).

أنها من جملة المحرمات^(١)، وليست شركاً مخرجاً من الملة، وأن ما يفعله العوام عند القبور هو شرك أصغر^(٢)، لأن ابن القيم ذكر -على حدّ زعمهم- أن دعاء الموتى شرك أصغر^(٣)، وأن قول أهل السنة: (لا نكفر مسلماً بذنب) يقتضي عدم تكفير هؤلاء^(٤)، خاصة وأن تكفيرهم فيه مخالفة لعلماء أجلّاء وعبّادٍ صالحين^(٥).

وقد أورد الإمام هذه الشبه، وناقشها في رسائله على النحو التالي:

- شبهة أن دعاء الأنبياء والصالحين من دون الله أمر جائز:

ومن عباراتهم في ذلك: ما نقله الإمام عن ابن فيروز^(٦) الذي صنف مصنفاً قرّر فيه أن ما يفعله العامة عند قبر يوسف وأمثاله هو الدين الصحيح، واستدل في تصنيفه بقول النابغة:

أيا قبر النبي وصاحبيه .: ووا مصيبتنا لو تعلمونا^(٧)

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٣١/٥).

(٢) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠/٢).

(٣) المرجع السابق (٢٩/٢).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٣٣/٥).

(٥) انظر: جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، (ط٥/١٤١٣هـ) (١١١/٢).

(٦) هو محمد بن عبد الله بن فيروز، من أهل نجد أصلاً، ولد في الأحساء سنة ١١٤٢هـ، مهر في عدة فنون، وله كثير من الشيوخ والتلاميذ، توفي بالبصرة سنة ١٢١٦هـ، انظر: عبد الله

البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، [مرجع سابق] (٨٨٢/٣).

(٧) كذا في الأصل، وقد أورد الأصفهاني عجز هذا البيت بلفظ: (ألا يا غوثنا لو تسمعونا)

والبيت للنابغة الجعدي، انظر: الأصفهاني، الأغاني، [بيروت- دار الكتب العلمية- ط الثانية

١٤١٢هـ] (١٣٧/٤).

قال الإمام: (وفي مصنف ابن مطلق الاستدلال بقول الشاعر:
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة .: سواك بمغنٍ عن سواد بن قارب^(١))
فالعجب من أقوام يستدلون بأراء الشعراء، ويردّون الآيات والأحاديث
الصحيحة وأقوال الراسخين في العلم^(٢)).

- قولهم: إن الكفار يعتقدون في أصنام، أما نحن فنعتقد في رجال صالحين:
ومن حججهم (أنهم يقولون: هذا حق، ولكن الكفار يعتقدون في
الأصنام^(٣)) والشرك إنما هو عبادة الأصنام وأما الصالحون فلا^(٤). وقد ردّ
عليهم الإمام - رحمه الله - بالأدلة الكثيرة الواضحة، التي تدل على وجوب
توحيد الإلهية، وصرف جميع أنواع العبادة لله وحده، وأن من صرف نوعاً
من أنواع العبادة لغير الله، فقد أشرك^(٥) وبين الإمام أن (الكفار في زمان النبي
ﷺ منهم من يعتقد في الأصنام، ومنهم من يعتقد في قبر رجل صالح؛ مثل
اللات، ومنهم من يعتقد في الصالحين، وهم الذين ذكر الله في قوله عزّ
وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ

(١) البيت لسواد بن قارب، انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، [بيروت

- دار الكتاب العربي - ب. ت.] [٩٥/٢].

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٠٦/٥).

(٣) انظر: المرجع السابق، (١٤٦/٥).

(٤) المرجع السابق (٢٧١/٥).

(٥) المرجع السابق (١٤٧/٥).

وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴿[الإسراء: ٥٧].. ثم ذكر الإمام: أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة عند الله والتقرب إليه بالاعتقاد في الصالحين، وأن محمداً ﷺ لم يفرق بين من اعتقد في الأصنام ومن اعتقد في الصالحين، بل قاتلهم كلهم وحكم بكفرهم^(١).

- شبهة أن دعاءهم للصالحين ليس للعبادة وإنما طلباً للشفاعة :

يسوِّغ البعض موقفهم، فيقولون: (نعلم أن الله هو النافع الضار، وأن الأنبياء وغيرهم لا يملكون نفعاً ولا ضرراً. لكن نريد الشفاعة)^(٢). وقد بين الإمام لأتباعه كيف يُردّ على من أثار هذه الشبهة، فقال: (يقال لهذا الجاهل: المشركون الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، وغنم أموالهم وأبناءهم ونساءهم، كلهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار، الذي يدبر الأمر، وإنما أرادوا ما أردت من الشفاعة عند الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]^(٣).

- شبهة أن صرف بعض أنواع العبادة لغير الله حرام وليس شركاً:

أثار بعض الخصوم شبهة ماكرة ، فزعموا أن صرف بعض أنواع العبادة لغير الله حرام، وليس شركاً، ومن ذلك أن سليمان بن سحيم أرسل رسالة شنع فيها على الإمام، وضمنها بعض الشبه؛ منها قوله: إن (النذر لغير الله

(١) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) ، (١٤٦/٥).

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٢٧١/٥) .

(٣) انظر: جمع : عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، (طه/١٤١٣هـ) (١٠٤/٢ - ١٠٥).

.. حرام ليس بشرك^(١)، مستدلاً بقول العلماء: (إن النذر لغير الله حرام بالإجماع)^(٢)، وما داموا يقولون: إنه حرام، فهو إذاً ليس بشرك. وقد تهكم الإمام بهذه الشبهة وصاحبها قائلاً: (فإن كان هذا قدر عقلك، فكيف تدعي المعرفة؟ يا ويلك.. ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، فهذا يدل على أن الشرك حرام ليس بكفر؟ يا هذا الجاهل الجهل المركب، ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [الأعراف: ٣٣]، هل يدل هذا التحريم على أنه لا يكفر صاحبه؟^(٣)

كما ردّ الإمام على صاحب الشبهة من الكتاب نفسه الذي استدل به - وهو كتاب الإقناع للحجاوي - فقال: (إنه صرّح في الإقناع أن النذر عبادة، ومعلوم أن لا إله إلا الله معناها لا يعبد إلا الله، فإذا كان النذر عبادة وجعلتها لغيره، كيف لا يكون شركاً؟)^(٤).

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٣١/٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٣١/٥).

(٤) المرجع السابق (٢٣٢/٥).

- شبهة أن ابن القيم يرى أن النذر لغير الله والتوكل على غيره شرك أصغر:

حرص بعض الخصوم أن يشيعوا أن ما يفعله العوام عند قبور الصالحين، ومع كثير من الأحياء والأموات والجن، من التوجه إليهم، ودعائهم لكشف الضر والنذر لهم لأجل ذلك^(١)، أنه شرك أصغر، وذكر الإمام أيضاً (أن بعض الملحدين نسب إلى الشيخ - يعني ابن القيم رحمه الله - أن هذا - يعني: النذر لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره، والتوكل على غيره^(٢)، ... شرك أصغر، وشبهته أن ابن القيم - رحمه الله - ذكره في الفصل الثاني^(٣)، الذي ذكر في أوله الأصغر^(٤))، وقد أجاب الإمام على هذه الشبهة بقوله: (وأنت

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٣٤/٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢٨/٢).

(٣) يعني في كتابه مدارج السالكين، انظر: المرجع السابق (٢٧/٢).

(٤) المرجع السابق (٢٩/٢)، والمقصود أن ابن القيم - رحمه الله - قال في المدارج - باب التوبة - وأما الشرك فنوعان: أكبر وأصغر، ثم ذكر الأكبر وفصل فيه، ثم ذكر الأصغر وفصل فيه، ثم قال بعدما ذكر الشرك الأكبر والأصغر: (ومن أنواع الشرك: النذر لغير الله وابتغاء الرزق... فظن من في قلبه مرض أنه يقصد أنها من الشرك الأصغر لأنها جاءت في نهاية الفصل الثاني، وليس الأمر كذلك؛ فقد وضح الشيخ ابن القيم - رحمه الله - وقال في نهاية الحديث عنها: (وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده وعادى المشركين... انظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، [بيروت - دار الكتاب العربي - ط ٢٤١٤هـ] (٣٥٤-٣٤٨/١).

رحمك الله تجد الكلام من أوله إلى آخره في الفصل الأول والثاني صريحاً لا يحتمل التأويل من وجوه كثيرة أن دعاء الموتى والنذر لهم ليشفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر .. وآخر ما صرح به قوله آنفاً: وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين ...^(١).

وممن برز في إثارة الشبه حول هذه المسألة، وإشاعة أن الذبح والنذر لغير الله ونحوهما شرك أصغر: سليمان بن عبد الوهاب^(٢) أخو الإمام محمد - رحمه الله - وابن عفالق، اللذان حشدا الأدلة ليوهما أن ابن تيمية وابن القيم كانا على هذا الرأي^(٣)، إلا أن الإمام محمداً - رحمه الله - كشف هذه الشبه

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٩/٢).

(٢) سليمان بن عبد الوهاب شقيق الإمام، ولد في العيينة وتولى قضاء حرملاء، وأقام في سدير، وتوفي في الدرعية (١٢٠٨هـ)، وكان من أشد الخصوم المناوئين لدعوة الإمام، ويختلف المؤرخون في مسألة رجوعه وانضمامه للدعوة، حيث يؤكد البسام في علماء نجد (٣٠٥/١) بكثير من الأدلة عدم صحة رجوع الشيخ سليمان، بينما يتعقب، الأستاذ محمد السكاكر أدلة البسام بالمناقشة، ويرد تلك الأدلة في رسالته لنيل الماجستير (الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة) ص ١٢٦، ويذكر الدكتور عبدالعزيز عبداللطيف أدلة أخرى لم يذكرها البسام ولا السكاكر، كأنها ترجع عدم رجوع الشيخ سليمان ويستأنس بالحديث الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه). انظر هذه الأدلة ومناقشة المسألة: عبدالعزيز عبداللطيف، دعاوى المناوئين، [مرجع سابق] حاشية ص ٤١.

(٣) كانا يتبعان أي نص للشيخين يمكن تأويله ليوافق تصورهما الفاسد، وإن اضطررا إلى التحريف والحذف أحياناً، مع أن الرد عليهما أحياناً يكون في النص نفسه، إذا تم نقله بتمامه دون تحريف، انظر: عبدالعزيز بن عبداللطيف، دعاوى المناوئين، [مرجع سابق] (ص ٢٠٧).

وردّ عليها في عدّة مواضع ، وتابع تلاميذ^(١) الإمام - رحمه الله - كتابة الردود على هذه الشبهة وغيرها.

- شبهة أن قول أهل السنة (لا نكفر مسلماً بذنب) يقتضي عدم تكفير عباد القبور:

زعم بعض الخصوم أن قول أهل السنة: (لا نكفر مسلماً بذنب) يقتضي عدم تكفير هؤلاء الذين يصرفون أنواع العبادة للقبور والصالحين، إذ يقول سليمان بن سحيم في إحدى رسائله معتزلاً عن هؤلاء المشركين: (لا يجوز تكفير المسلم بالذنب)^(٢)، ويرد عليه الإمام، فيبين أن هذه العبارة إنما يرادُّ بها أهل السنة على الخوارج، الذين (يُكفرون من زنى، أو من سرق أو سفك الدم، بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر)^(٣).

ويضيف الإمام، فيقول: (وأما أهل السنة، فمذهبهم: أن المسلم لا يكفر إلا بالشرك، ونحن ما كفرنا الطواغيت وأتباعهم إلا بالشرك ...) ^(٤).

(١) من ذلك ما كتبه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين بعنوان (الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين)، وهو مطبوع [الكويت - مكتبة الصحابة الإسلامية - ط ٣ - ب ت].

(٢) ذكر ذلك في رسالته التي شنع بها على الإمام واتهمه بشتى التهم الباطلة ، انظر الإشارة إليها: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٣٣/٥).

(٣) المرجع السابق ، الموضوع نفسه.

(٤) المرجع السابق (الشخصية)، (٢٣٣/٥).

- شبهة أن تكفير عباد القبور فيه مخالفة لعلماء أجلاء وعباد صالحين:

يحتج بعض الخصوم بجلالة الواقعين في هذه الشركيات، وأنهم من أهل العلم، فكيف نخالفهم، ويشير الإمام لهذه الشبهة في بعض رسائله، فيذكر أن كثيراً من علماء المشركين يقرّون في قرارة أنفسهم أن ما يفعله العوام عند قبور الصالحين هو الشرك الأكبر، ولكنهم يتجاهلون هذه الحقيقة بدعوى جلالة الواقعين في هذا الشرك ويكتفون بتعظيم أهله (ويعظمون طريقتهم في الجملة، وأنهم خير أمة أخرجت للناس، وأنهم العلماء الذين يجب ردّ الأمر عند التنازع إليهم، وغير ذلك من الأقاويل المضطربة)^(١).

ويرد الإمام على هذه الشبهة بعد أن يشير إلى ما ورد في البردة والهمزية من الشركيات، فيقول: (وإن جادلك بعض المشركين بجلالة هذا القائل وعلمه وصلاحه، وقال بجهله: كيف هذا؟ فقل له: أعلم منه وأجل أصحاب موسى الذين اختارهم الله، وفضلهم على العالمين حين قالوا: ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقل لهذا الجاهل: أصلح من الجميع وأعلم، أصحاب محمد ﷺ لما مروا بالشجرة قالوا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فحلف رسول الله ﷺ أن هذا: كما قالت بنو إسرائيل لموسى العليّ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]^(٢).

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٣٤/٢).

(٢) جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (١١٢/٢).

٤- مسائل تتعلق بالاجتهاد والتقليد والفتيا والاحتساب:

أدرك الإمام -رحمه الله- منذ فترة مبكرة أن من أعظم أسباب الانحراف الذي وصل إليه المسلمون في ذلك الوقت هو التقليد الأعمى لآراء أصحاب الكتب المتأخرة في المذاهب الفقهية المختلفة، حتى وإن كانت هذه الآراء عارية من الدليل، بل حتى وإن كانت مناقضة للنصوص، فحرص الإمام -رحمه الله- على الوصية باتباع الكتاب والسنة، والحرص على معرفة الدليل، وعدم التعصب للمذاهب الفقهية إذا عارضت النصوص الصحيحة الصريحة، وأوضح الإمام أن ذلك التعصب قد يؤدي إلى الشرك والعياذ بالله^(١)، ولكن الخصوم المتعصبين انتقدوا هذا المنهج، وحرصوا على إثارة الشبه، لصرف الناس عن الأخذ بالكتاب والسنة، بحجة أنه لا يجوز أن يأخذ من الكتاب والسنة إلا المجتهد المطلق، الموصوف -عند البعض- بأوصاف لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- فقالوا: إن القرآن والسنة لا يجوز العمل بهما لنا ولأمثالنا، ومن أخذ بالكتاب والسنة، فقد نسب لنفسه الاجتهاد وترك الاقتداء^(٢)، ومن عمل بالقرآن كفر، والقرآن لا يفسر^(٣)، وبعضهم يوافق الإمام على ما جاء به، ويدّعي أنه لا يجهل أنه الحق، ولكن

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٥٨/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٣٨/٥، ١٥٧، ١٨٩، ٢٢٩، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٧٧، ٢٧٨).

(٣) انظر: المرجع السابق (٨٩/٥).

يعتذر بأهمية عدم مخالفة الناس^(١)، وأنه لا يتعين عليه الفتيا بما يعلم^(٢)، وقد يتشبه بدعوى عدم القدرة على إنكار المنكر^(٣)، وبعض المنتسبين للعلم حرصوا على تسويغ بعض المخالفات الموجودة في المجتمع مثل رشوة الحاكم^(٤)، والتذكير يوم الجمعة^(٥)، والوقف الجائر الذي سماه الإمام وقف الجَنَف^(٦)، فنراهم يحاولون أن يلووا أعناق النصوص، ويتكلفوا الأدلة، ليؤكدوا إباحة تلك المخالفات.

وقد أورد الإمام هذه الشبه، ورد عليها في رسائله على النحو التالي:

أ - شبهة قولهم : القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا:

أشار الإمام -رحمه الله- في رسائله إلى هذه الشبه فذكر أن الخصوم قالوا: القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا، ولا بكلام الرسول ﷺ، ولا بكلام المتقدمين، ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون^(٧)، ويمثلون ببعض الكتب

(١) المرجع السابق (٥/٧٥، ٢٥٦، ١٧٤، ٢٣٥)، وحسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام،

[مرجع سابق] (٢/٢٩).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٥/٢٢٧، ٣١٤).

(٣) المرجع السابق (٥/٢٦٥-٢٦٦).

(٤) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/١٨٥).

(٥) انظر: المرجع السابق (١/٢١٨) وانظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٥/٢٣٤).

(٦) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٥/٧٨).

(٧) المرجع السابق (٥/٣٨، ١٥٧).

التي يجب العمل بها، كالإقناع^(١)، والتحفة^(٢)، ولا يكتفون بذلك بل يهاجمون من دعا إلى الأخذ بالكتاب والسنة، ويقولون: (إن من سلك هذا المسلك فقد نسب نفسه للاجتهاد، وترك الاقتداء بأهل العلم)^(٣)، ويزعمون أن أهل العلم يوجبون التقليد واتباع كتب المتأخرين^(٤).

ويبدو أن الخصوم قد تشبعوا بهذه الشبهة، حتى أصبحوا لا يُعملون فكرهم حتى في تدبر القرآن واستنباط الأحكام منه، وقد أشار الإمام لهذه الحقيقة حين استدللّ على تزيين أهل الباطل لباطلهم بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَتَصْنَعِ إِلَيْهِ أَفْتِدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣]، قال الإمام: لكنّ هذه الآيات ونحوها عندكم من العلوم المهجورة^(٥).

ب- شبهة أن من أخذ بالكتاب والسنة فقد نسب نفسه للاجتهاد وترك الاقتداء:

نهى بعض الضلال عن تدبر القرآن والعمل به لمن لم يصل إلى درجة الاجتهاد، وعدّوا ذلك كفراً، فقد أخبر الإمام أن عبد الله بن سحيم يقول:

(١) المرجع السابق (١٩٠/٥، ٢٢٩). والإقناع هو: كتاب الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل لأبي النجا شرف الدين موسى الحجاوي المقدسي، المتوفى سنة ٩٦٨هـ، وقد طبع عدة طبعات منها طبعة [دار المعرفة، بيروت، ب ت].

(٢) هو كتاب تحفة المحتاج لشرح المنهاج، لابن حجر الهيتمي، (مطبوع عدة طبعات).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٢٥٧/٥).

(٤) المرجع السابق، (٢٧٧/٥).

(٥) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٧٧/٥، ٢٧٨).

(من عمل بالقرآن كفر، والقرآن ما يفسر)^(١)، كما بين الإمام أن المذكور (ينهى عن تفسير القرآن، ويقول: ما يعرف)^(٢).

وقد ردّ الإمام على هذه الشبه الباطلة في عدة مواضع من رسائله وبين أن اتهامهم له بترك الاقتداء بأهل العلم إنما هو بهتان وافتراء، وقال: (إن الذي أنا عليه وأدعوكم إليه هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم فإنهم قد وصّوا بذلك - يعني باتباع الدليل - ومن أشهرهم كلاماً في ذلك إمامكم^(٣) الشافعي، قال: لا بد أن تجدوا عني ما يخالف الحديث، فكل ما خالفه، فأشهدكم أنني قد رجعت عنه، وأيضاً أنا في مخالفتي هذا العالم لم أخالفه وحدي، فإذا اختلفت أنا وشافعي مثلاً في أبواب مأكول اللحم، وقلت: القول بنجاسته يخالف حديث العريين، ويخالف حديث أنس أن النبي ﷺ صلى في مرابض الغنم، فقال هذا الجاهل الظالم: أنت أعلم بالحديث من الشافعي؟ قلت: أنا لم أخالف الشافعي، من غير إمام أتبعته بل أتبعته من هو مثل الشافعي أو أعلم منه، قد خالفه واستدلّ بالأحاديث، فإذا قال: أنت أعلم من الشافعي، قلت: أنت أعلم من مالك وأحمد؟ فقد عارضته بمثل ما عارضني به، وسلم الدليل من المعارض، وأتبعته قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]،.. الآية^(٤)، كما ذكر الإمام أن (أهل العلم في إبطال

(١) انظر: المرجع السابق، (٨٩/٥).

(٢) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

(٣) الرسالة موجهة إلى عبد الله بن محمد بن عبداللطيف القاضي، وهو الأحسائي موطناً الشافعي مذهباً.

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٥٨، ٢٥٧/٥).

هذه الشبهة ما يحتمل مجلداً، ومن أوضحه قول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ
وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] حين فسرها النبي ﷺ في حديث عدي
بإتباع العلماء في تحليل الحرام وتحريم الحلال^(١).

كما أن الإمام كان يجادلهم أحياناً بأسلوب التنزل مع الخصم، فإذا رفضوا
استدلالة بالقرآن والسنة، بحجة أنهم يقولون: (القرآن لا يجوز العمل به لنا
ولأمثالنا ولا بكلام الرسول ﷺ، ولا بكلام المتقدمين، ولا نطيع إلا ما ذكره
المتأخرون)^(٢)، كان الإمام يتنزل معهم، ويقول: (أنا أخاصم الحنفي بكلام
المتأخرين من الحنفية والمالكي والشافعي والحنبلي، كلُّ أخاصمه يكتب
المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم)^(٣).

ولا شك أن العلماء الربانيين من جميع المذاهب متفقون على أن الدليل إذا
صحَّ وسلم من المعارض، فهو الأولى بالاتباع، كما أن الإمام حين تحدّث عن
شبهة وجوب اتباع كتب المتأخرين (كالتحفة)، وترك النصوص من القرآن
والسنة، ذكر (أن العلماء المتأخرين وسادتهم منهم ابن القيم قد أنكروا هذا
غاية الإنكار، وأنه تغيير لدين الله، واستدلوا على ذلك بما يطول وصفه من
كتاب الله الواضح)^(٤)، وكذلك (ابن تيمية، وابن رجب له مصنف مستقل

(١) انظر: المرجع السابق (الشخصية)، (٥٤/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (الشخصية)، (٣٨/٥).

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: المرجع السابق، (٢٥٤/٥).

في هذا^(١)، ومن الشافعية الذهبي وابن كثير وغيرهم، وكلامهم في إنكار هذا أكثر من أن يحصر^(٢).

ج- شبهة وجوب عدم مخالفة الناس:

من شبه الخصوم الاغترار بالكثرة والحرص على عدم مخالفة الناس، ويبدو أن هذه الشبهة كانت من أشد العوائق التي حالت دون الاستجابة لدعوة الإمام - رحمه الله - إذ نراه كثيراً ما يكرر التحذير من هذه الشبهة، فيقول لعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف: (وإن صعب عليك مخالفة الناس، ففكر في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الحاثية: ١٨-١٩]، وقوله: ﴿وَإِنْ تَطَعِ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ ضَلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وتأمل قوله ﷺ في الصحيح: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)^(٣)،^(٤) ويقول الإمام في رسالة أخرى لشخص آخر: (فيا رجل، ألق سمعك لما فرض الله عليك، خصوصاً الشهادتين وما تضمنتاه من النفي والإثبات، ولا تغتر باللفظ والفطرة وما كان عليه أهل الزمان، فتهلك)^(٥).

(١) له مصنف (غير مطبوع) بعنوان: الرد على من أتبع غير المذاهب الأربعة، انظر: ابن رجب

الحنبلي جامع العلوم والحكم، [بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٢ هـ] [٤٩/١].

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٧٧/٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٥٧/٥).

(٥) المرجع السابق، (١٧٤/٥).

ومن أشاع هذه الشبهة سليمان بن سحيم، الذي لبس على الناس، وزعم أن الأولى اتباع ما شاع بين الناس وتعارفوا عليه، وإن خالف النصوص^(١)، واستدلّ على ذلك ببعض الأحاديث، مثل حديث (من شدَّ شدًّا في النار)^(٢)، (ويد الله مع الجماعة)، وقد ردّ الإمام على استدلال ابن سحيم بهذه الأحاديث، فقال: (وليس هذا معنى الأحاديث بإجماع أهل العلم كلهم، فإن النبي ﷺ أخبر أن الإسلام سيعود غريباً، فكيف يأمرنا باتباع غالب الناس؟ وكذلك الأحاديث الكثيرة، منها قوله: (يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه)^(٣)، وأحاديث عظيمة كثيرة، يبين ﷺ أن الباطل يصير أكثر من الحق، وأن الدين يصير غريباً، ولو لم يكن في ذلك إلا قوله ﷺ: (ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٣٥/٥).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر، وفيه [(ويد الله مع الجماعة) ومن شدَّ شدًّا إلى النار]، الترمذي، سنن الترمذي [مرجع سابق] كتاب: الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة [ك٣١-ب٢٧-ح ٢١٧٢] (٤/٤٦٦). وصحح الألباني ما بين القوسين، صحيح الجامع، [بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٨هـ] برقم: (١٨٤٨) (١/٣٧٨).

(٣) أخرجه الديلمي بلفظ (سيأتي على أمي زمان لا يبقى من القرآن إلا اسمه ولا من الإسلام إلا رسمه، يقسمون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة، خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شرُّ فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة وإلهم تعود) الديلمي، القردوس بمأثور الخطاب، [بيروت-دار الكتب العلمية- ط الأولى ١٤٠٦هـ] (برقم ٣٤٤٨) (٢/٣١٩). قال الألباني: والحديث ضعيف جداً، الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، [الرياض-مكتبة المعارف- ط الأولى ١٤٠٨هـ] (برقم ١٩٣٦) (٤/٤١٠).

النار إلا واحدة^(١)، هل بعد هذا البيان بيان، يا ويلك، كيف تأمر بعد هذا باتباع أكثر الناس؟^(٢).

وقد كشف الإمام أسباب تمسكهم بالباطل الذي أَلَفَهُ الناس وإعراضهم عن الحق، وذكر أنه خالف أهواءهم من جهات متعددة:

الأولى: أنهم لا يعرفون؛ مع كونهم يظنون أنهم من العلماء.

الثانية: أن فيه مألَفَ عادةٍ نشأوا عليها، ومخالفةَ العاداتِ شديدةً.

الثالثة: أنه مخالف لعلمهم الذي بأيديهم وقد أُشْرِبُوا حبه كما أُشْرِبَتْ بنو إسرائيل حب العجل.

الرابعة: أن هذا الدين يريد أن يحول بينهم وبين ماكلهم الباطلة المحرمة الملعونة^(٣).

د- شبهة أن العالم لا يتعين عليه الفتيا بما يعلم:

ومن شبه الخصوم المدَّعين للعلم، التي يسوِّغون بها سكوتهم عما يرونه من ألوان المخالفات التي يقع فيها الناس، أنهم أحياناً يتشبهون بشبهة عدم القدرة على إنكار المنكر، فها هو الإمام يستنكر على عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب، ويتعجب كيف طرأت عليهم هذه الشبهة، فيقول: (ثم من العجب

(١) أخرجه ابن ماجة من حديث أنس رضي الله عنه، ابن ماجة، سنن ابن ماجة، [مرجع سابق] [كتاب

الفتن- باب اقتراق الأمم] [ك-٣٦- ب ١٧- ح ٣٩٩١] [٢/١٣٢١]. وصححه الألباني،

صحيح الجامع، [مرجع سابق] برقم (٢٠٤٢) (٤٠٩/١).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٣٥/٥).

(٣) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] [١/١٨٥].

كفكم عن نفع المسلمين في المسائل الصحيحة، وتقولون: لا يتعين علينا الفتيا^(١).

وفي رسالة أخرى نرى الإمام يوبّخ سليمان بن سحيم ووالده عبد الله، اللذين وصل بهما الأمر إلى السكوت عمّا يرونه في قومهم من الشركيات، وعبادة الطواغيت ونخوتهم وندبهم، وجعلهم وسائط من دون الله، ورغم أن سليمان وأباه يقرآن أن هذا من الشرك، إلا أنهما يسكتان عن ذلك، بحجة واهية، هي: أنهم لم يُسألوا عن ذلك، يقول الإمام مخاطباً لهما: (وأنت وأبوك تقولان: نعرف هذا، لكن ما سألونا، فإذا كنتم تعرفونه، كيف يجمل لكم أن تتركوا الناس يكفرون؟ ما تنصحانهم ولو لم يسألوكم؟)^(٢).

بل إن سليمان بن سحيم لم يكن يتورع عن مشاركتهم في اجتماعاتهم البدعية، يقول الإمام مخاطباً له: (الوجه الثاني: أنك تقول: إني أعرف التوحيد وتقرآن أن من جعل الصالحين وسائط فهو كافر، والناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد، وتقرأه لهم، وتحضرهم وهم ينخون ويندبون مشايخهم ويطلبون منهم الغوث والمدد، وتأكل اللقم من الطعام المعدّ لذلك، فإذا كنت تعرف أن هذا كفر، فكيف تروح لهم، وتعاونهم عليه، وتحضر كفرهم)^(٣).

ولا شك أن هذا المسلك الذي اتخذته هؤلاء الخصوم مخالف للأمانة التي أخذها الله سبحانه وتعالى على العلماء بنفع الناس وبيان أمر الله تعالى،

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٣١٤/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٢٢٨/٥).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٢٧/٥).

وعدم كتتم العلم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُمُوتَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢١٨٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، كما أن هذا المسلك مخالف للنصيحة الواجبة على كل مسلم لأخيه المسلم.

هـ- شبهة عدم القدرة على إنكار المنكر ولو باللسان والقلب:

لاحظ الإمام أن كثيراً من الخصوم يغفلون عن ذلك، فيسكتون عن المنكر، بل ويقروونه، بدعوى عدم قدرتهم على إنكاره، لكنهم بالمقابل يُجلبون على الإمام بخيلهم ورجلهم، وينكرون عليه أشد الإنكار إذا رأوه قد خالف قول عالم إلى من هو أعلم منه أو مثله إذا كان معه الدليل^(١)، ويردّ عليهم الإمام فيقول: (فإن كتتم تزعمون أن هذا إنكار للمنكر، فيا ليت قيامكم كان في عظامكم في بلدكم تضادّ أصلي الإسلام، وإن ادّعيتم أنكم لا تقدرّون على ذلك، فإن لم تقدرّوا على الكل، قدرتم على البعض)^(٢)، وقد بيّن النبي ﷺ درجات إنكار المنكر^(٣)، وأقلها الإنكار بالقلب، وبغض المنكر وأهله، والبعد

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٦٥/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (الشخصية) (٢٦٥/٥، ٢٦٦).

(٣) جاء ذلك من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) أخرجه الإمام مسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق]، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان [ك ١ - ب ٢٠ - ح ٤٩] [٧١/١].

عنهم، أما مشاركتهم في منكرهم، وإعانتهم عليه بدعوى عدم القدرة على إنكاره، فهذا من تلبس الشيطان الذي لبس به على أوليائه.

و - شبه أثارها الخصوم لتسويغ مخالفات موجودة في المجتمع:

ومن الشبه التي أثارها الخصوم لتسويغ بعض المخالفات الموجودة في المجتمع وتبرير سكوتهم عنها، دعوى جواز رشوة الحاكم، والتذكير يوم الجمعة، ووقف الجَنَفُ والإثم، وقد أورد الإمام في رسائله بعض عبارات الخصوم في ذلك، وناقشهم في شبههم على النحو التالي :

- دعوى جواز رشوة الحاكم:

من أشاع إحدى هذه الشبه سليمان بن سحيم، الذي استدللّ على جواز رشوة الحاكم وقول من قال: (لا أحكم بينكما إلا بجعلٍ) ببعض النصوص، وذكر أنها ليست من الرشوة، وحمل الرشوة (على ما إذا حكم الحاكم بغير الحق، وأما إذا أخذ رشوة من صاحب الحق، وحكم له به فهي حلال، مستدلاً بقوله ﷺ (أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله)^(١) كما أن ابن سحيم لما جادله محمد بن صالح^(٢) بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا

(١) أخرجه الإمام البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب: الطب، باب: الشرط في الرقية بقطيع من الغنم [ك٧٩ - ب ٣٣ - ح ٥٤٠٥] [٢١٦٦/٥].

(٢) محمد بن صالح: أحد المطاوعة المعاصرين للإمام وقد راسله الإمام وكتب له رسالة مطولة اجاب فيها على سؤالة الذي يتعلق برشوة الحاكم وحكمها في الشرع، ويتضح من خلال تلك الرسالة أن المذكور كان له نشاط علمي، ووقعت له محاورات ومجادلات مع أحد خصوم الإمام وهو سليمان بن سحيم، ولم أعثر على ترجمة له. انظر رسالة الإمام له، حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] [١٨٤/١].

قَلِيلًا] [البقرة: ٤١] أجاب: (بأنها نزلت في كعب بن الأشرف، وبأن الناس فرضوا لأبي بكر لما تولى الأمر درهمين كل يوم)^(١).

وقد أرسل الإمام - رحمه الله - رسالة إلى محمد بن صالح عرض فيها هذه الشبهة، وأجاب عنها جواباً وافياً حيث قال: (قد علم بالكتاب والسنة والفطر والعقول تحريم الرشوة وقبحها، والرشوة هو ما يأخذه الرجل على إبطال حق وإعطاء باطل - وهذه يسلمها لك منازعك - وهي أيضاً ما يؤخذ على إيصال حق إلى مستحقه، بل يسكت ولا يدخل فيه حتى يعطيه رشوة، فهذه حرام، منهي عنها بالإجماع، ملعون من أخذها، فمن ادعى حلها، فقد خالف الإجماع، وقوله: بأي شريعة حكمتَ بتحريم هذا؟ فنقول: حكمتُ به شريعةُ رسول الله ﷺ، وأجمع على ذلك علماء أمته، وأحل ذلك المرتشون الملعونون، ومن أنواع الرشوة: الهدايا التي تدفع إلى الحاكم بسبب الحكم، ولو لم يكن لصاحبها غرض حاضر، لا أعلم أحداً من العلماء رخص في مثل هذا)^(٢).

ثم يرد الإمام على ابن سحيم من نفس الكتاب الذي يعتمده ابن سحيم في الفتيا، فيقول: (والعجب إذا كان في كتابكم^(٣) الذي تحكمون فيه: يجب العدل بين الخصمين في لحظه ولفظه ومجلسه وكلامه والدخول عليه، فأين

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٤/١).

(٢) المرجع السابق (١٨٦/١).

(٣) يعني به كتاب الإقناع للحجاوي.

هذا من أكل عشرة حمران^(١) على أحد الخصمين، وإن لم يعطه أخذ بدلها من صاحبه وحكم له، سبحان الله! أين شريعة حكمت بحلّ هذا، أم أي عقل أجازته، ما أجهل من يجادل في مثل هذا، وأقلّ حياءه وأقوى وجهه^(٢).

كما أن الإمام أجاب على الأدلة التي استدل بها ابن سحيم من عدة وجوه؛ فذكر أن قوله ﷺ (أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله)^(٣)، المقصود به: (الإنسان الذي يداوي المريض بالقرآن، فيأخذ على الطب والدواء، لا على الحكم وإيصال الحق إلى مستحقه، ويدل عليه اللفظ الآخر: (كل فتى أكل برقية باطل، فقد أكل برقية حق)^(٤)، والقصة شاهدة بذلك توضحه، كما بين الإمام أنه لم يستدل أحد من أهل العلم بهذا الحديث على هذا الباطل الذي أباحه ابن سحيم، وكذلك جواب ابن سحيم على الآية: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١]، وأنها إنما نزلت في كعب بن الأشرف، ذكر الإمام أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والعلماء على أنّ الآية، ولو

(١) حمران : جمع أحمر ، وهو نقد يتعامل به أهل نجد في ذلك الزمان مسبوكة من الذهب، انظر: تعليق عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ على عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان ابن بشر، [الرياض، دار الملك عبد العزيز، ط/٤/١٤٠٣هـ] حاشية (٢/٣٤٢).

(٢) انظر : حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/١٨٦).

(٣) سبق تخريجه (ص ٤٦٧).

(٤) أخرجه أبو داود بلفظ (كُلُّ فلعمرى لمن أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق) أبو داود ، سنن أبي داود ، [مرجع سابق] كتاب : البيوع والإجازات - باب في كسب الأطباء [ك١٧ - ٣٨ - ح ٣٤٢٠] (٣/٧٠٦) . وضححه الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة، [الرياض - مكتبة المعارف - ط الأولى ١٤١٢هـ] برقم (٢٠٢٧) (٥/٤٤).

نزلت في كافر، فإنها تعم من عمل بها من المسلمين^(١).

- شبهة جواز بدعة التذكير يوم الجمعة:

وأما الشبهة الأخرى التي أثيرت لتسويغ المخالفات الموجودة في المجتمع، فهي دعوى جواز بدعة التذكير يوم الجمعة^(٢)، وممن أشاع هذه الشبهة وسوغها للناس سليمان بن سحيم، الذي قرّر جواز هذه البدعة، وزعم (أن التذكير ليلة الجمعة لا ينبغي الأمر بتركه)^(٣)، بحجة أنها (بدعة حسنة)^(٤)، وأن الله (أمر بالصلاة على نبيه على الإطلاق)^(٥)، كما ذكر محمد بن صالح

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٧/١، ١٨٨).

(٢) لا شك أن رفع الصوت في موضع الأذان بغير الأذان، سواء كان ذلك صلاة على النبي ﷺ أو آية قرآنية، أو ذكراً غير ذلك.. لا شك أنه من البدع المذمومة، التي أنكرها الإمام - رحمه الله - وأتباعه، وأنكرها أهل العلم قبلهم من سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى، ومن ذلك: (الصلاة والسلام على النبي ﷺ عقب الأذان جهراً... والذي، أحدث ذلك هو محتسب القاهرة صلاح الدين البرلسي، سنة ستين وسبعمئة، وأمر به في مصر وأعمالها ليلة الجمعة فقط، ثم صار ذلك عاماً [يعني بعد كل أذان طوال الأسبوع] على يد نجم الدين الطنبدي) الذي زعم أنه رأى الرسول ﷺ في المنام، وأنه ﷺ هو الذي أمره بذلك!! وجهل هذا المبتدع أن رسول الله ﷺ لا يأمر بعد وفاته إلا بما يوافق ما شرعه الله على لسانه ﷺ في حياته. انظر: الشيخ علي محفوظ، الإبداع في مضار الابتداع [مصر - دار الاعتصام - ط الخامسة ١٣٧٥هـ] (١٧٢-١٧٣).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٢٣١/٥).

(٤) المرجع السابق (٢٣٤/٥).

(٥) المرجع السابق.

أن من العوام (من لا يعرف الجمعة إلا به)^(١)، يعني بالتذكير ، لشدة تأصل هذه البدعة فيهم، وقد ردّ الإمام على سليمان بن سحيم بأن قوله: بدعة حسنة مخالف لحديث النبي ﷺ: ([كل بدعة ضلالة] وكل ضلالة في النار)^(٢)، كما أن الإمام ذكرّ ابن سحيم بأنه سبق أن أقرّ أنها بدعة مكروهة حين جاءه أحد أتباع الإمام وهو عبدالرحمن الشنيفي وجادله في ذلك.

وردّ عليه الإمام أيضاً بأن أمر الله بالصلاة على نبيّه على الإطلاق لا يقتضي جواز الابتداع وتخصيص وقت أو صفة معينة لذلك كما أن أمره بالسجود في قوله: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧]، لا يقتضي جواز الصلاة أوقات النهي، أو السجود أمام الأصنام، ثم يقول الإمام: (ومعلوم أن هذا- يعني بدعة التذكير- حادث من زمن طويل، وأنكره أهل العلم؛ منهم صاحب الإقناع)^(٣). وقد ذكر السيوطي في كتاب (الأوائل) أن أول ما حدث

(١) انظر : حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢١٨/١).

(٢) ما بين المعكوفين أخرجه مسلم ، صحيح مسلم [مرجع سابق] ، كتاب: الجمعة ، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، [ك ٧ - ب ١٣ - ح ٨٦٧] ، (٤٩٦/٢) ، والحديث بتمامه أخرجه النسائي، سنن النسائي ، بشرح جلال الدين السيوطي [بيروت - دار المعرفة - ط ٢ - ١٤١٢هـ] ، كتاب: العيدين ، باب: كيف الخطبة ، [ك ١٩ - ب ٢٢ - ح ١٥٧٧] (٢١٠/٣). وصحح الألباني هذه الرواية ، الألباني ، صحيح سنن النسائي [بيروت - المكتب الإسلامي - ط الأولى ١٤٠٩هـ] (برقم ١٤٨٧) (٣٤٥/١) .

(٣) ذكر صاحب الإقناع كراهيته في مواضع متعددة في باب الأذان، انظر: الحجاوي ، الإقناع، [مرجع سابق] (٧٧/١) ، وانظر البهوتي، كشف القناع عن متن الإقناع ، [بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٢هـ] (٢٣٨/١).

التذكير يوم الجمعة لتهيؤ الناس لصلاتها بعيد السبعمائة في زمن الناصر بن قلاوون^(١).

وأما دعوى أن العوام لا يعرفون الجمعة إلا به، فقد ردّ عليها الإمام في رسالته لمقرن بن عبد الله حيث أخبره (أن رسول الله ﷺ أعلم منا بمصالح أمته، وهو سنّ الأذان ونهى عن الزيادة، فلما فتح الله لكم باباً في اتباع نبيكم ﷺ فلا تثقلوا من قطع العادات في طاعة الله ورسوله، والسلام)^(٢).

- شبهة جواز الوقف الجائر:

وأما الشبهة الثالثة التي أثيرت لتسويغ إحدى المخالفات الموجودة في المجتمع فهي شبهة جواز الوقف الجائر، والمقصود به بعض صور الوقف التي كانت شائعة في نجد، وكان الغرض منها أن يقسم المرء ماله على هواه، ويفرّ من القسمة الشرعية، كأن يحرم امرأته من الميراث، أو يفضل بعض أولاده على البعض الآخر، وعندما أنكر الإمام - رحمه الله - هذا النوع من الوقف، وسماه وقف الجنف والإثم، ثار عليه الخصوم، وأشاعوا أن الإمام يحرم الوقف بالجملة، ويقطع بفساده^(٣)، وقد عالج الإمام - رحمه الله - هذه الشبهة في عدة مواضع من رسائله علاجاً وافياً^(٤)، إذ يقول في إحدى رسائله (هذه

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (٢٣٥/٥).

(٢) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢١٨/١).

(٣) انظر: المرجع السابق (١١٢/١) حيث زعم سليمان بن سحيم أن الإمام يقطع بفساد الوقف.

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٧٨/٥ - ٨٥) وحسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١١٢/١، ١٢٤، ٢١٠، ٢١٣).

كلمات جواب عن الشبهة التي احتجّ بها من أجاز وقف الجنف^(١)،
والإثم...^(٢)، ثم ذكر الإمام صورة المسألة، وعرض شبه الخصوم وأدلتهم،
وأن من تلك الأدلة التي استدلوا بها حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي فيه (صدقة
جارية)^(٣)، وحديث عمر رضي الله عنه أنه تصدّق بالأرض على الفقراء والرقاب
والضيّف وذوي القربى وابن السبيل)^(٤)، (وأن زيدا وعمر سكننا داريهما التي
وقفنا)^(٥)، وقوله رضي الله عنه: (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)^(٦).

(١) الجَنَفُ: الميل والجرور، وأحنف: كذلك وهو مختص بالوصية، ومنه قوله تعالى ﴿فَمَنْ خَافَ

مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ سورة البقرة، الآية رقم (١٨٢) انظر: الفيروز آبادي، القاموس
الخطيب، [مرجع سابق] مادة [جنف] (ص ١٠٣١).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٧٨/٥).

(٣) المقصود: ما رواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة،
إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) أخرجه مسلم، الإمام مسلم،
صحيح مسلم، [مرجع سابق] كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته
(ك ٢٥- ب ٣- ح ١٦٣١) (١٠١٦/٣).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٨٠/٥). والحديث في البخاري، الإمام
البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف،
(ك ٥٤- ب ١٩- ح ٢٥٨٦) (٩٨٢/٢).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٨٢/٥).

(٦) لم أجد بهذا اللفظ، وأخرج مسلم في صحيحه حديثاً مشابهاً لهذا اللفظ من حديث جابر
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلاهلك، فإن فضل عن
أهلك شيء فلذي قرابتك) الإمام مسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق] كتاب الزكاة، باب
الابتداء في النفقة بالنفس، [١٢- ب ١٣- ح ٩٩٧] (٥٧٤/٢).

وقوله: (صدقتك على رحمك صدقة وصلة)^(١)، وقوله: (ثم أدنناك فأدنناك)^(٢)، (ووقف حفصة الحلبي على آل الخطاب)^(٣)، (وكون صفة وفتت على أخ لها يهودي)^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٢٧٧]^(٥)، وغيرها من الأدلة، وقد أجاب الإمام عليها جواباً وافياً، فذكر أن حديث أبي هريرة رضي الله عنه استدلل به العلماء على من أنكر الوقف على اليتيم وابن السبيل والمساجد^(٦)، أما الذي أنكره الإمام، فهو الوقف الذي فيه تغيير لحدود الله، والتقرب إليه بما لم يشرعه، ولو فهم الصحابة وأهل العلم جواز هذا الوقف من هذا الحديث، لبادروا إليه.

- (١) أخرجه الإمام أحمد من حديث سلمان بن عامر بلفظ: (صدقتك على المسكين صدقة ، وعلى ذي القربى الرحم ثنتان؛ صدقة وصلة)، الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، [مرجع سابق] برقم (١٦٢١٥) (٢٥/٤). وحسنه الألباني، الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، [بيروت - المكتب الإسلامي - ط الثانية ١٤٠٥هـ] برقم (٨٨٣) (٣/٣٨٧).
- (٢) أخرجه النسائي ، سنن النسائي ، بشرح السيوطي [مرجع سابق] [٦٤/٥]. كتاب الزكاة، باب أيتهما اليد العليا ، [ك٢٣ - ب ٥١ - ح ٢٥٣١] وصحح الألباني هذه الرواية، صحيح سنن النسائي ، [مرجع سابق] برقم (٢٣٧٢) (٢/٥٣٣).
- (٣) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٨٢/٥).
- (٤) المرجع السابق (٨٣/٥).
- (٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٨٣/٥).
- (٦) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٨٥/٥).
- (٧) ذكر الإمام -رحمه الله- في رسالته إلى أحمد بن مانع (أن مسألة الأوقاف فيها نزاع معروف في كتب المختصرات، ذكر في شرح (الإقناع) في أول (الوقف) أنهم اتفقوا على صحة وقف المساجد والقناطر يعني نفعها لا الوقف عليهما) انظر : حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢١١/١).

وأما عمر رضي الله عنه، فإنه قال: لا جناح على من وليه - أي ولي الوقف - أن يأكل بالمعروف وإن حفصة وليته، ثم وليه عبد الله بن عمر، فكانا لا يأكلان منه دون الورثة، وإنما يأكلان أجرتهما، ثم لو كان الوقف على الورثة جائزاً وهو الأفضل، فما الذي جعل عمر رضي الله عنه يوقف على الفقراء وابن السبيل، ويترك ورثته، وأما زيد وعمر رضي الله عنهما، وأنهما سكنا داريهما التي وقفنا، فلا أحد ينكر هذا، وهو كمن وقف مسجداً وصلى فيه وذريته، أو وقف مسقاة، واستقى منها وذريته.

وأما أحاديث تقديم القرابة في البر، فلا إشكال فيها، لكنها لا تدل على تغيير حدود الله، ومثل ذلك كمثل رجل له خالة أو عمة فقيرة، فتزوجها يريد الصلة، واحتج بتلك الأحاديث.

وأما حفصة - رضي الله عنها - فإنها لم توقف على ورثتها، ولم تحرم أحداً أعطاه الله أو تعطى أحداً حرمه الله، ووقف صفة - رضي الله عنها - على أخيها اليهودي وقف صحيح، لأنه لا يرثها.

وأجاب الإمام على استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، بأن فعل الخير إنما هو اتباع شرع الله وإبطال ما خالفه، والإنكار على من ابتدع في دين الله ^(١).

وبالجملة، فإن التهم التي ألصقت بالإمام وأتباعه، والشبه التي أثيرت لتعارض دعوة الإمام، وتصدد الناس عن الاستجابة لدعوته أكثر مما ذكر، ولكني اقتصر فقط على ما ورد ذكره والرد عليه ومعالجته في رسائل الإمام

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، (٧٩/٥ - ٨٥).

ومراسلاته الشخصية، لكن المتأمل لمؤلفات أتباع الإمام وخصومته أثناء حياته وبعد وفاته، يجد العديد من التهم والشبه، فقد اتهم الإمام بأنه مدعٍ للنبوثة^(١)، وأنه مشبه بمجسم^(٢)، وأنه هو وأتباعه من الخوارج^(٣)، وغير ذلك، وليس هذا مجال البسط والتفصيل فيه^(٤).

(١) ممن رمى الإمام بهذه التهمة محمد بن عفالق، وأحمد بن علي القباني، وعلوي الحداد، وحسن بن عمر الشطي، وأحمد بن زبيح دحلان، والسمنودي، ومحمد توفيق سوفي، انظر: عبدالعزيز العبد اللطيف، دعاوى المناوئين، [مرجع سابق] (ص ٨٤، ٨١) فقد ذكر عباراتهم بنصها وما قيل في ردّ هذه الشبهة.

(٢) ممن رماه بذلك الزبيدي، والحداد والتميمي، واللكنهوري، ودحلان، والنبهاني، والزهاوي، وغيرهم، انظر: المرجع السابق (ص ١٢٥-١٢٩).

(٣) ممن أشاع ذلك: ابن عفالق، وسليمان بن عبد الوهاب، والحداد، وعبد الرؤوف، ومحسن الحسيني، واللكنهوري، ومنصور، ودحلان، وغيرهم، انظر: المرجع السابق (ص ١٧٨-١٨٣).

(٤) تعرّض الدكتور عبد العزيز العبد اللطيف لهذه الشبه والدعاوى بالعرض والنقض، وذلك في رسالته التي قدّمها لتبيل درجة الماجستير من قسم العقيدة، بعنوان: (دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض).

المبحث الرابع

مسائل متنوعة في الفقه وأصوله وعلوم الحديث

تضمنت رسائل الإمام -رحمه الله- مسائل متنوعة في بعض علوم الشريعة؛ منها مسائل فقهية، ومسائل في الاجتهاد والتقليد، ومسائل في السنة وعلومها.

ويمكن تناول هذا المبحث من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

مسائل في الاجتهاد والتقليد

تعرض الإمام في بعض رسائله لبعض المسائل في الاجتهاد والتقليد، ومن تلك المسائل:

المسألة الأولى: وجوب الأخذ بنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة:

حرص الإمام في رسائله على بيان ما قرره العلماء^(١)، من أهمية الالتزام في الأحكام بنصوص الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وعدم العدول عنها إلى أقوال وآراء تعارض الدليل، وقال مبيناً مصادره في استنباط الأحكام: (... ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها)^(٢)، ويبين الإمام أيضاً أنه يأخذ بما (عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد ابن إدريس، وأحمد حنبل، رحمهم الله تعالى)^(٣).

ويؤكد الإمام أن ذلك لا يمنع من التمسك بالمتن، مع مراعاة تقديم النصوص الصريحة على المذهب عند التعارض، ويقول عن نفسه: (... وأما مذهبننا، فمذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة)^(٤).

(١) انظر: ابن القيم، أعلام الموقعين، [مرجع سابق] (٣٣/١). والشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، بتخريج عبدالله دراز، [بيروت - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١١هـ] (٢٥٧/٣)، وانظر: محمد مصطفى شلي، أصول الفقه الإسلامي، [بيروت - دار النهضة العربية - ط الثانية - ١٣٩٨هـ] (٦٢/١).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٠٧/٥).

(٣) المرجع السابق، (٩٦/٥)، وانظر المرجع السابق، (١٠٧/٥).

(٤) المرجع السابق، (١٠٧/٥).

وهذا لا يعني نبد كتب المتأخرين، بل الواجب على طالب العلم قراءتها والعناية بها والأخذ بما وافق الدليل منها، يقول الإمام: (... وأما المتأخرون رحمهم الله، فكتبهم عندنا نعمل بما وافق النص منها، وما لا يوافق النص لا نعمل به)^(١).

كما أشار الإمام إلى أن أقوال العلماء قد تتعارض، ووضّح -رحمه الله- ماذا ينبغي عند حدوث ذلك، وأحال إلى ما ذكره البهوتي في شرحه للإقناع، حيث قال: (اعلم رحمك الله أن الترجيح إذا اختلف بين الأصحاب، إنما يكون ذلك بقوة الدليل من الجانبين)^(٢).

المسألة الثانية: النهي عن (التعصب بالهوى والتقليد الأعمى)^(٣):

حذّر الإمام أشد التحذير من (فتنة عمّت، فأعمّت ورمت القلوب فأصمّت)^(٤)، ألا وهي فتنة التعصب بالهوى والتقليد الأعمى، التي أجمع العلماء على أن صاحبها خارج من زمرة العلماء^(٥).

وقد أكّد الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في رسائله على خطورة هذه الخصلة، وأنها ربما تقود إلى اتخاذ العلماء أرباباً من دون الله،

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٠٧/٥).

(٢) المرجع السابق، (١٤٠/٥) والبهوتي، كشف القناع عن متن الإقناع، [مرجع سابق] (٢٢/١).

(٣) انظر: ابن القيم، أعلام الموقعين، [مرجع سابق] (٨/١).

(٤) كذا وصف ابن القيم -رحمه الله- فتنة التعصب، انظر: ابن القيم، أعلام الموقعين، [مرجع سابق] (٨/١).

(٥) المرجع السابق، (٨، ٧/١).

ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: (قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وفي حديث عدي بن حاتم أنه قال للنبي ﷺ: (إنا لسنا نعبدكم، قال: أليس يجرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونونه؟ قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم). رواه الإمام أحمد والترمذي وغيره^(١)، وقال أبو العالية: إنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فقالوا: (لن نسبق أحبارنا بشيء، فما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم..)^(٢).

ونبه الإمام إلى أن من وسائل ترك التعصب والتقليد الأعمى، أن يدرك المرء أن العلماء أنفسهم اعترفوا بإمكان حدوث الخطأ والزلل منهم، واستشهد بقول الشافعي -رحمه الله- (.. لا بد أن تجدوا عني ما يخالف الحديث، فكل ما خالفه، فأشهدكم أنني قد رجعت عنه)^(٣). كما استشهد بقول شارح الإقناع^(٤) (.. ومن عثر على شيء مما طغى به القلم، أو زلت به القدم، فليدرأ بالحسنة السيئة، ويحضر بقلبه أن الإنسان محل النسيان..)^(٥).

(١) الحديث سبق تخريجه ص (٢٨٦).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٠٥/٥) وانظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، الإيمان، بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، [مكتبة أنس بن مالك - ط ١٤٠٠هـ] (ص ٦٤) باختصار يسير.

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٧/٥).

(٤) هو العلامة: منصور بن يونس البهوتي.

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٤٠/٥) والبهوتي، كشف القناع، [مرجع سابق]

وحين تقول البعض^(١) على العلماء، وزعموا أنهم يوجبون التقليد واتباع كتب المتأخرين، ردّ عليهم الإمام -رحمه الله- بأن كتب هؤلاء العلماء موجودة، وقال: إنه (لم يأت عنهم كلمة واحدة أنهم أَرخصوا لمن لم يعرف الكتاب والسنة في أمرهم هذا، فضلاً عن أن يوجبوه)^(٢)، ثم بيّن -رحمه الله- أن المتأخرين أيضاً كلهم على القول بمنع التقليد الأعمى والنهي عنه^(٣)، كما بيّن الإمام أن الواجب عدم التعصب للمذاهب، وعدم الإنكار على أي مذهب ما دام لم يخالف النصوص، ويقول الإمام مبيناً منهجه: (... ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها)^(٤).

وأكد الإمام على ضرورة إعطاء الخلاف في المسائل الفقهية حجمه الطبيعي، وعدم المبالغة في تعظيمه، حتى يفضي إلى الفرقة والعداوة، والعجيب أن البعض^(٥) يبالغون في الإنكار على الإمام رغم أن الحق والدليل معه، وهم الذين جانبوا الصواب في هذه المسألة، وزادوا عليها كتم العلم، حتى قال لهم الإمام متعجباً: (... ثم من العجب كفكم عن نفع المسلمين في المسائل

(١) منهم عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٧٦/٥).

(٢) المرجع السابق، (٢٧٧/٥).

(٣) انظر: المرجع السابق، الموضوع نفسه.

(٤) المرجع السابق، (١٠٧/٥).

(٥) عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب.

الصحيحة، وتقولون: لا يتعين علينا الفتيا، ثم تبالغون في مثل هذه الأمور مثل التذكير^(١) الذي صرّحت الأدلة والإجماع وكلام «الإقناع» بإنكاره^(٢). ووضح الإمام معالم منهجه في مسألة الاجتهاد والتقليد، وحرصه على اتباع الدليل وعدم التعصب للمذهب، وأقسم قائلاً: (وأشهد الله وملائكته أنه إن أتاني منه [أي من عبدا لله بن عيسى] أو ممن دونه في هذا الأمر كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، وأترك قول كل إمام اقتديت به، حاشا رسول الله ﷺ، فإنه لا يفارق الحق)^(٣).

(١) سبق التعريف بها في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٤/٥).

(٣) المرجع السابق، (٢٧٦/٥).

المطلب الثاني

مسائل في الفقه والأحكام

أشار الإمام في رسائله إلى بعض المسائل الفقهية، فأوجز في بعضها، وفصّل في البعض الآخر. ومن المسائل التي تعرّض لها ما يلي :

١- الوقف:

وقد عرفه العلماء بأنه تجييس الأصل وتسييل الثمرة^(١)، وجاء في رسائل الإمام بعض المسائل المتعلقة بهذا الباب من أبواب الفقه الإسلامي، ومن ذلك:

-الوقف الجائر:

وهو ما أسماه الإمام بوقف (الجنف والإثم)، ويقصد به الإمام بعض صور الوقف التي كانت شائعة في نجد، وكان الغرض منها أن يقسم المرء ماله على هواه، ويفرّ من القسمة الشرعية، كأن يحرم امرأته من الميراث، أو يفضل بعض أولاده على البعض الآخر، وقد فصّل الإمام القول في هذه المسألة، وأفرد لها رسالة كاملة^(٢)، وتعرّض لها، وأشار إليها في رسائل أخرى^(٣)، فند فيها الشبه المتعلقة بهذه المسألة، ويّين فساد هذا النوع من الوقف^(٤).

(١) انظر: بهاء الدين المقدسي، العدة شرح العمدة، [مصر- مطبعة المدني- ط الأولى-

١٤١٢هـ- (٣٩٣/١) والحجاري، الإقناع [مرجع سابق] (٢/٣).

(٢) جاءت هذه الرسالة في ثمان صفحات كلها تدور حول هذه المسألة بالذات.

(٣) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١١٢/١)، ١٢٤، ٢١٠،

(٢١٣).

(٤) سبق تفصيل هذه المسألة في المبحث الثالث من هذا الفصل.

- وقف الأموال التي تصرف على المشاهد والقبور:

أشار الإمام -رحمه الله- في إحدى رسائله إلى إحدى صور الضلال التي سادت في ذلك العصر، وهي وقف الأموال على المشاهد والقبور، ونقل -رحمه الله- ما قاله ابن القيم في بيان بطلان هذا النوع من الوقف، وبيان كيفية صرف أمواله، ومما جاء في رسالة الإمام -رحمه الله- قوله: (قال ابن القيم -رحمه الله- في (الهدى النبوي)^(١)، في الكلام على حديث وفد الطائف.... ومنها: جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه الطوائف في الجهاد ومصالح المسلمين... وكذا الحكم في وقفها، والوقف عليها باطل، وهو مال ضائع... فإن الوقف لا يصح إلا في قرينة وطاعة الله ورسوله، فلا يصح على مشهد، ولا قبر يسرج عليه ويعظم وينذر له... وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الدين ومن أتبع سبيلهم...)^(٢).

٢- الرشوة:

ذكر العلماء أن الرشوة هي: الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة، وأصلها الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء، فالراشي من يُعطي الذي يُعينه على الباطل^(٣)، وقد

(١) يعني كتابه: زاد المعاد في هدي خير العباد.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٧٤-٧٣/٥) وانظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط [بيروت- مؤسسة الرسالة- ط ٢٦- ١٤١٢هـ] [٦٠١/٣].

(٣) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، بتحقيق محمد الطناحي، وظاهر الزاوي، [بيروت- دار الفكر- ط الثانية- ١٣٩٩هـ] [٢٢٦/٢].

تضمنت رسائل الإمام - رحمه الله - تفصيلاً نافعاً لإحدى المسائل المتعلقة بموضوع الرشوة؛ وهي مسألة رشوة الحاكم التي ادعى بعض الخصوم جوازها بحجج واهية، واستدلوا بنصوص لا تدل على ما ذهبوا إليه من إباحتها، وقد ناقش الإمام جميع تلك الأدلة وفند الشبهات التي تعلق بها المحيزون في رسالة مستقلة^(١)، أكد فيها تحريم هذه الرشوة، وقال: (لا أعلم أحداً من العلماء رخصَ في مثل هذا)^(٢).

٣- التذكير ليلة الجمعة :

وهو رفع الصوت بالصلاة على النبي ﷺ في موضع الأذان ليلة الجمعة^(٣)، وقد بيّن الإمام - رحمه الله - في رسائله أنه من البدع المحدثه، وردّ على الشبهات التي تابع أثارها بعض الخصوم للإيهام بإباحته^(٤).

(١) جاءت هذه الرسالة في ست صفحات، انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/٨٤، ١٨٩). وسبقت الإشارة إلى هذه المسألة في البحث الثالث من هذا الفصل.

(٢) المرجع السابق، (١/١٨٦).

(٣) ذكر صاحب الإقناع وغيره كراهيته في مواضع متعددة في باب الأذان، انظر: الحجاوي، الإقناع، [مرجع سابق] (١/٧٧).

(٤) انظر مزيداً من التفصيل عن هذه المسألة في البحث الثالث من هذا الفصل.

المطلب الثالث

مسائل تتعلق بالسنة وعلومها

تدل بعض الشواهد في رسائل الإمام - رحمه الله - على شدة عنايته بالسنة وعلومها، وعنايته بصحيح الحديث وضعيفه، ومن الشواهد على ذلك:

- عدم الجزم بنسبة الحديث للنبي ﷺ قبل التأكد من صحته:

استنكر الإمام - رحمه الله - على أحد المدعويين جزمه بنسبة حديث للنبي ﷺ قبل التأكد من صحته، وقال له: (...السادسة: جزمك بأن النبي ﷺ قال: (اطلبوا العلم ولو من الصين)^(١)، فلا ينبغي أن يجزم الإنسان على رسول الله ﷺ بما لا يعلم صحته، وهو من القول بلا علم، فلو أنك قلت: وروي، أو ذكر فلان، أو ذُكر في الكتاب الفلاني، لكان هذا مناسباً، وأما الجزم بالأحاديث التي لم تصح، فلا يجوز، فتفطن لهذه المسألة، فما أكثر من يقع فيها)^(٢)

- الدقة في رواية الأحاديث وعدم التحريف أو الزيادة :

حرص الإمام - رحمه الله - على تنبيه أحد المدعويين حين زاد على الرواية الواردة في أحد الأحاديث، وحثه على التزام الدقة في رواية الأحاديث النبوية،

(١) ذكره العجلوني في كتابه كشف الحفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، [بيروت- دار الكتب العلمية- ط الثالثة ١٤٠٨ هـ] (ص ١٣٨) وقال: رواه البيهقي والخطيب، وابن عبد البر، والديلمي، وغيرهم عن أنس، وهو ضعيف، بل قال ابن حبان: باطل، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٨/٥) .

وقال معلقاً على رسالة أرسلها المدعو: (قولك في سؤال الملكين: والكعبة قبلي، وكذا وكذا، فالذي علمناه عن رسول الله ﷺ أنهما يسألان عن ثلاث؛ عن التوحيد، وعن الدين، وعن محمد ﷺ^(١))، فإن كان في هذا عندكم رابعة، فأفيدونا، ولا يجوز الزيادة على ما قال الله ورسوله^(٢).

- عدم الاحتجاج بمراسيل المتأخرين :

الحديث المرسل: هو ما سقط من آخر إسناده من بعد التابعي، وصورته: أن يقول التابعي، سواءً كان كبيراً أو صغيراً: قال رسول الله ﷺ كذا^(٣)،

(١) يشير الإمام إلى حديث رواه البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سَبَّتُ اللَّهَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ» قال: (نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول ربي الله ونبيي محمد ﷺ)، فذلك قوله عز وجل: «سَبَّتُ اللَّهَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأَخِرَةِ». الإمام مسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه [ك٥١ - ب١٧ - ح ٢٨٧١] [٤/١٧٤٥]. وأخرجه الترمذي بلفظ: قال ﷺ في قول الله «سَبَّتُ اللَّهَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأَخِرَةِ» قال: في القبر إذا قيل له من ربك وما دينك ومن نبيك؟ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. الترمذي، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، [مرجع سابق] كتاب تفسير القرآن - باب تفسير سورة إبراهيم ﷺ [ك٤٤ - ب١٤ - ح ٣١٣٣] (٢٩٥/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٨/٥).

(٣) انظر: أحمد بن حجر العسقلاني، نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، اعتنى به الأستاذ إسحاق عزوز [القاهرة - مكتبة ابن تيمية - ط ١٤١١هـ] [ص ٣٨].

هذا تعريفه عند المحدثين، أما تعريفه عند الفقهاء والأصوليين، فأعمّ من ذلك؛ فعندهم: أن كل منقطع^(١) مرسل على أي وجه كان انقطاعه^(٢).

وقد أشار الإمام -رحمه الله- في إحدى رسائله إلى حكم الاحتجاج بهذا النوع من الروايات؛ حيث استدرك على من استدلوا برواية فيها انقطاع، ويبيّن أنه لا يصح الاحتجاج بها، وعدّ الإمام هذه الرواية المنقطعة من مراسيل المتأخرين^(٣) إلى مذهب الفقهاء والأصوليين في التوسع في تعريف المرسل، وقال الإمام بعد أن بيّن موضع الانقطاع في هذه الرواية: (وأجمع العلماء على أن مراسيل المتأخرين لا يجوز الاحتجاج بها، فمن احتج بها، فقد خالف الإجماع)^(٤).

ولاشك أن مراسيل المتأخرين -وهي الروايات المنقطعة- تعد روايات مردودة^(٥)، ضعيفة بالاتفاق^(٦) ولاشك أيضاً أن اهتمام الإمام -رحمه الله- بهذه المسألة الدقيقة يدل على عنايته بعلم مصطلح الحديث، وشدة اهتمامه بالسنة وعلومها، ومعرفة صحيحها من ضعيفها.

(١) المنقطع: ما لم يتصل إسناده، على أي وجه كان انقطاعه، وأكثر ما يستعمل في رواية من دون التابعي عن الصحابي، انظر: السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، بتحقيق د. أحمد عمر هاشم [بيروت- دار الكتاب العربي- ط ١٤١٤هـ] [١/١٧١-١٧٢].

(٢) انظر: د. محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، [الرياض- مكتبة المعارف- ط الثانية- ١٤٠٧هـ] (ص ٧٢).

(٣) قيّد الإمام المراسيل بأنها (مراسيل المتأخرين) وهذا يعني أن الساقط ليس من بُعد التابعي من المتقدمين كما هو تعريف المرسل عند المحدثين، بل الساقط من قبله من المتأخرين، وعلى هذا فالرواية هنا ليست من المرسل -على مذهب المحدثين- بل من المنقطع.

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٨١/٥).

(٥) انظر: أحمد بن حجر العسقلاني، نزهة النظر، [مرجع سابق] (ص ٣٦، ٣٩). وانظر: زين الدين العراقي، التقييد والإيضاح لما أطلق وأعلق من مقدمة ابن الصلاح، [بيروت- مؤسسة الكتب الثقافية- ط الثانية ١٤١٣هـ] (ص ٧٩).

(٦) انظر: محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، [مرجع سابق] (ص ٧٨).

رسائل

الإمام محمد بن عبد الوهاب

الشخصية

دراسة دعوية

عبد المحسن بن عثمان بن باز

كلية الدعوة والإعداد
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

مجمة الثايف

دار إشبيليا

للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الثاني

أساليب رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله

المبحث الأول: الأساليب المستخدمة في رسائل الإمام
رحمه الله

المبحث الثاني: تنوع الأساليب في رسائل الإمام (باعتبار
المدعو)

الفصل الثاني

أساليب رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

مدخل:

- الأسلوب في اللغة: هو كل طريق ممتد؛ يقال: سلكت أسلوب فلان، أي طريقته، وهو أيضاً الوجه والمذهب؛ يقال: أنتم في أسلوب سوء؛ أي: مذهب سوء.

والأسلوب أيضاً: الفن؛ يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه، والجمع أساليب، وله إطلاقات أخرى، فيقال للسطر من النخل، والشموخ في الأنف، وعنق الأسد، أسلوب ... إلخ^(١).

- الأسلوب في الاصطلاح: تنوعت التعريفات الاصطلاحية لكلمة أسلوب؛ فالبعض عرف الأسلوب بأنه:

عرض ما يراد عرضه من معان وأفكار ومبادئ وأحكام في عبارات وصيغ ذات شروط معينة^(٢). وقيل: هو الصيغ التي يعبر عن المعنى بها، أو الحلقة اللفظية التي يقوم بها المعنى، أو ما يقوم مقامها^(٣).

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، [مرجع سابق] مادة [سلب] (٤٧٣/١)، والفيروزآبادي، القاموس المحيظ، [مرجع سابق] مادة [سلب] (ص ١٢٥)، وإسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، [بيروت- دار العلم للملايين- ط الثانية -١٣٩٩هـ] مادة [سلب] (١٤٩/١)، وإبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، [مرجع سابق] (٤٤١/١).

(٢) د. أبو الجحد السيد نوفل، الدعوة إلى الله خصائصها مقوماتها مناهجها، [مصر- مطبعة الحضارة العربية- ط الأولى- ١٣٩٧هـ] (ص ١٨٩).

(٣) د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام، [الرياض- دار عالم الكتب- ط الأولى- ١٤١٥هـ] (ص ١٢٩).

وإذا روعي أن الأساليب منها ما يكون أساليب قولية، ومنها ما يكون أساليب عملية^(١)، فإنه يمكن أن يقال إن :

- الأسلوب بمفهومه العام: هو القالب الذي تصاغ فيه الوسيلة، أو فن عرض المناهج للتأثير والإقناع^(٢)، ولما كان موضوع البحث يتعلق بأساليب الدعوة القولية، فإنه يمكن تعريف (أساليب الدعوة القولية) على حدة، فيقال: - أساليب الدعوة القولية هي: طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها، للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير^(٣).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الأسلوب - كما يظهر من التعريفات السابقة - هو عبارة عن ناحية شكلية خاصة، وهو قدرٌ زائد يُصاغ به المضمون الأساس للرسالة الدعوية، فيضفي على هذا المضمون مزيداً من التأثير واليضاح، وربما يصل به الداعية إلى أغراض دعوية أخرى قد لا يؤديها المضمون الأساس لو لم يصغ بهذا الأسلوب. ويتفاوت الدعاة - بقدر ما آتاهم الله من العلم والحكمة - في حسن استخدامهم لهذا الأسلوب

(١) انظر: د. محمد بن ناصر الشثري، الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله، [ط الأولى - ١٤١٧هـ] (٢/٥١٩). وانظر: محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، [مراجع سابق] (ص ٢٥٢).

(٢) انظر: محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، [مراجع سابق] (ص ٤٧). وإبراهيم المطلق، التدرج في دعوة النبي ﷺ، [رسالة ماجستير غير مطبوعة] (ص ٤٠).

(٣) أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، [مصر - مكتبة النهضة المصرية - ط الثامنة - ١٤٠٨هـ] (ص ٤٤).

ومهارتهم في صياغته، وبناءً عليه، تتفاوت قدراتهم على التأثير في المدعويين وإقناعهم واستمالتهم.

ومهما يكن من أمر، فإنه لا يصح أن يقدم المضمون الصحيح والمعنى الجميل في شكل ذميم، ولا أن تقدم الحقيقة في إطار يطفئ بهاءها^(١)، بل لا بد أن تصاغ بأسلوب يضمن إيضاحها واستمالة المدعو إليها؛ وذلك بمراعاة حال المدعو وتهيئة نفسه، واختيار الألفاظ الملائمة له، حتى تصل الدعوة إلى أهدافها المرسومة لها. وقد أمر الله سبحانه وتعالى بمراعاة هذا الجانب، وأرشد إلى بعض الأساليب المستخدمة فيه؛ حيث قال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وإن المتأمل للرسائل الشخصية التي كتبها الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - يجد أنها قد اشتملت على معظم الأساليب الدعوية التي استخدمها في دعوته، وكانت - بعد توفيق الله - أحد أسباب نجاح هذه الدعوة وانتشارها.

ولا شك أن دراسة هذه الأساليب تعد خطوة في محاولة الكشف عن الجانب الآخر من شخصية الإمام محمد - رحمه الله -؛ ذلك الإمام الذي عرف كثير من الناس جانباً من شخصيته، فعرفوه عالماً مجاهداً بلسانه وقلمه ولسانه في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ونصرة دينه، وأما الجانب الآخر الذي

(١) انظر: د. سيد ساداتي الشنقيطي، ركانز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام، [مرجع سابق]

قد يغفل عنه البعض هو ما تميز به - رحمه الله - من الفقه بأساليب الدعوة وكيفية التعامل مع وسائلها، والمهارة في معرفة نفسية المدعو، وإتقان فن التعامل معه، واختيار الأسلوب الأمثل لاستمالته إلى الحق، وهدايته إليه بتوفيق الله تعالى.

- الضابط في تعيين ودراسة أساليب رسائل الإمام رحمه الله:

أ) لعل مما تجدر الإشارة إليه هنا أنه وإن كان الأغلب في تعيين أساليب الإمام في هذا البحث هو ما تكرر في رسائله أكثر من مرة، وأكثر الإمام استعماله، إلا أن الباحث لم يتردد أحياناً في ذكر بعض الأساليب، ولو لم ترد إلا مرة واحدة في الرسائل التي جرت عليها الدراسة؛ وذلك لأسباب منها:

١- أن استعمال الإمام لأحد الأساليب - ولو مرة واحدة - كافٍ غالباً للدلالة على أنه أسلوب استعمله الإمام وارتضاه، وربما استعمله في كتابات أخرى، أو رسائل أخرى لم تصل إلينا^(١).

٢- أن من أهم أهداف هذه الدراسة: تعيين ما ورد في رسائل الإمام - رحمه الله - من الأساليب الدعوية المشروعة أو المباحة، التي يمكن أن يستفيد

(١) عاش الإمام حياة طويلة صاحب دعوة، وأسهم في توجيه دولة لمدة تقرب من ٥٣-٥٥ سنة مما يجعل الباحث يرجح أنه قد كتب رسائل شخصية كثيرة جداً لأغراض مختلفة، أشار ابن غنم أنه اقتصر على ذكر بعضها مما يرجح أن كثيراً من تلك الرسائل - على ما يبدو - قد ضاع، انظر: حسين بن غنم، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/٤٠٤، ٩٥) (٢/٧٤) وانظر: بحثاً كتبه د. عبد الله العثيمين بعنوان: (الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب) ضمن بحوث أسوع الشيخ (١/١٠٥).

منها الدعاة في كل زمان ومكان، وإن لم يستخدمها الإمام إلا مرة واحدة، فليس ذلك عائقاً للاستفادة منها واستغلالها.

ب) كما أن الباحث حاول أن يشير إلى مشروعية بعض الأساليب التي استخدمها الإمام، ويذكر بعض شواهدا من الكتاب والسنة، ويشمل ذلك على وجه الخصوص طائفة من الأساليب التي قد يشكل على البعض مشروعيتها وجوازها، في حين أغفل الباحث هذا الجانب في أساليب أخرى رأى - حسب اجتهاده - أنها لا إشكال فيها، وأن الحديث عن مشروعيتها من الإطالة التي لا موجب لها، فاكتمى بذكر الشاهد على هذا الأسلوب من كلام الإمام رحمه الله.

ولعل من المناسب أن يتم تناول هذا الفصل ودراسة أساليب رسائل الإمام - رحمه الله - من خلال المبحثين التاليين:

- المبحث الأول : الأساليب المستخدمة في رسائل الإمام رحمه الله.
المبحث الثاني : تنوع الأساليب في رسائل الإمام (باعتبار المدعو).

المبحث الأول

الأساليب المستخدمة في رسائل الإمام رحمه الله

المطلب الأول: القدوة^(١):

- يذكر علماء اللغة: أن (القاف والدال والحرف المعتل) أصل صحيح يدل

(١) يرى بعض علماء الدعوة وكتّابها أن (القدوة) تعدّ من أساليب الدعوة، بينما يرى البعض الآخر أنها من وسائل الدعوة، لا من أساليبها، في حين يرى فريق ثالث أنها إطار للدعوة وليست وسيلة ولا أسلوباً، وربما يرى فريق رابع رأياً آخر أو يصنفها ضمن تصنيف آخر، ولا مشاحة في الاصطلاح؛ (فالقدوة) على أية حال من الطرق التي استخدمها الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في دعوته كما سيتضح من الشواهد، وقد استقرّ الرأي في هذا البحث على تصنيف (القدوة) ضمن أساليب الدعوة موافقة لأصحاب القول الأول، ومنهم: د. محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة [مرجع سابق] (ص ٢٧١)، ود. علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها، [مصر - دار الوفاء - ط الأولى ١٤٠٧هـ] (ص ١٦٨) ود. سليمان ابن عبد الله الحبس في بحثه المقدم لنيل درجة الدكتوراه بعنوان: وسائل الدعوة وأساليبها في العصر العباسي الثاني [بحث غير مطبوع] (ص ١٩٨)، ويمكن أن يفهم ذلك أيضاً من كلام د. عبد الكريم زيدان، في كتابه: أصول الدعوة [مرجع سابق] (ص ٤٣٤-٤٣٦)، حيث ذكر أن ابتعاد الداعي عن الشبهات ومواضع الريبة، بل وعن فضول المباحات ليكون أسوة للمدعوين، وليفوت على المعرضين فرصة المساس بسمعة الدعوة، ذكر أن ذلك يُعدّ من (أساليب الدعوة). ولاشك أن ذلك يدخل في أسلوب (القدوة). [ولكنه عاد فذكر القدوة ضمن وسائل الدعوة ص ٤٨٧]، وكذلك د. توفيق الواعي في كتابه: الدعوة إلى الله: الرسالة - الوسيلة - الهدف [مرجع سابق] (ص ٢٣٣-٢٣٧)، حيث ذكر أن من أساليب التزبية والدعوة في القرآن الكريم (اتباع القدوة الحسنة) على حد تعبيره - كما بين أن من ذلك: العناية بالسيرة النبوية وسيرة السلف الصالح، لأنهم (كانوا التطبيق العملي والدلالة الواضحة على طريق القرآن والسنة). [ولكنه هو الآخر عاد فذكر القدوة ضمن وسائل الدعوة ص ٣٥٧]. ومن صنف (القدوة) ضمن أساليب الدعوة د. عبد الله الحوشاني في كتابه منهج ابن تيمية في الدعوة [الرياض - دار إشبيليا - ط الأولى ١٤١٧هـ] (ص ٥٤٥/٢)، وقد ذكر هذا الأخير كلاماً نفيساً في التفريق بين الوسيلة والأسلوب، مفاده: أن الوسائل - في الغالب - تتكون من أشياء مادية محسوسة، وأن الوسائل أوعية الأساليب والحاملة لها، ولكنه أكد على أمر مهم، وهو أن (الشيء الواحد قد يكون وسيلة من وجه وأسلوباً من وجه آخر)، (فالداعية بشخصه) وسيلة من وسائل الدعوة، يمكن أن يبلغ دعوته بأسلوب القول أو الفعل أو القدوة، ثم إن (القول) وسيلة من وسائل الدعوة يمكن أن يصاغ بأسلوب الخطبة أو الدرس أو الكلمة الوعظية أو... ثم إن (الخطبة) وسيلة من وسائل الدعوة يمكن أن تصاغ بأسلوب الترغيب أو التزهيب أو الجدال والحوار المنطقي الذي يخاطب العقل، وهكذا. انظر: المرجع السابق (ص ٥٤٤/٢) بتصرف ومن هذا المنطلق، فيمكن القول: إن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قد استخدم وسيلة التزبية وتبليغ الدعوة بأسلوب القدوة، والترغيب، والتزهيب، والجدال بالتي هي أحسن.

على اقتباس بالشيء واهتداء، ومقادرة في الشيء حتى يأتي به مساوياً لغيره^(١)، والقُدو: الأصل الذي يتشعب منه الفروع، قال ابن سيده: القُدوة بالضم، والقِدوة بالكسر: ما تسنتت به وهو الأسوة، يقال: فلان قُدوة يقتدى به، أي: أسوة^(٢).

وَبني الاصطلاح : قال الإمام الخازن: وأصل الاقتداء طلب موافقة الثاني للأول في فعله^(٣)، وقال الشوكاني: الاقتداء: هو طلب موافقة الغير في فعله^(٤).

ويمكن أن نخلص من ذلك إلى أن القُدوة الحسنة: هي التأسّي بكلِّ مَنْ عمل عملاً صالحاً حسناً سواءً كان نبياً رسولاً، أو كان تابعاً للرسول الكرام ناهجاً نهجهم في عمله^(٥).

ولا شك أن أسلوب القُدوة يعد من أهم الأساليب الدعوية الناجحة، وأشدّها تأثيراً، وربما كان أول ما ينبغي البدء به من أساليب الدعوة المختلفة،

(١) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، [مرجع سابق] مادة [قدو] [٦٦/٥].

(٢) انظر: المرجع السابق، وابن منظور: لسان العرب، [مرجع سابق] مادة [قدو] [١٧١/١٥].

(٣) علاء الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، [بيروت- دار الفكر - ب ت] [٣٢/٢].

(٤) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، [بيروت- دار الفكر- ط ١٤٠٣هـ] [١٣٧/٢].

(٥) انظر: محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، [مرجع سابق] [ص ٢٧٢].

أسوة بالرسول الكرام - عليهم السلام - الذين كانوا يتمثلون ما يدعون إليه،
ويطبقونه قبل أن يدعو إليه أقوامهم - كما يتضح من ظواهر النصوص - ومن
شواهد ذلك قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا
أْتَاكُمْ عَنْهُ إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨].

وقد حرص الله عباده المؤمنين على الاقتداء برسوله الكريم ﷺ فقال:
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، كما حرص سبحانه وتعالى
النبي وأتباعه على الاقتداء بالأنبياء السابقين فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبُهِدَاهُمْ
اِقْتَدِهِ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ولا شك أن الداعية الحكيم يراعي هذا الجانب؛ فالنفس مجبولة على عدم
الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه، ولا يوافق فعله قوله^(١)، ولا أدل على
نجاح هذا الأسلوب وقوة تأثيره من أن كثيراً من البلاد الإسلامية التي لم
يصلها الفتح الإسلامي إنما دخلت الإسلام متأثراً بالتجار والدعاة المسلمين،
واقْتَدَاءَ بِهِمْ^(٢)، فالقدوة هي الدعوة الصامته، التي لا يعوقها حاجز اللغة، بل
يفهمها جميع أجناس البشر دون عناء.

وقد أدرك الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - أهمية هذا الأسلوب،
وسرعة تأثيره في المدعوين، وسهولة تلقيهم له، إضافة إلى عمق آثاره في

(١) انظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، [مرجع سابق] (ص ٤٦٨).

(٢) انظر: عبد الله سعد الضيف، القدوة الحسنة وأثرها في الإعلام بالإسلام، [طه ٤٠هـ].

نفوسهم، فحرص - رحمه الله - على الأخذ به، والاستفادة من ثمراته، ولئن كانت الشواهد على ذلك في السيرة العامة للإمام - رحمه الله - واضحة، فإن رسائله أيضاً، التي هي مادة هذا البحث، لم تخل من إشارات لطيفة جاءت عفواً^(١) أو قصداً استخدم فيها الإمام أسلوب القدوة، فهو تارة يشير بلطف إلى بعض الملامح الإيجابية في حياته الشخصية، علّ المدعو أن يتأسى به فيها، وتارة يذكر أحوال بعض العلماء والجوانب الإيجابية في حياتهم للغرض نفسه، دون أن يكون هناك توجيه مباشر للمدعو بأن يقتدي بهم؛ ومن ذلك:

١- القدوة في الحرص على الدعوة :

لا شك أن الإمام - رحمه الله - كان حريصاً على أن يتّصف المدعوون بما أتصف به من شدة الحرص على القيام بواجب البلاغ والدعوة لهذا الدين، حتى وإن غلب على الظن عدم الاستجابة، ولذلك أشار في بعض رسائله إلى هذه الصفة التي أتصف بها، علّ المدعوين أن يقتدوا به، يقول الإمام في إحدى رسائله: (... وإنما كتبت لكم هذه معذرة من الله ودعوة إلى الله، لأحصل ثواب الداعين إلى الله، وإلا أنا أظن أنكم لا تقبلونه..)^(٢).

(١) يتميز أسلوب القدوة بأنه ربما يؤدي غرضه ويؤتي ثمرته دون علم الداعي أحياناً، وربما بدون قصد منه، بمعنى أنه يقوم بعمل صالح، أو يشير إلى قيامه به دون أن يقصد توجيه المدعو للاقتداء به، ومع ذلك يحصل الاقتداء .

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٦/٥) من رسالته لعبد الله بن محمد بن عبداللطيف القاضي الأحسائي ، وانظر أيضاً رسالته إلى سليمان بن سحيم (٢٣٠/٥) .

وهو - رحمه الله - يحمل هم الدعوة، ويعمل لأجلها، ويكتب الرسائل الدعوية حتى في ظلمة الليل على ضوء السراج الخافت، حيث يقول في رسالته إلى عبد الله بن سحيم^(١): (... هذا ما تيسر كتابته عاجلاً على السراج، والمأمول فيك أنك تنظر فيه بعين البصيرة ..)^(٢)، ولا شك أن هذه الإشارة، كما أنها تدعو عبداً لله بن سحيم إلى الاقتداء بالإمام في حرصه على الدعوة، فهي أيضاً تدعوه إلى شدة الاعتناء بالرسالة بعد أن بذل كاتبها فيها هذا العناء.

والإمام يقوم بواجبه في الدعوة، ويكتب الرسائل الدعوية التي يظهر فيها حرصه على هداية المدعوين من خلال صياغتها بأسلوب حسن، ونقل عبارات العلماء وحججهم الواضحة فيها، ويُبرز الإمام هذا الجهد لأحد المدعوين^(٣)، علّه أن يقتدي به، فيقول: .. هذا ابن إسماعيل والمويس وابن عبيد، جاءتنا خطوطهم في إنكار دين الإسلام ... وكاتبناهم، ونقلنا لهم العبارات، وخاطبناهم بالتي هي أحسن ..^(٤).

ويؤكد الإمام على كل داعية أن يراعي التدرج في الدعوة؛ فلا يلجأ إلى القوة إلا بعد إقامة الحجة والدليل، ويقول عن منهجه في ذلك، علّ أحدنا أن

(١) مطوع الجمعة، سبق ترجمته.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣٥/٥).

(٣) وهو أحمد بن يحيى (مطوع من أهل رغبة).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٠٠/٥).

يقتدي به: (... فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان، قاتلناه بالسيف والسنان)^(١).

٢- القدوة في القيام بالاحتساب ومراعاة آدابه :

أدرك الإمام أن ترك الاحتساب من أعظم الأسباب التي أدت إلى انتشار البدع والضلالات؛ فحرص على إحياء هذه الشعيرة تصريحاً وتلميحاً، فإضافة إلى توجيهاته الصريحة بوجوب القيام بهذه الشعيرة، ظهرت في رسائله بعض الإشارات اللطيفة التي تحت المدعو على الاقتداء بالإمام في قيامه بالاحتساب وتأدبه بآدابه، فالإمام يربي المدعويين على ما أتصف هو به من عدم المداهنة في دين الله، حيث يقول لأحد المدعويين الذين تكرر منهم الوقوع في المنكر مع جلاله قدرهم: (وإن كنت تظن في خاطرك أنا نبغي أن ندهنك في دين الله، ولو كنت أجل عندنا مما كنت فأنت مخالف ..)^(٢).

كما ينبه الإمام في رسالة عامة إلى أن يقوم كل مسلم - وخاصة أصحاب المناصب - بواجبهم في الاحتساب، ويوجه إلى ذلك بطريق غير مباشر، حيث يضرب المثل بنفسه عليهم أن يقتدوا به، فيقول: (وأنا صاحب منصب في قريتي مسموع الكلمة، وأيضاً ألزمت من تحت يدي بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الربا وشرب المسكر وأنواع المنكرات ..)^(٣).

(١) المرجع السابق (١١٤/٥).

(٢) المرجع السابق (٢٨٠/٥).

(٣) المرجع السابق، (١٥٠/٥) وانظر أيضاً المرجع السابق (٩٥/٥، ١١٤، ١٧٦، ٢٩٦).

والإمام لا يسمح أيضاً أن يقال المنكر في مجلسه، ويقول لأحد المدعويين^(١)، مشيراً إلى ذلك: (... وإن كان مذكور لكم أنني قائل شيئاً أو قائل أحد يحضرني كلام سوء ولا رديت عليه، فاذكروا لي ..)^(٢).

كما يحرص الإمام علي أن يتأدب أتباعه بآداب الاحتساب، ويبدأ بالإشارة إلى تمثله بهذا الأمر، عليهم أن يقتدوا به، فهو لا يسارع إلى الإنكار وتصديق الشائعات حتى يتوثق، ويؤكد الإمام لأحد المدعويين أن يبلغه عنه (كلاماً ما يتجاسر العاقل ينطق به)^(٣)، ومع ذلك يطمئنه الإمام أنه لا يصدق هذا الكلام ما دام لم يتوثق منه.

كما أن الإمام -رحمه الله- لا ينكر المنكر إذا ترتب عليه منكر أعظم منه، فهو يترك الإجابة عن مسألة أرسلت له من بعض الجهات، لئلا يُستغلّ جواب الإمام عليها في التشنيع على جهة أخرى، ويقول: (... لكن ما أنا بكاتب لهم جواباً ... وأخاف أن أكتب لهم جواباً، فينشرونه فيزعلكم، وأشوف غايتكم قريبة، وتحملون الأمر على غير محمله ..)^(٤).

(١) عبد الله بن عيسى، كما في الدرر السنية (٢٨/٧) وحصل تصحيف في مجموع المؤلفات فكتب (عبد الله بن عيد)، وفي الرسالة تصحيفات أخرى كثيرة، والصواب ما في الدرر، والله أعلم.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٨/٥)، وجمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (٢٨/٧).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٨/٥).

(٤) المرجع السابق، (٣١٥/٥).

٣- القدوة بالتخلق بمحاسن الأخلاق:

أ) التواضع:

كره الإمام -رحمه الله- صفات العجب والتكبر فابتعد عنها، وحرص على أن يتجنبها أتباعه وأن يقتدوا به في تركها ومجانبتها، وجاء في رسائله بعض الإشارات الدالة على تواضعه -رحمه الله-، ومن ذلك: ما دار بينه وبين عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب، حيث حرص -رحمه الله- على إزالة الإشكال بالمقابلة والحديث المباشر مع الابن عبد الوهاب، لكي يقوم بإيضاح الصورة لوالده، ورغم أن مما لاشك فيه أن الواجب أن يقوم الفتى عبد الوهاب^(١) بزيارة الإمام محمد؛ فالإمام هو الأكبر علماً وسناً وقدرًا، ومع ذلك أبدى الإمام تواضعه واستعداده بأن يبادر هو بزيارة عبد الوهاب إن استتقل عبد الوهاب الزيارة، على ما في ذلك من المشقة على الإمام، مع كثرة مشاغله، يقول الإمام مخاطباً عبد الله بن عيسى: (وألزّم أن عبد الوهاب يزورنا سواء كان يومين أو ثلاثة، ويخاطبني وأخاطبه من الراس، وإن كان

(١) عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى، لم أعتز على ترجمته ولا ترجمة والده، والذي يظهر من الرسائل أنه أصغر سنًا من الإمام؛ لأن والده عبد الله بن عيسى كان من جيل الإمام وأقرانه، كما أنه ولا شك أقل علماً وقدرًا من الإمام، وقد عانى الإمام منه ومن والده كثيراً لكثرة تقلبهم وتغير مواقفهم، وكان لعبد الوهاب هذا دور كبير في التأثير السلبي على والده، وهما على كل حال من مطاوعة الدرعية، انظر: الرسائل الست التي أرسلها الإمام لعبد الوهاب ووالده، مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٢٤٠، ٢٧٦، ٢٨٠، ٣٠٤، ٣١٤، ٣١٨).

كبر عليه الأمر فيوصي لي وأعني له ، فإن الأمر الذي يزيل زعلكم ويؤلف الكلمة ويهديكم الله بسببه نحرص عليه ولو هو أشق من هذا..^(١)

كما يبرز تواضعه -رحمه الله- وتجرده وحرصه على انتشار هذا العلم، ولو لم ينسب إليه في كثرة تكراره لكلمة: (وأنا لا أقول لكم: أطيعوني..)^(٢)، فهو لا يدعو إلى شخصه، بل يدعو إلى دين الله تعالى، ويرجو أن يقتدي به كل داعية في هذا المنهج القويم.

كما أنه لم يُصَب -رحمه الله- بداء التعالم وادعاء معرفة كل شيء، بل لا يتردد أبداً عن التصريح بكلمة: (لا أدري عن هذه المسألة شيئاً)^(٣)، أو نحو ذلك في عدة مواضع من رسائله، كما يذكر -رحمه الله- أنه (لا يدعي العصمة)^(٤)، وربما يخطئ في (مسألة أو مائة أو مائتين)^(٥)، ولكنه يؤكد أن وقوع ذلك منه أو من غيره (ينبغي أن لا يوجب إهدار باقي المحاسن لأجل ذلك)^(٦)، ورغم ما وضعه الله في قلوب الناس لهذا الرجل من الهيبة العظيمة،

(١) المرجع السابق ، (٣١٥/٥) .

(٢) المرجع السابق ، (٦٠/٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠) .

(٣) انظر : حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام ، [مرجع سابق] (٢١٣/١) ومجموع مؤلفات الشيخ ، (٩٧/٤) .

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٤١/٥) .

(٥) المرجع السابق ، (٢٤٠/٥) .

(٦) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

التي قلّ أن تتفق لغيره من العلماء والرؤساء، إلا أنه - كما يقول ابن بشر - (ما علمنا أحداً ألين ولا أخفض جناحاً منه لطالب العلم أو سائل أو ذي حاجة أو مقتبس فائدة)^(١)، وهذه الصفة من أبرز الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها الدعاة، فإنّ نفع الناس، والتحبب لهم، وإلانة الجانب لهم من أعظم وسائل الدعوة العملية بالقدوة والسيرة الحسنة.

ب) عدم التعصب:

لعل من أشد المعوقات التي واجهها الإمام - رحمه الله - في دعوته: ما شاع في أهل زمانه من التعصب المقيت للمذاهب والأشخاص، حتى أدى ذلك إلى ردّ النصوص الصريحة، أو الطعن فيها أو تأويلها، وكما حرص الإمام - رحمه الله - على محاربة هذا الانحراف وهذا الخلق الذميم بالدعوة المباشرة، استخدم أيضاً لذلك أسلوب القدوة، فأشار في عدة مواضع من رسائله إلى ما يتمتع به، - رحمه الله - من السلامة من هذا الخلق الذميم.

ولا شك أن إشارته - رحمه الله - لهذا الأمر تزرع الثقة بالداعي في نفوس المدعوين؛ كما أنها في الوقت ذاته ربما تدعوهم إلى الاقتداء به - رحمه الله - في ترك التعصب المقيت، ومن ذلك قوله: (ولست - والله الحمد - أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق، لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار

(١) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١/٨٩).

بكل ما خالفها من أقوال أمتي، حاشا رسول الله ﷺ، فإنه لا يقول إلا الحق^(١).

(ج) الصبر :

أدرك الإمام -رحمه الله- أن طريق الدعوة طويل وشاق، يحتاج إلى صبر ومصابرة وحرص على تربية المدعوين على الصبر تارة بالتوجيه المباشر، وتارة بأسلوب القدوة عن طريق الإشارة إلى ما تخلق به -رحمه الله- من خلق الصبر، وذكر -رحمه الله- بعض مواقفه في ذلك، ومن ذلك حديثه عن عبد الله المويس، وصبره على ما بدر منه من عداء سافر للتوحيد وأهله، حتى طفق الكيل، يقول الإمام لعبد الله بن سحيم: (وأنت لا تلمني على هذا الكلام -يعني الغلظة على المويس- تراني استدعيته أولاً بالملاطفة، وصبرت منه على أشياء عظيمة..)^(٢)، كما أخبر الإمام أنه أصابه بسبب دعوته (فتنة عظيمة)^(٣).

كما أنه يتألم -رحمه الله- لحال المدعوين، وتتنغص معيشته مدةً من الزمان لعدم استجابتهم، ولكنه يصبر على ذلك، ويشتد به الألم حتى يقول: (...ولكن وابطناه واطهره، ومعني في هذه الأيام بعض تنغص المعيشة

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٢/٥) وانظر في المعنى نفسه المرجع السابق (٢٥٩/٥، ١٤٥، ٢٧٦، ٢٨٩، ٣١٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٤١/٥).

(٣) المرجع السابق، (١٧٦/٥).

والكدر مما يبلغني عنكم، والله سبحانه إذا أراد أمراً، فلا رادّ له ..^(١).
 إضافة إلى صبره - رحمه الله - على الجهاد سنين طويلة^(٢)، ضارباً لأتباعه المثل
 والقدوة الحسنة في الصبر والمصابرة، واحتساب الأجر من الله تعالى.

٤ - القدوة في الزهد والعبادة والتعلق بالله :

- أما عبادته: فكان - رحمه الله - متعبداً، يجيي غالب الليل صلاة وقراءة
 وتهجداً^(٣)، بل حتى في آخر عمره، حين ضعفت قوته وثقل جسمه، لم يكن
 يتأخر عن صلاة الجماعة، بل كان يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يقام في
 الصف^(٤).

- وأما تعلقه بالله: فكان لسانه رطباً من ذكر الله تعالى، لا يفتر عن
 تهليل وتحميد وتكبير، وكان كثيراً ما يلهج^(٥) بقول الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي
 أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي
 ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحزاب: ١٥].

بل إن الجالسين مجلس الإمام كانوا يعرفون قدومه قبل أن يروه، من خلال

(١) المرجع السابق، (٣١٤/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، (١٧٣/٥).

(٣) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، علماء الدعوة، [مرجع سابق] ص ٩.

(٤) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٩٥/١).

(٥) انظر: المرجع السابق (٩٥/١).

سماع صوته وهو يلهج بالتهليل والتكبير^(١)، وقد ذكر ابن بشر أن الإمام عندما خرج قاصداً الدرعية في حر الصيف، كان يلهج بقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

ويذكر تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن حسن، أن الإمام لما قضى الحج وقف في الملتزم، وسأل الله تعالى أن يُظهر هذا الدين بدعوته، وأن يرزقه القبول من الناس^(٢).

- وأما ورعه وزهده: فقد كان الإمام مضرباً للمثل في ترفعه عن حطام الدنيا، وزهده فيها، حيث كان -رحمه الله- سخيّاً جواداً^(٣)، ورغم أن بيت المال كان في يده وتحت تصرفه، إلا أنه -رحمه الله- كان متورعاً متعقفاً، لا يأكل من بيت المال^(٤)، بل ربما تحمل الدين الكثير من أجل إكرام أضيافه، ومساعدة طلابه، وهدايا الوفود^(٥)، وربما جاءت الأموال والغنائم العظيمة، فكان يوزعها كلها، فلا يقوم ومعه منها شيء^(٦)، حتى إنه توفي -

(١) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] [٨٩/١].

(٢) انظر: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [٢١٦/٩].

(٣) المرجع السابق (ص ٩).

(٤) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، علماء الدعوة، [مرجع سابق] [ص ٩].

(٥) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] [٨٩/١].

(٦) المرجع السابق (٨٩/١).

رحمه الله - ولم يخلف مالا ولا عقاراً، بل كان عليه دين كثير، اقترضه لينفق على الغرباء والمعوزين من أهل العلم وغيرهم، وقد أوفى الله عنه هذا الدين^(١).

(١) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، علماء الدعوة، [مرجع سابق] (ص ٩).

المطلب الثاني الموعظة الحسنة

- الموعظة في اللغة:

يذكر أهل اللغة أن الوعظ بسكون العين، والوعظة بكسرها، والوعظة بفتحها، والموعظة: النصح والتذكير بالعواقب، قال ابن سيده: هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب^(١)، وقال ابن فارس: الواو والعين والظاء كلمة واحدة وهو التخويف، قال الخليل: هو التذكير بالخير وما يزيق له القلب^(٢)، وقال الراغب الأصفهاني: الوعظ زجر مقترن بتخويف^(٣).

- وفي الاصطلاح:

الموعظة - كما عرفها الإمام ابن القيم وابن سعدي - هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب^(٤)، وقال الخازن: يعني: وادعهم إلى الله بالترغيب والترهيب، وهو أنه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم^(٥).

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، [مرجع سابق] مادة [وعظ] [٤٦٦/٧].

(٢) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، [مرجع سابق] مادة [وعظ] [١٢٦/٦].

(٣) الحسين بن محمد الأصفهاني، المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن، [بيروت - دار المعرفة - ب ت] مادة [وعظ] [ص ٥٢٧].

(٤) ابن القيم، التفسير القيم، جمعه محمد الندوي، وحققه محمد الفقي، [بيروت - لجنة التراث العربي - ب ت] [ص ٣٤٤] وعبدالرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، [الرياض - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء - ط ١٤١٠هـ] [٢٥٤/٤].

(٥) علاء الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، [مرجع سابق] [١٤٢/٣].

ولا شك أنه من خلال هذه التعريفات يتضح أن الموعظة الحسنة تتضمن الترغيب والترهيب، وقد حرص الإمام -رحمه الله- على استخدام هذا الأسلوب، وبدا ذلك واضحاً من خلال رسائله، فكان لهذا الأسلوب أعظم الأثر في نفوس المدعوين، ويمكن تناول هذا المطلب من خلال المسألتين التاليتين:

المسألة الأولى: الوعظ بالترغيب :

- الرَّغْبُ فِي اللُّغَةِ وَالرُّغْبُ وَالرَّغْبُ وَالرَّغْبَةُ: الضَّرَاعَةُ وَالْمَسْأَلَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وَرَغْبَهُ فِي الشَّيْءِ: جَعَلَهُ يَرِغِبُهُ وَأَعْطَاهُ مَارَغِبًا؛ قَالَ سَاعِدَةُ بْنُ جُوَيْيَّةَ:

لقلت لدهري : إنه هو غَزَوْتِي . . . وَإِنِّي وَإِنْ رَغَبْتَنِي غَيْرُ فَاعِلٍ^(١)

- وأما في الاصطلاح، فالترغيب: هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه^(٢).

ولا شك أن الترغيب أسلوب قرآني يعالج في النفس البشرية حبتها للخير وحرصها عليه، واستكثارها منه^(٣)، إذ إن النفوس متباينة في قبول الحق

(١) انظر : ابن منظور، لسان العرب، [مرجع سابق] مادة [رغب] [٤٢٢/١] ، والفيروزآبادي ، القاموس المحيط، [مرجع سابق] مادة [رغب] [ص١١٦] . وإبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، [مرجع سابق] مادة [رغب] [ص٣٥٦] .

(٢) عبدالكريم زيدان ، أصول الدعوة، [مرجع سابق] [ص٤٢١] ، وتوفيق الواعي، الدعوة إلى الله، [الكويت-مكتبة الفلاح - ط الأولى- ١٤٠٦هـ] [ص١٩٩] .

(٣) انظر : علي عبدالحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله، [مرجع سابق] [٢٣٠/١] .

والعمل به؛ فمنها من ترغب في الخير وتسارع إليه حين تُذكر به، وهي النفوس التي لم تقع بعد في أسر ملذاتها وشهواتها فهي بحاجة إلى الترغيب في الخير والدلالة على أبواب الأجر والثواب، بخلاف النفس الأخرى التي غرقت في الشهوات والملذات وآثرتها على كل شيء حتى ربما أصبح لا يؤثر فيها أسلوب الترغيب، وأصبحت بحاجة إلى زواجر الترهيب، التي توقظها من غفلتها، وتعيد إليها رشدها.

وهذا لا يعني الاقتصار على الترغيب دون الترهيب أو العكس؛ بل على الداعية أن يكون حكيماً في استخدام هذا الأسلوب، فيفرد هذا تارة، وذلك تارة ويجمع بينهما إذا دعت الحاجة وذلك بحسب ما يناسب الحال. وقد رغب الإمام -رحمه الله- في عدة مجالات، واستخدم لكل مجال عدة طرق^(١)، ومن تلك المجالات :

أولاً- الترغيب في التوحيد والجهاد من أجله :

وقد استخدم لذلك عدة طرق منها:

١- التذكير بأنه سبيل رضا الله تعالى:

وقد تعجب الإمام -رحمه الله- في إحدى رسائله من أولئك الذين ترددوا في قبول التوحيد، رغم يقينهم أن (التوحيد دين الله ورسوله)^(٢)، ولكنهم

(١) لاشك أن أسلوب الترغيب يحتاج إلى مرغب فيه ومرغب به، وجرى الاصطلاح هنا على تسمية المرغب فيه (بجال الترغيب) والمرغب به (طريقة الترغيب).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٠٦/٥).

يعتذرون برغبتهم في عدم مخالفة أمرائهم، فأنكر عليهم الإمام ذلك، وأشار إشارة لطيفة إلى الفضل العظيم المترتب على التوحيد، وهو رضا الله والجنة، وكيف يفرطون فيه، وقال: (... كيف يكون قدر الدين عندكم؟ كيف قدر رضا الله والجنة؟...) (١)، ولا يخفى ما في هذه العبارة من ترغيب المدعوين في التوحيد، ودعوتهم إلى إعادة النظر في موقفهم الخاطيء تجاهه.

٢- التذكير بأنه دين الأنبياء، وسبب دخول الجنة والنجاة من النار:

رغب الإمام -رحمه الله- في التوحيد والجهاد في سبيله، وقال في إحدى رسائله متعجباً من طائفة من المدعوين، الذين كانوا يسارعون إلى الحرب والبذل من أجل مسائل عصبية تافهة، ثم يجنبون عن الجهاد من أجل التوحيد: (... يا لله العجب ... تحاربون إبراهيم بن سليمان (٢) فيما مضى عند كلمة تكلم بها على جاركم، أو حمار يأخذه ما يسوى عشر محمديات (٣)، وتنفذون على هذا مالكم ورجالكم ... فيوم رزقكم الله دين الأنبياء، الذي هو ثمن الجنة والنجاة من النار إلى أنكم تضعفون؟) (٤).

(١) المرجع السابق، (٢٠٧/٥).

(٢) إبراهيم بن سليمان، أمير ثرمداء، انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٤٠/١).

(٣) نوع من النقود يتعامل به في ذلك الوقت، انظر: المرجع السابق، (المقدمة).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٠٧/٥) وانظر: المرجع السابق، (٢٩٣/٥) وانظر: جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنوية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] (١٠١/٢).

٣- التذكير بأنه سبب الحشر مع الأنبياء وورود الحوض والجواز على الصراط:

أشار الإمام في إحدى رسائله إلى فضل التوحيد، ورجب أحد المدعوين^(١) في الاستقامة على التوحيد، وتأمل ما ورد من النصوص في فضله، وقال: (... فتأمل ما ذكرت لك .. لعلك أن تعرف ملة إبراهيم [عليه السلام] ودين نبيك محمد [ﷺ] فتحشر معهما ولا تُصدَّ عن الحوض يوم الدين ... ولعلك أن تحرص على الصراط المستقيم يوم القيامة، ولا تنزل عنه كما نزل عنه من زلَّ عن صراطهما المستقيم في الدنيا ..)^(٢).

٤- التذكير بأنه سبب حصول بعض المنافع الدنيوية :

لم يكتف الإمام -رحمه الله- بالترغيب بالأمر الأخروية، بل رغب بذكر بعض المصالح الدنيوية، ولم يتعد الإمام بذلك عن منهج الأنبياء عليهم السلام؛ فهذا نوح [عليه السلام] رغب قومه في التوبة والاستغفار بتذكيرهم بأنها السبيل إلى أكثر ما يسعون إليه في ذلك الوقت، وهو المطر وكثرة الأموال والأولاد وما يبهج النفس من الحدايق الغناء والظلال الوارفة والأنهار الجارية قال تعالى حكاية عن نوح [عليه السلام] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

(١) هو الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وذلك حين كان الإمام في العيينة وعبد العزيز لا يزال صغيراً، انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٢٦/١).

(٢) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

ومن نماذج استخدام الإمام - رحمه الله - لهذا الأسلوب [الترغيب بذكر الأمور الدنيوية]:

(أ) التذكير بأن التوحيد سبب الرفعة والجاه والحظ الأوفر في الدنيا: حثَّ الإمام أحد المدعويين^(١) على التوبة ومحاربة الشرك وإظهار التوحيد وقال: (... فإن كنت تريد الرفعة في الدنيا والجاه حصل لك بذلك ما لا يحصل بغيره من الأمور بأضعافٍ مضاعفة ..)^(٢).

(ب) كما أشار الإمام إلى أن ذلك أيضاً سبب لحصول المدعو على محبة الإمام وأتباعه من أهل الصلاح؛ ومن ذلك قوله لأحد المدعويين^(٣)، مرغّباً له: (فإن استقمت على التوحيد، وتبيّنت فيه، ودعوت الناس إليه، فأنت أخونا وحبينا..)^(٤). وفي هذه المحبة من المزايا ما لا يخفى على المدعو خاصة بعدما منّ الله تعالى على الإمام وأتباعه بالنصر والتمكين^(٥).

(١) هو عبد الله بن عيسى.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٨٠/٥) وانظر في نفس المعنى المرجع السابق (٣١٩/٥).

(٣) هو عبدالرحمن بن ربيعة؛ مطوع نادق.

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٦٧/٥).

(٥) من المرجح أن هذه الرسالة كتبت بعد اتفاق الدرعية وبعد ما لقيه الإمام من النصرة والتمكين، ومن دلائل ذلك: أسلوب الإمام فيها، وطريقة صياغته لها، إضافة إلى مهاجمته لبعض الأشخاص الذين سبق أن صرّح الإمام أنه لم يهاجمهم ويغلظ عليهم إلا بعد مدة طويلة من النصح باللين.

ثانياً: الترغيب في ترك التعصب والهوى:

وقد رغب الإمام في هذا المجال بطريقة: التذكير بأن ترك التعصب والهوى من أسباب دخول الجنة:

أشار الإمام في عدة مواضع من رسائله^(١) إلى هذا الفضل، ومن ذلك أنه أنكر على أحد المدعوين ترده فيما قرره الإمام حين وصف (أناساً معينين) بأنهم يعادون التوحيد، ويحاربون أوليائه، وإنما تردد المدعو في ذلك هوىً وتعصباً لما تربطه بهم من علاقة، فذكره الإمام بفضل التجرد وترك التعصب، وذكره بأنه سبب دخول الجنة وقال: (... فودّي أنك تسرع بالنفور، فتوجه إلى الله وتنظر نظر من يؤمن بالجنة والخلود فيها ... وتسأله بقلب حاضر أن يهديك الصراط المستقيم)^(٢)، ويقول في موضع آخر: (فليتأمل اللبيب الخالي من التعصب والهوى الذي يعرف أن وراءه جنة ... فيتبين الحق إن شاء الله)^(٣).

ثالثاً: الترغيب في التوبة :

رغب الإمام -رحمه الله- أحد المدعوين في التوبة، وذكره بأنها من أسباب المغفرة ومحو الذنوب، كما رغبه بأن دعا له بالرحمة، وقال في إحدى رسائله: (... فرحم الله من أدى الواجب عليه، وتاب إلى الله، وأقرّ على

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٩٦، ٨٥/٥، ٢٠٥، ٢٠٧، ٣٠٥).

(٢) المرجع السابق، (٢٠٥/٥).

(٣) المرجع السابق، (٨٥/٥).

نفسه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ..^(١).

رابعاً: الترغيب في شكر النعم بأنواع الشكر:

استخدم الإمام -رحمه الله- في هذا المجال طريقة التذكير بالنعم وكثرتها، وأن ذلك يوجب شكرها بلسان الحال والمقال، ومن ذلك أنه حرص على نقل بعض عبارات أهل العلم في تعداد النعم ووجوب شكرها، حيث قال الإمام ناقلاً عن أحد العلماء^(٢): (لقد عظم الله الحيوان، لا سيما ابن آدم؛ حيث أباحه الشرك عند الإكراه، فمن قدّم حرمة نفسك على حرمة حتى أباحك أن تتوقى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه، لحقيق أن تعظم شعائره، وتوقر أوامره وزواجره، وعصم عرضك بإيجاب الحدّ بقذفك، وعصم مالك بقطع يد مسلم في سرقة، وأسقط شرط الصلاة لأجل مشقتك، [إلى أن قال] .. أحسن بك مع هذا الإكرام أن تُرى على ما نهاك منهمكاً؟... وعن داعيه معرضاً، ولداعي عدوك فيه مطيعاً؟ يعظّمك وهو هو، وتهمل أمره وأنت أنت... [ثم قال] .. ما أوحش زوال النعم وتغير الأحوال! والحور بعد الكور! لا يليق بهذا الحي الكريم، الفاضل على جميع

(١) المرجع السابق، (١٢٧/٥) .

(٢) هو أبو الوفاء بن عقيل الخنيلي، (ت ٥١٣هـ). انظر: أبا الوفاء بن عقيل الخنيلي، كتاب الفنون، بتحقيق جورج المقدسي، [دمنهور- مكتبة لينة- ط ١٤١١هـ] (١/مقدمة المحقق

الحيوانات أن لا يرى^(١) إلا عابداً لله في دار التكليف ..^(٢).

ويقول الإمام في موضع آخر: (... إذا عرفتم أن الله أنعم عليكم وتفضل عليكم بمحمد ﷺ والعلماء بعده، فلا ينبغي لكم معاندة محمد ﷺ)^(٣).

خامساً: الترغيب في التمسك بدين الله والاستقامة عليه والصبر في سبيله:

وقد استخدم الإمام لذلك عدة طرق؛ منها:

١- التذكير بأنه سبيل محبة الله تعالى: حيث قال الإمام في إحدى

رسائله: (... وقد ذم الله الذي لا يثبت على دينه إلا عندما يهواه.. وقد أخبر

أنه عند وجود المرتدين فلا بد من وجود المحبين المحبوبين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الآية [المائدة: ٤٠٤]، جعلنا الله وإياكم من الذين لا تأخذهم في

هذا لومة لائم)^(٤).

(١) كذا وردت ، ولعل الأولى أن يقال (أن يرى).

(٢) انظر : حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام ، [مرجع سابق] [٣٢/٢] من رسالة الإمام

إلى أهل العيينة ، وهذا النص غير موجود في المجلدين المطبوعين من كتاب الفنون الذي يبلغ -

كما ذكر المحقق- (من مائتين إلى ثمانمائة مجلد) أكثرها مفقود، وقد علل المحقق عدم وجودها

نقله العلماء عن هذا الكتاب ضمن المجلدين المطبوعين بأن الكتاب كبير جداً، وقد سقط أو

ضاع كثير من أوراقه، انظر : المرجع السابق، (م ٣٤).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٨٩/٥).

(٤) المرجع السابق (٣٢٠/٥).

٢- التذكير باستحقاقه لدعوة النبي ﷺ بطوبى، والحشر تحت لوائه، وورود حوضه ﷺ وخير الدنيا والآخرة.

وفي ذلك يقول الإمام لبعض المستجيبين من المدعوين^(١): (... فإذا تحققتم أن من اتبع هذا الدين لا بد له من الفتنة فاصبروا قليلاً، ثم أبشروا عن قليل بخير الدنيا والآخرة، واذكروا قول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غانر: ٥١]،... فإن رزقكم الله الصبر على هذا، وصرتم من الغرباء الذين تمسكوا بدين الله، مع ترك الناس إياه، فطوبى ثم طوبى ... فيا لها من نعمة! ويا لها من عزيمة! جعلنا الله وإياكم من أتباع الرسول ﷺ، وحشرنا تحت لوائه، وأوردنا حوضه الذي يرده من تمسك بدينه في الدنيا..)^(٢).

سادساً: الترغيب في الدعوة إلى الله:

وقد رغب الإمام في ذلك عن طريق التذكير بالأجر العظيم المترتب عليها، مع كونها شرفاً للداعي، وإكراماً من الله له، حتى ولو كانت الدعوة بنصر دين الله بالقلب والدعاء قدر الاستطاعة، بل ولو كانت بمجرد عرض رسالة الإمام على من يُرجى قبوله لما جاء فيها من الدعوة للتوحيد ونبذ الشرك، يقول الإمام: (... وأنا أرجو أن يكرمك الله بنصر دينه ونبيه ﷺ)، وذلك

(١) من رسالته إلى (نغيمش وجميع الإخوان) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٠٨/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٠٩/٥).

بمقتضى الاستطاعة ولو بالقلب والدعاء ... فإن رأيت عرض كلامي على من ظننت أنه يقبل من إخواننا، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً..^(١)

سابعاً: الترغيب في التأدب بآداب الحسبة :

حيث ذكر الإمام بأن ذلك سبب لنصر الدين واستقامة الأمر، وقال: (... وأهل العلم يقولون: الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث؛ أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه، ويكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه صابراً على ما جاء من الأذى، وأيضاً يذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره، فالله الله في العمل بما ذكرت لكم والتفقه فيه، فإن عملتم به، صار نصراً للدين، واستقام الأمر إن شاء الله)^(٢).

المسألة الثانية: الترهيب (مجالاته وطرقه):

- الترهيب في اللغة :

يذكر أهل اللغة أن (الراء والهاء والباء) أصلان: أحدهما يدل على خوف، والآخر على دقة وخفة^(٣)، قال الفيروزآبادي: رَهَبَ، رَهْبَةً ورُهْباً بالضم وبالفتح وبالتحريك: خاف^(٤)، وقال ابن منظور: تَرَهَّبَ غيره إذا توعدده،

(١) من رسالة الإمام للسويدي، وهو عالم من أهل العراق، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ

(الشخصية) (٣٧/٥ ، ٣٨).

(٢) المرجع السابق ، (٢٩٦/٥ - ٢٩٧).

(٣) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، [مرجع سابق] مادة [رهب] [٤٤٧/٢].

(٤) القاموس المحيط، [مرجع سابق] مادة [رهب] (ص ١١٨).

والرَّهْبُ - من الأصل الثاني - السهم الرقيق والجمل إذا كلَّ، والكمُّ، قال الأزهرى: وهو أي [الكمُّ] صحيح في العربية^(١).

- الترهيب في الاصطلاح: وفي الاصطلاح يقصد بالترهيب: كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله^(٢)، وهو تخويف المدعوين من عذاب الله والنار^(٣) ونحو ذلك.

ولا شك أن الترهيب أسلوب قرآني، يعالج النفس البشرية، ويستثمر فيها حبها للأمن والسلامة؛ وإيثارها البعد عن الخوف والخطر، وذلك من خلال تخويفها وتهديدها؛ إذ إن من الناس من لا يستجيب إلا إذا خُوف وهُدِّد، وهذا من حكمة الله تعالى في اختلاف طبائع النفوس^(٤).

وقد أدرك الإمام محمد - رحمه الله - أهمية هذا الأسلوب وشدة تأثيره في نفوس المدعوين، فرهب من عدة أمور، واستخدم لذلك عدة طرق، ومما رهب منه الإمام:

أولاً: الترهيب من الشرك ومن معاداة أهل التوحيد :

وقد استخدم لذلك عدة طرق منها :

١- التذكير بأن ذلك سبب لغضب الله تعالى وأليم عقابه:

(١) لسان العرب، [مرجع سابق] مادة [رهب] [٤٣٦/١ - ٤٣٩].

(٢) انظر: عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، [مرجع سابق] (ص ٤٢١).

(٣) انظر: توفيق الواعي، الدعوة إلى الله، [مرجع سابق] (ص ١٩٩).

(٤) انظر: علي عبدالحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله، [مرجع سابق] [٢٣٢/١].

لفت الإمام انتباه أحد المدعويين -الذين ترددوا في التبرؤ من المشركين، وترك معاونتهم على أهل التوحيد، رغم ما يرونهم عليه من الشرك- فقال له الإمام مذكراً: (... فَوَدِّيْ أَنْكَ تَسْرِعَ بِالنَّفُورِ، فَتَتَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَنْظُرَ نَظْرَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالنَّارِ وَالْخُلُودِ فِيهَا)^(١).

وتعجّب الإمام في الرسالة نفسها من تباطؤ المدعو في ذلك، فقال متسائلاً: (... كَيْفَ قَدْرَ الدِّينِ عِنْدَكُمْ؟ .. كَيْفَ قَدْرَ النَّارِ وَغَضَبِ اللَّهِ؟ ...) ^(٢).

إن مجرد التذكير ولفت الانتباه إلى تلك المزعجات التي تخلع القلوب من أجمع الطرق لتهيب المدعو من الشرك ، كما أنه من أعظم الدوافع إلى توحيد الله تعالى وموالاته أوليائه، اتقاءً لغضبه وأليم عقابه.

٢- التذكير بالموت وما بعده:

يلفت الإمام انتباه أحد المدعويين، ويذكره بالموت، وأنه واقع لا محالة، كما يذكره بما بعده من الأهوال وهو يرهّبه بذلك من الشرك، ومن معاداة أهل التوحيد، حيث يقول: (... فليتدبر اللبيب العاقل، الناصح لنفسه، الذي يعرف أن بعد الموت جنة وناراً)^(٣)، ويقول في موضع آخر: (... والنصيحة

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٠٥/٥) وانظر المرجع نفسه (٢٢٤، ٢٠٧/٥) وجمع

عبدالرحمن بن قاسم ، الدرر السنية ، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] [١٠١/٢ ، ١٠٥] .

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٠٧/٥) .

(٣) جمع عبدالرحمن بن قاسم ، الدرر السنية ، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] [١٠٥/٢] .

لمن خاف عذاب الآخرة، وأما القلب الخالي من ذلك، فلا ..^(١)، ويقول:
 (...) فرحم الله امرأً تنبه لهذا الأمر العظيم قبل: ﴿بَعْضُ الظَّالِمِ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا
 لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٢).

٣- التذكير بأنه سبب حرمان الحشر مع الأنبياء، وسبب الصد عن الحوض
 والزلل على الصراط:

ويمكن أن يستشهد على ذلك بما سبق ذكره مما ورد في رسالة الإمام
 لعبدالعزیز بن محمد بن سعود، حيث بيّن له خطورة الشرك ومعاداة أهل
 التوحيد، ثم قال: (... فتأمل ما ذكرت لك ساعة بعد ساعة ... لعلك أن
 تعرف ملة إبراهيم [عليه السلام] ودين نبيك محمد [ﷺ] فتحشر معهما، ولا تُصد
 عن الحوض يوم الدين، كما يُصد عنه من صدّ عن طريقهما، ولعلك أن تمر
 على الصراط المستقيم يوم القيامة، ولا تنزل عنه كما نزل عنه مَنْ زلّ عن
 صراطهما المستقيم في الدنيا)^(٣).

٤- التذكير بأنه سبب عدم قبول الأعمال:

يقول الإمام -رحمه الله- في إحدى رسائله مرهباً من الشرك: (... ورأس
 أعمال أهل النار: الشرك بالله، فمن مات على ذلك، فلو أتى يوم القيامة
 بعبادة الله الليل والنهار، والصدقة والإحسان، فهو من أهل النار

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٩٧/٥).

(٢) جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] [١٠١/٢].

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] [٢٢٦/١].

قطعاً؛ كالنصارى الذين يبني أحدهم صومعة في البرية ويزهد في الدنيا ويتعبد الليل والنهار، لكنه خلط ذلك بالشرك بالله، تعالى الله عن ذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (١)

[الفرقان: ٢٣].

٥- الإشارة إلى أن الشرك هو الذنب الذي لا يُغفر، والتذكير ببقاء الله: أشار الإمام إلى ما ذكره الله تعالى في أمر الشرك، وهو قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فقال الإمام معلقاً على هذه الآية ومرهباً من الشرك: (... فما ظنكم بمن واجه الله وهو يعلم من قلبه أنه عرف أن التوحيد دينه ودين رسوله ﷺ وهو يبغضه ويبغض من اتبعه، ويعرف أن دعوة غيره هو الشرك، ويحب ويحب من اتبعه، أتظنون أن الله يغفر لهذا؟) (٢)، ولا شك أن الإمام هنا يشير إلى أن ذلك مما لا يغفره الله تعالى كما نصت الآية.

ثانياً: التهيب من الإعراض عن دين الله أو الارتداد عنه واستبداله بالعرف والعادة:

ومن الطرق التي استخدمها في هذا المجال :

١- التذكير بأنه يؤدي إلى الضيق والحاجة والخوف في الدنيا :

(١) جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] [١٠١/٢].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٩٧/٥).

استنكر الإمام - رحمه الله - على جماعة من المدعويين^(١) ضعفهم وترددهم في التمسك بدينهم، خوفاً من أن تفوتهم بعض المصالح الدنيوية، أو يتعرضوا للضييق والفقر والحروب، فكتب لهم ناصحاً: (... ولا تظنوا أن الضيق مع دين الإسلام؛ لا والله، بل الضيق والحاجة وسكنة الريح وضعفة البخت مع الباطل، والإعراض عن دين الإسلام)^(٢). ثم يؤكد الإمام هذه الحقيقة بضرب الأمثلة الواقعية التي يدركها المدعوون ويعايشونها، فيقول: (مع أن مصداق قولي فيما ترونه فيمن ارتدّ من البلدان، أو لهنّ ضرماً وآخرهنّ حريملاً، هم حصلوا سعة فيما يزعمون؟ أو ما زادوا إلا ضيقاً وخوفاً على ما هم قبل أن يرتدوا...)^(٣).

٢- التذكير بأنه سبب الهلاك مع من هلك بسبب أخذ الدين عن الآباء :
حذر الإمام من الإعراض عن دين الله، ورهب منه، فلفت انتباه أحد المدعويين^(٤) إلى ما وصل إليه أهل الزمان من الإعراض عن دين الله، والاكتفاء بما ورثوه عن الآباء من العرف والعادة، ثم يبيّن له أن ذلك من أعظم أسباب الهلاك .. يقول الإمام: (... فانظر يا رجل حالك وحال أهل هذا الزمان، أخذوا دينهم عن آبائهم ودانوا بالعرف والعادة، وما جاز عند

(١) هم جماعة أهل شقراء، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٩٢/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٩٢/٥).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) جاء ذلك في رسالة جوابية للإمام عن كتاب لم يُعثر عليه، ولا يعرف اسم كاتبه، ويكتفى

عنه بجوابه، انظر: المرجع السابق (١٧٠/٥).

أهل الزمان والمكان دانوا به، وما لا؛ فلا، ... وإن كانت نفسك عليك عزيزة، ولا ترضى لها بالهلاك؛ فالتفت لما تضمنت أركان الإسلام من العلم والعمل، خصوصاً الشهادتين .. (١).

٣- التذكير بأحوال البرزخ وحال المعرضين فيه:

إن التذكير بمآل الإنسان، وأنه سيوضع في تلك الحفرة الضيقة من الأرض، ثم يعرض له ما أخبر به النبي ﷺ من أحوال مفزعة؛ كل ذلك يهز الوجدان، ويستجيش المشاعر، ويجعل المدعو في حالة خوف ورهبة، وإحساس مرهف، واستعداد للتأثر، والامتثال لأي توجيه يؤمنه مما يخاف.

وقد استثمر الإمام - رحمه الله - هذا الجانب، فرهب أحد المدعوين من الإعراض عن دين الله، بأن ذكره بأحوال القبر والبرزخ ومآله هناك إن استمر على إعراضه، حيث يقول الإمام مستفهماً: (... فما ظنك به إذا وضع في قبره، وأتاه الملكان، وسألاه عما عاش عليه من الدين، بماذا يجيب؟ : (هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته) (٢)، وما ظنك إذا وقف بين يدي الله سبحانه وسأله: ما كنتم تعبدون، وبماذا أجبتم المرسلين، بماذا يجيب؟ (٣).

(١) المرجع السابق، (١٧١/٥).

(٢) إشارة إلى حديث سبق تخرجه (ص ٢٢٤)

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٧١/٥).

ثالثاً: الترهيب من التعصب والهوى:

ومن الطرق التي استخدمها الإمام لهذا الغرض:

١- التذكير بأنه سبب غضب الله وعذابه:

أشار الإمام -رحمه الله- في إحدى رسائله^(١) إلى فئة من الخصوم الذين أعماهم مرض التعصب والهوى، حتى أنكروا كل ما دعا إليه الإمام من الحق، وقال الإمام واصفاً لحالهم: (... فإذا عرفت ذلك، فهؤلاء الشياطين من مردة الإنس يحاجون في الله من بعد ما استجيب له، إذا رأوا من يعلم الناس ما أمرهم به محمد ﷺ من شهادة أن لا إله إلا الله، وما نهاهم عنه، مثل الاعتقاد في المخلوقين الصالحين وغيرهم؛ قاموا يجادلون ويلبسون على الناس ويقولون: كيف تكفرون المسلمين؟ كيف تسبون الأموات؟ آل فلان أهل ضيف، آل فلان أهل كذا وكذا)^(٢)، وساق الإمام في حقهم قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾^(٣) [الشورى: ١٦]، ولا يخفى ما تبعثه هذه الآية بمجرد تلاوتها من الترهيب الشديد من هذا السلوك المشين والسييل المنحرف.

(١) من رسالة الإمام إلى أهل الرياض ومنفوحة، انظر: المرجع السابق، (١٨٦/٥).

(٢) المرجع السابق، (١٨٦/٥).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٨٦/٥) وانظر التذكير بالعذاب والنار لنفس الغرض

في مواضع أخرى، المرجع السابق (٨٥/٥، ٣٠٥).

٢- التذكير بالنار وباطلاع الله على السرائر :

ومن ذلك: قول الإمام في خاتمة إحدى رسائله^(١)، التي كشف فيها تعصب بعض الخصوم لأهوائهم، رغم وضوح الدليل (.. فليتأمل اللبيب الخالي عن التعصب والهوى، الذي يعرف أن وراءه جنة ونارا، الذي يعلم أن الله يطلع على خفيات الضمير، هذه النصوص ويفهمها فهماً جيداً..)^(٢).

ويقول في رسالة أخرى لأحد المدعوين^(٣)، محذراً له من التعصب والهوى بتذكيره بالنار: (.. فتضرع إلى الله بقلب حاضر - خصوصاً في الأسحار - أن يهديك للحق، ويريك الباطل باطلاً، وفرّ بدينك، فإن الجنة والنار قدامك، والله المستعان)^(٤).

إن استثمار الإمام - رحمه الله - لطبائع النفوس ونفورها مما يؤذيها هو من أوضح الأدلة على فقهه - رحمه الله - بأساليب الدعوة، وكيفية التعامل مع المدعوين، ثم ختمه للعبارة بقوله: (والله المستعان) إشارة إلى ما سيحدث من الأهوال التي يحتاج فيها العبد إلى معونة الله تعالى ورحمته، كل ذلك يرهب المدعو ليصل الإمام به إلى الثمرة المرجوة التي هي منعه من التعصب والهوى المقيت.

(١) هذه الرسالة لم يذكر فيها الإمام اسم المرسل إليه، وصدرها بقوله: (هذه كلمات جواب عن

الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجنف والإثم ..) انظر: المرجع السابق، (٧٨/٥).

(٢) المرجع السابق، (٨٥/٥).

(٣) من رسالة الإمام إلى عبد الله بن عيسى مطوع الدرعية، انظر: المرجع السابق، (٣٠٤/٥).

(٤) المرجع السابق، (٣٠٥/٥).

٣- التذكير بخطرة فتنة تقليد الآباء:

حذّر الإمام من التعصب واتباع الهوى، ورهب منه بالتذكير بأنه مشابه لمسلك المجرمين من أعداء الرسل الذين قال الله فيهم: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، كما وصف هذا المسلك بأنه فتنة وأن فيه شراً كثيراً، وقال في رسالته إلى أحد المدعوين^(١) بعد أن وجهه لقراءة كلام نافع في رسالة سابقة كتبها الإمام: (... فاطلبه وراجعه وتأمله، وتكلم لله في سبيل الله بما يرضي الله ورسوله، واحذر من فتنة: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، فمن نجا منها، فقد نجا من شر كثير^(٢)).

٤- التذكير بحكم المجادل عن الكفار، والإشارة إلى فوات الجاه في الدنيا: حيث يقول الإمام في إحدى رسائله وهو يتحدث عن الكفار المشركين: (... ومن جادل عنهم، أو أنكر على من كفرهم ... فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق، لا يُقبل خطه ولا شهادته، ولا يُصلى خلفه ..)^(٣)، ولا يخفى ما في هذه العبارة من الإشارة الذكية إلى فوات الجاه الدنيوي والمكانة الدينية،

(١) هو عبد الله بن سحيم، مطوع الجمعة، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣٠/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٤٠/٥).

(٣) المرجع السابق، (١٨٨/٥).

التي اكتسبها ذلك المدعو^(١)، وكان حرصه على المحافظة عليها من أعظم أسباب تعصبه واتباعه للهوى.

٥- التذكير بيوم القيامة:

يقول الإمام في إحدى رسائله^(٢)، بعد أن ساق كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية: (... فتأمل هذا الكلام بشرائشر قلبك، ثم نزله على أحوال الناس وحالك، وتفكر في نفسك وحاسبها، بأي شيء تدفع هذا الكلام؟ وبأي حجة تحتج يوم القيامة على ما أنت عليه؟) إن التذكير بيوم القيامة وما فيه من الأهوال يهز النفس ويرهبها، ويدفعها إلى إعادة النظر لتصحيح ما أصابها من مرض التعصب واتباع الهوى، ولا شك أن ذلك من الأساليب والطرق الناجحة التي استخدمها الإمام رحمه الله.

رابعاً: الترهيب من كفر النعم

ومن الطرق التي استخدمها الإمام لذلك :

١- التذكير بعبوديتهم لله ووجوب اتقاء غضبه:

حيث ذكّر الإمام - رحمه الله - بعض المدعوين^(٣) ببعض نعم الله، وقال: (... واحمدوه سبحانه الذي منّ عليكم ، ويسّر لكم من يعرفكم بدين نبيكم ﷺ)^(٤).

(١) كان الإمام هنا يتحدث بطريق غير مباشر عن سليمان بن سحيم، وهو أحد المطاوعة الذين اشتهروا بمناوئة الدعوة. انظر: المرجع السابق الموضع نفسه .

(٢) من رسالة الإمام إلى عبد الله بن عيسى مطوع الدرعية .

(٣) من رسالة إلى أهل الرياض ومنفوحة، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٨٦/٥).

(٤) المرجع السابق ، (١٨٧/٥) .

وقال مرهيباً من كفر هذه النعمة (فاتقوا الله عباد الله، ولا تكفروا على ربكم)^(١).

والإمام هنا يذكرهم بأنهم عباد ذليلون مقهورون، خاضعون لعظمة الله تعالى وسلطانه، والواجب في حقهم أن يتقوا غضبه وعذابه، وأن لا يتكفروا على ما أنزل الله من الحق.

٢- التذكير بأن النار جزاء كفران النعم:

في الرسالة نفسها أشار الإمام -رحمه الله- إلى عاقبة من كفر بنعم الله، وذكر المدعويين بذلك، وحذّرهم من هذا المسلك، وقال: (... ولا تكونوا من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار)^(٢)،^(٣) إن تذكير المدعو بحال أولئك ومصيرهم من أنفع الطرق في ترهيبه من مسلكهم، وحثه على ما يقابل ذلك من شكر نعم الله بأنواع الشكر الواجب.

خامساً: الترهيب من تقديم الفاني على الباقي:

واستخدم الإمام لذلك عدة طرق منها:

١- التذكير بأنه سبب غضب الله وأليم عقابه، وسبب الطبع على القلب:

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) اقتباس من سورة إبراهيم، الآيتان (٢٨-٢٩).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٨٧/٥).

بصّر الإمام - رحمه الله - أجد المدعوين^(١) بالعائق الحقيقي الذي منعه من اتباع الحق؛ وهو الخوف من فوات بعض المصالح الدنيوية وتقديمها على الآخرة، وكشف ذلك بقوله: (والشبهة التي دخلت عليك: هذه البضیعة التي في يدك، تخاف تغدي أنت وعيالك إذا تركت بلد المشركين وشاك في رزق الله ..)^(٢)، وقد رهّب الإمام - رحمه الله - من هذا المسلك بتذكيره بأنه سبب الطبع على القلب والعياذ بالله، وقال له:

(... وأنا أخاف عليك من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣]^(٣)، كما رهّب من ذلك بتذكيره بأنه يقود إلى غضب الله تعالى وأليم عقابه؛ وذلك حين ذكره بآية سورة النحل، فقال مخاطباً المدعو: (وغاب عنك قوله تعالى في عمار بن ياسر^(٤) وأشباهه: ﴿مَنْ

(١) هو رجل من أهل الأحساء اسمه أحمد بن عبد الكريم، كان قد عرف التوحيد، وكفر المشركين، ثم حصل له شبهة في ذلك، انظر: المرجع السابق، (٥/٢١٦).

(٢) المرجع السابق، (٥/٢١٦).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٢١٦ - ٢١٧).

(٤) هو: عمار بن ياسر بن عامر بن مالك المدحجي، أبو اليقظان، وأمه سمية أول شهيدة في الإسلام، وهو وأبوه وأمه من السابقين الأولين إلى الإسلام، الذين عذبوا في ذات الله تعالى، قاتل يوم صفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام حتى قتل سنة ٣٧هـ، وكان عمره أربعاً وتسعين سنة. انظر: ابن الأثير علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، [بيروت - دار الكتب العلمية - ب ت] (٤/١٢٢ - ١٢٨).

كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٦-١٠٧]، فلم يستثن الله إلا من أكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان^(١).

سادساً: الترهيب من كتم العلم:

ومن الطرق التي استخدمها الإمام لذلك:

التذكير بأن كتمه نقض لميثاق الله تعالى بالبيان:

أرسل الإمام -رحمه الله- رسالة صدرها بقوله: (إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين)، ثم بين الإمام أنه يخص بها بالأصالة بعض طلبة العلم^(٢)، وقد ضمن هذه الرسالة دعوة صريحة للقيام بواجب الدعوة، وتبليغ الدين وإنكار المنكر، ومما قال فيها: (... فإن كتمت تعرفون أن هذا^(٣) من الشرك كعبادة الأصنام... فما بالكم لم تفشوه في الناس، وتبينوا لهم أن هذا كفر بالله مخرج عن الإسلام..)، ثم قال مرهّباً لهم بطريقة الاستفهام الإنكاري، ومذكراً لهم بأن ترك البيان هو نقض للميثاق الذي أخذه الله

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١٧/٥).

(٢) حيث قال بعد ذلك: (خصوصاً محمد بن عبيد وعبد القادر العدلي وابنه، وعبد الله بن سحيم، وعبد الله بن عضيّب، وحيدان بن تركي، وعلي بن زامل، ومحمد أبا الخيل، وصالح بن عبد الله) انظر: المرجع السابق، (١٢٤/٥).

(٣) يعني دعوة الصالحين والغلو فيهم، انظر: المرجع السابق، (١٢٥/٥).

على العلماء: (... وإن عرفتم ذلك، فكيف يحل لكم كتمان ذلك والإعراض عنه؟ وقد: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْمُونَهُ﴾ وآل عمران: (١) [١٨٧].

إن تذكير الإمام لهم بهذا الميثاق العظيم وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أخذه على أهل العلم، وهو الذي سيحاسبهم؛ هو من أفضل الطرق لتهيب أهل العلم من التكاسل عن بيان العلم ونشره .

سابعاً: التهيب من ترك التأداب بآداب الحسبة:

ومن الطرق التي استخدمها الإمام لذلك:

- التذكير بأنه سبب المضرة على الدين:

حيث ذكّر الإمام في إحدى رسائله^(١) ببعض آداب الاحتساب بعد أن كادت تحصل فتنة بسبب جهل بعض الدعاة بهذه الآداب، ثم أكد الإمام على ضرورة الأخذ بهذه الآداب والضوابط، ورهب من التفريط فيها، وقال: (... فالله الله في العمل بما ذكرت لكم، والتفقه فيه، فإنكم إن لم تفعلوا، صار إنكاركم مضرة على الدين، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه ودينه)^(٢).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٢٦/٥) .

(٢) من رسالة أرسلها الإمام إلى إخوانه أهل سدير بسبب أمر جرى بين أهل الخوطة من بلدان

سدير . انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٩٦/٥) .

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٩٧/٥) .

إن الترهيب بحصول المضرة في الدين طريقة ناجحة موافقة لطبائع نفوس أولئك المتحمسين للاحتساب، الذين لم يدفعهم لتلك التجاوزات إلا حرصهم غير المنضبط على مصلحة الدين ومحبتهم لرفعتهم، فإذا بلغهم أن عملهم قد يناقض هدفهم الأسمى، صار ذلك أقوى رادع عن التجاوز، أو التغافل عن آداب الحسبة.

المطلب الثالث

الجدال بالتي هي أحسن

صرّح الإمام - رحمه الله - في عدة مواضع من رسائله باستخدامه لأسلوب الجدل بالتي هي أحسن، وتكلم عن آدابه وضوابطه، وقد سماه (الجدل) تارة، و(المناظرة) تارة أخرى^(١)، حيث يقول في أكثر من موضع: (وأقول: كل إنسان أجادله بمذهبه)^(٢)، ويقول في مواضع أخرى: (وأنا على الأول - يعني أتباع الدليل - أدعو إليه وأناظر عليه..)^(٣)، وهو في الواقع - كما يظهر من السياق - يقصد بالجدل والمناظرة معنىً واحداً، وهو الجدل المحمود بالتي هي أحسن.

كما تكلم الإمام عن أهمية هذا الأسلوب وحثّ عليه، ومن ذلك قوله لأحد المدعوين^(٤)، حين نقل له الإمام كلام أهل العلم في بعض المسائل: (...فتفكر فيه، وقم لله ساعة ناظراً ومناظراً مع نفسك ومع غيرك..)^(٥)،

(١) والذي يترجح - والله أعلم - : أن الجدل إذا كان مشروطاً بالتي هي أحسن، فإنه هو المناظرة، ولعل ذلك يتضح بعد الإشارة إلى التعريف اللغوي لكل منهما، وإلى ذلك ذهب بعض الباحثين، انظر: إبراهيم الحميدان، أسلوب المناظرة في دعوة النصاري، [رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم الدعوة والإعلام بجامعة الإمام] [١٤/١].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٤٤/٥) وانظر في المعنى نفسه: المرجع (٣٨/٥).

(٣) المرجع السابق، (٢٥٨/٥) وانظر: المرجع نفسه (١٥٧/٥، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧٣).

(٤) هو عبد الله بن سحيم، مطوع الجمعة، انظر: المرجع السابق، (٦٢/٥).

(٥) المرجع السابق، (٦٦/٥).

وقوله لهذا المدعو في رسالة أخرى، بعد أن نقل له الحجج والبراهين: (...). والمأمول فيك أنك تنظر فيها بعين البصيرة، وتتأمل هذا الأمر، واعرض هذا عليه [يعني على المويس]، واطلب منه الجواب عن كل كلمة من هذا، فإن أجابك بشيء، فاكتبه وإن عرفته باطلاً، وإلا فراجعني فيه أئينه لك..^(١).

فالإمام -رحمه الله- إذا يدرك أهمية هذا الأسلوب ويستخدمه، بل ويحث بعض المدعوين على الاستفادة منه واستخدامه.

ولعل من المناسب البدء بالإشارة إلى التعريف بهذا الأسلوب وبيان المقصود منه، ثم بيان منهج الإمام -رحمه الله- وطرقه في استخدام هذا الأسلوب.

المسألة الأولى: التعريف بهذا الأسلوب:

وسأتناول فيه تعريف اللفظتين الواردتين في الرسائل، وهما: (الجدل) و(المنظرة).

تعريف الجدل:

- يذكر أهل اللغة أن: (الجيم والذال واللام) أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام^(٢)، وذكر ابن منظور عدة معان للجدل والمجادلة: منها اللدد في

(١) المرجع السابق، (١٣٤/٥).

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، [مرجع سابق] مادة [جدل] (١/٤٣٣).

الخصومة، وشدة الفتل للجلل، والصَّرْع على الجدالِ، وهي الأرض^(١) وكل هذه المعاني داخلية في أصلها اللغوي الدال على الشدة والقوة.

- وفي الاصطلاح: هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة،

أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة^(٢).

وقيل: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم^(٣).

وقيل: هو المنازعة لا لإظهار الحق، بل لإلزام الخصم^(٤)، ولذلك فإن مدح

الجدل لم يرد في القرآن إلا مشروطاً بالتي هي أحسن هدفاً وأسلوباً^(٥)، بل

على العكس، فقد ورد لفظ الجدال في القرآن تسعة وعشرين مرة كلها

في سياق الذم، إلا في ثلاثة مواضع؛ اثنان منها جاء ممدوحاً ومشروطاً

بالتي هي أحسن؛ وهما قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، والموضع الثاني

(١) لسان العرب، [مرجع سابق] مادة [جدل] [١٠٤-١٠٥].

(٢) الجرجاني، التعريفات، [بيروت - دار الكتاب اللبناني - ط الأولى ١٤١١هـ] [ص ٨٨].

(٣) زاهر عواض الألمي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، [الرياض - مطابع الفرزدق التجارية، ط الثالثة - ١٤٠٤هـ] [ص ٢٤].

(٤) محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، [القاهرة - دار ابن تيمية للطباعة والنشر - ب ت] [٧٥/٢].

(٥) إبراهيم بن صالح الحميدان، أسلوب المناظرة في دعوة النصارى للإسلام، [مرجع سابق] [١١/١].

قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. أما الموضوع الثالث، فلا يظهر فيه المدح ولا الذم؛ وهو قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ٢١].
وأما بقية المواضع في القرآن الكريم، فإما أن تكون في سياق عدم الرضا عن الجدل وإما عدم جدواه، أو كونه يفتقد شرطاً أساسياً، كالعلم وطلب الحق ونحوه^(١)، وعليه فإن الجدل قسمان:

١- الجدل المدوح: وهو كل جدال أيد الحق، أو أفضى إليه بنهية خالصة، وطريق صحيح^(٢).

٢- الجدل المذموم: وهو كل جدال ظاهر الباطل أو أفضى إليه^(٣).

وإن المتأمل للشواهد الواردة في رسائل الإمام - رحمه الله - حول موضوع الجدل؛ يجد أنه إنما قصد الجدل المدوح، وهو الجدل بالتي هي أحسن، بدليل ما ذكره من ضوابطه وآدابه، التي من أبرزها الإخلاص والعلم وطلب الحق، على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

(١) انظر: يحيى بن محمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه، [مكة المكرمة - دار التربية والنزاهة - ط الأولى - ١٤١٤هـ] (ص ٢٤).

(٢) زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، [مرجع سابق] (ص ٥٠).

(٣) المرجع السابق، (ص ٦٢).

- تعريف المناظرة :

- يذكر أهل اللغة أن: (النون والطاء والراء): أصل صحيح، ترجع فروعه إلى معنى واحد؛ وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويتسع فيه، فيقال: نظرت إلى الشيء أنظر إليه: إذا عاينته، ويقال: حيّ جلالاً نظراً: متجاورون ينظر بعضهم إلى بعض.

ويقولون: نظرتُه؛ أي انتظرتَه، ومنه قول امرئ القيس :

فإنكما إن تنظراني ليلةً . . من الدهر تنفعني لدى أم جندب^(١)

قال ابن منظور: والمناظرة: أن تناظر أحاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه، والتناظر: هو التقابل، والنظير: هو المثل^(٢).

وعليه فإن المعاني اللغوية للفظّة المناظرة يغلب اشتراكها في: النديّة، والتقابل، والاشتراك في البحث والنظر.

- والمناظرة اصطلاحاً: هي تردد الكلام بين شخصين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق^(٣).

وقيل: هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئيين إظهاراً للصواب^(٤).

(١) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، [مرجع سابق] مادة [نظر] [٤٤٤/٥].

(٢) لسان العرب، [مرجع سابق] مادة [نظر] [٢١٥/٥ - ٢١٧].

(٣) زاهر عواض الأملعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، [مرجع سابق] (ص ٣٠).

(٤) الجرجاني، التعريفات، [مرجع سابق] (ص ٢٤٣).

وقيل: إنها محاورة بين مختلفين مبنية على النظر بقصد إظهار الحق^(١). وبالمقارنة بين تعريفات المناظرة وتعريفات الجدل المشروط والتي هي أحسن يتضح - كما ذكر سابقاً - أن (المجادلة والتي هي أحسن هي المناظرة)^(٢)، وهي ما أشار إليه الإمام وقصده واستخدمه في رسائله، وسماه تارة جدلاً، وتارة مناظرة، ولا مشاحة في الاصطلاح، فالقصد واحد، وإنما العبرة بالمقاصد.

المسألة الثانية: منهج الإمام في استخدام أسلوب الجدل والتي هي أحسن:

اشتملت رسائل الإمام - رحمه الله - على العديد من الشواهد المتعلقة بمنهجه في استخدام أسلوب الجدل والتي هي أحسن؛ ومن ذلك ما يتعلق بآداب هذا الأسلوب وضوابطه وطرق الإمام في استخدامه، كما تضمنت الرسائل صوراً من مناظراته مع الخصوم.

ويمكن تناول منهج الإمام في ذلك من خلال النقاط التالية :

١ - مراعاته لآداب هذا الأسلوب وضوابطه وأمره بذلك:

نَبّه الإمام - رحمه الله - في عدة مواضع من رسائله إلى بعض آداب وضوابط الجدل والتي هي أحسن، ودعا إلى التأدب بها، وصرّح بالتزامه بها في بعض المواضع ، ومن تلك الآداب والضوابط:

(١) إبراهيم الحميدان ، أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام، [مرجع سابق] (٧/١).

(٢) المرجع السابق ، (١٤/١) .

الإخلاص والتجرد من التعصب والهوى:

نبّه الإمام إلى هذا الأمر في عدة مواضع^(١) من رسائله، ومن ذلك أنه حرص - رحمه الله - على تذكير أحد المدعوين^(٢) بأهمية الإخلاص لله تعالى، والتجرد من التعصب والهوى عند المناظرة، وذلك عندما أراد هذا المدعو أن يجمع أدلة الإمام في إحدى المسائل، ثم يناظر بها علماء الخرج والأحساء، وطلب منه هذه الأدلة ووعدته باتباع الحق، وقال: (ولكم عليّ أني ما أقبل منهم الطفايس والكلام الفاسد، فإن بينوا حجة صحيحة من الله ورسوله، أو عن العلماء تفسد كلامكم، وإلا اتبعت أمر الله ورسوله)^(٣). فوجه الإمام إلى أحد ضوابط المناظرة وآدابها التي تعينه على الوصول للحق، فقال: (. وأحذرك عن الهوى والتعصب، بل اقصد وجه الله، واطلب منه، وتضرع إليه أن يهديك للحق، وكن على حذر من أهل الأحساء أن يلبسوا عليك بأشياء لا ترد على المسألة ..)^(٤). وقال الإمام في رسالة أخرى بعد أن عرض لأحد المدعوين^(٥) قول الخصوم للإمام ومناظرته لهم^(٦)، وردّه

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٧٤/٥، ١٣٠، ١٤٥، ٢٥٩، ٣١٢).

(٢) هو محمد بن سلطان، انظر: المرجع السابق، (١٤٤/٥)، ولم أعثر على ترجمته.

(٣) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٤٥/٥).

(٥) هو عبد الله بن سحيم، انظر: المرجع السابق، (٦٢/٥).

(٦) من أساليب الإمام في المناظرة أن يعرض على المدعو مناظراته السابقة مع الخصوم ثم يطلب

منه الردّ بعد تنبيهه إلى بعض آداب المناظرة.

عليهم في بعض المسائل: (... فأنت تأمله تأملاً جيداً، واجعل تأملك لله، مستعيذاً بالله من اتباع الهوى..)^(١).

وحين أرسل الإمام طالب علم^(٢) ليناظر علماء مكة في مجلس الشريف^(٣)، كتب للشريف رسالة جاء فيها: (... فإن اجتمعوا فالحمد لله على ذلك، وإن اختلفوا؛ أحضر الشريف كتبهم وكتب الحنابلة، والواجب على الكل منا ومنكم أنه يقصد بعلمه وجه الله، ونصر رسوله [ﷺ]...)^(٤).
ب- الاحتكام إلى المصادر الشرعية :

ومن شواهد ذلك ما جاء في رسالته إلى القاضي عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف، التي حفلت بالعديد من المسائل والمناظرات الجادة، والتي ذكر في نهايتها منهجه وطريقته في المناظرة، فقال: (... وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع: إما إلى كتاب الله وإما إلى سنة رسول الله ﷺ، وإما إلى إجماع أهل العلم..)^(٥).

ج- إبداء الاستعداد لقبول الحق وعدم ردّه:

صرّح الإمام -رحمه الله- في عدة مواضع من رسائله باستعداده التام

(١) المرجع السابق (الشخصية) (٧٤/٥).

(٢) هو الشيخ عبدالعزيز الحصين، المرجع السابق، (٣١٢/٥).

(٣) هو الشريف أحمد بن سعيد، انظر: المرجع السابق، الموضوع نفسه.

(٤) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

(٥) المرجع السابق (٢٦٦/٥).

لقبول الحق^(١) ممن جاء به، وعدم رده إذا أُيد بالدليل.

ومن الشواهد على ذلك أنه أرسل رسالة إلى (عالم من أهل المدينة)^(٢)، عرض فيها بعض مسائل الخلاف بينه وبين الخصوم، وطرفاً من مناظراته لهم، حتى إنه كان يتبع ما يمكن أن يستدلون به، فيرد عليهم، كأن يقول: (فإن قال قائلهم: .. [كذا]، فنقول .. [كذا])^(٣)، ثم قال في نهاية الرسالة في مسألة الحضور عند قبر النبي ﷺ وسؤاله الشفاعة: (... والقائل أنه يُطلب الشفاعة بعد موته يورد علينا الدليل من كتاب الله، أو من سنة رسول الله ﷺ أو من إجماع الأمة؛ والحق أحقُّ أن يُتبع)^(٤)، يعني أنه لن يتردد أبداً عن موافقة الخصوم في هذه المسألة أو غيرها، إذا أتوا بالدليل الصحيح، ولن تأخذ العزة، فيمتنع عن قبول الحق؛ لأنه جاء من الخصم.

ويقول في موضع آخر: (... وأرجو أني لا أورد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق، لأقبلنها على الرأس

(١) المرجع السابق (٤٩/٥، ٦٦، ١٣٠، ٢١٢، ٢٥٢).

(٢) كذا ورد في الدرر السنية ومجموع الرسائل دون تعيين لاسمه أو تعريف به، انظر: جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٣٨٥هـ] [٤٣/١] ومجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٤/٥).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٨/٥).

(٤) المرجع السابق، (٤٩/٥).

والعين، ولأضربن الجدار بكل من خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ، فإنه لا يقول إلا الحق^(١).

د- المجادلة والمخاطبة باللطف واللين :

وقد صرّح الإمام -رحمه الله- بالتزامه بهذه الطريقة عند المجادلة، ما لم يظهر الظلم والجور والمكابرة عند الخصم، عندها إما أن يعرض عنه، أو يغلظ عليه بالقول، ويفضح مقاصده.

ومن شواهد ذلك قوله لأحد المدعويين^(٢): (... هذا ابن إسماعيل والمويس وابن عبيد، جاءتنا خطوطهم في إنكار دين الإسلام ... وكاتبناهم، ونقلنا لهم العبارات، وخاطبناهم بالتي هي أحسن، وما زادهم ذلك إلا نفوراً)^(٣).

هـ- أن لا يكون المجادل عاملاً بما يناقض دعواه:

أشار الإمام -رحمه الله- إلى هذا الأدب المهم من آداب المناظرة، واحتجّ به على أولئك الذين جادلوه ليقنعوه بوجوب التقليد لمذهب معين، وعدم جواز الاجتهاد، أو الأخذ عن المذاهب الأخرى، فقال مستنكراً دعواهم التي يخالفونها بأفعالهم: (ومن العجيب أن يوجد في بلدكم^(٤) من يفتي الرجل

(١) المرجع السابق ، (٢٥٢/٥) .

(٢) هو أحمد بن يحيى، مطوع أهل رغبة، انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٠٠/٥).

(٣) المرجع السابق ، (٣٠٠/٥) .

(٤) يعني الأحساء ، والخطاب للقاضي عبد الله بن محمد بن عبداللطيف الأحسائي، انظر : المرجع

السابق (٢٥٠/٥)

بقول إمام، والثاني بقول آخر، والثالث بخلاف القولين، ويُعدّ فضيلة وعلماً وذكاءً، ويقال: هذا يفتي في مذهبين أو أكثر، ومعلوم عند الناس أن مراده في هذا العلو والرياء، وأكل أموال الناس بالباطل، فإذا خالفتُ قول عالم لمن هو أعلم منه أو مثله إذا كان معه الدليل، ولم آت بشيء من عند نفسي، تكلمتم بهذا الكلام الشديد! ^(١).

و- أن لا تكون الدعوى متناقضة في ذاتها:

نبّه الإمام - رحمه الله - في عدة مواضع ^(٢) إلى هذا الجانب، واستنكر على بعض الخصوم تناقض دعاوهم، ومن ذلك ما كتبه سليمان بن سحيم في الأوراق التي ردّ فيها بعض ما جاءت به دعوة الإمام - رحمه الله - حيث احتوت دعاواه على بعض التناقضات التي لا تتناسب مع المناظرات العلمية الهادفة، وقد بيّن الإمام ذلك في رسالته التي ردّ فيها على ابن سحيم، وناظره فيها، وناقش أفكاره، وبيّن عيوب دعاواه، فقال: (... فأما تناقض كلامه، فمن وجوه: الأول: أنه صنف الأوراق يسبنا ويردّ علينا في تكفير كل من قال: لا إله إلا الله، وهذا عمدة ما يشبهه به على الجهال وعقولها، فصار في أوراقه يقول: أما من قال: لا إله إلا الله لا يكفر، ومن أمّ القبلة لا يكفر... فإذا ذكرنا لهم الآيات التي فيها كفره وكفر أبيه وكفر الطواغيت، يقول: نزلت في النصارى، نزلت في الفلاني؛ ثم رجع في أوراقه يكذب نفسه

(١) انظر: المرجع السابق، (٢٦٥/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٧٩/٥، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ١٣٠، ١٣٧، ٢٢٠، ٢٢٩).

ويوافقنا ويقول: من قال: إن النبي ﷺ أملس الكف كفر، ومن قال كذا كفر، تارة يقول ما يوجد الكفر فينا، وتارة يقرّر الكفر، أعجب لبانيه يجربه! (١).

ز- إبراز نقاط الاتفاق مع المدعو، والاستدلال بها على نقاط الاختلاف:
يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦] ذكر بعض أهل العلم أن هذه الآية دلّت على (الإطار الذي يضعه الداعي أمام المخاطب المثقف، وهو أن يعرض عليه المبادئ المشتركة بينه وبينه، مما يحدث نوعاً من العلاقة الودية، ثم يتقدم إليه بالنتائج التي تستلزمها..) (٢).

ولا شك أن البدء بنقاط الاختلاف عند المناظرة يوسع الفجوة ويقلل فرص التلاقي (٣)، وربما أدى إلى جدل عقيم.
وقد حرص الإمام -رحمه الله- في كثير من المواضع على البدء بنقاط الاتفاق وإبرازها ما أمكن؛ فهو -مثلاً- لا ينهي عن دعوة الصالحين تقيلاً من شأنهم، وانتقاصاً لهم، بل تنقية لعقيدة التوحيد، ولذلك يكثر في معرض

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٨٨/٥) .

(٢) أمين أحسن إصلاحي، منهج الدعوة إلى الله ، تعريب : سعيد الأعظمي الندوي ، ونور عالم الندوي [الكويت - دار نشر الكتاب الإسلامي - ب ت] (ص ٩٤) . [والمؤلف من علماء باكستان، وهو كاتب إسلامي شهير، وصاحب التفسير المعروف بـ (التدبر في القرآن)].

(٣) انظر : يحيى زمزمي ، الحوار آدابه وضوابطه ، [مرجع سابق] (ص ٢٨٨) .

ذلك من الترحم عليهم، وهو ما يتفق معه المدعو عليه، كأن يقول: (و كذلك فقراء الشيطان، الذين ينتسبون إلى الشيخ عبد القادر^(١) - رحمه الله - وهو منهم بريء كبراءة علي بن أبي طالب [عليه السلام] من الرافضة)^(٢).

كما أن الإمام - رحمه الله - حين يدعو إلى متابعة الدليل، وعدم التعصب لأقوال العلماء إذا خالفت النص، فإنه في الواقع لا يقلل من شأن هؤلاء العلماء، بل يجلهم، ويقتدي ببقية أقوالهم الموافقة للنصوص، ولذلك يحرص على ذكر ما يوافق المدعو عليه من الترحم على هؤلاء العلماء، والدعاء لهم، والاعتراف لهم بالعلم والفضل، والتصريح بالاعتماد على أقوالهم الموافقة للنصوص؛ كقوله: (..وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد، فنحن مقلدون الكتاب والسنة، وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة؛ أبي حنيفة النعمان بن ثابت ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى)^(٣).

ثم إن الإمام بعد ذلك يجد من نقاط الالتقاء التي أبرزها للمدعو منطلقاً مناسباً لعرض حججه وبراهينه^(٤)، فعلى سبيل المثال: ما دام المدعو يتفق مع الإمام على فضل الأئمة الأربعة، ووجوب الاعتماد على ما لا يخالف النص

(١) الجيلاني، سبقت ترجمته.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥٢/٥). وانظر: المرجع السابق، (٩٦/٥، ١٠٦، ١٤٧).

(٣) المرجع السابق، (٩٦/٥) وانظر المعنى نفسه في المرجع السابق (١٠٧/٥، ١٨٠).

(٤) انظر شواهد على ذلك في المرجع السابق (٢٠٥/٥، ٢٥٧، ٢٦٠).

من أقوالهم، فمن المناسب إذاً عرض أقوالهم التي تدعو إلى نبذ التعصب والتقليد، حيث يقول الإمام محتجاً على الخصم: (... فإن الذي أنا عليه وأدعوكم إليه هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم، فإنهم قد وصّوا بذلك، [يعني اتباع الدليل] ومن أشهرهم كلاماً في ذلك إمامكم الشافعي^(١)، قال: لا بد أن تجدوا عني ما يخالف الحديث، فكل ما خالفه، فأشهدكم أنني قد رجعت عنه ..^(٢) .

ح- الاعتماد على الوثائق الثابتة عند عرض دعاوى الخصم:

ومن شواهد ذلك أن الإمام حين أراد أن يناظر سليمان بن سحيم، ويقنعه بفساد أعماله الدالة على جهله بالتوحيد؛ ذكر له أن منها كتابته للحجب والتمايم، ولما غلب على ظن الإمام أن سليمان بن سحيم سيّدعي أنه إنما يكتب فيها آيات وأحاديث واضحة، واجهه الإمام بأنه استطاع أن يحصل على نموذج من تلك الحجب التي كتبها، ووجد أنها تحتوي على طلاس تدل على استعمال السحر، الذي لا شك في كفر فاعله، وقال: (الوجه الرابع: أنك تكتب في حجبك طلاس، وقد ذكر في الإقناع^(٣) أنها

(١) الخطاب موجه للقاضي عبد الله بن محمد بن عبداللطيف الأحسائي مولدًا، الشافعي مذهبًا، وهذا المذهب منتشر في الأحساء التي عرفت إلى اليوم بتعدد المذاهب، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٠/٥).

(٢) المرجع السابق، (٢٥٧/٥).

(٣) انظر: الحجاوي، الإقناع، [مرجع سابق] (٣٠٨/٤).

من السحر، والسحر يكفر صاحبه، فكيف تفهم التوحيد وأنت تكتب
الطلاسم؟ وإن جحدت فهذا خط يدك موجود^(١).

كما يستدل الإمام أيضاً بالأحداث الظاهرة الواضحة التي يشهد عليها
الناس، ولا يستطيع الخصم أن ينكرها، كقول الإمام في الرسالة نفسها بعد أن
بين ما ذكره أهل العلم من أن تعليق التمايم من الشرك: (... وأنت تكتب
الحجب، وتأخذ عليها شرطاً، حتى إنك كتبت لامرأة حجاباً لعلها تجبل،
وشرطت لك أحمرين، وطالبتها تريد الأحمرين، فكيف تقول: إني أعرف
التوحيد وأنت تفعل هذه الأفاعيل؟ وإن أنكرت، فالناس يشهدون عليك
بهذا)^(٢).

ط- العدل والإنصاف مع الخصم (ذكر حجته كاملة بأدلتها- عدم تعميم
الأحكام).

ومن شواهد ذلك ما جاء في رسالة الإمام لمحمد بن صالح^(٣)، التي ساقها
حسين بن غنام في كتابه، فقال: (المسألة السادسة: سأله محمد بن صالح عن
رشوة الحاكم الذي ورد عنه رضي الله عنه أنه لعن الراشي والمرثسي^(٤)، وذلك أنه وقع

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٢٧/٥).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) سبق الحديث عنه (ص ٤٦٨).

(٤) أخرجه الترمذي من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، الترمذي، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)،

[مرجع سابق] كتاب الأحكام، باب: ما جاء في الراشي والمرثسي في الحكم [ك١٣- ب ٩-

ح ١٣٤٠] (٢٢٢/٣). وقال عنه أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

بينه وبين سليمان بن سحيم مجادلة في ذلك^(١)، وقد ذكر الإمام في هذه الرسالة دعوى سليمان بن سحيم وأدلته كاملة وبيّن أنه أفتى بجوازها (مستدلاً بقوله ﷺ: (أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله)^(٢)، وأنهم حين استدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١]، أجابهم بقوله: (نزلت في كعب بن الأشرف). كما بيّن الإمام أن ابن سحيم استدل أيضاً (بأن الناس فرضوا لأبي بكر لما تولى الأمر درهمين كل يوم)^(٣).

ثم شرع الإمام -رحمه الله- في الرد على دعوى ابن سحيم وبيّن بطلانها بالحجج القاطعة، ولم يتجاهل أو يهمل حجج خصمه، أو يحرف فيها، بل أوردتها كاملة، وهذا هو الواجب على المناظر الذي يطلب الحق.

ومن شواهد العدل والإنصاف مع الخصم: عدم تعميم الأحكام، ومثال ذلك: جدال الإمام لابن سحيم حين ادّعى أنه من نطق بالشهادة لا يكفر، حتى ولو اعتقد خلاف مقتضاها، كابن العربي الذي ذكر العلماء أن كفره أغلظ من كفر اليهود والنصارى، وقد علّل الإمام انتصار ابن سحيم لابن عربي بكونه آت من الشام، الذين يعظمون ابن عربي، وقال: (... لكن هو آت من الشام، وهم يعبدون ابن عربي، جاعلين على قبره صنماً يعبدونه، ولست أعني أهل الشام كلهم، حاشا وكلا؛ بل لا تزال طائفة على الحق،

(١) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٥/١).

(٢) سبق تخريجه (ص ٤٦٧).

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٥/١).

وإن قلت واغتربت^(١).

ي- عدم الحيّدة أو طرح مسائل بعيدة عن الموضوع:

لعل من أهم أسباب فشل المناظرات العلمية، وعدم وصولها إلى أهدافها النبيلة؛ حيّدة بعض الخصوم، وتهربه من إجابة الأسئلة الموجهة له، إما بطرح سؤال آخر بدلاً من الإجابة، أو طرح مسألة أخرى، أو نحو ذلك. وقد عانى الإمام -رحمه الله- من استعمال بعض الخصوم لهذه الطرق السيئة، وحذر منها، حيث قال لأحد المدعويين^(٢)، بعد أن عزم على مناظرة أهل الأحساء: (وكن على حذر من أهل الأحساء أن يلبسوا عليك بأشياء لا ترد على المسألة، أو يشبهوا عليك بكلام باطل ..)^(٣).

٢- الاستدلال بأنواع الأدلة الممكنة:

حرص الإمام في مناظراته على الاستدلال بكافة الأدلة الممكنة، فهو تارة يستدل بالآيات الكريمة^(٤)، وتارة بالأحاديث الشريفة^(٥)، وأحداث السيرة^(٦). وأحياناً يستدل بأقوال الصحابة وأعمالهم^(٧)، وأقوال السلف

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣٧/٥) وانظر أيضاً في عدم تعميم الأحكام، المرجع السابق (٣١٩/٥)

(٢) هو محمد بن سلطان، انظر: المرجع السابق، (١٤٤/٥).

(٣) المرجع السابق (١٤٥/٥).

(٤) انظر على سبيل المثال: المرجع السابق، (٥٤/٥، ١٨٢، ٢٨٨، ٢٩٦، ٣٠٨).

(٥) انظر: المرجع السابق، (٧٩/٥، ١٦٦، ٢٨٨).

(٦) انظر: المرجع السابق، (١٩٦/٥، ٢٨٨) وحسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام،

[مرجع سابق] (٢٠٧/١) (٢٥/٢).

(٧) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٧٩/٥).

الصالح^(١)، وأهل العلم^(٢)، وربما استدل بالعقل والفطرة السليمة^(٣)، واستأنس بذكر الآيات الشعرية^(٤)، وأحياناً يستدل على الخصم بعباراته، أو بإقراره السابق، كقوله لعبد الله بن سحيم: (..وأنت ذكرت في كتابك تقول: يا أخي، ما لنا والله دليل إلا من كلام أهل العلم)^(٥).

كما حرص الإمام أحياناً على أن يستدل على المدعو ويرد عليه بأدلته نفسها، مثل ردّه - رحمه الله - على من استدل بآية في سورة الحج على جواز الوقف الجائر، بحجة أن الوقف في ذاته خير؛ فقال الإمام: (.. وأما قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج ٧٧]، فوالله الذي لا إله إلا هو إن فعل الخير اتباع ما شرع الله، وإبطال من غير حدود الله، والإنكار على من ابتدع في دين الله، هذا هو فعل الخير المعلق به الفلاح)^(٦)، وبذلك استشهد الإمام بدليل الخصم

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٥/١) (٢٠/٢)، (٢٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٢٢٠، ٥٤)، وحسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠/٢).

(٣) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٥/١).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٩٤، ٢٠٩، ٢٣١، ٢٤٠، ٢٦٦، ٢٩٣).

(٥) المرجع السابق (الشخصية) (٥/٦٦) وانظر المعنى نفسه في المرجع السابق (٥/٦٣، ٧١، ٧٩، ٨٨، ١٢٨، ١٣٧، ١٦٦، ١٩٦).

(٦) المرجع السابق (الشخصية) (٥/٨٥) وانظر المرجع السابق (٥/٨٣، ٨٤، ١٣١).

نفسه ليكون حجة عليه، وفي ذلك من الإقناع وقوة التأثير ما لا يخفى .
 كما استدل الإمام أحياناً باشتهاار الأمر بين الناس كقوله: (... وصار
 الكلام في اتباع الموييس ، وصالح بن عبد الله هل هم مع أهل التوحيد؟ أم هم
 مع أهل الأوثان؟ ... فالكلام في هذا نحيله على الخاص والعام ..) (١)، يعني
 نحيله إلى ما اشتهر بين كافة الناس خاصتهم وعامتهم، الذين يشهدون جميعاً
 بمعادات هؤلاء الأشخاص لدعوة الإمام وأتباعه من دعاة التوحيد.

٣- محاولة منع الخصم من المكابرة بالطرق الممكنة :

المكابرة: هي مدافعة الحق بعد العلم به (٢)، كبيراً وعناداً وأنفةً من الاعتراف
 بالهزيمة ، وفيها يتخلف شرط أساس من شروط المناظرة العلمية الهادفة
 والجدال والتي هي أحسن ، وهو قصد إظهار الحق، فهي إذاً منازعة في مسائل
 علمية، لا لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصم (٣).
 وقد عانى الإمام -رحمه الله- من تخلق كثير من الخصوم بهذه الصفة
 الذميمة، وحرص على التحذير منها.

كما حرص على اتخاذ التدابير الواقية من بروزها ولجوء الخصم إليها، ومن
 تلك التدابير:

أ- دعوة ذوي الهيبة والسلطان وأرباب الحجا والعقول لحضور المناظرة:

(١) المرجع السابق (٥/٢٠٥).

(٢) الجرجاني، التعريفات ، [مرجع سابق] (ص٢٣٩).

(٣) انظر : المرجع السابق (ص٢٣٩).

أدرك الإمام أن كثيراً من الخصوم إنما يلجأ للمكابرة حين يوقن بالهزيمة، فيحاول بالمكابرة أن يلبس على الجهال، ويوهمهم أنه لم يهزم، لكن إذا حضر المناظرة بعض ذوي الهيبة والسلطان وأصحاب العقول الراجحة، فإنهم سيقطعون عليه الطريق^(١)، ويدركون أنه هزم في المناظرة، ولذلك حرص الإمام -لما أرسل طالب علم ليناضر علماء مكة- على أن تكون هذه المناظرة على مشهد من والي مكة، بل في مجلسه، وأرسل رسالة لهذا الوالي قائلاً: (...ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم امتثلنا الأمر، وهو واصل إليكم، ويجلس في مجلس الشريف -أعزه الله- هو وعلماء مكة)^(٢).

ب- تكليف من يحكم بين الخصمين ويلزمهما بآداب المناظرة :

وفي ذلك قطع للطريق على من أراد المكابرة، أو التلبيس على الجهال. ومن شواهد استخدام الإمام لهذه الطريقة: ما ورد في الرسالة المشار إليها آنفاً، حيث كلّف الإمام الشريف بأن يجلس حكماً بين المتناظرين، وأرشده إلى أنجح الطرق للوصول للحق، وبعض الآداب التي ينبغي أن يلزم المتناظرين بها، فقال: (... فإن اجتمعوا؛ فالحمد لله على ذلك، وإن اختلفوا؛ أحضر

(١) ومن هذا المنطلق، حرص عبدالعزيز الكناني -رحمه الله- على مناظرة بشر المريسي -في مسألة القول بخلق القرآن- بحضرة الخليفة المأمون، وكان لذلك أعظم الأثر في منع بشر من الحيدة والمكابرة حتى غلبه عبدالعزيز -رحمه الله- بالحجة والبرهان، انظر: عبدالعزيز الكناني، الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، بتحقيق: د. علي فقيهي، [بدون ذكر معلومات النشر- ط ١٤١٢هـ] (ص ٢١).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٢/٥).

الشريف كتبهم وكتب الجنبلة، والواجب على الكل منا ومنكم أنه يقصد بعلمه وجه الله ونصر رسوله [ﷺ] (١).

٤ - حصر الجدل مع من ترجى الثمرة من وراء مجادلته:

كقول الإمام - رحمه الله - فيمن أنكر ما أمر الله به رسوله من وجوب إفراد الله بالعبادة، وزعم أن (دعاء الصالحين ... أمر حسن، ولو ذكر الله ورسوله أنه كفر) (٢) قال الإمام: (فليس لنا معه كلام) (٣)، إذ لا فائدة ترجى وراء جداله؛ لأنه مكابر معاند، ثم حصر الإمام جداله مع فئة معينة، فقال: (وإنما كلامنا مع رجل يؤمن بالله واليوم الآخر ... لكنه جاهل، قد ليست عليه الشياطين ...) (٤).

٥ - محاولة إعداد الخصم علمياً قبل الجدل لكي لا يكون الجدل عقيماً :

لعل من أبرز ما يدل على حرص الإمام على الوصول إلى الحق، وهداية الخصم، وليس مجرد هزيمته؛ أنه أحياناً يسعى إلى إعداد الخصم علمياً قبل المناظرة، ولا شك أن هذه الطريقة فائدة أخرى؛ فهي أيضاً تعين الخصم على فهم حجج الإمام وإدراك قوتها.

ومن شواهد ذلك ما فعله الإمام مع أحد المدعوين بعد أن اشتدّ بينهما

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) المرجع السابق (٥٢/٥).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) المرجع السابق (٥٢/٥، ٥٣).

الجدال في مسألة التقليد والاجتهاد، فقال الإمام: (فإن أردتم عليّ الردّ بعلم وعدل ، فعندكم كتاب (أعلام الموقعين) لابن القيم، عند ابن فيروز في مُشْرِفَة^(١)، فقد بسط الكلام فيه على هذا الأصل بسطاً كثيراً، وسرد من شبه أئمتكم ما لا تعرفونه أنتم ولا آباؤكم، وأجاب عنها، واستدل لها بالدلائل الواضحة القاطعة ..)^(٢)، فلم يكتف الإمام هنا بالإحالة إلى الكتاب بل دلّ المدعو على موضعه، وأقرب السبل للحصول عليه، ثم بيّن له أن في الكتاب أدلةً أخرى تؤيد مسلكه، مع وجود الرد عليها.

كما أحال الإمام في الرسالة نفسها إلى مناظرات سابقة بعد أن بيّن مسلكين هما: (اتباع الدليل)، و(تقليد العلماء بغير حجة)، فقال: (... وأنا على الأول أدعو إليه وأناظر عليه، فإن كان عندكم حق، رجعنا إليه، وقبلناه منكم، وإن أردت النظر في (أعلام الموقعين) فعليك بمناظرة في أثناءه عقدها بين مقلد وصاحب حجة ..)^(٣).

٦- محاولة كسب المجادل وإظهار احترامه بالاستدلال بعباراته :

لاشك أن تهئية نفس الخصم، وإشعاره بالتقدير والاحترام من أفضل الطرق التي تُيسّر له قبول الحق والانصياع له، ومن ذلك الاستدلال بعباراته،

(١) مُشْرِفَة من الإشراف، وهو الارتفاع : قرية تقع جنوب مدينة حايل على مسافة مائتي كيل تقريباً في جهة الطرفاوي. انظر: حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية،

[الرياض - دار اليمامة - ب ت] (٣/١٢٣١).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٢٥٥).

(٣) المرجع السابق ، (٥/٢٥٨).

وكان الإمام يقول له: إنني إنما أخذت هذه المسألة من أقوالك، واستفدت فيها من علمك، وفي هذه الطريقة ما لا يخفى من تلبية حاجة المدعو النفسية، وإرضاء غروره إن كان ثمة غرور، ولا ضير، ما دامت المصلحة الحاصلة بقبول المدعو واستجابته أكبر وأظهر.

ومن شواهد ذلك ما ذكره الإمام لأحد المدعويين^(١)، رداً على رسالته، حيث سرد له بعض النصوص الدالة على حقيقة التوحيد، ثم قال: (وغير ذلك من النصوص الدالة على حقيقة التوحيد، الذي هو مضمون ما ذكرت في رسالتك)^(٢).

٧- الاعتراف بالصواب من أقوال الخصم :

فالإمام - رحمه الله - لا يستثقل أن يعترف لخصمه بصحة الصحيح من أقواله، بل يسارع إلى ذلك، وربما يفرح به، ويتمنى أن يُظهر الله الحق ولو على لسان خصمه، حتى أنه في جداله مع ألدّ الخصوم، وهو المويس، الذي طالما شنَّ على الإمام وحارب دعوته؛ نجد أنه يعترف بما عنده من الصواب؛ ففي إحدى رسائله التي أرسلها إلى عبد الله بن سحيم يعرض فيها طرفاً من جداله ومناظرته مع المويس، الذي أخطأ في بعض مسائل الأسماء والصفات، قال: (.. وأما التعطيل والكيف، فصدق في ذلك)^(٣)، يعني أنه قال في ذلك

(١) لم يذكر الإمام اسم المرسل إليه في هذه الرسالة. انظر: المرجع السابق (١٧٠/٥).

(٢) المرجع السابق، (١٧٢/٥)، وانظر المرجع نفسه (١٧٣/٥).

(٣) المرجع السابق (١٣٣/٥). وانظر المرجع نفسه (٧٩/٥).

يقول أهل السنة والجماعة، ولم ينحرف كباقي المسائل.

٨- مراعاة الدقة والوضوح في العبارات والأفكار:

لم يكن الإمام -رحمه الله- ممن يحرص على التفصيح والتنطع في الألفاظ، والظهور بمظهر البليغ الفصيح، بل كان هدفة الأسمى هداية المدعو، والوصول إلى الحق، ولذلك حرص على أن تكون كلماته واضحة، محددة المعالم، سهلة الفهم، وقد استخدم لهذا الغرض عدة طرق؛ منها:

أ- التقسيم والترقيم :

إن تقسيم الأفكار وترقيمها أيسر للفهم من عرضها ممزوجة بأسلوب إنشائي، ولذلك حرص الإمام -رحمه الله- في كثير من الأحيان على تقسيم الأفكار وترقيمها، كأن يحاول إقناع أحد الخصوم^(١) بجهله بالشهادة، فيقول: (... وأكشف عن ذلك بوجوه :

الأول : الوجه الثاني : الوجه السادس :)^(٢)، ثم يقول:

(وأما الدليل على أنك رجل معاند ... فمن وجوه:

الأول : الوجه الثاني : الوجه الخامس :)^(٣)، ثم يقول:

(... وأنا أذكر كلام صاحب الإقناع أنه مكفرك ومكفر أباك في غير موضع من كتابه:

(١) من رسالته إلى سليمان بن سحيم، مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٢٦/٥).

(٢) المرجع السابق، (٢٢٦/٥ - ٢٢٧).

(٣) المرجع السابق، (٢٢٨ - ٢٢٩).

الأول: الثاني: الخامس: ... (١).

ولا شك أن هذه الطريقة أثرها البالغ في توضيح الأفكار وتيسير فهمها، بل وحفظها أيضاً، ولذلك أكثر الإمام -رحمه الله- من استعمالها في عدة مواضع من رسائله (٢).

ب- ذكر طرقي النقيض ليتضح الحق الوسط :

وهذا أيضاً مما يزيد الأمر وضوحاً، ومن شواهد ذلك ما جاء في رسالة الإمام إلى عبد الله بن سحيم التي ردّ فيها أباطيل المويس، الذي أراد أن يردّ على من نفى عن الله ما لم يرد في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات، فوقع في التشبيه، وأثبت لله سبحانه ما لم يرد إثباته في الكتاب والسنة، فقال الإمام موضعاً ذلك: (... وذلك أن مذهب الإمام أحمد وغيره من السلف أنهم لا يتكلمون في هذا النوع إلا بما يتكلم الله به ورسوله؛ فما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته رسوله أثبتوه.. وما نفاه.. نفوه، وأما ما لا يوجد عند الله ورسوله إثباته ونفيه مثل الجوهر والجسم والعرض والجهة وغير ذلك، لا يثبتونه ولا ينفونه، فمن نفاه مثل صاحب الخطبة التي أنكرها ابن عيدان وصاحبه فهو عند أحمد والسلف مبتدع، ومن أثبتته مثل هشام بن الحكم وغيرهم، فهو

(١) المرجع السابق، (٢٢٩-٢٣٠).

(٢) انظر أيضاً: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/٢١١، ١٨٦).

(٢/٢٨). وجمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ-].

(١/١٤٦). و مجموع مؤلفات الشيخ (٤/١٩٤).

عندهم مبتدع..^(١).

ج- تتبع ما يمكن أن يعرض للمدعو، أو يطرأ في ذهنه من الشبه والرد عليها:

فالإمام -رحمه الله- لا يكتفي بالرد على الشبه التي يثيرها المدعو ومجادلة أصحابها، بل أحياناً يتتبع الشبه التي يمكن أن تعرض للمدعو، وربما نسيها أو قصر فهمه عن ذكرها، فيطرحها الإمام، ثم يرد عليها، كقوله في إحدى رسائله بعد أن ردّ على شبهة جواز الغلو في الصالحين والاستشفاع بهم (...ولكنهم يجادلونكم اليوم بشبهة واحدة، فأصغوا لجوابها، وذلك أنهم يقولون: (كل هذا حق، نشهد أنه دين الله ورسوله إلا التكفير والقتال..)^(٢).

فالسائل -فيما يبدو- لم يسأل الإمام عن التكفير والقتال، ولم يطلب الحجج في رد هذه الشبهة، فتولى الإمام -رحمه الله- طرحها والرد عليها، ليقينه بأهميتها، وبأن الخصوم سيطرحونها.

د- مناظرة الخصوم بما يعرفونه من كتبهم ومذاهبهم:

حرص الإمام -رحمه الله- في مناظراته أن يكثّر من الاستشهاد بالكتب التي يثق بها الخصم ويعتمد عليها، والمذاهب التي ينتمي إليها؛ ليكون ذلك أيسر لفهمه، وأقرب لمطالعتة، وأقوى في الحجة عليه، وقد صرّح الإمام

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣١/٥).

(٢) المرجع السابق، (٢٧٢/٥).

باستخدامه لهذه الطريقة في عدة مواضع؛ حيث يقول في إحدى رسائله: (وتأملوا ما جرى بيننا وبين أعداء الله، نطلبهم دائماً الرجوع إلى كتبهم التي بأيديهم، فلا يجيبوننا إلا بالشكوى عند الشيوخ ..) (١).

كما بين الإمام ما كان يقوله لكل من جادله، حيث قال: (... قلت لهم: أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي والحنبلي؛ كلُّ أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم ..) (٢).

٩- التنزل مع الخصم:

لا شك أن المناظر الماهر يحرص على تضيق نقاط الخلاف، وعدم السماح بإثارة قضايا بعيدة عن صلب الموضوع، ولو حدث وأثارها الخصم، فإن طالب الحق لا ينشغل بها، بل يجعل الخصم يفترض أنه قد سلّم له بها، ثم يعود مباشرة لصلب الموضوع، وقد عانى الإمام -رحمه الله- أشد المعاناة من خصومه، الذين يحرص كثير منهم على التهرب من الإجابة على حجج الإمام، ويلجأون إلى إثارة قضايا جانبية، فكان الإمام -رحمه الله- يضبط جوانب الحوار، ويتنزل مع خصومه ليصل إلى هدفه المنشود، حتى إن بعض الخصوم رفضوا الاستدلال بالقرآن، بحجة عدم القدرة على فهمه، وألزموا الإمام بالاستدلال بكتب المتأخرين من الفقهاء، كالإقناع، فقال الإمام:

(١) المرجع السابق، (٢٧٣/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٨/٥) وانظر المرجع نفسه (١٤٤/٥).

(...فإن كان الاستدلال بالقرآن عندكم هزواً وجهلاً، كما هي عادتكم ولا تقبلونه؛ فانظروا في (الإقناع) في باب حكم المرتد، وما ذكر فيه من الأمور الهائلة التي ذكر أن الإنسان إذا فعلها، فقد ارتد وحلّ دمه..)^(١).

فلم ينشغل الإمام بمناظرتهم في هذه الشبهة الشيطانية -رغم أهميتها- حرصاً منه على ضبط الحوار وعدم الحيدة، بل تنزل مع الخصم، وساق له من الحجج ما يناسبه، وهذا من فقهه وفطنته -رحمه الله-، ومن شواهد ذلك أيضاً قوله: (...الجواب الثاني: أنه على سبيل التنزل أن الشرك لا يكفر من فعله، أو أنه شرك أصغر، أو أنه معصية غير الكفر.... لكن أنتم مسلمون أن رسول الله ﷺ قد أنكره ونهى عنه...)^(٢).

١٠- رصد وتوثيق دعاوى الخصم بألفاظها لإلزامه بها:

ومن شواهد: ذلك أن الإمام حرص على الاحتفاظ برسائل أرسلها علماء الحرمین فيها تكفير لمن أقر بالتوحيد، وتقرير لدعاء الأولياء في قبورهم، وكان يحيل إلى تلك الرسائل لبيان ما فيها من أخطاء، حيث قال لأحد المدعويين، مبيناً خطأ المويس الذي شكّا إلى علماء الحرمین، وكان سبباً في كتابة تلك الرسائل: (...مع أنّ المكاتيب التي أرسلها علماء الحرمین مع المزيويدي سنة الحبس عندنا إلى الآن ..، وقد صرّحوا فيها أن من أقرّ بالتوحيد كفر، ...

(١) المرجع السابق، (١٢٦/٥) وانظر المرجع نفسه، (٣٠١، ٢٢٩، ١٩٠/٥).

(٢) المرجع السابق، (٢٩/٥).

ويذكرون دلائل على دعاء الأولياء في قبورهم ... فإن كانت [يعني المكاتيب] ليست عندك، ولا صبرت إلى أن تجيء، فأرسل إلى ولد محمد بن سليمان^(١) في وشيقر ولسيف العتيقي^(٢)، يرسلونها إليك..^(٣)، فالإمام يرى أن هذه الرسائل وثيقة ثابتة، وتعبر بصدق عن آرائهم وأفكارهم، وتدينهم بها.

كما ذكر الإمام حججه وبراهينه ضد دعاوى المويس، وطلب من عبد الله بن سحيم أن يعرضها عليه، ويكتب ردوده عليها ويوثقها، وقال: (هذا ما تيسر كتابته ... والمأمول فيك أنك تنظر فيها بعين البصيرة ... واعرض هذا عليه، واطلب منه الجواب عن كل كلمة من هذا، فإن أجابك بشيء فاكتبه، وإن عرفته باطلاً، وإلا فراجعني فيه أيّنه لك ..)^(٤)، فالإمام هنا يوجه المدعويين لاتباع هذه الطريقة مع الخصوم، وتوثيق ردودهم، لإلزامهم بها، وعرضها على أهل العلم، كما احتفظ الإمام بالرسائل التي كتبها خصمه سليمان بن سحيم، مقرأً بما جاء به الإمام، يقول الإمام: (...فإن الذي

(١) لم أعثر على ترجمته.

(٢) هو سيف بن أحمد العتيقي، ولد في حرمة بسدير، وانتقل إلى الأحساء وتوفي بها سنة ١١٨٩ هـ، وقد جمع الردود التي رد بها على الشيخ الإمام، فبلغت سفيراً ضخماً، وهي التي يقصدها الشيخ الإمام هنا. انظر: محمد بن عبد الله بن حميد، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، [مرجع سابق] (٤١٧/٢). وانظر: عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، [مرجع سابق] (٣٢٧/١).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٠٥/٥).

(٤) المرجع السابق، (١٣٥/٥) وانظر أيضاً المرجع نفسه (١٨٨/٥، ٢٢٧).

راسلكم هو عدو الله ابن سحيم، وقد بينت ذلك له فأقرّ، وعندنا كتبٌ يده في رسائل متعددة أن هذا هو الحق^(١).

١١- قوة الحجة، وبيان خطأ الخصم، وتناقضه من عدة وجوه:

لعل من أهم أسباب قوة الحجة عند الإمام وإفحامه لخصومه؛ حرصه -رحمه الله- على بيان خطأ الخصم من عدة وجوه، وتتبع جميع جوانب الخلل في دعاواه، وعدم الاكتفاء بجانب واحد، ومن شواهد ذلك: رده على المويس؛ حيث بين خطأه من عشرة وجوه فقال: (.. إذا تقرّر هذا فقد ثبت خطؤه من وجوه:

الأول: أنه لم يفهم الرسالة التي بعثت إليه.

الثاني: أنه بهت أهلها بإثبات الجسم وغيره.

... إلى أنقال:

العاشر: أن المسلم أخو المسلم، فإذا أخطأ أخوه نصحه سرّاً

..... إلخ^(٢).

فالخصم إن استطاع أن يرد على بعض الجوانب فإنه بالتأكيد لن يتمكن من الرد على كل الجوانب فيتضح خطؤه وعجزه، كما أن الإمام بين في

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٦٣/٥).

(٢) المرجع السابق، (١٣٣/٥ - ١٣٤).

هذه الجوانب بعض تناقضات^(١) الخصم، ولو ازم أقواله التي ربما لم تخطر له ببال.

١٢- الرد على الخصم بعباراته وأدلته:

يقول ابن تيمية - رحمه الله -: (الحجج العقلية التي يحتج بها أهل الضلال؛ يُحتج بها على نقيض مطلوبهم، كما أن الحجج السمعية التي يحتجون بها حالها كذلك)^(٢).

وقد أدرك الإمام - رحمه الله - هذه الحقيقة، فحرص في عدة مواضع^(٣) من رسائله على أن يردّ على الخصوم بأدلتهم وعباراتهم نفسها.

ومن شواهد ذلك ما جاء في رسالته التي أجاب فيها عن شبهة جواز الوقف الجائر؛ حيث ردّ على الخصوم بأدلتهم نفسها، كقوله: (وأما حديث عمر أنه تصدق بالأرض على الفقراء، فهذا بعينه من آيين الأدلة على مسألتنا)^(٤)، ثم وضّح الإمام كيف يُستدل بهذا الأثر^(٥) على ما أراد إثباته من تحريم هذا الوقف الجائر، ونقل أقوال العلماء في

(١) انظر في ذلك المرجع السابق (٨٩/٥، ٩٠، ٩١، ١٣٥).

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، بتحقيق د. محمد رشاد سالم [مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ط الأولى ١٤٠٠هـ] (٤/٦٩).

(٣) انظر أيضاً مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٨٠/٥، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ١٣١، ٢٢٠، ٢٢٩).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٨٠/٥).

(٥) الأثر: هو ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوال أو أفعال، انظر: محمود الطحان،

تيسير مصطلح الحديث، [مرجع سابق] (ص ١٦).

ذلك، واتخذ الأسلوب نفسه مع أدلتهم الأخرى في هذه المسألة ومسائل أخرى عديدة.

كما أن الإمام استدل على بعض الخصوم بعباراتهم نفسها؛ ومن شواهد ذلك ما جاء في رده على المويس^(١) الذي زعم أن النبي ﷺ وصحابته إنما دعوا الناس إلى التلطف بالشهادة فقط، وقنعوا منهم بذلك، ثم ذكر في موضع آخر من رسالته أن النبي ﷺ دعاهم إلى ترك عبادة الأوثان!!، فقال الإمام: (فنقول: أولاً هو الذي نقض كلامه، وكذبه بقوله: (دعاهم إلى ترك عبادة الأوثان) فإن كان لم يقنع منهم إلا بترك عبادة الأوثان، تبين أن النطق بها لا ينفع إلا بالعمل بمقتضاها، وهو ترك الشرك..)^(٢).

١٣ - الاستدلال على ضلاله بضلال شيخه ما دام موافقاً له متعصباً
لمنهجه:

من شواهد ذلك: ما ذكره الإمام عن خصمه سليمان بن سحيم، الذي شنع على الإمام وحارب دعوته، حيث تعجب الإمام كيف يثق الناس بكلام ابن سحيم وهو ضال مضل، وقد أخذ علمه من أهل الضلال، حيث قال الإمام لأحد المدعويين^(٣): (... ولا يخفك أنني عثرت على أوراق عند ابن عزاز فيها إجازات له [يعني لسليمان بن سحيم] من عند مشايخه، وشيخ

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣٠/٥).

(٢) المرجع السابق (الشخصية) (١٣٧/٥).

(٣) هو عبد الله بن سحيم مطوع أهل الجمعة، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٦٢/٥).

مشايخه رجل يقال له عبد الغني، ويشنون عليه في أوراقيهم ويسمونهم العارف بالله، وهذا اشتهر عنه أنه على دين ابن عربي، الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون، حتى قال ابن المقرئ الشافعي: من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر، فإذا كان إمام دين ابن عربي والداعي إليه هو شيخهم، ويشنون عليه أنه العارف بالله، فكيف يكون الأمر؟^(١).

١٤ - بيان لوازم قول الخصم وشناعتها، وتخييره بين الالتزام بها أو الرجوع عن قوله:

قد ينخدع السامع، وربما صاحب الدعوى نفسها، بإحدى دعاواه، ويظن أنها دعوى صحيحة، ولا يظهر له فسادها لأول وهلة، ومثل هذا النوع من الناس يحسن أن يكشف له حقيقة دعواه ومآلها، ولوازمها الفاسدة؛ ليسهل له اكتشاف بطلانها، ويضطر إما للرجوع عن دعواه، أو الالتزام بلوازمها الشنيعة، التي لا يسلم له بها أحد.

وقد استخدم الإمام هذه الطريقة في كثير من مناظراته^(٢) فكانت من أبرز دلائل قوة حججه، ومن أعظم عوامل انتصاره في مناظراته، ومن شواهد ذلك: رده على المويس الذي أراد الفرار من التشبيه فوق في التعطيل في بعض الصفات، وزعم أن ذلك هو مذهب أهل السنة، فذكر الإمام لازم قوله،

(١) المرجع السابق (٧٢/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٧٢/٥)، ٧٥، ٧٩، ٨٩، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٤، ١٨٨، ٢٣٠، ٢٥٩.

وقال معرّضاً به: (... وصاحبكم يدّعي أن الرجل لا يكون من أهل السنة حتى يتبع أبا علي وأبا هاشم، بنفي الجوهر والعرض، فإن أنكر الكلام فيهما مثل أبي بكر وعمر [رضي الله عنهما] فهو عنده على مذهب هشام الرافضي^(١).

كما ردّ الإمام - رحمه الله - على من أجاز الوقف الجائر - وهو الوقف على بعض الورثة - بكون عمر رضي الله عنه لم يوقف على أولاده بل تركهم، وأوقف على الفقراء وابن السبيل، وقال الإمام: (... فإذا كان وقف عمر على أولاده أفضل من الفقراء وأبناء السبيل فما باله لم يوقف عليهم؟ أتظنه اختار المفضل وترك الفاضل، أم تظن أنه هو ورسول الله صلى الله عليه وآله الذي أمره لم يفهما حكم الله؟^(٢). إن تذكير المدعو بهذا اللازم وشناعته أعظم رادع له، وهو من أهم الأسباب التي تجعله يراجع النظر في دعواه ويرجع عنها.

١٥ - مراعاة ما يناسب المجادل من الإغلاظ في القول عند تبين العناد:

لا شك أن المتعين هو البدء باللين واللطف عند مجادلة الخصوم، ولكن ليست هذه هي الصورة الوحيدة للجدال، بل إن الحكمة أحياناً تقتضي الشدة والإغلاظ في القول مع المجادل إذا ظهر منه العناد والظلم والمكابرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ العنكبوت:

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣٢/٥) ولا شك أن الصواب في هذه المسألة كما بين

الإمام هو عدم النفي ولا الإثبات لما لم يرد فيه نص كالجوهر والعرض والجسم ونحوه.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٨٠/٥).

[٤٦]، فاستثنى الله الظالمين من المجادلة بالحسنى، وقد ذكر العلماء أن في هذه الآية (إذناً للمؤمنين بجدال ظلمة أهل الكتاب بغير الذي هو أحسن)^(١)، يعني بالغلظة والشدة، (وبما يليق بحالهم)^(٢)، بل وبالسيف والسنان، كما نصّ بعض أهل العلم^(٣).

وقد ابتليَ الإمام -رحمه الله- بأصناف من الخصوم المعاندين الظلمة الذين أُلجؤوه إلى استخدام الغلظة والشدة في جدالهم^(٤)، وجاءت هذه الغلظة على صور عديدة؛ منها:

أ- إظهار التعجب من فساد حجة الخصم لهزّ ثقته في نفسه:
حرص الإمام -رحمه الله- في بعض مناظراته على هزّ ثقة الخصم في نفسه، وذلك بانتقاد أدلته، وإظهار التعجب من فسادها قبل البدء بالردّ

(١) الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، [مرجع سابق] (١٥٠/١٠)، وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، [مرجع سابق] (٢٣٢/٧)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، [مرجع سابق] (٦٦٢/٣).

(٢) أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، [بيروت - دار إحياء التراث العربي - ب ت] (٤٢/٤).

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، [مرجع سابق] (٢٣٢/٧).

(٤) ويضاف إلى ذلك ما ذكره الإمام -رحمه الله- عن نفسه من طبيعته التي قد تغلب عليه أحياناً -رحمه الله- إذ يقول: (... وأنا في بعض الحلّة) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٥/٥).

عليها واحداً تلو الآخر، ومن شواهد ذلك؛ ردّه على أحد المدعويين^(١) وكان قد عرف التوحيد وكفر المشركين ثم حصل له شبهة فحسّن الشرك، وساق أدلة زعم أنها تدل على ما ذهب إليه، فبدأ الإمام ردّه عليه بقوله: (ولكن العجب من دلائلك التي ذكرت؛ كأنها أتت ممن لا يسمع ولا يبصر ..)^(٢)، ثم بيّن الإمام الصواب في هذه المسألة.

ويقول الإمام في رسالةٍ أُخرى قبل أن يرد على إحدى الشبه: (... ومن أعجب ما جرى من الرؤساء المخالفين أني لما بينت لهم كلام الله وما ذكر أهل التفسير ... قال: القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا، ولا بكلام الرسول [ﷺ] ولا بكلام المتقدمين، ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون ..)^(٣).

إن إبداء التعجب والانتقاد لحجج الخصم من الأمور الثقيلة على نفس الخصم، ولا شك، وهي من الغلظة في الجدل، ولكن لها أثر بالغ في إجماع المعاندين، ودفع الظالمين عن ظلمهم ومكابرتهم.

ب- تحجيم الخصم والتقليل من شأنه:

لجأ الإمام في جداله لبعض المعاندين إلى أسلوب التهكم بالخصم والتقليل

(١) هو أحمد بن عبدالكريم (رجل من أهل الأحساء). انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)

(٢١٦/٥).

(٢) المرجع السابق، (٢١٨/٥).

(٣) المرجع السابق، (١٥٧/٥).

من شأنه، ليكسر غروره الذي منعه من قبول الحق، ومن شواهد ذلك ردّ الإمام على المويس، حيث قال معرضاً به: (... والكلمة الثانية: قوله إن المشرك لا يقول لا إله إلا الله، فيا عجباً من رجل يدّعي العلم وجاء من الشام يحمل كتب، فلما تكلم إذ أنه لا يعرف الإسلام من الكفر، ولا يعرف الفرق بين أبي بكر الصديق وبين مسيلمة الكذاب ..)^(١).

ويقول مشيراً إلى بعض الرسائل التي كتبها بعض المنتسبين للعلم بغرض إثارة بعض الشبه: (... والحاصل أن من رزقه الله العلم يعرف أن هذه المكاتيب التي أتتكم، وفرختم بها، وقرأتموها على العامة، من عند هؤلاء الذين تظنون أنهم علماء كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]^(٢).

ج- تحدي الخصم:

إن تحدي الداعية لخصمه في المجادلة، وإظهاره لبعض ما أنعم الله به عليه من نعمة العلم وقوة الحجة، كل ذلك من أبرز الأمور التي تهز ثقة الخصم في نفسه، وتدعوه إلى إعادة النظر في دعاواه والتردد في طرحها، وقد استخدم الإمام -رحمه الله- أسلوب التحدي في جداله مع بعض الخصوم؛ كقوله لأحد المدعويين: (فإن كانت مكاتيب أولياء الشيطان ... غرتكم ... فاذكروا

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣٦/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٧٧/٥).

لي حجة مما فيها أو كلها أو في غيرها من الكتب مما تقدرون عليه أنتم ومن وافقكم، فإن لم أجابه عنها بجواب فاصل بين يعلم كل من هداه الله أنه الحق، وأن تلك هي الباطل، فأنكروا علي، وكذلك عندي من الحجج الكثيرة الواضحة ما لا تقدرون أنتم ولا هم أن يجيبوا عن حجة واحدة منها، ثم يجتم الإمام هذه العبارة بالإشارة إلى سبب قوة حججه وثقته في سلامة منهجه، ألا وهو التمسك بنصوص الكتاب والسنة، فيقول: (... وكيف لكم بملاقة جند الله ورسوله؟) ^(١).

د- فضح مقاصد الخصم، ووصفه بالفسق:

من صور المجادلة بالغلظة والشدّة التي استعملها الإمام مع بعض الخصوم: طريقة فضح مقاصد الخصم، ووصفه بالفسق، مثل الإشارة إلى أن قصده من المكابرة والعناد في الجدل هو الرياء والسمعة، كقوله معرّضاً بالمويس، الذي فرح بوقوع ابن عيدان وصاحب له في أمر ظنه المويس خطأً: (... العاشر: أن المسلم أخو المسلم، فإذا أخطأ أخوه نصحه سراً، وبين له الصواب، فإذا عاند أمكنه المجاهرة بالعداوة، وهذا [يعني المويس] لما راسلاه [يعني ابن عيدان وصاحبه] صنّف عليهما ما علمت، وأرسله إلى البلدان: .. اعرفوني ... اعرفوني ... تراي جاي من الشام ..) ^(٢).

كما أغلظ الإمام القول فيمن جادل عن الطواغيت، ووصفه بالفسق،

(١) المرجع السابق (٢٧٧/٥) وانظر أيضاً المرجع السابق (٥٣/٥، ٢٢٤).

(٢) المرجع السابق (١٣٤/٥) وانظر المرجع السابق (٢٦٦/٥).

فقال: (.. ومن جادل عنهم، أو أنكر على من كفرهم... فأقل أحوال هذا الجادل أنه فاسق، لا يقبل خطه ولا شهادته، ولا يُصَلَّى خلفه..)^(١).

١٦- انتصار الإمام في الجدل، وبيان أن سبب ذلك هو الاعتماد على الوحيين:

ذكر الإمام -رحمه الله- بعض الإشارات التي تدل على انتصاره في كثير من مناظراته وإقرار خصمه بالهزيمة، كقوله عن المويس: (... فلما عجز عن التمرد في دينه الباطل، وقيل له: أجب عن دينك، وجادل دونه، وانقطعت حجته؛ أقر أن هذا الذي عليه ابن عبد الوهاب أنه هو دين الله ورسوله..)^(٢). ويقول الإمام في موضع آخر معللاً هذا الانتصار: (ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حجج الله وبيّناته، فلا تخف ولا تحزن، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً، والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنُدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣]، فجنّد الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان..)^(٣).

١٧- تشجيع الإمام أتباعه على استخدام أسلوب الجدل ومتابعته لهم:

ورد في رسائل الإمام -رحمه الله- ما يدل على دخول بعض أتباعه في

(١) المرجع السابق، (١٨٨/٥).

(٢) المرجع السابق (١٧٣/٥) وانظر المرجع السابق (٢٧٣/٥).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٥٦/٥).

مناظرات مع الخصوم، وقد كان الإمام يحرص على متابعة تلك المناظرات، ومعرفة ما جرى فيها، وربما كلّف الإمام بعض أتباعه باستخدام هذا الأسلوب وشجعه عليه، ومن شواهد ذلك:

أ- تكليفه الشيخ عبد العزيز الحصين^(١) بمناظرة علماء مكة:

في سنة ١١٨٥هـ^(٢) أرسل الإمام محمد -رحمه الله- والإمام عبد العزيز ابن محمد بن سعود إلى والي مكة شيخاً فاضلاً بناءً على طلب الشريف أحمد، وهذا الشيخ هو عبد العزيز بن حصين، وقد أرسل الإمام -رحمه الله- رسالة للشريف بعثها مع الحصين، يبيّن فيها بعض الخطوات التي ينبغي أن يتخذها الشريف؛ لضمان الوصول لنتائج طيبة عند عقد المناظرة مع علماء مكة^(٣).

(١) هو الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين، من مواليد قرية الوقف من بلدان الوشم عام ١١٥٤هـ، ثم تعلّم القراءة وحفظ القرآن، وقرأ على قاضي بلده الشيخ إبراهيم الأشيقري، ثم هاجر إلى الدرعية، ولازم الإمام محمد بن عبد الوهاب، السذي جعله قاضياً في مدينة شقراء حتى وفاته عام ١٢٣٧هـ، وله عدد من التلاميذ والمؤلفات، منها رسالة في معنى العبادة. انظر: عبدالرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، [مرجع سابق] (٢/٤٧٦ - ٤٨٢).

(٢) ورد في مجموع الرسائل (٣١٢/٥) أن هذه الرسالة كتبت بتاريخ ١١٨٤هـ نقلاً عن المخطوطة (ص ١١٥) والدرر السنوية (٤٢/١)، في حين ذكر تلميذ الإمام وهو حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، (٨٠/١) وكذلك ابن بشر في عنوان المجد (٥٧/١) أنها بتاريخ ١١٨٥هـ، وهذا هو المرجح؛ إذ في هذه السنة تولى الشريف أحمد بن سعيد بعد موت أخيه مساعد، وهو الذي راسل الإمام محمد، وطلب منه أن يرسل فقيهاً ليبيّن ما يدعو إليه.

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٢/٥).

ب- تلقين الإمام -رحمه الله- محمد بن سلطان^(١) الحجة لمناظرة أهل الأحساء والخرج:

طلب محمد بن سلطان من الإمام أن يذكر له بعض الأدلة والحجج على بعض المسائل؛ ليعرضها على بعض العلماء في الأحساء والخرج؛ فبادر الإمام -رحمه الله- إلى ذلك، وبيّن له الحجج من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، ولم يكتف بذلك، بل أرشده إلى بعض ما يعينه على تحصيل الثمرة المطلوبة من الجدل، فحذّره من أساليب الخصوم، وقال: (... وكن على حذر من أهل الأحساء أن يلبّسوا عليك بأشياء لا ترد على المسألة، أو يشبهوا عليك بكلام باطل...)^(٢).

ج- دخول أتباع الإمام من أهل ثرمداء في مناظرة مع ابن محمد بن سليمان^(٣):

ذكر الإمام -رحمه الله- في إحدى رسائله لأحد المدعوين^(٤) أن ابن إسماعيل قد أعطى ابن محمد بن سليمان كتاباً ليجادل به أتباع الإمام في ثرمداء، وقال الإمام: (... وكذلك ابن إسماعيل ... تعرف أن عنده الكتاب^(٥) الذي صنفه رجل من أهل البصرة كله من أوله إلى آخره في إنكار

(١) لم أعثر على ترجمته.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٤٥/٥).

(٣) لم أعثر على ترجمته.

(٤) رسالته إلى محمد بن عباد، مطوع ثرمداء.

(٥) يقصد بهذا الكتاب ما ألفه القباني وسماه (فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب)

انظر: عبدالعزيز عبداللطيف، دعاوى المناوئين، [مرجع سابق] (ص ٤٤).

توحيد الألوهية، وأتاكم به ولد محمد بن سليمان راعي وثيثة، وقرأه عندكم،
وجادل به جماعتنا..^(١).

د- مجادلة عبد الرحمن الشنيفي ومن معه من أتباع الإمام سليمان بن سحيم
وإقرار سليمان بالحق أمام الشيوخ:

ذكر الإمام هذه الحادثة، وقال مذكراً سليمان بن سحيم بها: (... أن عبد
الرحمن الشنيفي ومن معه لما أتوك وذاكروك، أقررت بحضرة شياطينك أن
هذا هو الحق، وشهدت أن الطواغيت كفار... وأنت لما خرجت من عند
الشيوخ وأتيت عند الشنيفي، جحدت الكلام الذي قلت في المجلس!!^(٢).

وبالجملة فإن الإمام -رحمه الله- قد استفاد من أسلوب الجدل، وأحسن
استغلاله وتوجيهه فيما يخدم دعوته رحمه الله.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٠/٥) .

(٢) المرجع السابق (٢٢٩/٥) .

المطلب الرابع:

أسلوب غرس الثقة بالداعي في نفوس المدعويين

لا شك أن ثقة المدعو بشخصية الداعية، وبمنهجها، وحقيقة دعوته من أبرز العوامل التي تساعد على قبول الدعوة والتمسك بها^(١)، وهذه الثقة ربما تتوفر بأسلوب القدوة عندما يكون المدعو قريباً من الداعية يلمح تصرفاته، ويرقب حركاته وسكناته.

ولكن ماذا عن المدعويين البعيدين عن محيط الداعية، الذين إنما وصلتهم الدعوة عن طريق رسالة أو رسول، خاصة إذا انتشرت عندهم الشائعات المغرضة، المناوئة لدعوة الداعية، والمسيئة إلى شخصه، عندها قد يلجأ الداعية إلى بعض الأساليب التي تغرس الثقة بشخصه وبدعوته في نفوس المدعويين؛ لكي يتلقوا عنه ويقبلوا دعوته.

وإن المتأمل لدعوة الأنبياء -عليهم السلام- يجد أنهم اضطروا في بعض الأحيان إلى اللجوء إلى هذا الأسلوب؛ تنقيّةً لصورتهم من الشائعات المغرضة، وتسويغاً لاختصاصهم بالقيام بهذه الدعوة، إلى غير ذلك من الغايات الدعوية.

(١) ليس هذا في مجال الدعوة فحسب؛ فقد اتفق على هذه الحقيقة أيضاً كثير من الدارسين في علوم التربية والإعلام، حيث أكد الإعلاميون على أهمية (بناء الثقة بين القوائم بالاتصال والمستقبل) وأوضحوا أنها من أهم أسباب (قبول الرسالة الإعلامية)، وذكر علماء التربية نحواً من هذا الكلام في صفات المربي أو المعلم، ولا شك أن هناك قدراً مشتركاً بين (الداعية) و(القائم بالاتصال) و(المربي أو المعلم) انظر: د. سيد محمد ساداتي، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم الخليل، [مرجع سابق] (ص ٧٣) ومحمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، [مصر- دار الفكر العربي- ط الثالثة ب ت] (ص ٢٩٤).

فهذا إبراهيم عليه السلام يدرك أن الابن يبقى صغيراً في عين أبيه، فيبادر إلى غرس الثقة بشخصه في نفس أبيه، بإخباره أنه قد حاز علماً عظيماً لم يدركه أبوه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣]، ويسارع نوحٌ وهودٌ عليهما السلام بنفي التهم الباطلة التي تهز ثقة المدعويين بهم، فيقول نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١]، ويقول هود عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٧]، ثم يصف هود عليه السلام نفسه بالأمانة والنصح ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]، ويرى نوح عليه السلام نفسه من المطامع الدنيوية في دعوته فيقول: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (١).

ويبرز هود عليه السلام لقومه مدى قوة إيمانه وتوكله على الله فيقول مستهيناً بكيدهم: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ [هود: ٥٦].

وهذا شعيب عليه السلام يغرس الثقة في نفوس قومه، فيحدثهم بما أنعم الله به عليه من النبوة والعلم وكثرة المال، ويؤكد لهم تجنبه لما وقعوا فيه من التطفيف والبخس، ثم يُظهر لهم صلاح نيته وقصده وقوة إيمانه وتوكله على الله (٢)،

(١) سورة هود، الآية رقم (٢٩). وكذلك هود عليه السلام، انظر السورة نفسها، الآية رقم (٥١).

(٢) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، [مرجع سابق] (٥٩، ٥٨/٥) والشوكاني، فتح القلديرو، [مرجع سابق] (٥١٩/٢).

فيقول: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وقد اضطر الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - كما يتضح من خلال رسائله، إلى اللجوء إلى هذا الأسلوب^(١) في بعض المواضع، وذلك لأسباب عديدة، منها:

أن الرسائل عادة ربما تصل إلى أناس لا يعرفون الإمام، ولا يدركون مكانته العلمية والاجتماعية، بل ربما سمعوا بعض الشائعات والدعاوى المناوئة لدعوة الإمام القادحة في شخصه وعلمه ومنهجه، ولا شك أن الداعية يحرص على كل ما من شأنه نشر الدعوة وتيسير قبولها، وإزالة العوائق عنها، ومن ذلك أسلوب غرس الثقة بالداعي في نفوس المدعوين، ومن صور ذلك:

(١) لا يتنافى هذا الأسلوب مع ما دلت عليه النصوص وذكره العلماء من (ذم الجاه والزياء وفضيلة الخمول ونحو ذلك)، حيث نصّ العلماء على أن (من الجاه ما يحمد وما يذم)، وإنما الواجب أن لا يكون الجاه محبوباً بعينه، (ومتى طلب الإنسان قيام جاهه لأجل صفة هو متصف بها لغرض صحيح، كقول يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾ [سورة يوسف: آية ٥٥] أو قصد إخفاء عيب من عيوبه، لئلا تزول منزلته، كان ذلك مباحاً). ولا شك أن من أصح الأغراض أن يحفظ الداعية جاهه لتقبل دعوته. انظر: الإمام أحمد بن محمد المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، بتحقيق زهير الشاويش، [بيروت - المكتب الإسلامي - ب ت] (ص ٢٢٧-٢٢٩).

أ- الإلماح إلى ما رزقه الله من سعة العلم والاطلاع:

حرص الإمام -رحمه الله- على غرس الثقة في نفوس المدعوين، وذلك بالإشارة إلى ما رزقه الله من سعة العلم والاطلاع، ومن ذلك بيان تمكنه من مجادلة أهل كل مذهب بكتب المتأخرين من علمائهم^(١)، رغم عدم معرفة كثير من علماء وقته بهذه الكتب^(٢).

كما أنه يذكر أقوال المذاهب الأربعة في كثير من المسائل^(٣)، ويتحدى - بكل ثقة- من أراد مناظرتة^(٤)، ويشير إلى انتصاره في مناظراته^(٥)، ثم يُلْمِح الإمام إلى ذلك الخير العظيم الذي منّ الله به عليه، وهو العلم بحقيقة التوحيد، ومعنى لا إله إلا الله، فيقول: (... وأنا أخبركم عن نفسي، والله الذي لا إله إلا هو، لقد طلبت العلم، واعتقدت من عرفني أن لي معرفة، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى لا إله إلا الله، ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي منّ الله به)^(٦).

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٨/٥، ١٤٤).

(٢) المرجع السابق، (٤١/٥).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٦٨/٥، ٧٣، ١٧٧).

(٤) انظر: المرجع السابق، (٥٣/٥، ٢٢٤، ٢٢٧).

(٥) انظر: المرجع السابق، (١٧٣/٥).

(٦) المرجع السابق، (١٨٧/٥).

كما أشار الإمام إلى معرفته وإمامه بواقع المدعويين^(١)، إضافة إلى ماتمتع به -رحمه الله- من النباهة ومعرفة خط من يرأسلونه، ولو لم يكتبوا أسماءهم^(٢)، وغير ذلك من الإشارات التي تدل على سعة علمه وإطلاعه، وتغرس الثقة به في نفوس المدعويين.

ب- التأكيد على أن النصوص تشهد بقوله، وكذلك العلماء يوافقونه وأنه متبع:

أكد الإمام في أكثر من موضع أن أقواله مبنية على النصوص الشرعية، كقوله في مسألة الشرك: (..واعلم أن أكثر القرآن في هذه المسألة وتقريرها وضرب الأمثال لها..)^(٣).

وقوله: (لما ذكرت لهم ما ذكره الله ورسوله، وما ذكره أهل العلم من جميع الطوائف من الأمر بإخلاص الدين لله..)^(٤)، وقوله: (... وكذلك من عبَد الأوثان بعد ما عرف أنها دين للمشركين وزينة للناس؛ فهذا الذي أكفره، وكل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء، إلا معانداً أو جاهلاً)^(٥)، ثم يؤكد الإمام أنه متبع فيقول: (وأنا أشهد الله وملائكته، وأشهدكم على دين الله ورسوله، أنني متبع لأهل العلم، وما غاب عني من الحق وأخطأت

(١) جمع عبد السلام بن برجس العبدالكريم، مجموعة الرسائل والمسائل التجديدية، [مرجع سابق] (٣٥/٤).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٨/٥).

(٣) المرجع السابق (١٤٨/٥).

(٤) المرجع السابق، (١٧٦/٥) وانظر المرجع نفسه (٢٥١/٥).

(٥) المرجع السابق، (٥٨/٥) وانظر المرجع نفسه (٦٦/٥، ١١٣، ١٥١).

فيه، فبيّنوا لي^(١).

ج- الحرص على سرعة التبرؤ من التهم الباطلة:

حرص الإمام -رحمه الله- على المحافظة على منزلته وثقة المدعويين به، بعدم تمكين الخصوم من نشر الدعاوى المغرضة ضد الإمام، ومحاولة الردّ على أي دعوى باطلة، والتبرؤ من كل تهمة سيئة.

ومن ذلك أنه أرسل رسالة عامة لتقرأ على الناس في المساجد، جاء فيها:
 (.. فما ذكره المشركون على أني أنهى عن الصلاة على النبي ﷺ، أو أني ... فكل هذا كذب وبهتان، افتراه علي الشياطين، الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل ..)^(٢).

د- الإشارة إلى تجرده وطلبه للحق وعدم ادّعاء الكمال:

لعل إدراك المدعويين لتجرد الداعية، وعدم تعصبه وانتصاره لمذهب أو نِحْلَة من أبرز ما يغرس الثقة في نفوسهم، ويدعوهم لقبول الدعوة، ولذلك أكّد الإمام -رحمه الله- في أكثر من موضع عدم تعصبه لإمام أو مذهب، وأنه إنما يتبع الدليل، وقال مشيراً إلى أحد المدعويين^(٣): (.. فأنا -و الله الحمد- لم آت الذي آتيت بجهالة، وأشهد الله وملائكته أنه إن أتاني منه أو

(١) المرجع السابق، (٤٢/٥).

(٢) المرجع السابق، (٥٢/٥) وانظر المرجع السابق (٥٣/٥).

(٣) هو عبد الله بن عيسى، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٧٦/٥).

ممن دونه في هذا الأمر كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين وأترك قول كل إمام اقتديت به، حاشا رسول الله ﷺ، فإنه لا يفارق الحق (١).
 كما يرى الإمام نفسه من صفة العجب أو الكبر، فيقول: (فإني لا أدعي العصمة) (٢) ويقول في عدة مواضع: (...وأنا لا أقول لكم: أطيعوني) (٣)، فهو لا يدعو إلى شخصه، بل إلى الحق، وبوده أن يقبل الناس الحق ولو لم ينسب إليه.

إن تصريح الإمام للمدعويين بهذه الصفات الطيبة التي يحملها ليس من باب الثناء المجرد على النفس؛ بل هو من باب بيان بعض الصفات التي تغرس الثقة به في نفوس المدعويين ليقبلوا دعوته.

هـ- إحاطة المدعو بالمركز الاجتماعي للإمام، وتأييد بعض ذوي السلطة والهيبة لدعوته:

إن مما يغرس الثقة بالداعي في نفس المدعو أن يدرك المدعو أن الداعي ذو جاه ومنصب في قريته، وأن المحيطين به قد وثقوا به وسودوه وجعلوه مسموع الكلمة، وقد حرص الإمام -رحمه الله- على الإشارة لهذا الأمر في رسالته إلى السويدي -أحد علماء العراق- وذلك ليزيد من ثقته بالإمام؛ ولسيوغ الإمام قيامه بالحسبة العملية، فيقول: (وأنا صاحب منصب في قريتي

(١) المرجع السابق الموضع نفسه، وانظر في المعنى نفسه المرجع السابق، (٥/١٤٥، ٢٥٢، ٢٥٩،

٣١٥، ٢٨٩، ٢٧٦)

(٢) المرجع السابق، (٥/٢٤١).

(٣) المرجع السابق، (٥/٦٠، ١٨٩، ١٩٠).

مسموع الكلمة، وأيضاً ألزمت من تحت يدي بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة^(١).
 كما حرص الإمام على إحاطة المدعوين بالمراسلات التي تمت بينه وبين
 والي مكة، وأن الشريف^(٢) أصبح على معرفة تامة بصدق الإمام وحقيقة
 دعوته، يقول الإمام في رسالة عامة: (... سألني الشريف عما نقاتل عليه،
 وعما نكفر الرجل به، فأخبرته بالصدق، وبيّنت له الكذب الذي يبهت به
 الأعداء، فسألني أن أكتب له، فأقول: أركان الإسلام خمسة ..)^(٣).

و- التأكيد على ثقته بسلامة منهجه^(٤) وثقته بنصر الله:

غرس الإمام الثقة في نفوس المدعوين عن طريق التأكيد لهم على ثقته
 بسلامة منهجه، وثقته بنصر الله تعالى، ومن شواهد ذلك: قوله لأحد
 المدعوين، مشيراً إلى بعض الأمور التي نسبت إليه: (... وأما ما ذكر لكم

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٦/٥).

(٢) لم يحدد الإمام من هذا الشريف، ولعله الشريف أحمد بن سعيد الذي راسله الإمام سنة
 ١١٨٥ هـ، انظر: المرجع السابق، (٣١٢/٥).

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٧٩/١).

(٤) يؤكد علماء الدعوة على ضرورة هذا الأمر، كما نبّه الدارسون الإعلاميون أن ثقة القائم
 بالاتصال بنفسه وبموضوع رسالته من الأمور الضرورية والمؤثرة في الاتصال، وأن المرسل إذا
 لم تتوفر فيه هذه الصفة، فإن ذلك يؤثر سلباً على العملية الاتصالية، ولا شك أن ذلك ينطبق
 أيضاً على الداعية والعملية الدعوية، انظر: د. سيد محمد ساداتي، ركائز الإعلام في دعوة
 إبراهيم الخليل، [مرجع سابق] (ص ٧٤) ومحمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة،
 [مرجع سابق] (ص ١٥٥).

عني، فإني لم آت به بجهالة؛ بل أقول والله الحمد والمنّة وبه القوة: إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين^(١) ^(٢).

ويقول في رسالة أخرى واثقاً بنصر الله، ومعرضاً بخصمه سليمان بن سحيم: (... وأيضاً لما أنكرنا عليهم أكل السحت والرشا، إلى غير ذلك من الأمور، فقام يدجل عندكم وعند غيركم بالبهتان، والله ناصر دينه ولو كره المشركون)^(٣). وقال: (... فإن وافقتونا على الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله، فلکم الحظ الأوفر، وإلا لم تضروا الله شيئاً، وقد ذكر النبي ﷺ أن الطائفة المنصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم^(٤)، ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَفَّارُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارُ﴾ [الرعد: ٢٤٢]^(٥).

إن الثقة التامة بسلامة المنهج واليقين بنصر الله تعالى من الأمور البارزة في

(١) اقتباس من الآية رقم (١٦١) من سورة الأنعام.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٢/٥) وانظر في نفس المعنى المرجع السابق (٢١٩، ١٩٠، ١٤٥/٥).

(٣) المرجع السابق (١٦٣/٥).

(٤) أخرجه البخاري من رواية معاوية أنه سمع النبي ﷺ يقول: (لا يزال من أمّتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك) صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، [ك٦٥ - ب٢٤ - ح٣٤٤٢] (١٣٣١/٣).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٩/٥).

رسائل الإمام، وهي الأمور التي حرص الإمام على إظهارها للمدعو، وفي ذلك ما لا يخفى من أثر في غرس الثقة في نفس المدعو وإعانتة على قبول الدعوة.

المطلب الخامس:

أسلوب البلاغة في التعبير (الوضوح - القوة - الجمال)

لعل من أبرز السمات التي يحتاجها الداعية في دعوته أن يكون أسلوبه بليغاً، موصلاً للمقصد والغاية^(١)، وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بأن تتصف دعوته بهذه الصفة، فقال تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، (أي بالغاً في وعظهم إلى المقصود، ومؤثراً فيهم)^(٢).

ولكي يصبح الأسلوب بليغاً؛ لا بد أن يتصف بصفات عديدة؛ إلا أنه (يمكن إرجاع هذه الصفات إلى ثلاث:

أولاً: الوضوح لقصد الإفهام.

ثانياً: القوة لقصد التأثير.

ثالثاً: الجمال لقصد الإمتاع)^(٣).

(١) انظر: د. حمد العمار، صفات الداعية، [الرياض- دار إشبيلية- ط الأولى ١٤١٧هـ]

(ص ١٠١) وأمين أحسن إصلاحي، منهج الدعوة إلى الله، [مرجع سابق] (ص ٦٧).

(٢) الشوكاني، فتح القدير، [مرجع سابق] (٤٨٣/١) وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،

[مرجع سابق] (١٧١/٣) وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، [مرجع سابق] (٧٨٦).

(٣) أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية، [مرجع سابق] (ص ١٨٥) وانظر: علي الجازم،

ومصطفى أمين البلاغة الواضحة، [القاهرة- دار المعارف- ب ت] (ص ١٢) والسيد أحمد

الهاشمي، جواهر البلاغة، [بيروت- دار الكتب العلمية- ط السادسة- ب ت] (ص ٣٥).

وقد توفرت هذه الصفات الثلاث مجتمعة أو متفرقة في كثير من المواضع في رسائل الإمام - رحمه الله - كما سيتضح - بإذن الله - من خلال الشواهد:

أولاً: الوضوح:

وهو أول ما ينبغي مراعاته لكي يصبح الأسلوب بليغاً؛ إذ لا بد أن يكون الكلام واضحاً مفهوماً^(١)، (ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، فلا يُكَلِّم سيّد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السُّوقَة)^(٢).

وقد حرص الإمام - رحمه الله - في رسائله على عنصر الوضوح، سواءً في (الأفكار)^(٣) أو في (الألفاظ و التراكيب)، أو في (الاستدلال)، فلم يكن يهدف إلى الصنعة والتنميق، وإنما كان حامل رسالة وداعية، يهدف إلى تبليغ دعوته بأقرب الطرق وأيسرها.

أ- الوضوح في الألفاظ والتراكيب:

برزت في ألفاظ رسائل الإمام - رحمه الله - وتراكيبها اللفظية صفة الوضوح وعدم التكلف، فالإمام - رحمه الله - لا يتنمق في ألفاظه، أو يتكلف مفردات غريبة بقصد التفاسيح والتعالم، بل يراعي أحوال المخاطبين، ويحرص

(١) انظر: أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية، [مرجع سابق] (ص ١٨٦).

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، بتحقيق عبدالسلام هارون، [القاهرة- مكتبة الخانجي- ط الخامسة

١٤٠٥هـ] (١/٩٢، ٩٣).

(٣) سبق الحديث عن هذا الجانب في منهج الإمام في الجدل، حيث ذُكِرَت الشواهد من رسائل الإمام على مراعاته - رحمه الله - لعنصر الوضوح في الأفكار، فلا داعي لإعادته هنا. انظر ص

(٥٨٧) وما بعدها من هذا البحث.

على تقريب المعاني ؛ لإفهامهم اتباعاً للسنة^(١)، ولذلك تميّزت ألفاظه بالوضوح والجلاء.

فهو لا يستعمل الألفاظ ذات المعاني المشتركة، التي قد تؤدي إلى الإبهام أو الإبهام، وربما استعمل المرادفات^(٢) كقوله: (خاتم النبيين والمرسلين)^(٣) (يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته)^(٤)، (ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان)^(٥) وقوله: (فهو كذب وبهتان)^(٦). وأحياناً يستعمل المتضادات، أو ما يسمى (بالمقابلة)، وهي مما يزيد في الوضوح.

ومن شواهد ذلك قوله: (ومن ولي الخلافة ... وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه)^(٧).

وقوله: (وأخبرك أني والله الحمد متبع ولست بمبتدع)^(٨).

(١) انظر: د. فضل إلهي، من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين، [مرجع سابق] (ص ٤٤ إلى ٥٢) (ص ١٧٤).

(٢) الترادف: هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد، كقولك: هذا سيفٌ مشرفٌ، صارمٌ فرّند، ورمحٌ خطيٌّ سمهريٌّ يزني، وردينيّ مثقّفٌ، انظر: الجرجاني، التعريفات، [مرجع سابق] (ص ٧١) والتهالبي، فقه اللغة، [مرجع سابق] (٣٣٨).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٠/٥).

(٤) المرجع السابق (١٠/٥).

(٥) المرجع السابق، (١٠/٥). والشواهد على ذلك تكاد تفوق الحصر.

(٦) المرجع السابق، (٣٣/٥).

(٧) المرجع السابق، (١١/٥).

(٨) المرجع السابق (٣٦/٥) والشواهد على ذلك كثيرة جداً.

كما حرص الإمام -رحمه الله- على البعد عن الغريب الوحشي من الألفاظ، والتقلل من استعمال المصطلحات العلمية، حيث لم يكن يستعملها إلا في مواضعها الملائمة مع من يفهمها ويدرك المقصود بها، كقوله لعبد الله ابن سحيم (مطوع الجمعة): (... فهذه الألفاظ لا يطلق إثباتها ولا نفيها؛ كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة ونحو ذلك من الألفاظ)^(١).

- استخدام بعض الألفاظ والتراكيب العامية بقصد الإيضاح:

ورغم أن الإمام -رحمه الله- يلتزم اللغة العربية الفصحى وقواعدها في رسائله؛ إلا أنه لا يتحرز أحياناً من إيراد بعض الألفاظ أو التراكيب العامية، التي ربما تكون أكثر وضوحاً وأيسر فهماً لفئة معينة من المدعوين، وله في ذلك سلف؛ فقد قرّر العلماء جواز إيراد بعض الكلمات غير الفصيحة، بل والأعجمية، من غير اعتياد أو تشبه أو إكثار، ما دام ذلك لغرض صحيح، والعامية -ولا شك- أمرها أيسر وأقرب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (.وفي الجملة، فالكلمة بعد الكلمة من العجمية أمرها قريب، وأكثر ما كانوا يفعلون ذلك إما لكون المخاطب أعجمياً، أو قد اعتاد العجمية، يريدون تقريب الأفهام عليه، كما قال النبي ﷺ لأُم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص^(٢)، وكانت صغيرة، قد ولدت بأرض الحبشة لما هاجر

(١) المرجع السابق، (١٣١/٥).

(٢) اسمها أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص القرشية، تكنى أم خالد، ولها صحبة، ولدت بأرض الحبشة مع أخيها سعيد بن خالد، ثم تزوجها الزبير بن العوام، وولدت له عمرو بن الزبير وخالد بن الزبير. انظر: يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، [بيروت- دار الكتب العلمية- ط الأولى ١٤١٥هـ] (٣٢٥/٤).

أبوها، (فكساها النبي ﷺ قميصاً، وقال: يا أم خالد؛ هذا سنا، والسنا بلغة الحبشة الحسن) ^(١)، ^(٢)، وأروي نحو ذلك أيضاً عن بعض الصحابة، كعلي ^(٣) وأبي هريرة - رضي الله عنهما - وكذلك بعض السلف ^(٤)، (قال منذر الثوري: سألت رجل محمد بن الحنفية عن الخبز؟ فقال: يا جارية، اذهبي بهذا الدرهم، فاشترى به تنبيزاً، فاشترت به تنبيزاً ثم جاءت به - يعني الخبز -) ^(٥)، على أن أغلب الألفاظ العامة الواردة في رسائل الإمام (تمت إلى الفصحى بأقوى نسب ... فهي ذات حقيقة وأصول عربية) ^(٦)، طراً عليها التحريف إما بنقص أحوال الإعراب، أو تغيير حروفه .. أو بخطأ في الاشتقاق .. وربما كانت عربية من لهجات قبائل أخرى غير قريش. وعلى كل، فيبقى الفرق

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] [كتاب اللباس - باب الخميصة السوداء] [ك ٨٠ - ب ٢١ - ح ٥٤٨٥] [٥ / ٢١٩١].

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، [مرجع سابق] (ص ٢٠٦).

(٣) أخرج الدارمي في سننه عن علي رضي الله عنه أنه قال لشريح (قالون، وقالون بلسان الروم: أحسنت) الدارمي، سنن الدارمي، [دمشق - دار القلم - ط الأولى ١٤١٢هـ] كتاب الطهارة - باب في أقل الطهر [ك ١ - ب ٩٢ - ح ٨٥٤] [١ / ٢٢٦].

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، [مرجع سابق] (ص ٢٠٦).

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٦) محمد داود التنير، ألفاظ عامية فصيحة، [بيروت - دار الشروق - ط الأولى ١٤٠٧هـ] (ص ١٢ - ١٣).

بينها وبين الفصحى ضئيلاً^(١).

وقديماً قيل:

لعمرك ما اللحن من شيمتي ولا أنا من خطأ ألحن
ولكنني قد عرفت الأنام فخاطبت كلاً بما يحسن^(٢)

ومن شواهد استخدام الإمام للهجة العامية:

قوله لمحمد بن عباد: (وتذكر إن كان ودك نبين لك إن كان فيه شيء غاترك)^(٣)، وقوله: (فلما غربلك الله بولد المويس)^(٤)، (اعرفوني .. اعرفوني .. تراي جاي من الشام)^(٥)، وقوله: (... فإن عزمت على الراضة وعجلتها [يعني الكتب] عليّ قبلك فتراها على بنو الخير)^(٦)، وقوله: (إنك زعجت

(١) انظر: عبدالمنعم عبدالعال، معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية، [القاهرة - مكتبة الخانجي - ط الثانية ب ت] (ص ١٠). وانظر د. عبدالله الحامد، الشعر في الجزيرة العربية، [الرياض - دار الكتاب السعودي - ط الثالثة - ١٤١٤هـ] (ص ٤١).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (٣٧١/١) الحاشية. والبيتان لأبي محمد الحسن بن اسحاق اليميني .. انظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت - دار الفكر - ط الثانية - ١٣٩٩هـ)، وشمس الدين السخاوي، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، بتحقيق إبراهيم باجس عبدالمجيد، (بيروت - دار ابن حزم - ١٤١٩هـ) ١٠٥٧/٣.

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٨٩/٥).

(٤) المرجع السابق، (٦٦/٥، ٧١).

(٥) المرجع السابق، (١٣٤/٥).

(٦) المرجع السابق، (٢٠٨/٥).

قرطاسة فيها عجائب^(١)، وقوله (وكلامنا هذا لغيرك الذين عليهم الشبهة مثل الشيوخ أو من يصلي وراءك كادوا أن الله يهديهم)^(٢)، وقوله: (... ذكر لي ابن زيدان أنك يا عبد الله زعل على أحمد بعض الزعل)^(٣)، وقوله: (... ترى الباطل زمالة لحياة)^(٤).

وأما رسالة الإمام لعبد الله بن عيسى قاضي الدرعية، والرسالة الأخرى لعبد الله بن عيسى وابنه، فإن الصفة الغالبة فيها استخدام اللهجة العامية:

(ب) الوضوح في الاستدلال بذكر الشاهد ووجه الاستشهاد:

حرص الإمام - رحمه الله - على أن تكون أدلته واضحة قريبة المنال؛ فلم يكن ممن يلوون أعناق النصوص؛ لتوافق أهواءهم، بل كان يورد الأدلة الواضحة المباشرة، ولا يكتفي بذلك، بل يذكر الشاهد أحياناً ووجه الاستشهاد، فلا يكلف المدعو عناء البحث عن الرابط بين المسألة ودليلها.

ومن الأمثلة على ذكر الشاهد: أنه - رحمه الله - أورد كلاماً طويلاً لابن القيم في مدارج السالكين (عدة صفحات)، ثم أعاد ذكر الشاهد وهو سطر واحد فقال: (... وآخر ما صرح به قوله آنفاً: (وما نجا من شرك هذا الشرك

(١) المرجع السابق، (٢٢٦/٥).

(٢) المرجع السابق، (٢٣٠/٥) وانظر المرجع نفسه (١٧٢/٥).

(٣) المرجع السابق، (٢٨٨/٥).

(٤) المرجع السابق، (٢٩٢/٥) ومعنى زمالة لحياة: ركوبة بليدة.

الأكبر إلا من عادى المشركين ... إلى آخره) ^(١) ^(٢). ثم ذكر الإمام -رحمه الله- بعد ذلك وجه الاستشهاد من هذا النص، فقال: (... فتأمل أن الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل هذا الشرك، فإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله..). ^(٣).

ومن أمثلة ذكر وجه الاستشهاد أيضاً: إيراد قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَرُّوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، ثم ذكر وجه الاستدلال بقوله: (... وهذا ما نحن فيه بعينه، فإن الذي راسلكم هو عدو الله بن سحيم، وقد بينت ذلك له فأقرّ، وعندنا كتب يده في رسائل متعددة..). ^(٤).

ثانياً: القوة لقصد التأثير والإقناع:

تميزت عبارات الإمام في رسائله بالقوة والجزالة لغرض البيان والإقناع؛ فلم يكن الإمام أديباً أو شاعراً، يطرب السامع ويشجي القارئ؛ بل كان داعية صدق وإمام خير ومشعل هدى ونور، قد رُزق من العلم وقوة الحجّة ما أعانه على أداء رسالته المباركة. ومن مظاهر قوة الأسلوب وقوة الحجّة عند الإمام:

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، [مرجع سابق] (٣٥٤/١).

(٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٩/٢). وانظر: المرجع السابق، (٢٥/٢، ٣٣).

(٣) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٦٣/٥).

أ- كثرة النصوص والشواهد:

حرص الإمام - رحمه الله - على كثرة الاستشهاد بالنصوص من آيات وأحاديث وآثار عن الصحابة والسلف الصالح، وأقوال لأهل العلم، حيث اشتملت جميع رسائل الإمام الشخصية التي شملتها الدراسة على ذلك، باستثناء رسالتين^(١) فقط خلتا من الشواهد. وتتبع الشواهد في رسائل الإمام، نجد أنه استشهد فيها بالآيات، أو أشار إليها في ٥٥ رسالة، كما أن عدد الرسائل التي استشهد فيها بالأحاديث الشريفة أو أشار إليها ٤٠ رسالة، وعدد الرسائل التي أورد فيها آثاراً عن الصحابة والسلف الصالح، أو أشار إلى ذلك ٩ رسائل، في حين بلغ عدد الرسائل التي استشهد فيها بأقوال العلماء أو أشار إلى ذلك ٣٢ رسالة.

ولا شك أن كثرة النصوص والإستشهادات في رسائل الإمام تزيد من قوة الأسلوب ورضانته وقدرته على الإقناع.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام كان أحياناً يورد النص كاملاً، وأحياناً يذكره مختصراً^(٢)، وأحياناً يكتفي بالإشارة إليه، والإحالة إليه دون ذكره، كقوله في معرض الحديث عن تحريم الشرك ووجوب الإخلاص (...واقراً أول سورة الزمر، تراه سبحانه بين دين الإسلام وبين دين الكفار

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥٨/٥، ٦٠).

(٢) انظر على سبيل المثال: المرجع السابق، (١٣٦/٥) وحسين بن غنام، روضة الأفكار

والأفهام، [مرجع سابق] (٢٠٧/١) (٢٩/٢).

ومطلبهم، والآيات في هذا من القرآن ما تحصى ولا تُعدّ^(١).

ب- الاستدلال على كل جزئية:

من دلائل قوة أسلوب الإمام -رحمه الله- أنه كان يستدل أحياناً على كل جزئية وكل مسألة من المسائل التي يوردها، زيادة في التأكيد والتوثيق والإقناع، كقوله في رسالته إلى البكيلي^(٢) صاحب اليمن: (... أما ما نحن عليه فعلى دين الإسلام الذي قال الله فيه: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وأما ما دعونا الناس إليه فندعوهم إلى التوحيد الذي قال الله فيه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وأما ما نهينا الناس عنه فنهيناهم عن الشرك الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، ونقاتلهم عليه كما قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].^(٣)

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٥/٥).

(٢) هو أحمد بن محمد العدلي البكيلي.

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٩٤/٥، ٩٥) وانظر أيضاً المرجع نفسه

(٢١٤، ٢١٣، ٢١٢/٥) وجمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط

١٤١٣هـ] (١٤٦/١ - ١٥١).

ج- دقة الاستدلال وعدم التكلف:

لم يكن الإمام -رحمه الله- بحاجة إلى التكلف في الاستدلال أو لي أعناق النصوص كما يفعل أهل الأهواء ؛ بل كانت دعوته -رحمه الله- واضحة جلية، تنطق بها النصوص، وتدلل عليها الشواهد الصريحة، ولذلك تميز أسلوبه واتسمت استشهاداته بالدقة وعدم التكلف، ويمكن أن يقال: إن الشواهد على هذه الميزة هي بعدد النصوص الواردة في رسائل الإمام -رحمه الله- فلا تكاد ترى نصاً إلا وهو يدل دلالة واضحة دقيقة مباشرة على ما استدل به الإمام دون تكلف، ولا شك أن ذلك مما يزيد الأسلوب قوة ورسانة وإقناعاً^(١).

ثالثاً: الجمال لقصد الإمتاع :

إن صفة الجمال صفة لازمة، لا غنى للكاتب عنها في أسلوبه، ما دام معنياً باحترام أذواق القراء^(٢)، ونفسياتهم، ولا يصح أن يقدم المضمون الصحيح والمعنى الجميل في شكل ذميم، ولا أن تقدم الحقيقة في إطار يظفي بهاءها^(٣). ونورها، ومن هذا المنطلق حرص الإمام -رحمه الله- على أن يتصف أسلوبه، إضافة إلى (الوضوح) و(القوة) بعنصر (الجمال) و(الإمتاع) ، وذلك من خلال عدة صور، منها:

- (١) انظر على سبيل المثال : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٥٤، ٦٥، ٢٧٢، ٣٠٤، ...).
- (٢) انظر : أحمد الشايب ، الأسلوب دراسة بلاغية ، [مرجع سابق] (ص ١٩٩).
- (٣) انظر : سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ، [مرجع سابق] (ص ١٣٠).

أ- تنويع الأدلة والشواهد:

إن تنويع الأدلة والشواهد، وعدم الاختصار على نوع واحد منها مما يزيد الأسلوب جمالاً، ويجلب المتعة والتشويق للقارئ.

وقد حرص الإمام -رحمه الله- على تنويع الشواهد؛ فإضافة إلى استشهاده بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، نراه يستشهد ببعض الآثار عن الصحابة والسلف الصالح، إضافة إلى أقوال العلماء^(١).

كما يورد -رحمه الله- بعض القصص، كقوله: (.. فلتكن قصة إسلام سلمان الفارسي منكم على بال ، ففيها أنه لم يكن على دين الرسل إلا الواحد بعد الواحد، حتى إن آخرهم قال عند موته: لا أعلم على وجه الأرض أحداً على ما نحن فيه، ولكن قد أظل زمان نبي ..)^(٢).

ويستشهد الإمام أيضاً ببعض أحداث السيرة النبوية الشريفة، كاستشهاده بأن (أبا سفيان [رضي الله عنه]) مرَّ على بلال وسلمان وأجناسهما، فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر [رضي الله عنه]: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها، ثم أتى النبي ﷺ فذكر ذلك، فقال: يا أبا بكر لئن

(١) يتضح من ما سبق ذكره، أن الشواهد على استشهاده -رحمه الله- بالآيات والأحاديث والآثار وأقوال العلماء كثيرة جداً، فلا تكاد تطالع إحدى هذه الرسائل حتى تقع عينك على مثل هذه الشواهد، ولم يُذكر هنا أمثلة عليها تجنباً للإطالة.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٦١/٥).

كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك^(١) ^(٢).

كما استشهد - رحمه الله - بدلالة الفطرة والعقول^(٣)، وبدلالة اللغة، كقوله: (.. فاعلم أن الحمد: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري..)^(٤).
كما استشهد بالآيات الشعرية^(٥).

ومما استشهد به - رحمه الله - في رسائله أيضاً: الأمثال المرسلة^(٦)، وهي أقوال سائرة يشبه بها حال الثاني بالأول والأصل فيها التشبيه^(٧)، لكنها جملٌ

(١) أصل الحديث أخرجه مسلم من رواية عائذ بن عمرو، الإمام مسلم صحيح مسلم، [مرجع سابق] كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم - باب: من فضائل سلمان وصهيب وبلال رضي الله تعالى عنهم [ك٤٤ - ب٤٢ - ح٢٥٠٤] [١٥٤٦/٤].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٨٨/٥)، وانظر المرجع نفسه (١٩٦/٥)، وحسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام [مرجع سابق] (٢٠٨/١)، (٢٠/٢).

(٣) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٥).

(٤) المرجع السابق، (٢٢٣/١).

(٥) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٠٩، ٩٤/٥)، (٢٣١، ٢٤٠، ٢٦٦، ٢٩٣).

(٦) التعريف هنا مقصور على الأمثال بمفهومها الخاص، ويقصد بها الأمثال المرسلة، وهي قسيمة للأمثال المصروفة والأمثال الكامنة، ولكل منها شواهد من القرآن الكريم والسنة المطهرة، أما المثل بمعناه العام فهو أشمل من ذلك، ويدخل فيه معنى الحال والقصة العجبية، وبهذا المعنى فسّر لفظ المثل في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿سَلِّ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ...﴾ سورة محمد آية (١٥) أي قصتها وصفتها التي يتعجب منها، انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط ٢٢ - ١٤٠٨هـ] (ص ٢٨٢)، و محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، [بيروت - دار الكتاب العربي - ط الثالثة ١٤٠٧هـ] (٧٢/١).

(٧) انظر: أبا الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، [بيروت - دار المعرفة - ب ت] (٥/١).

أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه^(١)، واكتسبت صفة الفشوّ والشيوع^(٢).

ولا أدلّ على أهمية الأمثال وقوة تأثيرها من ورودها في القرآن الكريم^(٣)، ولذلك حرص الإمام -رحمه الله- على الاستشهاد بالأمثال السائرة، وهي نوع من الأمثال، ومما استشهد به الإمام من الأمثال العامية:

١- أَعْجَبُ لِبَانِيهِ يَجْرَبُهُ:

يقول الإمام -رحمه الله- في إحدى رسائله متعجباً من تناقض خصمه سليمان بن سحيم: (... تارة يقول: ما يوجد الكفر فينا، وتارة يقرر الكفر، أعجب لبانيه يجربه)^(٤).

فهو كالذي يجهد نفسه في بناء دار أو نحوه، ثم يعود عليه هدماً وتخريباً، وهذا منتهى الحمق، وهو مثل قول العرب: (أحرق من ناكثة غزها)^(٥)، وهي امرأة من قريش يقال لها رَيْطَةُ بنت كعب بن سعد، وكانت تغزل وتأمّر جواربها أن يغزلن ثم تنقض وتأمّرن أن ينقضن، فَضُرِبَ بها المثل في الخرق، وهي

(١) انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، [مرجع سابق] (ص ٢٨٦).

(٢) انظر: محمد بن ناصر العبودي، الأمثال العامية في نجد، [الرياض- دار اليمامة- ١٣٩٩هـ] (١٤/١).

(٣) اشتمل القرآن الكريم على بضع وأربعين مثلاً، انظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، [الرياض- مكتبة المعارف- ط الأولى ١٤٠٧هـ] (٣٦٤/٢) ومناع القطان، مباحث في علوم القرآن، [مرجع سابق] (ص ٢٨١).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٨٨/٥).

(٥) الميداني، مجمع الأمثال، [مرجع سابق] (٢٥٥/١).

التي قال الله عز وجل فيها^(١): «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَغَصَّتْ غَزَلُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثِهَا»

[النحل: ٩٢].

٢- حشوا بالزبيل:

يقول الإمام - رحمه الله -: (.. فأما ابن عبد اللطيف وابن عفالق، وابن مطلق، فحشوا بالزبيل، أعني: سبابة التوحيد، واستحلال دم من صدق به..)^(٢).

وحَشَوُ: فعل ماضي من الحشو: وهو ملء الوسادة وغيرها بشيء^(٣)، ونقول في دارجتنا: حشا المخدة أو اللحاف ونحوهما بالقطن أو الريش أو الصوف: ملأها به.

قال ابن المعتز:

كَأَنَّ عَيُونَ التَّرْجَسِ الغُضِّ بَيْنَهُ . . . مَدَاهُنُ دُرٌّ حَشْوُهُنَّ عَقِيقٌ^(٤)
والزبيل: القُفَّة، أو الجراب^(٥)، وهو وعاءٌ يصنع من خوص النخل على أحجام وأشكال مختلفة^(٦)، ويطلق هذا المثل لمن أكثر من الكلام في شيء، وبالغ فيه حتى جاوز الحد.

(١) المرجع السابق، وانظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، [مرجع سابق] [٩٠٦/٢].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٠٦/٥).

(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، [مرجع سابق] مادة [ح ش و] (ص ١٦٤٤) وانظر: محمد داود التنير، ألفاظ عامية فصيحة، [مرجع سابق] (ص ٩٧).

(٤) عبد المنعم سيد عبدالعال، معجم الألفاظ العامية، [مرجع سابق] [١٩٣].

(٥) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، [مرجع سابق] مادة [ز ب ل] (ص ١٣٠٣).

(٦) انظر: عبدالكريم الجهيمن، الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب، [الرياض- دار أشبال العرب- ط الثالثة ١٤٠٣هـ] [٢١٨/٣].

٣- لا وجه سميح ولا بنت رجال:

يقول الإمام مُفَنِّدًا مزاعم المويس، وادّعاءه أن دعاء أهل القبور والاستغاثة بهم في الشدائد ليست من الشرك: (... وهو الذي أكثرتم النكير فيه، وزعتم أنه لا يخرج إلا من خراسان، وهذا القول كما في أمثال العامة: لا وجه سميح ولا بنت رجال)^(١)، والمعنى: لا هي جميلة، ولا هي بنت رجالٍ متصفين بصفات الرجولة الحقّة^(٢)، وهو كقولهم: لا أصل شريف ولا وجه ظريف، ذكره الأَبَشِيهِي في أمثال العامة في زمنه^(٣)، ويضرب لما اجتمع فيه علتان أو تعددت عيوبه.

٤- يا سلامة ولد أم سلامة:

ساق الإمام -رحمه الله- كلاماً نفيساً لابن القيم -رحمه الله- عن الجماعة ومقصود السلف من اتباع الجماعة؛ وأنها ما وافق الحق، وليس ما وافق أهواء أكثر الناس، وفيه تحذير شديد من الاغترار بالكثرة وأنها سبب الفتنة في الدين، كما حدث في زمن الإمام أحمد -رحمه الله- حيث شدّ الناس كلهم إلا نفرًا يسيراً، فكانوا هم الجماعة، وبعد أن ساق الإمام هذا المقطع، حثّ على الحذر، وأخذ الحيطّة، والبحث عن السلامة، فقال: (.. انتهى كلام

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣٧/٥).

(٢) محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، [مرجع سابق] (٣/١٠٩٩، ١١٠٦).

(٣) شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، (ت ٨٥٠هـ) المستطرف في كل فن مستظرف،

[بيروت- دار إحياء التراث العربي - ب ت] (٣٧/١).

ابن القيم، يا سلامة ولد أم سلامة، هذا كلام الصحابة في تفسير السواد الأعظم، وكلام التابعين وكلام السلف وكلام المتأخرين^(١)، ويطلق هذا المثل ويراد به -على ما يبدو- الحث على طلب السلامة والبعد عن أسباب الخطر والهلكة^(٢).

ب- التنوع في استخدام الأساليب البلاغية:

لاشك أن الأسلوب البلاغي الذي غلب على رسائل الإمام -رحمه الله- هو الأسلوب العلمي^(٣)، وهو أحد الأساليب البلاغية وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السليم والفكر المستقيم، وأبعدها عن الخيال الشعري، لأنه يخاطب العقل، ويناجي الفكر، ويتميز بالوضوح والقوة والجمال كما سبق ذكره. وقد ذكر علماء البلاغة أنه يحسن في هذا الأسلوب عدم تكلف المجاز والمحسنات البديعية، إلا ما يجيء من ذلك عفواً من غير أن يمس أصلاً من أصوله، أما التشبيه الذي يقصد به تقريب الحقائق إلى الأفهام، وتوضيحها بذكر مماثلها، فهو في هذا الأسلوب حسن مقبول^(٤).

وقد احتوت رسائل الإمام -رحمه الله- على العديد من الصور البلاغية

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٧٣/٥).

(٢) لم أعتز على هذا المثل ولا ما يقاربه في كتب الأمثال الشعبية ولا الفصيحة التي اطلعت عليها.

(٣) وهو قسيم لثلاثة أنواع من الأساليب، ثانيها الأسلوب الأدبي، وثالثها الأسلوب الخطابي،

انظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، [مرجع سابق] (ص ٣٥، ٣٦).

(٤) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، [مرجع سابق] (ص ٣٥).

الجميلة المؤثرة التي تخدم المعنى وتزيده جمالاً ووضوحاً دون تكلف أو تعسف، ومن ذلك :

١ - في علم المعاني^(١):

- الْقَسْمُ :

وهو الحلف واليمين^(٢)، وصيغته الأصلية أن يؤتى بالفعل أقسم أو أحلف متعدياً بالباء إلى المقسم به ثم يأتي المقسم عليه؛ وهو المسمى بجواب القسم كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨]، وفائدته التأكيد والتحقيق^(٣)، وهو من الأساليب البليغة التي يمكن أن يستفيد منها الداعية في تبليغ دعوته وتأكيد الحقائق التي يدعو إليها.

وقد استخدم الإمام - رحمه الله - هذا الأسلوب في عدة مواضع من رسائله؛ ومن ذلك قوله: (.. بل والله الذي لا إله إلا هو، لو يعرف الناس الأمر على وجهه لأفتيت بجل دم ابن سحيم وأمثاله ووجوب قتلهم، كما أجمع على ذلك أهل العلم ..)^(٤).

وأحياناً يكرر القسم، كقوله في مسألة وجوب معرفة التوحيد والكفر

(١) علم المعاني : أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، بحيث يكون وفق الغرض الذي سبق له . انظر : المرجع السابق، (ص٣٧).

(٢) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط، [مرجع سابق] مادة [ق س م] (ص١٤٨٣).

(٣) انظر : مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، [مرجع سابق] (ص٢٩٠-٢٩٥).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٥/٥).

بالطاغوت: (... ليس الجهل بهذا - فضلاً عن إنكاره - مثل الزنا والسرقه؛ بل والله ثم والله ثم والله، إن الأمر أعظم)^(١).

- الاستفهام:

وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وذلك بأداة من إحدى أدواته^(٢)، والاستفهام عند البلاغيين من ضروب الإنشاء الطلبي الداخِل في علم المعاني^(٣)، وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معانيها الأصلية لمعانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام؛ كالنفي والإنكار، والتقدير، والتوبيخ، والتعظيم، والتحقير، والاستبطاء، والتعجب، والتسوية والتمني، والتشويق.....^(٤).

وقد استخدم الإمام هذا الأسلوب في عدة مواضع من رسائله لما فيه من شدَّ الانتباه وشحد الذهن، إضافة إلى أغراضه البلاغية الأخرى، ومن ذلك قوله: (... فليتأمل اللبيب هذه الأحاديث، وفي أي زمان قيلت؟ وفي أي مكان؟ وهل أنكرها أحد من أهل العلم؟)^(٥)، ويقول عن الوقف الجائر: (... فلاي شيء لم يفعل ذلك أصحاب رسول الله ﷺ؟ ولأي شيء لم يفعله

(١) المرجع السابق، (٧٥/٥) وانظر المرجع نفسه (٤٢/٥، ٦٠).

(٢) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، [مرجع سابق] (ص ٧٠) وانظر: علي الجارم ومصطفى

أمين، البلاغة الواضحة، [مرجع سابق] (ص ١٩٤).

(٣) انظر: المرجعين السابقين.

(٤) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، [مرجع سابق] (ص ١٩٩).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٧١/٥).

التابعون؟ ولأي شيء لم يفعله الأئمة الأربعة وغيرهم؟^(١).

٢ - في علم البيان^(٢):

- التشبيه:

وهو بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها، ملفوظة أو ملحوظة^(٣)، ويستخدم لعدة أغراض بلاغية، منها تزيين المشبه أو تقييحه^(٤) إضافة إلى التوضيح والتقرير... إلخ، وقد استخدم الإمام -رحمه الله- هذا الأسلوب في عدة مواضع من رسائله؛ فاستخدم التشبيه لغرض التقييح، كقوله في الذبيحة التي ذبحت للحن: (.. فهى كخنزير مات من غير ذكاة)^(٥)، وقوله: (.. حتى إنه يبي منكم الخسر، ما يشابه لجزية اليهود والنصارى، حاشاكم والله من ذلك)^(٦).

(١) المرجع السابق (٧٩/٥) وانظر أيضاً المرجع نفسه (٢٠٧/٥، ٢٠٨، ٢١٨).

(٢) علم البيان في اصطلاح البلغاء: أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى (ولا بد من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائماً) فالمعنى الواحد ك (كرم سعيد) يمكن أن يعبر عنه بطرق؛ منها: التشبيه بقولك: (سعيد كحاتم)؛ والجاز بقولك (رأيت بحراً في دار سعيد)، والكناية بقولك (سعيد كثير الرماد).. إلخ، انظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، [مرجع سابق] (ص ١٩٧ - ١٩٨).

(٣) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، [مرجع سابق] (ص ٢٠).

(٤) المرجع السابق، (ص ٥٥) وانظر السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، [مرجع سابق] (ص ٢٠٠).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية). (١٣٩/٥). وانظر أيضاً المرجع نفسه (١٢٦/٥).

(٦) المرجع السابق، (٢٩٢/٥).

كما استخدم التشبيه لغرض التوضيح؛ كقوله فيمن أشرك في الألوهية: (وأن من فعل ذلك في نبي من الأنبياء، أو ولي من الأولياء، فقد أشرك بالله، وذلك النبي أو الرجل الصالح بريء ممن أشرك به، ككثير عيسى [عليه السلام] من النصرى، وموسى [عليه السلام] من اليهود، وعلي [عليه السلام] من الرافضة، وعبد القادر من الفقراء ..) (١).

كما ذكر الإمام كثيراً من الأمثلة والتشبيهات الضمنية (٢)، ومن ذلك تشبيه بعض المعوقات التي تواجهه دعوته وتعرفلها بتلك التي حدثت لأنبياء الله ورسله، وغيرهم من الدعاة في دعواتهم لأقوامهم، كقوله في إحدى رسائله التي بعثها إلى علماء الإسلام: (... فإنه قد جرى عندنا فتنة عظيمة بسبب أشياء نهيت عنها بعض العوام من العادات التي نشأوا ... مثل عبادة غير الله ... فلما عظم العوام قطع عاداتهم وساعدتهم .. بعض من يدعي العلم .. وأوهمهم أنه من تنقيص الأنبياء والصالحين ...) (٣)، ثم قال الإمام بعد ذلك: (وهذا بعينه هو الذي جرى على رسول الله ﷺ لما ذكر أن عيسى [عليه السلام] عبد مربوب، ليس له من الأمر شيء؛ قالت النصرى: إنه سبّ المسيح وأمه، وهكذا قالت الرافضة لمن عرف حقوق أصحاب رسول الله

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٤٧/٥) وانظر المرجع نفسه (١٤٨/٥، ١٩٦، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٦٤، ٢٦٥).

(٢) التشبيه الضمني: تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب، انظر: علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، [مرجع سابق] (ص ٤٧).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٧٦/٥).

ﷺ وأحبهم، ولم يغفل فيهم، رموه بيبغض أهل بيت رسول الله ﷺ (١).

٣- في علم البديع^(٢):

لم يكن الإمام -رحمه الله- ممن يتكلف التتميق والصنعة في رسائله؛ بل كان يحرص على الأسلوب الواضح المباشر، ومع ذلك، فقد ظهر في بعض رسائله مجموعة من المحسنات اللفظية؛ إمّا عفواً بدون تكلف، وإمّا قصداً لمراعاة طبيعة المدعو، إذا كان ممن اعتاد على هذا اللون وألفه، ومن صور ذلك:

- الجناس:

وهو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى^(٣)، ومن ثمرات هذا الأسلوب البلاغي أنه يستدعي ميل السامع وإصغاءه؛ لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه، ويأخذها نوع من الاستغراب^(٤) بشرط أن لا يفسده التكلف.

ومن الملاحظ أن الإمام -رحمه الله- لم يحرص على استخدام هذا اللون

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه .

(٢) علم البديع عند البلاغيين: علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة، وتكسوه بهاءً ورونقاً، بعد مطابقتها لمقتضى الحال ووضوح دلالاته على المراد، انظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، [مرجع سابق] (ص ٢٨٦). وانظر: علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، [مرجع سابق] (ص ٢٦٣).

(٣) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، [مرجع سابق] (ص ٢٦٥) والسيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، [مرجع سابق] (ص ٣٢٠).

(٤) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، [مرجع سابق] (ص ٣٢٠).

من الأساليب البلاغية؛ لأنه يتطلب الصنعة والتكلف، وقصد التظاهر بالبلاغة والفصاحة؛ في حين كان الإمام -رحمه الله- من أبعد الناس عن تلك الصفات والمقاصد؛ بل كان أسلوبه تلقائياً سهلاً، وغرضه الأسمى هو وصول المعنى بأيسر الطرق وأوضحها، فهو داعية صاحب رسالة لا أديب متأنق، ومع ذلك يوجد شواهد على استخدام الإمام لهذا الأسلوب دون تأنق أو تكلف، وهو قوله عن الصوفية: (... وقد وقع من جماعة من النابذيين لشريعة الإسلام، المنتمين إلى الفقر، الذي حقيقته الافتقار من الإيمان، من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مضلين)^(١)، فبين قوله (الفقر) و (والافتقار من الإيمان) جناس ناقص^(٢)، حيث تشابه اللفظان ولكن قصد بالأول الفقر المعروف وقلة ذات اليد تشبهاً بالزهد والعباد، وقصد بالثاني نقص الإيمان والدين، وكذلك قوله: (... من محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد زاده الله من الإيمان)^(٣)، فبين (مزيد) و (زاده) جناس ناقص، وكذلك قوله: (الخط وصل، أوصلك الله إلى رضوانه)^(٤)، فبين (وصل) و(أوصلك) جناس ناقص.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٧١/٥).

(٢) الجناس نوعان / تام : وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة، هي: نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها، وغير تام : وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من هذه الأمور الأربعة، وفي هذا الشاهد اختلف عدد الحروف، انظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، [مرجع سابق] (ص ٣١٩).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٢/٥).

(٤) المرجع السابق، (٤٤/٥).

-السجع:

وهو أيضاً من المحسنات اللفظية، ولم يكن الإمام -رحمه الله- ممن يتكلفون السجع، أو يحرصون على التتميق فيه على حساب المعنى؛ وإنما كان هذا الأسلوب يأتي عرضاً دون تكلف، وهو أيضاً من المحسنات اللفظية التي ليس لها أثر كبير في المعنى، ولذلك لم يحرص الإمام -رحمه الله- على استخدام هذا الأسلوب في معظم رسائله، بل ركّز على وضوح المعنى وقوة العبارة.

إلا أنه من الملاحظ استخدام الإمام لهذا الأسلوب مع شخصيات معيّنة؛ لغرض دعوي هو اعتيادهم على هذا الأسلوب وربما نفرتهم ممن لا يستخدمه، واحتقارهم له واتهامه بضعف اللغة وقلة البضاعة في علوم البلاغة، كما هو واضح في رسائله للأقطار المتأثرة بأساليب مكاتبات الدولة العثمانية، التي كانت تعني بهذا النوع من الأساليب في ذلك الوقت^(١).

ومن شواهد ذلك: صدر رسالته إلى رئيس بادية الشام، وإلى السويدي أحد علماء العراق، وإلى علماء بيت الله الحرام، ولأحد علماء المدينة المنورة، وللبكيللي صاحب اليمن، ولعبد الله الصنعاني اليمني^(٢)، يقول الإمام في رسالته لعلماء مكة: (.. من محمد بن عبدالوهاب إلى العلماء الأعلام؛ في بلد الله الحرام؛ نصر الله بهم سيد الأنام؛ وتابعي الأئمة الأعلام، سلام عليكم

(١) انظر: عبد الله الحامد، الشعر في الجزيرة العربية، [مرجع سابق] (ص ٧٧).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية)، على التوالي (٣٢/٥، ٣٦، ٤٠، ٤٤،

ورحمة الله وبركاته^(١). كما يظهر أثر التكلف والصنعة في قوله للبكيلى: (... الحمد لله الذي نزل الحق في الكتاب، وجعله تذكرة لأولي الألباب، ووفق من مَنَّ الله عليه من عباده للصواب، لعنوان الجواب، وصلى الله وسلم على نبيه ورسوله وخيرته من خلقه محمد وعلى آله وشيعته وجميع الأصحاب، ما طلع نجم وغاب، وانهل وابل من سحاب)^(٢)، وقوله للصنعاني: (الحمد لله والصلاة والسلام التام، على سيدنا محمد سيد الأنام، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ..)^(٣).

- الاقتباس^(٤):

ومن أغراضه البلاغية أن يستعير المتكلم من النصوص المقتبسة قوتها وبلاغتها، ولما كان هذا الغرض من المقاصد التي يحرص عليها الإمام - رحمه الله -؛ فليس من المستغرب أن يُكثر الإمام - رحمه الله - من استخدام هذا الأسلوب البلاغي.

(١) المرجع السابق، (٤٠/٥).

(٢) المرجع السابق، (٩٤/٥).

(٣) المرجع السابق، (١٠٤/٥).

(٤) الاقتباس: هو أن يضمّن المتكلم منثوره أو منظومه شيئاً من القرآن أو الحديث على وجه لا

يُشعر أنه منهما، السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، [مرجع سابق] (ص ٣٣٥).

وانظر: علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، [مرجع سابق] (ص ٢٧٠).

فقد اقتبس - رحمه الله - من نصوص الكتاب^(١)، والسنة^(٢)، بل ومن كتاباته ورسائله الأخرى^(٣)، ومن شواهد اقتباسه من القرآن الكريم قوله: (... فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، ولكن قبله من بهت النبي محمداً ﷺ أنه يسب عيسى ابن مريم، ويسب الصالحين، تشابهت قلوبهم)^(٤)، وقوله: (يا سبحان الله العظيم، أتكون طائفتان مختلفتين في دين وكلهم على الحق؟ كلا والله، فماذا بعد الحق إلا الضلال)^(٥).

ومن شواهد اقتباسه من الأحاديث الشريفة، قوله: (.. فرحم الله من أدّى الواجب عليه، وتاب إلى الله، وأقرّ على نفسه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له)^(٦).

وربما اقتبس الإمام - رحمه الله - من رسائله الأخرى، ومن ذلك رسالته التي أرسلها إلى (من يصل إليه من المسلمين)^(٧)، حيث إن أول صفحة في هذه

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ، (٤٨/٥، ٦٠، ٦٣، ٦٤، ١٠٠، ١٧٣، ١٨٣، ١٨٧، ٢٢٩، ٢٥٢، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٨٠).

(٢) انظر: المرجع السابق، (١٢٧/٥، ١٥٨، ٢٩٢).

(٣) انظر: المرجع السابق، (١٥٠/٥، ١٥٢).

(٤) المرجع السابق (٦٤/٥) وهو اقتباس من سورة النور، الآية (١٦) وسورة البقرة الآية (١١٨).

(٥) المرجع السابق (٨٣/٥) وهو اقتباس من سورة يونس، الآية رقم (٣٢).

(٦) المرجع السابق (١٥٨/٥) وهو اقتباس من حديث (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) أخرجه ابن ماجه في سننه من رواية عبد الله بن مسعود يرفعه إلى النبي ﷺ، قال الألباني: وهو حديث حسن، انظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، [بيروت - المكتب الإسلامي - ط الثالثة ١٤٠٨ هـ] كتاب الزهد، باب التوبة، [ك ٣٧، ب ٣٠، ح ٣٤٢٧] (٤١٨/٢).

(٧) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٥٠/٥).

الرسالة: من قوله (عقيدتي) إلى قوله (ورجله) مطابقة تقريباً لرسالته التي أرسلها إلى السويدي (عالم من العراق)^(١)، والصفحة التي بعدها^(٢)، من قوله (فنقول) إلى قوله (الأصنام) مطابقة تقريباً لعبارات رسالته التي أرسلها لعبد الله بن سحيم^(٣).

كما اقتبس - رحمه الله - من مؤلفاته الأخرى، ومن شواهد ذلك ما حدث في الرسالة آفة الذكر نفسها التي (أرسلها إلى من يصل إليه من المسلمين)^(٤)، حيث نقل فيها نحو خمس صفحات بنصها من كتابه كشف الشبهات^(٥).

ومن الملاحظ أن الاقتباسات الثلاث الأخيرة وردت في رسالة واحدة، وهي التي أرسلها (إلى من يصل إليه من المسلمين)، ولعله أراد أن يضمّن هذه الرسالة أبلغ عباراته وأقواها، لأن من عادته في الرسائل العامة أن يأمر بنسخها عدة نسخ، وترسل إلى عدة جهات^(٦)، ومثل هذه الرسالة بحاجة إلى عناية خاصة.

(١) المرجع السابق، (٣٦/٥).

(٢) المرجع السابق، (١٥٠/٥، ١٥١، ١٥٢).

(٣) المرجع السابق، (٦٤/٥، ٦٥، ٦٦).

(٤) المرجع السابق، (١٥٢/٥ - ١٥٧).

(٥) انظر وقارن مع كشف الشبهات، مطبوع ضمن مجموع المؤلفات (١٥٥/١ - ١٦٠) وبغرض النظر عن معرفة المتقدم من هذه الكتابات وأنها مقتبس من الآخر فالنتيجة واحدة استخدام - رحمه الله - الأسلوب الاقتباسي في كتاباته.

(٦) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٩٧/٥).

المبحث الثاني:

تنوع الأساليب في رسائل الإمام (باعتبار المدعو)

إن مما ينبغي أن يحرص عليه الدعاة اليوم في مجال دعوتهم وميادين عملهم؛ مسألة عدم الاقتصار أو الجمود^(١) على أسلوب واحد يملّه المدعوون، وربما نفر منه بعضهم، وإن انتفع به البعض الآخر، لاختلاف طبائعهم وتنوع مشاربهم.

وإن المتأمل لدعوات الأنبياء -عليهم السلام- ليدرك أنهم اعتنوا بتنوع أساليب دعوتهم بهذا الجانب وحرصوا على ذلك، وكان مدار تنوع الأساليب في الغالب هو مراعاة أحوال المخاطبين، فعلى حسب حال المدعو يتم اختيار الأسلوب.

بل إن مراعاة أحوال المخاطبين كانت من المحاور المهمة في اصطفاء الله تعالى للرسول من بين أقوامهم بلسان أقوامهم وبمعجزاتٍ تلائم حال أقوامهم، كما اتضح هذا الجانب أيضاً في تدرج التشريع، ووجود الرُّخص الشرعية، وتنوع العقوبات والتعزيرات ودرجات الاحتساب^(٢) وغير ذلك، مع ما يظهر جلياً في سيرة النبي ﷺ وسلفنا الصالح من الشواهد الواضحة، الدالة

(١) انظر: حاسم الياسين وأحمد القطان، الدعوة والدعاة في منهج القرآن الكريم، [الكويت- مؤسسة الكلمة- ١٤١٣هـ] (ص ١٢، ١٣) ود. حمد العمار، صفات الداعية، [مرجع سابق] (ص ٩٤).

(٢) انظر: د. فضل إلهي، من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين، [مرجع سابق] (ص ٧-٢٩).

على حرصهم الشديد على مراعاة أحوال المدعوين وتنويع الأساليب وفقاً لهذا التنوع^(١).

ولا شك أن ذلك يتطلب من الداعية أن يسعى إلى معرفة أحوال المدعوين: الاعتقادية والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، ومعرفة مراكز الضلال، ومواطن الانحراف معرفة جيدة، ويحتاج إلى معرفة لغتهم، ولهجاتهم، وعاداتهم، والإحاطة بمشكلاتهم ونزعاتهم الخلقية، وثقافتهم ومستواهم الجدلي، والشبه التي انتشرت في مجتمعاتهم، ومذاهبهم^(٢)، ... إلى غير ذلك من أحوالهم.

ومن هذا المنطلق حرص الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- على مراعاة أحوال المدعوين، ونوع أساليبه -وفقاً لما تقتضيه الحكمة- تبعاً لاختلاف منازلهم وأفهامهم ونفسياتهم وطبائعهم، مراعيّاً في ذلك كله ضوابط الشرع، وما دلّت عليه النصوص في هذا الجانب.

ويتضح حرص الإمام -رحمه الله- على تنويع أساليب دعوته تبعاً لأحوال المدعوين من خلال الجوانب التالية:

(١) انظر: المرجع السابق، (ص ٣٣ - ١٥١).

(٢) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم، [مرجع سابق] (١/١٨٨ - ١٩١) وابن حجر، فتح الباري، [مرجع سابق]: (١/٢٧١ - ٢٧٢). و د. حمد العمار، صفات الداعية، [مرجع سابق]: (ص ١١٧ - ١١٩) ومحمد العرماني، فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً، [الرياض - دار العاصمة - ط الأولى ١٤٠٩هـ] (ص ٥٨، ٤٣) وسعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، [الرياض - مطبعة السفير - ط الأولى - ١٤١٥هـ] (ص ١٠٥).

المطلب الأول:

مراعاة مكانة المدعو

إن مما ينبغي أن يحرص عليه الداعية في دعوته ؛ العناية بتنويع أساليب الدعوة تبعاً لمكانة المدعو ومنزلته في قومه .

وقد أمر النبي ﷺ بمراعاة هذا الجانب والعناية به، تقول أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- : (أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم)^(١)، ويقول ﷺ : (إنّ من إجلال الله : إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط)^(٢).

ومن هذا المنطلق حرص الإمام -رحمه الله- على تنويع أساليبه تبعاً لمكانة المدعو ومنزلته، ويمكن بيان ذلك على النحو التالي :

أ- الأمراء وذوو السلطان:

أُسمت رسائل الإمام -رحمه الله- للأمراء وذوي السلطان ببعض الأساليب الخاصة، المناسبة لطبيعة هذه الفئة من المدعويين، فكانت معظم رسائله إليهم تتميز بما يلي:

١- مخاطبته بمكانته في قومه:

أخرج الشيخان في صحيحيهما أن النبي ﷺ كتب إلى هرقل كتاباً جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبداً لله ورسوله، إلى هرقل عظيم

(١) أخرجه مسلم ، صحيح مسلم ، [مرجع سابق] المقدمة (٢١/١) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، سنن أبي داود ، [مرجع سابق] كتاب الأدب ، باب في تنزيل

الناس منازلهم ، [ك٣٥- ٢٣- ح٤٨٤٣] [١٧٤/٥]، قال الألباني : وسنده صحيح ، انظر

: الألباني، صحيح سنن أبي داود ، [بيروت - المكتب الإسلامي - ط الأولى ١٤١٢هـ] برقم

. (٤٠٥٣، ٩١٨/٣) .

الروم: سلام على من اتبع الهدى ..^(١)، فلم يقل (هرقل) فقط؛ بل أتى بنوع من الملاطفة، فقال: عظيم الروم، أي: الذي يعظمونه ويُقدِّسونه، وقد أمر الله بإلانة القول لمن يُدعى إلى الإسلام^(٢).

وكذلك لم يقل: (ملك) الروم؛ (لأنه معزول بحكم الإسلام، لكنه لم يخله من إكرام لمصلحة التألف)^(٣)، فخاطبه بمكانته في قومه .

ولا شك أن الناس يكرهون من يعاملهم باحتقار واستعلاء مهما كان هذا الإنسان^(٤)، ولذلك حرص الإمام -رحمه الله- في مكاتباته للأمراء وذوي السلطان على أن يخاطب كل واحد منهم بمكانته في قومه .

فها هو الإمام يخاطب والي مكة بمنزلته في قومه وبصفته النسبية ، فيقول بأسلوب مفعم بالاحترام والتبجيل: (... المعروض لديك، أدام الله أفضل نعمه عليك، حضرة الشريف أحمد ابن الشريف سعيد، أعزّه الله في الدارين، وأعزّه به دين جده سيد الثقلين)^(٥). فلم يتوقف به الأمر عند التفخيم والدعاء

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ [ك ١ ب ١ ح ٧] [٩، ٨/١] ومسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق] كتاب الجهاد والسير، باب: كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه للإسلام، [ك ٣٢، ب ٢٦، ح ١٧٧٣] [١١١٧/٣].

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم، [مرجع سابق] [٣٥١/١٢].

(٣) ابن حجر، فتح الباري، [مرجع سابق] [٥٠/١].

(٤) عبد الله الخاطر، فن التعامل مع الناس، [لندن - المنتدى الإسلامي - ط الأولى ٤١٣ هـ] (ص ٣٠).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٢/٥).

بالعز في الدارين؛ بل تجاوزه إلى الإشارة الذكية بأن الشريف بصفته النسبية أولى بنصرة الدعوة^(١).

كما أدرك الإمام -رحمه الله- مقدار السلطة والهيبة التي يتمتع بها علماء مكة، فخطبهم باحترام وإجلال بالغين، مشيراً إلى منزلتهم العظيمة، وقال: (من محمد بن عبد الوهاب، إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام، نصر الله بهم سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، وتابعي الأئمة الأعلام، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته)^(٢).

ولا شك أن لهذا الأسلوب أثره البالغ في كسب قلوب هذه الفئة من المدعوين.

٢- صياغة الرسالة بالأسلوب الذي يألّفه المدعو، وتضمينها ألفاظاً تدل على الاحترام والتبجيل:

لعل من أهم النقاط التي يلاحظها المتأمل في أسلوب رسائل الإمام -رحمه الله- تمسك صاحبها بالأصالة والبساطة، فأغلب هذه الرسائل تبدأ بمثل قوله: (من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد...) ولا شك أن هذا الأسلوب كان منسجماً مع ما اعتاده ذلك المحيط الذي نشأ فيه الإمام، وبدأ فيه دعوته، بعيداً عن المؤثرات الأجنبية، كما أن هذا الأسلوب يتفق أيضاً مع أساليب السلف الصالح من

(١) انظر: بحثاً للدكتور عبد الله العثيمين، بعنوان الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب؛

ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] (١/٩٨).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٠/٥).

هذه الأمة ممن كان الإمام يحرص على اقتفاء آثارهم والافتداء بهم ، وعلى الرغم من ذلك التمسك بهذا الأسلوب، إلا أن الإمام -رحمه الله- كان على استعداد للتنازل قليلاً عن هذا التمسك فيما يخدم مصلحة الدعوة^(١).

ولذلك نراه يخرج عن هذا الأسلوب -في مراسلاته مع أهل البلاد المتأثرة بالدولة العثمانية أو الخاضعة لها- إلى ما اعتادوا عليه من السجع المتكلف، والإكثار من عبارات التبجيل والاحترام.

ومن شواهد ذلك: ما جاء في الرسالتين آنفتي الذكر إلى والي مكة وإلى علمائها من السجع المتكلف، كما أن بعض العبارات لم ترد إلا لمثل هذه الفئة مثل قوله: (حضرتكم) و(حضرة) التي لم يخاطب بها إلا والي مكة^(٢) الشريف أحمد بن سعيد، وعبدالرحمن السويدي، وهو عالم من أهل العراق، حيث قال له: (... وهذا لو خفي على غيركم، فلا يخفى على حضرتكم)^(٣) ومثل عبارة (جناب)، التي لم ترد إلا في رسالة أرسلها الإمام إلى عالم من أهل المدينة، حيث قال: (... ثم ينتهي إلى جناب...^(٤)، لا زال محروس الجناب بعين الملك الوهاب، وبعد)^(٥).

(١) انظر: بحثاً للدكتور عبد الله العثيمين، بعنوان الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن

عبد الوهاب؛ ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] (٩٧/١).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٢/٥).

(٣) المرجع السابق ٣٧/٥.

(٤) كذا في الأصل بياض.

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٤٤/٥).

وكذلك وصف نفسه (بالخادم) كقوله للشريف: (... إن الكتاب لما وصل إلى الخادم، وتأمل ما فيه من الكلام الحسن، رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف)^(١).

ولا شك أن مخاطبة المدعويين بما اعتادوا عليه من الأساليب والعبارات، أقرب إلى نفوسهم، وأدعى لاستجابتهم، كما خاطب الإمام بعض ذوي السلطان (بضمير الجمع) احتراماً لهم، كقوله لمحمد بن صالح^(٢): (سألتكم رحمكم الله عن رشوة الحاكم)^(٣).

وحرص -رحمه الله- على الثناء على بعض الأمراء، وإشعارهم بإحسان الظن بهم، كقوله لأmir الكويت ابن صباح^(٤) (... وأنت يا من هداه الله لا تظن أن هؤلاء يجبون الصالحين، بل هؤلاء أعداء الصالحين، وأنت والله الذي تحب الصالحين؛ لأن من أحبّ قوماً أطاعهم)^(٥).

(١) المرجع السابق، (٣١٢/٥).

(٢) لم أعتز على ترجمته، ولكن أسلوب الإمام في هذه الرسالة يوحي بأن المخاطب كان أميراً لإحدى القرى أو المناطق، والله أعلم.

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٥/١).

(٤) المثبت في مجموع المؤلفات (٥٢/٥) ابن صباح، ولعله خطأ مطبعي، والصواب ما أثبتته ابن غنام (ابن صباح) بالباء، وهو أمير الكويت الذي طلب من الإمام -رحمه الله- أن يوضح له دعوته فكتب له هذه الرسالة. انظر: د. عبدالله العثيمين محاضرات وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، [الرياض - مكتبة التوبة - ط الأولى ١٤١١هـ] (ص ٢٢٠) وحسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢١٥/١).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية ٥٥/٥).

كما راعى الإمام ما اعتاده كثير من الأمراء من حبههم لتوجيه الأوامر، وليس تلقياً من غيرهم، فتجنب أسلوب التوجيه المباشر، وكان يحيلهم مباشرة إلى النصوص وأقوال العلماء، ويكرر عبارة (لا تطيعوني) كما في رسالته إلى أمير الكويت التي تكررت فيها هذه العبارة مرتين^(١).

٣- العناية بأسئلة الأمراء، ولو كانوا صغاراً في السن، وإظهار المحبة والنصح لهم:

عرف الإمام -رحمه الله- مكانة الأمراء، وذوي السلطان، وشدة تأثيرهم على الناس، وعلى الدعوة سلباً وإيجاباً، فحرص عليهم، واعتنى بأسئلتهم أشد العناية، ومن شواهد ذلك ما ذكره الشيخ حسين بن غنام في تاريخه من أن الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود كتب للإمام (وهو إذ ذاك في بلد الغينة يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة، فكتبها له، وهو إذ ذاك صغير قد ناهز الاحتلام)^(٢).

بل إن الإمام -رحمه الله- أبدى اهتمامه بالأمير عبدالعزيز ومحبته ونصحه له، فبدأ خطابه بدعاء جامع، دعا به للأمير عبدالعزيز، وسأل الله له خيري الدنيا والآخرة، حيث قال - كما في إحدى النسخ -: (... أعلم -أرشدك الله لطاعته وأحاطك بحياطته، وتولاك في الدنيا والآخرة أن مقصود الصلاة وروحها ولبها ..)^(٣).

(١) انظر: المرجع السابق ٥٣/٥ - ٥٥.

(٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٢٢/١).

(٣) شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تفسير سورة الفاتحة، بتحقيق د. فهد الرومي،

[الرياض - مكتبة الحرمين - ط الأولى ١٤٠٧هـ] (ص ٢٩).

كما يظهر حرص الإمام -رحمه الله- على إظهار المحبة، والنصح لبعض ذوي السلطان من أسلوب رسالته التي أرسلها للأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود، حين فتح الرياض، حيث سارع إلى إرسال الرسالة له فور سماع الخبر، ووصلت الرسالة الأمير قبل أن يبرح الرياض، ومما قال فيها: (... أحب لك ما أحب لنفسي، وقد أراك الله في عدوك ما لم تؤمل، فالذي أراه لك أن تكثر من قول الحسن البصري ... اللهم لك الحمد بما خلقتنا ..)^(١).

٤- الاختصار وعدم الإطالة:

حرص الإمام -رحمه الله- على الاختصار وعدم الإطالة في رسائله للأمرء وذوي السلطان، احتراماً لأوقاتهم، ولما اعتادوا عليه، فلم تتجاوز رسالته إلى الشريف صفحة واحدة^(٢) كما لم تتجاوز رسالته إلى الأمير عبدالعزيز خمسة أسطر^(٣) هذا في الغالب، وإن كانت له رسالة أخرى إلى الشريف بلغت ثلاث صفحات^(٤)، لما تضمنت من بيان لضوابط التكفير، إضافة إلى ردّ بعض الشبه، ومع ذلك فهي رسالة مختصرة مقارنة بالرسائل الأخرى التي تناولت هذا الجانب.

ب- أهل العلم:

أخبر النبي ﷺ معاذاً رضي الله عنه بأحوال المدعوين في اليمن ومستواهم العلمي قبل

(١) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٨٦/٢).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٢/٥).

(٣) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٨٦/٢).

(٤) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام [مرجع سابق] (١٧٩/١).

أن يرسله إليهم، حيث قال ﷺ: (... إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ... الحديث) (١).

كما بين ﷺ لمعاذ بعض ما يتميز به أولئك المدعوون مما تجب مراعاته، مثل كونهم (أهل علم في الجملة، فلا تكون مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان) (٢).

ومن هذا المنطلق حرص الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - على تنويع أساليبه بما يتناسب مع أهل العلم في زمنه من علماء ومطواعة (٣)، ولعل من أبرز السمات التي ظهرت في أساليب رسائله للعلماء:

١- التزام اللغة العربية الفصحى:

حرص الإمام في رسائله لأهل العلم على التزام اللغة الفصيحة، الموافقة لقواعد النحو والإعراب، وهذا واضح في معظم رسائله خاصة إلى من هم

(١) سق تخريجه: (ص ٣٠٢).

(٢) ابن حجر، فتح الباري، [مرجع سابق] (٤١٩/٣).

(٣) المطوع: هو الذي يعلم العامة ويفقههم، وهو دون العالم، انظر: جمع عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، [مرجع سابق] (٣٥/٤) الحاشية ولعل من أسباب اهتمام الإمام - رحمه الله - بهذه الفئة؛ شدة تأثير هؤلاء المطواعة في عامة الناس، وقد أشار الإمام في أحد رسائله؛ حيث قال: (إذا كان أهل الوشم وأهل سدير وغيرهم يقطعون أن كل مطوع في قرية لو ينقاد شيخها، ما منهم أحد يتوقف) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/٢٠٧).

خارج منطقة نجد، بل وحتى في رسائله للعلماء والمطاوعة في منطقة نجد؛ يلاحظ أن التزام اللغة الفصحى هو الصفة الغالبة في أسلوبه باستثناء بعض العبارات الواردة في رسائل الإمام إلى قاضي الدرعية وابنه^(١)، وكذلك إلى عبد الله بن سحيم^(٢)، ومحمد بن عباد^(٣).

ولا شك أن حرص الإمام على التزام اللغة الفصحى مع أهل العلم هو الأسلوب الأنسب والأكثر تأثيراً في هذه الفئة من المدعوين، ففيه إشعار لهم بالاحترام والتقدير، كما أنه يغرس في نفوسهم احترام الرسالة، واحترام كاتبها، ومعرفة مكانته.

٢- تضمين عبارات الاحترام والتقدير:

حرص الإمام -رحمه الله- أيضاً على تضمين رسائله للعلماء بعض عبارات الاحترام والتقدير، كقوله للقاضي عبد الله بن عبد اللطيف: (... غير خاف عليكم ما درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون ... وغير خاف عليكم ما أحدث الناس في دينهم من الحوادث)^(٤)، فهو يخاطبه بضمير الجمع (عليكم) احتراماً وتقديراً، ثم يثبت له العلم والمعرفة (غير خاف عليكم). كما يقول لأحد علماء العراق، وهو السويدي: (... وهذا لو خفي

(١) أرسل الإمام عدة رسائل إلى عبد الله بن عيسى وحده وإلى ابنه وإليهما جميعاً، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٢٤٠، ٢٧٦، ٢٨٠، ٣٠٤، ٣١٤).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٥/٦٦).

(٣) انظر المرجع السابق، (٥/١٦).

(٤) المرجع السابق (٥/٢٥٢).

على غيركم، فلا يخفى على حضرتكم^(١)، ورسائله إلى علماء مكة مليئة بعبارات التقدير والاحترام، فقد وصفهم بـ (الأئمة الأعلام)^(٢)، وختم رسالته لهم بقوله: (.. وما غاب عني من الحق، أو أخطأت فيه، فبينوا لي، وأنا أشهد الله أنني أقبل على الرأس والعين)^(٣)، كما وردت عبارات التقدير في مطلع رسالته لأحد علماء المدينة^(٤) وكذلك رسالته للبيكيلي^(٥)، أحد علماء اليمن.

كما حرص الإمام - رحمه الله - في بعض رسائله إلى العلماء على الإشارة إلى مكاتبتهم العلمية، احتراماً لهم، وتذكيراً لهم بواجبهم، وبالتبعات المترتبة على هذه المكانة، ومن ذلك قوله للقاضي عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف: (.. وينبغي للقاضي - أعزه الله بطاعته - لما ابتلاه الله بهذا المنصب أن ...)^(٦)، ويقول له أيضاً: (.. لأن الله نشر لك من الذكر الجميل وأنزل في قلوب عباده لك من المحبة ما لم يؤته كثيراً من الناس)^(٧)، وقوله في رسالته للقاضي الدرعية عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب، مستنكراً تركهم الإفتاء بما يعلمونه في المسائل الصحيحة، وسرعة غضبهم دون تثبت: (.. ولا ودي أنكم بعد ما أنزلكم الله هذه المنزلة، وأنعم عليكم بما تعلمون وما لا تعلمون،

(١) المرجع السابق، (٣٧/٥).

(٢) المرجع السابق، (٤٠/٥).

(٣) المرجع السابق (٤٢/٥).

(٤) المرجع السابق، (٤٤/٥).

(٥) المرجع السابق، (٩٤/٥).

(٦) المرجع السابق، (٢٥١/٥).

(٧) المرجع السابق، (٢٥٠/٥).

وجعلكم من أكبر أسباب قبول الناس لدين ربكم وسنة نبيكم، وجهادكم في ذلك وصبركم على مخالفة دين الآباء، أنكم ترتدون على أعقابكم..^(١)، ويقول عنه أيضاً في رسالة أخرى:

(.. وشاهد هذا أن عبداً لله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه)^(٢)، ويقول مستثيراً همّة عبداً لله بن عبداللطيف الأحسائي وغيرته ونخوته: (.. وما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقاً لدين الله، كعمر رضي الله عنه في أوله)^(٣).

٣- إظهار المحبة والنصح:

حرص الإمام -رحمه الله- على إظهار المحبة والود والنصح للعلماء الصادقين في طلب الحق، فهذا هو يظهر الفرح والسرور بوصول رسالة السويدي (أحد علماء العراق)، ويدعوله فيقول: (... فقد وصل كتابك، وسر الخاطر، جعلك الله من أئمة المتقين..)^(٤).

كما استخدم الأسلوب نفسه مع أحد علماء المدينة^(٥)، وكذلك مع البكيللي^(٦) (أحد علماء اليمن)، كما دعا لعبدالوهاب بن عبداً لله بن عيسى

(١) المرجع السابق ، (٣١٤/٥) .

(٢) المرجع السابق ، (١٨٧/٥) وهذا لم يمنع الإمام عندما رأى تعنته من مخاطبته بقوله: (.. أنتم ومشائخكم ومشائخهم لم يفهموا دين الإسلام، ولم يميزوا بين دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين عمرو بن لحي) المرجع السابق ، (٢٤١/٥) .

(٣) المرجع السابق (٢٥٧/٥) .

(٤) المرجع السابق ، (٣٦/٥) .

(٥) المرجع السابق ، (٤٤/٥) .

(٦) المرجع السابق ، (٩٤/٥) .

في مطلع رسالته إليه، وحرص على القرب النفسي معه عن طريق السؤال عن والده، وإبلاغه السلام، وقوله عنه: (... وهو صاحب إحسان علينا وعلى أهلنا)^(١)، قبل أن يذكر ما لاحظته عليه، وقال لعبد الوهاب في رسالة أخرى: (... فإن كان إني أدعو لك في سجودي، وأنت وأبوك أجل الناس إليّ وأحبهم عندي)^(٢)، كما يصرح الإمام بمحبته للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي، ويقول له: (... فإني أحبك، وقد دعوت لك في صلاتي ..)^(٣).

٤- الإطالة والتفصيل أحياناً وذكر المسائل الدقيقة:

اتّسمت معظم رسائل الإمام للعلماء بأسلوب البسط والإسهاب، وذكر المسائل الدقيقة أحياناً والتفصيل فيها، فيما يُلاحظ تجنب الإمام هذا الأسلوب في رسائله للعامة وذوي السلطان، والشواهد على هذا الأسلوب كثيرة؛ منها: رسالته للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف^(٤) التي بلغت عشرين صفحة، وإلى عبد الله بن سحيم^(٥) التي بلغت ست عشرة صفحة.

ج- العمارة :

١- السهولة والوضوح والاختصار:

حرص الإمام في رسائله للعامة على أسلوب السهولة، والوضوح، والاختصار؛ ليكون أقرب إلى نفوسهم، وأيسر لأفهامهم، وقد استخدم لهذا الغرض عدة طرق منها :

(١) المرجع السابق، (٢٧٦/٥).

(٢) المرجع السابق، (٢٨١/٥).

(٣) المرجع السابق، (٢٥٧/٥).

(٤) المرجع السابق (٢٧٠-٢٥٠/٥).

(٥) المرجع السابق، (٧٨-٦٢/٥).

- وضوح الألفاظ والتراكيب ، وعدم استخدام الوحشي الغريب^(١) .
 - عرض الفكرة بأسلوب السؤال والجواب، كقوله في الرسالة التي أرسلها إلى جميع النواحي، بناءً على طلب الأمير عبدالعزيز: (... فإذا قيل لك أيها المسلم: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني بنعمته.. وإذا قيل لك: بأي شيء عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته ..)^(٢) . كما كتب الإمام رسالته الأخرى لتلقين العامة أصول العقيدة بالأسلوب نفسه^(٣) .

- مراعاة اللهجة الدارجة:

تبسط الإمام -رحمه الله- في أسلوب رسائله إلى العامة، حتى لربما ذكر بعض العبارات والتراكيب العامية؛ ليكون ذلك أقرب إلى أفهامهم، وأيسر لاستجابتهم^(٤) .

- مراعاة مصطلحات المدعو:

لا شك أن معرفة مصطلحات المدعويين، والإحاطة بما يحدث من تغيير في مدلولاتها من الأمور التي ينبغي على الداعية مراعاتها^(٥)، وقد أدرك الإمام -رحمه الله- أهمية ذلك، فلم يغفل في رسائله عن الإحاطة بطبيعة المدعويين، ولهجاتهم، ومصطلحاتهم التي تعارفوا عليها، وأصبحوا يفهمونها أكثر من

(١) سبق الحديث عن ذلك في مطلب (أسلوب البلاغة في التعبير) في المبحث الأول.

(٢) جمع عبدالرحمن بن قاسم ، الدرر السنية ، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] [١/١٤٦] .

(٣) المرجع السابق ، (١/١٥١) .

(٤) سبق الحديث عن هذه النقطة وذكر الشواهد عليها في المطلب الخامس من المبحث الأول.

(٥) انظر : د .حمد العمار، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، [مرجع سابق] (ص ٦٠٤ ،

فهمهم لبعض المصطلحات الشرعية، فخطبهم - رحمه الله - بما عرفوه من مصطلحاتهم وبين مرادفاتهما من المصطلحات الشرعية كقوله: (.. وأما قولي: إن الإله الذي فيه السرّ، فمعلوم أن اللغات تختلف، فالمعبود عند العرب والإله: الذي يسمونه عوامنا السيد والشيخ، والذي فيه السرّ، والعرب الأولون يسمون الألوهية ما يسميها عوامنا السرّ، لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضرر..)^(١).

وقوله: (.. وهنا فائدة ينبغي التنبيه لها، وهي: أن الحيل على الربا قد نشأت عليها أتم ومشايخكم، ويسموننا التصحيح، والأمور التي نشأ الإنسان عليها صعب عليه مفارقتها)^(٢)، وفي رسالة أخرى أجاب فيها أيضاً عن حكم أحد الحيل الربوية، وذكر كلام صاحب الإقناع، الذي مثل لذلك بالدنانير والدراهم، ثم شرح الإمام ذلك بالعملة الدارجة، وقال: (.. فإذا كان هذا كلامه فيمن أراد أن يسلم إلى رجل محمدية^(٣) من بيته..)^(٤).

٢- إثارة الغيرة والنخوة، ومخاطبة العواطف:

تغلب لغة (العاطفة) أحياناً عند كثير من العوام على لغة (العقل والمنطق والحجة والدليل)، بل إن (الطابع العاطفي في الناس أغلب من غيره)^(٥)، كما

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٧٦/٥) وانظر المرجع نفسه (١٤٧/٥، ١٥٤).

(٢) من رسالة الإمام إلى الأخوين عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم، حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٣/١).

(٣) الحمديّة: نوع من العملة المتداولة في ذلك الوقت.

(٤) من رسالة الإمام إلى محمد بن عبد الله بن إسماعيل، حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢١٥/١). وانظر أيضاً مجموع مؤلفات الشيخ، (١٩٤/٤).

(٥) محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، [مرجع سابق] (ص ٢٠٧).

أن الأسلوب العاطفي، ومخاطبة المشاعر والوجدان من أنجح الأساليب الدعوية خاصة على فئة الجهال وأصحاب القلوب الضعيفة كالنساء والأطفال واليتامى والمساكين^(١)، وغيرهم ممن يمكن أن نسميهم (العامة)، وكذلك المصابين والمرضى.

وقد استخدم القرآن هذا الأسلوب بطرق متعددة، كما استعمله النبي ﷺ، فقد ذكر الله المؤمنين عندما ضعفوا بأنهم ليسوا محلاً للضعف والحذر والحين، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، كما استخدم النبي ﷺ أسلوب إثارة النخوة والحمية مع الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا، وسأله هل يرضاه لأمه ولأخته ولزوجته^(٢)، ولا شك أن هذا الأسلوب يثير كوامن الأخلاق الكريمة، التي ربما غطتها بعض العوامل الخارجية^(٣).

وقد أدرك الإمام -رحمه الله- هذه الحقيقة، فخاطب هذه الفئة في بعض المواضيع بأسلوب إثارة الغيرة، وتحريك العواطف، لعلمه أن ذلك قد يكون أحياناً أشد تأثيراً، وأجدي نفعاً. ومن شواهد ذلك: قوله في رسالة أرسلها إلى (من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين)، ويبدو أنه كتبها لتقرأ على العامة في مساجدهم، ومما جاء فيها: (.. وأنا أنصحكم لله، وأنحاكم، لا تضيعوا حظكم من الله، وتحبون دين النصراري على دين نبيكم ..)^(٤).

(١) المرجع السابق، (ص ٢٠٦).

(٢) انظر: الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، [مرجع سابق] برقم (٢٢٢٠٧)، (٣٢٢/٥).

(٣) انظر: د. محمد زين الهادي العرماني، فن نشر الدعوة، [مرجع سابق] (ص ١٦٥).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٩٧/٥).

كما أن الإمام - رحمه الله - تعجب من موقف بعض المدعويين^(١)، الذين كانوا ينشطون في قتال من عاداهم في أمور دنيوية ساذجة، في حين يتكلمون عن قتال من عاداهم في دينهم، بل ويرضخون له ذلاً وهواناً، وعندها يجد الإمام أن أسلوب مخاطبة العواطف وإثارة الحمية هو الأجدى في هذه الحال فيخاطبهم قائلاً: (... وأتم كذلك، المعروف منكم أنكم ما تدينون للعناقر^(٢)، وهم على عنفوان القوة في الجاهلية، فيوم رزقكم الله دين الإسلام الصرف، وكنتم على بصيرة في دينكم، وضعف من عدوكم، أذعنوا له حتى أنه يبي منكم الخسر ما يشابه لجزية اليهود والنصارى، حاشاكم والله من ذلك ..)^(٣).

ثم يتحدث الإمام في العبارة، ويبالغ في إثارة الحمية، فيقول: (والله العظيم إن النساء في بيوتهن يأنفن لكم فضلاً عن صمصيم بن زيد، يا الله العجب، تحاربون إبراهيم بن سليمان^(٤) فيما مضى عند كلمة تكلم بها على جاركم، أو حمار يأخذه ما يسوى عشر محمديات^(٥))، وتنفذون على هذا مالكم

(١) الخطاب موجّه إلى (جماعة أهل شقراء)، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/٢٩٢).

(٢) العناقر: آل عنقري، أمراء ثرمداء.

(٣) المرجع السابق، (٥/٢٩٢-٢٩٣). من رسالة الإمام إلى جماعة أهل شقراء.

(٤) هو إبراهيم بن سليمان بن ناصر بن إبراهيم بن حنيفر العنقري، أمير ثرمداء، كان مناوئاً

للدعوة، ثم عاد ويبيع الأمير عبدالعزيز سنة ١١٨١هـ وفي هذه السنة توفي - رحمه الله - في

وقعة باب الثميري في الرياض، انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع

سابق] (١/٥٢) ومحمد الفاخري، الأخبار النجدية، [مرجع سابق] (ص ١١٤).

(٥) الخمدية: نوع من العملة الفضية تعادل خمس الريال السعودي الفضة تقريباً: انظر: محمد

الفاخري، الأخبار النجدية، [مرجع سابق] (ص ١١٥) الحاشية للمحقق: د. عبد الله بن

يوسف الشبل. وانظر: د. محمد الشويعر، نجد قبل ٢٥٠ سنة، [مرجع سابق] (ص ١١٢،

ورجالكم ... فيوم رزقكم الله دين الأنبياء، الذي هو ثمن الجنة والنجاة من النار إلى أنكم تضعفون ... صار كلمة أو حمار أنفق عندكم وأعز من دين الإسلام...^(١).

وأحياناً يتفرّ الإمام من الشرك والمعاصي بتشبيهاها بأمثلة منفرة ، تثير الغيرة وتحرك الحمية، وإن كان الشرك أعظم جرماً ، لكن الغرض هو تقريب الأمر للنفوس؛ كقوله في وجوب ترك الشرك وبغض أهله: (... وكذلك الشرك؛ إن كان ما أبغض أهله مثل بغض من تزوج بعض محارمه، فلا ينفعه ترك الشرك)^(٢).

٣- عدم ذكر المسائل الدقيقة التي لا تبلغها عقولهم:

ينبغي للداعية أن يحرص على مخاطبة الناس على قدر فهمهم وثقافتهم، فقد قال علي ابن أبي طالب عليه السلام: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله)^(٣)، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة)^(٤).

وقد حرص الإمام -رحمه الله- في رسائله للعامة على عدم ذكر المسائل الدقيقة التي ربما لا تبلغها عقولهم، ومن شواهد ذلك عدم تصريحه للعامة في

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٩٣/٥).

(٢) المرجع السابق (٣٢٢/٥) وانظر أيضاً المرجع السابق ، (٩٦/٥ ، ١٣٩ ، ١٥٥).

(٣) أخرجه البخاري ، صحيح البخاري ، [مرجع سابق] كتاب العلم ، باب : من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا [ك٣، ب٤٩، ح١٢٧] (٥٩/١).

(٤) أخرجه مسلم ، صحيح مسلم ، [مرجع سابق] المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ، (٢٥/١).

مبدأ الأمر بكفر بعض الأشخاص ووجوب قتلهم وقتالهم، وتأجيل ذلك حتى تنكشف أمورهم ، ويدرك الناس استحقاتهم لهذا الحكم، يقول الإمام: (...ولولا أن الناس إلى الآن ما عرفوا دين الرسول ﷺ وأنهم يستنكرون الأمر الذي لم يألفوه لكان شأن آخر، بل والله الذي لا إله إلا هو، لو يعرف الناس الأمر على وجهه، لأفتيت بجل دم ابن سحيم وأمثاله، ووجوب قتلهم، كما أجمع على ذلك أهل العلم كلهم، لا أجد في نفسي حرجاً من ذلك، ولكن إن أراد الله أن يتم هذا الأمر تبيين أشياء لم تكن تخطر لكم على بال^(١).

د- المستجيبون من أتباع الإمام:

حرص الإمام -رحمه الله- على فئة المستجيبين للدعوة ، وبرزت في رسائله لهم بعض الأساليب المميزة، ومن ذلك:

١- الحرص على المتابعة بعد الهداية:

حرص الإمام على متابعة المستجيبين وعدم إهمالهم؛ فكان يشجعهم إذا أصابوا، ويقومهم إذا أخطأوا، ويواسيهم إذا ابتلوا ، ويوصيهم بالصبر والثبات، كما حرص الإمام -رحمه الله- على تعويدهم على سعة الصدر، وعدم الضيق بالخلاف.

ومن شواهد ذلك: ما كتبه الإمام إلى اثنين من أتباعه^(٢)، حين تعجل بعض أتباع الإمام في إنكار أمر قبل التثبت من حرمة، وأنه مما يجب الإنكار على

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٤/٥، ٣١٥).

(٢) هما : أحمد بن محمد بن سويلم ، وثنيان بن سعود .

مثله، فأرسل إليهما رسالة بيّن فيها بعض ضوابط إنكار المنكر بأسلوب هين لطيف^(١)، كما أرسل رسالة أخرى للغرض نفسه إلى إخوانه أهل سدير بسبب أمر جرى بين أهل الحوطة من بلدان سدير^(٢).

وفي رسالته إلى (نغيمش وجميع الإخوان)^(٣)، حرص الإمام على تشجيع أولئك المستجيبين، وإظهار السرور بمنجزاتهم، فقال: (وسرنا والحمد لله ما بلغنا عنكم من الأخبار من الاجتماع على الحق)^(٤)، ثم دعا لهم، فقال: (عسى الله أن يوفقنا وإياكم لذلك، ويرزقنا الثبات عليه..)^(٥)، ثم حثهم على الصبر والثبات، ونبههم إلى ما سيواجهونه من الفتن والابتلاءات، وقال: (فإذا تحققتم أن من اتبع هذا الدين لا بد له من الفتنة؛ فاصبروا قليلاً، ثم أبشروا عن قليل بخير الدنيا والآخرة..)^(٦)، ويّين الإمام -رحمه الله- أنواعاً من تلك الفتن والعوائق، التي يمكن أن تعرض لهم؛ مثل شبهات الأعداء وحججهم^(٧)، وجهودهم في الوقيعة بين المؤمنين^(٨).

(١) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٨٤/٥-٢٨٥).

(٢) انظر : المرجع السابق (٢٩٦/٥-٢٩٧) وانظر أيضاً في المعنى نفسه : رسالته إلى أحمد بن

يحيى مطوع أهل رغبة ، المرجع السابق (٣٠٠/٥) .

(٣) المرجع السابق (٣٠٨/٥) .

(٤) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

(٥) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

(٦) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٠٨/٥) وانظر : حسين بن غنام ، روضة الأفكار

والأفهام ، [مرجع سابق] (٢١٠/١) .

(٧) انظر : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٥٦/٥ ، ٢٥٧) .

٢- لين القول والتودد في الخطاب:

حرص الإمام -رحمه الله- في رسائله للمستجيبين على إلانة القول، وتضمن عبارات الود، وهذا واضح في شواهد الفقرة السابقة، ومن شواهد ذلك أيضاً: مخاطبتهم بعبارة (يا إخواني)^(١)، وكثرة الدعاء لهم؛ كقوله: (جعلنا الله وإياكم من أتباع الرسول ﷺ) وحشرنا تحت لوائه، وأوردنا حوضه..^(٢).

هـ- المعاندون:

حرص الإمام -رحمه الله- في مبدأ أمره على الدعوة باللين، ومخاطبة المخالفين بالحجة والبيان، وبالي هي أحسن، كما هو واضح في مثل قوله: (.. هذا ابن إسماعيل والمويس وابن عبيد جاءتنا خطوطهم في إنكار دين الإسلام، وكاتبناهم، ونقلنا لهم العبارات، ومخاطبناهم بالتي هي أحسن..)^(٣)، وقوله عن المويس: (.. تزانى استدعيته أولاً بالملاطفة، وصبرت منه على أشياء عظيمة)^(٤)، إلا أنه حين تكشف للإمام حقائق بعض الخصوم، وإصرارهم على رد الحق ومعاداته، رغم معرفتهم أنه هو الصواب، وحين أدرك خطورتهم، وشدة تأثيرهم على أقوامهم، انتقل إلى أسلوب آخر، وهو الشدة معهم، وفضح دسائسهم وخباياهم، والتحذير من شبهاتهم، وجاء هذا

(٨) المرجع السابق، (٣١٨/٥).

(١) المرجع السابق، (٣٠٨/٥).

(٢) المرجع السابق (٣٠٩/٥) وانظر أيضاً المرجع نفسه (٢٧٣/٥).

(٣) المرجع السابق، (٣٠٠/٥).

(٤) المرجع السابق (١٤١/٥).

الأسلوب على صور كثيرة سبقت الإشارة إلى بعضها^(١)، ومن الشواهد على هذا الأسلوب: ما وصف الإمام به خصمه العنيد سليمان بن سحيم، الذي بلغ به الأمر أن يسب الإمام، ويسب دعوته، ويصد الناس عنها؛ حيث قال الإمام عنه: (.. لكن البهيم لا يفهم معنى العبادة ..)^(٢) وقال: (.. إن هذا الرجل من البقر التي لا تميز بين التين والعنب)^(٣)، وقال عن المويس: (.. والرد على هذا الجاهل يحتمل مجلداً ..)^(٤)، وبين أن كلامه: (لا يصدر إلا ممن هو أجهل الناس)^(٥)، وخاطب سليمان بن سحيم مباشرة بقوله: (.. إنك رجل معاند، ضال على علم، مختار الكفر على الإسلام)^(٦)، وقال له أيضاً (يا هذا الجاهل الجهل المركب)^(٧)، وقال: (.. ولكن أنت رجل جاهل مشرك، مبغض لدين الله ..)^(٨)، وقال لجماعة أهل شقراء لما آثروا الفاني على الباقي: (.. ما أعجب حالكم وأتية رأيكم، إذ تؤثرون الفاني على الباقي، وتبيعون الدر بالبر ..)^(٩).

(١) ورد ذكر بعض هذه الصور والدليل الشرعي على هذا الأسلوب في مطلب أسلوب الجدل

(١٥) - مراعاة ما يناسب المجال من الإغلاظ في القول عند تبين العناد .

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٩٠/٥) .

(٣) المرجع السابق (٩١/٥) .

(٤) المرجع السابق (١٣٥/٥) .

(٥) المرجع السابق ، (١٣٨/٥ ، ١٤٠) .

(٦) المرجع السابق (٢٢٨/٥) .

(٧) المرجع السابق (٢٣١/٥) .

(٨) المرجع السابق (٢٣٣/٥) وانظر المرجع نفسه (٢٣٤/٥) .

(٩) المرجع السابق (٢٩٣/٥) .

-طبيعة الحدة عند الإمام رحمه الله:

ورغم أن أولئك الخصوم ربما يستحقون مثل هذه الشدة، إلا أن الإمام في رسالة أخرى يعتذر عن شدته في بعض رسائله، ويبيّن أن ذلك من طبيعته التي قد تغلب عليه أحياناً - رحمه الله - إذ يقول: (... وأنا في بعض الحدة)^(١)، وهذا ما يجعله يختصر بعض رسائله، خوفاً من ظهور بعض آثار هذه الطبيعة؛ فهو يقول في إحدى رسائله (وأخاف أن يطول الكلام، فيجري فيه شيء يزعلكم)^(٢)، ويعتذر أحياناً عن هذه الحدة والشدة، فيقول في آخر رسالته لمطاوعة أهل الدرعية: (ولا يدخل خواطركم غلظة هذا الكلام، فالله سبحانه يعلم قصدي به)^(٣). ويقول لعبد الله بن عيسى: (.. ولا تستهجن هذا الكلام، فوالله ما أردت به إلا الخير)^(٤)، ولكن ورع الإمام - رحمه الله - وعلمه جعلاه يتغلب على هذه الطبيعة في أغلب رسائله ومكاتباته، ويوجهها الوجهة الصحيحة في خدمة الدعوة.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٥/٥).

(٢) المرجع السابق، (٣١٥/٥).

(٣) المرجع السابق (٢٤٢/٥).

(٤) المرجع السابق (٣٠٥/٥).

المطلب الثاني:

مراعاة حاجات المدعو الفطرية واستثمارها

يقصد بالحاجات الفطرية في هذا المطلب: الحاجات الداخلة في فطرة الإنسان وطبيعته فيما يتعلق بنفسيته وعاطفته وروحه وعقله، ويدخل في ذلك حبه للمدح والثناء، وحاجته للأمن، وسعة العيش، وكرهيته للوم والعتاب، الشخصي عند الخطأ، إضافةً إلى حاجته إلى الاحترام والتقدير الاجتماعي، وحاجته للحب والود، وحاجته إلى التعلق بالله تعالى، والالتجاء إلى قوته ورحمته.

وقد عالج الإمام هذه الجوانب واستثمرها بما يخدم دعوته، ويمكن تناول هذا المطلب من خلال النقاط التالية :

أ- حاجته للمدح والثناء والتقدير الاجتماعي:

الإنسان بطبعه يحب من يحترمه، ويقدره ويثني على إيجابياته^(١)، ولما كان الداعية بحاجة إلى كسب محبة المدعويين؛ ليستجيبوا له ولدعوته، فهو إذاً معنيٌّ بأن يحرص على البحث عن الكوامن الطيبة في المدعو، فيثيرها ويشجعها؛ تهيئةً له، ودعوةً لغيره لأن يقتدي به في ذلك، خاصة إذا أدرك الداعية أن الثناء على المدعو يعد من أكثر الحوافز النفسية فاعلية وتأثيراً^(٢)، وقد حرص الإمام -رحمه الله- على هذا الأسلوب، واستعمله من خلال الصور التالية:

(١) عبد الله الخاطر، فن التعامل مع الناس، [مرجع سابق] (ص ٤٥).

(٢) انظر : د. عبدالعزيز النغمشي، علم النفس الدعوي، [مرجع سابق] (ص ١٠٩).

١- مدحه بما يتناسب مع ما يرجى منه:

إن امتداح المرء بصفة ما - ولو لم تكن قد اكتملت فيه - هو أعظم دافع له على التمسك بهذه الصفة، ومحاولة تكميلها، ومحاسبة نفسه على التفريط، ولو بجزء منها.

وقد استغل الإمام - رحمه الله - هذه الطبيعة المتأصلة في نفوس كثير من الناس فراح يمتدح كثيراً من المدعوين بما يرجوه منهم، فهو مثلاً: يريد من مطوع الجمعة عبد الله بن سحيم أن لا ينساق للعاطفة وضغط المجتمع، بل يحكم عقله وما فهمه من نصوص الكتاب والسنة، فيقول مادحاً له: (وإلا، فقد وهبك الله من الفهم ما تميّز به بين الحق والباطل إن شاء الله) (١).

كما أن الإمام كان يرجو من القاضي عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي أن لا يقوده التعصب للمذهب، وسوء الظن، وخوف مخالفة الحكام إلى معاداة الإمام دون تأمل أقواله، فيقول مادحاً له: (... لأن الله سبحانه نشر لك من الذكر الجميل، وأنزل في قلوب عباده لك من المحبة ما لم يؤته كثيراً من الناس، لما يذكر عنك من مخالفة من قبلك من حكام السوء، وأيضاً لما أعلم منك من محبة الله ورسوله وحسن الفهم، وأتباع الحق، ولو خالفك فيه كبير أئمتكم) (٢).

كما أن الإمام - رحمه الله - يتمنى أن يلتزم الشريف الحياض في حكمه على المناظرة بين الشيخ عبدالعزيز الحصين وعلماء مكة، وأن يقصد نصر الحق،

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٤٠/٥).

(٢) المرجع السابق (٢٥٠/٥).

ومعاداة من خالف السنة، فيقول مادحاً له، علّه أن يلتزم بذلك: (... إن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتأمل ما فيه من الكلام الحسن، رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف، لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن تبعها، وعداوة من خرج عنها)^(١).

بل إن الإمام يرجو أن يحرص جميع المدعوين على اتباع السنة والسلف الصالح، ويتمسكوا بالدين القويم، ولا يغتروا بكثرة المفرطين فيه؛ فيقول في رسالة عامة مادحاً لمن اتصف بذلك ومحرضاً له على التمسك به: (من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه من الإخوان المؤمنين بآيات الله، المصدقين لرسول الله ﷺ، التابعين للسواد الأعظم من أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعين لهم بإحسان، وأهل العلم والإيمان، المتمسكين بالدين القيم عند فساد الزمان، الصابرين على الغربة والامتحان..)^(٢).

٢- إظهار الاهتمام بآرائه وعباراته ورسائله:

الناس يجيئون من يهتم بآرائهم وعباراتهم، وينصت إلى حديثهم، ويلخص ما يقولون، ويناقشهم فيه^(٣)، في حين ينفرون ممن يتجاهلهم، أو يستهتر بأقوالهم وآرائهم.

وقد أدرك الإمام - رحمه الله - هذا الجانب، فحرص في بعض المواضع من رسائله على الإشارة إلى رسالة المدعو^(٤)، وأفكاره وعباراته، وربما أورد

(١) المرجع السابق (٥/٣١٢).

(٢) المرجع السابق، (٥/٢٧٠).

(٣) انظر: عبد الله الخاطر، فن التعامل مع الناس، [مرجع سابق] (ص٣٨).

(٤) انظر على سبيل المثال: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/١٠٤).

بعضها بالنص، إظهاراً للاهتمام بها، والاحترام لعقلية قائلها ومنزلته، كقوله لأحد المدعويين^(١): (... وغير ذلك من النصوص الدالة على حقيقة التوحيد الذي هو مضمون ما ذكرت في رسالتك..)^(٢).

ثم كرّر الإشارة إلى رسالة هذا المدعو مرةً أخرى بقوله: (... فإن بان لك شيء من ذلك، ارتعت روعة صدق... أكبر من روعتك التي ذكرت في رسالتك)^(٣)، بل إن الإمام في أحد المواضع ذكر عبارة المدعو بنصها؛ إظهاراً للعناية بها، واستشهاداً بمضمونها، وإن كان بالطبع سيجد عبارات غيرها ربما تكون أبلغ منها، حيث قال لعبد الله بن سحيم: (... وأنت ذكرت في كتابك تقول: يا أخي [ما لنا والله دليل إلا من كلام أهل العلم] وأنا أقول: كلام أهل العلم رضا وأنا أنقله لك، وأنبهك عليه)^(٤).

إن نقل الإمام هذه العبارة وأمثالها من كلام المدعو -ولو كان بغرض مناظرته والرد عليه- له أثر طيب على نفسه، كما أنه يشبع حاجته الفطرية للتقدير والاحترام.

٣- الإشارة إلى مكانته العلمية والاجتماعية:

حرص الإمام -رحمه الله- في بعض المواضع من رسائله على هذا الجانب، فبيّن لعبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي أنه لم يغفل عن مكانته ومنزلته

(١) لم يذكر الإمام اسم هذا المدعو.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٧٢/٥).

(٣) المرجع السابق، (١٧٣/٥).

(٤) المرجع السابق (٦٦/٥).

الاجتماعية، فخطابه بقوله: (.. وينبغي للقاضي أعزّه الله بطاعته..)^(١)، وقال عن عبد الله بن عيسى في رسالة أرسلها إليه ليقرّظ له عليها: (... وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه)^(٢)، وخطاب الشريف^(٣)، وعلماء مكة^(٤) بهذا الأسلوب؛ مراعاة لهذا الجانب المهم من جوانب النفس البشرية.

٤- الإشادة بمواقفه الحسنة، وتشجيع منجزاته :

سارع الإمام -رحمه الله- في بعض المواضع من رسائله إلى تلبية ما فطر عليه كثير من المدعوين من حب التشجيع والشكر والنجاح^(٥)، ومن شواهد ذلك: تذكيره القاضي عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف بموقفه الجيد من أحد المسائل العلمية، حيث أتبع فيها الدليل، وخالف المذهب، ولم يتعصب له، فامتدحه الإمام بهذه المزية، وعللها بقوله: (... لأنني اجتمعت بك من نحو عشرين^(٦))، وتذاكرت أنا وإياك في شيء من التفسير والحديث، وأخرجت لي كرايس من البخاري كتبتها، ونقلت على هوامشها من الشروح، وقلت في

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥١/٥) .

(٢) المرجع السابق (١٨٧/٥) وقد سبق الحديث عن مثل هذا الجانب في (أسلوب رسائل الإمام للأمرء) و(رسائله للعلماء) في المطلب السابق .

(٣) المرجع السابق (٣١٢/٥) .

(٤) المرجع السابق (٤٠/٥) .

(٥) انظر: عبد الله الخاطر، فن التعامل مع الناس، [مرجع سابق] (ص ٤٦، ٤٨).

(٦) كذا في مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٠/٥) والدرر السننية (٣١/١) وفي

مخطوطة الشيخ عبدالعزيز المرشد لتاريخ ابن غنام (ص ٢٤) (عشر سنين) .

مسألة الإيمان التي ذكر البخاري في أول الصحيح: هذا هو الحق الذي أدين الله به، فأعجبني هذا الكلام؛ لأنه خلاف مذهب أئمتكم المتكلمين^(١)، وقال الإمام أيضاً: (.. فكنت أحكي لمن يتعلم مني ما من الله به عليك من حسن الفهم، ومحبة الله والدار الآخرة)^(٢)، وقال عن عبد الله بن عيسى: (.. وهو صاحب إحسان علينا وعلى أهلنا..)^(٣)، وقال في رسالته إلى نعيمش وجميع الإخوان: (.. وسرّنا -والحمد لله- ما بلغنا عنكم من الأخبار من الاجتماع على الحق)^(٤)، ولا شك أن في هذا الأسلوب ما لا يخفى من التقدير والاحترام، والثناء الذي فطر الناس على حبه وحب من يعاملهم به .

٥- إشعار المدعو أن الداعي لا يعرف عنه إلا السمعة الطيبة:

حرص الإمام -رحمه الله- على (تهيئة نفس المدعو لقبول الدعوة؛ وذلك بتجاهل أخطائه، وتناسي زلّاته القديمة)^(٥)، وإشعاره أن الداعي لا يعرف عنه إلا السمعة الطيبة ويحسن الظن به، كقوله -رحمه الله- لمحمد بن سلطان: (لا يخفك أنه ذكر لنا عنك كلام حسن..)^(٦)، وقوله لعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف: (.. ولما أعلم منك من محبة الله ورسوله وحسن الفهم..)^(٧)،

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٠/٥) .

(٢) المرجع السابق ، (٢٥٠/٥) .

(٣) المرجع السابق (٢٧٦/٥) .

(٤) المرجع السابق (٣٠٨/٥) .

(٥) انظر : عبد الله الخاطر ، فن التعامل مع الناس ، [مرجع سابق] (ص ٢٨) .

(٦) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٤٤/٥) .

(٧) المرجع السابق (٢٥٠/٥) .

وقوله عن عبد الله بن عيسى: (... وأنا أعتقد فيه المحبة، وأعتقد أيضاً أن له غاية وعقلاً...) (١).

٦- تجنب التوجيه بصيغة الأمر:

يقول الأصوليون: إن الأمر هو: استدعاء الفعل بالقول على جهة الاستعلاء (٢)، بمعنى أن يكون الأمر متكيّفاً بكيفية الاستعلاء، والترفع على المأمور، كالسيد مع عبده والسلطان مع رعيته (٣).

ولا يخفى ما جبلت عليه النفوس من كراهية من يترفع عليها، أو يستعلي عليها، خاصة إذا كان الأمر مساوياً، أو ربما دون منزلة المأمور بوجه من الوجوه، وقد زحرت لغتنا العربية - والله الحمد - بالعديد من الأساليب البديلة لصيغة الأمر المباشر، وإن كانت تؤدي إلى الغاية نفسها، وتحقيق الغرض ذاته، دون إثقال على نفس المأمور، أو إشعاره بالاستعلاء والترفع (٤)، وشواهد ذلك في القرآن تكاد تفوق الحصر، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجْبِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ

(١) المرجع السابق (٥/٢٧٦).

(٢) نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي، شرح مختصر الروضة، بتحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط الأولى - ١٤١٠هـ] (٢/٣٤٧).

(٣) المرجع السابق (٢/٢٤٩).

(٤) مثال ذلك: بدلاً من أن تقول للمدعو: (اذهب للصلاة). بصيغة الأمر المباشر، يمكنك أن تقول بأسلوب الحض والحث (هلاً ذهبت للصلاة)، أو الاستفهام (أتذهب للصلاة)، أو التلميح (لقد أذن المؤذن قبل قليل)... ونحو ذلك من الأساليب اللطيفة.

قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ [الحديد: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَرَّنا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾ [القمر: ١٧].

وقد حرص الإمام - رحمه الله - في بعض المواضع من رسائله على استخدام هذا الأسلوب، كقوله في رسالته التي وجهها للمعلمين: (ينبغي للمعلم أن يُعَلِّمَ الإنسان على قدر فهمه ..) ^(١)، وقوله للقاضي عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف: (.. ينبغي للقاضي أعزّه الله بطاعته لما ابتلاه الله بهذا المنصب أن يتأدّب بالآداب التي ذكرها الله ..) ^(٢).

٧- إخفاء الاحتساب:

من صور مراعاة الإمام - رحمه الله - لحاجة المدعو إلى التقدير الاجتماعي، وعدم إشعاره بأي نوع من الإهانة؛ حرصه - رحمه الله - على إخفاء الاحتساب على مرتكب المنكر ما أمكنه ذلك، خاصة مع ذوي الجاه والسلطان، فقد كان الإمام - رحمه الله - يوجّه المدعويين إلى عدم فضح صاحب المنكر، بل الستر عليه وتوجيهه بخفية، ما دام ذلك كافياً ومؤدياً للغرض، كقوله في رسالته إلى عبد الله بن سحيم (.. العاشر: أن المسلم أخو المسلم فإذا أخطأ أخوه نصحه سراً ويبيّن له الصواب، فإذا عاند، أمكنه المجاهرة بالعداوة) ^(٣)، وقوله - رحمه الله - لإخوانه من أهل سدير: (.. والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره أن ينصح برفق خفية، ما

(١) جمع عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] [١/١٧٠].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٥/٢٥١).

(٣) المرجع السابق، (٥/١٣٤).

يشترّف أحد، فإن وافق وإلا استلحق عليه رجلاً يقبل منه بخفية، فإن لم يفعل، فيمكن الإنكار ظاهراً، إلا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق، واستلحق عليه ولا وافق، فيرفع الأمر يمتنا خفية^(١).

٨ - المداراة :

المداراة - كما قال العيني - هي: (الرفق بالجاهل الذي يستتر بالمعاصي واللطف به، حتى يرده عما هو عليه)^(٢)، وعرفها ابن حجر بقوله: (هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك)^(٣).

قال ابن بطلال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة^(٤).

قال ابن حجر: (وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة، فغلط؛ لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق أن المداهنة من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء، ويستتر باطنه)^(٥).

(١) المرجع السابق ، (٢٩٧/٥) .

(٢) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، [بيروت-

دار الفكر - ب ت] (١٧١/٢٢) .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، [مرجع سابق] (٥٤٥/١٠) .

(٤) المرجع السابق ، الموضوع نفسه .

(٥) المرجع السابق ، الموضوع نفسه .

وقد أدرك الإمام - رحمه الله - أهمية أسلوب المداراة، وأثره في تلبية حاجة المدعو إلى التقدير الاجتماعي، وحاجته إلى أن يمنح فرصة للرجوع عن أخطائه دون إهائته بسببها، فسارع الإمام - رحمه الله - إلى هذا الأسلوب، واستخدمه في بعض رسائله، وصرّح بانتهاجه لهذا المسلك، كما هو واضح في قوله لسليمان بن سحيم: (... ونداريكم ودنا أن الله يهديكم ويهديهم..)^(١).

ب- حاجته إلى الأمن وسعة العيش:

أدرك الإمام - رحمه الله - أن من طبيعة النفس البشرية حاجتها إلى الأمن وسعة العيش؛ فراعى هذا الجانب في خطابه للمدعو من خلال:
- إشعار المدعو أن الاستجابة للدعوة تحقق له ما يحتاج من الأمن وسعة العيش:

ومن شواهد ذلك: ما جاء في رسالته لأهل شقراء؛ حيث قال لهم: (. . . ولا تظنوا أن الضيق مع دين الإسلام، لا والله؛ بل الضيق والحاجة، وسكنة الريح، وضعفة البخت مع الباطل، والإعراض عن دين الإسلام)^(٢).
وزاد الإمام في تأكيد هذه القاعدة بضرب الأمثلة الواقعية عليها، حيث قال: (. . . مع أن مصداق قولي فيما ترونه فيمن ارتد من البلدان، أو هنن (ضرمنا)، وآخرهن (حرىملا)، هم حصلوا سعة فيما يزعمون؟ أو ما زادوا إلا ضيقاً وخوفاً على ما هم قبل أن يرتدوا)^(٣).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٢٦/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٩٢/٥).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

ج- كراهيته للوم والعتاب الشخصي عند الخطأ:

طُبِعَ النَّاسُ عَلَى كَرِهٍ مِنْ يَتَسَرَّعُ فِي التَّوْبِيخِ وَالتَّأْنِيبِ الشَّخْصِيِّ عِنْدَ حُصُولِ الْخَطَا^(١).

وقد أدرك الإمام -رحمه الله- هذا الجانب، فحرص على تجنب اللوم والتجريح الشخصي، ولجأ في بعض المواضع إلى إرشاد المدعو، وبيان خطئه دون تجريحه أو الإساءة إليه.

وقد برز هذا الأسلوب في رسائل الإمام من خلال عدة صور:

١- التذكير بدور الشيطان في إضلال بني آدم:

لا شك أن الشيطان قد توعد بني آدم بإضلالهم، وإيقاعهم في أنواع المعاصي، فقال كما أخبر عنه سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا أَمْنِيَّتَهُمْ﴾ [النساء: ٢١١٩]، فالشيطان إذاً شريك لابن آدم في كل معصية، إلا أنه لا يتحمل عنه التبعة يوم القيامة، بل يتبرأ منه في خطبته التي يلقيها في النار، فيقول - كما أخبر تعالى عنه -: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّكُمْ فَأَخْلَقْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقد أشار الله سبحانه وتعالى في كتابه إلى دور الشيطان، وحمله جانباً من المسؤولية في كثير من المعاصي والأخطاء التي يقع فيها ابن آدم، وهذا الأسلوب، وإن كان يخفف من الألم النفسي، وردة الفعل السلبية التي قد

(١) انظر: عبداً لله الخاطر، فن التعامل مع الناس، [مرجع سابق] (ص ٣٢).

تحدث لو حُمِّل المرء كامل المسؤولية دون شريك، إلا أنه في الوقت نفسه لا يُعفي الإنسان من تحمل مسؤولية خطئه، ومن شواهد ذلك قوله سبحانه عن آدم وزوجه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦] وإن كان آدم وزوجه هما اللذان وقعوا في المعصية، وهما اللذان تحملا تبعتهما، ولكن في هذا الأسلوب ما لا يخفى من اللطف وحسن المدخل، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنسَاءُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]، وقوله على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

ومن شواهد السنة؛ قوله ﷺ لرجلين من الأنصار، حين لقيه معتكفاً ومعه أم المؤمنين صفية رضي الله عنها: (تعاليا إنها صفية بنت حبي قالوا: سبحان الله يارسول الله، قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم وإنني خشيت أن يُلقني في أنفسكما شيئاً^(١)). فالنبي ﷺ: (لم ينسبهما إلى أنهما يظنان به سوءاً؛ لما تقرر عنده من صدق إيمانهما، ولكن خشى عليهما أن يوسوس لهما الشيطان... فقد يفضي بهما ذلك إلى الهلاك)^(٢). ولا شك أن هذا أَلطف مما لو قال: إني خشيت أن تظننا سوءاً أو نحو ذلك.

وقد حرص الإمام على هذا الجانب، فأشار إلى دور الشيطان؛ تجنباً للتعنيف واللوم الشخصي، ومن ذلك قوله عن الغلو في الصالحين: (. . . فمن

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة

زوجها في اعتكافه [ك٣٨، ب١١، ح١٩٣٣] [١٩٣٣/٢] (٧١٧).

(٢) ابن حجر، فتح الباري، [مرجع سابق] [٣٢٨/٤].

عرف هذه المسألة، عرف أن أكثر الخلق قد لعب بهم الشيطان، وزين لهم الشرك بالله، وأخرجه في قالب حب الصالحين وتعظيمهم^(١).

٢- الاعتذار للمدعو بوجود اللبس لا قصد الابتداع:

حرص الإمام -رحمه الله- في بعض المواضع من رسائله على عدم قطع طريق الرجعة على المدعو إذا أخطأ، فأشعره بأنه لا يسيء فيه الظن، بل يسوغ خطأه بوجود اللبس، لا قصد الابتداع، كقوله: (... واعلم رحمك الله: أن أشياء من أنواع الشرك الأكبر وقع فيه بعض المصنفين على جهالة، لم يفطن له، من ذلك قوله في البردة:

يا أكرم الخلق ما لي من ألؤذ به . . . سواك عند حلول الحادث العمم
وفي الهمزية جنس هذا...^(٢).

وكذلك قوله رداً على أحد الخصوم^(٣): (... وقوله في الكتاب: ومذهب أهل السنة إثبات من غير تعطيل، ولا تجسيم، ولا كيف ولا أين، إلى آخره، وهذا من أبين الأدلة على أنه لم يفهم عقيدة الحنابلة، ولم يميز بينها وبين عقيدة المبتدعة، وذلك أن إنكار الأين من عقائد أهل الباطل..^(٤).

ومن شواهد اعتذاره للمدعو بوجود اللبس: ما جرى بينه وبين عبداً لله بن عيسى، الذي ظنّ في الإمام بعض الظنون، فأظهر الغضب منه قبل أن يتثبت،

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٢٤/٥).

(٢) جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] [١١١/٢].

(٣) هو: عبداً لله المويس، وقد ألان الإمام له القول في الرسالة، ثم ازدادت عبارته حدة في الصفحات الأخيرة منها، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣٠/٥-١٤١).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٣٣/٥).

فغضب الإمام، وبيّن له الحقيقة، ثم اعتذر له بقوله: (... لكن هذه أنتم معذورون فيها إذا كانت من ابن عمر، وهو متوهم، ما حاكاني في بيان الأمر لما وقع، ولا يدري عن الذي في خاطري، لكنه يسمع من أهل الجنوية وغيرهم، وتعرف حال الكلام من بعيد)^(١).

٣- الإشارة إلى أن هذا الخطأ مصيبة، وأنها من قدر الله :

لا شك أن كل ما يحدث في هذه الدنيا إنما هو من قضاء الله وقدره، وعقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب هي: جواز (الاحتجاج بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب، لا عند المعاييب)^(٢)، وشاهده من السنة ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة في قصة احتجاج آدم وموسى عليهما السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: (احتج آدم وموسى، فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجتكَ خطيئتك من الجنة، فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمرٍ قدّر عليّ قبل أن أخلق، فقال رسول الله ﷺ: فحجّ آدم موسى مرتين)^(٣)، أي غلبه بالحجة، ووجهه: أن آدم ﷺ لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وموسى ﷺ كان أعلم بأبيه وبدنبيه من أن

(١) المرجع السابق، (٣١٩/٥).

(٢) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، [مرجع سابق] بتحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، و شعيب الأرنؤوط، (١٣٦/١).

(٣) البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب الأنبياء، باب: وفاة موسى وذكره بعد [ك] ٦٤، ب ٣٢، ح ٣٢٢٨ [١٢٥١/٣].

يلومه على ذنب قد تاب منه وتاب الله عليه، واجتباه وهداه، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم عليه السلام بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة^(١).

وقد استخدم الإمام -رحمه الله- هذا الأسلوب مع مطوّع الدرعية (عبدالله بن عيسى) حين بدر منه ما سبب الضيق والكدر للإمام -رحمه الله- فقال: (... ومعني في هذه الأيام بعض تنغص المعيشة والكدر مما يبلغني عنكم، والله سبحانه إذا أراد أمراً، فلا رادّ له، وإلا ما خطر على البال أنكم ترضون لأنفسكم بهذا ..)^(٢) ولا شك أن التذكير بالقضاء والقدر هنا يخفف من الألم النفسي الحاصل بالعتاب واللوم الشخصي الذي تنفر منه النفوس.

٤- تجنب اللوم المباشر :

حرص الإمام -رحمه الله- في كثير من المواضع من رسائله على تجنب اللوم والعتاب المباشر، فلجأ إلى طرق أخرى، منها: تعميم الخطاب والعتاب بصيغة المبني للمجهول، والتلميح دون التصريح اقتداءً بقوله ﷺ: (ما بال أقوام...) ^(٣).

(١) انظر : ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، [مرجع سابق] بتحقيق : د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، وشعب الأرنؤوط ، (١٣٦/١).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٤/٥).

(٣) من ذلك على سبيل المثال قوله ﷺ: (ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله) وقوله ﷺ: (ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم) ، البخاري ، صحيح البخاري ، [مرجع سابق] على التوالي : كتاب المساجد، باب : ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد [ك١١ ، ب٣٧ ، ح٤٤٤] [١٧٤/١] وكتاب صفة الصلاة ، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة [ك١٦ ، ب١٠ ، ح٧١٧] [٢٦١/١] .

ومن شواهد ذلك: عتبه - رحمه الله - على تلميذه عبد الله بن سويلم، الذي أساء الظن في ابن عمه أحمد بن سويلم، وغضب عليه حين اشتد على بعض المنافقين، وتكلم عليهم، فاتهمه عبد الله بعدم الإخلاص، وأن له مقاصد دنيوية، وعندها أراد الإمام أن يرشد عبد الله بن سويلم دون أن يسيء إليه، أو يعاتبه عتاباً مباشراً، فقال بصيغة المبني للمجهول والخطاب العام: (... فإذا أراد أحد من المؤمنين أن يجاهد، فأناه بعض إخوانه فذكر له أن أمرك للدنيا؛ أخاف أن يكون هذا من جنس الذين يلمزون المطّوعين من المؤمنين في الصدقات ..) (١)، وهنا وصل الإمام - رحمه الله - إلى الغرض المقصود دون إساءة للمنصوح أو إثقال على نفسه.

د - حاجته للمحبة والرحمة :

ويقصد بها حاجة المدعو إلى أن يتصف الداعية أو المربي بالعطف واللين، والشفقة على الناس، والإحساس بمعاناتهم وحاجاتهم ومشكلاتهم، وأن يراعي ذلك عند التوجيه والتكليف، وعند التعامل والمحاسبة، بحيث يستطيع أن ينظر إلى المدعو من خلال قدراته وطاقاته، فلا يحمله ما لا يطيق، ولا يعامله إلا بما يتناسب مع حالته ومستواه (٢)، وقد نوّه الله تعالى بهذه الخاصية في الرسول ﷺ إذ بعثه الله من بين قومه يرحمهم، ويعلم حالهم، ويقدر مشاعرهم، ويحرص على نفعهم ويجب لهم الخير، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٨٨/٥).

(٢) انظر: عبدالعزيز النغمشي، علم النفس الدعوي، [مرجع سابق] (ص ٢٩٩).

وقد حرص الإمام -رحمه الله- على أن يتصف بهذه الصفة الحميدة،
ويبلي هذه الحاجة النفسية للمدعو، وذلك من خلال صور عديدة منها:

١- التصريح بمحبة المدعو :

ومن شواهد ذلك: قوله -رحمه الله- للشيخ عبد الله بن عبداللطيف الأحسائي: (... فإنني أحبك، وقد دعوت لك في صلاتي)^(١)، وقوله لعبدالوهاب بن عبد الله بن عيسى: (... وأنت وأبوك أجلّ الناس إليّ وأحبهم عندي)^(٢).

٢- إظهار الاهتمام بمشاعره والحزن من أجله :

لم يكن الإمام -رحمه الله- بارد الإحساس، متجمد المشاعر، بل كان داعية صدق، يتفاعل مع المدعويين، فيفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم ويتألم خوفاً عليهم وإشفاقاً لحالهم.

ومن شواهد ذلك موقفه -رحمه الله- حين غضب منه عبد الله بن عيسى وابنه، لظن ظنوه فيه دون تثبت، فسارع -رحمه الله- بكتابة رسالة لتطيب حواطرهم، وذكر موجب كتابة رسالته، فقال: (سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فقد ذكر لي أنكم زعلانين علي في هذه الأيام بعض الزعل^(٣)..)^(٤)، ويبيّن تألمه -رحمه الله- من هذا الزعل، فقال: (... وبالخاطر

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٧/٥).

(٢) المرجع السابق (٢٨١/٥).

(٣) زعلٌ زعلًا : نشط ، وزعلَ الفرسُ: إذا استنَّ بغير فارسه ، وزعلَ الرجل من الشيء تألم وغضب، انظر : الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، [مرجع سابق] مادة [زع ل] (ص ١٣٠٤).

وإبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، [مرجع سابق] مادة [زع ل] (٣٩٤/١).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/٣١٤).

لا يخفاكم أن معي غيظ عظيم ومضايقة من زعلكم^(١)، بل إن الإمام يوضح أنه مضطر إلى الاختصار في الرسالة، خوفاً من صدور كلمة يُساء فهمها، فتوجب الزعل، ويقول: (..وأنا أخاف أن يطول الكلام، فيجري فيه شيء يزعلكم، وأشوف غايتكم قريبة، وتحملون الأمر على غير محمله)^(٢). كما أن الإمام -رحمه الله- في الرسالة نفسها يكشف عن شدة تفاعله وألمه النفسي، حين علم أنهما قد وقعا في بعض المخالفات التي يُخشى عليهما من عاقبتها، فيقول: (..ومعي في هذه الأيام بعض تنغص المعيشة والكدر فيما يبلغني، والله سبحانه إذا أراد أمراً، فلا رادّ له)^(٣). ويقول الإمام في رسالة أخرى لعبد الله بن عيسى: (..والذي يكدر الخاطر: زعلكم وإظهاركم للناس الزعل، والتغير بسبب ظن سوء..)^(٤).

ولا شك أن التفاعل مع المدعو، وإظهار الاهتمام بمشاعره، والحزن من أجله، من دلائل محبة الداعية له ورحمته به، كما أنها من أسباب استجابة المدعو للداعية وقبوله لدعوته.

٣- السلام على المدعو والدعاء له:

لا شك أن حرص الداعية على القرب النفسي من المدعو عن طريق بدء الرسالة بالسلام والدعاء، وتضمينها عبارات المودة والإحياء؛ كل ذلك من أعظم أسباب استجابة المدعو، ومحبته للداعي وقبول دعوته.

(١) المرجع السابق، (٣١٥/٥).

(٢) المرجع السابق، (٣١٥/٥).

(٣) المرجع السابق، (٣١٤/٥).

(٤) المرجع السابق، (٣١٨/٥).

وقد حرص الإمام - رحمه الله - على القرب النفسي مع المدعو، وإشعاره بالحبّة والودّ بصور عديدة منها:

- بدء الرسالة بالسلام والدعاء:

ويظهر ذلك بوضوح في معظم رسائله - رحمه الله - ومن شواهد ذلك مطلع رسالة الإمام إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى، حيث بدأها بقوله: (... من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: إن تفضلتم بالسؤال، فنحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، ونحن بخير وعافية، جعلكم الله كذلك وأحسن من ذلك، وأبلغوا لنا الوالد السلام، سلّمه الله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة^(١)).

كما حرص الإمام على زيادة القرب النفسي بأن يشمل تبادل التحية كلاً من المحيطين بالداعي والمدعو، فهو يقول في خاتمة إحدى رسائله إلى عبد الله بن عيسى: (... وأبلغ السلام عيالكم ومن أردتم من الإخوان، وسليمان وثنيان [تلاميذ الإمام] يبلغون الجميع السلام، والسلام)^(٢).

ومن شواهد ذلك أيضاً: ما جاء في مطلع رسالة الإمام الجوابية للشيخ أحمد بن مانع، حيث قال: (من محمد بن عبد الوهاب إلى أخيه أحمد بن مانع حفظه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فنحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، بخير وعافية، أمّها الله علينا وعليكم في الدنيا والآخرة، وكل من تسأل عنه، فهو طيب ...) ^(٣).

(١) المرجع السابق، (٢٧٦/٥).

(٢) المرجع السابق، (٣٢٠/٥).

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار والإفهام، [مرجع سابق] (٢١٠/١).

كما حرص الإمام -رحمه الله- على تضمين بعض رسائله عبارات الإخاء والود، كقوله في رسالته إلى نعيمش وجميع الإخوان بعد السلام والدعاء (.. ولكن يا إخوتي لا تنسوا قول الله تعالى ..) (١)، وقوله للشيخ أحمد بن مانع: (من محمد بن عبد الوهاب إلى أخيه أحمد بن مانع) (٢)، فالتعبير بلفظ (إخواني) و(أخيه) فيه ما لا يخفى من الأثر الطيب والقرب النفسي الذي يحتاجه المدعو، ويطمئن إليه، فيكون سبباً في قبوله للدعوة.

٤- الواقعية وعدم تكليف المدعو بما لا يطيق:

إن من حكمة الداعية ورحمته بالمدعويين أن يكون واقعياً؛ فلا يكلف المدعويين بما لا يطيقون، كما أن من الحكمة أن تكون الدعوة إلى المطالب العظيمة بطرق الترقّي، كأن يبتدئ الداعية بما هو أيسر عملاً، أو أقرب إلى المألوف لدى الأمة، أو أظهر حكمة لعقولهم دون تساهل في تبليغ الحق وبيان الحقيقة (٣)، وقد أخرج البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت عن القرآن: (إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: (لا تشربوا الخمر) لقالوا: (لا ندع الخمر أبداً)، ولو نزل (ولا تنزوا)، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً) (٤).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٠٨/٥).

(٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢١٠/١).

(٣) انظر: الشيخ محمد الحضرمي، الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر

تاريخ الأمة، [الرياض- دار الراجعية- ط الأولى ١٤١٧هـ] (ص ٨١).

(٤) أخرجه البخاري، الإمام البخاري، صحيح البخاري، [مرجع سابق] كتاب فضائل القرآن،

باب تأليف القرآن [ك ٦٩، ب ٦، ح ٤٧٠٧] [٤/١٩١٠].

وقد أدرك الإمام - رحمه الله - هذا الجانب، فحرص على التدرج مع المدعويين، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون، وقبول أعذارهم، رحمةً بهم وتأليفاً لقلوبهم.

ومن شواهد ذلك ما جاء في رسالته إلى السويدي [أحد علماء العراق]، حيث أدرك الإمام أنه ربما لا يستطيع إظهار الدعوة والجهربها في مجتمعه الذي تمكن فيه أهل البدع، فقال له بعد أن بين له خطورة كتمان العلم: (... وأنا أرجو أن يكرمك الله بنصر دينه ونبيه، وذلك بمقتضى الاستطاعة ولو بالقلب والدعاء، وقد قال ﷺ: (إذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه، ما استطعتم) (١) (٢).

و حين غضب الإمام من زعل عبدا لله بن عيسى على بعض المسائل، عذره في إحدى هذه المسائل لوجود اللبس، وقال: (... وأما من باب السؤالات، وأنكم بلغكم أنني ظان أنها من عبدا لله، فهذا عجب، كيف تظنون أنني ما أعرف خط ابن صالح... لكن هذه أنتم معذورون فيها إذا كانت عن ابن عمر، وهو متوهم ما حاكاني في بيان هذا الأمر لما وقع، ولا يدري عن الذي في خاطري، لكنه يسمع من أهل الجنوية وغيرهم، وتعرف حال الكلام من بعيد) (٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، المرجع السابق، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب:

الافتداء بسنن رسول الله ﷺ، [ك ٩٩ - ب ٢ - ح ٦٨٥٨]، (٢٦٥٨/٦).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٨/٥).

(٣) المرجع السابق، (٣١٨/٥ - ٣١٩).

المطلب الثالث:

مراعاة حاجات المدعو الروحية

حرص الإمام - رحمه الله - على تلبية حاجات المدعو الروحية، وذلك عن طريق تعليقه بالله سبحانه وتعالى، وتوجيهه إلى الإكثار من دعاء الله تعالى وعبادته.

ومن شواهد ذلك : قوله لعبد الله بن سحيم: (... وإن وقع في قلبك إشكال فاضرع إلى مقلب القلوب أن يهديك لدينه ودين نبيه ﷺ) (١).
وقوله لمحمد بن سلطان: (بل اقصد وجه الله، واطلب منه، وتضرع إليه أن يهديك للحق) (٢).
وحين سأله أحد المدعويين عن كيفية الوصول إلى مرحلة بغض الشرك ومعرفته مثل معرفة الفواحش في وضوحها وبشاعتها، قال: (... أما كونك تعرفه [أي الشرك] مثل معرفة الفواحش، وتكرهه كما تكرهها، فهذا له سببان، أحدهما: اللجوء إلى الله، وكثرة الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم بحضور قلب ..) (٣).

ويقول الإمام في رسالته إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف: (... فعليك بكثرة التضرع إلى الله، والانطراح بين يديه، خصوصاً أوقات الإجابة، كآخر

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٧٥/٥). وانظر المرجع نفسه (٢٠٥/٥) في رسالته إلى أحمد بن إبراهيم مطوع مرات، والمرجع السابق (٢٢٤/٥) في رسالته إلى أحمد بن عبد الكريم، والمرجع السابق (٢٤٥/٥) في رسالته إلى الإخوان، وانظر أيضاً: حسين بن غنم، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٣/١).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٤٥/٥).

(٣) المرجع السابق، (٢٠٠/٥).

الليل وأدبار الصلوات، وبعد الأذان، وكذلك بالأدعية المأثورة، خصوصاً الذي ورد في الصحيح أنه ﷺ كان يقول: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)^(١). فعليك بالإلحاح بهذا الدعاء بين يدي من يجيب المضطر إذا دعاه ... وقل: يا مُعَلِّم إبراهيم علمني (...)^(٢).

ويقول الإمام لعبد الله بن عيسى: (... فتضرع إلى الله بقلب حاضر، خصوصاً في الأسحار، أن يهديك للحق ويريك الباطل باطلاً، وفرّ بدينك، فإن الجنة والنار قدامك، والله المستعان)^(٣).

كما يوجه الإمام -رحمه الله- إلى أهمية الخشوع والإقبال على الله تعالى في الصلاة، فيقول مخاطباً الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود: (... اعلم أن مقصود الصلاة وروحها ولبها هو إقبال العبد على الله فيها..^(٤))، ويقول أيضاً: (... فعليك بإدامة دعاء الله بدعاء الفاتحة، مع حضور قلب وخوف وتضرع ...)^(٥).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بلفظ (اللهم رب جبرائيل ... اهدني لما اختلف فيه ...)

الإمام مسلم، صحيح مسلم، [مرجع سابق] كتاب صلاة المسافرين وقصرها -باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه [ك٦- ب٢٦- ح ٧٧٠] [٤٤٩/١].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٦/٥).

(٣) المرجع السابق، (٣٠٥/٥).

(٤) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] [٢٢٢/١].

(٥) المرجع السابق، (٢٢٦/١).

كما يوجه الإمام - رحمه الله - كل من يتصدى للدعوة والتعليم أن يحرص على تنبيه المدعو والمتعلم إلى أهمية الدعاء؛ حيث يقول الإمام مخاطباً المعلم والداعية: (ومن أعظم ما تنبهه عليه [يعني المدعو والمتعلم] التضرع عند الله، والنصيحة، وإحضار القلب في دعاء الفاتحة إذا صلى)^(١).

ولا شك أن حرص الإمام - رحمه الله - على مراعاة هذا الجانب من فقهه وحكمته في الدعوة إلى الله، كما أن في ذلك أيضاً إشباعاً لحاجات المدعو الروحية، وهو مما يعين المدعو على قبول الدعوة والاستجابة للداعية.

(١) جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السننية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] [١/١٧١].

الفصل الثالث

آثار رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -
وكيفية الاستفادة منها في العصر الحاضر

- مدخل -

لاشك أن الإمام -رحمه الله- قد قام بجهد دعوي كبير، واستخدم وسائل متعددة، منها وسيلة الرسائل الشخصية، وقد نتج عن هذه الوسيلة -مع غيرها من الوسائل- نتائج طيبة، وآثار حميدة؛ مازال المسلمون يجنون ثمارها اليانعة حتى هذا اليوم، ليس في موطن الإمام -رحمه الله- فحسب، وإنما في كثير من بقاع العالم الإسلامي.

بل إن المتأمل لتلك الرسائل المباركة، وما نتج عنها من آثار، يمكنه أن يستنبط من خلال دراستها العديد من الفوائد الدعوية المهمة التي يمكن أن ينتفع بها الدعاة وغيرهم في عصرنا الحاضر وفي كل العصور.

ولعل من المناسب أن يتم تناول هذا الفصل من خلال الباحثين التاليين:

المبحث الأول: آثار رسائل الإمام رحمه الله .

المبحث الثاني: كيفية الاستفادة من رسائل الإمام رحمه الله في العصر الحاضر.

المبحث الأول

آثار رسائل الإمام رحمه الله

لقد كانت للرسائل الشخصية التي كتبها الإمام - رحمه الله - آثار عظيمة، نتج عنها - وعن بقية الوسائل التي استخدمها الإمام بفضل الله تعالى - انتشار الدعوة في كثير من بقاع العالم الإسلامي، وتوحيد شبه الجزيرة العربية، ونقلها من حال إلى حال، فقد تحولت من الانقسام إلى الوحدة، ومن الانحراف والجهالة إلى التوحيد والعلم والعبادة، وقامت دولة إسلامية عزيزة الجانب، مرهوبة الأركان، وحدت الإمارات المتناحرة تحت لوائها، وامتدت من البحر الأحمر غرباً إلى الخليج العربي شرقاً، ومن الشام شمالاً إلى اليمن جنوباً^(١)، ولعل من العسير على الباحث في دعوة الإمام - رحمه الله - أن يجزم بأن نتيجة ما من نتائج الدعوة كانت أثراً لوسيلة المراسلة وحدها، دون أن يسهم معها أي وسيلة أخرى من الوسائل التي استخدمها الإمام في دعوته، إذ أن كثيراً من الآثار المباركة لهذه الدعوة إنما كانت نتيجة لمزيج من الوسائل الدعوية الناجحة التي استخدمها الإمام في دعوته، ومع ذلك فرمما كان من الممكن ترجيح بأن بعض الآثار قد تسببت فيها وسيلة المراسلة بشكل رئيس ومباشر، دون إنكار لدور بقية الوسائل الأخرى في إحداث هذا الأثر.

(١) انظر : د. عبد الله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق]

(ص ٧٨) ود. عبد الله الشبل، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته، [الرياض - مطابع

جامعة الإمام محمد بن سعود - ط الأولى ١٤٠٠هـ] (ص ٦٢) .

ثم إن الحديث عن آثار الرسائل يكتنفه عدة تساؤلات، فما عوامل تأثير هذه الرسائل؟ وما العوائق التي ربما حدثت من هذا التأثير؟ ثم ما الآثار المباشرة وغير المباشرة لتلك الرسائل، وللإجابة عن هذه التساؤلات يمكن تناول هذا المبحث من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول:

عوامل تأثير رسائل الإمام رحمه الله

لقد أسهمت عوامل عديدة في زيادة تأثير رسائل الإمام - رحمه الله - وبركتها ومضاعفة نتائجها وآثارها الإيجابية، ومن تلك العوامل:

١- توفيق الله تعالى:

وهذا أمرٌ ظاهر، فإن الله سبحانه وتعالى قد أراد بعباده خيراً؛ إذ امتنَّ عليهم ببعثة محمد ﷺ وأنزل لهم القرآن الكريم، ثم ضمن لهم سبحانه وتعالى حفظ هذا القرآن، بل وحفظ هذا الدين القويم، ونصرته إلى قيام الساعة، وكان من عظيم رحمته تعالى وتوفيقه أن بعث لعباده على رأس كل مائة سنة من يجدد لهم أمر دينهم^(١)، وهم أحوج ما يكونون إلى هذا التجديد، وذلك المجدد الذي يعود بهم إلى دينهم القويم، فينهل من معينه الصافي النقي من جميع الشوائب، ويفتح الله له قلوب العباد فيتأثرون بدعوته، ويستجيبون لنصحه بتوفيق الله تعالى ومنتته، وقد تحقق ذلك في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -^(٢) فشرح الله له صدور العباد، فقبلوا دعوته، وتأثروا برسائله ومؤلفاته، وكل ذلك ما كان إلا بفضل الله تعالى ومنه، فله الحمد والمنة من قبل ومن بعد.

(١) إشارة إلى قوله ﷺ: (إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد هذه الأمة دينها) سبق تخريجه .

(٢) شهد الجم الغفير من أكابر اهل العلم والدين بأنه من جملة المجددين لأمر هذا الدين ، انظر مقدمة هذا البحث.

٢- طبيعة كاتب الرسائل - رحمه الله - وحرصه على تحريّ الإخلاص:

إن قوة إيمان الإمام بدعوته ، وتفانيه وتضحيته في سبيل نشرها، وبقينه الدائم بأن الله ناصر دينه، ومعلِّ كلمته، ومخاطرته بحياته، وبكل ما يملك من أجل جمع المدعوين على تلك المبادئ السامية؛ إضافة إلى تجرده - رحمه الله - وترفعه عن الأغراض الدنيوية، وغير ذلك من الصفات العظيمة التي اتصف بها الإمام، كانت من العوامل التي ضاعفت من ثمرات رسائل هذا الإمام، وزادت من بركتها وتأثيرها في المدعوين.

ولعل من أبرز الصفات التي حرص الإمام محمد - رحمه الله - على الاتصاف بها: صفة تحريّ الإخلاص، وتجريد النية لله عز وجل؛ لما يعلم من عِظَم مكانة هاتين الصفتين.

يقول ابن المبارك - رحمه الله -: (رُبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تَعْظُمُهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تَصَغُرُهُ النِّيَّةُ)^(١).

ويقول ابن الجوزي: إنما يتعثّر مَنْ لم يخلص^(٢).

ولا شك أن الإخلاص من أهم أسباب قبول العمل ، وحصول البركة فيه، وتضاعف ثمراته ، وقد كان من أهم أسباب انتصار المسلمين في مبدأ أمرهم - بعد توفيق الله تعالى - قوة إيمانهم، وطهارة أرواحهم، وزكاء نفوسهم، وإخلاص قلوبهم، فبه حصلت البركة من الله في تلك الجهود، فكان لها آثار ونتائج ربما لم تحظر على بال من قاموا بها.

(١) انظر : ابن رجب، جامع العلوم والحكم ، [مرجع سابق] (١/٧١).

(٢) ابن الجوزي، صيد الخاطر، [مرجع سابق] (ص ٣٥٥).

ولا شك أن وسيلة المراسلة في ذاتها - من حيث تكاليفها والجهد المبذول فيها - تعد من الوسائل اليسيرة، التي ربما لا ينتظر منها آثار كبيرة، إلا أن هذه الوسيلة مثل أي وسيلة أخرى، إذا اقترنت بالإخلاص، فربما يحصل بها من الآثار ما لم يخطر ببال.

وقد حرص الإمام - رحمه الله - على تحريّ الإخلاص وتجرّد النية من المطامع الدنيوية، فهو يقول في إحدى رسائله (... وإنما كتبت لكم هذه معذرةً من الله، ودعوة إلى الله، لأحصل ثواب الداعين إلى الله ..) (١)، ويقول في رسالته للشريف: (والواجب على الكل منا ومنكم أنه يقصد بعلمه وجه الله ونصر رسوله) (٢). ويقول في رسالة ثالثة: (فإذا خاف أحد منكم من بعض إخوانه قصداً سيئاً؛ فلينصحه برفق وإخلاص لدين الله، وترك الرياء والقصد الفاسد) (٣).

ويوصي أحد أتباعه (٤) في إحدى الرسائل، فيقول: (... بل اقصد وجه الله واطلب منه، وتضرع إليه أن يهديك للحق ...) (٥)، إلى غير ذلك من الشواهد الدالة على حرصه - رحمه الله - على التحلي بالإخلاص، وتوجيه

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٦/٥). من رسالته - رحمه الله - إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف.

(٢) المرجع السابق (٣١٢/٥).

(٣) المرجع السابق، (٢٨٩/٥).

(٤) هو: محمد بن سلطان، انظر: المرجع السابق، (١٤٤/٥).

(٥) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

المدعويين إلى ذلك، وقد كان لهذا الجانب أعظم الأثر - بعد توفيق الله - في قبول المدعويين لرسائل الإمام، وشدة تأثرهم بها، وامتداد آثارها، حتى بعد وفاته رحمه الله.

٣- سعة علم كاتب الرسائل وقوة حجته:

فقد يسّر الله تعالى للإمام - رحمه الله - أن أخذ العلم عن أجلّ علماء نجد في بلده، كما أخذ العلم عن أجلّ علماء الحرمين والبصرة، والتقى بعلماء الأحساء وغيرهم، ولم يكتف الإمام بذلك، بل درس مؤلفات من سبقوه من أعلام الأمة، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، كما أن الله سبحانه وتعالى قد رزقه قدراً وافياً من الذكاء والفطنة والصبر والجلد، وشرح صدره لمعرفة حقيقة التوحيد وحبّه، ومقت الأعمال المنكرة الشائعة في بلاد المسلمين، التي وصل بعضها إلى الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله، ولا يصح معه إسلام، وبهذه المقومات - بعد توفيق الله تعالى - فاق الإمام أقرانه بل ومشايخه، وأجلم علماء السوء بما آتاه الله من قوة الحجة ووضوح المحجة، وكان لذلك أعظم الأثر في نشر رسائل الإمام وقبولها، وقوة تأثيرها على المدعويين على اختلاف طبقاتهم.

٤- طبيعة المبادئ التي تضمنتها الرسائل ودعت إليها:

دعت رسائل الإمام في مجملها إلى مبادئ واضحة المعالم، تناسب الفطرة السليمة، فهي سهلة الفهم، بعيدة عن التعقيدات والأمور الفلسفية، ولا غرور، فهي دعوة إلى مبادئ الإسلام النقي، الخالص من شوائب الشركيات

والبدع^(١)، وقد كان لهذه السمة أعظم الأثر في سرعة قبول كثير من المدعويين لدعوة الإمام، وحسن تقبلهم لرسائله.

٥ - القوة السياسيّة لمصدر الرسائل:

رغم أن الإمام - رحمه الله - كان يستخدم وسيلة الرسائل منذ أن كان في العيينة، وربما قبل ذلك، إلا أن هذه الوسيلة اكتسبت بُعداً آخر، وتأثيراً أكثر عمقاً بعد اتفاق الدرعية بين الإمام - رحمه الله - والأمير محمد بن سعود - رحمه الله - عام (١١٥٧هـ)^(٢)، حيث أضاف هذا الاتفاق لرسائل الإمام - رحمه الله - بُعداً سياسياً، وثقلاً وتأثيراً أكبر على نفوس المدعويين على اختلاف طبقاتهم، حتى إن بعض الرسائل كانت تصدر باسم الإمام - رحمه الله - مضافاً إلى اسم الأمير؛ ليكون للرسالة الوقع والتأثير المناسبين^(٣).

٦ - طبيعة البينة التي وجّهت إليها الرسائل:

لقد وجّهت رسائل الإمام - رحمه الله - في مبدأ الأمر إلى منطقة نجد وما حولها من المناطق التي عرف أهلها بالبساطة والتقشف؛ إضافة إلى ما غلب

(١) انظر: د. محمد عبد الله السلطان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم

الإسلامي، [الرياض - وكالة الفرقان - ط ١٤٠٧هـ] (ص ٧٦).

(٢) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٨/٢) وعثمان بن بشر،

عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٣٢/١).

(٣) على سبيل المثال: انظر رسالة الإمام محمد والأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود - رحمهما

الله - إلى والي مكة الشريف أحمد بن سعيد، وذلك عام ١١٨٥هـ، مجموع مؤلفات الشيخ

(الشخصية) (٣١٢/٥).

على كثير منهم من صفات المروءة، والشجاعة، والنجدة، والقدرة على تحمل الأعباء، كما أنهم في الوقت ذاته يعيدون عن نفوذ الدولة العثمانية، وعن نفوذ العلماء والمتصوفين وفقهاء المذاهب المختلفة، الذين يحتلون المناصب الرسمية في الدولة، ويعارضون بشدة كل دعوة يمكن أن تنال من مراكزهم ومناصبهم.

فأهل هذه البيئة يتمتعون بقدر من الحرية الفكرية والسياسية، وحرية الاختيار واتخاذ القرار، بعيداً - نوعاً ما - عن المؤثرات الخارجية.

ومن جهة أخرى، فإن هذه البيئة تشترك مع بقية مناطق العالم الإسلامي في بلوغ الأمر غايته من الانحراف الديني، وانتشار البدع والخرافات، إضافة إلى ما صاحب ذلك من الضعف السياسي، والتخلف الاقتصادي، والتمزق الاجتماعي، والاضطراب الأمني، الذي طغى على كثير من بقاع العالم الإسلامي^(١)، مما جعل تلك البيئة وما حولها في ذلك العصر من أشد البيئات تهيئاً وتقبلاً لمضامين تلك الرسائل، وما دعت إليه من المبادئ الموافقة للفطرة السليمة الواضحة، الداعية إلى التطبيق الكامل لجوانب الإسلام في عصوره الأولى، والتي تزرع الأمل في إصلاح أوضاع الأمة من جميع جوانبها، وقد كان لهذا الجانب أثره الواضح في مضاعفة تأثير تلك الرسائل، والتزحيب بمضامينها وما دعت إليه.

(١) انظر: د. محمد السلطان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم

الإسلامي، [مرجع سابق] (ص ٧٨)

٧- أثر علماء الدعوة ومناصريها:

كان لعلماء الدعوة ومناصريها أكبر الأثر في زيادة تأثير الرسائل، واستمرار الإفادة منها في حياة الإمام وحتى بعد وفاته؛ فقد كانوا يعتنون بها شرحاً واختصاراً، ويقتبسون منها في رسائلهم ومؤلفاتهم، وربما أرسلوا نسخاً منها إلى الأقطار. ومن شواهد ذلك ما فعله الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، والأمير سعود بن عبدالعزيز، حال دخولهم مكة فاتحين سنة ١٢١٨هـ^(١)، حيث بين الشيخ عبد الله في رسالة كتبها بهذه المناسبة ما حدث حال الفتح من إعطاء الأمان لمن بالحرم الشريف، وأنهم دعوا علماء الحرم وأهله إلى ترك البدع والشركيات، وردوا على الشبهات التي كانت عالقة في أذهانهم، قال الشيخ عبد الله: (ثم دُفِعَتْ لهم الرسائل^(٢) المؤلفة للشيخ محمد في التوحيد، المتضمنة للبراهين وتقرير الأدلة على ذلك بالآيات المحكمات والأحاديث المتواترة مما يثلج الصدر، واختصر من ذلك رسالة مختصرة للعوام، تنشر في مجالسهم، وتدرس في محافلهم)^(٣).

(١) انظر: جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] [١/٢٤٤] وهامش عنوان المجد، [ط المعارف - ١٣٩٤هـ] [ص ١٦٤] تهميش عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ.

(٢) لفظ (الرسائل) هنا مجمل، ربما قصد به الرسائل العلمية، وربما قصد الرسائل الشخصية، وربما قصدهما جميعاً، وقد سبقت الإشارة إلى أنه وجدت رسائل صُنِّفت ضمن الرسائل العلمية مع أنها في الأصل كانت رسائل شخصية. انظر: (ص، ح) من هذا البحث.

(٣) جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] [١/٢٦١].

ولا شك أن ذلك يدل على شدة عناية علماء الدعوة ومناصريها بمؤلفات الإمام ورسائله، ومن غير المستبعد، بل من المرجح أن تكون مراسلاته - رحمه الله - قد نالت نصيباً من هذه العناية، وما زال أتباع الإمام وأنصار دعوته يولون مؤلفاته ورسائله عناية فائقة حتى يومنا هذا من خلال ما قام به أنصار الدعوة اليوم وعلى رأسهم حكّام الدولة السعودية الثالثة وعلمائها من أحفاد الإمام وغيرهم؛ حيث اعتنوا بطباعة مؤلفات الإمام ورسائله، ودرّسها العلماء في المساجد قديماً وحديثاً، وخطبوا بها على المنابر.

كما حظيت مؤلفات الإمام ورسائله بعناية فائقة في مدارس هذه البلاد ومعاهدها وجامعاتها، ومن شواهد ذلك ما قامت به جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ حيث عقدت مؤتمراً باسم الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - للتعريف بهذا المجدد، وتحليله حقيقة دعوته على مستوى العالم الإسلامي، وكشف الشبهات التي أثيرت حولها في ظل ظروف تاريخية معيّنة، وكان من أبرز الجهود المبذولة للتحضير لهذا المؤتمر: جمع كافة ما كتبه الإمام من مؤلفات ورسائل، وتحقيق نسبتها إليه، وتوثيقها، ثم نشرها في طبعة خاصة باسم الجامعة؛ لترسل نسخ منها بعد ذلك إلى الهيئات والباحثين، الذين ستوجه إليهم الدعوة للإسهام في المؤتمر^(١).

وكان من ضمن هذه المؤلفات: الرسائل الشخصية التي كتبها الإمام - رحمه الله - وقد طبعت في جزء مستقل، هو القسم الخامس من (مجموع مؤلفات

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (٣/١).

الشيخ محمد بن عبد الوهاب). وأقيم المؤتمر، وقدمت فيه بحوث قيّمة، طبع بعضها^(١) في جزئين باسم (بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله) وكان لهذه الجهود أعظم الأثر في الإفادة من رسائل الإمام، واستمرار تأثيرها، وزيادة أعداد المنتفعين بها حتى بعد وفاة كاتبها - رحمه الله -.

٨- موسم الحج:

لعل من أهم العوامل التي ساعدت على نشر دعوة الإمام، ومؤلفاته ورسائله وامتداد تأثيرها حتى بعد وفاته - رحمه الله - ما يسّر الله تعالى للدولة السعودية الأولى من ضم منطقة الحجاز تحت لوائها، وذلك في العقدين الثاني والثالث من القرن الثالث عشر الهجري (١٢١٧-١٢٢٦هـ)^(٢)، حيث أعطى هذا الحدث الفرصة لسائر الحجاج من جميع أقطار العالم الإسلامي للتعرف على حقيقة الدعوة السلفية، والالتقاء بدعاتها، الذين أسهموا - كما سبق ذكره - في نشر مؤلفات الإمام ورسائله، والدفاع عن مضامينها، وردّ الشبهات والدعاوى المثارة حولها، وقد أدى ذلك إلى قناعة كثير من الحجاج من أقطار العالم الإسلامي بأفكار الإمام ومبادئ دعوته، وتبنيهم لمضامينها، وربما حمل بعضهم إلى بلده نماذج من مؤلفات الإمام أو رسائله، وأتاح لها فرصة التأثير في تلك البقاع.

(١) انظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المقدمة (١٦/١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١١٤/١، ١٤٩).

٩- الرحلات والعلاقات التجارية:

لا شك أن الرحلات والعلاقات التجارية كان لها أثر كبير في نشر الإسلام سلمياً في البلاد التي لم تدخلها الجيوش الإسلامية مثل: (إندونيسيا - ووسط أفريقيا - وجزر الهند الشرقية)^(١)، مما يرجح أنه من غير المستبعد أن يكون لهذا العامل الأثر نفسه في نشر الدعوة السلفية^(٢) في تلك البقاع من أجزاء العالم الإسلامي، وكذلك نشر بعض مؤلفات الإمام - رحمه الله - أو رسائله، وتمكينها من التأثير في تلك النواحي.

وقد نقل لنا التاريخ أن بعض علماء هذه الدعوة المباركة قد رحلوا إلى بلدان بعيدة، وعلى سبيل المثال: نجد أن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (١٢٧٧-١٣٤٩هـ) - وهو من علماء الدعوة - قد (رحل إلى الهند لطلب العلم، فاتصل بصدّيق حسن خان، ثم عاد إلى بلاده في فترة استيلاء ابن رشيد على نجد)^(٣)، ومن غير المستبعد أن يكون هذا العالم قد نقل مبادئ دعوة الإمام محمد ومضامين رسائله، وربما نسخاً من مؤلفات الإمام ورسائله إلى أهل تلك البلاد من علماء وغيرهم.

(١) انظر: عبدالفتاح عبدالصمد منصور، محاضرات عن تاريخ العالم الإسلامي، [الرياض - مؤسسة الأنوار - ١٣٩٣هـ] (ص ١٠). وتوماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرون، [مصر - مكتبة النهضة المصرية - ط الثالثة ١٩٧٠م] (ص ٥٥٩)

(٢) انظر: د. محمد سلمان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، [مرجع سابق] (ص ٨٠)

(٣) انظر: الزركلي، الأعلام، [مرجع سابق] (٣/٨٤).

كما أن الجانب التجاري له أثره الفعال، فقد صرّح بعض المؤلفين بأن ما فتح الله به على بلاد الحرمين في هذا الزمان من القوة الاقتصادية كان سبباً رئيساً في حمل كثير من خصوم الدعوة على إعادة النظر فيها، والبحث عن آثار صاحبها، ومن ثم الانضمام إلى ركب المنادين بها والمدافعين عنها^(١).

١١ - خصوم الدعوة:

لفت المؤرخ حسين بن غنام الأنظار إلى أثر خصوم دعوة الإمام في الترويج لها من حيث لا يريدون وذلك حين ناوؤوا الإمام، (وأغروا به الحكام والولاة وأهل الفساد ليبادروه بالقتال والجهاد)^(٢)، فكان لهم الأثر في تبليغ دعوة الإمام لأولئك الذين لم يسمعوا عنه، ولم تبلغهم دعوته.

بل إن انزعاج الخصوم من رسائل الإمام وشدة اهتمامهم بها، وكتابة المجلدات في الردّ على بعضها، كان من أعظم الأسباب التي دفعت البعض إلى البحث عن تلك الرسائل وقراءتها، والتأثر بمضامينها.

ومن شواهد اهتمام الخصوم بالرسائل؛ ما كتبه القباني رداً على الرسالة التي أرسلها الإمام إلى أهل العراق^(٣)، يدعوهم فيها إلى عبادة الله

(١) انظر ما كتبه أبو المكرم بن عبد الجليل السلفي حول تغير مواقف بعض علماء الهند تجاه الدعوة السلفية في كتابه: دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومعادنديها، [الرياض - مكتبة دار السلام - ط الأولى ١٤١٣هـ] (ص ١٧).

(٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/٣٣).

(٣) انظر: عباس الغزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، [مرجع سابق] (٦/٣٣٦) والمؤلف نفسه، ذكرى أبي الثناء الألويسي، [بغداد - شركة التجارة والطباعة - ١٣٧٧هـ] -

وحده^(١)، حيث أُلّف كتاباً كاملاً يزيد على مائتي ورقة في الرد على هذه الرسالة^(٢)، سماه (فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب)، وذلك عام ١١٥٥هـ، ثم أُلّف كتاباً آخر هو اختصار لهذا الكتاب وزيادة عليه بعنوان (كشف الحجاب عن وجه ضلالة ابن عبد الوهاب)، وذلك عام ١١٥٧هـ^(٣). ورغم أن هذا الجهد ربما نتج عنه جزء من الغاية التي بُذِلَ لأجلها، وهي التنفير من الإمام ودعوته؛ إلا أنه في الوقت نفسه قد رُوِّج لدعوة الإمام ورسائله، ولفت الانتباه لها، وقد قرر ابن غنام أثر هذا العامل، واستشهد عليه بقول الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف فضل طيب العود^(٤)

(١) انظر : الرسالة بتمامها في الدرر السنية [ط ١٤١٣هـ] [١٠٠/٢ - ١١٢] بعنوان (كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله وبيان التوحيد).

(٢) انظر : د. عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ، [مرجع سابق] (٩١).

(٣) انظر : المرجع السابق (ص ٥٤ ، ٧٤ ، ٩١) و د. عبدالعزيز عبداللطيف ، دعاوى المناوئين ، [مرجع سابق] (٤٤).

(٤) حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام ، [مرجع سابق] [٣٤/١] والبيتان لأبي تمام، وقد أورد صاحب العقد الفريد عجز البيت الثاني بلفظ (ما كان يعرف طيب عَرَفَ العُودِ) انظر : ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، [مرجع سابق] [٣١٣/٢] .

١٢- أثر المنصفين من العلماء ورجال الفكر والأدب من المسلمين وغيرهم:

لعل مما يلفت انتباه الباحث في سيرة الإمام -رحمه الله- أن كثيراً من أولئك الذين كتبوا في سيرة الإمام قد تعرضوا لذكر مواقف بعض المنصفين من العلماء، ورجال الفكر والأدب من المسلمين وغيرهم تجاه الدعوة وصاحبها، ومن ذلك ما ذكره الشيخ أحمد بن حجر آل أبوطامي، حيث أورد نصوصاً ونقولاً عن اثنين وأربعين رجلاً^(١) من رجال العلم والفكر والأدب من المسلمين وغير المسلمين في مختلف أنحاء العالم، وقد اتفقوا جميعاً -من غير تواطؤ بينهم أو تواعد- على حقيقة واقعية، رأوها جميعاً على اختلاف وجهاتهم، وهي أن عقيدة الإمام ومنهجه هو ما يقتضيه الإسلام الخالص الذي أتى به رسول الهدى ﷺ، وأن أعداء عقيدة الإمام -رحمه الله- هم أعداء الإسلام في الحقيقة، وقد كان لثل هذه الشهادات المنصفة دور كبير في التعريف بالدعوة بين أولئك الذين يثقون بهؤلاء العلماء والمفكرين في شتى بقاع العالم الإسلامي، كما كان لتلك الشهادات أثر في لفت الانتباه إلى دعوة الإمام، والتشجيع على تتبع آثاره، ومؤلفاته، ورسائله، والتأثر بها.

(١) انظر : أحمد بن حجر آل أبوطامي ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته

الإصلاحية، [مرجع سابق] (ص ٨٠-١٢١) .

المطلب الثاني:

معوقات تأثير رسائل الإمام رحمه الله

رغم أن هناك عوامل ساعدت على قوة تأثير رسائل الإمام -رحمه الله- إلا أن هناك عوامل أخرى كانت سبباً في الحد من تأثير الرسائل، وتقليص ثمراتها، ومن تلك العوامل:

١- دور الخصوم في التحذير من دعوة الإمام ومن مضامين رسائله:

حرص خصوم الدعوة -على اختلاف وجهاتهم- على تشويه مبادئ دعوة الإمام -رحمه الله- والتحذير منها، ووصم الدعوة وصاحبها بأبشع التهم، وكتابة الرسائل والمؤلفات المشحونة بأنواع التهم والمفتريات التي ألصقوها بالإمام ودعوته، وقد كانت تلك الرسائل والمؤلفات أحياناً تسبق رسائل الإمام ورسله إلى بعض المناطق، فتحول دون قبول المدعوين لها، أو يجعلهم -على أقل تقدير- يترددون في قبولها والتأثر بها.

وقد ذكر ابن غنم أن من بين من قاموا بهذا الدور: سليمان بن سحيم وأباه، والمويس وابن إسماعيل؛ حيث سافر الأخير إلى الحجاز، وتمكن من تشويه حقيقة دعوة الإمام، مما عرقل وصول دعوة الإمام في تلك المناطق، وحال نوعاً ما دون قبول رسائله، وسبب لأتباع الإمام الكثير من المتاعب^(١).

(١) أوجر الخصوم صدور الأشراف على الدعوة وأتباعها، الأمر الذي دفعهم إلى منع أنصار الدعوة من الحج عدة سنوات، بل وسجن حجاجهم عام ١١٦٢هـ حتى مات بعضهم في السجن، انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٢٣/١) وانظر: د. عبد الله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق] (ص ٧٥).

أما سليمان بن سحيم، فقد ذكر ابن غنام أنه بعث الرسائل المليئة بالتأليب والافتراء على الإمام إلى (علماء الحسا والبصرة والحرمين فقاموا معه فوراً بالإنكار، وأفتوا للحكام والسلاطين والأشرار بأن القائم بدعوة التوحيد.... خارجي ليس له في الحق تثبت ولا قران)^(١).

٢- طبيعة وسيلة المراسلة:

رغم أن وسيلة المراسلة تُعد من الوسائل الدعوية الناجحة المؤثرة؛ إلا أنها إذا قورنت مع بعض الوسائل الأخرى المعتمدة على اللقاء المباشر، فإنها تبقى محدودة الأثر، وربما لا تفي بكل ما يحتاجه الداعية وما يصبو إليه.

وقد أدرك الإمام -رحمه الله- ذلك، وأشار إلى أن هذه الوسيلة (لا تغني عن التلقي المباشر، والتفرغ الكامل أو الجزئي للتعلم)^(٢)، ويظهر ذلك جلياً في رسالته -رحمه الله- إلى محمد بن عباد مطوع ثرمداء، فرغم أن الإمام قد حرص على الشرح والتفصيل في هذه الرسالة إلا أنه في نهاية الرسالة بيّن أن هذه الوسيلة لا يمكنها أن تفي بالغرض، ودعا محمد بن عباد إلى اللقاء المباشر، بأن يأتي لزيارته، ويمكنه عنده مدة من الزمن، خاصة وأن الإمام شعر أن هناك جوانب أخرى يجهلها المدعو، ويحتاج إلى بيانها وتعلمها،

(١) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٣١/١).

(٢) بحث للأستاذ: عبدالرحمن العريبي بعنوان: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ضمن بحوث سلسلة: من أعلام التربية العربية الإسلامية، [الرياض - مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج -

وإتاحة الفرصة له للسؤال عنها، والمناقشة في تفاصيلها، وذلك مما تقصر وسيلة المراسلة عن تليته، وفي ذلك يقول الإمام محمد بن عباد في خاتمة رسالته له: (..ولكن أشير عليك بعزيمة أنك تواصلنا وتذاكر معك، وكذلك أيضاً من جهة البدع قيل لي: إنك تقول فيها شيء ما يقوله الذي هو عارف مسألة البدع، وصلى الله وسلم على محمد وآله وسلم)^(١).

كما أشار الإمام -رحمه الله- إلى هذا القصور، ودعا إلى اللقاء المباشر في رسالته إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب، حيث قال: (.. وألزم أن عبد الوهاب يزورنا، سواء كان يومين وإلا ثلاثة، وإن كان أكثر يصير قطعاً لهذه الفتنة ويخاطبني وأخاطبه من الرأس)^(٢)، ولعل من أوضح الدلائل على إدراك الإمام لقصور هذه الوسيلة؛ عدم اعتماده الكامل عليها وحرصه على استخدام كافة الوسائل الدعوية المتاحة في ذلك العصر^(٣).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١/٥) .

(٢) المرجع السابق ، (٣١٥/٥) .

(٣) وهذا من حكمته -رحمه الله- ومن أسباب نجاح دعوته ، وقد شهد العصر الحاضر تجارب دعوية أخرى أكثر الاعتماد على هذه الوسيلة وقصرت في الوسائل الأخرى ، فلم تنل دعواتهم حظها من القبول والنجاح ؛ لأن (اتخاذ الكتيبات والرسائل أستاذاً للتربية والتوجيه خطأ قد يوصل إلى الانحراف ما لم يكن مع الكتب والرسائل من يحدّد مفاهيمها ، ويوضح العبارات التي قد تحتمل التأويل فيها) بدروسه وخطبه ودعوته وسيرته وسمعته هو وأتباعه . انظر : تعليقا على دعوة الشيخ سعيد النورسي الملقب (بديع الزمان) (ت ١٣٧٩هـ) في تركيا، د. محمد السيد الوكيل، استمرارية الدعوة، نماذج من الدعاة من القرن السابع إلى القرن الرابع عشر، [جدة - دار المجتمع للنشر والتوزيع - ط الأولى ١٤١٤هـ] (ص ٤٢٦ - ٤٢٨).

٣- غلبة الأهواء والمصالح الشخصية:

رغم يقين كثير من المدعويين بصحة ما يدعو إليه الإمام، وسلامة المبادئ التي تضمنتها رسائله؛ إلا أن غلبة الأهواء، والمصالح الشخصية، والخوف من فوات بعض الحظوظ الدنيوية كل ذلك قد وقف حاجزاً منيعاً يمنع تلك الفئة من التأثر برسائل الإمام والاستجابة لمضامينها وما دعت إليه.

وقد كشف الإمام - رحمه الله - هذه الحقيقة، وواجه بها أحد المدعويين^(١) الذين لم يتأثروا برسائل الإمام، ولم يستجيبوا لدعوته، فقال له: (... والشبهة التي دخلت عليك: هذه البضيعة التي في يدك تخاف تغدي أنت وعيالك إذا تركت بلد المشركين وشاكّ في رزق الله)^(٢).

ولذلك فإن كثيراً من السلاطين والعلماء قد سارعوا إلى معاداة الإمام ودعوته، لا شكاً في صحتها وسلامة منهجها؛ بل خوفاً على مناصبهم وجاههم، كما أن (أدعياء العلم رأوا أنهم إن اتبعوا الإمام، انحط مقامهم وصغر شأنهم عند العامة، إلى غير ذلك مما أملاه عليهم الشيطان، وقادهم إليه الهوى وحب الرياسة)^(٣)، مما دفعهم إلى معاداة الإمام، وعدم التأثر برسائله، بل وتحذير الناس منها ومن كاتبها، وما تضمنته من المبادئ.

(١) هو أحمد بن عبدالكريم الأحسائي .

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢١٦/٥) .

(٣) أحمد بن حجر آل أبو طامي ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته

الإصلاحية ، [مرجع سابق] (ص٤٧) .

وكذلك تكرر هذا الموقف من عامة الناس، فإن الأكثرين منهم -سواءً من أهل نجد أو سائر الأقطار- كانوا قد انغمسوا في حمأة الرذائل، والبدع، والخرافات، والأوهام التي ورثوها عن آبائهم، فتربى عليها الصغير، وهرم عليها الكبير، ولما دعاهم الإمام إلى التوحيد الخالص، ونبذ الشرك ووسائله؛ رأوا بفساد فكرهم أن فيما يدعو إليه الإمام تهجيناً لآرائهم، وتسفيهاً لأحلامهم، ونسبتهم إلى الجهل، والإزراء بآبائهم، مما دفعهم إلى معاداة الإمام، وعدم التأثر برسائله.

المطلب الثالث

بعض آثار رسائل الإمام رحمه الله

سبقنا الإشارة إلى أنه من العسير أن يجزم الباحث في دعوة الإمام أن نتيجة ما من نتائج تلك الدعوة المباركة كانت أثراً لوسيلة المراسلة وحدها، دون أن تسهم معها أي وسيلة أخرى من الوسائل التي استخدمها الإمام في إحداث هذا الأثر، ولكن لعل من الممكن الترجيح بأن بعض الآثار قد تسببت فيها وسيلة المراسلة بشكل رئيس ومباشر، دون إنكار لدور بقية الوسائل الأخرى التي استخدمها الإمام في دعوته.

ومن هذا المنطلق، لعله من الممكن أن يتم تناول هذا المطلب على النحو

التالي:

المسألة الأولى : الآثار المباشرة لرسائل الإمام رحمه الله

تشير بعض المصادر إلى أن أحداثاً معينة كانت نتيجة مباشرة أو شبه مباشرة لإحدى رسائل الإمام -رحمه الله- ولعل من المناسب الإشارة إلى بعضها، فمنها:

١- استجابة بعض المدعوين وتأييدهم للدعوة:

نتج عن بعض رسائل الإمام ما كان يرحوه ويؤمله -رحمه الله- من استجابة بعض المدعوين للدعوة، وتأييدهم لها، ومن هؤلاء المدعوين:

أ- الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود:

تلمذ على الإمام -رحمه الله- عدد كبير من الناس، وكان هذا التلميذ يتم بالتلقي المباشر عن الإمام، كما كان يتم أيضاً بوسيلة المراسلة، بأن يقوم

أحد المدعويين مثلاً بسؤال الإمام عن تفسير آية، أو شرح حديث، أو التحقيق في مسألة علمية، عقدية كانت أو فقهية، وذلك بوسيلة المراسلة، وأحياناً يقوم الإمام بنفسه بتوجيه بعض هذه الفوائد العلمية ابتداءً إلى المدعو والمتعلم.

وقد كان من أبرز من تلقوا العلم، وتفقهوا في الدين على الإمام بالمراسلة إلى جانب التلقي المباشر: الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود، وكان ذلك قبل رحيل الإمام إلى الدرعية، حيث كان هذا الأمير يرسل الإمام في العيينة، والأمير (لا يزال صغير السن قد ناهز الاحتلام)^(١). ومن أبرز مراسلاته في تلك الفترة؛ رسالته التي يطلب فيها تفسير سورة الفاتحة، حيث أرسل له الإمام رسالة ضمّنها تفسيراً شاملاً لهذه السورة^(٢)، ويبدو أن الإمام -رحمه الله- قد حرص على جذب هذا الأمير إلى دعوته وهي ما زالت في العيينة، كما أنه ربما كان يتوقع مستقبلاً سياسياً جيداً لهذا الأمير.

ب- ثيان ومشاري شقيقا الأمير محمد بن سعود:

تذكر المصادر التي كتبت عن سيرة الإمام -رحمه الله- أن دعوته كانت قد لقيت قبولاً كبيراً بين شخصيات مهمة في الدرعية قبل أن ينتقل إليها من العيينة، ومن بين تلك الشخصيات: ثيان ومشاري شقيقا الأمير محمد بن سعود^(٣).

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٢٢/١) وانظر: بحث الأستاذ: عبدالرحمن العريبي، ضمن بحوث من أعلام التربية العربية الإسلامية، [مرجع سابق] (٢١٠/٤).

(٢) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٢٢٢/١ - ٢٢٧).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٢٢٢، ٣١/١) ود. عبدالله العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق] (ص ٦٠).

ومن المرجح أنهما كانا ممن تتلمذ على الإمام بالمراسلة والمشافهة أيضاً، حيث إن ثنيان سبق أن أرسل رسالة إلى الإمام -رحمه الله- يسأله فيها عن بعض المسائل في العقيدة، فأجابه الإمام برسالة مختصرة، شرح له فيها هذه المسائل، وقد تضمنت هذه الرسالة بعض الإشارات الدالة على كثرة اتصال الإمام بثنيان، سواءً بالمراسلة أو المقابلة المباشرة، كقوله: (... فهذا مصداق كلامي لكم مراراً عديدة، أن الفهم الذي يقع في القلب غير فهم اللسان)^(١). كما أن في الرسالة ما يشير إلى أنها كتبت بعد تأليف الإمام كتاب التوحيد، وأن ثنيان بن سعود ربما كان قد درس هذا الكتاب وعرفه، بدليل إحالة الإمام له على هذا الكتاب بقوله: (... وأن هذه المسألة من أكثر ما يكون تكراراً عليكم، وهي التي بُوبَ لها الباب الثاني^(٢) في كتاب التوحيد)^(٣). ويبدو أن مثل هذه المراسلات آتت أكلها في وقت مبكر؛ فقد انضم ثنيان ومشاري إلى ركب الدعوة منذ أن كان الإمام في العيينة، وشاركاه في إزالة مظاهر الشرك فيها، وقاما بقطع شجرة قريوة وغيرها من معالم الضلال^(٤).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٦٢/٥).

(٢) هو باب : من حقق التوحيد دخل الجنة ، والشاهد أنه لا يكفي مجرد النطق بالشهادة باللسان دون فهم القلب وتحقيقه لمعنى الشهادة بترك الشرك ، انظر : كتاب التوحيد مجموع مؤلفات الشيخ، (١٥/١).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٦٢/٥).

(٤) انظر : حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٣١/١).

وما زالت رسائل الإمام تؤتي ثمارها تعليماً وتفقيهاً لثنيان بن سعود، حيث أرسل الإمام له ولأحمد بن سويلم رسالة أخرى حول آداب الاحتساب، والتحذير من الغلو في الإنكار حين علم أن هناك من أنكر على عبد المحسن الشريف تقبيل الناس يده، ولبسه العمامة الخضراء^(١)، فوضح لهم الإمام في هذه الرسالة الحكم الشرعي في ذلك.

ولا شك أن لهذه الرسالة أثرها البالغ في زيادة علم ثنيان وفقهه بأمور الشرع.

ج- أفراد من آل سويلم:

من تأثر بدعوة الإمام ورسائله، وانضم إلى أنصار الدعوة؛ بعض الأفراد من أسرة آل سويلم، وكانوا قد انضموا للدعوة قبل هجرة الإمام إلى الدرعية، ومن رسائل الإمام إلى أفراد هذه الأسرة: رسالته إلى أحمد بن محمد بن سويلم في آداب الاحتساب والتحذير من الغلو^(٢)، ورسالته إلى عبد الله بن عبدالرحمن بن سويلم حين غضب على ابن عمه أحمد بن سويلم في شدته على المنافقين^(٣)، ورسالته إلى أحمد بن سويلم وعيسى بن قاسم في تكفير الطواغيت، والفرق بين بلوغ الحجة وفهم الحجة^(٤).

ولاشك أن هذه الرسائل ومثيلاتها كان لها أثر في توجيه هؤلاء الأشخاص وتعليمهم وتفقيهم في أمور دينهم.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٨٤/٥).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) المرجع السابق، (٢٨٨/٥).

(٤) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١٨٢/١).

د- الشيخ علي السويدي^(١) (أحد علماء العراق):

كان هذا العالم من العلماء الذين تأثروا بدعوة الإمام ورسائله، ويبدو أن هذا العالم كان على صلة بعبد الرحمن بن عبد الله السويدي الذي كانت بينه وبين الإمام بعض المراسلات، وربما يكون الإمام قد أرسل رسالة خاصة إلى علي هذا. وبالجمل، فإن هناك شواهد تدل على تأثره بالدعوة، حيث أنه سارع بدعوة والي بغداد سليمان باشا الصغير إلى الالتزام بهذه الدعوة^(٢)، كما ظهرت آثار هذه الدعوة على منهجه - رحمه الله - حيث وصفه العزاوي بأنه (عالم دعا إلى اتباع الحديث، وهذا عين مذهب السلف)^(٣).

هـ- عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن (مطوع الدرعية)^(٤):

صرّح مطوع الدرعية عبد الله بن عيسى بتأثره المباشر بدعوة الإمام ورسائله، وعلّق على رسالة الإمام إلى أهل الرياض ومنفوحة بعبارات تدل

(١) هو علي بن محمد بن سعيد بن عبد الله السويدي البغدادي العباسي، محدث، مؤرخ، نسابه، أديب، ولد في بغداد، وتوفي بدمشق سنة ١٢٣٧هـ، له عدة تصانيف، من أشهرها (العقد الثمين في بيان مسائل الدين)، وتاريخ بغداد. انظر: الزركلي، الأعلام، [مرجع سابق] (١٧/٥).

(٢) انظر: خليل مردم بك، أعيان القرن الثالث عشر، [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط الثانية - ١٩٧٧م] (ص ١٦٥).

(٣) عباس العزاوي، ذكرى أبي الفناء الألويسي، [مرجع سابق] (ص ٣٧).

(٤) سبقت ترجمته.

على شدة تأثيره، ومنها قوله: (ولولا ضيق هذه الكراسة، وأن الشيخ محمداً أجاد وأفاد بما أسلفه من الكلام فيها، لأطلنا الكلام، يعني غربة الدين)^(١).
ثم قوله: (فقد مضى أكثر حياتي، ولم أعرف من أنواعه -يعني الشرك- ما أعرفه اليوم، فله الحمد على ما علمنا من دينه)^(٢).

وقوله في نهاية التعليق: (فإن قال جاهل: أرى عبداً لله توّه يتكلم في هذا الأمر، فيعلم أنه إنما تبين لي الآن وجوب الجهاد في ذلك عليّ وعلى غيري، لقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ إلى أن قال: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ١٧٨]^(٣).

و- بعض أهل القصيم:

علم الإمام -رحمه الله- أن سليمان بن سحيم قد أرسل رسالة إلى أهل القصيم أثار فيها بعض القضايا ضد الدعوة، فطلب أهل القصيم -على إثر ذلك- أن يرسل لهم الإمام رسالةً يوضح فيها مبدأه وعقيدته التي يدعو إليها، فكتب الإمام -رحمه الله- رسالة إلى أهل القصيم^(٤)، وضح فيها عقيدته، وبيّن أنها عقيدة أهل السنة والجماعة، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، كما أكد أن

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية ١٩٣/٥).

(٢) المرجع السابق، (١٩٣/٥).

(٣) المرجع السابق (١٩٣/٥).

(٤) انظر نص الرسالة : مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية ٨/٥ - ١٣).

ابن سحيم قد افترى عليه في كثير من القضايا التي أثارها.
يقول الأستاذ عبد الرحمن العريبي: (ومن المعتقد أن هذه الرسالة قد تركت
بعض الأثر لدى بعض أهل القصيم، الذين أيدوا الدعوة فيما بعد)^(١).
وليس الهدف هنا الحصر، وتعداد كل الرسائل، وأثر كل رسالة، فهذا
متعذر، وإنما المقصود الإشارة إلى بعض الآثار التي ورد ما يدل على أنها
كانت سبباً مباشراً لإحدى رسائل الإمام.
وبالجمل، فإن من المرجح أن معظم رسائل الإمام -رحمه الله- كانت
تترك أثراً فيمن أرسلت إليهم من المدعويين، مع تفاوت في هذا الأثر، وإن لم
ينصّ المؤرخون على ذلك.

فمن المدعويين من تسببت الرسالة -بعد توفيق الله- في هدايته إلى عقيدة
التوحيد، ومنهم من زادته علماً وفقهاً في الدين، ومنهم من شككته الرسالة
-على أقل تقدير- في منهجه الباطل، ودفعته إلى إعادة النظر فيه، والعودة إلى
النصوص وكتب أهل العلم لتأييد منهجه. ولا يخفى ما ينطوي عليه هذا
الموقف من الآثار الإيجابية على هذا المدعو، ولو على المدى البعيد.

٢- تهيئة البيئة المناسبة للهجرة للدرعية:

لقد كان لمراسلات الإمام -رحمه الله- مع الشخصيات المهمة في

(١) انظر بحث الأستاذ عبد الرحمن العريبي ضمن بحوث: من أعلام الزبية العربية الإسلامية،

[مرجع سابق] [٤/٢١١].

الدرعية أثر واضح في تهيئة البيئة المناسبة، وتكوين الأنصار في هذه البلدة قبل الهجرة إليها^(١).

وسبقت الإشارة إلى أن الإمام - رحمه الله - كانت له مراسلات مع شخصيات مهمة في الدرعية، مثل عبد العزيز بن محمد بن سعود، وثنيان ابن سعود وآل سويلم^(٢)، مما سهل مهمة التقريب بين الإمام - رحمه الله - والأمير محمد بن سعود، وكان ذلك - بعد توفيق الله - سبباً في حصول اتفاق الدرعية سنة ١١٥٧هـ^(٣).

(١) انظر : د . عبدالله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ، [مرجع سابق] (ص ٦٠) .

(٢) تذكر المصادر أن الإمام حين هاجر للدرعية، نزل في بيت محمد بن سويلم ، ولكن انفرد ابن بشر بذكر خوف محمد بن سويلم، وزيارة بعض كبار أهل البلدة للإمام سرّاً، وإخبارهم زوجة الأمير بالقضية لتتقنع الأمير بأن يحسن استقبال الإمام ، إلا أن الدكتور منير العجلاني يضعف هذه الرواية، ويستبعد أن يصل شخص في شهرة الإمام إلى الدرعية دون علم أميرها، وأن يزار فيها سرّاً دون معرفته، ويؤكد أن أمير الدرعية كان على علم تام بهذه الهجرة، بل إن العجلاني يرجح أن يكون انتقال الإمام إلى الدرعية إنما هو بدعوة من أميرها محمد بن سعود، ثم يذكر العجلاني بعض الروايات التي تؤيد ذلك من مصادر أخرى غير ابن بشر، انظر: ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١/١١) . ومنير العجلاني ، تاريخ البلاد العربية السعودية ، (١/٩٠ - ٩١) . وعبدالله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ، [مرجع سابق] (ص ٦١) .

(٣) انظر : حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام ، [مرجع سابق] (٨/٢) وعثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد ، [مرجع سابق] (١٢/١) .

٣- تحسين علاقة الدولة السعودية الأولى بأشراف مكة:

ذكر حسين بن غنام أن الشريف أحمد بن سعيد طلب من قادة الدرعية أن يرسلوا عالماً من علمائهم إلى مكة، ليشرح حقيقة ما يدعون إليه، وكان ذلك سنة ١١٨٥هـ، فما كان من الإمام والأمير إلا أن بعثا العالم عبد العزيز الحصين ومعه رسالة رقيقة من الإمام محمد إلى الشريف، كان لها - مع ما أوضحه الشيخ الحصين لعلماء مكة - أعظم الأثر في تحسين علاقة الدولة السعودية الأولى بالأشراف في تلك الفترة^(١).

٤- تهيئة الجو المناسب لمناظرة علماء مكة:

عندما طلب الشريف أحمد من قادة الدرعية أن يرسلوا عالماً يشرح حقيقة الدعوة لعلماء مكة ويناقشهم^(٢) كان الإمام - رحمه الله - يدرك أن الوضع في مكة لم يكن ملائماً للوصول إلى نتائج حسنة عند مناظرة علمائها، بسبب تمكن بعض النجديين المعارضين لدعوة الإمام من تشويه حقيقة هذه الدعوة في الحجاز^(٣)، مما يجعل من المنتظر أن لا يُمكن الشيخ الحصين من تجلية حقيقة الدعوة، وربما تصبح مناظرته مع علماء مكة جديلاً عقيماً لا ثمره له، إلا أن

(١) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٨٠/٢ - ٨١). وعبد الله

العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق] (ص ٧٦).

(٢) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٨٠/٢).

(٣) انظر: المرجع السابق، (١/٣١، ١٦٠، ١٦١) وممن قام بهذا الدور: سليمان بن سحيم

والمويس وابن إسماعيل.

الإمام - رحمه الله - تفادى مثل هذه النتيجة، فأرسل مع الشيخ الحصين رسالة رقيقة إلى الشريف أحمد، ضمّنها بعض عبارات التبجيل والثناء، وذكر فيها بعض الإجراءات التي ينبغي أن يتخذها الشريف؛ ليضمن الوصول إلى نتائج جيدة من مناظرة الحصين مع علماء مكة، ومن ذلك:

- أن تتم المناظرة في مجلس الشريف، ويشهدها بنفسه فلا يتمكن أحد الطرفين من التهرب أو المكابرة.

- ومنها أن يُحضّر الشريف كتب علماء مكة وكتب الحنابلة؛ ليضمن عدم التحريف عند النقل الشفهي عن هذه الكتب.

- ومنها أن يحرص الجميع على الإخلاص لله تعالى، ونبذ المكابرة أو الرياء، وأن يقصدوا بعلمهم وجه الله ونصر رسوله ﷺ^(١).

وقد حصل الأثر المطلوب من هذه الرسالة؛ فقد تمت المناظرة - على ما يبدو - وفق ما ذكر الإمام من ضوابط، أو قريباً من ذلك على أقل تقدير^(٢)، مما ساعد الشيخ الحصين ومكّنه من تجلّية حقيقة الدعوة للشريف وعلماء مكة، فكان الشيخ الحصين موضع تقدير واحترام، وبعد أن أنهى مهمته انصرف - كما ذكر ابن غنام - (مبجلاً مكرماً)^(٣).

(١) انظر نص الرسالة في: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣١٢/٥).

(٢) ذكر ابن غنام أن المناظرة تمت بالفعل بحضرة الشريف وأنهم أحضروا كتب الإقناع من كتب الحنابلة، ولما رأوا عبارته اقتنعوا وشهدوا أن هذا دين الله، انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٨١/٢).

(٣) انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٨١/٢).

٥- تعليم الناس وتفقيهم بأمور دينهم:

رغم كثرة الوافدين على الإمام في الدرعية الذين وفدوا ليتلمذوا على يديه، وينهلوا من علمه^(١)، إلا أنه من الواضح أنه من غير الممكن أن يتسنى لكل أهل البلاد -أدناها وأقصاها- أن يقدوا للدرعية لهذا الغرض، ولو وفدوا لضاقت بهم، ولما تمكن الإمام من تعليم هذا العدد الهائل من الناس كبيرهم وصغيرهم، وذكرهم وأثاثهم، ومن هذا المنطلق طلب الأمير عبدالعزيز من الإمام محمد -رحمه الله- أن يكتب رسالة^(٢) موجزة فيما لا يسع المسلم جهله من أصول الإيمان وأمور الدين، فكتب الإمام -رحمه الله- رسالة موجزة في أصول الإسلام، ليتعلمها الناس، تضمنت أهم مسائل الدين؛ مثل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه ﷺ، وقد كتبها بصيغ مختلفة مطولة ومختصرة، وباللغة العربية الفصحى والعامية، على حسب طبقات الناس^(٣).

ثم أخذ الأمير عبدالعزيز هذه الرسالة، وأمر بنسخها عدة نسخ، وأرسلها إلى جميع النواحي، وأمر الناس أن يتعلموها في المساجد على يد أئمتها وطلبة

(١) انظر: المرجع السابق، (٤/٢).

(٢) هذه الرسالة تدخل ضمن (الرسائل الشخصية) لأنها إنما وجهت إلى فئة معينة من الناس هم (العامة) في حين أرسلت رسائل أخرى إلى (علماء الإسلام) ورسائل إلى بعض الأمراء، وقد سبقت الإشارة إلى أن هذه الرسالة اعتنى بها العلماء أخيراً وصنفوها ضمن رسائل الإمام العلمية، فهي إذا رسالة شخصية وعلمية في آن واحد.

(٣) انظر: د. صالح العبود، رسالة دكتوراه بعنوان: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، [مرجع سابق] (ص ٥١٦). وانظر هذه الرسالة، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السننية، [مرجع سابق] (٨٧/١).

العلم فيها، وأن يعملوا بها جميعاً بدون استثناء، فصاروا يسألون الناس في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشائين عما تضمنته هذه الرسالة من أصول الدين ومسائل المهمة^(١).

وما زالت هذه السنة الحسنة سائرة حتى عهد قريب في هذه الدولة السعودية الثالثة في حياة سماحة مفتي عام المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الذي توفي - رحمه الله - عام ١٣٨٩هـ^(٢).

وقد كان لهذه الرسالة ومثيلاتها أثرٌ عظيم في تربية الناس على عقيدة التوحيد، وأخلاق الإسلام وآدابه، ونبذ الشرك وسنن الجاهلية، ومن ثم ظهر أثر هذه التربية على الحالة الأمنية والاقتصادية، فعمّ الأمن ورغد العيش بعد الخوف والفاقة، قال ابن بشر في وصف ذلك: (.واستبشرت بهم الحرمان الشريفان، لما أزالوا عنهما من الطغيان والبناء على القبور والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان.. وسارت الظعينة إليها من العراق والشام واليمن والبحرين والبصرة وما حولهم وما دونهم، لا تخشى إلا الله الواحد المنان، وبطلت في زمانهم جوائز الأعراب على الدروب، فلا يتجاسر أحد من سراقهم وفسقتهم -فضلاً عن رؤسائهم- أن يأخذ عقلاً فما فوقه من الأثمان، فسموها الأعراب سنين الكمام؛ لأنهم كُمّ عليهم عن جميع المظالم الصغار والجسام، فلا يلقي بعضهم بعضاً في المفازات المخوفات إلا بالسلام

(١) انظر: جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] (١/٨٧).

(٢) انظر: جمع محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، [مكة المكرمة - مطبعة الحكومة بمكة المكرمة - ط الأولى ١٣٩٩هـ] (١/٢٣).

عليكم وعليكم السلام، والرجل يأكل ويجلس مع قاتل أبيه وأخيه كالإخوان، وزالت سنن الجاهلية، وزال البغي والعدوان ... وعمروا المساجد بالصلوات والدروس والأذكار ...^(١).

٦- دفع العلماء ومدّعي العلم إلى البحث والتأليف:

كانت بعض رسائل الإمام سبباً في قيام بعض الخصوم بتأليف بعض الكتب لمناقشتها والرد عليها، وكتب أخرى لتأييدها ومناصرتها.

ومن ذلك ما كتبه الإمام - رحمه الله - حول مسألة الوقف الجائر، الذي سماه الإمام وقف الجَنَف، حيث كتب - رحمه الله - رسالة^(٢)، فنَد فيها شبه القائلين بجواز هذا النوع من الوقف^(٣)، وردّ على دعاوهم، وسرد الأدلة والبراهين على عدم جواز هذا النوع من الوقف، ويُن أنه وقف جائر فيه

(١) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٣/١، ٤).

(٢) لا شك أن هذه الرسالة تصنف ضمن رسائل الإمام الشخصية، وقد طبعتها الجامعة ضمن الرسائل الشخصية (الجزء الخامس)، ورغم أن الإمام لم يصدرها باسم المرسل إليه، إلا أن من الواضح أنها كانت موجهة إلى تلك الفئة من الممتنمين إلى العلم، الذين أجازوا وقف الجنف، حيث تتبّع الإمام الشبهات التي طرحوها وساقها كما ذكروها، ثم ردّ عليها، وفيها عبارات تدل على أنها موجهة إلى فئة بعينها، مثل قوله: (فإذا كان عندكم بين المسألتين فرق فينبوه) ... وغيرها من العبارات.

(٣) هذا الوقف من الأوقاف التي شاع استعمالها في زمن الإمام - رحمه الله - حيث يوقف الرجل على البنين دون البنات وعلى أولاد الظهور دون أولاد البطون ونحو ذلك، وقد قرر الإمام بالأدلة الشرعية فساد هذا النوع من الوقف، انظر: حاشية بكر أبو زيد ود. عبدالرحمن العنيمين على السحب الوايلة، لابن حميد [مرجع سابق] (٥٤٣/٢).

تحايل على القسمة الشرعية، التي شرعها الله سبحانه وتعالى، وحدد لها لعباده في الإرث^(١).

ويبدو أن هذه الرسالة كان لها أثر كبير في ذلك الوقت، حيث دفعت خصوم الإمام إلى البحث في هذا الموضوع، وكتابة الرسائل والمؤلفات فيه، ومن ذلك ما فعله عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عدوان^(٢)، حيث ألّف رسالة في الوقف نحو ثمان كراسات من القطع الصغير، ردّ بها على الإمام محمد ابن عبد الوهاب^(٣) في هذه المسألة.

كما أن رسالة الإمام - رحمه الله - التي أرسلها إلى أهل البصرة عام ١١٥٥ هـ^(٤) بعنوان: (كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله وبيان التوحيد)^(٥)، كانت سبباً في تأليف القباني لكتابه الأول (فصل الخطاب في رد

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٧٨/٥).

(٢) ولد ابن عدوان هذا في قرية وثنية بالوشم، وقرأ على محمد بن فيروز ووالده في عدة علوم، وله نظم وعدة رسائل، وتوفي بعد رجوعه من المدينة عند واد يقال له العظيم سنة ١١٧٩ هـ، انظر: ابن بسام، علماء نجد خلال ستة قرون، [مرجع سابق] (٤٧٤/٢).

(٣) انظر المرجعين السابقين.

(٤) عباس العزاوي، ذكرى أبي الثناء الألويسي، [مرجع سابق] (ص ٣٧) وانظر: المؤلف نفسه، تاريخ العراق بين احتلالين، [مرجع سابق] (٣٣٦/٦)، حيث تحدث في حوادث عام ١١٥٥ هـ عن الإمام محمد بن عبد الوهاب وعن (كتاب أرسله إلى البصرة فرد عليه أحد علماء البصرة الشيخ أحمد بن علي القباني البصري في شوال منها).

(٥) جمع عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، [مرجع سابق] (٢٣-١٥/٤).

ضلالات ابن عبد الوهاب^(١)، حيث صرّح القباني بسبب تأليفه للكتاب، (وأشار في مقدمة هذا الكتاب ق ٣، ٤ أن ابن عبد الوهاب أرسل رسالة إليهم يدعوهم لعبادة الله وحده)^(٢).

وكذلك رسالة الإمام إلى أهل الرياض ومنفوحة^(٣)، كان من آثارها أن دوّن سليمان بن سحيم (مطوع الرياض) رسالة وجهها - كما يذكر ابن غنام - إلى أهل البصرة والأحساء^(٤)، حيث شحنها بأنواع التهم والافتراءات، وضمنها بعض المقاطع المحرّفة من رسالة الإمام المذكورة^(٥)، وطالب علماء تلك البلاد بالردّ على الإمام، فما كان من القباني إلا أن كتب كتاباً آخر استجابةً لطلب ابن سحيم سماه (كشف الحجاب في ردّ ضلالات ابن عبد الوهاب) وهذا الكتاب - كما قال القباني - هو اختصار لكتابه السابق وزيادة عليه^(٦).

(١) وقد جزم د. عبد الله العثيمين أن هذه الرسالة هي التي كانت سبباً في تأليف القباني لكتابه هذا، انظر: د. عبد الله العثيمين، محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، [مرجع سابق] (ص ٩١).

(٢) د. عبدالعزيز عبداللطيف، دعاوى المناوئين، [مرجع سابق] (ص ٤٤).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/١٨٦).

(٤) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/١١٢).

(٥) انظر رسالة ابن سحيم، حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام [مرجع سابق] (١/١١٢) وقارن برسالة الإمام، مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/١٨٦).

(٦) انظر: د. عبدالعزيز عبداللطيف، دعاوى المناوئين، [مرجع سابق] (ص ٤٤) الحاشية.

المسألة الثانية : الآثار غير المباشرة لرسائل الإمام رحمه الله

يقصد بالآثار غير المباشرة لرسائل الإمام -رحمه الله- في هذا المطلب: كل ما نتج عن الأفكار والمضامين التي نادى بها الإمام -رحمه الله- في رسائله، وفصلها وشرحها في باقي مؤلفاته، إضافة إلى دروسه وخطبه وجهاده وبقية وسائله الدعوية، ويدخل في ذلك بعض الآثار التي ربما لم تطرأ في ذهن الإمام حال كتابته لتلك الرسائل، وربما لم يتوقع حدوثها بهذه الصورة.

ومن هذا المنظور يمكن إذاً أن يقال: إن الرسائل الشخصية للإمام -رحمه الله- قد أسهمت بمضامينها وأفكارها -إلى جانب بقية الوسائل التي استخدمها الإمام- في جميع آثار دعوته، سواء داخل الجزيرة أو خارجها، فنتائج الرسائل إذاً وآثارها غير المباشرة بهذا المفهوم هي في الحقيقة آثار دعوة الإمام -رحمه الله- بمفهومها الواسع.

ولقد أفاض الباحثون في الحديث عن أثر دعوة الإمام -رحمه الله- على بلاد المسلمين وعلمائهم، وأثرها على الدعوات والحركات الإصلاحية، وألفت في ذلك العديد من المصنفات والرسائل العلمية، التي بينت آثارها وأصداءها^(١)، مما يعني عن إعادة ذلك وتكراره والتفصيل فيه.

(١) انظر على سبيل المثال: د. صالح العبود، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٢هـ [مرجع سابق] (٢/٦٠٨ - ٩٢٨). ومحمد بن عبد الله السكاكر، الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - ١٣٩٨هـ (ص ٢٠٩، ٢٦٠). و د. عبدالعزيز العبد اللطيف، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] (ص ٢٤ - ٢٩) ومحمد جمعة، انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة، [مرجع سابق] (ص ٦٣ - ٢٣٨) وبحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] (غالب الجزء الثاني).

ولكن قد يكون من المناسب الإشارة هنا باختصار إلى بعض هذه الآثار؛
فمنها:

١- التعريف بدعوة الإمام وتضاعف عدد المعتنقين لها والمؤيدين لمبادئها:
لم يكن أثر رسائل الإمام ودعوته مقتصرًا على من أرسلت إليه الرسالة،
ووجهت له الدعوة، بل حصل من وراء ذلك آثار غير مباشرة، نتج عنها تأثر
الكثيرين بهذه الدعوة ممن بلغه أمر الرسالة، وعرف مضمونها، أو سمع عنها،
ولو لم تكن موجهة إليه بالأصالة.

ولذلك فإن كتب التاريخ تذكر أعداداً كبيرة من أولئك الذين آيدوا
الدعوة، ونصروا الإمام بالقلم واللسان والسنان، دون أن يرد ما يفيد حصول
مراسلة خاصة بينهم وبين الإمام - رحمه الله - بل إن عدداً كبيراً من الأئمة
الأعلام في نجد وغيره من أقاليم الجزيرة العربية قد رحبوا بدعوة الإمام (من
باب الموافقة والتأييد، لا من باب التأثر)^(١)، وذلك مثل بعض علماء اليمن؛
كالإمام محمد ابن إسماعيل الصنعاني شيخ صنعاء اليمن وزبيد، وتلميذه
الإمام الشوكاني - رحمهما الله - وبعض العلماء الذين تتلمذ الإمام على
أيديهم، مثل الشيخ محمد حياة السندي، والشيخ إبراهيم بن سيف في المدينة،
والشيخ محمد المجموعي، ومدرسته السلفية في البصرة، وبعض معاصري الإمام
في نجد، الذين آيدوه، وإن لم يستطيعوا أن يقوموا بما قام به^(٢).

(١) د. عبد الله العجلان، حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث، [مرجع سابق] (ص ١٧١).

(٢) انظر: المرجع السابق، الموضوع نفسه.

كما وافقه بعض علماء العراق والشام ، واجتهدوا في كتابة الردود على من افترى على الدعوة، أو نال من صاحبها، سواءً من معاصري الإمام أو ممن جاءوا بعده^(١). ولا شك أن مثل هذه الجهود يمكن أن تُعدَّ من الآثار غير المباشرة لرسائل الإمام ودعوته.

٢- تبدل الأحوال السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية في مواطن الدعوة:

مهما بلغ طموح الإمام -رحمه الله- فإنه ربما لم يتصور أن يحدث ما حدث في موطن الدعوة من تبدل عظيم في مختلف جوانب الحياة، فقد أحدثت المبادئ والمضامين التي نادى بها رسائل الإمام ومؤلفاته ثورة مباركة، قضت على ما كان شائعاً في المنطقة من الخرافات والبدع ومظاهر الشرك، وأحيت معالم الشريعة بعد اندثارها، ورجع أهل المنطقة إلى التوحيد الخالص من شوائب الشرك، وإلى تحكيم الكتاب والسنة، وإقامة الحدود الشرعية، بعد أن كانوا يحكِّمون العرف والعادة .

وبعد أن كان أهل هذه البقعة يتخبطون في ظلمات الجهل والأمية؛ نشرت فيهم الدعوة علوم الشريعة المطهّرة وآلاتها، من تفسير وحديث وتوحيد وفقه وسير وتاريخ ونحو ... وما إلى ذلك من العلوم.

(١) انظر : أحمد بن عبدالعزيز الحصين ، إمام وأمير ودعوة لكل العصور ، [الطائف - دار الطرفين - ط الأولى ١٤١٤هـ] [ص ١٩٨ - ٢٠٠]. حيث ذكر عدداً من المؤلفات التي كتبت للرد على خصوم الدعوة ، أورد منها أربعة وعشرين كتاباً خمسة عشر عالماً من علماء المسلمين في شتى بقاع الأرض .

وأصبحت الدرعية موئل العلوم والمعارف ، يفتد إليها طلاب العلوم من سائر النواحي من أرجاء نجد واليمن والحجاز والخليج العربي، وانتشر العلم في جميع الطبقات، حتى قال المؤرخون: أصبح الراعي يرعى المواشي في الفيافي ولوح التعليم في عنقه.

وظهر العلماء الراسخون وألقوا الكتب القيّمة في مختلف العلوم ، وانتشر العلم والوعي بين أناس كان قد بلغ بهم الجهل أن اعتقدوا في الأشجار والأحجار والغيران.

وبعد حياة الفرقة والخوف واختلال الأمن ، وحثّت الدعوة كلمتهم، وجمعت شملهم تحت راية واحدة ، وأخضعتهم لسلطان واحد يسوسهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله^(١)، وانتشر الأمن، واستقرت الأحوال، حتى أصبحت الطعينة تفتد إلى الحرمين من العراق والشام واليمن والبحرين والبصرة وما حولهم وما دونهم، لا تخشى إلا الله الواحد المنان^(٢).

وأمنت قوافل الحجيج، وكان العمال إذا جاءوا بالأخماس والزكاة من أقاصي البلاد، يجعلون مزود الدرهم أطناً لخيمتهم، وربطاً لخيولهم بالليل، لا يخشون سارقاً ولا غيره، وكان في الدرعية إبل كثيرة، وهي ضوال الإبل التي

(١) انظر : أحمد بن حجر آل أبو طامي ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته

الإصلاحية ، [مرجع سابق] (ص ٧٥) بتصرف .

(٢) انظر : عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، [مرجع سابق] (٣/١) وانظر مقالاً

للأستاذ فهد بن ناصر الجديد ، بعنوان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتثبيت الأمن

بمفهومه الشامل ، مجلة البيان ، العدد (٧٥) ١٤١٤ هـ (ص ١٥) .

توجد ضائعة في البر والمفازات، فمن وجدها من باد أو حاضر في جميع أقطار الجزيرة، أسرع بها إلى الدرعية، خوفاً أن تعرف عندهم، فيتهموا بها^(١). وكان للدعوة أيضاً أثرها الواضح على الحياة الاقتصادية في المنطقة ... فبعد أن كانوا يعيشون حياة الجوع والفقر والفاقة، فتح الله عليهم أبواب الرزق، فأصبح ما يحمل إلى الدرعية من أموال الزكاة والأخماس، وغير ذلك من السلاح والخيل والعناق والإبل، مما يفرق على أهل النواحي والبلدان وضعفاء البوادي لا يخصيه العدّ.

ورُتبت العطاءات للرعيّة من الوفود، والأمراء، والقضاة، وأهل العلم وطلبته، ومعلمة القرآن، والمؤذنين وأئمة المساجد، حتى أئمة مساجد نخيل البلدان ومؤذنيهم، وكان الرجل إذا مات أعطي أولاده العطاء الجزيل، وكتب لهم راتب في الديوان^(٢).

وبالجملة، فإنه يمكن إيجاز مظاهر هذا التغيير السياسي، والديني، والاجتماعي، والاقتصادي، الذي أحدثته مضامين رسائل الإمام ودعوته بشكل عام على النحو التالي:

أولاً: النتائج الدينية:

- ١- قيام مدرسة علمية إصلاحية ما زالت آثارها موجودة حتى اليوم.
- ٢- تجلية المفاهيم الدينية وتوضيحها للعامة.

(١) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١٢٨/١).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٢٩/١).

- ٣- إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٤- إحياء مبدأ الولاء والبراء.
- ٥- تحرير العقل من الجهل والخرافة والبدع.
- ٦- تحقيق مبدأ القدوة الحسنة في العلماء.
- ٧- بيان فضل الدعوة وبركتها إذا جمعت بين العلم والعمل، والدعوة والصبر، والجهاد والمجاهدة في ذلك، وكيف كان الإمام -رحمه الله- نموذجاً لهذه الدعوة المثمرة.

ثانياً: النتائج الاقتصادية والاجتماعية :

- ١- تحقيق الأمن الاقتصادي الذي ساعد على إثراء المنطقة^(١).
- ٢- الخروج من العزلة الاقتصادية، والاتصال بالموانئ والتجارة الخارجية.
- ٣- إحياء روح الأخوة الإسلامية، والقضاء على النزاعات العصبية والقبلية.
- ٤- تنشيط الحركة العلمية.
- ٥- إحياء روح التكافل الاجتماعي^(٢).

(١) وصف ابن بشر القفزة الاقتصادية الهائلة والحركة التجارية الدائبة التي حدثت في المنطقة، ومن ذلك قوله: (.. ولقد رأيت الدرعية بعد ذلك في زمن سعود -رحمه الله تعالى- وما فيه أهلها من الأموال وكثرة الرجال والسلاح المحلي بالذهب والفضة، الذي لا يوجد مثله، والخيل والخياد، والنحائب العمانيات، والملابس الفاخرة، ما يعجز عن عدّه اللسان، ويكلّ عن حضره الجنان والبنان) انظر بقية الوصف: عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١٣/١ - ١٤).

(٢) تحت كل بند مما ذكر يوجد العديد من الشواهد والنصوص التاريخية المؤكدة له، وتم الإعراض عن ذكرها بغرض الاختصار، وانظر: ما كتبه الدكتور عبد الله العجلان في كتابه (حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث) [مرجع سابق] (ص ١٨١ - ٢٣٦) حيث أفاض في ذكر الشواهد والنصوص التاريخية المؤكدة لما سبق ذكره.

ثالثاً: النتائج السياسية:

- ١- القضاء على محنة التفرق والانقسام.
- ٢- إحياء روح الجهاد في سبيل الله.
- ٣- توحيد نجد وبعض أجزاء الجزيرة العربية في دولة إسلامية واحدة.
- ٤- سياسة البلاد بالدين والشرع.
- ٥- تحقيق الأمن والرخاء.
- ٦- تحقيق القدوة الحسنة في القيادة الإسلامية.
- ٣- اليقظة الفكرية والثورة العلمية وإحياء السنن:

لقد كان للمضامين والمبادئ التي نادى بها رسائل الإمام ومؤلفاته أثرٌ بالغٌ على اليقظة الفكرية في العالم الإسلامي، وذلك بالنشاط العلمي الذي برز من خلال تلك المناقشات، والردود العلمية بين أنصار الدعوة وخصومها، ومحاولة كل فريق دعم أقواله بالأدلة والبراهين العلمية.

ولقد كان لذلك أعظم الأثر في إحداث ثورة علمية وثقافية عارمة بعد الجمود الفكري والتأخر العلمي الذي مُنيَ به العالم الإسلامي فترة من الزمن. كما أن هذه الدعوة قد حملت الناس على أن يعيدوا النظر فيما ألفوه وورثوه عن مشايخهم وأخذوه دون تمحيص، فرجع كثير منهم -بتأثير هذه الدعوة- إلى الينابيع الأولى لعلوم الشريعة، فاستقوا منها؛ مما ضيق دائرة الخلاف، وساعد على تقريب وجهات النظر^(١) والله الحمد والمنة، كما كان

(١) انظر: د. عبدالله الحامد، الشعر في الجزيرة العربية، [مرجع سابق] (ص ٧٣-٧٨).

لذلك أعظم الأثر في إحياء كثير من السنن التي اندرست، وإماتة كثير من البدع المحدثه، التي لم تستطع أن تصمد أمام الدليل والبرهان.

٤- التجديد في الحياة الأدبية:

تجدر الإشارة هنا إلى أثر الدعوة في تجديد الأساليب الأدبية شعراً ونثراً؛ ففي حين كان النثر العلمي والأدبي مبتلىً بالأسجاع الثقيلة والفواصل الطويلة، والسعي الدائب وراء الحلي اللفظية، وتكلف الصنعة؛ نجد أنه بعد هذه الدعوة المباركة بدأ يتسلل إليه ما غلب على رسائل الإمام ومؤلفاته من الأسلوب العلمي المركز، الذي يمتاز بقصر الفواصل، والعفوية والبساطة، وازدحام المعاني، وشيء من التأنق غير المتكلف^(١).

وكذلك الشعر؛ حيث يذكر الدكتور عبد الله الحامد أن (لغة الشعر في ظلال الدعوة أكثر ميلاً للجد وبعداً عن الهزل والترف، وقد نجد فيها جودة، ولكنك لن تجد تأنقاً [متكلفاً]، أو ترفاً لفظياً)^(٢).

ويوضح الحامد بعض السمات التي برزت في أسلوب الشعر في ظلال الدعوة، فيذكر أن منها حرص الشعراء على ديباجة خالية من تكلف الموسيقى الداخلية، عازفة عن تأنق اللفظ، ولم يتيسر لهم الخلوص من كل ألوان الزر كشة، ولكنهم أقلوا منها، حتى إن أكثر ما وجد لديهم منها إنما هو طبيعي يأتي عفواً الخاطر، أو مقصود غير متكلف.

(١) انظر: د. عبد الله الحامد، الشعر في الجزيرة العربية، [مرجع سابق] (ص ٧٣-٧٨).

(٢) المرجع السابق، (ص ١٥٠).

كما اتسمت ألفاظ الشعر بمفردات دالة على طبيعة الدعوة كالإيمان والكفر والجهاد والقرآن والسنة والبدعة والتوحيد والشرك، وحرص الشعراء على المطالع التي تناسب الموضوع، ورغبوا في البحور التامة الطويلة الرصينة، كالطويل والكامل والبسيط^(١).

أما مضمون الشعر في ظلال الدعوة؛ فقد ظهرت له معانٍ وأفكار تكاد أن تميّزه عن غيره؛ حيث ظهرت فيه أغراض جديدة وأخرى متجددة، منها: شرح الدعوة، ومجادلة خصومها ومناقشتهم، ومناقضتهم وهجاؤهم، ومنها شعر الثناء والمديح لأئمة الدعوة وأمرائها وأنصارها، وشعر السياسة والإصلاح، وشعر البكاء والرتاء^(٢).

٥- قيام حركات ودعوات إصلاحية خارج سلطان الدعوة:

أ- تمهيد:

يذكر بعض الباحثين أن أمارات عصر الانحطاط في العالم الإسلامي بدأت مع إطلالة القرن السابع الهجري^(٣)، حتى وصلت أقصى مراحلها مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري، حيث عانى المسلمون خلال هذه الفترة أقسى أنواع الحرمان والتخلف والانحلال في كثير من نواحي الحياة^(٤).

(١) المرجع السابق، (١٥٠-١٥٣).

(٢) انظر: المرجع سابق (ص ٩٧).

(٣) ذكر المؤلف أن هذا العصر بدأ مع إطلالة القرن الثالث عشر الميلادي تقريباً وهو يوافق مطلع القرن السابع تقريباً.

(٤) انظر: د. محمد كامل ضاهر، الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث، [بيروت- دار السلام- ط الأولى ١٤١٤هـ] (ص ١٤).

فمن الناحية السياسية: ضعف السلاطين العثمانيون، فتسلط وزراء الدولة وولاة الأقاليم، واستبدوا بأمور الدولة، فساءت الإدارة، وتفشى الظلم، وضاعت موارد الرزق، وأهمل التعليم، وتفشى الجهل، وصار همّ الولاة جمع الأموال وأخذ الإتاوات^(١)، فانكشمت الزراعة والتجارة، واندثرت كثير من الصناعات والحرف، وتفشى السلب والنهب وقطع الطريق، في حين بدأت بالمقابل بذور النهضة الحديثة في أوروبا المسيحية، التي طوّرت وسائلها الحربية ومواردها المالية وأساليبها الإدارية، وأصبحت تهدد الخلافة العثمانية وتطمع في خيراتها^(٢).

وأما من الناحية الدينية: فقد بدأ الانحراف يظهر بوضوح، منذ أن قامت الدولة العباسية بترجمة علوم الأمم السابقة وآدابها ومعارفها العامة دون تمحيص، فالتبست مفاهيم الإسلام في عقول كثير من الناس بعقائد الفرس والروم والهنود وفلسفاتهم المنحرفة، فظهرت البدع والخرافات، والمذاهب المنحرفة، وتعظيم الأموات، وصاحب ذلك الجمود الفقهي، والتعصب المقيت للمذهب والقبيلة والإقليم.

ولا يخفى دور الخلفاء والسلاطين الأعاجم في إبعاد الناس عن اللغة العربية،

(١) الإتاوة: الجزية والخراج، يقال ضربت عليهم الإتاوة، وهي الرشوة، يقال: شكّم فاه بالإتاوة: رشاه، وتطلق على ما يؤخذ كرهاً، انظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، [مرجع سابق] (٤/١).

(٢) انظر: المرجع سابق (ص ١٩-٢٠).

وما نتج عن ذلك من صعوبة فهم النصوص الشرعية، وبعده عن منابع الأصيلة للإسلام، حتى بلغ الجهل بكثير من المسلمين أن تركوا الفرائض وأنكروا البعث بعد الموت، ونبذوا أحكام الشرع، واحتكموا إلى الأعراف والعادات^(١).

ولم يكن هذا الواقع المرير محصوراً في بقعة دون أخرى، بل يكاد يكون هو الطابع العام في معظم بقاع العالم الإسلامي، على تفاوت طفيف بينها في مستوى ذلك الانحطاط^(٢)، يقول الأستاذ مسعود الندوي: (وعندما وصل الأمر إلى هذا الحد؛ طلعت شمس الهدى والرشد من واد غير ذي زرع، وأريد بهذا: شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ونور ضريحه الذي أعاد إلى الأذهان دروس التوحيد التي كانت قد نسيت، بجهده المتواصل وعمله الدائم، وبلغ رسالة الحق والصدق إلى حيث وصل صوت هذا الرجل المجاهد)^(٣).

وبرغم العوائق والصعوبات؛ تمكنت هذه الدعوة -بتوفيق الله- من شق طريقها، وإكمال مسيرتها، حتى تسامع بها المسلمون في شتى بقاع الأرض.

(١) انظر: د. عبد الله العجلان، حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث، [مرجع سابق] (ص ٢١ - ٢٤).

(٢) انظر: محمد كمال جمعة، انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية [مرجع سابق] (ص ٢٥ - ٤٠).

(٣) الأستاذ مسعود الندوي، محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتى عليه، [مرجع سابق] (ص ٢٦ - ٢٧).

وقد هيا لها وجودها في الحرمين الشريفين - بعد توفيق الله تعالى - فرصة اللقاء بالمسلمين من أنحاء العالم في موسم الحج، فنشط دعائها في اللقاء بالمسلمين، ونجحوا في تبليغ الدعوة إلى جهات نائية من العالم الإسلامي، بعد أن اعتنقها علماء محتسبون من هذه الجهات^(١)، نشطوا في نشر الدعوة والتضحية من أجلها.

وكانت هذه الدعوة المباركة فاتحة خير للمسلمين في كل مكان؛ فما إن ظهرت هذه الدعوة الإصلاحية في قلب الجزيرة العربية، حتى بدأت تظهر دعوات إصلاحية في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي^(٢)، (وكان هدف دعائها في كل مكان تحل به؛ هو محاربة الفساد، والقضاء على البدع والخرافات، وتصحيح العقيدة الدينية)^(٣)، على اختلاف بينهم في طرق الدعوة وسلامة المنهج والمعتقد.

وقبل الإشارة إلى بعض هذه الحركات، ربما يتبادر إلى الذهن سؤال مهم هو:

(١) انظر: د. محمد السيد الوكيل، استمرارية الدعوة، نماذج من الدعاة من القرن السابع إلى القرن الرابع عشر، [جدة - دار المجتمع للنشر والتوزيع - ط الأولى ١٤١٤هـ] (ص ٣٠٠ - ٣٠١).

(٢) انظر: توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، [مرجع سابق] (ص ٤٦٨).

(٣) أحمد بن حجر آل أبو طامي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية، [مرجع سابق] (ص ٧٧).

ب- هل تلك الحركات والشخصيات قد تأثرت بالفعل بدعوة الإمام؟

يختلف الباحثون في الإجابة عن مثل هذا السؤال؛ فكثير من الباحثين يذكر أن تلك الحركات أو بعضها على الأقل إنما كانت أثراً من آثار دعوة الإمام^(١)، بل يؤكد بعضهم أن حركةً مثل حركة السيد أحمد بن عرفان البريلوي في الهند (١٧٨٦-١٨٣١م)^(٢) -على سبيل المثال- (إنما هي فرع للحركة الوهابية في نجد)^(٣)!!.

في حين يرى فريق آخر من الباحثين عدم صحة ما قيل من تأثر تلك الحركات والشخصيات بدعوة الإمام^(٤)، (وأن هذه الدعوات والحركات

(١) انظر : الشيخ أحمد القطان، ومحمد الزين ، إمام التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [الكويت - مكتبة السندس - ط الثانية ١٤٠٩هـ] [ص ١٠٣-١٠٩] وعبدالحليم الجندي، الذي يقرر أن (كل داعية للإصلاح في القرنين اللذين أعقبا موت ابن عبد الوهاب - تلميذ له في الفكر، يدين بتعاليمه جملة وتفصيلاً) عبدالحليم الجندي، الإمام محمد بن عبد الوهاب وانتصار المنهج السلفي، [مصر- دار المعارف- ط الثانية- ب ت] [ص ١٠، ١٩١-٢٠٠] وتوماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، [مرجع سابق] [٤٦٨].

(٢) انظر : د. محمد كامل ضاهر ، الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث، [مرجع سابق] [٢٠١].

(٣) نقل الأستاذ مسعود الندوي هذه الدعوى وردّ عليها في كتابه: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه، [مرجع سابق] [ص ١٨].

(٤) ذكر الأستاذ محمد كمال جمعة في كتابه عدداً من المؤلفين والكتاب الأجانب الذين مالوا إلى هذا الرأي، انظر: انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] [ص ٧١] الهامش و(ص ٧٥).

والثورات نابعة من أهلها وهم بأنفسهم لا يذكرون أنهم من أتباع الإمام. ولا أنهم تتلمذوا عليه أو قرأوا كتبه ومؤلفاته وأرادوا تطبيقها، ولا أحد يثبت ذلك فيذكره بل إن هؤلاء لا يعترفون بهذه التبعية ولا بالتأثر به وربما أكثرهم لا يعرفه إلا عن طريق أعدائه ودعاياتهم الكاذبة وبصورة مشوهة غير حقيقية، أو يعرفه بعضهم ولكن لا يعترف بطريقته السلفية وإن كان ينتسب إلى السلف^(١).

ويعلل بعض الباحثين الدوافع التي جعلت البعض يدعي تأثر تلك الحركات بدعوة الإمام؛ بأن السبب هو وجود بعض أوجه التشابه بين دعوة الإمام وبين تلك الدعوات، وهو سبب -على حد تعبيره- غير وجيه، ويضرب لذلك مثلاً بدعوة الأستاذ محمد عبده، التي هاجمت التصوف مثلما هاجمته من قبل دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- مع الفارق بين منهج كل منهما في ذلك الهجوم^(٢).

يقول د. محمد محمد حسين مشيراً إلى الخلط بين المنهجين:

(.... حتى خلطوا بهم [يعني أتباع دعوة الإمام] كل من دعا بهذه الدعوة [يعني مهاجمة التصوف] واعتبروه منهم، غافلين عن أن التصوف يمكن أن يهاجم من منطلقين مختلفين، من منطلق سلفي يهاجم الابتداع، ومن منطلق علماني ينكر الغيبيات ويخضعها للتفكير الحر، ومن هذا المنطلق خلطوا بين

(١) د. صالح العبود، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، [مرجع سابق] (ص ٦٩١).

(٢) انظر: د. عبدالعزيز عبداللطيف، دعاوى المناوئين، [مرجع سابق] (ص ٢٩).

الأفغاني ومحمد عبده وبين محمد بن عبد الوهاب^(١).

كما يعلل فريق آخر من الباحثين قيام الدعوات الإصلاحية التي أعقبت دعوة الإمام بأنها (من مقتضيات هذه الحياة؛ فكما ظهر محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية ظهر مصلحون آخرون في بلاد إسلامية متعددة: في مصر وليبيا والهند ... إلخ ولا ضرورة للقول بتأثر هؤلاء بالدعوة السلفية)^(٢).

والذي يظهر والله أعلم أن الخلاف بين القائلين بالتأثر والقائلين بعدمه أغلبه خلاف صوري منبعه أمران:

أحدهما: عدم تحديد مفهوم واضح لكلمة (التأثر) بدعوة الإمام، فهل هو يعني الالتزام المنضبط بمنهجها والتلمذ على مؤلفات علمائها أو التنسيق معهم.

أم أن المعنى مجرد وجود نوع من الشبه مع بعض مبادئها؛ ولأن الإمام أول من نادى بهذه المبادئ في العصر الحديث فيكون التأثر إنما هو من باب قولهم (الفضل للمبتدئ وإن أحسن المقتدي)^(٣)، كقول أحد الباحثين بعد أن ساق أسماء تلك الحركات والشخصيات: (وتلمذة هؤلاء لابن عبد الوهاب لا

(١) انظر بحثاً للأستاذ محمد حسين بعنوان: دعوة الإمام بين التأييد والمعارضة، [مطبوع على الآلة الكتابة ١٤٠٠هـ] ضمن بحوث أسبوع الشيخ، [مرجع سابق] (ص ٥) باختصار.

(٢) عبدالكريم الخطيب، الدعوة الوهابية، [بيروت - دار الشروق - ط الثانية ب ت] (ص ١٣٥).

(٣) رياض عبد الحميد مراد، معجم الأمثال العربية، [مرجع سابق] (٣/٤٨٨).

يستبعدها عدم اللقاء أو انصرام الزمان، فلقد تصارمت الأجيال بين العمريين، وعمر بن عبدالعزيز نخبه المدرسة التي تعلقت بأسباب عمر بن الخطاب وإن لم يلقه^(١).

ثانيهما: محاولة إطلاق حكم واحد على جميع تلك الحركات والشخصيات رغم الاختلاف الكبير بينها من حيث النشأة والظروف والمسلك.

ففي السودان مثلاً؛ يصعب أن يصدر الباحث حكماً واحداً على حزكتي (عثمان بن فودي) في غرب السودان [المنطقة المعروفة الآن بنيجيريا] و(المهدي) في شمال السودان.

فالأول : تتلمذ على الشيخ جبريل بن عمر، وهو شيخ متأثر بدعوة الإمام بسبب حجه مرتين ولقائه بأنصار دعوة الإمام ودراسته لبعض كتبه، ثم أن عثمان هذا توجه بنفسه للحج سنة ١٢٢٠هـ (وخالط دعاة الدعوة التوحيدية واستمع إليهم، وأطلع على العديد من الكتب التي ألفها الإمام بنفسه ومنها: رسالة كشف الشبهات، وأصول الإيمان، ومعرفة العبد لربه ودينه ونبيه، والمسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، وفضل الإسلام، ونصيحة للمسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورسالة في أن

(١) عبدالحليم الجندي، الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي، [مرجع سابق]

التقليد جائز لا واجب، وكتاب الكبائر^(١)، بل إنه لم يكتف بالاطلاع على هذه الكتب فحسب (فاستطاع أن يستنسخ بعضاً منها)^(٢)، (ومكث فترة تقترب من العام فيما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة)^(٣)، وبدأ دعوته الفعلية بعد عودته من رحلة الحج، وجاءت مؤلفاته ومبادئه - كما يذكر أحد الباحثين - (على نفس النمط والأسلوب والمعنى)^(٤)، الذي وجد عند الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -^(٥) مما يجعل من الممكن ترجيح وجود نوع من التأثير^(٦)، بدعوة الإمام أو الاستفادة منها.

(١) د. وهبة الزحيلي، (تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، ضمن: بحوث أسبوع الشيخ (٣٥٣/٢) ومحمد كمال جمعة، انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] (ص ١٠٥-١٠٩).

(٢) د. وهبة الزحيلي، (تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، ضمن: بحوث أسبوع الشيخ (٣٥٣/٢)

(٣) المرجع السابق، (٣٥٤/٢).

(٤) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

(٥) انظر: د. وهبة الزحيلي، (تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، ضمن: بحوث أسبوع الشيخ (٣٥٣/٢).

(٦) هذا لا يدل -بطبيعة الحال- على تطابق الدعوتين من جميع الوجوه؛ بل إن أحد أحفاد الأخير الذين ورثوا دعوته وهو عمر بن سعيد بن عثمان فودي، من مواليد (عام ١٧٩٧م) يعتبر من أبرز دعاة الطريقة التيجانية - وهي طريقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة من الأفكار والمعتقدات الصوفية، ويزيدون عليها ببعض المعتقدات مثل إمكانية مقابلة النبي ﷺ مقابل مادية واللقاء به لقاءً حسيًا في هذه الدنيا، وأن النبي ﷺ قد خصهم بصلاة (الفتاح لما أغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة - وجميع هذه الأمور ولا شك تخالف طريقة السلف التي دعى إليها الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة [مرجع سابق] (ص ١٢٥-١٢٩).

وبالمقابل فإن دعوة (المهدي) في شمال السودان يبدو تأثيرها بدعوة الإمام -إن وجد هذا التأثير- طفيفاً، ذلك أن مبادئ الدعوة السلفية تخالف أسس مبادئ المهديّة بالسودان في مسائل كبرى، فالدعوة السلفية تحارب التصوف، ولا تؤمن بهذا المهدي؛ لأن الأحاديث الواردة في ظهوره وصفاته وشروطه لا تنطبق عليه^(١)، كما أن (المصادر لا تشير إلى أن المهدي قد زار الحرمين أو أنه تأثر مباشرة بفكر الإمام محمد بن عبد الوهاب)^(٢)، وإن كان ذلك لا يمنع أن يكون (ربما قرأ عنه أو سمع)^(٣)، وما ذكره المهدي في رسائله من ادّعاء أنه هو المهدي المنتظر وأن الرسول ﷺ قد أخبره بأنه هو المهدي المنتظر^(٤)، وأنه خلفه (بالجلوس على كرسيه مراراً بحضرة الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر

(١) سمع علماء الدعوة -كما سمع غيرهم- بدعوة المهدي في السودان وما شاع عند الناس من أنه هو المهدي الموعود بخروجه آخر الزمان، فأرسلوا أحدهم وهو الشيخ (علي بن ناصر بن وادي ت) ١٣٦١هـ بعنيزة) الذي سافر إلى السودان عام (١٢٩٩هـ) للتحقق من صدق ذلك المهدي (وبعد أن تحقق أحواله وعرف أن المهدي السوداني ليس هو المهدي المنتظر عاد إلى بلده) انظر : عبد الله البسام، علماء نجد خلال ستة قرون ، [مرجع سابق] (٣/١٣٩).

(٢) د. يوسف فضل حسن، الحركة المهدية والسنوسية ، ضمن بحوث ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر [مرجع سابق] (ص ٣٨٩) .

(٣) د. يوسف فضل حسن، الحركة المهدية والسنوسية ، ضمن بحوث ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر [مرجع سابق] (ص ٣٨٩) .

(٤) د. وهبة الزحيلي، (بحث) تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [مرجع سابق] (ص ٣٩١)، من رسالة للمهدي يخاطب بها أحبائه في الله المؤمنين بالله.

عليه السلام^(١) وأنه أتاه سيف (من الحضرتين حضرة النبوة وحضرة الأقطاب)^(٢)، فلا ينتصر أحد عليه وعلى من معه؛ كل ذلك مما لا يقرّه له دعاة التوحيد من أنصار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

وبالجملّة؛ فإذا كان لا بد من إجابة مجملّة على السؤال آنف الذكر وهو: هل تأثرت تلك الحركات والشخصيات بدعوة الإمام؟

فيمكن أن يقال: إنه لا بد من التفصيل في الإجابة على مثل هذا السؤال: فإن كان المقصود بالتأثر هو المطابقة التامة لدعوة الإمام معتقداً ومسلماً فلا شك أن ما ذكره الباحثون الذين سبقت الإشارة إليهم من ترجيح عدم تأثر معظم تلك الدعوات بدعوة الإمام هو الأولى بالصواب وهو الأظهر والله أعلم.

وإن كان المقصود بالتأثر هو المعنى الواسع لهذه الكلمة الذي يشمل - ما أسماه بعض الباحثين - الطريق المعنوي أو الأثر المعنوي^(٣)، وهو إيقاظ روح الإسلام الفطرية والأخوة الإسلامية المتمثلة في فرح المسلم بمنجزات أخيه المسلم وغبطته عليها، وهو ما يحصل بمجرد سماع المسلمين بأخبار الدعوة وما حققته من منجزات، فإن الداعية المؤهل في أي مكان من العالم الإسلامي إذا

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه. من رسالة المهدي إلى الحاكم التركي رؤوف باشا.

(٣) انظر: د. عبد الحليم عويس، أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر، [البحرين - مكتبة ابن تيمية - ط الأولى ١٤٠٥هـ] (ص ١٦).

بلغته أخبار الدعوة على حقيقتها الصافية النقية كان ذلك حافزاً له لنقل منجزاتها إلى أهل بلاده حباً لهم وحرصاً عليهم، وإن بلغته أخبارها مشوهة ، كان ذلك حافزاً له للعمل على تصحيح صورة الإسلام النقية التي ظن -بقصور علمه- أن هذه الدعوة قد شوّهتها، وهذا بدوره يعدّ أيضاً نوعاً من التأثير؛ فالدعوة هي التي قوّت عزيمته للقيام بهذا العمل، وعليه فإن كان هذا هو المقصود بكلمة التأثير فيمكن أن يكون لقول الفريق الثاني من الباحثين نوع من الوجاهة، وأعني بهم أولئك الذين رجّحوا تأثير معظم الدعوات الإصلاحية بدعوة الإمام أو على الأقل استفادتهم منها.

وقد حاول بعضهم تقوية هذا القول -بهذا المفهوم- ببعض المبررات، منها:

١- أن رحلة الحج وزيارة الحرمين الشريفين وأرض الحجاز -التي كان لأنصار الدعوة وجود ظاهر فيها- كانت من أبرز العوامل المؤثرة في سيرة بعض أصحاب تلك الدعوات أو في مشايخهم الذين تعرّفوا على الدعوة وأنصارها من خلال رحلة الحج ونقلوا ذلك لتلاميذهم، وقد تكرر في ترجمة كثير من دعاة تلك الحركات، أن أحدهم بدأ دعوته بعد أن عاد من رحلة الحج!!.

٢- أن تلك الدعوات لم تظهر إلا بعد ظهور دعوة الإمام ونجاحها ووصولها إلى الحرمين مما يزيد من احتمال تأثيرها بهذه الدعوة المباركة .

٣- أن تأثير أي دعوة بالأخرى لا يعني بالضرورة اعتناقها لجميع مبادئها

الأساسية والفرعية ولا يبرر تحميل الدعوة المتقدمة بعض أخطاء الدعوة المتأخرة عنها المتأثرة بها^(١).

٤- أكد كثير من الباحثين أن دعوة الإمام -رحمه الله- ظلت مصدراً روحياً لمعظم حركات التجديد في العالم الإسلامي الحديث^(٢).

وعلى أية حال؛ فإنه يمكن أن يقال: إن هناك من تأثر بالإمام، ولكن ليس بالضرورة أن يكون كل من دعا بدعوة الإمام ونحا منحاه فهو متأثر به، بل ربما يكون قد عاد إلى ما عاد إليه الإمام من مصادر أهل السنة وتبنى معتقدتهم الصافي الأصيل، حيث إن الإمام لم يأت بجديد على ما في هذا الدين وإنما أحيا ما اندرس من معالمه، وعاد بالناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح.

وإن القول بعدم تأثر بعض الدعوات بدعوة الإمام ليس فيه ضير على دعوة الإمام أو تقليل من شأنها، بل هو شهادة للإمام بأنه متبع لمنهج السلف الصالح، وأن كل من سار على نهجه في اتباع السلف الصالح فإن دعوته ستكون مشابهة لدعوة الإمام -رحمه الله-.

(١) انظر: د. محمد سلمان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، [مرجع سابق] (ص ٨١).

(٢) انظر: د. محمد سلمان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، [مرجع سابق] (ص ٨١)، ود. محمد كامل ضاهر، الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث، [مرجع سابق] (٢٠٩).

ج- الحركات والدعوات التي (قيل) إنها تأثرت بدعوة الإمام:

أما عن الحركات والدعوات التي ذكر بعض الباحثين أنها تأثرت بدعوة الإمام فهي كثيرة؛ منها^(١):

١- أثرها في اليمن: أيدها الشيخ الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (١٠٩٩-١١٨٢هـ)^(٢). والشيخ محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣هـ - ١٢٥٠هـ)^(٣)، وكان لهما أثر في الدعوة إلى التوحيد، وفتح باب الاجتهاد، ومحاربة البدع والشركيات.

٢- أثرها في الهند: ظهرت في الهند عدة دعوات أشهرها دعوة الزعيم المسلم أحمد بن عرفان البريلوي (١٢٠١هـ - ١٢٤٦هـ) الذي طلب العلم واشتغل بالدعوة ثم حج عام ١٢٣٦هـ والتقى بأنصار الدعوة السلفية، ولما

(١) هذه الدعوات ، هناك من ينفي تأثرها بدعوة الإمام ، وهناك من يجزم ويؤكد أنها تأثرت بهذه الدعوة، وذلك -عل ما يبدو- بحسب تحديد كل فريق لمفهوم التأثير. وعلى كل حال ، ربما يكون من المناسب أن يُشار هنا إلى بعضها مع التأكيد على جانبين: أحدهما : أنه ينبغي هنا مراعاة المفهوم الواسع لكلمة التأثير - كما رأى بعض الباحثين-، ولذلك فإن ما سيرد ذكره هنا من الحركات والدعوات التي قيل أنها متأثرة بالدعوة؛ لا يعني أبداً أنها مطابقة لدعوة الإمام من كل وجه، بل ربما كان بعضها يخالف بعض مبادئ دعوة الإمام، ومع ذلك فهذا لا ينفي وجود التأثير (مفهومه الواسع). والجانب الثاني هو: أن الحركات والشخصيات التي ذُكر أنها تأثرت بدعوة الإمام، سبق أن بحثت في العديد من الدراسات العلمية والمؤلفات التي تحدثت عن سيرة الإمام ودعوته ولذلك سيكتفى هنا بالإشارة الموجزة إلى بعضها دون تفصيل.

(٢) الزركلي، الأعلام، [مرجع سابق] (٣٨/٦).

(٣) الزركلي ، الأعلام ، [مرجع سابق] (٢٩٨/٦) .

عاد قاد بدعوته وجاهد حتى أسس دولة مستقلة، تحكّم الشريعة الإسلامية، ثم استشهد - رحمه الله - في اشتباك وقع بينه وبين الشيخ، وانتهت دولته، وبقيت دعوته وأنصارها إلى اليوم^(١).

٣- أثرها في البنغال : وهي ما يطلق عليها الآن اسم بنغلاديش، وقد انتشرت الدعوة السلفية فيها سلمياً بعد دعوة أحمد بن عرفان، وأشهر دعائها الحاج شريعة الله (١١٧٨-١٢٥٦هـ) وجماعته (الفرائضيون)، وقد حج إلى مكة عام ١٢١٤هـ واتصل بأتباع الإمام وتأثر بدعوتهم^(٢).

٤- أثرها في إندونيسيا : ظهر أثر الدعوة السلفية في جزيرة (سومطرة) أكبر الجزر الأندونيسية بعد أن عاد ثلاثة أشخاص من أهل هذه الجزيرة من رحلة الحج عام ١٢١٨هـ متأثرين بالدعوة السلفية فقاموا بنشرها ، وحاربها الاستعمار الهولندي وقضي على قوتها بعد ست عشرة سنة ، وبقيت الدعوة بين أتباعها الذين استمروا في نشرها بالطرق السلمية^(٣).

(١) انظر : محمد كمال جمعة، انتشار دعوة الشيخ ، [مرجع سابق] (ص ٦٣ - ٧٦). و محمد السلطان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، [مرجع سابق] (ص ٨٤ - ٨٦).

(٢) انظر : محمد السلطان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، [مرجع سابق] (ص ٨٦ - ٨٧).

(٣) انظر : توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام، [مرجع سابق] (ص ٤١٠) و د. وهبة الزحيلي، (بحث) بعنوان : تأثير الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ ، [مرجع سابق] (ص ٣٢٣).

٥- أثرها في الجزائر : ظهر أثر دعوة الإمام -رحمه الله- في الجزائر من خلال جهود الشيخ عبد الحميد بن باديس (١٣٠٥-١٣٥٩هـ) الذي اطلع على مبادئ الدعوة السلفية عندما أدى فريضة الحج، واجتمع بعلماء الدعوة هناك ثم عاد إلى الجزائر وأسس (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) ١٣٤٩هـ التي قامت على إصلاح العقيدة، ومحاربة البدع، والدعوة إلى الاجتهاد، ومحاربة التقليد الأعمى والجمود الفكري، وكان لهذه الجمعية دور كبير في محاربة الاستعمار الفرنسي في الجزائر حتى نال ذلك البلد الإسلامي استقلاله عام ١٣٨٢هـ^(١).

وبعد.. فإن نتائج دعوة الإمام وما تضمنته رسائله ومؤلفاته من مبادئ وأسس لم يقتصر أثرها على ما ذكر فحسب؛ بل يذكر بعض الباحثين أن للدعوة أثراً أيضاً في تايلاند^(٢) وبقية الجزر الأندونيسية الغربية^(٣)، وتركيا^(٤)،

(١) انظر: د. عبد الحليم عويس، أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي في الجزائر، [مرجع سابق] (ص ٢٠-٢٢). ود. محمد سلمان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، [مرجع سابق] (ص ٩٥).

(٢) انظر: الشيخ إسماعيل أحمد، (بحث) بعنوان: تأثير الدعوات الإصلاحية الإسلامية في تايلاند بدعوة الإمام، (ضمن بحوث أسبوع الشيخ) (ص ٣٧١-٣٨٧).

(٣) انظر: الأستاذ نجح عبد الله، (بحث) بعنوان: تأثير الدعوات الإصلاحية في أندونيسيا بدعوة الشيخ محمد، (ضمن بحوث أسبوع الشيخ) (ص ٣٩٨).

(٤) انظر: د. وهبة الزحيلي، (بحث) بعنوان: تأثير الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن (بحوث أسبوع الشيخ) (ص ٣٣٦-٣٣٧).

وتونس وكلكتا وبهوبال^(١)، وليس التفصيل والحصر لهذه الجماعات والحركات والشخصيات من أهداف هذا البحث الموجز، فيُكتَفَى بما ذُكِرَ.

(١) انظر : الشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية، [مرجع سابق] (ص ٩٨) .

المبحث الثاني :

كيفية الاستفادة من رسائل الإمام رحمه الله في العصر الحاضر

لعل من أبرز أهداف هذا البحث أن يتم الخروج منه بنتائج عملية وفوائد واضحة ومحددة، يمكن أن يستفيد منها الداعية في طريقه الذي يسلكه في الدعوة إلى الله تعالى علّ دعوته أن يكتب لها القبول والنجاح الذي يسره الله لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -.

وإن المتأمل لرسائل الإمام - رحمه الله - من حيث مضامينها وأساليبها وآثارها، وترجمة كاتبها ووسائله في الدعوة، والبيئة التي كانت محيطة به، ربما يخرج بالعديد من الفوائد الدعوية التي يستفيد منها الداعية في منهجه وأسلوب دعوته في العصر الحاضر.

ولما كان هذا البحث قد تناول دراسة رسائل الإمام من أربعة جوانب:

الجانب الأول: سيرة كاتب الرسائل ووسائله في الدعوة.

الجانب الثاني: مضامين هذه الرسائل.

الجانب الثالث: الأساليب المستخدمة في هذه الرسائل.

الجانب الرابع: آثار هذه الرسائل.

فيحسن أن يتم تقسيم هذا المبحث إلى أربع مسائل:

المطلب الأول: كيفية الاستفادة من سيرة كاتب الرسائل - رحمه الله -

ووسائله الدعوية في العصر الحاضر.

المطلب الثاني: كيفية الاستفادة من مضامين رسائل الإمام في العصر

الحاضر.

المطلب الثالث: كيفية الاستفادة من أساليب رسائل الإمام في

العصر الحاضر.

المطلب الرابع: كيفية الاستفادة من آثار رسائل الإمام في

العصر الحاضر^(١).

(١) لعل من الواضح أنه يوجد نوع من التداخل والارتباط الوثيق بين هذه الجوانب الأربعة، مما يجعل من الممكن تصنيف بعض ما سيرد من الفوائد ضمن أكثر من جانب، ولذلك جرى تصنيف هذه الفوائد حسب الأقرب إليها والألصق بها بطريقة تقريبية.

المطلب الأول

كيفية الاستفادة من سيرة كاتب الرسائل - رحمه الله - ووسائله

الدعوية في العصر الحاضر

١ - عدم اليأس من هداية المدعويين وانتصار الدعوة مهما استحکم الجهل والظلم:

فعند اشتداد الظلمة ينبجس النور، وقد أخرج الله هذه الدعوة المباركة، وذلك الجليل المتميز من أرض قاحلة، كانت مضرب المثل في الجهل والفقر والتمزق والضلال، فليس لداعية أن ييأس من هداية قومه، مهما بلغ بهم الانحراف.

وقد كان الإمام على يقين تام بأن الدين منصور مهما ابتلي أصحابه، وأن من عمل بلا إله إلا الله ونصرها، مكنه الله من البلاد والعباد، ومن هذا المنطلق قال الإمام للأمر محمد بن سعود - رحمهما الله - بكل ثقة ويقين: (... وأنا أبشرك بالعز والتمكين، وهذه كلمة لا إله إلا الله، من تمسك بها، وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد)^(١)، ورغم أن الإمام - رحمه الله - ذكر هذه البشرية بكل ثقة ويقين، إلا أنه لم يغفل فيها، عن الإشارة إلى شروط في غاية الأهمية، هي: التمسك بكلمة التوحيد، والعمل بها ونصرها، إذ أن كلمة لا إله إلا الله منهج شامل للحياة، ولا بد من تحكيمها في كل صغيرة وكبيرة من جوانب هذه الحياة.

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١٢/١).

٢ - أهمية الإعداد العلمي والتربوي للداعية وتنوع المشارب:

وكذلك أهمية الاطلاع على سير الدعاة الصادقين، مع ضرورة الاحتكاك بالمدعويين، ومعرفة طبيعتهم، وتشخيص أمراض الأمة، ومحاولة التعرف على الطرق المناسبة لعلاجها، فكلما كانت المهمة شاقة؛ كانت أحوج إلى مزيد من الإعداد والتأهب.

ومن حكمة الله تعالى وفضله على الأمة أن يسر هذه الجوانب للإمام محمد ابن عبد الوهاب -رحمه الله- فقد قضى زمناً طويلاً من عمره في طلب العلم، وحفظ المتون والقراءة على أكابر علماء عصره، وقراءة كتب العلماء المجددين؛ أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، فكان لذلك أعظم الأثر -بعد توفيق الله- في وقاية دعوته من الانحرافات والأخطاء الشرعية .

كما أن ما تعرض له الإمام من المصاعب في سبيل طلب العلم، والقيام بواجب الاحتساب مع ما ألزم به نفسه من كثرة النوافل والأذكار والتعلق بالله، إضافةً إلى اطلاعه على سير الدعاة الصادقين؛ أمثال الإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية^(١)، وما أصابهم من الفتن والحزن والابتلاءات، كل ذلك كان له أعظم الأثر في صبره -رحمه الله- وصموده أمام الشدائد وثباته، رغم كثرة العوائق، وقد كان لعناية الإمام -رحمه الله- بكتب أئمة

(١) كانت نشأة الإمام في مدرسة آبائه وأجداده من الحنابلة من الأمور التي يسرت له الاطلاع على سير أولئك العلماء الصادقين وما اتصفوا به من إخلاص ويقين وصبر وقوة في الحق، إضافة إلى ما عرف عنه من الزهد والعبادة والجهاد، وتحمل الأذى في سبيل الدعوة، مع الإحاطة الواسعة بعلوم الشريعة، وكان لاطلاع الإمام على ذلك أثر واضح في تكوين شخصيته العلمية والدعوية.

الإسلام المحددين أعظم الأثر في نزعته التحديدية، المنضبطة بضوابط الشرع، كما أنها كانت من أعظم الروافد لفكر الإمام -رحمه الله- حيث أكسبته قوة الحجّة، ونصاعة البرهان والاعتماد على الدليل الشرعي، وقد حرص الإمام -رحمه الله- على هذه الكتب فقرأها ودرسها، ونسخ بعضها بيده، واختصر بعضها، واقتبس منها وأحال إليها في بعض رسائله ومؤلفاته، فانطبع بطابعها، وتأثر بأسلوبها.

أما اهتمام الإمام بمعرفة واقع المدعوين وطبيعة أمراض الأمة، فهو أمر بدهي، فالإمام لم يقيم بهذه الدعوة ابتداءً إلا بسبب إدراكه لواقع الأمة، ثم إنه أدرك عيوب الأمة ومواضع الخلل فيها، فركّز دعوته من هذا المنطلق على تنقية التوحيد من شوائب الشرك، ومحاربة البدع، والنهي عن التعصب والتقليد الأعمى.

وإن المتأمل لرسائل الإمام على وجه الخصوص ليدرك أن الإمام كان على علم وبصيرة بواقع بلاده، بل وحال البلاد الأخرى المحيطة بها، وعلى فقه عميق بكيفية التعامل مع أهل هذه البلاد وتلك، وقد كان ذلك من أهم أسباب نجاح دعوته رحمه الله.

٣- أهمية الإعداد العلمي والتربوي للمدعو:

إن العلم النافع الموروث عن رسول الله ﷺ من أعظم أسباب النصر والتمكين، وانتشار الدعوة، وتغلغل مبادئها في نفوس المدعوين، وعدم تخليهم عنها أو خذلان دعواتها عند حصول الشدائد.

وقد كان الإمام -رحمه الله- يفرض تعليم القواعد الضرورية للإسلام فرضاً على الناس في المساجد، فكانوا يتدارسون الأصول الثلاثة في المساجد، ويسمّونها بعد صلاة الفجر، وبذلك أصبح عوام المسلمين ورجال البادية يعرفون من أصول الدين ومبادئه ما يجهله اليوم بعض حملة الشهادات العلمية العليا، ثم إنهم أصبحوا متعلقين بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما زادتهم وفاة الإمام الداعية لإقوة وثباتاً على دين الله، وتمسكاً بعقيدة التوحيد الخالدة، لأن الإمام -رحمه الله- لم يعلقهم بنفسه، بل ربطهم مباشرة بخالقهم وبارئهم، ثم بقدوتهم العليا، وهي رسول الله ﷺ معتمداً في ذلك على نشر (العلم) بين جميع فئات المجتمع، والمقصود (بالعلم) الذي ينبغي نشره؛ العلم الحقيقي المؤصل بنصوص الكتاب والسنة، الذي يحتاجه المسلم في يومه وليلته، عبادةً واعتقاداً وسلوكاً، وليس الحديث عن الإسلام بالعموميات، والكلام الغامض، والانشغال بالأطر والمناهج، وترك الناس يعبدون الله على جهل، ويلقونه باعتقاد فاسد.

كما أن الإمام -رحمه الله- لم يكتف فقط بتلقين المدعويين بعض العلوم ليحفظوها، بل حرص على أن تكون هذه العلوم واقعاً عملياً؛ فاعتنى بالإعداد التربوي للأمة لأن تربية الأمة، على عقيدة التوحيد وأخلاق الإسلام وآدابها من أعظم واجبات الداعية.

وقد انتهج الإمام -رحمه الله- منهجاً فريداً في هذا الجانب، فنشر الدعاة والمعلمين في القرى والبوادي، يعلمون الناس من ربهم وما دينهم، ومن نبئهم، ويوضحون لهم الإسلام بأركانه الخمسة، والإيمان بأركانه الستة،

والإحسان وأن له ركن واحد فقط ، ويبيّنون لهم حقوق الله تعالى وحقوق نبيه ﷺ وحقوق عباده على اختلاف طبقاتهم .

وقد استخدم الإمام العديد من أساليب التربية؛ ومنها: القدوة، والموعظة، والقصة، والتاريخ، والعبر، وحرص على التدرج في التعليم، فكان لجهوده التربوية أثر عظيم وصدى واسع.

كما حرص الإمام على تربية المدعوين على تطبيق الإسلام بشموله في جميع جوانب الحياة، واعتباره كلاً لا يتجزأ، وعدم الأخذ ببعض دون بعض، أو تقسيم الدين إلى لباب وقشور، مع تفقيهم بأمر العبادات والمعاملات، إضافةً إلى الجهاد، والدعوة والاحتساب، ونحو ذلك، والتأكيد على ضرورة اعتبار الحكم بما أنزل الله في جميع شؤون الحياة من أصول العقيدة، مما يدل على أخذ الإمام لهذا الدين بمفهومه الشامل.

٤- ضرورة العناية بتزكية النفس:

وذلك بالزهد، وكثرة العبادة، وملازمة الذكر والاستغفار، وكذلك الدعاء، وتلاوة القرآن، والتعلق بالله تعالى، وتطهير الباطن من أمراض القلوب، كالحسد، والرياء، وحب الجاه، والشرف، مع الحرص على تربية المدعوين على هذا المسلك، وتحذيرهم من الانشغال عنه بمتطلبات الدعوة الأخرى، فضلاً عن متاع الدنيا وزخرفها الزائل، لأن البركة مفقودة من دعوة قساة القلوب، قليلي التعلق بالله، وقد قيل: (إن الكأس لا يفيض حتى يمتلئ) فلن يفيض إيمان الداعية على المدعوين، ويؤثر فيهم، حتى يمتلئ قلبه قبل ذلك بالإيمان، ويتطهر من أمراض القلوب.

وقد كان الإمام -رحمه الله- قدوة في الزهد والعبادة وكثرة الذكر والدعاء، (وكان الناس إذا جلسوا ينتظرونه، يعلمون إقباله إليهم قبل أن يروه، من كثرة لهجه بالتسييح والتحميد والتهليل والتكبير)^(١)، وكان يربي أتباعه على هذا المنهج بالتلميح والتصريح، ولم يشغله عن ذلك كثرة مسؤولياته والتزاماته التي تضاعفت مع تضاعف مساحة الدولة، وتزايد أعداد مؤيديها ومعارضيهما في الداخل والخارج^(٢).

٥- أهمية السعي لإيجاد القوة التي تحمي الدعوة:

ينبغي للداعية أن يحرص على طرُق (جميع الأبواب المباحة، التي يمكن أن تقود إلى التمكين للدين في الأرض، وعدم اليأس، مهما تكررت محاولات الاتصالات الفردية والجماعية ومهما كانت النتائج القريية سلبية)^(٣)، (وقد كان النبي ﷺ يطلب من ذوي الشأن أن يجموه، دون أن يكرههم على دعوته)^(٤)، وفي الحديث عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ لبث بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم؛ في المواسم، ومجنّة، وعكاظ، يقول: (من يؤوبيني؟ من ينصرنني؟ حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة)^(٥).

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١/٨٩).

(٢) سبقت الإشارة إلى بعض الشواهد على ذلك انظر (ص ٥٠٥) من هذا البحث.

(٣) د. مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، [مرجع سابق] (ص ٢٤٦).

(٤) المرجع السابق، (ص ٢٤٢).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، [مرجع سابق] رقم (١٤٤٤٠).

(٢/٤٠٩) والحاكم، المستدرک علی الصحیحین، [مرجع سابق] برقم (٤٢٥١) (٢/٦٨).

وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقد أدرك الإمام - رحمه الله - أهمية هذا الجانب، وما إن خاف على الدعوة في حرملاء حتى سعى إلى العيينة، (وعرض على عثمان ما قام به ودعا إليه، وقرر له التوحيد، وحاوله على نصرته، وقال: إني أرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهر ك الله تعالى، وتملك نجداً وإعرابها، فساعدته عثمان على ذلك)^(١).

و حين شعر الإمام أن العيينة أيضاً لم تعد صالحة لاستقبال الدعوة و حمايتها، لم ييأس، ولم يتردد، بل سارع إلى الدرعية وعرض دعوته على أميرها محمد بن سعود - رحمه الله - علّه أن يقوم بحمايتها ونصرتها، فتم له ما أراد، وبشّره الأمير بالنصرة والحماية، فقال له الإمام: (وأنا أبشرك بالعز والتمكين، وهذه كلمة لا إله إلا الله، من تمسك بها وعمل بها ونصرها، ملك بها البلاد والعباد)^(٢).

ولا شك أن حرص الإمام على هذا الجانب من دلائل حكمته - رحمه الله - وفقهه بسنن الله الكونية، حيث أن الله سبحانه وتعالى أمر باتخاذ الأسباب والوسائل المناسبة المباحة الموصلة إلى الغايات المطلوبة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]^(٣).

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٩/١) وعثمان: هو عثمان بن معمر أمير العيينة.

(٢) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد (١٢/١).

(٣) سبق التفصيل في هذا الجانب في المبحث الثاني من الفصل التمهيدي، تحت عنوان: (الوسائل التي استخدمها الإمام في الدعوة إلى الله).

٦- عدم التنازل عن المبادئ بدعوى مصلحة الدعوة:

وهذا واضح من عدة مواقف للإمام -رحمه الله- فرغم حاجته الشديدة لكسب المؤيدين من جميع الفئات، وخاصة المنتسبين إلى العلم، لما لهم من المكانة والتأثير على بقية المدعويين؛ نجده رغم ذلك يرفض أن يتنازل عن المبادئ الرئيسة لدعوته، مثل الإنكار على من ظهر منه استهزاء بالدين وأهله، مهما كانت منزلة ذلك المستهزئ.

يقول الإمام -رحمه الله- لأحد المنتسبين للعلم^(١)، الذين تكرر منهم الوقوع في هذا المنكر، مع جلاله قدرهم -في عين كثير من الناس- : (...وإن كنت تظن في خاطرك أنا نبغي أن ندهنك في دين الله، ولو كنت أجل عندنا مما كنت، فأنت مخالف ..)^(٢).

وحين جاء الإمام -رحمه الله- طريداً وحيداً مهاجراً إلى الدرعية، وهو بحاجة إلى أي نوع من العون والمساعدة؛ عرض عليه الأمير محمد بن سعود -رحمه الله- النصر الكاملة بشرطين، كان أحدهما أن لا يعترض الإمام على ما كان يأخذه الأمير من أهل الدرعية وقت الثمار^(٣)، وعندها بادر الإمام برفض هذا الشرط (بأسلوب مهذب)؛ لأنه يمسّ أحد مبادئ الدعوة القائمة على سياسة الرعية بشرع الله تعالى، وعدم إقرار ما حرم الله من المكوس وغيرها، وكيف يرجو الداعية التوفيق من الله تعالى إذا بدأ دعوته

(١) هو : عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٨٠/٥).

(٣) انظر : عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١٢/١).

بالتنكر لبعض مبادئ دينه، ثم إن الموافقة على مثل هذا التنازل سيكون أمضى سلاح في أيدي أعداء الدعوة، الذين يتبعون الزلات.

ومع ذلك، فقد حرص الإمام - رحمه الله - على عدم تفويت هذه الفرصة العظيمة، وعدم تنفير ذلك الأمير المبارك بدعوى المحافظة على المبادئ، فألان له القول، ولم يستخدم أسلوب الرفض الجرّد (القاسي على النفوس)، بل سارع بتبشير الأمير بالبديل الشرعي الذي يغنيه، ويحقق له ما أراد، وقال: (وأما الثانية [يعني القانون الذي كان يأخذه على الدرعية وقت الثمار] فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات، فيعوّضك الله من الغنائم ما هو خير منها)^(١).

ولا شك أن القدوة والأسوة لكل داعية في هذا المنهج الواضح هو رسول الله ﷺ، الذي رفض أن يتنازل عن مبادئه، أو يرضخ لمساومات كفار قريش، رغم شدة حاجته ﷺ إلى من ينصره ويحمي دعوته، حتى إنهم (لما دعو رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة)^(٢)، رفض ﷺ هذا العرض، وأنزل الله سبحانه وتعالى سورة الكافرون التي (أمر رسوله فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية)^(٣).

وينبغي إعادة التأكيد هنا على أن ما ذُكرَ ينبغي أن لا يُفهم منه أن المطلوب هو أن يتجاهل الداعية مصلحة دعوته، فيجلب لها العراويل بدعوى الحفاظ على المبادئ؛ بل ينبغي أن يفرق بين المبادئ التي لا يجوز التنازل عنها،

(١) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١٢/١).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم [مرجع سابق] (٨٩٤/٤).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

والمسائل التي يجوز للداعية ويسعها، بل ربما يجب عليه أن يتزحّص فيها، وهذا خاضع لمدى تمكنه من العلم الشرعي، وفقهه لقواعد الشرع، مثل قاعدة المصالح والمفاسد، وضوابط التدرج في الدعوة إلى الله تعالى، ومشروعية مراعاة أحوال المخاطبين، ونحو ذلك من مسائل فقه الدعوة.

٧- ضرورة توطئ النفس على الصبر والثبات، وتوقع حدوث أنواع الابتلاءات:

فرمما يتعرض الداعية لأبشع أنواع التهم والإيذاء النفسي، بل والجسدي، الذي قد يصل إلى التهديد بالقتل، وكذلك ربما تتعرض دعوته لشتى أنواع الشبهات والدعاوى المضللة، والواجب عند ذلك أن يتحلى الداعية بالصبر والثبات، وبذل الأسباب المباحة للخروج من هذا المأزق، وقد قال الله تعالى موطئاً نفوس عباده المؤمنين، وحثاً لهم على التهيؤ للابتلاء: ﴿لَبُلُونُ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وإن المتأمل لسيرة الإمام -رحمه الله- يدرك ما تعرض له هذا الإمام من أنواع الابتلاءات؛ حيث كملت له أنواع التهم، وألصقت به أنواع المفتريات، وأثيرت حول دعوته أصناف من الشبهات الباطلة والدعاوى المضللة، حتى إنه -رحمه الله- كاد أن يذهب ضحية الاغتيال والتصفية الجسدية عندما كان في حرمبلاء^(١)، بسبب دعوته، لولا لطف الله ورعايته. ولا عجب من ذلك؛

(١) انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٩/١).

فإن ألعيب أهل الضلال ومؤامراتهم لا تقف عند حدّ، حتى إنهم اتهموا الإمام الذي جاء بتصفية العقيدة بأنه صاحب معتقد فاسد، وأنه ضال مضل، ورموه بشتى التهم في العقيدة؛ منها: أنه يبغض الرسول ﷺ مع أنه - رحمه الله - قد نصّ في عقيدته أن من يبغض الرسول ﷺ فهو كافر كفراً مخرجاً عن الملة.

كما اتّهم كذباً وزوراً بأنه من الخوارج، وأنه يكفر المسلمين عامة، وغير ذلك من التهم.

فلا عجب إذاً أن يُتهم من يدعو إلى التمسك بالسنة بأنه مبتدع، وأن يُتهم من يدعو إلى التوحيد بأنه كافر مشرك زنديق، وقد اتّهم الأنبياء والرسل - عليهم السلام - بالجنون والكذب والجهل والسفه والسحر، فلم يُفتّ ذلك في عضدهم، ولم يثنهم عن مواصلة دعواتهم عليهم السلام.

٨- أهمية الأخذ بكافة الأسباب والوسائل الدعوية المشروعة المتاحة:

إذ ينبغي للداعية أن لا يقتصر على بعضها دون بعض، فلكل وسيلة أثرها وميدانها، الذي ربما لا تفلح فيه وسيلة أخرى، والواجب على الداعية أن يحرص على الأخذ بكل أسباب النجاح، وأن لا يفرط في شيء منها ما أمكن.

وقد حرص الإمام - رحمه الله - على هذا الجانب فاستخدم كافة الوسائل الممكنة في عصره، ومنها: الخطابة، والدروس، وإرسال المعلمين، والفتيا، واللقاءات الخاصة، إضافة إلى المراسلات والتأليف، وكتابة المختصرات، كما استخدم الجهاد والاحتساب، واعتنى بأخذ الأسباب الكفيلة بحماية الدعوة، وحرص على الاستعانة - بعد الله - بأهل الخبرة والكفاءة، مع التخطيط

للدعوة، وتوزيع المسؤوليات على الأتباع، وغير ذلك من الوسائل المشروعة أو المباحة^(١).

٩- أهمية وسيلة المراسلة وعظم تأثيرها:

إن المتأمل لوسيلة المراسلة من حيث تاريخها، وخصائصها ومميزاتها، ومجالاتها، ليدرك بوضوح مدى أهمية هذه الوسيلة العظيمة والدعوة إلى الله، إضافةً إلى تعدد جوانب الاستفادة منها، رغم تغير الأزمان والأحوال؛ حيث سبقت الإشارة إلى أنه كان من المنتظر - في عصرنا هذا الذي تعددت فيه وسائل الاتصال السريع والموثوق بشكل لم يسبق له مثيل - أن تراجع مكانة الرسالة الشخصية التقليدية، وأن تفقد أهميتها، لكن العجيب أن تحتفظ هذه الوسيلة بتلك المكانة البارزة، بل وتزداد أهميتها، وتعدد جوانب استخداماتها.

وقد سبقت الإشارة إلى أن رسائل الإمام - رحمه الله - كان لها أثر كبير في عدة مجالات، منها: استجابة بعض المدعوين وتأييدهم للدعوة، كما كان لها أثر كبير في تهيئة البيئة المناسبة للهجرة إلى الدرعية، وتحسين علاقة الدولة السعودية الأولى بأشراف مكة، وتهيئة الجو المناسب لمناظرة علماء مكة، إضافة إلى تعليم الناس وتفقيهم بأمور دينهم، ودفع العلماء ومدعي العلم إلى البحث والتأليف... وغيرها من المجالات.

وقد جاء هذا العصر الحديث بأغراض جديدة لهذه الوسيلة؛ منها ما يتعلق بالمراسلات الحكومية والتجارية والشخصية، التي دخلت فيها رسائل

(١) سبق التفصيل في ذكر هذه الوسائل في البحث الثاني من الفصل التمهيدي، تحت عنوان:

(الوسائل التي استخدمها الإمام في الدعوة). انظر: (ص ١٠١-١٨٦) من هذا البحث.

الاستفتاء عبر الإذاعة والتلفاز وغيرها، والرسائل الدعوية الخاصة، والرسائل الدعوية المفتوحة.

وسبق الحديث أيضاً عن أعداء الإسلام، وكيف نشطوا في هذا الزمان في استغلال هذه الوسيلة؛ حيث أنشأوا حلقات دراسية بالمراسلة، ودورات تعليمية بالمراسلة وتدريباً نظامياً مستمراً بالمراسلة، إضافةً إلى تمكنهم عبر هذه الوسيلة من تنصير كثير من أبناء المسلمين.

ولا شك أن الدعاة اليوم قد فتحت لهم أبواب الدنيا، ليدعوا إلى الله تعالى عبر هذه الوسيلة، التي تتخطى الحدود، ولا يكاد يعوقها عائق، فلو أن فريقاً من الدعاة ركزوا جهودهم على هذه الوسيلة، وجعلوها شغلهم الشاغل، ولو تضافرت الجهود المادية والمعنوية لاستغلال هذه الوسيلة، لكان لها - بعد توفيق الله تعالى - أثر بالغ في نشر الإسلام، وتثبيت المسلمين على دينهم^(١).

١٠ - قيام الداعية بنفسه بالتطبيق العملي لمبادئ الدعوة ما أمكن ذلك:

إن تطبيق الداعية لمبادئ دعوته، وعرضها للناس بصورة عملية؛ له أثره البالغ في ترسيخ تلك المبادئ في نفوس المدعويين، وتعويدهم على تطبيقها بالصورة الصحيحة.

وقد حرص الإمام - رحمه الله - على تطبيق ما أمكن تطبيقه من مبادئ الدعوة، ومن أمثلة ذلك ما دعا إليه - رحمه الله - من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث بيّن أنه أصل أصيل من مبادئ هذا الدين ولا يمكن

(١) انظر مزيداً من التفصيل في ذلك عند الحديث عن مجالات الرسالة في العصر الحاضر، في

أن يحفظ الدين وتصلح أحوال المجتمع إلا بالعناية بهذا المبدأ، ثم لم يكتف الإمام - رحمه الله - بهذا البيان، رغم وضوحه، بل كان - رحمه الله - يقوم بنفسه بهذا الواجب هو وأصحابه؛ فهو الذي هدم قبة زيد بن الخطاب في الجبيلة بنفسه، وهو الذي قام برجم الزانية، وكان يفرض هذا المبدأ فرضاً، ويدعو العلماء إلى الاقتداء به في ذلك، فيقول لأحدهم^(١): «.. وأيضاً ألزمت من تحت يدي بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الربا، وشرب المسكر، وأنواع المنكرات ..»^(٢).

ولا شك أن قدوته في ذلك كله رسول الله ﷺ الذي أمر أصحابه رضوان الله عليهم بكل معروف، وكان قدوتهم وإمامهم في القيام به، ونهاهم عن كل منكر، وكان قدوتهم وإمامهم في اجتنابه والتجافي عنه.

١١ - اليقين بسلامة الطريق وعدم الاغترار بالكثرة:

ينبغي للداعية أن لا يتردد في طريق الدعوة إلى الله، وأن لا يستوحش من قلة السالكين؛ بل ينبغي أن يكون على يقين تام بسلامة الطريق، وأن لا يغتر بكثرة المخالفين، لأن الناس ربما يرون الحق باطلاً والباطل حقاً؛ حتى إن بعض من يُسمون علماء ربما يحاربون الحق وأهله، ويرمون الدعاة بأبشع التهم، والواجب أن لا يتردد الداعية - مادام على ثقة من صواب مسلكه - في التصريح بأن الحق حق والباطل باطل ولو خالفه جميع الناس، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

(١) هو عبدالرحمن السويدي (أحد علماء العراق).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٣٦/٥).

ولقد ضرب الإمام - رحمه الله - أروع الأمثلة في هذا الجانب، ولم يتردد في إيضاح الحق، وإنكار مظاهر الشرك والابتداع في الحجاز والبصرة، ثم في حريملاء قبل أن يمكّن الله له، ويكثر أتباعه، فقد كانت العبرة - في نظر الإمام - هي موافقة الكتاب والسنة، وليست العبرة في كثرة الأتباع.

المطلب الثاني

كيفية الاستفادة من مضامين رسائل الإمام في العصر الحاضر

١- ضرورة الاهتمام بتصحيح عقيدة الأمة مفهوماً وعملاً وبيان ما يضادها: ولا يكفي أن يحتل هذا الهم وذلك الهاجس مكاناً عادياً إلى جانب غيره من اهتمامات الداعية؛ بل ينبغي أن يكون هذا الهدف هو قطب رحى الدعوة وهدفها الرئيس.

وقد ظهر هذا الجانب بوضوح في دعوة الإمام -رحمه الله- حيث أدرك أن العقيدة هي أساس الإصلاح، وبصلاحها تصلح العبادات والأخلاق وسائر الأحوال، وقدوته في ذلك أنبياء الله تعالى ورسوله، الذين جعلوا محور دعواتهم ومنطلقها هو إصلاح العقيدة وتصفيتها، حيث أخبر تعالى عنهم أنهم كانوا يبدؤون دعواتهم لأقوامهم بقولهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(١).

ولعل من السهولة بمكان أن يدرك كل من اطلع على سيرة الإمام أو قرأ رسائله، أن مسألة (العناية بتصحيح عقيدة الأمة) كانت هي شغله الشاغل، والمحور الرئيس لدعوته رحمه الله.

وإلى جانب ما حرص الإمام عليه من بيان التوحيد وما يضاده، لوحظ أنه ركز أيضاً على بعض المبادئ العقدية الهامة التي غفل عنها كثير من الناس، وتساهلوا بها، فأبرزها -رحمه الله- وذكرها ضمن عقيدته، اقتداءً بمن سبقه من علماء السلف رحمهم الله، ومن ذلك:

(١) سورة الأعراف، الآيات رقم (٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥) وسورة هود الآيات رقم (٥٠،

أ- اعتقاد أن الجهاد في سبيل الله تعالى فرض عظيم من فرائض الإسلام: وأنه ماضٍ إلى يوم القيامة مع كل إمام مسلم، برّاً كان أو فاجراً، حيث يقول -رحمه الله- في رسالته إلى أهل القصيم، التي بين فيها عقيدته: (وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام، برّاً كان أو فاجراً)^(١).

ب- العناية بمبدأ الدعوة والاحتساب علماً وعملاً، وعده من فرائض الدين: حيث يقول -رحمه الله- في رسالته السابقة: (وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة)^(٢).

ج- التشديد على وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم: لأن الإخلال بذلك يقود إلى الفتن التي تفسد على المسلمين دينهم وديناهم، يقول الإمام في ذلك: (وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين، برهم وفاجرهم، ما لم يأمرُوا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة، واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة، وجبت طاعته، وحرّم الخروج عليه)^(٣).

د- العناية بمبدأ الولاء والبراء واعتقاده عقيدة ثابتة:

حيث حرص الإمام -رحمه الله- على عدم التميّع في هذا الجانب وكان لذلك أثر واضح في تنقية الصف من المغرضين من أصحاب العقائد المنحرفة، حتى إن الإمام ذكر أن التفريط في هذا الجانب يعدّ من نواقض الإسلام،

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/١١).

(٢) المرجع السابق، (١١/).

(٣) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

حيث قال: (الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] ^(١).

٢- تجلية المفاهيم الإسلامية وإيضاح دلالتها ليفهمها العامة ويحفظوها ويتناقلوها:

مع التركيز على بيان المخالفات الشرعية، والبدع التي ظهرت في المجتمع، وتوعية الناس بخطورها، وبيان حكم الله فيها، حيث حرص الإمام على كتابة رسائل شخصية ورسائل علمية مصغرة، بلغة ميسرة، وبأسلوب موجز، شرح فيها أبرز المفاهيم الإسلامية، كمفهوم الإسلام والإيمان والإحسان، ومعنى لفظ الكفر والفسوق والنفاق، وغيرها من المدلولات.

كما صبَّ اهتمامه -رحمه الله- بوجه خاص على بيان بعض المخالفات الشرعية والبدع التي ظهرت في مجتمعه، وتأسَّلت فيه؛ مثل الاعتقاد في الصالحين وغيرهم، وبدعة التذكير يوم الجمعة، والوقف الجائر، ورشوة الحاكم، ونحو ذلك من البدع والمخالفات.

٣- وجوب متابعة الدليل من نصوص الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح:

على أن يكون ذلك وفق ضوابط شرعية محكمة، مع ضرورة فتح باب الاجتهاد، ونبذ التعصب دون إخلال بما يجب من احترام أقوال الأئمة الأربعة.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/٢١٣).

ورغم أن الإمام - رحمه الله - يُعدّ من المجددين لهذا الدين؛ إلا أن هذا التجديد جاء منضبطاً بذلك المبدأ، ومرتبطاً بالدليل في كل جزئية، فليس التجديد - كما فهمه البعض - تأسيساً لدين جديد، أو إضافة إلى دين الله وشرائعه، أو حذفاً منها، بل هو إعادة للدين الذي جاء به النبي ﷺ ومحاوله تطبيقه من جديد في واقع الحياة، وإزالة ما أحدثه الناس فيه من البدع والخرافات، ليعود جديداً ناصعاً واضحاً كما كان في الصدر الأول، وقد كان من أبرز وسائل الإمام لتحقيق هذا المبدأ؛ عنايته - رحمه الله - بالسنة ومعرفة صحيحها من ضعيفها، ونشر هذا العلم، لإزالة البدع المحدثه، وإحياء السنة.

٤ - أهمية معرفة سبيل المجرمين وكشف المعاندين من أهل البدع والزيغ والضلال:

مع التحذير منهم، وقطع الطريق عليهم، لئلا يغتر بهم عامة الناس. وقد حرص الإمام - رحمه الله - في رسائله على تكرار ذكر أسماء أولئك المفسدين وأوصافهم؛ فتحدث عن تاج وخطاب، وأولاد شمسان، وأولاد إدريس، والزاهد المطويوه، وأمثالهم. كما تحدّث عن الفرق الضالة، كالخوارج والرافضة والقدرية والمتكلمين وغيرهم. ولم يتجاوز الإمام بذلك ضوابط الشرع، فقد قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَتَسْتَنِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١١]^(١)، كما أن القرآن الكريم اشتمل على ذكر أخبار كثير من

(١) وقرأها نافع بنصب (سبيل) فيكون الفعل خطاباً للنبي ﷺ، وهي قراءة سبعية صحيحة، انظر: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، (ت ٤٣٧هـ) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط الرابعة - ١٤٠٧هـ] [١/٤٣٤].

المجرمين وأسماء بعضهم تحذيراً من مسلكهم لئلا يغتر بهم الناس، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [السد: ١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦].

٥- التحذير من الغلو في التكفير أو الاحتساب وبيان بعض الضوابط الشرعية في ذلك:

لاشك أن عناية الإمام -رحمه الله- بهذا الجانب تؤكد براءته -رحمه الله- مما نسب إليه، ومما وقع فيه بعض أتباعه جهلاً، من التسرع في التكفير أو الاحتساب دون مراعاة للضوابط الشرعية وقاعدة المصالح والمفاسد، وغيرها من قواعد الدين.

وقد اعتنى -رحمه الله- بهذا الجانب أشد العناية، ونصّ عليه في عقيدته التي بيّنها في رسالته إلى أهل القصيم، يقول الإمام مبيناً عقيدته في ذلك: (...ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنوب، ولا أخرج من دائرة الإسلام)^(١). كما حذر الإمام أتباعه من الغلو في الاحتساب، وبيّن -رحمه الله- ضوابط التكفير وضوابط الاحتساب، وأنكر على بعض أتباعه إخلالهم بهذه الضوابط^(٢).

٦- الحرص على تفنيد الشبه المثارة حول الدعوة وردّ التهم الملتصقة بالدعاة: ينبغي للداعية أن يحرص على عدم إتاحة الفرصة لشبهات الأعداء وأباطيلهم أن تنتشر بين المدعوين، وتؤثر فيهم، وتحدّ من انتشار الدعوة

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/١١).

(٢) سبق التفصيل في ذلك في الفصل الأول (مضامين رسائل الإمام -رحمه الله-).

بينهم، بل ينبغي المسارعة إلى تنفيذها قدر الإمكان، إذا ظنّ الداعية أن خطرهما واضح، أما إذا كانت مجرد أقاويل تافهة لا تؤثر على سمعة الدعوة؛ فالأولى تجاهلها وعدم الانشغال بها عما هو أهم.

وقد ابتلي الإمام، وحوربت دعوته بشبهه وأباطيل خطيرة، كادت أن تؤدي

بدعوته لولا توفيق الله تعالى، ثم حرص الإمام على المسارعة إلى تنفيذها.

ولذلك فليس عجيباً أن يستغرق هذا الجانب جزءاً كبيراً من مضامين

رسائل الإمام - رحمه الله - حيث أنه كان يحرص - رحمه الله - أشد الحرص

على تقوية الفرصة على الخصوم، والمبادرة بتكذيبهم فيما اتهموه به من

الأباطيل، مع تنفيذ الشبه التي أثاروها حول الدعوة، وتبصير المدعويين

ببطلانها وبيان دليل ذلك من نصوص الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة.

والإمام - رحمه الله - يقتدي في ذلك بأنبياء الله تعالى ورسوله، الذين

حرصوا على المسارعة إلى تنقية صورهم ودعواتهم من الشائعات المغرضة،

المثارة حول أشخاصهم ودعواتهم، قال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام ﴿يَا

قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١]، سبحانه على لسان

نبيه هود عليه السلام ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:

٦٧]، ويصف هود عليه السلام نفسه بالأمانة والنصح؛ حيث أخبر عنه سبحانه

وتعالى أنه قال: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]، إلى غير ذلك من الشواهد

الدالة على مشروعية هذا المبدأ ^(١).

(١) انظر مزيداً من التفصيل في ذلك في الفصل الثاني من هذا البحث تحت عنوان (أسلوب غرس

الثقة بالداعي في نفوس المدعويين).

٧- العناية بالجانب الإيماني للمدعو، وتربية المدعويين على الفهم الشامل للعبادة:

فكما أن العبادة صوم وصلاة وحج وزكاة؛ فهي أيضاً صدق ووفاء، وبر بالوالدين، وإحسان إلى الناس، وأمانة في البيع والشراء والمعاملات، وهي أيضاً جهاد ودعوة، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وقد حثّ الإمام كل داعية ومعلم على أن يصرّح للمدعو والمتعلم (بحق الله على العبيد، ويصف له حقوق الخلق، مثل حق المسلم على المسلم، وحق الأرحام، وحق الوالدين، وأعظم من ذلك حق النبي ﷺ) ^(١).

كما حثهم الإمام -رحمه الله- في رسائله الشخصية وبقية وسائله الدعوية على الزهد، وتزكية النفوس، وكثرة العبادة، مع تذكيره الدائم لهم بضرورة توفر شرطي الإخلاص والمتابعة في كل عمل صالح ^(٢).

وقد حرص الإمام -رحمه الله- أيضاً على تعليق المدعويين بالله سبحانه وتعالى مباشرة دون وسائط، وتوجيههم إلى كثرة دعاء الله تعالى والتبتل إليه، ولقّنهم بعض الأذكار والأدعية الثابتة في هذا الباب، يقول الإمام في رسالته لعبدالله بن محمد بن عبداللطيف: (... فعليك بكثرة التضرع إلى الله، والانطراح بين يديه، خصوصاً أوقات الإجابة، كآخر الليل وأدبار الصلوات، وبعد الأذان، وكذلك بالأدعية المأثورة خصوصاً الذي ورد في الصحيح

(١) من رسالة الإمام -رحمه الله- الشخصية إلى فئة المعلمين في بيان آداب المعلم وكيف يتدرج مع المتعلم، انظر: جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السننية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣ هـ] (١/١٧٠).

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا الجانب تحت عنوان (مراعاة حاجات المدعو الروحية).

أنه ﷺ كان يقول: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)^(١)، فعليك بالإلحاح بهذا الدعاء بين يدي من يجيب المضطر إذا دعاه... وقل: يا مُعَلِّم إبراهيم علمني...^(٢).

ويقول الإمام لعبد الله بن عيسى: (فتضرع إلى الله بقلب حاضر - خصوصاً في الأسحار - أن يهديك للحق، ويريك الباطل باطلاً، وفرّ بدينك، فإن الجنة والنار قدامك، والله المستعان)^(٣).

كما يوجه الإمام - رحمه الله - إلى أهمية الخشوع والإقبال على الله تعالى في الصلاة، فيقول مخاطباً الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود: (... اعلم أن مقصود الصلاة وروحها ولبها هو إقبال العبد على الله فيها...)^(٤)، ويقول أيضاً: (... فعليك بإدامة دعاء الله بدعاء الفاتحة، مع حضور قلب وخوف وتضرع...)^(٥).

ويحث الإمام - رحمه الله - كل من يتصدى للدعوة والتعليم على تنبيه المدعو والمتعلم إلى أهمية الدعاء؛ حيث يقول الإمام مخاطباً المعلم والداعية:

(١) سبق تخريجه .

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٥٦/٥) .

(٣) المرجع السابق ، (٣٠٥/٥) .

(٤) انظر : حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام ، [مرجع سابق] (٢٢٢/١) .

(٥) المرجع السابق ، (٢٢٦/١) .

(ومن أعظم ما تنبهه عليه [يعني المدعو والمتعلم] التضرع عند الله، والنصيحة، وإحضار القلب في دعاء الفاتحة إذا صلى)^(١).

٨- وضوح المنهج ووضوح الهدف والثقة بسلامة الطريق:

لأن غياب الهدف أو الغفلة عنه قد تؤدي إلى الميل والانحراف، كما أن التردد في المنهج وعدم وضوحه يشكك المدعوين في صدق الداعية وسلامة الدعوة.

وقد كانت رسائل الإمام -رحمه الله- ودعوته بصفة عامة؛ تدور حول هدف واضح جلي، لا لبس فيه، يدركه كل من له أدنى بصيرة؛ وهو أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يُعاد تطبيق دين الله تعالى بكامل جوانبه في واقع الناس، ويُقضى على البدع ومظاهر الشرك والانحراف.

كما أن منهج الإمام -رحمه الله- قد تميّز بالوضوح والثبات، وعدم التأثر بضغط الواقع وكثرة العوائق؛ حيث كان -رحمه الله- يعرف حال الأمة ومكامن أمراضها، وكان في الوقت ذاته يدرك تماماً طبيعة العلاج، وأنه لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أمر أولها.

ومن وضوح رؤيته -رحمه الله- أنه كان يعلن دائماً أن العبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ، وأنّ من تلفظ بالشهادة، مع الإصرار على الشرك، ومحاربة أهل التوحيد، رغم بلوغ الحجة وإقامتها عليه؛ فإن الشهادة لا تنفعه. وقد حدد الإمام منهجه بأربع نقاط واضحة، هي:

(الأولى: العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

(١) جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] [١/١٧١].

الثانية: العمل به.

الثالثة: الدعوة إليه.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

والدليل قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣] (١).

٩- العناية بالمرأة والحرص على تعليمها وتربيتها وعدم إهمالها:

ينبغي للدعاة اليوم أن يولوا أهمية خاصة بدعوة المرأة المسلمة، التي تكالِب الأعداء على إفسادها وإبعادها عن دينها، ليصلوا من وراء ذلك إلى إفساد المجتمعات الإسلامية، وهدم الأسرة المسلمة، ومن هذا المنطلق تظهر ضرورة أن يحرص الداعية على تعليم المرأة وتربيتها، وكذلك رفع الظلم الذي قد تفرضه عليها بعض المجتمعات، بعيداً عن منهج الله تعالى وتعاليم دينه الحنيف، كما ينبغي إعطاء المرأة مكانتها اللائقة بها، والاعتراف بدورها الرائد في الدعوة، وتشجيعها على القيام بهذا الدور.

(١) من رسالة الإمام المسماة (ثلاثة الأصول)، وهي رسالة علمية قصيرة المبني عظمة المعنى، وردت ضمن عدة مجاميع منها: عبد الله الرويشد، الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ، [القاهرة-رابطة الأدب الحديث- ط الثانية ١٤٠٤هـ] [٢/٢٠٨]، كما أفردت وشرحت، واعتني بها في عدة طبعات، منها: عبد الرحمن بن قاسم، حاشية ثلاثة الأصول، [ط السادسة ١٤٠٨هـ- بدون ناشر ولا بلد نشر] والشيخ محمد بن صالح العثيمين، شرح ثلاثة الأصول، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، [الرياض- دار الثريا- ط الأولى ١٤١٤هـ] بل قد نظمها عمر بن إبراهيم البري المدني، تسهيل الحفظ والوصول نظم ثلاثة الأصول في التوحيد، [المدينة المنورة- مطبعة المدينة المنورة- ب ت].

وقد اعتنى الإمام -رحمه الله- بهذا الجانب، فحثّ على تعليم النساء وتفقيهن بأمور الشرع^(١)، ومن ذلك قوله عن وجوب تعلم معنى الشهادة، ومعرفة صور الشرك وعظيم خطره: (... وأن الواجب إشاعته في الناس وتعليمه النساء والرجال ..)^(٢).

وبيّن الإمام في موضع آخر من رسائله معرفة عقيدة الولاء والبراء، وأن (الحب والبغض والموالاتة والمعاداة لا يصير للرجل دين إلا بها)^(٣).

ثم يؤكد على ضرورة تعليم النساء والأطفال هذه المسألة وأشباهها من مسائل العقيدة، ويبيّن: (... أنه واجب على الرجل يعلم عياله وأهل بيته ذلك، أعظم من وجوب تعليم الوضوء والصلاة)^(٤)، كما حرص الإمام -رحمه الله- على رفع الظلم الذي فرضته بعض المجتمعات على المرأة بالتحايل بطريقة الوقف أو الهبة أو القسمة، بغرض حرمانها من حقها الشرعي في الإرث، وسمّى الإمام تلك الحيلة (وقف الجَنَف والإثم)، وناله في إنكاره لهذه المسألة الكثير من الأذى.

كما أن المؤلفات التي تحدثت عن سيرة الإمام تذكر لنا شواهد من مواقف بعض النساء الصالحات، اللاتي كان لهن أثر في الدعوة، مثل (موضي بنت أبي وهطان) زوجة الأمير محمد بن سعود، وكذلك زوجة الإمام محمد بن

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٢٧/٥، ٣٢٣).

(٢) المرجع السابق، (١٢٧/٥).

(٣) المرجع السابق، (٣٢٢/٥).

(٤) المرجع السابق، (٣٢٣/٥).

عبدالوهاب (الجوهرة بنت عبد الله بن معمر)، وأمه (ابنة محمد بن عزاز المشرفي الوهبي) وكذلك بنتا الإمام (شائعة وهيا)^(١).
 ورغم أن تلك المؤلفات لم تذكر مواقف دعوية صريحة لأولئك النسوة، إلا أن ما ذكر من المكانة الاجتماعية لبعضهن، والقرب النسبي من الإمام للبعض الآخر، ربما يسوغ عدم استبعاد اضطلاعهن مع غيرهن من النساء في ذلك الوقت بمجهود طيبة في الدعوة بين النساء.

(١) انظر : بحثاً لطيفاً كتبه الشيخ حمد الجاسر بعنوان (المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) (ضمن بحوث أسبوع الشيخ) (١/١٦٤ - ١٨٢).

المطلب الثالث:

كيفية الاستفادة من أساليب رسائل الإمام في العصر الحاضر

١- ضرورة استخدام كافة الأساليب المباحة والمناسبة، وعدم الاقتصار على أسلوب معين:

وقد ظهر هذا الجانب بوضوح في رسائل الإمام -رحمه الله- ودعوته، وقدوته في ذلك أنبياء الله تعالى؛ حيث يقول الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا. فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦٠-٥]، وقال تعالى على لسان هذا النبي الكريم: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا. ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٨-٩].

كما أرشد المولى سبحانه وتعالى رسوله ﷺ إلى التنوع في أساليب الدعوة وعدم الاقتصار على أسلوب معين فقال عزّ من قائل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقد سبقت الإشارة إلى جملة من الأساليب الدعوية المؤثرة التي استخدمها الإمام -رحمه الله- في رسائله، ومنها أسلوب القدوة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب، وأسلوب الجدل والحوار العلمي النزيه؛ فلم يكن -رحمه الله- يتعسف النصوص، أو يلوي أعناق الأدلة، أو يخلق باب الحوار، بل كان -رحمه الله- يرحّب بالحوار في أي وقت، ويراسل العلماء ليحاوّرهم ويقنعهم بالحجة والدليل، ويتقبل انتقاداتهم بصدر رحب، بل ويحثهم على

نصحه وإرشاده إن رأوا عنده بعض الأخطاء^(١).

٢- الحكمة في تنوع الأساليب تبعاً لطبيعة المدعوين ومعرفة ما يناسب كل فئة:

كان الإمام -رحمه الله- يحرص على معرفة طبيعة المدعوين وواقعهم، ليصيغ رسائله بما يتناسب مع تلك الطبيعة وذلك الواقع، وإمامه في ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ من النصوص والشواهد في ذلك، ومنها وصيته ﷺ لمعاذ، حيث أخبره بواقع المدعوين وطبيعتهم، وأرشده إلى الأسلوب الأنسب لهم، فقال ﷺ: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ... فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ..) الحديث^(٢).

ومن هذا المنطلق كان أسلوب رسائل الإمام -رحمه الله- يتنوع بتنوع المدعوين، وقد سبقت الإشارة إلى ما تميزت به رسائل الإمام للعلماء، ورسائل للأمرء والسلاطين، ورسائل للعامة، ورسائل للمستجيبين، ورسائل للمعاندين، وكيف اتصف بعضها بصفات معينة، قد لا تتوفر في البعض الآخر^(٣).

(١) انظر بقية الأساليب ومزيداً من التفصيل فيها والشواهد عليها من رسائل الإمام في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

(٢) الحديث عند البخاري ، وقد سبق تحريجه .

(٣) انظر التفصيل في ذلك والشواهد عليه من رسائل الإمام في المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذه الدراسة .

فعلى سبيل المثال: نجد أن رسائله للمعاندين كانت تتصف بالحدّة ، حيث حرص الإمام -رحمه الله- على الرد على المعاند الرافض للدعوة، وفضح أمره، والإغلاظ له في الأسلوب والمعاملة، لحماية المجتمع من خطره، وقد كان الإمام يتدرج مع الخصوم، فيراسلهم ويخاطبهم بالأسلوب الحسن المقنع، فإذا تكرر منهم الرفض وظهر العناد، أغلظ لهم الإمام في القول، وفضح مقاصدهم، وهتك أستارهم.

يقول الإمام عن خصمه المويس: (... تراني استدعيته أولاً بالملاطفة، وصبرت منه على أشياء عظيمة)^(١)، لكن حين تبيّن للإمام مدى عناد هذا الخصم ومكابرتة، أغلظ له فيما بعد، وقال عنه: (... والرد على هذا الجاهل يحتمل مجلداً)^(٢)، ويبيّن أن كلامه (لا يصدر إلا من هو أجهل الناس)^(٣).

ولا شك أن هذا هو مقتضى الحكمة مع من لم ينفع معه اللين واللطف وأظهر العناد والأذى، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فاستثنى الله الظالمين من المجادلة بالحسنى، وقد ذكر العلماء أن في هذه الآية (إذن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل الكتاب

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/١٤١) .

(٢) المرجع السابق ، (١٣٥/٥) .

(٣) المرجع السابق ، (١٤٠/٥) . وانظر مزيداً من الشواهد على الغلظة في المبحث الثاني من

الفصل الثاني من هذه الدراسة .

بغير الذي هو أحسن^(١)، يعني بالغلظة والشدة (وَمَا يَلِيْقُ بِجَاهِلِمِ)^(٢)، بل وبالسيف والسنان كما نصّ بعض أهل العلم^(٣)، وقد قال إبراهيم عليه السلام للمعاندين من قومه، كما أخبر سبحانه وتعالى عنه: ﴿أَفَلَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفْئَالًا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، وقال نوح وهود عليهما السلام لقومهما لما اتضح عنادهم واستكبارهم على دعوة الحق: ﴿وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩].

٣- الحرص على الوضوح وتجنب المصطلحات الغامضة، مع نصاعة البيان وقوة الحجة:

ظهر هذا الجانب بوضوح في رسائل الإمام؛ حيث حرص -رحمه الله- على تجنب الغموض في الكلام والمصطلحات المجهولة، والأساليب الفلسفية الغامضة والطرق غير المباشرة في الوصول إلى الهدف، فكانت رسائله -رغم قوتها ونصاعة حججها وبيانها- سهلة ميسرة يقرؤها العامي، فيعرف قصد الإمام، ويقرؤها العالم، فيعرف أنها الحق المبين^(٤).

(١) الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، [مرجع سابق] (١٥٠/١٠) وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، [مرجع سابق] (٢٣٢/٧) وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، [مرجع سابق] (٦٦٢/٣).

(٢) أبو السعود، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، [مرجع سابق] (٤٢/٤).

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، [مرجع سابق] (٢٣٢/٧).

(٤) سبق التفصيل في هذا الجانب وذكر الشواهد عليه من رسائل الإمام في المبحث الأول من الفصل الثاني من هذه الدراسة تحت عنوان (الوضوح).

وهذا هو مقتضى الحكمة، فلا يكفي أن يقوم الداعية بالبلاغ؛ بل لا بد أن يكون البلاغ مبيناً واضحاً، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

٤- تبصير المدعويين بأساليب أهل الضلال وطرقهم في إعاقة الدعوة ومحاربة الدعاء:

ينبغي أن يحرص الداعية على تحصين المدعويين ضد ما يبثه أهل الضلال من الشبهات والأباطيل، وذلك بتبصير المدعو ابتداءً بأساليبهم الماكرة وطرقهم المتتوية.

وقد حرص الإمام -رحمه الله- على ذلك، يقول -رحمه الله- لأحد المدعويين^(١)، حين أراد هذا المدعو أن يجادل أهل الأحساء: (... وكن على حذر من أهل الأحساء أن يلبسوا عليك بأشياء لا ترد على المسألة أو يشبهوا، عليك بكلام باطل)^(٢)، ويقول الإمام -رحمه الله- منبهاً القاضي عبداً لله بن محمد بن عبداللطيف الأحسائي، ومحدراً له من الثقة بالفساق والمنافقين، والأخذ بوشاياتهم دون تثبت، ومبيناً أبرز صفاتهم وأساليبهم: (وينبغي للقاضي -أعزه الله بطاعته، لما ابتلاه الله بهذا المنصب- أن يتأدب بالآداب التي ذكرها الله في كتابه الذي أنزل ليبين للناس ما اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يوقنون، فمن ذلك: لا يستخفنه الذين لا يوقنون، ويثبت عند سعايات الفساق والمنافقين، ولا يعجل، وقد وصف الله المنافقين في كتابه بأوصافهم، وذكر شعب النفاق لتحتبب ويحتبب أهلها أيضاً، فوصفهم

(١) هو محمد بن سلطان، انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/١٤٥).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

بالفصاحة والبيان وحسن اللسان، بل وحسن الصورة في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٤]، ووصفهم بالمكر والكذب والاستهزاء بالمؤمنين في أول البقرة، ووصفهم بكلام ذي الوجهين، ووصفهم بالدخول في المحاصمات بين الناس بما لا يجب الله ورسوله في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ الآية [المائدة: ٤١]، ووصفهم باستحقاق المؤمنين، والرضا بأفعالهم^(١)، ووصفهم بغير هذا في البقرة وبراءة وسورة القتال، وغير ذلك؛ كل ذلك نصيحة لعباده ليجتنبوا الأوصاف ومن تلبس بها^(٢).

ولم يكتف الإمام بمراعاة هذا الجانب في رسائله فحسب، بل أفرد لذلك بعض الكتب المختصرة، مثل كتابه (مسائل الجاهلية)، الذي أظهر فيه كثيراً من طرق أهل الضلال في الصدّ عن سبيل الله، ومحاربة الدعاة، والتشجيع عليهم، وتلقيبهم بألقاب السوء، والافتراء عليهم بما هم منه براء، وكذلك كتابه (كشف الشبهات)، أورد فيه بعض ما يفيد في هذا الجانب. ومن خلال النصوص التي ذكرها الإمام في رسالته إلى القاضي عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف، يتبين أن كشف أساليب أهل الضلال منهج شرعي لا غنى عنه، لتحذير المدعوين من الانخداع بهم، أو الاتصاف بأوصافهم.

(١) لعل الإمام هنا يشير إلى قوله تعالى في وصفهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (سورة البقرة: ١١)، فهم راضون بأفعالهم رغم فسادها، بخلاف المؤمن، فإنه يعمل العمل الصالح ويخاف أن لا يقبل منه، فلا يرضى بأعماله بل يتهم نفسه، ويسعى على الدوام إلى التزود بالعمل الصالح والإخلاص فيه.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/٢٥١).

٥- الإشارة إلى البدائل المباحة للمحذورات الشرعية قدر الإمكان:

لا شك أن كَفَّ النفوس عما ألفتها واعتادت عليه؛ يعد من الأمور الثقيلة على النفس ومن هذا المنطلق يتردد كثير من المدعويين عن الاستجابة للدعوة والامتثال لما أمر الله به، والانتهاز عما نهى الله عنه.

ولعل من أبرز العوامل التي تُيسِّر على المدعو سرعة الاستجابة للدعوة؛ أن يُوجَّه إلى البدائل المباحة للمحذورات الشرعية، إذ أن لهذا الأسلوب أثره البالغ في حفز المدعو على سرعة الاستجابة، كيف لا وقد وجد البديل، ولم تبق له حجة، وقد أشار المولى سبحانه وتعالى إلى هذا الأسلوب، ففتح الباب لطلب الرزق، وبيّن المباح من المعاملات المالية قبل أن يذكر المحرم منها، فقال سبحانه: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقد أدرك الإمام -رحمه الله- أهمية هذا الأسلوب؛ فحرص قدر الإمكان على بيان البديل المباح للمحذورات الشرعية إن وُجد، ومن ذلك أنه لما أنكر على بعض أتباعه من أهل سدير عدم تأديبهم بأداب الاحتساب، وبيّن أن في ذلك (مضرة على الدين والدنيا)^(١)، وأن (بعض أهل الدين ينكر منكراً وهو مصيب، لكن يخطئ في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان، وقد قال تعالى: ﴿وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣])^(٢)؛ حرص الإمام بعد ذلك على بيان البديل المباح، والتفصيل فيه في نهاية الرسالة، فقال: (... والجامع لهذا كله: أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره، أن ينصح

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/٢٩٧).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية/٢٩٦).

برفق خفية ما يشترف أحد، فإن وافق، وإلا استلحق عليه رجلاً يقبل منه بخفية، فإن لم يفعل، فيمكن الإنكار ظاهراً، إلا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق، واستلحق عليه ولا وافق، فيرفع الأمر يمتنا خفية^(١).

ولم ينحصر اهتمام الإمام بهذا الجانب في رسائله الشخصية فحسب؛ بل اهتم به في بعض كتبه، وأورد ما جاء عن النبي ﷺ في ذلك، ومن ذلك ما أورده في كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد من النصوص الشرعية الدالة على وجوب:

اجتناب قول: (ما شاء الله وشئت)، والوصية باستبدالها بقول: (ما شاء الله ثم شئت)، أو (ما شاء الله وحده)، واجتناب قول: (والكعبة)، واستبدالها بقول: (ورب الكعبة)^(٢)، واجتناب قول المملوك لسيده: (ربي)، واستبدالها بقوله: (سيدي ومولاي). والنهي عن قول السيد لماليكه: (عبيدي وأمتي) واستبدالها بقوله: (فتاي وفتاتي وغلامي)^(٣)، والنهي عن قول: (لو أنني فعلت كذا لكان كذا وكذا)، واستبدالها بقول: (قدر الله وما شاء فعل)^(٤). إلى غيرها من النصوص الشرعية الصريحة الواضحة في مشروعية بيان البديل المباح للمحذورات الشرعية.

(١) المرجع السابق (الشخصية/٢٩٧).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ القسم الأول (كتاب التوحيد) (١/١١٢).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (١/١٢٧).

(٤) المرجع السابق، (٣٠/١).

٦- طلب النصيحة باستمرار، والحرص على الاستفادة من التوجيهات والنقد الإيجابي:

خاصة إذا صدر هذا النقد من العلماء العاملين، وطلبة العلم الناصحين. ولعل حرص الإمام على هذا الجانب كان من أهم أسباب نجاح هذه الدعوة المباركة، وقلة أخطائها العلمية والمنهجية، مقارنة بالدعوات الأخرى؛ إذ لم يغفل الإمام -رحمه الله- عن تلك الحقيقة الواضحة، وهي أن الداعية بشر، والبشر -مهما بلغ من العلم والفتنة- معرضٌ للخطأ والنسيان والغفلة وغير ذلك، ولذلك كان -رحمه الله- يحرص أشد الحرص على طلب النصح والتصويب من العلماء وطلبة العلم، الذين يرأسهم، ويقول: (.. وأنا أجد في نفسي أن ودي من ينصحي كلما غلظت)^(١)، ثم يقول في موضع آخر: (.. بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه، إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ، فإنه لا يقول إلا الحق)^(٢).

٧- الحرص على جمع كلمة المسلمين ما أمكن:

ومن أبرز الوسائل النافعة في هذا الباب: التركيز على جوانب الاتفاق؛ ومحاولة إبرازها والتأكيد عليها، إذ أن لذلك أثره الواضح في تخليص المدعو من روح المواجهة والتحدي، التي قد يشعلها الشيطان في قلبه، ليصرفه عن قبول الدعوة.

(١) المرجع السابق، (٢٨٩/٥).

(٢) المرجع السابق، (٢٥٢/٥).

كما أن لذلك أثراً واضحاً في حمل المدعو على الشعور بأن الداعي قريب منه، يوافقه في بعض الجوانب، ولا يريد له إلا الخير والفلاح. ولا شك أن مبدأ التركيز على جوانب الاتفاق - إن وجدت - مبدأ نبوي، وله أثره الواضح في النفوس، ومن شواهد ذلك في دعوة النبي ﷺ: رسالته ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة، الذي كان يدين بالنصرانية، حيث بدأها ﷺ بما هو محل للاتفاق، من الثناء على الله وتمجيده، ثم ضمّنها الثناء على عيسى ﷺ وأمه الطاهرة التي وصفها بأنها (البتول الطيبة الحصينة)، ومما قاله ﷺ في هذه الرسالة: (بسم الله الرحمن الرحيم... من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلّم أنت، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلق الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له...) (١).

وقد أتى هذا الأسلوب الحكيم ثماره المباركة؛ إذ أن النجاشي (لما قرئ عليه الكتاب أسلم، وقال: لو قدرت أن آتية لأتيته) (٢).

ومن مظاهر اهتمام الإمام محمد بن عبد الوهاب بهذا الجانب؛ حرصه - رحمه الله - على التركيز على إثبات كرامات الأولياء، ووجوب محبتهم وولايتهم،

(١) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، [مرجع سابق] (ص ١٠٠).

(٢) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، [بيروت - دار صادر - ب ت] (٢٠٧/١) وابن قيم الجوزية، زاد المعاد، [مرجع سابق] (٢٦/٣).

وإثبات شفاعة النبي ﷺ بعد إذن الله تعالى له، إضافةً إلى احترام أئمة المذاهب والشهادة لهم بالعلم والفضل ، وهذا واضح في رسائل الإمام ودعوته رحمه الله.

يقول الإمام في رسالته إلى أهل القصيم التي يبين فيها عقيدته: (... وأقرّ بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات ، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله) (١).

ويقول - رحمه الله - في الرسالة نفسها: (... وأومن بشفاعة النبي ﷺ وأنه أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَكُمْ مِنْ مَلَكَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]، وهو لا يرضى إلا التوحيد، ولا يأذن إلا لأهله، وأما المشركون، فليس لهم من الشفاعة نصيب، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَتَفَعَّلُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [الدثر: ٤٨] (٢).

كما حرص - رحمه الله - على بيان احترامه لعلماء المذاهب الأربعة، ووصفه إياهم بالإمامة، واتباعه ما وافق الدليل من أقوالهم جميعاً، يقول - رحمه الله -: (.. وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد، فنحن مقلدون الكتاب

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية / ١١) .

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية / ٩-١٠) .

والسنة، وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة^(١)،
ويبين الإمام أيضاً أنه أخذ بما (عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة: أبي
حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد حنبل،
رحمهم الله تعالى)^(٢).

ويؤكد الإمام أن ذلك لا يمنع من التمسك بالتمذهب، مع مراعاة تقديم النصوص
الصريحة على المذهب عند التعارض، ويقول عن نفسه: (... وأما مذهبننا
فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة)^(٣).

(١) المرجع السابق، (٩٦/٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٩٦/٥) وانظر المرجع السابق، (١٠٧/٥).

(٣) المرجع السابق، (١٠٧/٥).

المطلب الرابع:

كيفية الاستفادة من آثار رسائل الإمام في العصر الحاضر

١- العناية بما يزيد من تأثير الدعوة:

إن من مصلحة الدعوة أن يحرص الداعية على بذل الأسباب المباحة، المؤدية إلى مضاعفة آثار الدعوة، وتوسيع نطاق انتشارها ومضاعفة أعداد المستفيدين منها كمّاً وكيفاً، ومن وسائل ذلك:

أ- استكتاب العلماء وطلبة العلم أو استضافتهم لتأييد الدعوة ومناصرتها:

ولو لم يكن رأي بعضهم ذا بال بالنسبة للداعية؛ لأن الهدف هو كسب من يتأثرون بهذا العالم وطالب العلم؛ إذ أن كثيراً من العوام ربما لا يؤيدون أي دعوة ولا يعارضونها، بل ولا يتفاعلون معها، إلا بعد سماع رأي العالم أو طالب العلم الذي يثقون به، وبكسب هذا العالم أو طالب العلم، يكون الداعية قد ضم هذه الفئة من العوام إلى دعوته.

وقد حرص الإمام -رحمه الله- على هذا الجانب، حيث إنه -رحمه الله- كان يطلب من الشخصيات الهامة والمعروفة في منطقة ما؛ أن يقوموا بالتقريض أو التعليق على رسائله، ليكون ذلك أدعى لقبول الرسالة عند أهل تلك المنطقة أو البلدة .

ومن ذلك أن الإمام -رحمه الله- أرسل رسالة إلى أهل الرياض ومنفوحة، وهو إذ ذاك مقيم في العيننة، وكتب إلى عبد الله بن عيسى قاضي الدرعية يسجّل تحتها بما رآه من الكلام، ليكون ذلك سبباً لقبولها^(١).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٨٦/٥) .

وكذلك خصم الدعوة سليمان بن سحيم - قبل أن تتبين عداوته الصريحة لهذا الدين - كان قد كتب تعليقا على إحدى رسائل الإمام يؤيد فيه ما ذكره الإمام حول تكفير الطواغيت، حيث قال ابن سحيم معلقاً: (ما ينكر هذا إلا أعمى القلب)، وبعد ذلك تولى موسى بن سليم حمل الرسالة وتعليق ابن سحيم عليها، وقام (بقراءتها على البلدان ومنفوحة والدرعية)^(١)، فكان لها أعظم الأثر.

ويصرّح الإمام باستخدامه لهذه الطريقة، حيث يقول في رسالته لعبد الله بن عيسى: (وأنا كاتب لكم تسجلون عليه، وتكونون معي أنصاراً لدين الله)^(٢).

ب- نشر الدعاة في شتى البقاع ليقوموا بشرح مبادئ الدعوة وتفنيده الشبه المثارة حولها:

فالداعية قليل بنفسه، كثير بإخوانه، ولا بد من استغلال جميع الطاقات الممكنة للقيام بهذه الوظيفة العظيمة. وظيفة الأنبياء.

وقد أدرك الإمام - رحمه الله - أهمية هذا الجانب؛ فحرص على نشر مجموعة من الدعاة، يقرأون رسائله على الناس، ويعلمون الناس، ويرشدونهم، ويربونهم على تعاليم الإسلام الصحيحة، ومن أولئك الدعاة: موسى بن سليم، الذي كان يمارس الدعوة، ويقوم بنشر التوحيد في منفوحة والدرعية، وغيرها من البلدان، بواسطة قراءة رسائل الإمام على المدعوين^(٣).

(١) المرجع السابق، (٢٢٨/٥).

(٢) المرجع السابق (٣١٤/٥).

(٣) من رسالة أرسلها الإمام إلى سليمان بن سحيم، المرجع السابق، (٢٢٨/٥).

كما أن الإمام أرسل وفداً من طلابه، ومعهم عبدالرحمن الشنيفي ليقوموا بدعوة سليمان بن سحيم ومذاكرته، وتوضيح التوحيد له ولأتباعه^(١).

وفي سنة ١١٩٠هـ وفد أهل اليمامة وأميرهم حسن البجادي، وبايعوا الإمام محمداً والأمير عبدالعزيز على دين الله ورسوله، فأرسلوا معهم معلماً يعلمهم التوحيد، هو الشيخ حمد العربي^(٢).

وفي سنة ١١٨٥هـ أرسل الإمام محمد والأمير عبدالعزيز إلى والي مكة (الشريف أحمد بن سعيد) هدايا، وكان قد كاتبهم وراسلهم، وطلب منهم أن يرسلوا فقيهاً عالماً من جماعتهم يبين لهم حقيقة ما يدعون إليه من الدين، وينظر علماء مكة، فأرسلوا إليه الشيخ عبدالعزيز بن حصين، ومعه رسالة منهما، وناقش علماء مكة في عدة مسائل؛ مثل مسألة التكفير، وهدم البناء على القبور، ودعاء الأموات وأظهر أدلته وعاد مكرماً^(٣).

وكان حسن بن عيدان من أتباع الإمام، الذين تولوا الدفاع عن دعوته في الوشم.

وكان محمد بن صالح يجادل سليمان بن سحيم في مجلس زعماء من بلدة الرياض^(٤).

وفي سنة ١١٧٠هـ وفد أهل ثادق، وبايعوا على دين الله ورسوله، وطلبوا

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (٢٢٩/٥).

(٢) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (٩٦/٢).

(٣) المرجع السابق، (٨١/٢).

(٤) المرجع السابق، (٨١/٢).

معلماً يقرر لهم التوحيد وأصول الإسلام، فأرسل الإمام معهم تلميذه حمد بن سويلم، وهو من أهل الدرعية^(١).

ولا شك أن إرسال الدعوة من أبرز سمات دعوة النبي ﷺ الذي أرسل مصعب بن عمير ﷺ إلى المدينة داعياً، وأرسل معاذاً ﷺ إلى اليمن. وكان إذا أسلم عنده شخص، فقهه في الدين، ثم أرسله إلى قومه داعياً، وقال له: (ارجع إلى قومك، فادعهم إلى الله)^(٢)، فصلوات ربي وسلامه عليه.

ج- الاستفادة من التجمعات البشرية العامة والتجمعات الإسلامية على وجه الخصوص:

مثل موسم الحج، الذي يجتمع فيه اليوم ما يقرب من مليوني مسلم بقلوب خاشعة مهينة لقبول النصح والتوجيه والإرشاد، خاصة إذا صاحبه أسلوب مناسب حكيم.

ولعل دعوة الإمام -رحمه الله- من أبرز الدعوات التي استفادت من هذا الموسم العظيم في نشر الدعوة، خاصة بعد دخول منطقة الحجاز تحت لواء الدولة السعودية الأولى (١٢١٧هـ)^(٣) بل إن كثيراً من الدعوات الإصلاحية التي تبعت دعوة الإمام كانت متأثرة برحلة الحج، التي استغلها أتباع الإمام في نشر الدعوة، وإرشاد الناس وتوجيههم.

وقد كان النبي ﷺ يستغل الفرص لنشر الدعوة، وزيادة تأثيرها، فكان يتبع الناس في منازلهم وفي (موسم الحج) و(مواسم التجارة وتبادل الأشعار) مثل

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (٣٥/١).

(٢) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، [مرجع سابق] (٦٢٦/٣).

(٣) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، [مرجع سابق] (١٢٢/١).

سوق عكاظ، ومجنة، وغيرها، فيدعوهم إلى الله تعالى، ويعرض عليهم نصره هذا الدين^(١).

٢- الحرص على تجنب كل ما يحد من تأثير الدعوة مع السعي في إزالة معوقاتهما:

وقد ظهر حرص الإمام - رحمه الله - على هذا الجانب من خلال عدة صور؛ منها: عدم الاقتصار على وسيلة واحدة، ومحاولة استخدام عدة وسائل، وكذلك الوقوف في وجه الخصوم، ورد شبهاتهم وأباطيلهم، وإرسال الرسائل في تنفيذ دعاواهم، والتحذير منهم، مع محاولة تبصير المدعويين بخطورة الأهواء والشهوات وغيرها من العوائق، التي تحول دون قبول الدعوة^(٢).

٣- عدم الاستهانة ببعض وسائل الدعوة، وإن بدا للناس أنها قليلة الشأن زهيدة التكلفة:

ومن تلك الوسائل: وسيلة المراسلة، حيث ثبت أن لها أثراً عظيماً، نظراً لما اتصفت به من الخصائص والمميزات، التي تجعلها قادرة - بعد توفيق الله - على إحراز نتائج طيبة.

وقد استغل الإمام - رحمه الله - هذه الوسيلة استغلالاً طيباً؛ فكان لها أثر واضح في استحابة كثير من المدعويين، وبيان بعض المسائل الهامة لهم، وتأيد

(١) سبقت الإشارة قريباً إلى حديث جابر رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ لبث بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم، ومجنة وعكاظ، يقول: من يؤويني؟ من ينصرنني؟ حتى أبلغ رسالات ربي) سبق تخرجه.

(٢) سبق التفصيل في هذه الجوانب، في المبحث الأول من الفصل الثالث، تحت عنوان (معوقات تأثير الرسائل).

كثير منهم للدعوة؛ مثل الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود - رحمه الله - وكذلك ثنيان ومشاري شقيقا الأمير محمد بن سعود، وكذلك أفراد من آل سويلم، والشيخ علي السويدي، والشيخ عبد الله بن عيسى مطوع الدرعية، وبعض أهل القصيم .

كما سبقت الإشارة إلى أن رسائل الإمام كان لها أثر في تهيئة البيئة المناسبة للهجرة إلى الدرعية، وتحسين علاقة الدولة السعودية الأولى بأشراف مكة، وتهيئة الجو المناسب لمناظرة علماء مكة، إضافةً إلى تعليم الناس وتفقيهم بأمور دينهم، إضافة إلى دفع العلماء ومدعي العلم إلى البحث والتأليف، والعودة إلى كتب أهل العلم، إما للرد على الإمام، أو لتأييده ومناصرته^(١).

وسبق الحديث أيضاً في هذا البحث عن بعض مجالات رسائل النبي ﷺ والشواهد على ذلك؛ حيث اتضح أن النبي ﷺ كتب الرسائل لغرض الدعوة إلى الإسلام، مثل رسائله إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، وأن منهم من قبل رسالته وأسلم كالنجاشي.

كما كتب ﷺ رسائل لغرض التشريع وبيان بعض الأحكام الشرعية؛ مثل رسالته إلى عمرو بن حزم حين استعمله على نجران، وكتب ﷺ رسائل أخرى لأغراض أخرى؛ كالمعاهدات، والصلح والمنح والأعطيات، وتوزيع الغنائم، وتوجيه العمال في الأقاليم^(٢)، وغيرها من الأغراض.

(١) انظر مزيداً من التفصيل في ذلك (ص ٦٨٥ وما بعدها) من هذا البحث

(٢) انظر الشواهد ومزيداً من التفصيل في رسائل النبي ﷺ في المبحث الثاني من الفصل التمهيدي تحت عنوان (استخدام النبي ﷺ لوسيلة المراسلة).

٤- إن الداعية قد لا يتمكن من رؤية جميع آثار دعوته أثناء حياته ، وينبغي أن لا يفت ذلك في عضده:

فليس عليه صنع النتائج، وإنما عليه العمل وبذل الأسباب، ولو لم يكن من نتائج دعوته إلا براءة الذمة والإعذار إلى الله تعالى.

ورغم أن الله تعالى يسر للإمام -رحمه الله- رؤية الكثير من نتائج رسائله، وبقية وسائل دعوته، وآثارها المباركة أثناء حياته؛ إلا أنه -بالتأكيد- لم ير بقية نتائجها؛ بل وربما لم يكن يتوقع حدوث مثل هذه الآثار المباركة لتلك الدعوة؛ فقد تضاعف عدد المعتنقين لهذه الدعوة والمؤيدين لها ولمبادئها، وتبدلت الأحوال السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية في موطن الدعوة إلى الأحسن والأفضل، وحدثت يقظة فكرية، وثورة علمية مباركة، أحيا الله بها كثيراً من السنن، وأمات بها كثيراً من البدع، بل امتدت الآثار إلى بقية جوانب الثقافة، فحصل نوع من التحديد في الحياة الفكرية والأدبية، ثم قامت عدة حركات ودعوات إصلاحية خارج سلطان الدعوة، إما متأثرة بهذه الدعوة، أو مستفيدة منها، يكاد يجمعها ما دعا إليه الإمام من مبدأ (إخلاص التوحيد لله تعالى، مع الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد، وبذ التقليد)^(١).

وبالجملة، فإن المتأمل لرسائل الإمام -رحمه الله- ومؤلفاته يجد فيها العديد من الفوائد الدعوية التي يستفيد منها الداعية في العصر الحاضر، إذ أن آثاره

(١) انظر التفصيل لهذه العناصر والشواهد عليها في المبحث الأول من الفصل الثالث تحت عنوان

(بعض آثار دعوة الإمام رحمه الله) .

رحمه الله ورسائله على وجه الخصوص كانت وما زالت منبعاً ثراً وزاداً لكل
الدعاة في العصر الحاضر، بل والمستقبل إن شاء الله تعالى ، ولا شك أن من
المتعذر أن تتم الإحاطة هنا بكل الفوائد التي يمكن أن تؤخذ من هذه الدعوة
المباركة، فيكتفى بما ذُكر تجنباً للإطالة، وبالله التوفيق، وهو المستعان على
كل حال.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام الدعوة، وعلى آله وأتباعه إلى يوم الدين ..

أحمد الله عز وجل، وأشكره على ما يسّر وأعان من كتابة هذا البحث المتواضع عن رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - دراسة دعوية، وقد خرجت بحمد الله من خلال هذا البحث بعدة نتائج، كما برزت في الذهن بعض التوصيات والمقترحات، التي يحسن ذكرها هنا على النحو التالي:

أولاً: النتائج:

تبيّن للباحث من خلال هذا البحث عدة نتائج، من أهمها ما يلي :

١- أن تحرّي الإخلاص، وقوة الإعداد العلمي والتربوي، الذي هياها الله تعالى للإمام، إضافةً إلى حرصه - رحمه الله - على الأخذ بكافة الأسباب والوسائل الدعوية المشروعة كان من أهم أسباب نجاح دعوته، وقوة تأثير رسائله وبقية وسائله الدعوية .

٢- من حكمة الإمام - رحمه الله - أنه كان يسعى إلى إيجاد القوة التي تحمي الدعوة، اقتداءً بالنبي ﷺ، وقد يسّر الله له ما أراد، وأصبحت الدعوة في قوة ومنعة بعد تحالف الإمام مع أمير الدرعية محمد بن سعود رحمه الله.

٣- أهمية وسيلة المراسلة، وقوة تأثيرها، وتعدد جوانب الاستفادة منها، حيث استفاد الإمام منها في جوانب الدعوة والتعليم والجدل، والفتيا، وغير ذلك من الأغراض، ونتج عن هذه الوسيلة عدة آثار؛ منها: استجابة كثير من المدعوين، وتأييدهم للدعوة، وتهيئة البيئة المناسبة للهجرة إلى

الدرعية، وتحسين علاقة الدولة السعودية الأولى بأشراف مكة، وتهيئة الجو المناسب لمناظرة علماء مكة، إضافة إلى تفقه الناس بأمور دينهم، وتبديل أحوالهم الدينية والاجتماعية وغيرها إلى الأحسن.

٤- أن وسيلة المراسلة لم تفقد مكانتها في عصرنا الحاضر، رغم كثرة البدائل من وسائل الاتصال السريعة الموثوقة؛ بل على العكس من ذلك، فقد ازدادت أهمية هذه الوسيلة، وتضاعفت جوانب استخدامها، حيث أصبحت هي وسيلة الاتصال الرسمية والرئيسية في المعاملات الإدارية والتجارية، بل وفي العلاقات الدولية، وقد استخدمها أعداء الإسلام على نطاق واسع في الدعوة إلى عقائدهم الفاسدة ورصدوا لها الميزانيات والأموال الكثيرة، فأنشأوا مدارس نظامية بالمراسلة، ودورات علمية بالمراسلة، وتمكنوا من تنصير كثير من المسلمين، ويوجد والله الحمد جهود طيبة من قبل بعض المسلمين في استخدام هذه الوسيلة، وقد نفع الله بهذه الجهود، ولكنها ما زالت جهوداً محدودة.

٥- أن رسائل الإمام الشخصية تكتسب أهمية خاصة من بين آثار الإمام العلمية الأخرى، فهي تلقي الضوء على ملامح هامة من حياة الإمام، وتكشف جوانب عديدة من شخصيته - رحمه الله - وقد تضمنت إشارات عديدة حول جهود الإمام في الدعوة إلى الله، ومنهجه وأساليبه في الدعوة والاحتساب، وطبيعة العوائق التي تعرض لها، وكيف تجاوزها، وطبيعة الخصوم الذين ناؤوا الدعوة، وموقف الإمام منهم.

كما أن الرسائل قد كشفت عن الجانب الآخر من شخصية الإمام، وأنه لم

يكن عالماً محققاً فحسب؛ بل كان -إلى جانب ذلك- داعيةً حكيماً، يدرك طبائع النفوس، ويتقن فن التعامل معها، ويستخدم لكل حال ما يناسبها من الوسائل والأساليب الدعوية المؤثرة.

٦- أن الدارس لرسائل الإمام الشخصية يخرج بدروس وفوائد دعوية قيمة لا غنى للداعية عنها، وقد سبقت الإشارة إلى بعض هذه الدروس، حيث خصّص لها المبحث الثاني من الفصل الثالث من هذا البحث تحت عنوان: كيفية الاستفادة من رسائل الإمام -رحمه الله- في العصر الحاضر.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي الباحثين بالمزيد من الاهتمام ببقية آثار الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ومؤلفاته؛ فقد وهبه الله سبحانه وتعالى جودة التأليف، وقوة العبارة، حتى إن القارئ لمؤلفاته -رحمه الله- يجد فيها من الوضوح ونصاعة البيان، وقوة التأثير ما لا يكاد يجده في كثير من المؤلفات الأخرى.

والعجيب أن العناية اقتصرت على فئة قليلة جداً من مؤلفات الإمام، وبقيت كثير من الآثار تحتاج إلى دراسة وتحقيق، أو شرح وتعليق.

وإن إخراج هذه الآثار بمزيد من التحقيق والدراسة نفع للمسلمين من جانب، وهو من جانب آخر وفاءً لذلك الإمام الذي محبته والدعاء له ولمن ناصره واجبٌ علينا أهل هذه البلاد على وجه الخصوص، وكذلك كل بلد نفعها الله بدعوته -رحمه الله- إذ لولا رحمة الله تعالى ثم هذه الدعوة المباركة، لربما كان بعضنا اليوم يصرف أنواع العبادة لبقير أو شجر أو حجر،

ثم يلقي الله حابط العمل، مطروداً من رحمة الله، أجارنا الله وكلّ مسلم من هذا المآل.

فرحم الله أصحاب تلك الدعوة المباركة، وجزاهم عنا خير الجزاء، وجمعنا بهم ونبينا محمد ﷺ في مستقر رحمته.

٢- أوصي الدعاة في مشارق الأرض ومغاربها بأن يدرسوا الدعوات الإصلاحية الناجحة، وأسباب نجاحها، ووسائل دعائها وأساليبهم، ليسلكوا مسالكهم، علّ الله أن يكتب لدعواتهم النجاح والقبول والتمكين.

وإن من تلك الدعوات المباركة؛ دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- الذي كان من أهم أسباب نجاح دعوته؛ حرصه -رحمه الله- على تحري الإخلاص والمتابعة، والعناية أولاً بتصحيح عقيدة المسلمين، وتنقية مجتمعاتهم من البدع والشركيات وأنواع المحرمات.

٣- أوصي الدعاة بالحرص على تنويع وسائل الدعوة وأساليبها، ومراعاة طبائع المدعوين ومكانتهم، وإعداد برامج ومواد دعوية تناسب كل فئة من فئات المجتمع، فمثلاً: مواد دعوية لفئة العامة، تصاغ بأسلوب واضح ميسر لغةً وموضوعاً، ويراعى فيه ما يفيدهم ويشد انتباههم ولا يثقل عليهم.

ومواد دعوية أخرى لغير المسلمين، وثالثة لعصاة المسلمين، ورابعة للدعاة المقصرين، وخامسة للأطفال، وسادسة للنساء.... وهكذا، بحيث يراعى لكل فئة ما يناسبها من الوسائل والأساليب.

٤- كما أوصي كليات الدعوة في الجامعات الإسلامية بأن تولي هذا الجانب -المذكور في الفقرة السابقة- عناية خاصة؛ فتضع الدراسات العلمية الجادة،

المقرونة بالنماذج التطبيقية، التي تبين الأساليب والوسائل المناسبة لكل فئة، ثم نشرها ليفيد منها الدعاة.

٥- أوصي المسؤولين في البلاد الإسلامية بإنشاء جهات خاصة، تقوم بوظيفة الدعوة إلى الله بالمراسلة، وأن ترصد الميزانيات الكافية لذلك، وتذلل الصعوبات في هذا الجانب؛ سعياً إلى القيام ببعض ما فرض الله تعالى على المسلمين من واجب الدعوة والبلاغ، وحفاظاً على عقائد المسلمين من الهجمات الفكرية والعقدية، التي يشنّها عليهم أعداء الإسلام عبر وسيلة المراسلة، كما أننا بذلك نغزو الأعداء في عقر دارهم، علّ الله أن يهدي كل ضالّ، لیسعدَ بهذا الدين، ويكون عوناً لإخوانه المسلمين.

ولا يفوتني أن أشيد بما تقوم به بعض الجهات الحكومية والخاصة في هذه البلاد المباركة من جهود طيبة في هذا المجال، وأسأل الله أن ينفع بها، ويثيب القائمين عليها.

٦- استغلّ المنصرون وسيلة المراسلة في جوانب عديدة، وعقدوا دراسات وبحوثاً وندوات حول كيفية استغلال هذه الوسيلة، وطرق إدارتها وتنظيمها، ومضاعفة جوانب الاستفادة منها... إلخ.

ولذلك فإنني أوصي الباحثين من إخواني المسلمين بالاطلاع على آخر ما توصل إليه الأعداء في هذا الجانب -خاصةً وأن معظم أبحاثهم متوفرة ومنشورة- ومن ثمّ إعداد الدراسات النافعة التي تجعلنا نحن المسلمين نبدأ من حيث انتهى هؤلاء في استغلال هذه الوسيلة، والاستفادة منها، فالحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق بها.

هذه أهم النتائج والتوصيات التي خرجت بها من هذا البحث، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل أعمالنا كلها صالحة، ولوجهه خالصة، وأن لا يجعل لأحد فيها شيئاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ملحق

قائمة برسائل الإمام الشخصية التي
أجريت عليها الدراسة

ملحق

قائمة برسائل الإمام الشخصية التي أجريت عليها الدراسة

إن المادة الرئيسة التي قامت عليها هذه الدراسة هي رسائل الإمام الشخصية التي جرت بين الإمام ومعاصريه، ولعل من المهم أن يشار هنا إلى (مواضع) تلك الرسائل والجهات التي وجهت إليها، إضافة إلى توثيق تلك الرسائل والتأكد من صحّة نسبتها للإمام -رحمه الله- ومدى إمكانية تصنيفها ضمن الرسائل الشخصية للإمام وفقاً لمفهوم الرسالة الشخصية الذي سبق تحديده في التعريف الإجرائي للرسائل الشخصية^(١).

أما إثقال هذا البحث (بسرود الرسائل) ووضعها جميعاً في هذا الملحق فيبدو أنه غير مناسب لأسباب منها:

أ) كبر حجمها، حيث تبلغ صفحات قسم الرسائل الشخصية الذي طبعته الجامعة (٣٢٣) صفحة، كما تبلغ صفحات الملحق الذي أضافه الباحث -والذي اشتمل على الرسائل الشخصية التي لم ترد في قسم الرسائل الشخصية الذي طبعته الجامعة- أكثر من مائة صفحة. بمعنى أن الملحق لن يقلّ عن أربعمائة صفحة، ولا شك أن إضافة ملحق بهذا الحجم فيه إثقال على الرسالة.

ب) أن مصادر هذه الرسائل كلها مطبوعة ومعنى بها، ويسهل الحصول عليها لكل أحد فهي تباع في المكتبات التجارية وتوجد في معظم المكتبات

(١) انظر ما سبق ذكره في المقدمة تحت عنوان (تعريف بمفردات الموضوع).

العامه، وبالتالي فإن مجرد الإشارة إلى موضع الرسالة في تلك المراجع كافٍ لمن أراد الاستزادة.

ويحسن قبل إيراد قائمة مواضع الرسائل أن يشار إلى الضابط الذي اعتمده الباحث في التفريق بين الرسائل الشخصية والرسائل العلمية .

- الفرق بين رسائل الإمام الشخصية ورسائله العلمية:

- الرسائل الشخصية:

يتضح جانب الخصوصيّة في معظم رسائل الإمام الشخصية وذلك بعدة صور منها ذكر اسم المرسل إليه سواءً أكان شخصاً أم عدة أشخاص أم فئة معينة، مثل أهل بلد معين، أو أهل صفة معينة؛ كالعلماء والمعلمين أو العوام.

وأحياناً لا يصرّح الإمام باسم المرسل إليه، ولكن يتضح من ثانيا الرسالة أنه يخاطب بها شخصاً بعينه أو فئة بعينها، ومن أمثلة ذلك: رسالة ذكرها

حسين بن غنام^(١)، ولم ترد في القسم الخامس من مطبوعات الجامعة (قسم الرسائل الشخصية) ربما لعدم وجود اسم المرسل إليه - ولكن عند تأمل

محتوى هذه الرسالة؛ يتضح من أسلوبها أنها رسالة شخصية أرسلت إلى شخص بعينه؛ حيث جاء في مطلعها (فأجاب - رحمه الله - بعد السلام:

فسرني ما ذكرت أهلك الله التوفيق ...) والسلام هنا يوحى بأن الإجابة تمت بالمراسلة، وأن السائل بعيد عن الإمام، ومن عبارات هذه الرسالة قول

(١) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [الرياض - المكتبة الأهلية - ط الأولى ١٣٦٨هـ].

الإمام: (وما أشكل عليك في هذا فراجعني وأذكر لك لفظهم بعينه..) فهي إذاً موجهة لشخص بعينه يعرفه الإمام، وهو يعرف الإمام ويستطيع زيارته ومراجعته للاستزادة منه، وعلى ذلك فإن هذه الرسالة ينبغي أن تصنف ضمن الرسائل الشخصية، وستكون بطبيعة الحال داخلة في هذه الدراسة.

- الرسائل العلمية:

أما الرسائل العلميّة فقد عرفّها السيد أحمد الهاشمي بأنها: (مقالات في المطالب العلميّة أو المسائل الأدبية، وإنما سميت بالرسالات لأن أصحابها يرسلونها إلى من اقترحها عليهم، ويسلك فيها صاحبها مناهج الاسترسال والمخاطبات البليغة)^(١).

وقد وُصفت بعض المؤلفات بأنها (رسائل) إما لقصرها ووجازتها مقارنة بالكتب والمؤلفات، أو لأن أصحابها يؤلفونها أحياناً بناءً على اقتراح أو طلب من أشخاص معينين فتكون -من حيث الصياغة والأسلوب- عامّة لا يظهر فيها أثر الخصوصية، وإن وجهها كاتبها بعد ذلك إلى من اقترحها عليه، ومن نماذجها الناضجة وإن كانت متأخرة جداً: بعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) التي كان يرسلها جواباً لمن سأله من أهل الأمصار؛ كرسالة العقيدة الواسطية التي كتبها شيخ الإسلام جواباً على رسالة أحد قضاة واسط، حين أرسل يطلب من شيخ الإسلام -رحمه

(١) السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، [بيروت - مؤسسة المعارف - ب ت] (ص ٢٢٤).

الله- أن يكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته^(١)، ومثلها رسالته الحموية، والتدمرية، والمدينية وغيرها من رسائله -رحمه الله-.

وللإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- العديد من الرسائل العلمية، مثل:

رسالة كشف الشبهات، ورسالة ثلاثة الأصول، وآداب المشي إلى الصلاة... وغيرها.

وهذه المؤلفات يمكن أن تسمى رسائل علمية، ويمكن أن تسمى كتباً صغيرة، ولكنها على أية حال لا تصنف ضمن الرسائل الشخصية.

ومع ذلك فإن من الملاحظ أن بعض آثار الإمام التي صُنفت الآن ضمن رسائله العلمية؛ إنما كانت في الأصل رسائل شخصية يتضح فيها جانب الخصوصية، وقد أرسلها الإمام إلى أشخاص أو فئات معينة، ولكن اعتنى بها أخيراً وطبعت مستقلة أو ضمن مجموعات على صورة رسائل علمية، مثل: (تفسير سورة الفاتحة)، التي اعتنى بها العلماء اليوم، وحققها الدكتور فهد الرومي، وقدم لها بمقدمة تزيل عنها الصفة الشخصية، وطبعت مستقلة، وصنّفها كثير من العلماء ضمن كتب الإمام أو رسائله العلمية، بينما هي في الواقع رسالة شخصية أرسلها الإمام عندما كان في العينة إلى الأمير عبدالعزيز ابن محمد بن سعود (وكان [الأمير عبدالعزيز] إذ ذاك صغير السن قد ناهز

(١) انظر: جمع عبدالرحمن بن قاسم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية، [الرياض - عالم

الاحتلام^(١)، ومن هذا المنطلق فإن هذه الرسالة تعد رسالة شخصية، وهي -بطبيعة الحال- داخلة ضمن هذه الدراسة.

- المصادر الرئيسية لرسائل الإمام الشخصية:

بدأ الباحث أولى خطواته في هذا البحث بحصر رسائل الإمام الشخصية التي ستقوم عليها هذه الدراسة، وذلك بالبحث عنها في المراجع الموثوقة، مثل:

(١) روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، للشيخ: حسين بن غنّام، حيث خصّص الكاتب هذا الكتاب للحديث عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وجعله في خمسة فصول وخصّص الفصل الثالث منها: (لسرد بعض رسائل أرسلها الشيخ إلى بعض البلدان وإلى بعض خواصّ الإخوان)^(٢).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: جمع الشيخ: عبد الرحمن بن قاسم، وقد جمع فيه الشيخ رسائل أئمة الدعوة النجدية، وعلى رأسهم الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، إعتنى بها وأعاد طباعتها: عبدالسلام

(١) حسين بن غنّام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/٢٢٢).

(٢) حسين بن غنّام، روضة الأفكار والأفهام [مرجع سابق]، (١/٩٥).

بن برجس آل عبدالكريم، حيث جمعت فيه رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه وأحفاده، وغيرهم من أئمة الدعوة.

ومن ثم حرص الباحث على توثيق تلك الرسائل والتأكد من صحة نسبتها للإمام - رحمه الله - وإمكانية تصنيفها ضمن الرسائل الشخصية للإمام وفقاً لمفهوم الرسالة الشخصية الذي سبق تحديده في التعريف الإجرائي للرسائل الشخصية الذي ورد في مقدمة هذه الرسالة.

وقد انتهت الدراسة بحصيلة طيبة من الرسائل قوامها ست وستون رسالة شخصية جمعت على النحو التالي^(١):

أ) الرسائل الشخصية الواردة في القسم الخامس من مجموع المؤلفات الشخصية.

وعدها إحدى وخمسون رسالة شخصية، وقد أدخل منها في الدراسة خمسون رسالة واستبعدت الرسالة رقم (١٧) من (ص ١٠٩ - ١١٥) المسماة (رسالة إلى أهل المغرب) وهي منقولة من الدرر السنية (١/٥٦ - ٥٩) حيث ثبت أنها ليست من رسائل الإمام، وأنها كتبت عام ١٢١٨ هـ أي بعد وفاة الإمام باثني عشرة سنة، ولعل كاتبها هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الذي كان مرافقاً لسعود بن عبدالعزيز حين استولى على مكة عام ١٢١٨ هـ، وقد ذكر الجبرتي في أحداث هذه السنة أن (الوهابي) أرسل هذه

(١) سبقت الإشارة بإيجاز إلى شيء من ذلك في المقدمة وإليك هنا بيان ذلك بشيء من البسط والإيضاح.

الرسالة إلى شيخ الركب المغربي أثناء فترة الحج^(١).

كما أكد الدكتور عبد الله بن صالح العثيمين، وكذلك الدكتور محمد بن سعد الشويعر؛ عدم صحة نسبة هذه الرسالة للإمام وأنها كتبت بعد وفاته^(٢).

إلا أن الدكتور عبد الله العثيمين قد شكك أيضاً في نسبة ثلاث رسائل أخرى^(٣)، إلى الإمام، إحداهما رسالته إلى عالم من أهل المدينة، وهي الرسالة رقم (٧) (ص ٤٤-٥١) من قسم الرسائل الشخصية، وكذلك رسالة الإمام إلى عبد الله الصنعاني رقم (١٦) (ص ١٠٤-١٠٩) والثالثة (رسالة جوابية للشيخ عن كتاب لم نقف عليه ويستغنى عنه بجوابه) وهي الرسالة رقم (٢٥) (ص ١٦٩-١٧٤).

وقد علل الدكتور العثيمين تشكيكه في نسبة هذه الرسائل إلى الإمام بعدة

(١) انظر: عبدالرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، [الرياض - دار الفارس للطباعة والنشر - ب ت] [٥٨٨/٢].

(٢) انظر: د. عبد الله العثيمين، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، [الرياض - مكتبة التوبة - ط الثانية ١٤١١هـ] (ص ٧٢) وانظر: د. محمد بن سعد الشويعر، تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، [الرياض - مكتبة المعارف - ط الثانية ١٤١٣هـ] (ص ٨٧) حيث ذكر عدة أدلة واضحة وقوية تدل على عدم نسبة هذه الرسالة للإمام.

(٣) انظر: بحثاً أعدّه الدكتور عبد الله العثيمين، بعنوان: (الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب) ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [الرياض - مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤٠٣هـ]، [٩٣/١ - ٩٧].

أمور منها: أنها لم ترد إلا في الدرر السنية، ولم يذكرها حسين بن غنام في تاريخه، وهذه العلة محجوجة بأمور منها:

١- أن حسين بن غنام قد صرح بأنه لم يذكر جميع رسائل الإمام بل اقتصر على (سرد بعض رسائل أرسلها إلى بعض البلدان وإلى بعض خواص الإخوان) ^(١).

ولاشك أن ما أورده ابن غنام من الرسائل مقطوع بصحة نسبتها للإمام بحكم قربه للإمام ومعاصرته له، وعنايته بتدوين سيرته ورسائله، ولكن هذا لا يعني أن ما نقله غير ابن غنام يعدّ مكذوباً على الإمام أو منحولاً إليه، فتلاميذ الإمام من أبنائه وأحفاده ومحبيه قد تضافرت هممهم على العناية بنقل كل ما أمكنهم نقله من آثار الإمام ورسائله ومؤلفاته بل وفتاواه الوجيزة والمطولة، وحاشاهم أن يتعمدوا الكذب على الإمام أو نسبة كلام غيره إليه.

٢- أن الشيخ عبدالرحمن بن قاسم جامع الدرر السنية قد جمع الرسائل عن مجموعات مشايخه من أحفاد الإمام وغيرهم من أئمة الدعوة؛ أمثال الشيخ محمد بن عبداللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ عبد الله بن عبدالعزيز العنقري، وغيرهم، وأعانه على ذلك الجمع شيخه سماحة مفتي الديار، الشيخ محمد بن إبراهيم، تحريراً وتهذيباً وإعادةً وبدءاً، ثم قرأ أكثره على شيخه محمد بن عبداللطيف، وعلى شيخه سعد بن حمد ابن عتيق،

(١) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، [مرجع سابق] (١/٩٥).

وشيخه عبد الله بن عبدالعزيز العنقري^(١)، فهو في الدرر لم ينفرد بشيء باجتهاده الشخصي، وإنما أثبت ما وافقه عليه عدد من أئمة الدعوة وعلمائها. بل حتى لو كان قد انفرد بشيء من ذلك فإنه -رحمه الله- رجل موثوق لدى علماء الدعوة وغيرهم ممن عاصره ولقيه وعرفه.

٣- أن الدكتور العثيمين يؤكد أن أفكار هذه الرسائل وأساليبها لا تبعد عن أفكار وأساليب رسائل الإمام، وقد عبّر عن ذلك بقوله: إن (أفكار علماء الدعوة لا تختلف، وأساليبهم وبخاصة إذا كتبوا عن العقيدة تتشابه)^(٢)، ومن هذا المنطلق فإن دراسة هذه الرسائل؛ هي على أية حال دراسة لأساليب الإمام وأفكاره وإدخالها ضمن الرسائل لن يكون سبباً في الخروج بنتائج غريبة أو خاطئة أو مخالفة لمنهج الإمام -رحمه الله-.

٤- إن من القواعد الكلية الكبرى؛ أن اليقين لا يزول بالشك^(٣)، ومن الواضح أن اليقين في مسألتنا هذه؛ أن هذه الرسائل تعد من رسائل الإمام الشخصية لتواتر عدد من العلماء الثقات الذين نسبوا إلى الإمام -رحمه الله-.

(١) انظر: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية، [السعودية- مطبوعات دار الإفتاء- ط الثانية ١٣٨٥هـ]. [٢٠/١ - ٢١].

(٢) د. عبد الله العثيمين، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، [مرجع سابق] (ص ٧٣).

(٣) انظر: محمد صدقي بن أحمد البورنو، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، [الرياض- مكتبة المعارف- ط الثانية ١٤١٠هـ] (ص ١٠٢).

وأما ما ذكره الدكتور العثيمين فهو مجرد شك. وعليه فيبقى الحكم باليقين حتى يأتي الدكتور العثيمين أو غيره من الباحثين بأدلة جازمة تثبت عدم نسبة هذه الرسائل الثلاث للإمام - رحمه الله -.

ومن هذا المنطلق فإن هذه الرسائل الثلاث ستكون داخلة في هذه الدراسة.

- وأما ما أثاره الدكتور العثيمين من كون الإمام لم ينصّ على اسمه في الرسالة بقوله كالمعتاد: (من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان ..) فإن الإمام - رحمه الله - لم يلتزم بهذه الصيغة في جميع رسائله، بل إن المتأمل للرسالة الشخصية الواردة في القسم الخامس من مجموع المؤلفات التي بلغت إحدى وخمسين رسالة؛ ليجد أن هناك اثنتي عشرة رسالة أخرى لم يصدرها الإمام بذكر اسمه^(١)، وهي من الرسائل التي أوردها حسين بن غنام في تاريخه، ولم يشكك الدكتور العثيمين في نسبتها إلى الإمام، فليس إغفال اسم المرسل في الرسالة دليلاً على عدم صحة نسبتها إلى كاتبها، بل يبدو أن الإمام - رحمه الله - كان يتعمد إغفال اسم المرسل والمرسل إليه أحياناً لأغراض دعوية؛ كدفع مفسدة أو نحو ذلك^(٢).

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) الرسائل رقم (١٢، ٨، ١)، (١٣، ١٨، ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٣٤، ٤٣، ٤٨)

(٢) ممن تعقبوا الدكتور العثيمين في تشكيكه في نسبة هذه الرسائل إلى الإمام؛ الدكتور: صالح بن عبد الله العبود، في رسالته التي أعدها لنيل درجة الدكتوراه من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بعنوان: (عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي)، [مطبوعة على الآلة الكاتبة] (ص ١٤١ - ١٤٤) حيث ناقش أدلة الدكتور العثيمين وأنكر تشكيكه في نسبة الرسائل للإمام.

وبالجملة فإنه يمكن حصر الرسائل الواردة في الجزء الخامس من مجموع المؤلفات، وبيان مصادرها الأخرى، وذلك في البيان التالي^(١):

أ) الرسائل الشخصية الواردة في الجزء الخامس من مجموع المؤلفات:

١) رسائل وجهت إلى أشخاص بأعيانهم:

١- رسالة إلى: أحمد بن إبراهيم (مطوع مرات).

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن إبراهيم هداانا الله وإياه وبعد: ما ذكرت من مسألة التكفير وقولك ...

رقمها في الشخصية (٣١) الشخصية (٢٠٤/٥) روضة (١٦٠/١) الدرر (٨١/٨).

٢- رسالة إلى: أحمد بن الشريف سعيد (والي مكة)

أولها: المعروف لديك أدام الله أفضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين ..

رقمها في الشخصية (٤٨) الشخصية (٣١٢/٥) الدرر (١/٤٢)

٣- رسالة إلى: أحمد بن عبد الكريم

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن عبد الكريم، سلام على

(١) تمّ اختصار أسماء المصادر في البيان التالي على النحو التالي :

روضة : هو كتاب (روضة الأفكار والأفهام لمرتاب حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام) لحسين بن غنام .

الدرر: هو كتاب (الدرر السنوية في الأحوية النجدية) جمعه: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم .

بمجموعة: هو كتاب (بمجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام) جمعه: عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم .

المرسلين والحمد لله رب العالمين أما بعد: فقد وصل ...
رقمها في الشخصية (٣٣) الشخصية (٢١٦/٥) روضة (١٦٥/١) الدرر
(٧٦/٨).

٤- رسالة إلى: أحمد بن محمد البكيلي

أولها: الحمد لله الذي نزل الحق في الكتاب وجعله تذكرة لأولي الألباب
ووفق مَنْ مَنَّ عليه من عباده للصواب، لعنوان الجواب ...
رقمها في الشخصية (١٤) الشخصية (٩٤/٥) الدرر (٦١/١).

٥- رسالة إلى: أحمد بن محمد بن سويلم وثنيان بن سعود

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخوين : أحمد بن محمد وثنيان: سلام
عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فقد ذكر لي عنكم ...
رقمها في الشخصية (٤١) الشخصية (٢٨٤/٥) روضة (٢٠٥/١) الدرر
(٢٦/٢).

٦- رسالة إلى: أحمد بن يحيى.

أولها : من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن يحيى، سلام عليكم ورحمة
الله وبركاته وبعد ما ذكرت من قبل مراسلة سليمان ...
رقمها في الشخصية (٤٥) الشخصية (٣٠٠/٥) روضة (١٧٢/١)
الدرر (٣١/٢).

٧- رسالة إلى : إسماعيل الجراعي

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى إسماعيل الجراعي ، سلام عليكم ورحمة
الله وبركاته أما بعد. فما تسأل عنه فنحمد الله ...
رقمها في الشخصية (١٥) الشخصية (١٠٠/٥) الدرر (٦٤/١).

٨- رسالة إلى : ثنيان بن سعود

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى ثنيان بن سعود ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فقد سألتكم عن معنى قوله تعالى ...
رقمها في الشخصية (٢٣) الشخصية (١٦٢/٥) روضة (١٨١/١) الدرر (٩٣/٨).

٩- رسالة إلى : الأخ حسن

أولها: (إلى الأخ حسن سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، سرتني ما ذكرت من الإشكال ...
رقمها في الشخصية (١٨) الشخصية (١٢١/٥) الدرر(٣٢/٢)

١٠- رسالة إلى: حمد التويجري

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ حمد التويجري ألهمه الله رشده، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.. وصل الخط...
رقمها في الشخصية (١٠) الشخصية (٦٠/٥) الدرر (١٠٦/٨)
١١- رسالة إلى: سليمان بن سحيم:

أولها : الذي يعلم به سليمان بن سحيم أنك زعجت قرطاسة فيها عجائب فإن كان هذا قدر فهمك فهذا من أفسد الأفهام ...
رقمها في الشخصية (٣٤) الشخصية (٢٢٦/٥) روضة (١٣٨/١) الدرر (٦١/٨).

١٢- رسالة إلى: ابن صباح

أولها: الحمد لله، أما بعد، فما ذكره المشركون عني أنني أنهى عن الصلاة على النبي ﷺ أو أنني أقول لو أن لي أمراً هدمت قبة النبي ...

رقمها في الشخصية (٨) الشخصية (٥٢/٥) روضة (٢١٥/١) الدرر
(٥١/١).

١٣- رسالة إلى : عالم من علماء المدينة

أولها: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إنه
الأولين والآخرين ...

رقمها في الشخصية (٧) الشخصية (٤٤/٥).

١٤- رسالة إلى : عبدالرحمن بن ربيعة

أولها: السلام على رسول الله ﷺ، من محمد بن عبد الوهاب إلى
عبدالرحمن بن ربيعة، سلمه الله، وبعد فقد وصل كتابك ...

رقمها في الشخصية (٢٤) الشخصية (١٦٦/٥) روضة (١٦٤/١) الدرر
(٧٥/٨).

١٥- رسالة إلى : عبدالرحمن بن عبد الله السويدي

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى عبدالرحمن بن عبد الله .. سلام عليكم
ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فقد وصل كتابك وسرّ الخاطر ...

رقمها في الشخصية (٥) الشخصية (٣٦/٥) روضة (١٥٢/١) الدرر
(٥٤/١).

١٦- رسالة إلى : عبد الله بن سحيم

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم ، حفظه الله ، سلام
عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد وصل كتابك تطلب ...

رقمها في الشخصية (٢٠) الشخصية (١٣٠/٥) روضة (٩٧/١) الدرر
(١٨١/٣).

١٧- رسالة إلى: عبد الله بن سحيم (أخرى)

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم ، وبعد ، ألفينا
مكتوبك، وما ذكرت فيه من ذكرك ما بلغك ، ولا يخفك ...
رقمها في الشخصية (١١) الشخصية (٦٢/٥) روضة (١١٣/١) الدرر
(٥٢/٨).

١٨- رسالة إلى: عبد الله بن عبدالرحمن بن سويلم

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى بن عبدالرحمن عبد الله بن سويلم،
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد ذكر لي بن زيدان ...
رقمها في الشخصية (٤٢) الشخصية (٢٨٨/٥) روضة (١٥٩/١) الدرر
(٣/٧).

١٩- رسالة إلى : عبد الله بن عبد الله الصنعاني

أولها: الحمد لله والصلاة والسلام التام على سيدنا محمد سيد الأنام وعلى
آله وأصحابه البررة الكرام : إلى عبد الله بن عبد الله الصنعاني ...
رقمها في الشخصية (١٦) الشخصية (١٠٤/٥) الدرر (١٣٤/١).

٢٠- رسالة إلى: عبد الله بن علي ومحمد بن جهماز

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخوان عبد الله بن علي ومحمد بن
جهماز .. لا تحركون إلى أن ننبكم تراكم ما تجوزون إلا براضة ...
رقمها في الشخصية (٥١) الشخصية (٣٢٢/٥).

٢١- رسالة إلى : عبد الله بن عيسى

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى ، أبلغ السلام أحمد
والحمولة وعيالكم، وما ذكرت أن الحمولة ...

رقمها في الشخصية (٥٠) الشخصية (٣١٨/٥) الدرر (٢٨/٧).

٢٢- رسالة إلى : عبد الله بن عيسى

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد فقد قال ابن القيم ...

رقمها في الشخصية (٤٦) الشخصية (٣٠٤/٥) روضة (٢٢٤/١).

٢٣- رسالة إلى : عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وعبد الوهاب، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد ذكر لي أنكم ...

رقمها في الشخصية (٤٩) الشخصية (٣١٤/٥) روضة (١٥٦/١)

الدرر (٢٦/٧).

٢٤- رسالة إلى : عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب وعبد الله بن عبد الرحمن

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب وعبد الله بن عبد الرحمن حفظهم الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، ذكر أحمد أنه مشكل عليكم ...

رقمها في الشخصية (٣٥) الشخصية (٢٤٠/٥) روضة (١٥٤/١)

الدرر (٧٣/٨).

٢٥- رسالة إلى : عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف حفظه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد ...

رقمها في الشخصية (٣٧) الشخصية (٢٥٠/٥) روضة (٥٠/١) الدرر

(٣١/١).

٢٦- رسالة إلى: عبدالوهاب بن عبد الله بن عيسى

أولها: من محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالوهاب بن عبد الله ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فقد وصل كتابك وما ...

رقمها في الشخصية (٤٠) الشخصية (٢٨٠/٥) روضة (١٥٧/١) الدرر (٢٩/٧).

٢٧- رسالة إلى: عبدالوهاب بن عبد الله بن عيسى (أخرى)

أولها: من محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالوهاب بن عبد الله بن عيسى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فحمد الله الكريم ...

رقمها في الشخصية (٣٩) الشخصية (٢٧٦/٥) روضة (١٧٤/١) الدرر (٢٩/٢).

٢٨- رسالة إلى: فاضل آل مزيد

أولها: من محمد بن عبدالوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد، زاده الله من الإيمان وأعاده من نزغات الشيطان ، أما بعد ...

رقمها في الشخصية (٤) الشخصية (٣٢/٥) روضة (١٥١/١) الدرر (٥٩/١).

٢٩- رسالة إلى : فايز.

أولها: إلى الأخ فايز، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، مسألة الشرك بالله بينها الله سبحانه وأكثر الكلام فيها ...

رقمها في الشخصية (٣٠) الشخصية (٢٠٠/٥) الدرر (٨٥/٨).

٣٠- رسالة إلى: محمد بن سلطان

أولها: من محمد بن عبدالوهاب، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته إلى محمد بن سلطان سلمه الله تعالى، وبعد، لا يخفأك أنه ذكر ...

رقمها في الشخصية (٢١) الشخصية (١٤٤/٥) الدرر (٩١/٨).

٣١- رسالة إلى : محمد بن عباد

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ محمد بن عباد، وفقه الله لما يحبه ويرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد وصلنا ...

رقمها في الشخصية (٢) الشخصية (١٦/٥) روضة (١٠٤/١) الدرر (٦٧/١).

٣٢- رسالة إلى : محمد بن عيد

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن عيد وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه، وبعد ، وصل الكراس، وتذكرون أن الحق ...

رقمها في الشخصية (٣) الشخصية (٢٤/٥) روضة (١٠٧/١) الدرر (٩٨/٨).

٣٣- رسالة إلى : محمد بن فارس

أولها : من محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن فارس، سلام عليكم، وبعد: الواصل إليكم مسألة التكفير من كلام العلماء ...

رقمها في الشخصية (٣٢) الشخصية (٢١٢/٥) الدرر (٨٩/٨)

٣٤- رسالة إلى : نعيمش وجميع الإخوان

أولها: من محمد بن عبد الوهاب إلى نعيمش وجميع الإخوان ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، إن سألتم عنا فنحمد ...

رقمها في الشخصية (٤٧) الشخصية (٣٠٨/٥) الدرر (٣١/٢).

٣٥- رسالة جوابية إلى شخص مجهول

أولها: (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وبعد: قال الله سبحانه

وتعالى ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ...﴾ الآية.

رقمها في الشخصية (٢٥) الشخصية (١٧٠/٥) الدرر (٧١/١).

ب) رسائل موجهة إلى أهل بعض البلدان

٣٦- رسالة إلى: العلماء الأعلام في بلد الله الحرام

أولها: (من محمد بن عبدالوهاب إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام، نصر الله بهم دين سيد الأنام ...

رقمها في الشخصية (٦) الشخصية (٤٠/٥) روضة (١٤٤/٢) الدرر (٤٢/١).

٣٧- رسالة إلى: أهل الرياض ومنفوحة

أولها: (من محمد بن عبدالوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ...

رقمها في الشخصية (٢٨) الشخصية (١٨٦/٥) روضة (١٤٥/١) الدرر (٧٠/٨).

٣٨- رسالة إلى: مطاوعة سدير والوشم والقصيم

أولها: (من محمد بن عبدالوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد ...

رقمها في الشخصية (١٩) الشخصية (١٢٤/٥) روضة (٩٥/١) الدرر (٢٠/٢).

٣٩- رسالة إلى: أهل شقراء

أولها: (سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فقد قال النبي ﷺ ...

رقمها في الشخصية (٤٣) الشخصية (٢٩٢/٥).

٤٠- رسالة إلى: أهل القصيم

أولها: (شهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أنني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ...

رقمها في الشخصية (١) الشخصية (٨/٥) الدرر (٢٨/١).

٤١- رسالة إلى: أهل المغرب^(١).

أولها: (الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ...

رقمها في الشخصية (١٧) الشخصية (١١٠/٥) الدرر (٥٦/١).

ج) رسائل موجهة إلى من يصل إليه من المسلمين

٤٢- رسالة إلى: الإخوان

أولها: (إلى الإخوان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، ما ذكرتم من قول الشيخ: كل من جحد كذا وكذا وقامت ...

رقمها في الشخصية (٣٦) الشخصية (٢٤٤/٥) الدرر (٩٠/٨).

٤٣- رسالة إلى: من يصل إليه من المسلمين

أولها: (من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين، سلام

(١) من المرجح أن هذه الرسالة ليست من رسائل الإمام حيث أكدت بعض المصادر أنها كتبت عام ١٢١٨هـ أي بعد وفاة الإمام بإثني عشرة سنة تقريباً، وقد جزم بعض الباحثين بعدم صحة نسبتها إلى الإمام ومنهم د. عبد الله العثيمين، و د. محمد بن سعد الشويعر . ولذا فإن هذه الرسالة غير داخلة ضمن هذه الدراسة وإنما ذكرت ضمن هذه القائمة لأن المقصود هنا بيان الرسائل التي وردت ضمن مجموع مؤلفات الشيخ قسم الرسائل الشخصية .

عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، ما ذكر لكم عني أنني أكفر... .

رقمها في الشخصية (٩) الشخصية (٥٩/٥) الدرر (١٠٧/٨).

٤٤ - رسالة إلى: من يصل إليه من الإخوان

أولها: (من محمد بن عبدالوهاب إلى من يصل إليه من الإخوان المؤمنين بآيات الله المصدقين لرسول الله... .

رقمها في الشخصية (٣٨) الشخصية (٢٧٠/٥) الدرر (٤٩/٨).

٤٥ - رسالة إلى: من يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان

أولها: (من محمد بن عبدالوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد يجري عندكم.. .

رقمها في الشخصية (٤٤) الشخصية (٢٩٦/٥) روضة (١٧١/١) الدرر

(٢٥/٧).

٤٦ - رسالة إلى: من يصل إليه من علماء الإسلام

أولها: (من محمد بن عبدالوهاب إلى من يصل إليه من علماء الإسلام، أنس الله بهم غربة الدين... .

رقمها في الشخصية (٢٦) الشخصية (١٧٦/٥) الدرر (٢٥/٢).

٤٧ - رسالة إلى: من يصل إليه من المسلمين

أولها: (من محمد بن عبدالوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، أخبركم أنني والله الحمد... .

رقمها في الشخصية (٢٢) الشخصية (١٥٠/٥) الدرر (٤٦/١).

٤٨ - رسالة إلى: من يصل إليه من المسلمين

أولها: (إلى من يصل إليه من المسلمين، هدانا الله وإياهم لدينه القويم

وسلوك صراطه المستقيم ورزقنا...

رقمها في الشخصية (٢٧) الشخصية (١٨٢/٥) الدرر (٢٨/٢)

٤٩- رسالة إلى: من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين

أولها: (من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فاعلموا رحمكم الله أن الله بعث محمداً ﷺ ...

رقمها في الشخصية (٢٩) الشخصية (١٩٦/٥) روضة (١٥٠/١) الدرر (٦٠/١).

٥٠- رسالة إلى: من يقف عليه

أولها: (يعلم من وقف عليه أنني وقفت على أوراق بخط ولد ابن سحيم، صنفها يريد أن يصد بها الناس عن دين الإسلام ...

رقمها في الشخصية (١٣) الشخصية (٨٨/٥) روضة (٢١٨/١) الدرر (٦٨/٨).

٥١- جواب عن الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجنف

أولها: (هذه كلمات جواب عن الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجنف والإثم ...

رقمها في الشخصية (١٢) الشخصية (٧٧/٥) الدرر (٢٥٩/٥).

(ب) رسائل شخصية أخرى جمعها الباحث من مصادرها الأصلية، ولم ترد

ضمن القسم الخامس من مجموع المؤلفات.

وعدها ست عشرة رسالة؛ سيأتي تعيينها وبيان مواضعها والجهات التي

وجهت إليها.

وقبل تعيين تلك الرسائل؛ تجدر الإشارة إلى أن تلك المصادر قد أوردت عشرات من المسائل والفتاوى التي أجاب عنها الإمام بصيغة (وسئل الشيخ عن .. فأجاب...) (١)، ولكن معظم تلك المسائل ليس فيها ما يوحي بأنها تمت بالمراسلة بين الإمام والسائل؛ بل ربما تمت بالمشافهة في أحد مجالس الإمام التي كان يجلسها للفتيا والقضاء والتعليم ونحوه، وقام بعض الحاضرين من تلاميذ الإمام أو ربما قام الإمام نفسه بتدوينها للفائدة، ولذلك لا يتوجه تصنيف مثل هذه المسائل ضمن الرسائل الشخصية.

في حين وردت مسائل أخرى تتضمن عدة إشارات تدل على أنها تمت بالمراسلة بين الإمام والسائل، مثل بدئها بالسلام والدعوة إلى الزيارة ونحو ذلك، وهذا الصنف من المسائل أو الفتاوى تم تصنيفه ضمن الرسائل الشخصية وتم إدخاله في الدراسة.

كما أن هناك رسائل بدأها الإمام بعبارة (إلى من يصل إليه من المسلمين، أو إلى من يصل إليه من الإخوان...) أو نحو ذلك وهذه الرسائل وإن بدى لأول وهلة أنها رسائل علمية عامة لا تدخل في الرسائل الشخصية؛ إلا أن المتأمل لها يدرك أن معظمها كانت في الغالب موجهة إلى فئة خاصة ومعينة

(١) انظر على سبيل المثال : مجموع المؤلفات القسم الثالث (فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب) جمعها وصححها الشيخ صالح بن عبدالرحمن الأطرم ، ومحمد بن عبدالرزاق الدويش ، وقد جمعها من روضة الأفكار ، والدرر ، والرسائل والمسائل النجدية ، وجاء عدد صفحاتها (١٢٩ صفحة) .

من الناس، وقد آثر الإمام أن يصدرها بصيغة الخطاب العام لأغراض معينة، ربما كان منها الحرص على عدم التجريح، أو لتجنب التوجيه المباشر وما فيه من الإثقال، أو غير ذلك من الأغراض.

ومن أمثلة ذلك؛ رسالة الإمام التي وردت في القسم الخامس من مجموع المؤلفات برقم (٢٨) والتي صدرها بقوله: (إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين) فهذه الرسالة ما هي في الحقيقة إلا رسالة شخصية أرسلها الإمام -رحمه الله- إلى أهل الرياض ومنفوحة وطلب من مطوع الرياض الشيخ عبد الله بن عيسى أن يعلق عليها ليكون ذلك أدعى لقبولها^(١).

وهناك رسائل أخرى صدرت بصيغة الخطاب العام، ويبدو لأول وهله أنها رسائل علمية عامة، إلا أنها في الحقيقة تحمل إشارات تدل على أنها إجابة على مسألة خاصة، أو ردّاً على شبهة معينة انتشرت في منطقة أو عدة مناطق محددة، فأرسلها الإمام إلى هذه المنطقة أو تلك الفئة بعينها لتقرأ في مساجدهم؛ دون تصريح باسم الجهة التي أرسلت إليها، فهي أيضاً من هذا الوجه تصنف ضمن الرسائل الشخصية الموجهة إلى فئات معينة.

ويخرج من نطاق هذه الدراسة تلك الكتابات العامة التي تحمل طابع التأليف العلمي البحت، ولا يظهر عليها أثر الخصوصية، وهي التي سبقنا الإشارة إلى أنها تسمى رسائل علمية، كرسالة كشف الشبهات، والأصول الثلاثة، ومفيد المستفيد..... إلخ، فهي وإن سُميت رسائل فإن ذلك راجع إما

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٨٦/٥ - ١٩٥).

لصغر حجمها واختصارها ومحدودية موضوعها، أو لغير ذلك من الأسباب، بيد أنها لا تحمل طابع الخصوصية الذي تميّزت به مراسلات الإمام التي تّمت بينه وبين المدعويين، ومن هذا المنطلق فإنها لا تدخل ضمن الرسائل التي تناولتها هذه الدراسة. أما الرسائل التي أدخلت في الدراسة إضافة إلى ما ورد في القسم الخامس (الرسائل الشخصية) فهي^(١):

١) رسائل وجهت إلى أشخاص بأعيانهم

١- رسالة إلى: أحمد بن مانع

أولها: (من محمد بن عبد الوهاب إلى أخيه أحمد بن مانع حفظه الله تعالى : سلام عليكم...). روضة (١/٢٢٠-٢٢١)

٢- رسالة إلى: الأخ سليمان^(٢).

أولها: (إلى الأخ سليمان: وبعد، مسألة الخمس فاعلم أن الأمر أمران أمر...). روضة (١/٢١٨).

(١) تمّ اختصار أسماء المصادر في الجدول التالي على النحو التالي :

روضة : هو كتاب (روضة الأفكار والأفهام لمرتابد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام) لحسين بن غنام .

الدرر : هو كتاب (الدرر السنية في الأجابة النجدية) جمعه : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم .
مجموعة : هو كتاب (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام) جمعه : عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم .

(٢) لعله الشيخ : سليمان بن عبدالله بن زامل (ت ١١٦١هـ) وهو أحد علماء عتيزة ، ومن راسلهم الإمام -رحمه الله-، انظر ترجمته : عبدالله البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، مكة المكرمة -مكتبة النهضة الحديثة- ط الأولى ١٣٩٨هـ [١/٢٩٩] .

٣- رسالة إلى : الشريف

أولها: (سألني الشريف عما نقاتل عليه وعما نكفر الرجل به فأخبرته ...)
روضة (١٧٩/١-١٨١).

٤- رسالة إلى: عبدالعزيز الحصين

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم، هذه المسائل التي في السؤال: (المسألة الأولى: العروض ..). مجموعة (٩/١-١٢)

٥- رسالة إلى : الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود

أولها: (أحب لك ما أحب لنفسي، وقد أراك الله في عدوك ما لم تؤمل ...).
روضة (٨٦/٢).

٦- رسالة إلى: الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود

أولها : (اعلم أن مقصود الصلاة وروحها ولبها هو إقبال العبد على الله...)
روضة (٢٢٢/١-٢٢٧).

٧- رسالة إلى: شخص مجهول^(١).

أولها: (بعد السلام، فسرني ما ذكرت، ألهمك الله التوفيق ...).
روضة (٢٠٤/١-٢٠٩)

٨- رسالة إلى: محمد بن صالح

أولها: (سألتم رحمكم الله عن رشوة الحاكم الذي ورد ...).

(١) أورد ابن غنام أسئلة السائل وإجابات الإمام عنها ، ولم يذكر اسم السائل . وأسلوب الرسالة يدل على أن الإجابة تمت بالمراسلة؛ فهي مبدوءة بالسلام ، وجاء في أثنائها : (وما أشكل عليك في هذا فراجعني وأذكر لفظهم بعينه) فهي إذاً رسالة شخصية أرسلها الإمام إلى شخص يعرفه ويمكنه نيلتتم مراجعته فيما أشكل عليه.

روضة (١٨٤/١ - ١٨٩).

٩- رسالة إلى : محمد بن عبد الله بن إسماعيل

أولها: (من محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن عبد الله بن إسماعيل سلام عليكم ورحمة الله وبركاته..).

روضة (٢١٤/١ - ٢١٥).

١٠- رسالة إلى: الأخ مقرن بن عبد الله

أولها: (الذي يعلم به الأخ مقرن بن عبد الله - بعد السلام- أن ابن صالح سألني ..).

روضة (٢١٨/١).

ب) رسائل موجهة إلى أهل بعض البلدان

١١- رسالة إلى : أهل البصرة^(١).

(١) هذه الرسالة موجودة في المصادر المذكورة بعنوان (كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله وبيان التوحيد)، وقد اعتنيت بها اليوم وطُبعت ضمن مؤلفات الإمام ورسائله العلمية، وهي في الأصل رسالة شخصية أرسلها الإمام -رحمه الله- إلى أهل البصرة سنة ١١٥٥هـ. حيث قرّر لهم فيها حقيقة التوحيد ومعناه وكونه لا ينجلي من النار سواه، وأشار إلى ما يحدث عندهم من صرف أنواع العبادة للقبور، والأولياء، مثل شخص عندهم يدعى (السّمّان) وآخر يدعى (عبد القادر -ربما يكون الجيلاني لأنه توفي ببغداد سنة ٥٦١هـ). وبيّن لهم أنه لا يكفي مجرد عدم التعرض لها ولأصحابها، بل لا بد من معاداتهم، وبغضهم إذا أصرّوا على باطلهم. انظر هذه الرسالة: جمع: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، مجموع الرسائل والمسائل النجدية، [مراجع سابق] [٢٣، ١٥/٤] انظر: عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين [بغداد- شركة التجارة والطباعة المحدودة - طالأولى ١٣٧٣هـ] [٣٣٦/٦]، و د. عبد العزيز العبد اللطيف ، دعاوى المناوئين، الرياض، دار الوطن، ١٤١٢هـ [(ص ٤٤) .. وانظر ترجمة عبد القادر الجيلاني: الزركلي الأعلام، [بيروت - دار العلم للملايين - ط السابعة ١٩٨٦م] [٤٧/٤] .

أولها: (هذه كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله وبيان التوحيد الذي هو...).

الدر (١٠٠/٢-١١٢) مجموعة (١٥/٤-٢٣).

١٢- رسالة إلى: أهل حرمة^(١).

أولها: (قال لهم: لا إله إلا الله قد سألتنا عنها كل من جاءنا منكم...).

الدر (١٢٩/٢-١٣٠).

١٣- رسالة إلى: أهل العينة

أولها: (بسم الله الرحمن الرحيم، روى مسلم في صحيحه عن عمرو...).

روضة (٢٠/٢-٤٤).

١٤- رسالة إلى: فئة العامة (تلقين التوحيد للعامة).

أولها: (بسم الله الرحمن الرحيم، إذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله).

الدر (١٥٨-١٥١/١) المؤلفات (٣٧٣-٣٧٠/١).

(١) في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لأهل (حرملة)، وإلى ذلك أيضاً يعميل الدكتور أحمد الضبيب في (آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب) [الرياض - المطابع الأهلية - ط ١٣٩٧هـ] هامش (ص ٩٩)، وفي (الدر السننية) لأهل (حرملة)، ولعله الصواب؛ لأن الرسالة تناولت معنى كلمة التوحيد، وخطورة الجمع بين التوحيد والشرك، وقد كان الجدل محتدماً في هذه المسألة بين الإمام - رحمه الله - وبين المويس - مطوع حرمه - الذي كان يستخف بجرص الإمام على تعليم الناس معنى الشهادتين ويزعم أن ذلك بدعة، ويرى أنه لا حاجة لتعلمها وأن معرفتها أمر فطري، حتى إنه يقول: (إن بنيات حرمة وعبادهم يعرفون التوحيد فضلاً عن رجالهم) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (الشخصية) (١٧٣/٥).

١٥- رسالة إلى: فئة العامة (جميع النواحي)^(١).

أولها: (الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد....).
الدرر(١/١٤٦-١٥١).

١٦- رسالة إلى: فئة المعلمين (آداب المعلم).

أولها: (ينبغي للمعلم أن يعلم الإنسان على قدر فهمه، فإن كان...).
الدرر(١/١٧٠-١٧١).

(١) هذه الرسالة وجهها الإمام - رحمه الله - إلى فئة العامة ، وصاغها بأسلوب سهل ميسر بطريقة السؤال والجواب بغرض تعليمهم أصول الدين، وذلك بناءً على طلب الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، انظر : جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السننية، [مرجع سابق] [ط ١٤١٣هـ] (١/١٤٦).

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة (*)

م	الحديث	الصفحة
(١)	ابدأ بنفسك ثم عن تعول	٤٧٣
(٢)	أتشهدان أنني رسول الله	١٩٩
(٣)	اثنتان في أمي هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة	٣٢٤
(٤)	اجعل لنا ذات أنواط ...	٣٤٥
(٥)	احتج آدم وموسى ، فقال موسى : أنت آدم الذي أخرجتكَ	٦٥٠
(٦)	أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله	٥٤٩-٤٦٧
(٧)	إذا استنفرتم فانفروا	١٠٩
(٨)	إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم	٦٥٧
(٩)	اطلبوا العلم ولو من الصين	٤٨٦
(١٠)	أعتقها فإنها من ولد إسماعيل	٦٨
(١١)	(اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا). قالوا : وفي نجدنا ، قال: ...	٣٧
(١٢)	اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض	٦٥٩
(١٣)	أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم	٦١٥
(١٤)	آمنت بالله ورسوله ، لو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما	١٩٩
(١٥)	إن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله فإن هم أجابوك لذلك	٢٩٣
(١٦)	إن الله لا يقبض العلم	٣٦٧
(١٧)	إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها	٦
(١٨)	إن رسول الله ﷺ يخطب الناس ، يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله	١١٥

(*) رتب الفهرس بحسب التسلسل الأبجدي لأطراف الأحاديث.

- ١١١ (١٩) إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه ، فأطيلوا الصلاة
- ٦٢٢ (٢٠) إنك ستأتي قوماً أهل كتاب
- ١٨٧ (٢١) إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ..
- ٦١٥ (٢٢) إن من إجلال الله : إكرام ذي الشبهة المسلم ، وحامل،
- ٦٥٦ (٢٣) إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار
- ٣٦٩ (٢٤) أينما لقيتموهم فاقتلوهم
- ٣٦٧ (٢٥) بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ
- ٦١٦ (٢٦) بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل
- ٢٧٦ (٢٧) بينما الناس بقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال
- ٥١٥ (٢٨) التائب من الذنب كمن لا ذنب له
- ٦٤٨ (٢٩) تعاليا ؛ إنها صافية بنت حبي ، قالا سبحان الله يارسول الله،
- ٤٧٤ (٣٠) ثم أدناك فأدناك
- ٦٣١ (٣١) حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله،
- ٤٦٣ (٣٢) ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة،
- ٣٦٩ (٣٣) شر قتلى تحت أديم السماء.
- ٤٧٤ (٣٤) صدقتك على رحمتك صدقة وصلة).
- ٤٧٤ (٣٥) صدقتك على المسكين صدقة، وعلى ذي القربى الرحمة ثنتان (...).
- ١١١ (٣٦) (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت ..
- ٢٨٦ (٣٧) فتلك عبادتهم) ...
- ٣٩٦ (٣٨) فوالله لأن يهدي بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم).
- ١١٥ (٣٩) (كان رسول الله ﷺ يخطب الناس، يحمد الله ويشي عليه بما هو أهله ..
- ٤٧١ (٤٠) كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار،
- ٤٦٩ (٤١) كل فتى أكل برقية باطل فقد أكل برقية حق،
- ٤٦٩ (٤٢) كل فلعمري لمن أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق،
- ١٦٢ (٤٣) لاتزال طائفة من أممي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ..).

- ٥ (٤٤) لا يزال من أممي أمة قائمة بأمر الله ، ما يضرهم من كذبهم
- ٥٨٥ (٤٥) لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.
- ٣٦٩ (٤٦) لعن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد).
- ٥٤٩ (٤٧) لعن الراشي والمرتشي ..
- ٣٤٠ (٤٨) لعن الله من ذبح لغير الله).
- ٣٣٢ (٤٩) لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).
- ١٣٠ (٥٠) لقد هممت أن أمر رجلاً يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال ..
- ١٠٥ (٥١) ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيمني خيراً أو يقول خيراً).
- ٦٣١ (٥٢) مآنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة).
- ٦٥١ (٥٣) ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم.
- ٦٥١ (٥٤) ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله.
- ٣٦١ (٥٥) من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.
- ٤٠٨ (٥٦) من أراد أن ينصح السلطان بأمر فلا يُبد له علانية ولكن ليأخذ
- ٣٢٨ (٥٧) من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك).
- ٤٦٦ (٥٨) من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه.
- ٤٦٣ (٥٩) من شدَّ شدَّ في النار).
- ٣٦٥ (٦٠) من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد).
- ١٥٥ (٦١) (من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه).
- ٣٠ (٦٢) من لا يشكر الناس لا يشكر الله).
- ٧٣١ (٦٣) من يؤوييني ؟ من ينصرنني ؟ حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة.
- ٤٨٧ (٦٤) نزلت في عذاب القبر ، فيقال له : من ربك ؟ فيقول ربي الله ..
- ١٢٧ (٦٥) (هاه هاه لأدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته).
- ٣٠٨ (٦٦) هاه .. هاه .. لأدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.
- ١٨٤ (٦٧) (هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي).
- ٣٦٤ (٦٨) وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة.

- ٦٩) وكان إذا أراد غزوة ورى بغيرها.
 ١٨١
- ٧٠) (ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث : ...
 ١٠٦
- ٧١) (يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه...
 ٤٦٣
- ٧٢) يا أبا بكر لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك .
 ٥٩٨
- ٧٣) يأم خالد ؛ هذا سنا ، والسنا بلغة الحيشة الحسن.
 ٥٩٠
- ٧٤) يأمعلم إبراهيم علمني.
 ٧٤٨
- ٧٥) يد الله مع الجماعة).
 ٤٦٣
- ٧٦) (يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً .
 ١٦٢

فهرس الأعلام

م	العالم	الصفحة
(١)	أبو زياد الكلابي	٢٨
(٢)	أبو شامة	٣٦٦
(٣)	أبو العالية الرياحي	٢٨٦
(٤)	أحمد بن إبراهيم	٥٦
(٥)	أحمد البدوي	٣٨٦
(٦)	أحمد بن حنبل	٢٧٢
(٧)	الأخ سليمان	٥
(٨)	إسماعيل بن عبدالكريم بن محيي الدين الجراعي	٣٢٢
(٩)	إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني	٣٩
(١٠)	ابن سريج	٣٧٤
(١١)	ابن عربي	٣٨٨
(١٢)	البكيللي	٢٠٦
(١٣)	البوصيري	٣٨٢
(١٤)	الزبير بن العوام	٣٨٤
(١٥)	زيد بن الخطاب	٣٨٥
(١٦)	سعد بن حمد بن عتيق	٦٧٦
(١٧)	سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري	٢٧٣
(١٨)	سليمان بن عبد الوهاب	٤٥٤
(١٩)	سليمان بن محمد بن سحيم	٥٨
(٢٠)	الطرطوشي	٣٦٦
(٢١)	عبدالرحمن بن عبد الله بن الحسين السويدي	١٣٧
(٢٢)	عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عدوان	٦٩٨

- ٢٣) عبد القادر الجيلاني ٣٨٦
- ٢٤) عبد الله بن إبراهيم بن سيف ٧٦
- ٢٥) عبد الله بن أحمد بن سحيم ٨٠
- ٢٦) عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسى البصري ٧٥
- ٢٧) عبد الله بن عيسى المويسي ((المويس)) ٢٨٢
- ٢٨) عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحساني ٨٥
- ٢٩) عبد الله بن محمد بن فيروز ٨٦
- ٣٠) عثمان بن عبد الله بن بشر ٥٥
- ٣١) عدي بن مسافر ٣٧١
- ٣٢) علي أفندي الداغستاني ٨٠
- ٣٣) علي السويدي ٦٨٨
- ٣٤) علي بن ناصر بن وادي ٧١٧
- ٣٥) العيدروس ٦١
- ٣٦) محمد حياة بن إبراهيم السندي ٧٧
- ٣٧) محمد بن عبد الرحمن بن عفالق ٨٦
- ٣٨) محمد بن عبد الله بن فيروز ٤٤٩
- ٣٩) محمد بن عفالق ٤٦
- ٤٠) محمد بن علي السنوسي ٥٥٩
- ٤١) محمود بن عبد الله بن محمود الألوسي ٥٥
- ٤٢) هشام بن الحكم ٢٧٥

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : المخطوطات

م	المخطوط	المؤلف	معلومات المخطوط
١	تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق	عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البسام	[مخطوطة توجد مصورتها في المكتبة المركزية بجامعة الإمام - قسم المخطوطات - برقم (٢٠٨)]
٢	رفع النقاب عن تراجم الأصحاب	إبراهيم بن ضويان	[مخطوطة توجد مصورتها في المكتبة المركزية بجامعة الإمام - قسم المخطوطات - برقم (١٠٤)]
٣	سبائك العسجد في أخبار أحمد بنجل رزق الأسعد	عثمان بن سند البصري (ت ١٢٤٢هـ)	[مخطوطة : توجد مصورتها في مكتبة دار الملك عبد العزيز - برقم (١١٠)]

ثالثاً : الكتب المطبوعة

م	الكتاب	المؤلف	معلومات الطبعة
١	آثار الحرب على التمثيل الخارجي والمعاهدات في الفقه الإسلامي والقانون الدولي	علي محمد مقبول	[بحث تكميلي مقدم للمعهد العالي للقضاء لنيل درجة الماجستير ، عام ١٤١٢هـ]
٢	آثار الحرب في الفقه الإسلامي - دراسة مقارنة -	وهبة الزحيلي	[دمشق ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٤٠٣هـ]
٣	آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب	أحمد الضبيب	[الرياض ، المطابع الأهلية ، ط ١٣٩٧هـ]
٤	آداب البحث والمناظرة	محمد الأمين الشنقيطي	[القاهرة - دار ابن تيمية للطباعة والنشر - ب ت]
٥	أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر	عبد الحليم عويس	[البحرين - مكتبة ابن تيمية - ط الأولى ١٤٠٥هـ]

- (٦) الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي إلى الملوك والقادة
أحمد محمد العقيلي [الرياض، خزام، ط ١، ١٤١٤هـ]
- (٧) الأحكام السلطانية
الماوردي تعليق وتخرّيج خالد عبداللطيف السنيح العلمي [بيروت - دار الكتاب العربي - ط الأولى ١٤١٠هـ]
- (٨) الأخبار النجدية
محمد بن عمر الفاخري تحقيق: عبد الله الشبل [الرياض - من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ب ت]
- (٩) أدب الرسائل في صدر الإسلام
جابر قميحة [مصر - دار الفكر العربي - ط الأولى]
- (١٠) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة
د. محمد العمار [الرياض - دار إثنيليا - ط الأولى - ١٤١٦هـ]
- (١١) أسد الغابة في معرفة الصحابة
ابن الأثير علي بن محمد الجزري [بيروت - دار الكتب العلمية - ب ت]
- (١٢) أسلوب المناظرة في دعوة النصارى
إبراهيم الحميدان [رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم الدعوة والإعلام بجامعة الإمام]
- (١٣) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية
أحمد الشايب [مصر - مكتبة النهضة المصرية - ط الثامنة - ١٤٠٨هـ]
- (١٤) الأشباه والنظائر
جلال الدين السيوطي [بيروت - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤٠٣هـ]
- (١٥) أصول البحث العلمي ومناهجه
أحمد بدر [الكويت - وكالة المطبوعات الكويتية - ب ت]
- (١٦) أصول الدعوة
عبد الكريم زيدان [مصر، دار الوفاء، ط ٦، ١٤١٣هـ]
- (١٧) أصول الفقه الإسلامي
محمد مصطفى شلبي [بيروت - دار النهضة العربية - ط الثانية - ١٣٩٨هـ]
- (١٨) أطلس المملكة العربية السعودية
محمد صبحي عبد الحكيم وآخرون [بيروت - مكتبة لبنان - ب ت]
- (١٩) الأعلام
الزركلي [بيروت - دار العلم للملايين - ط السابعة ١٩٨٦م]
- (٢٠) أعلام السنة المنشورة
حافظ الحكمي [الرياض - مكتبة الرشد - ط الثانية - ١٤١٤هـ]

- (٢١) أعلام الموقعين عن رب العالمين ابن قيم الجوزية [بيروت - دار إحياء التراث العربي - ب ت] [١٤١٢هـ]
- (٢٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين ابن قيم الجوزية بتحقيق عبد الرحمن الركيل [بيروت - دار إحياء التراث العربي - ط الأولى] [١٤١٢هـ]
- (٢٣) أعيان القرن الثالث عشر خليل مردم بك [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط الثانية - م] [١٩٧٧م]
- (٢٤) ألفاظ عامية فصيحة محمد داود التنير [بيروت - دار الشروق - ط الأولى] [١٤٠٧هـ]
- (٢٥) الأم محمد بن إدريس الشافعي [بيروت - دار المعرفة - ط الثانية - م] [١٣٩٣هـ]
- (٢٦) الأمثال الشعبية في قلب جزيرة عبدالكريم الجهيمان [الرياض - دار أشبال العرب - ط الثالثة] [١٤٠٣هـ]
- (٢٧) الأمثال العامية في نجد محمد بن ناصر العبودي [الرياض - دار اليمامة - م] [١٣٩٩هـ]
- (٢٨) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيخ الإسلام بن تيمية بتحقيق د. صلاح الدين المنجد، [بيروت - دار الكتاب الجديد - ط الأولى] [١٣٩٦هـ]
- (٢٩) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة عبدالعزيز المسعود [القاهرة، دار الكلمة الطيبة، ط ١، ١٤١٣هـ]
- (٣٠) أنساب الأشراف أحمد بن تركي البلاذري [مصر - دار المعارف - م] [١٩٥٩م]
- (٣١) الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية صالح بن غانم السدلان [الرياض - دار بننسية - ط الأولى] [١٤١٧هـ]
- (٣٢) أوصاف النبي ﷺ سميح عباس [بيروت، دار الجيل، ط الأولى، م] [١٤٠٩هـ]
- (٣٣) أيسر التفاسير أبو بكر الجزائري [الرياض - دار راسم - ط الأولى] [١٤٠٧هـ]
- (٣٤) الإبداع في مضارّ الابتداع علي محفوظ [مصر - دار الاعتصام - ط الخامسة] [١٣٧٥هـ]

- (٣٥) الإتيان في علوم القرآن السيوطي [الرياض - مكتبة المعارف - ط الأولى
[١٤٠٧هـ]
- (٣٦) إحياء علوم الدين الإمام أبو حامد الغزالي [بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١،
[١٤٠٦هـ]
- (٣٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي محمد العمادي [بيروت - دار إحياء التراث العربي - ب
ت]
- (٣٨) إرواء الغليل في تخریج أحاديث الألباني [بيروت - المكتب الإسلامي - ط الثانية
[١٤٠٥هـ]
- (٣٩) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر [بيروت - دار الكتب العلمية - ط
الأولى ١٤١٥هـ]
- (٤٠) الإعلام في ضوء الإسلام عمارة نجيب [الرياض - مكتبة المعارف - ط الأولى
[١٤٠٠هـ]
- (٤١) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن أبي النعاشرف الدين موسى الحجاوي المقدسي [دار المعرفة - بيروت - ب ت]
- (٤٢) إمام التوحيد الشيخ محمد بن أحمد القطان ومحمد الزين [الكويت - مكتبة السندس - ط الثانية
[١٤٠٩هـ]
- (٤٣) الإمام الشيخ محمد بن عبد الله بن سعد الرويشد [القاهرة - القاهرة الحديثة للطباعة - ط
الثانية ١٤٠٤هـ]
- (٤٤) الإمام محمد بن عبد الوهاب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - [الرياض - الرئاسة العامة للإفتاء
١٤٠٣هـ]
- (٤٥) الإمام محمد بن عبد الوهاب عبد الحليم الجندي [مصر - دار المعارف - ط الثانية - ب
ت]
- (٤٦) الإمام محمد بن عبد الوهاب محمد بن عبد الله السكاكر [رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد
بن سعود الإسلامية، الرياض -
[١٣٩٨هـ]
- (٤٧) إمام وأمر ودعوة لكل العصور أحمد بن عبدالعزيز [الطائف - دار الطرفين - ط الأولى
[١٤١٤هـ]
- (٤٨) إيقاظ أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار صالح بن محمد العمري الفلاني [باكستان، دار نشر الكتب
الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ]

- (٤٩) الإيمان شيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني [مكتبة أنس بن مالك - ط ١٤٠٠هـ]
- (٥٠) ابن قيم الجوزية حياته آثاره بكر بن عبد الله أبو زيد [الرياض - دار العاصمة - ط الأولى ١٤١٢هـ]
- (٥١) الاتصال الجماهيري عمر الخطيب لكتاب [بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ط ١ - ١٩٨٧ م]
- (٥٢) استمرارية الدعوة نماذج من الدعاة من القرن السابع إلى القرن الرابع عشر محمد السيد الوكيل [جدة - دار المجتمع للنشر والتوزيع - ط الأولى ١٤١٤هـ]
- (٥٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي [بيروت - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١٥هـ]
- (٥٤) الاعتصام أبو إسحاق الشاطبي بتحقيق سليم الهلالي [الخير - دار ابن عفان - ط الأولى ١٤١٢هـ]
- (٥٥) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم شيخ الإسلام بن تيمية [مصر - مكتبة السنة المحمدية - ط الثانية - ب ت]
- (٥٦) البحث العلمي التصميم والمنهج والإجراءات محمد الغريب عبد الكريم [مصر - مكتبة نهضة الشرق ط الثالثة ١٩٨٧هـ]
- (٥٧) بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب [الرياض - مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤٠٣هـ]
- (٥٨) بحوث سلسلة من أعلام التربية العربية الإسلامية [الرياض - مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج - ١٤٠٩هـ]
- (٥٩) بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية عبد الله الصالح العثيمين [الرياض - مكتبة التوبة - ط الثانية ١٤١١هـ]
- (٦٠) بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية عبد الله العثيمين [الرياض - مكتبة التوبة - ط الثانية ١٤١١هـ]
- (٦١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد القاضي أبو الوليد بن أحمد القرطبي المالكي [مصر - مطبعة حسان - ب ت]
- (٦٢) البداية والنهاية إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي [بيروت - دار الكتب العلمية - ب ت]

- (٦٣) بلاد العرب الحسن بن عبد الله
بتحقيق :حمد الجاسر و د. صالح العلي
الأصفهاني
[الرياض - دار اليمامة - ب ت]
- (٦٤) البلاغة الواضحة علي الجارم
ومصطفى أمين
[القاهرة - دار المعارف - ب ت]
- (٦٥) بهجة المجالس ابو عمر القرطي
[بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ،
١٤٠٢هـ]
- (٦٦) البيان والتبيين الجاحظ
بتحقيق عبدالسلام هارون ، [القاهرة -
مكتبة الخانجي - ط الخامسة ١٤٠٥هـ]
- (٦٧) تاريخ آل ماضي تركي آل ماضي
[الأزهر - مطبعة الشبكتشي - طبعة ستة
١٣٧٦هـ]
- (٦٨) تاريخ الأدب العربي عمر فروخ
[بيروت - دار العلم للملايين - ط ٢ -
١٣٨٨هـ]
- (٦٩) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير
والأعلام الذهبي
[مصر - مطبعة دار السعادة - ط ١ -
١٣٦٧هـ]
- (٧٠) تاريخ البلاد العربية السعودية منير العجلاني
[الرياض - دار الشيل - ط الثانية
١٤١٣هـ]
- (٧١) تاريخ الخلفاء جلال الدين
السيوطي
[مصر - مطبعة السعادة - ط ١ -
١٣٧١هـ]
- (٧٢) تاريخ الشيخ أحمد بن محمد عبد العزيز الخويطر
المنقور
[الرياض - مطابع مؤسسة الجزيرة -
١٣٩٠هـ]
- (٧٣) تاريخ الشيخ محمد عبده حمد رشيد رضا
[ط ١٣٥٠هـ]
- (٧٤) تاريخ العراق بين احتلالين عباس العزاوي
[بغداد - شركة التجارة والطباعة
المحدودة - ط الأولى ١٣٧٣هـ]
- (٧٥) تاريخ المملكة العربية السعودية عبد الله الصالح
العثيمين
[ط ١ ، ١٤٠٤هـ]
- (٧٦) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد إبراهيم بن عيسى
[الرياض ، دار اليمامة ، ط ١ ،
١٣٨٦هـ]
- (٧٧) التبشير المسيحي في منطقة الخليج أحمد فون دنفر
- بدون ذكر اسم البلد ودار النشر -
ب ت]

- (٧٨) التبيان في شرح نواقض الإسلام سليمان بن ناصر
العلوان [١٤١٣هـ] - الرياض - دار الوطن - ط الأولى -
- (٧٩) تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في عهد بن عبد الله آل
عبد القادر الأنصاري القديم والجديد مطابع الرياض - ط الأولى [١٣٧٩هـ] -
الرياض - بإشراف: محمد الجاسر، [الرياض -
الأحسائي
- (٨٠) التدرج في دعوة النبي ﷺ إبراهيم المطلق [رسالة ماجستير غير مطبوعة]
- (٨١) تدريب الراوي في شرح تقريب السيوطي بتحقيق د. أحمد عمر هاشم [بيروت -
النواوي دار الكتاب العربي - ط ١٤١٤هـ]
- (٨٢) التربية الإسلامية وفلاستها محمد عطية الأبراشي [مصر - دار الفكر العربي - ط الثالثة ب
ت]
- (٨٣) تسهيل الحفظ والوصول نظم عمر بن إبراهيم [المدينة المنورة - مطبعة المدينة المنورة -
ثلاثة الأصول في التوحيد ب ت]
- (٨٤) تصحيح خطأ تاريخي حول محمد بن سعد [الرياض - مكتبة المعارف - ط الثانية
الوهابية الشويعر ١٤١٣هـ]
- (٨٥) تطبيقات عملية في المراسلات فتحي جبر [الرياض - معهد الإدارة - ط ١ -
١٤٠٣هـ]
- (٨٦) تفسير القرآن العظيم ابن كثير [بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١،
١٤٠٦هـ]
- (٨٧) التفسير القيم ابن القيم جمعه محمد الندوي، وحققه محمد الفقي،
[بيروت - لجنة التراث العربي - ب ت]
- (٨٨) التفسير الكبير الإمام الفخر الرازي [بيروت، دار إحياء التراث العربي، ب
ت]
- (٨٩) تفسير سورة الفاتحة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بتحقيق د. فهد الرومي، [الرياض -
مكتبة الحرمين - ط الأولى ١٤٠٧هـ]
- (٩٠) التقييد والإيضاح لما أطلق وأعلق زين الدين العراقي [بيروت - مؤسسة الكتب الثقافية - ط
الثانية ١٤١٣هـ]
- (٩١) نلبس إبليس أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي [بيروت، دار الكتب العلمية، ط
الثانية، ١٣٦٨هـ]
- (٩٢) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي [الولايات المتحدة - دار marc للنشر -
١٩٧٨م]

- (٩٣) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب
محمد بن علي بن غريب (وينسب خطأ إلى سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب)
- (٩٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد
سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
- (٩٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان
عبد الرحمن بن سعدي
- (٩٦) تيسير مصطلح الحديث
محمود الطحان
- (٩٧) الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر
صلاح الصاوي
- (٩٨) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)
أبو جعفر الطبري
- (٩٩) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)
الطبري
- (١٠٠) الجامع الصحيح سنن الترمذي
الترمذي
- (١٠١) جامع العلوم والحكم
ابن رجب الحنبلي
- (١٠٢) الجامع لأحكام القرآن
الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي
- (١٠٣) الجامع لأحكام القرآن
الإمام القرطبي
- (١٠٤) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد
حمد الجاسر
- (١٠٥) جمهرة أنساب العرب
ابن حزم الأندلسي
- [الرياض - دار طيبة - ط الأولى ١٤٠٤هـ]
- [الرياض - مكتبة الرياض الحديثة - ب ت]
- [الرياض، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ]
- [الرياض - مكتبة المعارف - ط الثامنة ١٤٠٧هـ]
- [القاهرة - دار الإعلام الدولي - ط الأولى ١٤١٤هـ]
- [بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ]
- [بيروت - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١٢هـ]
- [بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٤١٥هـ]
- [بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٢هـ]
- [بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤١٣هـ]
- [بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ]
- [الرياض، دار اليمامة، ط ١ - ١٤٠١هـ]
- تحقيق عبدالسلام هارون، [مصر - دار المعارف - ط ٣ - ١٣٩١هـ]

- (١٠٦) جواهر الأدب السيد أحمد الهاشمي [بيروت - مؤسسة المعارف - ب ت]
- (١٠٧) جواهر البلاغة السيد أحمد الهاشمي [بيروت - دار الكتب العلمية - ط السادسة - ب ت]
- (١٠٨) حاشية ثلاثة الأصول عبدالرحمن بن قاسم [ط السادسة ١٤٠٨ هـ - بدون ناشر ولا بلد نشر]
- (١٠٩) حاضر العالم الإسلامي لوثرروب ستودارد نقله إلى العربية : عجاج نويهض [بيروت - دار الفكر - ١٣٩٤ هـ]
- (١١٠) الحسبة تعريفها ومشروعيتها وحكمها فضل إلهي [باكستان - إدارة ترجمان الإسلام - ط الأولى ١٤١٠ هـ]
- (١١١) الحسبة في الإسلام شيخ الإسلام بن تيمية بتحقيق محمد زهري النجار [الرياض - المؤسسة السعيدية - ب ت]
- (١١٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة جلال الدين السيوطي [دمشق ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٣٨٧ هـ]
- (١١٣) الحوار آدابه وضوابطه يحيى بن محمد زمزمي [مكة المكرمة - دار التزينة والتراث - ط الأولى - ١٤١٤ هـ]
- (١١٤) حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حسين خلف الشيخ خزعل
- (١١٥) الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن عبدالعزيز الكنانى بتحقيق : د. علي فقيهي ، [بدون ذكر معلومات النشر - ط ١٤١٢ هـ]
- (١١٦) خطبة الحاجة محمد ناصر الدين الألباني [بيروت - المكتب الإسلامي - ط الرابعة - ١٤٠٠ هـ]
- (١١٧) خيار مايلتقط من الشعر النبؤ عبد الله الحاتم [الكويت - ذات السلاسل - ط الثالثة ١٩٨١ م]
- (١١٨) الدبلوماسية في النظرية والتطبيق فاضل زكي [بغداد ، جامعة بغداد ، ط ٤ ، ١٩٧٨ م]
- (١١٩) الدر المنثور في التفسير المأثور جلال الدين السيوطي [بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١١ هـ]
- (١٢٠) الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد صالح العصيمي [الرياض - دار ابن خزيمة - ط الأولى - ١٤١٣ هـ]

- (١٢١) درء تعارض العقل والنقل شيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيق د. محمد رشاد سالم [مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ط الأولى ١٤٠٠هـ]
- (١٢٢) دراسة نقدية عبد الله صابر السيد البدوي [مصر - دار الطباعة والنشر الإسلامية - ب.ت.] [ط الخامسة ١٤١٣هـ]
- (١٢٣) الدرر السنية جمع : الشيخ عبد الرحمن بن قاسم [ط الخامسة ١٤١٣هـ]
- (١٢٤) الدرر السنية عبد الرحمن بن قاسم [السعودية - مطبوعات دار الإفتاء - ط الثانية ١٣٨٥هـ]
- (١٢٥) الدرعية العاصمة الأولى عبد الله بن محمد بن خميس [الرياض - مطابع الفرزدق التجارية - ط الثانية ١٤١٤هـ]
- (١٢٦) الدعاة والتخطيط محمد عبد الله الخطيب [بيروت ، دار المنار ، ط الأولى ، ١٤١٠هـ]
- (١٢٧) دعاوى المناوئين عبد العزيز العبد اللطيف [الرياض ، دار الوطن ، ١٤١٢هـ]
- (١٢٨) الدعوة إلى الإسلام توماس أرنولد ترجمه د. حسن إبراهيم حسن وآخرون ، [مصر - مكتبة النهضة المصرية - ط الثالثة ١٩٧٠م]
- (١٢٩) الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة محمد الخضر حسين [الرياض - دار الريبة - ط الأولى ١٤١٧هـ]
- (١٣٠) الدعوة إلى الله توفيق الواعي [الكويت ، مكتبة الفلاح ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ]
- (١٣١) الدعوة إلى الله خصائصها ومقوماتها مناهجها أبو المجد السيد نوفل [مصر - مطبعة الحضارة العربية - ط الأولى - ١٣٩٧هـ]
- (١٣٢) دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها أبو المكرم بن عبد الجليل السلفي [الرياض - مكتبة دار السلام - ط الأولى ١٤١٣هـ]
- (١٣٣) دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي محمد عبد الله السلطان [الرياض - وكالة الفرقان - ط ١٤٠٧هـ]
- (١٣٤) الدعوة الوهابية عبد الكريم الخطيب [بيروت - دار الشروق - ط ٢ - ب ت.]

- (١٣٥) الدعوة الزهوية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث محمد كامل ضاهر [بيروت - دار السلام - ط الأولى ١٤١٤هـ]
- (١٣٦) الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - محمد بن ناصر الشثري [ط الأولى - ١٤١٧هـ]
- (١٣٧) الدعوة والدعاة في منهج القرآن الكريم جاسم الياسين وأحمد القطان [الكويت - مؤسسة الكلمة - ١٤١٣هـ]
- (١٣٨) دليل المراسلة الإسلامي عبد الملك القاسم [الرياض - دار القاسم للنشر - ط الأولى ١٤١٧هـ]
- (١٣٩) الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها يوسف العث [سوريا - دار الفكر - ط ٢ - ١٤٠٦هـ]
- (١٤٠) ديوان النبط خالد الفرج [دمشق - مطبعة الرقي - ١٣٧١هـ]
- (١٤١) ذكرى أبي الثناء الألويسي عباس العزاوي [بغداد - شركة التجارة والطباعة - ١٣٧٧هـ]
- (١٤٢) رحلة الشتاء والصيف فريش ومنهجها التجاري والاقتصادي نواف بن صالح الحلبي [الرياض - توزيع وزارة الإعلام - ط ١ - ١٤١٤هـ]
- (١٤٣) الرسائل الفنية في العصر الإسلامي غنام جواد رضا [بغداد، جامعة بغداد، ١٩٧٥م]
- (١٤٤) رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب محمد بن عبد الله السلطان [الكويت - مكتبة المعلا - ط الأولى ١٤٠٩هـ]
- (١٤٥) ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام سيد محمد ساداتي الشنقيطي [الرياض - دار عالم الكتب - ط الأولى ١٤١٥هـ]
- (١٤٦) روضة الأفكار والأفهام حسين بن غنام [الرياض - المكتبة الأهلية - ط الأولى ١٣٦٨هـ]
- (١٤٧) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن قيم الجوزية بتحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الأرنؤوط [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط ٢٦ - ١٤١٢هـ]
- (١٤٨) سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الإمام محمد الصالحى [بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ]
- (١٤٩) السحب الرابطة على ضرائح الحنابلة محمد ابن حميد [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط الأولى - ١٤١٦هـ]

- (١٥٠) سلسلة من أعلام الزبية العربية الإسلامية
[الرياض - مطبعة مكتب الزبية العربي لدول الخليج - ١٤٠٩هـ]
- (١٥١) سلسلة الأحاديث الصحيحة الألباني
[الرياض - مكتبة المعارف - ط الأولى ١٤١٢هـ]
- (١٥٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة الألباني
[الرياض - مكتبة المعارف - ط الأولى ١٤٠٨هـ]
- (١٥٣) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي
[بيروت، دار ابن حزم، ١٤٠٨هـ]
- (١٥٤) سنن أبي داود أبو داود
[سوريا - دار الحديث - ط الأولى ١٣٩٤هـ]
- (١٥٥) سنن الدارمي الدارمي
[دمشق - دار القلم - ط الأولى ١٤١٢هـ]
- (١٥٦) سنن النسائي النسائي
بشرح جلال الدين السيوطي [بيروت - دار المعرفة - ط ٢ - ١٤١٢هـ]
- (١٥٧) سير أعلام النبلاء الذهبي
[بيروت - مؤسسة الرسالة - ط ٨ - ١٤١٢هـ]
- (١٥٨) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية مهدي رزق الله أحمد
[الرياض، طبعة مركز الملك فيصل للبحوث، ط الأولى، ١٤١٢هـ]
- (١٥٩) سيرة النبي ﷺ عبد الملك بن هشام
[الرياض - توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء - ب ت]
- (١٦٠) شبه جزيرة العرب نجد محمود شاكر
[بيروت - المكتب الإسلامي - ١٣٩٦هـ]
- (١٦١) شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي
بتحقيق د. عبد الله الزكي وشعيب الأرنؤوط، [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط الخامسة ١٤١٣هـ]
- (١٦٢) شرح العقيدة الواسطية صالح الفوزان
[الرياض - طبعة رئاسة البحوث العلمية - ط الخامسة ١٤١١هـ]
- (١٦٣) شرح المعلقات العشر أحمد بن الأمين الشنقيطي
[بيروت، دار الكتب العلمية، ب . ت]
- (١٦٤) شرح الورقات في أصول الفقه عبد الله بن صالح الفوزان
[الرياض - دار المسلم - ط الثانية ١٤١٤هـ]

- (١٦٥) شرح ثلاثة الأصول محمد بن صالح العثيمين إعداد : فهد بن ناصر السلیمان ، [الرياض - دار الشریح ط الأولى ١٤١٤هـ]
- (١٦٦) شرح صحيح مسلم الإمام النووي بيروت - دار القلم - ط الأولى - ب [ت]
- (١٦٧) شرح مختصر الروضة نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي بتحقيق د. عبدالله بن عبد المحسن التركي [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط الأولى - ١٤١٠هـ]
- (١٦٨) شرح نهج البلاغة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ابن أبي الحديد عيسى البسابي الحلبي - ط الأولى [سوريا - دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٨هـ]
- (١٦٩) الشعر في الجزيرة العربية عبدالله الحامد [الرياض - دار الكتاب السعودي - ط الثالثة - ١٤١٤هـ]
- (١٧٠) الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وآمنه محمد نصير ومنتجه في مباحث العقيدة بيروت - دار الشروق - ط الأولى [١٤٠٣هـ]
- (١٧١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره عبد الله الصالح العثيمين [الرياض - دار العلوم - ط الثانية ١٩٩٢م]
- (١٧٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه أحمد بن حجر آل أبو ظامي مكة المكرمة - مطبعة الحكومة - [١٣٩٥هـ]
- (١٧٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز [الرياض - إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد]
- (١٧٤) الصحاح الجوهري [بيروت، دار العلم للملايين، ط ٢، ١٣٣٩هـ]
- (١٧٥) صحيح البخاري الإمام محمد بن إسماعيل البخاري بعناية د. مصطفى البغا [دمشق - دار اليمامة للطباعة والنشر/ دار ابن كثير - ط الخامسة ١٤١٤هـ]
- (١٧٦) صحيح الجامع محمد ناصر الدين الألباني بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٣، [١٤٠٨هـ]

- (١٧٧) صحيح سنن أبي داود محمد ناصر الدين الألباني [بيروت - المكتب الإسلامي - ط الأولى ١٤١٢هـ]
- (١٧٨) صحيح سنن ابن ماجه محمد ناصر الدين الألباني [بيروت - المكتب الإسلامي - ط الثالثة ١٤٠٨هـ]
- (١٧٩) صحيح سنن النسائي محمد ناصر الدين الألباني [بيروت - المكتب الإسلامي - ط الأولى ١٤٠٩هـ]
- (١٨٠) صحيح مسلم الإمام مسلم [بيروت - دار ابن حزم - ط الأولى ١٤١٦هـ]
- (١٨١) صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبدالعزیز بن أحمد المسعود [الرياض - مطبعة السفير - ط الأولى ١٤١٤هـ]
- (١٨٢) صفات الداعية د. محمد العمار [الرياض - دار إشييليا - ط الأولى ١٤١٧هـ]
- (١٨٣) صفة جزيرة العرب الحسن بن أحمد الهمداني بتحقيق: عبدالله بن بليهد [القاهرة - مطبعة السعادة - ١٣٧٣هـ]
- (١٨٤) صورة الأرض محمد بن علي بن حوقل [بيروت - دار مكتبة الحياة - ١٣٩٩هـ]
- (١٨٥) الصوفية معتقداً ومسلماً صابر طعيمة [الرياض - شركة العيكان للطباعة والنشر - ط الأولى - ١٤٠٥هـ]
- (١٨٦) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق سليمان بن سحمان [الرياض - ط الثانية - ١٣٧٦هـ]
- (١٨٧) الطريق إلى جماعة المسلمين حسين بن محسن بن علي بن جابر [مصر - دار الوفاء - ط الرابعة ١٤١٠هـ]
- (١٨٨) العبودية شيخ الإسلام بن تيمية بتحقيق بشير محمد عيون [الرياض - مكتبة دار الوعي الإسلامي - ب ت]
- (١٨٩) عثمان بن بشر منهجه ومصادره عبد العزيز الخويطر [الرياض - الطبعة الثانية - ١٣٩٥هـ]
- (١٩٠) عجائب الآثار في التراجم والأخبار عبدالرحمن بن حسن الجبرتي [الرياض - دار الفارس للطباعة والنشر - ب ت]
- (١٩١) العدة شرح العمدة بهاء الدين المقدسي [مصر - مطبعة المدني - ط الأولى - ١٤١٢هـ]
- (١٩٢) العقد الفريد ابن عبدربه الأندلسي [لبنان - دار الكتاب العربي - ط ١ - ١٤١١هـ]

- (١٩٣) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي صالح العبودي [المدينة المنورة — ط الجامعة الإسلامية]
- (١٩٤) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي عبد الله بن عبد الله العبودي [رسالة معذة لنيل درجة الدكتوراه من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة [مطبوعة على الآلة الكاتبة]
- (١٩٥) العقيدة في الله عمر سليمان الأشقر (الكويت - مكتبة الفلاح - ط الخامسة ١٩٨٤م)
- (١٩٦) العلاقات الدبلوماسية والقنصلية عدنان بكري [بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ]
- (١٩٧) العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت عبد الله العثيمين [الرياض - شركة العبيكان للطباعة والنشر - ط الثالثة ١٤١٢هـ]
- (١٩٨) علم الاتصال المعاصر عبد الله الطويرقي [الرياض - مطابع الفرزدق التجارية - ط ٢ - ١٤١٣هـ]
- (١٩٩) علماء الدعوة عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ [مصر ، مطبعة المدني ، ١٣٨٦هـ]
- (٢٠٠) علماء نجد خلال ستة قرون عبد الله البسام [مكة المكرمة - مكتبة النهضة الحديثة - ط الأولى ١٣٩٨هـ]
- (٢٠١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني [بيروت - دار الفكر - ب ت]
- (٢٠٢) عنوان المجد في تاريخ نجد عثمان بن بشر [الرياض - مكتبة الرياض الحديثة - ب ت]
- (٢٠٣) غياث الأمم في التياث الظلم أبو المعالي الجويني [مصر - دار الدعوة - ب ت]
- (٢٠٤) فناوى إسلامية محمد ابن عبدالعزيز المسند [الرياض ، دار الوطن ، ط ١ ، ١٤١٥هـ]
- (٢٠٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن حجر العسقلاني [القاهرة - دار الريان للتراث - ط الثانية ١٤٠٩هـ]
- (٢٠٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي الشوكاني [لبنان - دار الفكر - ١٤٠٣هـ]
- (٢٠٧) فتح المجدد في شرح كتاب التوحيد الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ [بيروت ، دار القلم ، ط الأولى ، ١٤٠٥هـ]

- (٢٠٨) الفردوس بمأثور الخطاب الديلمي [بيروت - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤٠٦هـ]
- (٢٠٩) الفرق بين الفرق عبدالقاهر الاسفرائيني [بيروت - دار المعرفة - ب ت]
- (٢١٠) فقه الدعوة إلى الله علي عبدالحليم محمود [مصر - دار الوفاء - ط الثالثة ١٤١٢هـ] ٥٩
- (٢١١) فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً محمد العرماني [الرياض - دار العاصمة - ط الأولى ١٤٠٩هـ]
- (٢١٢) الفهرست ابن النديم [بيروت - دار المعرفة - ط الأولى ١٤١٥هـ]
- (٢١٣) في سبيل موسوعة فلسفية إخوان الصفا وخلان الوفا مصطفى غالب [بيروت - مكتبة الهلال ١٩٧٩]
- (٢١٤) في ظلال القرآن سيد قطب [بيروت ، دار الشروق ، ط ١٣، ١٤٠٧هـ]
- (٢١٥) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة شيخ الإسلام ابن تيمية [بيروت، المكتب الإسلامي، ط ١٤٠٢، ٣هـ]
- (٢١٦) القاموس المحيط الفيروز آبادي [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط الثانية ١٤٠٧هـ]
- (٢١٧) القانون الدبلوماسي علي صادق ابو هيف [مصر ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، ب . ت] ط ١٤٠٥هـ]
- (٢١٨) القدوة الحسنة وأثرها في الإعلام بالاسلام عبد الله سعد الضياف
- (٢١٩) قرة عيون الموحدين عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بتحقيق بشير محمد عيون [دمشق - مكتبة دار البيان - ط الأولى ١٤١١هـ]
- (٢٢٠) قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد عثمان علي حسن [الرياض - دار الوطن - ط ١ ١٤١٣هـ]
- (٢٢١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى محمد بن عثيمين [الرياض - مطابع السفراء - ط ١٤٠٦هـ]
- (٢٢٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير [بيروت - دار إحياء التراث العربي - ط الأولى ١٤١٢هـ]

- (٢٢٣) كتاب الفنون أبا الوفاء بن عقيل الحنبلي
مكتبة لينة - ط ١٤١٦هـ [دمنهور -
- (٢٢٤) الكتاب المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب عبدالرحمن بن حمد المغيرة الطائي
[مصر ، مطبعة المدني ، ١٣٨٢هـ]
- (٢٢٥) كتابة البحث العلمي صياغة جديدة عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان
[جدة - دار الشروق - - الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ]
- (٢٢٦) الكشاف محمود بن عمر الزمخشري
[بيروت - دار الكتاب العربي - ط الثالثة ١٤٠٧هـ]
- (٢٢٧) كشف القناع عن متن الإقناع اليهودي
[بيروت - دار الفكر - ط ١٤٠٢هـ]
- (٢٢٨) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس العجلوني
[بيروت - دار الكتب العلمية - ط الثالثة ١٤٠٨هـ]
- (٢٢٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي
[بيروت - مؤسسة الرسالة - ط الرابعة - ١٤٠٧هـ]
- (٢٣٠) كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مؤلف مجهول
بتحقيق د. عبد الله العثيمين ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز [الرياض - مطابع دار الهلال - ١٤٠٣هـ]
- (٢٣١) لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن
[بيروت - دار الفكر - ب ت]
- (٢٣٢) لسان العرب ابن منظور الأفريقي
[بيروت - دار الفكر - ط الأولى - ١٤١٠هـ]
- (٢٣٣) لحات في المكتبة والبحث والصادر محمد عجاج الخطيب
[بيروت ، مؤسسة الرسالة - ط الثامنة - ١٤٠٣هـ]
- (٢٣٤) لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب مؤلف مجهول
تعليق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز [الرياض - المطابع الأهلية للأوفست - ب ت]

- (٢٣٥) مباحث في علوم القرآن
مناع القطان
[بيروت - مؤسسة الرسالة - ط ٢٢ -
١٤٠٨هـ]
- (٢٣٦) المجددون في الإسلام
عبد المتعال الصعدي
[مكتبة الآداب - ط ١٣٧٠هـ]
- (٢٣٧) مجلة البحوث الإسلامية
[العدد ٤٩ رجب - شوال - ١٤١٧هـ]
- (٢٣٨) المجلة التاريخية المصرية
سنة ١٩٥٨م
- (٢٣٩) مجمع الأمثال
أبا الفضل أحمد بن
بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،
محمد الميداني
[بيروت - دار المعرفة - ب ت]
- (٢٤٠) مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن
جمع عبدالرحمن بن
قاسم
[الرياض - عالم الكتب - ١٤١٢هـ]
- (٢٤١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة
جمع : فهد السلیمان
الشيخ محمد بن صالح العثيمين
[الرياض - دار الثريا - ط الثانية -
١٤١٤هـ]
- (٢٤٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة
سماحة الشيخ عبدالعزيز
بن عبدالله بن باز
[الرياض - طبع رئاسة البحوث العلمية
والإفتاء - ١٤٠٨هـ]
- (٢٤٣) مجموع مؤلفات الشيخ
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- (٢٤٤) مجموعة التوحيد
أحمد بن تيمية
ومحمد بن
عبد الوهاب
[مصر - دار اليقين - ط الأولى -
١٤١٣هـ]
- (٢٤٥) مجموعة التوحيد
شيخ الإسلام ابن
تيمية وشيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب
[الرياض - طبعة ادارة البحوث العلمية
والافتاء - ب ت]
- (٢٤٦) مجموعة الحديث النجدية
السيد رشيد رضا
[المدينة المنورة - المكتبة السلفية - ب
ت]
- (٢٤٧) مجموعة الوثائق السياسية
محمد حميد الله
[بيروت ، دار النفائس ، ط ٤ ،
١٤٠٣هـ]
- (٢٤٨) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية
عبد السلام بن برجس
آل عبدالكريم
[الرياض - دار العاصمة - ط الثانية
١٤٠٩هـ]
- (٢٤٩) محاضرات عن تاريخ العالم
عبدالفتاح عبدالصمد
منصور
الإسلامي
[الرياض - مؤسسة الأنوار -
١٣٩٣هـ]
- (٢٥٠) محاضرات في العقيدة والدعوة
صالح بن فوزان
الفوزان
[الرياض - دار العاصمة - ط الأولى
١٤١٣هـ]

- (٢٥١) محاضرات في المراسلات سيد حسب الله [الرياض - معهد الإدارة - ط ١ - ١٤٠٢هـ]
- (٢٥٢) محاضرات وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية عبد الله العثيمين [الرياض - مكتبة التوبة - ط الأولى ١٤١١هـ]
- (٢٥٣) محمد بن عبد الوهاب أحمد عبد الغفور عطار [بيروت - مكتبة العرفان - ط الثالثة ١٣٩٢هـ]
- (٢٥٤) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتى عليه مسعود الندوي [الرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤٠٤هـ]
- (٢٥٥) مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي [لبنان - مكتبة لبنان - ١٩٨٩م]
- (٢٥٦) مختصر كتاب البلدان أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه [ليدن - مطبعة بريل - ١٣٠٢هـ]
- (٢٥٧) مختصر منهاج القاصدين الإمام أحمد بن محمد المقدسي بتحقيق زهير الشاويش ، [بيروت - المكتب الإسلامي - ب ت]
- (٢٥٨) مدارج السالكين ابن قيم الجوزية [بيروت - دار الكتاب العربي - ط الثانية ١٤١٤هـ]
- (٢٥٩) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية صالح بن حمد العساف [الرياض - شركة العبيكان للنشر - ط الأولى ١٤٠٩هـ]
- (٢٦٠) المدخل إلى علم الدعوة محمد أبو الفتح البيانوني [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط الثانية ١٤١٤هـ]
- (٢٦١) مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ حمد الجاسر [الرياض - دار اليمامة - ١٣٨٦ هـ]
- (٢٦٢) المراسلات سيد حسب الله [الرياض - معهد الإدارة - ط ١ - ١٣٨٧هـ]
- (٢٦٣) المراسلات التجارية والحكومية أحمد محمود أبو الرب [الأردن - حوارة للمجتمع / إريد - ط ٢ - ١٩٨٢م]
- (٢٦٤) المراسلات الحكومية في المملكة العربية السعودية أحمد عبدالستار وأحمد شهاب ويوسف سليمان [الرياض - معهد الإدارة - ١٤٠٥هـ]

- (٢٦٥) المراسلات العربية في دوائر الأعمال
عبد الحميد بسام وناصر
[الكويت - دار الكتب - ب ت]
- (٢٦٦) المراسلات والمحاذرة والسنياحة والفنادق
أحمد البشبيشي
[مصر - دار المعرفة الجامعية - ب ت]
- (٢٦٧) المرشد في كتابة الأبحاث
حلمي فوده و د. عبد الرحمن صالح
[جدة - دار الشروق ط السادسة ١٤١١هـ]
- (٢٦٨) المسالك والممالك
عبيد الله بن أحمد بن خرداذبة
[بغداد - مكتبة المثنى - ١٣٩٠هـ]
- (٢٦٩) المستدرك على الصحيحين
الحاكم النيسابوري
[بيروت - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١١هـ]
- (٢٧٠) المستطرف في كل فن مستظرف
شهاب الدين محمد بن أحمد الأبيهي
[بيروت - دار إحياء التراث العربي - ب ت]
- (٢٧١) مستازمات الدعوة في العصر الحاضر
علي بن صالح المرشد
[دمنهور - مكتبة لينة - ط الأولى ١٤٠٩هـ]
- (٢٧٢) مسند الإمام أحمد
الإمام أحمد
[بإشراف سمير المخبذوب - بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤١٣هـ]
- (٢٧٣) مشاهير علماء نجد وغيرهم
عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ
[دار اليمامة ، ط ١ ، ١٣٩٢هـ]
- (٢٧٤) المصباح المنير
[بيروت - مكتبة لبنان - ١٩٨٧م]
- (٢٧٥) مصطلح الحديث
محمد بن صالح العثيمين
[الرياض - مكتبة المعارف - ط ١٤٠٤هـ]
- (٢٧٦) مع قصص السابقين في القرآن
صلاح عبد الفتاح الخالدي
[دمشق - دار القلم - ط الأولى ١٤٠٩هـ]
- (٢٧٧) معالم التنزيل
الإمام البيهقي
[الرياض ، دار طيبة ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ]
- (٢٧٨) معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية
عبد المنعم عبدالعال
[القاهرة - مكتبة الخانجي - ط الثانية ب ت]
- (٢٧٩) معجم البلدان
ياقوت بن عبد الله الحموي
[بيروت - دار صادر - ١٣٧٦هـ]
- (٢٨٠) المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية
محمد الجاسر
[الرياض - دار اليمامة - ب ت]

- ٢٨١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
محمد فؤاد عبدالباقى [مصر ، دار الكتب المصرية ،
١٣٦٤هـ]
- ٢٨٢) المعجم الوسيط
إبراهيم مصطفى [تركية - دار الدعوة - ١٤٠٦هـ]
- ٢٨٣) معجم اليمامة
عبد الله بن محمد بن حميس [الرياض - مطابع الفرزدق - ط
الأولى ١٣٩٨]
- ٢٨٤) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع
عبد الله البكري [بيروت - عالم الكتب - ط الثالثة
١٤٠٣هـ]
- ٢٨٥) معجم مقاييس اللغة
أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا [بيروت - دار الجيل ط الأولى
١٤١١هـ]
- ٢٨٦) المفردات في غريب القرآن
الحسين بن محمد الأصفهاني [بيروت - دار المعرفة - ب ت]
- ٢٨٧) المعني
أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامه [الرياض - مكتبة الرياض الحديثة - ب
ت]
- ٢٨٨) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة
السخاوي [بيروت - دار الكتاب العربي - ط
الثانية ١٤١٤هـ]
- ٢٨٩) المقدمة
ابن خلدون [بيروت - دار القلم - ط ١ - ١٩٧٨ م]
- ٢٩٠) مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة
سعيد بن علي بن وهف القحطاني [الرياض - مطبعة السفير - ط الأولى -
١٤١٥هـ]
- ٢٩١) ملاحظات على البدو والوهابيين
بوركهارت [لندن ، ١٨٣١ م]
- ٢٩٢) من شيم العرب
فهد المارك [بيروت - المكتبة الأهلية - ١٣٨٥
هـ]
- ٢٩٣) من صفات الداعية : اللين والرفق
فضل إلهي [باكستان - إدارة ترجمان الإسلام - ط
الثانية ١٤١٢هـ]
- ٢٩٤) من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين
فضل إلهي [باكستان - إدارة ترجمان الإسلام - ط
الأولى ١٤١٧هـ]
- ٢٩٥) من مشاهير المجددين في الإسلام
الشيخ : صالح بن فوزان الفوزان [الرياض - الرئاسة العامة للإفتاء -
١٤٠٨ هـ]
- ٢٩٦) مناهج الجدل في القرآن الكريم
زاهر عواض الألمعي [الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ،
ط الثالثة - ١٤٠٤هـ]

- (٢٩٧) مناهج الدعوة وأساليبها علي جريشة [مصر - دار الفواء - ط الأولى ١٤٠٧هـ]
- (٢٩٨) المنجد الأجمدي [بيروت دار المشرق - ط الرابعة ١٩٨٦م]
- (٢٩٩) مناهج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ابن تيمية [الرياض - مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ط الأولى ١٤٠٦هـ]
- (٣٠٠) منهج ابن تيمية في الدعوة عبد الله الحوشاني [الرياض - دار اشبيليا - ط الأولى ١٤١٧هـ]
- (٣٠١) منهج الدعوة إلى الله أمين أحسن إصلاحي تعريب : سعيد الأعظمي النلدوي ، ونور عالم الندوي [الكويت - دار نشر الكتاب الإسلامي - ب ت]
- (٣٠٢) المهذب أبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي [مصر - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - ط الثالثة - ١٣٩٦هـ]
- (٣٠٣) مواد لتاريخ الوهابيين الرحالة : بوركهارت [الطبعة الثانية ١٤١٢هـ]
- (٣٠٤) الموافقات في أصول الشريعة الشاطبي بتخريج عبد الله دراز ، [بيروت - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١١هـ]
- (٣٠٥) المورد منير البعلبكي [بيروت - دار العلم للملايين - ط ١٦ - ١٩٨٢م]
- (٣٠٦) موسوعة التاريخ الإسلامي أحمد شلبي [القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ط الخامسة - ١٩٩٢م]
- (٣٠٧) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي [الرياض - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - ط ١ - ١٤٠٩هـ]
- (٣٠٨) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود [الرياض - مكتبة الرشد - ط ٢ - ١٤١٦هـ]
- (٣٠٩) النشر الكتابي في العصر الأموي محمد فتوح أحمد [مصر - مكتبة الشباب - ١٩٨٤م]
- (٣١٠) نجد قبل ٢٥٠ سنة محمد بن سعد الشويعر . [لرياض - مكتبة النخيل - ١٤١٢هـ]
- (٣١١) زهرة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر وجنة المناظر عبد القادر بن أحمد الدومي الدمشقي [بيروت - دار الحديث - ط الأولى ١٤١٢هـ]

- ٣١٢) نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر
أحمد بن حجر العسقلاني
اعتنى به الأستاذ إسحاق عزوز [القاهرة - مكتبة ابن تيمية - ط١٤١١هـ]
- ٣١٣) النهاية في غريب الحديث والأثر
ابن الأثير
بتحقيق محمد الطناحي ، وطاهر الزاوي [بيروت - دار الفكر - ط ٢ - ١٣٩٩هـ]
- ٣١٤) الهدية السنّية والتحفة الوهابية النجدية
سليمان بن سحمان
[مصر - مطبعة المنار - ط٢ - ١٣٤٤هـ]
- ٣١٥) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية
محمد صدقي بن أحمد البورنو
[الرياض - مكتبة المعارف - ط الثانية ١٤١٠هـ]
- ٣١٦) وسائط الاتصال الرسمي في السعودية
محمد حجازي وعبد الوهاب عبدالفتاح
[الرياض - معهد الإدارة - ط١ - ١٤٠٧هـ]
- ٣١٧) وسائط الاتصال الوثائقي المكتوب وضوابطها
محمد إبراهيم السيد
[القاهرة - دار الثقافة - ١٩٨٨ م]
- ٣١٨) وسائل الدعوة وأساليبها في العصر العباسي الثاني
سليمان بن عبد الله الحبس
[بيروت - دار صادر - ١٤١٤هـ]
- ٣١٩) وفيات الأعيان
ابن خلكان
[بيروت - دار صادر - ١٤١٤هـ]
- ٣٢٠) وقعة صفين
أبو الفضل المنقري
[مصر - مطبعة المدني - ط ٢ - ١٣٨٢هـ]

فهرس الموضوعات

المقدمة

٥	
٩	أولاً : تعريف بمفردات الموضوع :
١٢	ثانياً/ أهمية الموضوع وأسباب اختياره
٢٠	ثالثاً/ تحديد نطاق البحث
٢١	رابعاً/ المنهج المتبع في البحث
٢٤	خامساً/ تقسيم الدراسة
٢٨	سادساً/ الصعوبات التي واجهت الباحث
٣٠	سابعاً / الشكر والتقدير

الفصل التمهيدي

٣٥	المبحث الأول / البيئة الفكرية والاجتماعية التي كتبت فيها هذه الرسائل (وترجمة الإمام رحمه الله)
٣٦	- المطلب الأول : الحياة في نجد زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -
٣٦	أولاً / نجد وعلى ماذا تطلق في تلك الفترة .
٤٠	ثانياً / الحالة الاجتماعية في نجد زمن الإمام - رحمه الله -
٤٣	ثالثاً / الحالة الاقتصادية في نجد زمن الإمام - رحمه الله -
	رابعاً / الحالة السياسية (لمحة موجزة عن الحالة السياسية في نجد واليمامة منذ فجر الإسلام حتى القرن الثالث عشر الهجري) .
٥٠	
٥٤	خامساً/ الحالة الدينية في نجد في تلك الفترة .
٥٩	١ - الاعتقاد في القبور :
٥٩	٢- الاعتقاد في الأولياء والغلو فيهم :
٦١	٣ - الاعتقاد في الأشجار :
٦٢	٤ - الاعتقاد في الأحجار :
٦٨	المطلب الثاني : ترجمة موجزة للإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -
٦٨	أولاً : نسبه ونشأته :
٦٨	- اسمه :
٧١	- مولده وبيئته العلمية
٧٢	- نشأته العلمية :
٧٥	ثانياً : رحلاته العلمية :

- ٧٥ - شيوخه في مكة المكرمة :
- ٧٦ - شيوخه في المدينة المنورة :
- ٨٠ - رجوعه للعيبة :
- ٨٢ - شيوخه في البصرة :
- ٨٤ - شيوخه في الأحساء :
- ٨٧ ثالثاً : عودة الإمام من رحلاته العلمية إلى حريملاء
- ٨٩ رابعاً : انتقاله إلى العيينة
- ٩١ خامساً : انتقاله إلى الدرعية وتحالفه مع الإمام محمد بن سعود
- ٩٣ سادساً : تلاميذ الإمام
- ٩٦ سابعاً : مؤلفات الإمام
- ٩٨ ثامناً : وفاته (رحمه الله)
- ٩٩ البحث الثاني / (الرسائل) وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، واستخدام الإمام (رحمه الله) لها
- ١٠٠ المطلب الأول: الوسائل التي استخدمها الإمام في الدعوة إلى الله ومنها وسيلة المراسلة
- ١٠١ المسألة الأولى / مفهوم (الوسائل) وأنواعها وضوابطها الشرعية
- ١٠١ أولاً - مفهوم الوسائل :
- ١٠٢ ثانياً - أنواع الوسائل :
- ١٠٤ ثالثاً / الضوابط الشرعية لوسائل الدعوة
- ١٠٨ - أحكام وسائل الدعوة :
- ١١٣ المسألة الثانية / الوسائل التي استخدمها الإمام في دعوته
- ١١٣ أولاً : وسائل تبليغ الدعوة (بالقول)
- ١١٣ أ - الوسائل (المباشرة) لتبليغ الدعوة (بالقول) :
- ١٣٦ ب (الوسائل (غير المباشرة) لتبليغ الدعوة (بالقول) :
- ١٧٦ ثانياً : وسائل تبليغ الدعوة (بالعمل)
- ١٧٦ أ - الاحتساب العملي وتغيير المنكرات :
- ١٧٧ ب - إقامة الحدود :
- ١٧٧ ج - الجهاد في سبيل الله :
- ١٧٩ د - دعوته العملية بمشاركته في إدارة وتنظيم أمور الدولة
- ١٧٩ هـ - اتخاذ الأسباب المباحة لتهيئة المجال المناسب لتبليغ الدعوة
- ١٨٠ ١- الحذر المقرون بالتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب :

- ١٨٤ ٢- الاستعانة - بعد الله تعالى - بأهل الخبرة والكفاءة والمكانة .
- ١٨٦ ٣- الحرص على التخطيط وتوزيع المسؤوليات :
- ١٩٠ المطلب الثاني : وسيلة (المراسلة) مشروعيتهما وخصائصها ومجالاتها
- ١٩٠ - المسألة الأولى : تعريف الرسالة واشتقاقها اللغوي
- ٢٠٠ - المسألة الثانية : السند الشرعي للرسالة .
- ٢٠٠ ١ - استخدام نبي الله سليمان عليه السلام وسيلة المراسلة :
- ٢٠٢ ٢- استخدام النبي ﷺ وسيلة المراسلة:
- ٢٠٤ ٣- استخدام الخلفاء الراشدين ومن بعدهم وسيلة المراسلة
- ٢٠٥ - المسألة الثالثة : خصائص الرسالة والمميزات التي ينبغي توافرها فيها .
- ٢٠٦ أ) - خصائص الرسالة
- ٢٠٩ ب) - المميزات التي ينبغي توافرها في الرسالة
- ٢٠٩ أولاً - مميزات الرسالة في صدر الإسلام
- ٢١٤ ثانياً : المميزات التي ينبغي توافرها في الرسالة (في هذا العصر)
- ٢٢٧ المسألة الرابعة : مجالات (الرسالة) في الماضي والحاضر
- ٢٢٨ أ) - مجالات الرسالة في الماضي
- ٢٤٠ ب) - مجالات الرسالة في العصر الحاضر
- ٢٤١ أولاً / أغراض المراسلات الحكومية (في العصر الحاضر)
- ٢٤٥ ثانياً / أغراض المراسلات التجارية (في العصر الحاضر)
- ٢٥١ ثالثاً / أغراض المراسلات الشخصية (في العصر الحاضر)
- ٢٥٢ أ) - رسائل الاستفتاء والأسئلة الاجتماعية والتربوية
- ٢٥٤ ب) - الرسائل الدعوية الخاصة
- ٢٦١ ج) الرسائل الدعوية والتربوية المفتوحة

الفصل الأول

- ٢٦٥ مضمون رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)
- ٢٦٩ - المبحث الأول : بيان العقيدة الصحيحة
- ٢٧١ المطلب الأول / منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في تلقي العقيدة
- ٢٧١ ١- اقتضاره في مصدر التلقي على الوحي : كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ
- ٢٧٤ ٢- عدم خوضه في علم الكلام والفلسفة
- ٢٧٦ ٣- تقريره لحجية السنة الصحيحة في العقيدة :

- ٢٧٨ ٤- احتجاجة في مسائل العقيدة بأقوال الصحابة وإجماع السلف وتفسيرهم للنصوص
- ٢٨٠ ٥- التسليم للنصوص بدون مقررات سابقة
- ٢٨١ ٦- أخذه بجميع النصوص في كل مسألة
- ٢٨٢ ٧- التزامه العدل والإنصاف، وعدم تعميم الأحكام حتى مع الأعداء والخصوم
- ٢٨٤ ٨- عدم تعصبه لشخص إلا للرسول ﷺ فكلّ يؤخذ من قوله ويترك إلا الهادي البشير
- ٢٨٧ المطلب الثاني / تقريره أركان الإيمان بالله تعالى
- ٢٨٧ المسألة الأولى / تقريره الإيمان بالله تعالى
- ٢٨٧ ١- تقريره معنى الإيمان بالله تعالى إجمالاً
- ٢٨٩ ٢- تقريره معنى توحيد العبادة (الألوهية) وأهميته ومقتضياته
- ٣٠٠ ٣- تقريره معنى توحيد الربوبية والفرق بينه وبين توحيد العبادة
- ٣٠٣ ٤- تقريره معنى توحيد الأسماء والصفات
- ٣٠٤ المسألة الثانية / تقريره بقية أركان الإيمان ومسائله
- ٣٠٥ - تقريره الإيمان بالملائكة
- ٣٠٥ - تقريره الإيمان بالكتب
- ٣٠٦ - تقريره الإيمان بالرسل
- ٣٠٧ - تقريره الإيمان باليوم الآخر
- ٣٠٩ - تقريره الإيمان بالقدر خيره وشره
- ٣١١ المطلب الثالث : بيانه لنواقض الإسلام
- ٣١١ المسألة الأولى / بيانه خطر نواقض الإسلام
- ٣١٦ المسألة الثانية / بيانه ضوابط التكفير
- ٣١٦ ١- أن الحكم بالتكفير من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ
- ٣١٨ ٢- عدم التكفير إلا بعد قيام الحجة بتوفر الشروط وانتفاء الموانع
- ٣١٩ ٣- التفريق بين قيام الحجة وفهم الحجة
- ٣٢١ ٤- عدم التكفير بالعموم
- ٣٢١ ٦- عدم التكفير بالمعصية
- ٣٢٣ المسألة الثالثة / بيانه أنواع نواقض الإسلام
- ٣٢٤ المسألة الرابعة / بيانه نواقض الإسلام العشرة
- ٣٢٦ (١) - الشرك في عبادة الله
- ٣٢٦ أولاً / أقسام الشرك
- ٣٢٨ ثانياً / أنواع الشرك

- ٣٢٩ ثالثاً / صور الشرك
- ٣٤٣ (٢) - من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم
- ٣٤٧ (٣) - من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم
- ٣٤٨ (٤) - من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه
- ٣٥٠ (٥) - من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به
- ٣٥٢ (٦) - من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه
- ٣٥٣ (٧) - السحر ومنه الصرف والعطف
- ٣٥٥ (٨) - مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين
- ٣٥٧ (٩) - من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه أتباعه ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعته
- ٣٥٨ (١٠) - الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به
- ٣٦٠ - المطلب الرابع / موقف الإمام من المبتدعة ورؤوسهم
- ٣٦٠ المسألة الأولى / تحذيره من البدع
- ٣٦٠ ١- تعريف البدعة
- ٣٦١ ٢- حرص الإمام على إنكار البدع و سبب ذلك
- ٣٦٣ ٣- إنكاره تقسيم البدع إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة
- ٣٦٥ ٤ - بيانه أن البدع باطلة ولو صحت نية صاحبها
- ٣٦٥ ٥ - إشارته إلى حرص العلماء على إنكار البدع
- ٣٦٦ ٦ - تذكيره بأدلة انتشار البدع في آخر الزمان
- ٣٦٧ المسألة الثانية / بيانه بعض طوائف المبتدعة وتحذيره منهم
- ٣٦٨ ١ - الخوارج
- ٣٧٠ ٢- الرافضة
- ٣٧٣ ٣- المنكلمون
- ٣٧٩ ٤- القدرية
- ٣٨٠ ٥ - التصوف
- ٣٨٢ - الغلو في مقام النبي ﷺ
- ٣٨٤ - الغلو في الصحابة
- ٣٨٥ - الغلو في الصالحين
- ٣٨٨ - الغلو في بعض الفسّاق وأهل الضلالة والزيغ والانحراف
- ٣٩٢ - الغلو في بعض المواضع والأشجار والأحجار

- المبحث الثاني / الدعوة والاحتساب
- ٣٩٤
- ٣٩٦ المطلب الأول / بيانه فضل الدعوة والاحتساب وحثه على القيام بهذا الواجب
- ٣٩٨ المطلب الثاني / إنكاره على من قرط في الدعوة والاحتساب وترهيبه من ترك ذلك الواجب
- ٤٠٠ المطلب الثالث / قيامه بواجب الدعوة والاحتساب بنفسه
- ٤٠٠ ١- دعوته واحتسابه بالقول
- ٤٠١ ٢- دعوته واحتسابه بالعمل
- ٤٠٣ المطلب الرابع / بيانه الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية والمحتسب
- ٤٠٣ ١- الإخلاص لله تعالى
- ٤٠٣ ٢- العمل بما يأمر به والحرص على تربية النفس وإصلاحها
- ٤٠٤ ٣- أن يكون علماً بما يأمر به ويدعو إليه
- ٤٠٤ ٤- الرفق والحلم
- ٤٠٦ ٥- التثبت والتبين والحكم بالظاهر مع وكل السرائر إلى الله تعالى
- ٤٠٧ ٦- مراعاة حال المدعو ومكانته
- ٤٠٨ ٧- مراعاة قاعدة (درء المفسد أولى من جلب المصالح)
- ٤١٠ المطلب الخامس : معوقات في طريق الدعوة والاحتساب
- ٤١٠ المسألة الأولى : معاداة الداعية المحتسب ومحاولة كف دعوته أو القضاء عليها
- ٤١٠ ١- التشكيك في نيته
- ٤١١ ٢- محاولة كفه عن الكلام في مجال الدعوة والاحتساب
- ٤١٢ ٣- تحريض الناس عليه وإغراءهم بأذنيته
- ٤١٣ ٤- تتبع زلاته أو تليفق التهم عليه ونشرها
- ٤١٤ المسألة الثانية : ترك الدعوة والاحتساب والتعاس عنهما بحجج واهية
- ٤١٥ ١- ترك الدعوة والاحتساب بحجة كثرة المنكرات وعدم القدرة على إنكارها
- ٤١٥ ٢- تعلل أهل العلم بأن الناس لم يسألوهم
- ٤١٦ ٣- التعلل بخشية الناس
- ٤١٨ - المبحث الثالث : تفنيده الشبه وردماً ألصق بالإمام من التهم
- ٤١٩ المطلب الأول / التهم التي ألصقت بالإمام وردة عليها
- ٤١٩ ١- التكفير
- ٤١٩ - اتهامه بأنه يكفر بالعموم
- ٤٢١ - اتهامه بتكفير أشخاص معينين

- ٤٢٥ ٢ - اتهامه بأنه يوجب الهجرة إليه
- ٤٢٦ ٣- اتهامه بالرغبة في هدم قبة النبي ﷺ وتغيير ميزاب الكعبة
- ٤٢٧ ٤ - اتهامه بأنه يحرم زيارة قبر النبي ﷺ وينهى عن الصلاة عليه ، وينهى عن زيارة قبر الوالدين
- ٤٢٩ ٥ - اتهامه بأن دعوته فيها تقيص للأبياء وأن الإمام يسب الصالحين وينكر شفاعة النبي ﷺ
- ٤٣١ ٦- اتهامه بأنه على غير حادة العلماء وبخالف منهجهم
- ٤٣٢ - اتهامه بأنه على غير حادة العلماء
- ٤٣٣ - اتهامه بأنه يدعي الاجتهاد ولا يتبع الأئمة
- ٤٣٤ - اتهامه بإحراق دلائل الخيرات
- ٤٣٥ - اتهامه بمخالفة العلماء حين أمر برجم الزانية دون إذن الإمام
- ٤٣٧ المطلب الثاني / الشبه التي أثرت على دعوة الإمام - رحمه الله -
- ٤٣٧ ١- مسألة التكفير والقتال
- ٤٣٨ - شبهة أن التكفير والقتال ليس من دين الله ورسوله
- ٤٣٩ - شبهة أن من قال لا إله إلا الله لا يكفر مطلقاً
- ٤٤٠ - شبهة أن آيات التكفير الواردة في القرآن إنما نزلت في الكفار
- ٤٤٢ - شبهة أن الطواغيت المعاصرين للإمام لم تقم عليهم الحجة
- ٤٤٣ - شبهة أنه لا يكفر إلا من أنكر الإسلام بالكلية
- ٤٤٤ ٢- مسألة معنى الشهادة
- ٤٤٧ ٣- مسألة الغلو في الصالحين وتعظيم القبور
- ٤٤٩ - شبهة أن دعاء الأنبياء والصالحين من دون الله أمر جائز
- ٤٥٠ - قولهم : إن الكفار يعتقدون في أصنام أما نحن فنعتقد في رجال صالحين
- ٤٥١ - شبهة أن دعاءهم للصالحين ليس للعبادة وإنما طلباً للشفاعة
- ٤٥١ - شبهة أن صرف بعض أنواع العبادة لغير الله حرام وليس شركاً
- ٤٥٣ - شبهة أن ابن القيم يرى أن النذر لغير الله والتوكل على غيره شرك أصغر
- ٤٥٥ - شبهة أن قول أهل السنة (لأنكفر مسلماً بذنب) يقتضي عدم تكفير عباد القبور
- ٤٥٦ - شبهة أن تكفير عباد القبور فيه مخالفة لعلماء أجيال وعبيد صالحين
- ٤٥٧ ٤- مسائل تتعلق بالاجتهاد والتقليد والفتيا والاحتساب
- ٤٥٨ أ - شبهة قولهم : القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا
- ٤٥٩ ب - شبهة أن من أخذ بالكتاب والسنة فقد نسب نفسه للاجتهاد وترك الاقتداء
- ٤٦٢ ج - شبهة وجوب عدم مخالفة الناس
- ٤٦٤ د - شبهة أن العالم لا يتعين عليه الفتيا بما يعلم

- ٤٦٦ هـ - شبهة عدم القدرة على إنكار المنكرو ولو باللسان والقلب
 ٤٦٧ و - شبه أثارها الخصوم لتسوية مخالفات موجودة في المجتمع
 ٤٦٧ - دعوى جواز رشوة الحاكم
 ٤٧٠ - شبهة جواز بدعة التذكير يوم الجمعة
 ٤٧٢ - شبهة جواز الوقف الجائر
- المبحث الرابع / مسائل متنوعة في الفقه وأصوله وعلوم الحديث
 ٤٧٧ المطلب الأول / مسائل في الاجتهاد والتقليد:
 ٤٧٨ المسألة الأولى / وجوب الأخذ بنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة
 ٤٧٩ المسألة الثانية / النهي عن (التعصب بالمهوى والتقليد الأعمى)
 ٤٨٢ المطلب الثاني / مسائل في الفقه والأحكام
 ٤٨٣ ١- الوقف
 ٤٨٣ - الوقف الجائر
 ٤٨٤ - وقف الأموال التي تصرف على المشاهد والقبور
 ٤٨٤ ٢- الرشوة
 ٤٨٥ ٣- التذكير ليلة الجمعة
 ٤٨٦ المطلب الثالث / مسائل تتعلق بالسنة وعلومها
 ٤٨٦ - عدم الجزم بنسبة الحديث للنبي ﷺ قبل التأكد من صحته
 ٤٨٦ - الذقة في رواية الأحاديث وعدم التحريف أو الزيادة
 ٤٨٧ - عدم الاحتجاج بمراسيل المتأخرين

الفصل الثاني

- ٤٨٩ أساليب رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)
 ٤٨٩ - مدخل

- ٤٩٤ المبحث الأول : الأساليب المستخدمة في رسائل الإمام - رحمه الله -
 ٤٩٤ المطلب الأول / القدوة
 ٤٩٧ ١- القدوة في الحرص على الدعوة
 ٤٩٩ ٢- القدوة في القيام بالاحتساب ومراعاة آدابه
 ٥٠١ ٣- القدوة بالتخلق بمحاسن الأخلاق

- ٥٠٥ ٤ - القدوة في الزهد والعبادة والتعلق بالله
- ٥٠٨ المطلب الثاني / الموعدة الحسنة
- ٥٠٨ - الموعدة في اللغة
- ٥٠٨ - وفي الاصطلاح
- ٥٠٩ المسألة الأولى / الوعد بالترغيب (بمخالفته وطرقه)
- ٥١٠ أولاً - الترغيب في التوحيد والجهاد من أجله
- ٥١٤ ثانياً / الترغيب في ترك التعصب والهوى
- ٥١٤ ثالثاً / الترغيب في التوبة
- ٥١٥ رابعاً / الترغيب في شكر النعم بأنواع الشكر
- ٥١٦ خامساً / الترغيب في التمسك بدين الله والاستقامة عليه والصبر في سبيله
- ٥١٧ سادساً / الترغيب في الدعوة إلى الله
- ٥١٨ سابعاً / الترغيب في التأدب بأداب الحسبة
- ٥١٨ المسألة الثانية / الترهيب (بمخالفته وطرقه)
- ٥١٩ أولاً: الترهيب من الشرك ومن معاداة أهل التوحيد
- ٥٢٢ ثانياً / الترهيب من الإعراض عن دين الله أو الارتداد عنه واستبداله بالعرف والعادة
- ٥٢٥ ثالثاً / الترهيب من التعصب والهوى
- ٥٢٨ رابعاً / الترهيب من كفر النعم
- ٥٢٩ خامساً / الترهيب من تقديم الفاني على الباقي
- ٥٣١ سادساً: الترهيب من كتم العلم
- ٥٣٢ سابعاً / الترهيب من ترك التأدب بأداب الحسبة
- ٥٣٤ المطلب الثالث : الجدل بالتي هي أحسن
- ٥٣٥ المسألة الأولى / التعريف بهذا الأسلوب
- ٥٣٩ المسألة الثانية / منهج الإمام في استخدام أسلوب الجدل بالتي هي أحسن
- ٥٣٩ ١- مراعاته لأداب هذا الأسلوب وضوابطه وأمره بذلك
- ٥٥٠ ٢- الاستدلال بأنواع الأدلة الممكنة
- ٥٥٢ ٣- محاولة منع الخصم من المكابرة بالطرق الممكنة
- ٥٥٤ ٤- حصر الجدل مع من ترجى الثمرة من وراء مجادلتهم
- ٥٥٤ ٥ - محاولة إعداد الخصم علمياً قبل الجدل لكي لا يكون الجدل عقيماً
- ٥٥٥ ٦- محاولة كسب الجدل وإظهار احترامه بالاستدلال بعبارة
- ٥٥٦ ٧- الاعتراف بالصواب من أقوال الخصم

- ٥٥٧ ٨- مراعاة الدقة والوضوح في العبارات والأفكار
- ٥٦٠ ٩- التنزل مع الخصم :
- ٥٦١ ١٠- رصد وتوثيق دعاوى الخصم بألفاظها لإلزامه بها :
- ٥٦٣ ١١- قوة الحجة وبيان خطأ الخصم وتناقضه من عدة وجوه :
- ٥٦٤ ١٢- الرد على الخصم بعباراته وأدلته :
- ٥٦٥ ١٣- الاستدلال على ضلاله بضلال شيوخه مادام موافقاً له متعصباً لمنهجه
- ٥٦٦ ١٤- بيان لوازم قول الخصم وشاعتها وتخييره بين الالتزام بها أو الرجوع عن قوله
- ٥٦٧ ١٥- مراعاة ما يناسب الجدول من الإغلاظ في القول عند تبين العناد
- ٥٧٢ ١٦- انتصار الإمام في الجدل وبيان أن سبب ذلك هو الاعتماد على الوحيين
- ٥٧٢ ١٧- تشجيع الإمام أتباعه على استخدام أسلوب الجدل ومتابعته لهم
- ٥٧٣ أ) تكليفه الشيخ عبدالعزيز الحصين بمناظرة علماء مكة
- ٥٧٤ ب) تلقين الإمام - رحمه الله - محمد بن سلطان الحجة لمناظرة أهل الأحساء والخروج
- ٥٧٤ ج) دخول أتباع الإمام من أهل ثرمداء في مناظرة مع ابن محمد بن سليمان
- د) مجادلة عبدالرحمن الشنيفي ومن معه من أتباع الإمام سليمان بن سحيم وإقرار سليمان بالحق
- ٥٧٥ أمام الشيوخ
- ٥٧٦ المطلب الرابع / أسلوب غرس الثقة بالداعي في نفوس المدعويين
- ٥٧٩ أ) الإلماع إلى مآزقه الله من سعة العلم والإطلاع
- ٥٨٠ ب) التأكيد على أن النصوص تشهد بقوله وكذلك العلماء يوافقونه وأنه متبع
- ٥٨١ ج) الحرص على سرعة التبرؤ من التهم الباطلة
- ٥٨١ د) الإشارة إلى تجرده وطلبه للحق وعدم ادعاء الكمال
- ٥٨٢ هـ) إحاطة المدعو بالمركز الاجتماعي للإمام وتأييد بعض ذوي السلطة والهيبة لدعوته
- ٥٨٣ و) التأكيد على ثقته بسلامة منهجه وثقته بنصر الله
- ٥٨٦ المطلب الخامس / أسلوب البلاغة في التعبير (الوضوح - القوة - الجمال)
- ٥٨٧ أولاً / الوضوح
- ٥٨٧ أ) الوضوح في الألفاظ والتراكيب
- ٥٨٩ - استخدام بعض الألفاظ والتراكيب العامية بقصد الإيضاح
- ٥٩٢ ب) الوضوح في الاستدلال بذكر الشاهد ووجه الاستشهاد
- ٥٩٣ ثانياً / القوة لقصد التأثير والإقناع
- ٥٩٤ أ) كثرة النصوص والشواهد
- ٥٩٥ ب) الاستدلال على كل جزئية

- ٥٩٦ ج) دقة الاستدلال وعدم التكلف
- ٥٩٦ ثالثاً / الجمال لقصد الإمتاع
- ٥٩٧ أ) تنوع الأدلة والشواهد
- ٦٠٢ ب) التنوع في استخدام الأساليب البلاغية
- ٦٠٣ ١- في علم المعاني
- ٦٠٣ - القَسَمُ
- ٦٠٤ - الاستفهام
- ٦٠٥ ٢- في علم البيان
- ٦٠٥ التشبيه
- ٦٠٧ ٣- في علم البديع
- ٦٠٧ - الجناس
- ٦٠٩ - السجع
- ٦١٠ - الاقتباس
- ٦١٣ المبحث الثاني : تنوع الأساليب في رسائل الإمام (باعتبار المدعو)
- ٦١٥ - المطلب الأول : مراعاة مكانة المدعو
- ٦١٥ أ) الأمراء وذوي السلطان
- ٦١٥ ١- مخاطبته بمكانته في قومه
- ٦١٧ ٢- صياغة الرسالة بالأسلوب الذي يألفه المدعو وتضمينها ألفاظاً تدل على الاحترام والتبجيل
- ٦٢٠ ٣- العناية بأسئلة الأمراء ولو كانوا صغاراً في السن وإظهار المحبة والنصح لهم
- ٦٢١ ٤- الاختصار وعدم الإطالة
- ٦٢١ ب) أهل العلم
- ٦٢٦ ج) العامة
- ٦٣٢ د - المستجيبون من أتباع الإمام
- ٦٣٤ هـ) المعاندون
- ٦٣٧ المطلب الثاني : مراعاة حاجات المدعو الفطرية واستثمارها
- ٦٣٧ أ) حاجته للمدح والثناء والتقدير الاجتماعي
- ٦٣٨ ١- مدحه بما يتناسب مع ما يرجى منه
- ٦٣٩ ٢- إظهار الاهتمام بآرائه وعباراته ورسائله
- ٦٤٠ ٣- الإشارة إلى مكانته العلمية والاجتماعية

- ٦٤١ -٤- الإشادة بمواقفه الحسنة وتشجيع منجزاته
- ٦٤٢ ٥ - إشعار المدعو أن الداعي لا يعرف عنه إلا السمعة الطيبة
- ٦٤٣ ٦- تجنب التوجيه بصيغة الأمر
- ٦٤٤ ٧- إخفاء الاحتساب
- ٦٤٥ ٨ - المداراة
- ٦٤٦ ب) حاجته إلى الأمن وسعة العيش
- ٦٤٦ - إشعار المدعو أن الاستجابة للدعوة تحقق له ما يحتاج من الأمن وسعة العيش
- ٦٤٧ ج) كراهيته للوم والعتاب الشخصي عند الخطأ
- ٦٤٧ ١- التذكير بدور الشيطان في إضلال بني آدم
- ٦٤٩ ٢- الاعتذار للمدعو بوجود اللبس لا قصد الابتداع
- ٦٥٠ ٣- الإشارة إلى أن هذا الخطأ مصيبة وأنها من قدر الله
- ٦٥١ ٤- تجنب اللوم المباشر
- ٦٥٢ د) حاجته للمحبة والرحمة
- ٦٥٣ ١- التصريح بمحبة المدعو
- ٦٥٣ ٢- إظهار الاهتمام بمشاعره والحزن من أجله
- ٦٥٤ ٣- السلام على المدعو والدعاء له
- ٦٥٦ ٤- الواقعية وعدم تكليف المدعو بما لا يطيق
- ٦٥٨ المطلب الثالث : مراعاة حاجات المدعو الروحية

الفصل الثالث

آثار رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وكيفية الاستفادة منها في

العصر الحاضر

- ٦٦١ مدخل
- ٦٦٣ المبحث الأول : آثار رسائل الإمام - رحمه الله -
- ٦٦٤ المطلب الأول : عوامل تأثير رسائل الإمام - رحمه الله -
- ٦٦٦ ١- توفيق الله تعالى
- ٦٦٧ ٢- طبيعة كاتب الرسائل - رحمه الله - وحرصه على تحري الإخلاص
- ٦٦٩ ٣- سعة علم كاتب الرسائل وقوة حجته
- ٦٧٠ ٤- طبيعة المبادئ التي تضمنتها الرسائل ودعت إليها
- ٦٧١ ٥ - القوة السياسيّة لمصدر الرسائل

- ٦٧١ ٦- طيبة البيعة التي وُجّهت إليها الرسائل
- ٦٧٢ ٧- أثر علماء الدعوة وناصرها
- ٦٧٤ ٨- موسم الحج
- ٦٧٥ ٩- الرحلات و العلاقات التجارية
- ٦٧٦ ١١- خصوم الدعوة
- ٦٧٨ ١٢- دور المنصفين من العلماء ورجال الفكر والأدب من المسلمين وغيرهم
- ٦٧٩ المطلب الثاني / معوقات تأثير رسائل الإمام - رحمه الله -
- ٦٧٩ ١- دور الخصوم في التحذير من دعوة الإمام ومن مضامين رسائله
- ٦٨٠ ٢- طيبة وسيلة المراسلة
- ٦٨٢ ٣- غلبة الأهواء والمصالح الشخصية
- ٦٨٤ المطلب الثالث : بعض آثار رسائل الإمام - رحمه الله -
- ٦٨٤ المسألة الأولى : الآثار المباشرة لرسائل الإمام - رحمه الله -
- ٦٨٤ ١- استجابة بعض المدعوين وتأبيدهم للدعوة
- ٦٩٠ ٢- تهيئة البيعة المناسبة للهجرة للدرعية
- ٦٩٢ ٣- تحسين علاقة الدولة السعودية الأولى بأشراف مكة
- ٦٩٢ ٤- تهيئة الجو المناسب لمناظرة علماء مكة
- ٦٩٤ ٥ - تعليم الناس وتفقيهم بأمور دينهم
- ٦٩٦ ٦- دفع العلماء ومدعي العلم إلى البحث والتأليف
- ٦٩٩ المسألة الثانية : الآثار غير المباشرة لرسائل الإمام - رحمه الله -
- ٧٠٠ ١- التعريف بدعوة الإمام وتضاعف عدد المعتنقين لها والمؤيدين لمبادئها
- ٧٠١ ٢- تبدل الأحوال السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية في مواطن الدعوة
- ٧٠٥ ٣- اليقظة الفكرية والثورة العلمية وإحياء السنن
- ٧٠٦ ٤- التحديد في الحياة الأدبية
- ٧٠٧ ٥ - قيام حركات ودعوات إصلاحية خارج سلطان الدعوة
- ٧١١ (ب) - هل تلك الحركات والشخصيات قد تأثرت بالفعل بدعوة الإمام ؟
- ٧٢٠ (ج) الحركات والدعوات التي (قبل) أنها تأثرت بدعوة الإمام
- ٧٢٤ المبحث الثاني / كيفية الاستفادة من رسائل الإمام - رحمه الله - في العصر الحاضر
- ٧٢٦ المطلب الأول : كيفية الاستفادة من سيرة كاتب الرسائل - رحمه الله - ووسائله الدعوية في العصر الحاضر
- ٧٢٦ ١- عدم اليأس من هداية المدعوين وانتصار الدعوة مهما استحکم الجهل والظلم

- ٧٢٧ -٢- أهمية الإعداد العلمي والتربوي للداعية وتنوع المشارب
- ٧٢٨ -٣- أهمية الإعداد العلمي والتربوي للمدعو
- ٧٣٠ -٤- ضرورة العناية بتزكية النفس
- ٧٣١ -٥- أهمية السعي لإيجاد القوة التي تحمي الدعوة
- ٧٣٣ -٦- عدم التنازل عن المبادئ بدعوى مصلحة الدعوة
- ٧٣٥ -٧- ضرورة توطئ النفس على الصبر والثبات وتوقع حدوث أنواع الابتلاءات
- ٧٣٦ -٨- أهمية الأخذ بكافة الأسباب والوسائل الدعوية المشروعة المتاحة
- ٧٣٧ -٩- أهمية وسيلة المراسلة وعظم تأثيرها
- ٧٣٨ -١٠- قيام الداعية بنفسه بالتطبيق العملي لمبادئ الدعوة ما أمكن ذلك
- ٧٣٩ -١١- اليقين بسلامة الطريق وعدم الاغترار بالكثرة
- ٧٤١ -المطلب الثاني : كيفية الاستفادة من مضامين رسائل الإمام في العصر الحاضر -
- ٧٤١ -١- ضرورة الاهتمام بتصحيح عقيدة الأمة مفهوماً وعملاً وبيان ما يصادها
- ٧٤٢ (أ) اعتقاد أن الجهاد في سبيل الله تعالى فرض عظيم من فرائض الإسلام
- ٧٤٢ (ب) العناية بعباد الدعوة والاحتساب علماً وعملاً وعدّه من فرائض الدين
- ٧٤٢ (ج) التشديد على وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم
- ٧٤٢ (د) العناية بمبدأ الولاء والبراء واعتقاده عقيدة ثابتة
- ٧٤٣ -٢- تجلية المفاهيم الإسلامية وإيضاح دلالتها ليقهّمها العامة ويحفظوها ويتناقلوها
- ٧٤٣ -٣- وجوب متابعة الدليل من نصوص الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح
- ٧٤٤ -٤- أهمية معرفة سبيل المحرمين وكشف المعاندين من أهل البدع والزيغ والضلال
- ٧٤٥ -٥- التحذير من الغلو في التكفير أو الاحتساب وبيان بعض الضوابط الشرعية في ذلك
- ٧٤٥ -٦- الحرص على تفنيذ الشبه المثارة حول الدعوة وردّ التهم الملتصقة بالدعاة
- ٧٤٧ -٧- العناية بالجانب الإيماني للمدعو وتربية المدعوين على الفهم الشامل للعبادة
- ٧٤٩ -٨- وضوح المنهج ووضوح الهدف والثقة بسلامة الطريق
- ٧٥٠ -٩- العناية بالمرأة والحرص على تعليمها وتربيتها وعدم إهمالها
- ٧٥٣ -المطلب الثالث : كيفية الاستفادة من أساليب رسائل الإمام في العصر الحاضر -
- ٧٥٣ -١- ضرورة استخدام كافة الأساليب المباحة والمناسبة وعدم الاقتصار على أسلوب معين
- ٧٥٤ -٢- الحكمة في تنويع الأساليب تبعاً لطبيعة المدعوين ومعرفة ما يناسب كل فئة
- ٧٥٦ -٣- الحرص على الوضوح وتجنب المصطلحات الغامضة مع نصاعة البيان وقوة الحجّة
- ٧٥٧ -٤- تبصير المدعوين بأساليب أهل الضلال وطرقهم في إعاقه الدعوة ومحاربة الدعاة
- ٧٥٩ -٥- الإشارة إلى البدائل المباحة للمحذورات الشرعية قدر الإمكان

- ٧٦١ ٦- طلب النصيحة باستمرار ، والحرص على الاستفادة من التوجيهات والنقد الإيجابي
- ٧٦١ ٧- الحرص على جمع كلمة المسلمين ما أمكن
- ٧٦٥ المطلب الرابع : كيفية الاستفادة من آئسار رسائل الإمام في العصر الحاضر.
- ٧٦٥ ١- العناية بما يزيد من تأثير الدعوة
- ٧٦٥ أ) استكتاب العلماء وطلبة العلم أو استضافتهم لتأييد الدعوة ومناصرتها
- ٧٦٦ ب) نشر الدعاة في شتى البقاع ليقوموا بشرح مبادئ الدعوة وتفنيد الشبه المثارة حولها،
- ٧٦٨ ج) الاستفادة من التجمعات البشرية العامة والتجمعات الإسلامية على وجه الخصوص
- ٧٦٩ ٢- الحرص على تجنب كل ما يحد من تأثير الدعوة مع السعي في إزالة معوقاتها
- ٧٦٩ ٣- عدم الاستهانة ببعض وسائل الدعوة وإن بدى للناس انها قليلة الشأن زهيدة التكلفة
- ٧٧١ ٤- إن الداعية قد لا يتمكن من رؤية جميع آثار دعوته أثناء حياته ، وينبغي أن لا يفت ذلك في عضده

خاتمة

- ٧٧٣ أولاً / النتائج
- ٧٧٥ ثانياً / التوصيات
- ٧٧٩ الملحق
- ٨١١ الفهارس
- ٨١١ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
- ٨١٥ فهرس الأعلام
- ٨١٧ المصادر والمراجع
- ٨٤١ فهرس الموضوعات